الحقيقة المحمدية

عند أقطاب السادة الصوفية

إسلاماً وإيماناً وإحساناً

من موسوعة جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ
للعارف بالله تعالى الشيخ يوسف النبهاني قدس سره

جمعه وضبطه وصححه ووضع هوامشه

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



الحقيقة المحمدية
عند أقطاب السادة الصوفية
إسلاماً وإيماناً وإحساناً

Al-ḥaqīqah al-Muḥammadiyyah
ᶜind aqṭāb al-sādah al-ṣūfiyyah

Author – المؤلف

الشيخ يوسف النبهاني

Al-šayḫ Yusūf al-Nabahānī

Editor – المحقق

د.عاصم إبراهيم الكيالي

Dr. ᶜĀṣīm Ibrāhīm al-Kayyālī

Classification – التصنيف

تصوف

Sufism

Pages ,Size – القياس ، عدد الصفحات

*736 p. ; 17*24 cm*

Year – سنة الطباعة

2012 A.D - 1433 H.

Printed in – بلد الطباعة

Lebanon – لبنان

Edition – الطبعة

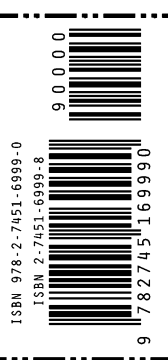
First – الأولى

ISBN : 978-2-7451-6999-0



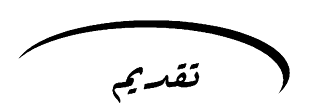
BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon بيروت - لبنان | كتاب - ناشرون

Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 71 289 277-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com



ISBN 978-2-7451-6999-0
ISBN 2-7451-6999-8

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



تقديم

بسم الله الرحمٰن الرحيم الذي رحم خلقه أجمعين برحمته الذاتية التي وسعت كل شيء، وأنعم عليهم بنعتمَتَي الإيجاد من المعدم والإمداد بالوجود ذاتاً وصفةً وفعلاً.

والحمد لله الرحيم الذي رحم أولياءه المؤمنين برحمته الصفاتية التي كتبها لعباده المتقين.

وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]، وبمقتضى قوله ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**». والأول بروحه بمقتضى «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**». وقوله ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**». وقوله ﷺ فيما رواه الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقهُ الله؟ فقال: **هو نورُ نبيك يا جابر خلقهُ الله ثم خلق منه كلَّ خيرٍ وخلق بعدَه كل شرٍّ، فحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنتي عشر ألفَ سنة، ثم جعلهُ أربعة أقسام: فخلق العرشَ من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحبِّ اثنتي عشر ألف سنة، ثم جعلهُ أربعة أقسامٍ: فخلق القلمَ من قسم، والروح من قسم، والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثنتي عشر ألفَ سنةٍ، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلقَ الملائكة من جزءٍ، وخلقَ الشمسَ من جزءٍ، وخلق القمر والكواكب من جزءٍ، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثنتي عشر ألفَ سنةٍ، ثم جعلهُ أربعة أجزاءٍ: فخلقَ العقل من جزءٍ، والحِلْمَ والعلمَ من جزءٍ، والعصمةَ والتوفيق من جزءٍ، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياءِ اثنتي عشرَ ألفَ سنةٍ، ثم نظر إليه فترشَّح ذلك النور عرقاً، ففُطرت منه مائة ألفَ وعشرونَ ألفاً، وأربعةَ آلافِ قطرةٍ فخلق الله تعالى من كلِّ قطرةٍ روحَ نبي أو رسولٍ، ثم تنفَّست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسِهِم نورَ أرواحِ الأولياءِ والسعداءِ**

والشهداءِ والمطيعينَ من المؤمنينَ إلى يوم القيامةِ؛ فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون والروحانيونَ من الملائكةِ من نوري، وملائكة السمٰواتِ السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيمِ من نوري، والشمس والقمرُ والكواكبُ من نوري، والعقلُ والعلمُ والتوفيقُ من نوري، وأرواحُ الأنبياء والرسلِ من نوري، والشهداءُ والسعداءُ والصالحونَ من نتائجِ نوري، ثم خلقَ الله اثني عشر حجاباً، فأقامَ النورَ وهو الجزء الرابع من كل حجابٍ ألفَ سنةٍ، وهي مقامات العبوديةِ، وهي حجابُ الكرامةِ والسعادةِ والرؤيةِ والرحمةِ والرأفةِ والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبدَ الله ذلكَ النورَ في كل حجابٍ ألف سنةٍ، فلما خرج النورُ من الحجبِ ركبه الله في الأرضِ فكان يضيءُ بينَ المشرقِ والمغربِ كالسراج في الليلِ المظلمِ، ثم خلق الله آدمَ من الأرضِ وركب فيه النورَ في جبينه ثم انتقل منهُ إلى شيثٍ ولدهِ، وكان ينتقلُ من طاهر إلى طيِّبٍ إلى أن وصل إلى صلبِ عبد الله بنِ عبد المطلب، ومنه إلى زوجهِ أُمِّي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيِّدَ المرسلينَ وخاتم النبيينَ ورحمة للعالمين الغُرّ المحجلينَ هكذا كانَ بدءُ خلق نبيِّكَ يا جابرُ».

وبعد فإن سيدنا محمداً هو سيد ولد آدم وعبد الله وخليله وحبيبه ورسوله ولولاه ما كانت الأكوان ولا كانت الأمم ولعظيم قدره ومكانته عند الله تعالى أقامه الحق تعالى مقام ذاته في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفَتْح: 10] وفي قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّسَاء: 80]. وما أصدق قول الإمام البوصيري:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وما أجمل قول سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وفي مجال مدح النبي ﷺ والتعرف على كمالاته الخَلْقية والخُلُقية ولطائفه الملكوتية وأسراره الجبروتية الربانية نقدم للقراء الكرام كتاباً جليلاً في بيان الحقيقة المحمدية عند أقطاب السادة الصوفية من حيث مقامات الدين الكامل الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان جمعناها وصححناها ونسقناها وحققناها واختصرناها من موسوعة (جواهر البحار في فضائل النبي المختار) للعلامة العارف بالله تعالى المحقق الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني المتوفى سنة 1350هـ قدّس سرُّه. وهي تعتبر من أهم وأوسع الكتب الجامعة للشمائل المحمدية من حيث مقامات الدين

الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ العبادة والقصد والشهود؛ الملك والملكوت والجبروت.

ونحن بدورنا وإتماماً للفائدة لخصنا هذه الموسوعة بكتاب أسميناه **(الحقيقة المحمدية عند أقطاب السادة الصوفية)** ركزنا فيه على جمع أسرار الحقيقة المحمدية من حيث مقام الإحسان مقام توحيد الشهود والعيان أي مقام عين اليقين وحق اليقين وحقيقة اليقين حباً في الله تعالى ورسوله سيدنا محمد ﷺ، وخدمة لأهل الله تعالى وللسالكين طريق معرفة الله تعالى التي هي غاية الخلق مصداقاً لقول الله تعالى كما في الحديث القدسي: «**كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني**».

هذا ونسأل الله تعالى أن يوصلنا إلى معرفة أسرار الحقيقة المحمدية وكمالاتها الخَلْقية والخُلُقية الشرعية حساً ومعنًى ظاهراً وباطناً، وليس ذلك على الله تعالى بعزيز، آمين.

وكتبه الغني بالله تعالى
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم
الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التعريف بمؤلف الكتاب ناصر السنة وقامع البدعة
الإمام الرباني الشيخ: يوسف بن إسماعيل النبهاني
المتوفى سنة (1350 هـ ـ 1931 م)

هو الإمام الفاضل، والهمام الكامل، العالم العامل، محب النبي عليه الصلاة والسلام، الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل النبهاني نسبة لبني نبهان قوم من عرب البادية توطنوا منذ أزمان (إجزم) الواقعة في فلسطين من البلاد المقدسة، وولد بها سنة 265 هـ، وقرأ القرآن على والده الشيخ الصالح، الحافظ، المتقن لكتاب الله الشيخ: إسماعيل النبهاني، ثم ذهب إلى مصر لطلب العلم بالأزهر الشريف سنة 1283 هـ إلى سنة 1289 هـ حيث درس العلوم الشرعية، على أساتذته من الشيوخ المحقّقين، وجهابذة العلماء الراسخين، يقول هو عنهم: لو انفرد كل واحد منهم في إقليم لكان قائد أهله إلى جنة النعيم، وكفاهم عن كل من عداه في جميع العلوم، وما يحتاجون إليه من منطوق ومفهوم. (قاله العلامة المحدث الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في ترجمته للنبهاني التي تصدرت كتاب شواهد الحق).

وقال عنه الكتاني: بوصيري العصر، الأديب الشاعر، المفلق الطائر الصيت، المحب الصادق، نادرة العصر، وقال: وهو ممن خدم السيرة المحمدية، والجناب النبوي أرفع الخدمات، وأوقف حياته على ذلك، فنشر وكتب ما لم يتيسر لغيره في عصرنا هذا، ولا عشر معشاره.

أخذ طرق الصوفية عن مشايخ الوقت، فالإدريسية عن الشيخ إسماعيل النواب، نزيل مكة، والرفاعية عن الشيخ عبد القادر أبي رباح الدجاني اليافي، والخلوتية عن الشيخ حسن رضوان الصعيدي، والشاذلية عن الشيخ محمد بن مسعود الفاسي،

والشيخ علي نور الدين اليشرطي، والنقشبندية عن الشيخ غياث الدين الإربلي، والشيخ إمداد الله الهندي، والقادرية عن الشيخ حسن بن حلاوة الغزي وغيرهم.

وجال في بلاد الشرق العربي وبلاد الترك، فدخل الآستانة، والموصل، وحلب، وديار بكر وشهرزور، وبغداد، وسامرا، وبيت المقدس، والحجاز، ولما نبه ذكره وعلا صيته، اختير للقضاء في ولايات الشام حتى صار رئيساً لمحكمة الحقوق العليا في بيروت.

وأول ما ظهر من مؤلفاته كتاب: «الشرف المؤبد لآل سيدنا محمد ﷺ (طبع في بيروت سنة 1309) ثم همزيته وبها اشتهر، وتناقل الناس ما له من خبر؛ لبلاغتها وانسجامها، وطلاوتها، ثم عظم ذكره بما صنّف ونظم، ونثر وطبع ونشر، خصوصاً في الجناب المحمدي الأعظم. (فهرس الفهارس للكتاني 2/ 1107 ط دار الغرب الإسلامي بيروت).

وذكر زكي مجاهد في كتابه: «أعلام شرقية» أنه في سنة 1910 م زار القاهرة، وقرر الخديوي عباس حلمي الثاني له عشرة جنيهات، راتباً شهرياً؛ لمناسبة سعة اطلاعه في العلوم الشرعية.

وأثنى عليه الشيخ عبد الرزاق البيطار ثناءً طويلاً منه قوله:

أقول: إن هذا الإمام، الشهم الأديب، الهمام قد طلعت فضائل محاسنه طلوع النجوم الزواهر، وسعدت مطالع شمائله بآدابه المعجبة البواهر، فهو الألمعي المشهور بقوة الإدراك، واللوذعي المستوي مقامه على ذروة الأفلاك، وله ذكاء أحد من السيف، إذا تجرد من قرابه، وفكر إذا أراد البحر أن يحكيه وقع في اضطرابه، ونثر يزري بالعقد الثمين والدر المنثور، وشعر يدل على كمال الإدراك، وتمام الشعور، فهو فارس ميدان اليراع والصفاح، وصاحب الرماح الخطية، والأقلام الفصاح، فلعمري لقد أصبح في الفضل وحيداً، ولم تجد عنه النباهة محيصاً ولا محيداً، وناهيك بمحاسن قلدها، ومناقب أثبتها وخلدها، إذا تليت في المجامع اهتزت لها الأعطاف، وتشنّفت إليها المسامع. ومن جملة آثاره الدالة على علوه وفخاره: تآليفه الشريفة، التي من جملتها: «**أفضل الصلوات على سيد السادات**»، و«**وسائل الوصول إلى شمائل الرسول** ﷺ»، و«**الشرف المؤبد لآل محمد** ﷺ» وقد اطلعت على هذا الكتاب، فوجدته قد ارتدى بالكمال، وتمنطق بالصواب.

(حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للبيطار 3/ 1614 ط دار صادر بيروت).

قال الشيخ الشنقيطي: أما عبادة الشيخ فقد شاهدت منها بالمدينة المنورة ما لا يتفق إلا لمن خرق الله له العادة، من أوليائه وأصفيائه، وقد مات رحمه الله في بيروت، في أوائل شهر رمضان المعظم، من سنة 1350 هجرية وهو على عادته من ملازمة أداء الفرائض مع كثرة النوافل، والصلاة على النبي ﷺ وكان نور العبادة، والاتباع للسنة، ظاهراً على وجهه المستنير، تقبل الله منا ومنه وحشرنا في زمرة شفيع المذنبين، رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مؤلفاته

قال الشيخ الشنقيطي: أما مصنفاته فهي كثيرة جداً، وجلها، أو كلها، في الحديث ومتعلقاته، كالسيرة النبوية والمديح، وعلم الأسانيد، تراجم أعيان علماء الأمة، والصلاة على النبي ﷺ، وتدوين المدائح التي مدحه بها، أو مدحه بها غيره، من الأقدمين والمتأخرين من سائر أهل المذاهب الأربعة وأكابر المحدثين: ولنذكر ما وقفت عليه من مصنفاته في الحديث وغيره، فأعظمها وأنفعها كتابه المسمى:

1 ـ «الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير». وهو كتاب جمع فيه بين «الجامع الصغير» وذيله المسمى «زيادة الجامع الصغير». وقد اشتملا على أربعة عشر ألف حديث، وأربعمائة وخمسين حديثاً. وقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات، في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، وأولاده. وما تم طبعه إلا بعد وفاة المؤلف بنحو سنة. وهو كتاب لا تستغني عنه خزانة محدث؛ إذ لم يوجد من المطبوعات في الحديث، مرتباً على حروف المعجم اليوم، أكثر منه فيما وقفت عليه، والله أعلم، مع التزام تخريج كل حديث وضبطه بالشكل الكامل.

2 ـ «منتخب الصحيحين». مضبوط بالشكل الكامل، وقد اشتمل على ثلاثة آلاف وعشرة أحاديث وقد ذيله بتعليقة سماها: «قرة العين على منتخب الصحيحين».

3 ـ «وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ».

4 ـ «أفضل الصلوات على سيد السادات ﷺ».

5 ـ «البشائر الإيمانية في المبشرات المنامية».

6 ـ «النظم البديع في مولد الشفيع ﷺ».

7 ـ «الهمزة الألفية (طيبة الغرَّاء) في مدح سيد الأنبياء ﷺ».

8 ـ «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ».

9 ـ «الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة».

10 ـ «قصيدة سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد».

11 ـ «مثال نعله الشريف ﷺ».

12 ـ «حجة الله على العالمين في معجزة سيد المرسلين ﷺ».

13 ـ «سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ﷺ».

14 ـ «السابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ» (وهي المعشرات).

15 ـ «خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام».

16 ـ «هادي المريد إلى طريق الأسانيد».

17 ـ «الفضائل المحمدية».

18 ـ «الورد الشافي». يشتمل على الأدعية والأذكار النبوية.

19 ـ «المزدوجة الغراء في الاستغاثة بأسماء الله الحسنى».

20 ـ «المجموعة النبهانية في المدائح النبوية وأسماء رجالها».

21 ـ «نجوم المهتدين في معجزاته ﷺ والرد على أعدائه إخوان الشياطين».

22 ـ «إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى».

23 ـ «جامع الثناء على الله».

24 ـ «مفرج الكروب ومفرح القلوب».

25 ـ «حزب الاستغاثات بسيد السادات ﷺ».

26 ـ «أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل ﷺ».

27 ـ «الأسمى فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسماء».

28 ـ «البرهان المسدد في إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ».

29 ـ «دليل التجار إلى أخلاق الأخيار».

30 ـ «الرحمة المهداة في فضل الصلاة».

31 ـ «حسن الشرعة في مشروعية صلاة الظهر بعد الجمعة».

32 ـ «رسالة التحذير من اتخاذ الصور والتصوير».

33 ـ «تنبيه الأفكار لحكمة إقبال الدنيا على الكفار».

34 ـ «سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله».

35 ـ «رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله»(*).

(*) وهو كتاب جليل يرد فيه النبهاني على [الشيخ] ابن تيمية في القول بالجهة في حق الله سبحانه وتعالى، فيقول في تقديمه للكتاب: «ولما كانت كتبه ـ أي الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله وعفا عنه قد طبعت ونشرت وكانت فيها مسائل في العقائد مخالفة لعقائد أهل السنة والجماعة كان من اللازم على أكابر العلماء في هذا العصر أن يتصدوا لبيان تلك المسائل التي وقع فيها مخالفة أهل السنة والتنبيه عليها ليحذرها الناس خوفاً عليهم من تشويش عقائدهم، ولما كان من أهم تلك المسائل القول باعتقاد الجهة، فقد رأيت من الصواب والواجب الذي لا مندوحة عنه أن أجمع رسالة أنقل فيها أقوال أكابر علماء مذهب أهل السنة والجماعة في استحالة الجهة على الله، فجمعتها على هذا الوجه وسميتها [رفع الاشتباه في استحالة الجهة على الله]. (وهو مطبوع ضمن كتاب شواهد الحق فارجع إليه).

وتتبين قيمة هذا الكتاب في أيامنا هذه عندما نرى مدى انتشار الوهابية بين عوام المسلمين، وهي التي أحيت مذهب الشيخ ابن تيمية وجماعته، وزادت عليه، فهذا واحد من دعاتهم واسمه [الشيخ] محمد بن صالح العثيمين، يكتب تعليقات على كتاب رياض الصالحين، وعند الحديث رقم 286: [الذي نصه] «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»، فيستدل به على إثبات الجهة في حق الله عز وجل، ويدعي ـ كذباً ـ أن هذا مذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة فيقول:

وفي هذا الحديث دليل صريح لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وسلف الأمة من أن الله عز وجل في السماء هو نفسه جل وعلا، فوق عرشه، فوق سبع سمٰوات، وليس المراد بقوله في السماء أي ملكه في السماء، بل هذا تحريفٌ للكلم عن مواضعه.

كل السمٰوات والأرض بيد الله عز وجل، كلها ملك الله، ولكن المراد أنه هو نفسه عز وجل فوق سماواته على العرش استوى ولذلك نجد أن المسألة فطرية لا تحتاج إلى دراسة وتعب حتى يقر الإنسان أن الله في السماء، بمجرد الفطرة يرفع الإنسان يديه إلى ربه إذا دعا ويتجه بقلبه إلى السماء، واليد تُرفع أيضاً نحو السماء.

ويستمر في استدلاله . . . فيقول:

نحن نُشاهد بعض الحشرات إذا طردتها أو آذيتها وقفت ثم رفعت قوائمها إلى السماء، نشاهدها مشاهدة، فهذا يدل على أن كون الله عز وجل في السماء أمر فطري لا يحتاج إلى دليل أو تعب أو عنت، حتى الذين ينكرون أن الله في السماء ـ فسبحان الله! أفعالهم تكذب عقيدتهم، هذه العقيدة الباطلة الفاسدة التي يخشى عليهم من الكفر بها. (انتهى كلام الشيخ العثيمين).

إن الله سبحانه وتعالى منزه عن الجهات وعن جميع أوصاف الحادثات، فهو ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ لا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السمٰوات. كان قبل أن يخلق المكان، وهو الآن على ما عليه كان. لا يحمله العرش كما يقولون ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، مقهورون في قبضته.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧﴾.

36 ـ «سعادة الأنام في اتباع دين الإسلام».
37 ـ «مختصر إرشاد الحيارى».
38 ـ «الرائية الصغرى في ذم البدعة (الوهابية) ومدح السنة الغراء».
39 ـ «جواهر البحار في فضائل النبي ﷺ» وهو أصل كتابنا هذا.
40 ـ «تهذيب النفوس في ترتيب الدروس».
41 ـ «إتحاف المسلم بما ذكره صاحب الترغيب والترهيب من أحاديث البخاري ومسلم».
42 ـ «جامع كرامات الأولياء».
43 ـ «ديوان المدائح المسمى العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية».
44 ـ «الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين ﷺ».
45 ـ «الدلالات الواضحات (شرح دلائل الخيرات)».
46 ـ «المبشرات المنامية».
47 ـ «صلوات الثناء على سيد الأنبياء ﷺ».
48 ـ «القول الحق في مدح سيد الخلق ﷺ».
49 ـ «الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية».
50 ـ «رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة».
51 ـ «الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى».
52 ـ «جامع الصلوات على سيد السادات ﷺ».
53 ـ «الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ».
54 ـ «الأنوار المحمدية (مختصر المواهب اللدنية)».
55 ـ «صلوات الأخيار على النبي المختار ﷺ».
56 ـ «تفسير قرة العين من البيضاوي والجلالين».
57 ـ «الأحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين».
58 ـ «الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين ﷺ».
59 ـ «الأحاديث الأربعين في أمثال أفصح العالمين ﷺ».
60 ـ «أربعون حديثاً في فضائل أهل البيت».
61 ـ «أربعون حديثاً في فضل أربعين صحابياً».
62 ـ «أربعون حديثاً في أربعين صيغة في الصلاة على النبي ﷺ».
63 ـ «أربعون حديثاً في فضل أبي بكر».

64 ـ «أربعون حديثاً في فضل أبي بكر وعمر».
65 ـ «أربعون حديثاً في فضل عثمان».
66 ـ «أربعون حديثاً في فضل علي».
67 ـ «أربعون حديثاً في فضل عمر»
68 ـ «أربعون حديثاً في فضل لا إلٰه إلا الله».
69 ـ «الأحاديث الأربعين في فضل الجهاد والمجاهدين».
70 ـ «أسباب التأليف من العاجز الضعيف».
71 ـ «القصيدة الرائية الكبرى».
72 ـ «السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة»(*).
73 ـ «الصلوات الأربعين للأولياء الأربعين».
74 ـ «الخلاصة الوفية في رجال المجموعة النبهانية».
75 ـ «غزوات الرسول ﷺ».
76 ـ «خلاصة البيان في بعض مآثر مولانا السلطان عبد الحميد الثاني وأجداده آل عثمان»(**).

(هذه القائمة ـ ما عدا الكتابين 75، 76 ـ مأخوذة عن قائمة مؤلفات النبهاني، الواردة في كل من مقدمة كتاب شواهد الحق، ومن ترجمته في الأعلام الشرقية، لزكي مجاهد، ومعجم سركيس، ومن القائمة التي أوردها الأستاذ بسام عبد الوهاب

(*) قال عنه الشيخ: إنه في الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق، الذي تدعيه بالباطل فرقة الوهابية، ومن أعجبه شأنهم من جهلة المبتدعين. وقال في مقدمته:
قد حدث في هذا الزمان الذي قلَّ فيه العلم وذل، وكثر فيه الجهل وجلّ، جماعة حمقى من طلبة العلم، لعب بهم الشيطان، فحملهم على دعوى الاجتهاد المطلق، حتى زعموا أنهم كالشافعي، ومالك، وأحمد، و[أبي حنيفة] النعمان، عليهم الرحمة والرضوان، مع أن أكثرهم من ضعاف الطلبة، الملحقين بالعوام، ولا يجوز أن يقال: إنهم من علماء الإسلام. وقد نشأ من دعواهم هذه السقيمة، وأوصافهم الأخرى الذميمة، مضارّ عليهم وعلى بعض جهلة المسلمين عظيمة، فكتبت هذه الرسالة القوية القويمة؛ لأنبه الناس على دعاويهم الباطلة، ومساويهم العاطلة؛ نصيحة لهم، وللمسلمين، وخدمة لهذا الدين وسميتها: (السهام الصائبة لأصحاب الدعاوى الكاذبة).

(**) ذكر عادل المناع في «أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني» طبع مؤسسة الدراسات الفلسطينية 1995 ص 352.

الجابي، في تقديمه لكتاب «سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله». للشيخ النبهاني ـ طبعة دار ابن حزم ـ بيروت).

كذلك عثرت بطريق الصدفة على كتاب له باسم: «غزوات الرسول ﷺ» (رقم 75) طَبْع دار المعارف بتونس، لم أجد له ذكراً في أي قائمة من قوائم مؤلفاته، التي اطّلعت عليها، وهذا يبين أنه ربما كانت هناك مؤلفات أخرى له غير معروفة بعد. نسأل الله تبارك وتعالى أن يقيض لهذا الإمام العالم العامل من يُعرّف به، وبأعماله الجليلة، لأن مِثله من يُرجى النفع بسيرته وأعماله.

فإن سيرته من أطيب السِّير، وأخلاقه محمدية؛ أدباً، وتواضعاً، وحبًّا، وصبراً على الأذى، وغضباً لله، وثباتاً على الحق.. وحسبك لبيان فضله ما قاله أفضل الخلق صلوات الله وسلامه عليه: «المرء مع من أحب». وهو ـ أي النبهاني ـ من فاضت أعماله الكثيرة، شعراً ونثراً، بالحب الصادق لله ولرسوله، ولآل بيت رسوله، وللصالحين من أمة محمد ﷺ في كل زمان ومكان.

أما أعماله فهي كنوز لا تقدر بثمن أبداً، ما غفلت الأمة عنها ـ في أيامنا هذه ـ إلا من غفلتها عن أمر دينها.

وهو من أعلام الأمة وروادها، وبقية سلفها الصالح، الذين تعرضوا لعاديات الجهل والتعصب المقيت، ومثال لذلك ما أورده الزركلي في معجمه الشهير «الأعلام» إذ اكتفى بقوله عنه: «شاعر، أديب، من رجال القضاء». وأغفل أنه كان من أكبر علماء عصره، تخرج من الأزهر الشريف، ودرس على كبار المشايخ، وحصل على أكثر من خمسين إجازة علمية، ذكرها في كتبه، ثم قال ـ أي الزركلي ـ عن مؤلفاته: «له كتب كثيرة، خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام، كابن تيمية، وابن قيم الجوزية، حملات شعواء، وتناول بمثلها الإمام الألوسي المفسر، والشيخ محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني وآخرين».

والحقيقة أن الشيخ النبهاني تصدى لآراء هؤلاء؛ دفاعاً عن نقاء العقيدة الإسلامية من البدع والأهواء، فردّ على بدعة ابن تيمية وفرقته، في قولهم بالتجسيم وبالجهة في حق الله جل وعلا، وفي منعهم زيارة النبي ﷺ والاستغاثة به، وقد هاجمه من قبل أقطاب العلماء في وقته مثل: ابن حجر، والسبكي، وابن عطاء الله، وابن جهبل، والزملكاني، وغيرهم، وقد ناقش النبهاني هذا الأمر في كتابه:

«شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ» فوفاه حقه. (انظر أيضاً: كتاب حزب الاستغاثات طبعة دار المقطم الذي عنوانه: «فيمن منع الاستغاثة برسول الله ﷺ» ص (20). يقول الأستاذ عادل مناع في كتابه «أعلام فلسطين»:

كان الشيخ يوسف النبهاني من الاتجاه المؤيد للخلافة الإسلامية على علاتها، مع دعوته إلى إصلاح الأخطاء. وعندما وقع الانقلاب على السلطان عبد الحميد لم يغير موقفه، وبقي مخلصاً لسياسة السلطان الإسلامية.. وبسبب مواقفه الإسلامية المحافظة، خاصم الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والسيد رشيد رضا؛ لتأييدهم الإصلاح (ص 350 ـ 351).

لقد كان «الإصلاح» ـ ولا يزال إلى يومنا هذا ـ مفروضاً من الغرب، المعادي للإسلام، على حكومات الدول المسلمة، وتحت اسم إصلاح الدستور، وإصلاح التعليم، وإصلاح وضع المرأة.. إلخ.. ثم إفساد المجتمعات المسلمة، وإبعادها عن الدين، وهو ما لا يخفى على منصف أو ذي بصيرة.

والذين قضوا على الخلافة الإسلامية كانوا هم دعاة الإصلاح، والذين سلموا فلسطين لليهود ـ طوعاً أو كرهاً ـ كانوا هم دعاة الإصلاح، والذين دعوا إلى التحليل من الدين كانوا هم دعاة الإصلاح والذين هم خلف كل مصيبة تصيب الإسلام هم ـ دائماً ـ دعاة الإصلاح، من المسلمين الذين انهزموا أمام أعداء الدين المتسلّطين، وخضعوا لشروطهم، وأصبحوا من أعوانهم، ورافعي راياتهم، وأعجبتهم حياة الكفار وطرائقهم، وبهرهم زخرف الدنيا، الذي نبذه الله إلى من هانوا عليه، فزلت أقدامهم، وضعفت عقولهم.. ما صدقوا أبداً قول الله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾.

رحم الله الإمام النبهاني، رزقه الله البصيرة حين عمي الكثيرون عن رؤية الحق، وذلك لقوة إيمانه، وصدق محبته ولرسوله الأكرم صلوات الله وسلامه عليه.

اللهم صلِّ وسلم، وبارك على حبيبك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الحقيقة المحمدية من جواهر سلطان العارفين وإمام العلماء المحققين والأولياء المكاشفين سيدي الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي(*) المولود سنة 560هـ = 1240م والمتوفى سنة 638هـ = 1165م

له في الفتوحات المكية[1] عبارات كثيرة عبر بها عن رفعة قدر النبي ﷺ وها أنا[2] أذكر هنا ما يلزم منها، وأعين محله من الطبعة المصرية الميرية لتسهل مراجعته والاطلاع على باقي كلامه لمن شاءه

فمن جواهره رضي الله عنه

[واقعة مشاهدته النبي ﷺ]

قوله في خطبة كتابه المذكور في الصفحة الثالثة بعد أن حمد الله تعالى وشكره

(*) محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة التصوف المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية (بالأندلس) سنة (560هـ = 1165م) وانتقل من إشبيلية. وقام برحلات، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز. وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. وحبس، فسعى في خلاصة علي ابن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا. واستقر في دمشق، فتوفي فيها سنة (638هـ = 1240م) وهو، كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها (الفتوحات المكية) عشر مجلدات، في التصوف وعلم النفس، و(محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) في الأدب، مجلدان، و(ديوان شعر) أكثره في التصوف، و(فصوص الحكم) و(مفاتيح الغيب) و(التعريفات) و(عنقاء مغرب) و(إنشاء الدوائر) و(الحق) و(القطب والنقباء) و(كنه ما لا بد للمريد منه) و(الوعاء المختوم) و(مراتب العلم الموهوب) و(العظمة) و(الإمام المبين) و(مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم) و(مرآة المعاني) و(التجليات الإلهية) و(روح القدس) و(درر السر الخفي) و(الأحدية) و(والأنوار) في أسرار الخلوة، و(شجرة الكون) و(شجون المسجون) منه نسخة متقنة في الرباط (293 أوقاف) و(فتح الذخائر والأعلاق شرح ترجمان الأشواق) و(منهاج التراجم) و(عقلة المستوفز) و(مقام القربى) و(شرح أسماء الله =

بعباراته الفائقة: والصلاة على سر العالم ونكتته، ومطلب العالِم وبغيته، السيد الصادق، المدلج إلى ربه الطارق المخترق به السبع الطرائق، ليريه من سرى به إليه ما أودع من الآيات والحقائق، فيما أبدع من الخلائق الذي شاهدته عند إنشائي لهذه الخطبة في عالم حقائق المثال في حضرة الجلال مكاشفة قلبية في حضرة غيبية، ولما شاهدته ﷺ في ذلك العالم سيداً، معصوم المقاصد، محفوظ المشاهد منصوراً مؤيداً، وجميع الرسل بين يديه مصطفون، وأمته التي هي خير أمة أخرجت للناس عليه ملتفون، وملائكة التسخير من حول عرش مقامه حافون، والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون، والصدِّيق عن يمينه الأنفس، والفاروق عن يساره الأقدس، والختم عليه السلام بين يديه قد جثا، يخبره بحديث الأنثى، وعلي رضي الله عنه وكرم الله وجهه يترجم عن الختم بلسانه، وذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شأنه إلى آخر ما ذكره رضي الله عنه مما رآه في تلك الواقعة، فراجعه إن شئت.

ومن جواهره رضي الله عنه

[آدم حامل الأسماء ومحمد ﷺ حامل معانيها]

قوله في الباب الخامس في صفحة 140:

إن آدم عليه السلام هو حامل الأسماء، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾

= الحسنى) و(شرح الألفاظ التي اصطلحت عليها الصوفية) عندي، ومعه رسالتان من تأليفه أيضاً، هما: (لبس الخرقة) و(حلية الأبدال) وهذه في خمس ورقات أنشأها في الطائف، قال: (.. استخرت الله في ليلة الاثنين الثاني عشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمنزل آل أمية بالطائف الخ) و(أورد الأيام والليالي) و(اللمعة النورانية) و(القربة) و(شق الجيب) و(التجليات) و(الشواهد) و(تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان) و(مراتب التقوى) و(الصحف الناموسية) و(مئة حديث وواحد قدسية) و(تصوير آدم على صورة الكمال) و(فهرست مؤلفاته) و(اليقين) و(الأصول والضوابط) و(تلقيح الأذهان) و(الحجب) و(مرآة العارفين) و(المعول عليه) و(التدبيرات الإلهية في المملكة الإنسانية) و(الأربعون صحيفة من الأحاديث القدسية). وكتب عنه كثيرون قدحاً ومدحاً، ولطه عبد الباقي سرور. وانظر أسماء مؤلفاته في مجلة المجمع العلمي العربي 30: 268، 395. وانظر الأعلام للزركلي (6/ 281).

(1) مطبوع في الدار بضبط وتصحيح الأستاذ أحمد شمس الدين.

(2) أي الشيخ يوسف النبهاني المتوفى سنة 1350هـ وهو مؤلف موسوعة (جواهر البحار في فضائل النبي المختار) وهي كنز علمي للمسلمين والمؤمنين والمحسنين مطبوعة في الدار سنة 1998 بضبط وتصحيح وتخريج الشيخ محمد أمين الضناوي.

[البَقَـرَة: 31] ومحمد ﷺ حامل معاني تلك الأسماء التي علمها الله آدم عليه السلام، وهي الكلم.

قال ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»[1]، ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أثني عَليه كيحيى وعيسى عليهما السلام ومن حصل له الذات فالأسماء تحت حكمه، وليس من حصل الأسماء يكون المسمى محصلاً عنده، وبهذا فضلت الصحابة علينا، فإنهم حصلوا الذات، وحصلنا الاسم، ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الأجر لحسرة الغيبة التي لم تكن لهم، فكان تضعيفاً على تضعيف، فنحن الإخوان، وهم الأصحاب، وهو ﷺ إلينا بالأشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا، وكيف لا يفرح وقد ورد عليه من كان بالأشواق إليه فهل تقاس كرامته به وبره وتحفته؟ وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه لا من أعيانهم، لكن من أمثالهم، فذلك قوله ﷺ، «**بل منكم**»[2] فجدوا واجتهدوا حتى يعرفوا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً لو أدركوه ما سبقوهم إليه، ومن هنا تقع المجاراة والله المستعان.

ومن جواهره رضي الله عنه

قوله في الباب العاشر في صفحة 174:

اعلم أيدك الله أنه قد ورد في الخبر أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[3]، وفي صحيح مسلم: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[4] فثبتت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر. وقال ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[5] يريد على

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، باب ما أعطى الله تعالى محمداً ﷺ، حديث رقم (31735) [6/ 318] ورواه أحمد في المسند برقم (7397) [2/ 250] وبرقم (9703) [2/ 442] ورواه غيرهما.

(2) رواه الطبراني في الأوسط من اسمه بكر، حديث رقم (3121) وفي الكبير، ما أسند عتبة بن غزوان، حديث رقم (289) [17/ 117] ورواه المروزي في السنة، حديث رقم (32) [1/ 14] ورواه غيرهما.

(3) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، حديث رقم (4189) [2/ 660] ورواه ابن ماجة في السنن، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (4308) [2/ 1440] ورواه غيرهما.

(4) رواه البخاري في صحيحه، باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ حديث رقم (4435) [4/ 1745] ورواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة. . ، حديث رقم (194) [1/ 184] ورواه غيرهما.

(5) لم يصح بهذا اللفظ وصححه الحاكم بلفظ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد». انظر كشف =

علم بذلك فأخبره الله تعالى بمرتبته، وهو روح قبل إيجاده الأجسام الإنسانية، كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاده أجسامهم، وألحقنا الله تعالى بأنبيائه إذ جعلنا شهداء على أممهم معهم حيث يبعث من كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، وهم الرسل، فكانت الأنبياء في العالم نوابه ﷺ من آدم إلى آخر الرسل عليهم السلام، وهو عيسى عليه السلام، وقد أبان ﷺ عن هذا المقام بأمور: منها قوله: «**لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»[1]. وقوله في نزول عيسى ابن مريم: «**إنه يومئذٍ منا**»[2] أي يحكم فينا بسنة نبينا ﷺ ويكسر الصليب ويقتل الخنزير.

ولو كان محمد ﷺ موجوداً بجسمه من لدن آدم إلى زمن وجوده الآن لكان جميع بني آدم تحت حكم شريعته إلى يوم القيامة حساً، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «**آدم ومن دونه تحت لوائي**»[3]، ولهذا لم يبعث عامة إلا هو خاصة، فهو الملك والسيد، وكل رسول سواه بعث إلى قوم مخصوصين، ولم تعم رسالة أحد من الرسل سوى رسالته ﷺ، فمن زمان آدم إلى زمان بعث محمد ﷺ إلى يوم القيامة مُلكه، وتقدمه على جميع الرسل، وسيادته في الآخرة منصوص عليهما في الصحيح عنه، فروحانيته ﷺ وروحانية كل نبي ورسول موجودة، فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون من الشرائع والعلوم في زمان وجودهم سواء كانوا رسلاً وتشريعهم الشرائع أو غير رسل كعلي، ومعاذ، وغيرهما في زمان وجودهم.

ووجوده ﷺ، كإلياس، والخضر عليهما السلام، وعيسى عليه السلام وحين ينزل في آخر الزمان حاكماً بشرع محمد ﷺ في أمته ليقرر شرعه في الظاهر، لكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه ﷺ أولاً، نُسِبَ كل شرع إلى من بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ، وإن كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك، كما

=
الخفاء للعجلوني حديث رقم (2007) [2/ 169].

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، من كره النظر في كتب أهل الكتاب، حديث رقم (26421) [5/ 312] ورواه بنحوه أحمد في المسند، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم (14672) [3/ 338].

(2) هذه العبارة لم أجدها فيما لدي من مصادر ومراجع.

(3) رواه الترمذي بلفظ: «ما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي». سنن الترمذي، باب 18 ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم (3148) [5/ 308] ورواه بلفظه، أحمد في المسند عن عبد الله بن عباس برقم (2546) [1/ 281] ورواه غيرهما.

هو مفقود العين الآن، وفي زمن نزول عيسى عليه السلام والحكم بشرعه.

وأما نسخ الله بشرعه جميع الشرائع فلا يخرجها هذا النسخ عن أن تكون من شرعه، فإن الله تعالى قد أشهدنا في شرعه الظاهر في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفاقنا على أن ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا، فننسخ بالمتأخر المتقدم، فكان تنبيهاً لنا هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة على أن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعاً له، وكان نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكماً بغير شرعه أو بعضه الذي كان عليه في زمان رسالته، وحكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليلاً على أنه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء عليهم السلام مع وجود ما قرره ﷺ في شرعه.

ويدخل في ذلك ما هم عليه أهل الذمة من أهل الكتاب ما داموا يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن حكم الشرع على الأحوال، فخرج من هذا المجموع كله أنه ملك وسيد على جميع بني آدم، وإن جميع من تقدمه كان ملكًا له، وتبعاً والحاكمون فيه نواب عنه ﷺ، **فإن قيل**: قد ورد قوله ﷺ: «**لا تفضلوني**»[1].

فالجواب: نحن ما فضلناه، بل الله فضله، فإن ذلك ليس لنا، وإن كان قد ورد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90] لما ذكر الأنبياء عليهم السلام فهو صحيح، فإنه قال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾ [الأنعام: 90] وهداهم من الله، وهو شرعه ﷺ أي الزم شرعك الذي به ظهر نوابك من إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، ولم يقل، فبهم اقتده.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [الشورى: 13] فيه دليل على أحدية الشرائع، وقال: ﴿ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل: 123] ، وهو الدين فهو مأمور باتباع الدين فإن الدين إنما هو من الله لا من غيره، وانظروا في قوله ﷺ: «**لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»[2] فأضاف الاتباع إليه وأمره ﷺ باتباع الدين والاقتداء بهدي الأنبياء لا بهم، فإن الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم إلاّ له.

فإن حكم النواب بمراسمه، فهو الحاكم غيباً، وشهادة، وما أوردنا هذه الأخبار والتنبيهات إلا تناسباً لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه، ولا أطلعه الله

---

(1) أورده ابن كثير في التفسير، سورة الأعراف، [2/ 246].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

عليها من نفسه.

أما أهل الله فهم وما نحن عليه قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك من عند ربهم في نفوسهم.

ثم قال وهذا الذي ذكرناه إنما هو إذا كان المُلْك عبارة عن الأناسي خاصة فإن نظرنا إلى سيادته ﷺ على جميع ما سوى الحق كما ذهب إليه بعض الناس للحديث المروي: «**إن الله يقول: لولاك يا محمد ما خلقت سماء، ولا أرضاً، ولا جنة، ولا نارا**»(1)، وذكر خلق ما سوى الله فيكون أول منفصل فيها النفس الكلية عن أول موجود، وهو الفعل الأول وآخر [منفصل] فيها حواء عن آخر موجود، وهو آدم فالإنسان آخر موجود من أجناس العالم فإنه ما ثَمَّ إلا ستة أجناس، وكل جنس تحته أنواع، وتحت الأنواع أنواع.

فالجنس الأول: الملَك، والثاني: الجان، والثالث: المعدن، والرابع: النبات، والخامس: الحيوان، ولما انتهى المُلْك وتمهد واستوى كان الجنس السادس، جنس الإنسان: وهو الخليفة على هذه المملكة، وإنما وجد آخراً ليكون إماماً بالفعل حقيقة لا بالصلاحية والقوة، فعندما أوجد عينه لم يوجده إلا والياً سلطاناً ملحوظاً، ثم جعل له نواباً حين تأخرت نشأة جسده، فأول نائب كان له وخليفة آدم عليه السلام، ثم ولد واتصل النسل وعين في كل زمان خلفاء إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر المحمدي ﷺ، فظهر مثل الشمس الباهرة، فاندرج كل نور في نوره الساطع، وغاب كل حكم في حكمه، وانقادت جميع الشرائع إليه، وظهرت سيادته التي كانت باطنة، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، قال: «**أوتيت جوامع الكلم**»(2).

وقال عن ربه: «**ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثدييّ، فعلمت علم الأولين والآخرين**»(3) فحصل له التخلق، والنسب الإلٰهي من قوله تعالى عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] وجاءت هذه الآية

---

(1) أورده إسماعيل حقي البروسوي في تفسير روح البيان، سورة الفرقان [6/ 192].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

(3) رواه الترمذي في السنن، باب ومن سورة ص، حديث رقم (3235) ورواه الطبراني في الكبير، عن معاذ بن جبل، برقم (290) [20/ 141] ورواه غيرهما.

في سورة الحديد الذي فيه بأس شديد، ومنافع للناس فلذلك بعث ﷺ بالسيف وأرسل رحمة للعالمين.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[فوائد تتعلق بعلو قدره ﷺ]

قوله في الباب الثاني عشر في صفحة 185:

ألا بأبي من كان مَلكاً وسيداً ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الأبطحيّ محمد ... له في العلا مجد تليد وطارف
أتى بزمان السعد في آخر المدى ... وكانت له في كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فأثنت عليه ألسن وعوارف
إذا رام أمراً لا يكون خلافه ... وليس لذاك الأمر في الكون صارف

اعلم أيدك الله أنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله.

وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد ﷺ، ثم صدرت الأرواح عند الحركات، فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة، وأعلمه الله بنبوته وبشره بها وآدم لم يكن إلا كما قال: «**بين الماء والطين**»(1).

ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد ﷺ إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فكان الحكم له أولاً باطناً في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم صار الحكم له ظاهراً فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر، لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان المشرع واحداً، وهو صاحب الشرع، فإنه قال: «**كنت نبياً**»(2)، وما قال: كنت إنساناً، ولا كنت موجوداً، أوليست النبوة إلا بالشرع المقرر عليه من عند الله، فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء الذين هم نوابه في هذه الدنيا، ثم قال رضي الله عنه: فقد ثبتت له ﷺ السيادة في العلم في الدنيا.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.
(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

وثبتت له أيضاً السيادة في الحكم، حيث قال: «**لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»[1]، وتبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام وحكمه فينا بالقرآن، فصحت له ﷺ السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى، ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحه له باب الشفاعة، ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له ﷺ.

فقد شفع ﷺ في الرسل والأنبياء إن تشفع نعم وفي الملائكة فأذن الله سبحانه عند شفاعته في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك، ورسول، ونبي، ومؤمن أن يشفع، فهو ﷺ أول شافع بإذن الله.

ثم ذكر رضي الله عنه نسخه ﷺ بشريعته لجميع الشرائع وظهور دينه على جميع الأديان عند كل رسول ممن تقدمه، وفي كل كتاب منزل فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلا ما قرر منه، فبتقريره ثبت، فهو من شرعه وعموم رسالته، وإن كان قد بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلا في الجزية خاصة، وإنما قلنا ليس هو من حكم الله لأنه سماه باطلاً، فهو على من اتبعه لا له فهذا أعني ظهور دينه على جميع الأديان كما قال النابغة الشاعر:

ألـم تـرَ أن الله أعـطـاك صـولـة[2] تـرى كـل مـلـك دونـهـا يـتـذبـذب
فـإنـك شـمـس والـمـلـوك كـواكـب إذا طـلـعـت لـم يـبـدُ مـنـهـن كـوكـب

فهذه منزلة محمد ﷺ مع الأنبياء والرسل وشريعته مع الشرائع كالشمس مع نور الكواكب التي اندرجت أنوارها في نور الشمس إذ هي كلها حق من الله منزل كما قررنا. وذكر رضي الله عنه فضائل أخرى كبرى للنبي ﷺ فليراجعها من شاءها.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[روح محمد ﷺ مُمد لجميع الانبياء]

قوله في الباب الرابع عشر في صفحة 194:

اعلم أيدك الله أن النبي هوالذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله تعالى يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده بها في نفسه، فإن بعثه بها إلى غيره كان رسولاً، ويأتيه الملك في حالتين إما ينزل بها على قلبه على اختلاف أحوال في ذلك النزول، وإما على صورة جسدية من خارج يلقي ما جاء به إليه على أُذُنه فيسمع أو يلقيه على بصره

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.
(2) صال عليه إذا استطال، صال عليه: وثب. وورد في نسخة [سورة] بدل [صولة].

فيبصر، فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء، وكذلك سائر القوى الحساسة، وهذا باب قد أغلق برسول لله ﷺ، فلا سبيل أن يتعبد الله أحد بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمدية، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل ما يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ، وهو خاتم الأولياء، فإنه من شرف محمد ﷺ أن ختم الله ولاية أمته والولاية المطلقة بنبي، رسول، مكرم ختم الله به مقام الولاية، فله يوم القيامة حشران يحشر مع الرسل رسولاً، ويحشر معنا ولياً تابعاً لمحمد ﷺ، وإلياس بهذا المقام كرمه الله على سائر الأنبياء.

ثم قال بعد أن تكلم في شأن الأولياء والأقطاب:

وأما القطب الواحد فهو روح محمد ﷺ، وهو الممد لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة.

قيل له ﷺ: متى كنت نبياً؟ فقال ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[1].

قال: ولهذا الروح المحمدي، وختم الولاية العامة الذي هو عيسى عليه السلام.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[فضل أهل بيته ﷺ]

قوله في الباب التاسع والعشرين في صفحة 255:

في فضل أهل بيته ﷺ وعناية الله بهم لشرفه وعنايته تعالى به عليه الصلاة والسلام، ولما كان رسول الله ﷺ عبداً محضاً قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس، وهو كل ما يشينهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] فلا يضاف إليهم إلا مطهر، ولا بد فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم، فما يضيفون لأنفسهم إلا من حكم الطهارة والتقديس، فهذا شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلٰهي والعصمة حيث قال فيه رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**»[2].

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر سلمان الفارسي رضي الله عنه، حديث رقم (6539) [3/ 691] ورواه الطبراني في الكبير برقم (6040) [6/ 212] ورواه غيرهما.

وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مطهر مقدس، وحصلت له العناية الربانية الإلٰهية بمجرد الإضافة، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية تدل على أن الله تعالى قد أشرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2] وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ، فطهر الله سبحانه نبيه ﷺ بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا، ولو وقع منه ﷺ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى، لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله، ولا منا شرعاً، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة، ولم يكن يصدق قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: 33]، فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم رضي الله عنهم، ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله، وعناية بهم لشرف محمد ﷺ، وعناية الله به ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفوراً لهم.

وأما في الدنيا فمن أتى منهم حداً عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى، أو سرق، أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقيق المغفرة كماعز وأمثاله، ولا يجوز ذمه، وينبغي لكل مسلم يؤمن بالله وما أنزله أن يصدق الله تعالى في قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزَاب: 33] فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله تعالى قد عفا عنهم فيه، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيرهم، وذهاب الرجس عنهم لا بعمل عملوه، ولا بخير قدموه، بل بسابق عناية من الله بهم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحَديد: 21].

وإذا صح الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع، وتلحق المذمة بعامله لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم، وهم المطهرون بالنص، فسلمان منهم بلا شك، فأرجو أن يكون عقب سلمان تلحقهم هذه العناية كما ألحقت أولاد الحسن والحسين، وعقبهم وموالي أهل البيت فإن رحمة الله واسعة يا وليّ.

وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة وهي أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم، وشرفهم ليس لأنفسهم، وإنما الله هو الذي اجتباهم وكساهم حلة الشرف، فكيف يا وليّ الله بمن أضيف إلى من له العناية، والمجد والشرف لنفسه، وذاته فهو المجيد سبحانه وتعالى، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده، وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة قال تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ [الحِجر: 42] فأضافهم إليه: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسرَاء: 65] وما نجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة.

وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بحدود سيدهم الواقفين عند مراسمه فشرفهم أعلى وأتم.

ثم قال وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً فإن الله طهرهم، فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه، ولو ظلموه فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في نفس الأمر، وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه، بل حكم ظلمهم، إيانا في نفس الأمر، يشبه جري المقادير علينا وعلى من جرت عليه في ماله ونفسه بغرق، أو بحرق، أو غير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق، أو يموت له أحد أحبائه، أو يصاب في نفسه، وهذا كله مما لا يوافق غرضه، ولا يجوز له أن يذم قدر الله، ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضا، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر، فإن في طي ذلك نعماً من الله لهذا المصاب، وليس وراء ما ذكرناه خير، فإن ما وراءه ليس إلا الضجر والسخط، وعدم الرضى، وسوء الأدب مع الله فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله، ونفسه، وعرضه، وأهله، وذويه فيقابل ذلك كله بالرضى والتسليم والصبر، ولا يلحق المذمة بهم أصلاً، وإن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعاً، فذلك لا يقدح في هذا، بل يجريه مجرى المقادير، وإنما منعنا تعليق الذم بهم إذ ميزهم الله عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم.

وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ كان يقترض من اليهود، وإذا طالبوه بحقوقهم أداها على أحسن ما يمكن، وإذا تطاول [اليهودي] عليه بالقول

يقول: «**دعوه إن لصاحب الحق مقالاً**»[1].

وقال ﷺ من قصة: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[2]، [وقد أعاذها الله من ذلك رضي الله عنها] فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء، وعلى أيّ حال يشاء، فهذه حقوق الله تعالى ومع هذا لم يذمهم الله، وإنما كلامنا في حقوقنا وما لنا أن نطالبهم به، فنحن مخيرون وإن شئنا أخذنا، وإن شئنا تركنا، والترك أفضل عموماً. فكيف بأهل البيت، وليس لنا ذم أحد، فكيف بأهل البيت فإنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه منا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى، فإن النبي ﷺ ما طلب منا عن أمر الله إلا المودة في القربى وفيه سر صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما هو قادر عليه فبأي وجه يلقاه غداً، أو يرجو شفاعته، وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه من المودة في قرابته، فكيف بأهل بيته وهم أخص القرابة، ثم إنه جاء بلفظ المودة وهي الثبوت على المحبة، فإنه من ثبت وده وفي أمر استصحبه في كل حال.

وإذا استصحب المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه، فما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة وإيثار على نفسه لا لها. قال المحب الصادق:

وكل ما يفعل المحبوب محبوب

وجاء باسم الحب فكيف حال المودة، ومن البشرى، وورود اسم الودود لله تعالى، ولا معنى لثبوته إلا حصول أثره بالفعل في الدار الآخرة، وفي الناس لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم وقال الآخر في هذا المعنى:

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

ولنا في هذا المعنى:

أحب لحبك الحبشان طرا ... وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب إليها أعني المجنون، فهذا فعل

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب من أهدي له هدية وعنده جلساؤه. .، حديث رقم (2467) [2/ 921] ورواه مسلم في صحيحه، باب من استلف شيئاً فقضى خيراً منه. .، حديث رقم (1601) [3/ 1225] وليس في نص الحديث عبارة [دعوه] هذا وروى الحديث غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، حديث الغار، برقم (3288) [3/ 1282] ورواه مسلم في صحيحه، باب قطع السارق الشريف. .و حديث رقم (1688) [3/ 1315] ورواه غيرهما.

المحب في حب من لا تسعده محبته عند الله، ولا تورثه القرب من الله فهل هذا إلا من صدق المحبة وثبوت الود في النفس؟

فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك أنه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكّرك من محبة وخطّرك على باله، وهم أهل بيت رسول الله ﷺ، فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم ذكروك بالسنة طاهرة طهرها الله بتطهيره طهارة لا يبلغها عملك، وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذين أنت محتاج إليهم، ومع رسول الله ﷺ حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودك الذي تزعم أنك شديد الحب فيّ، وفي رعايتك لحقوقي أو لجانبي، وأنت في حق أهل بيت نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم، والله ما ذاك إلا من نقص إيمانك، ومن مكر الله بك واستدراجه إياك من حيث لا تعلم.

وصورة المكران أن تقول وتعتقد أنك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه، وتقول في طلب حقك إنك ما طلبت إلا ما باح الله لك طلبه، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع، والبغض والمقت، وإيثار نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك.

والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقاً، وتتنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حد، أو إنصاف مظلوم أو رد حق إلى أهله، وإن كنت حاكماً ولا بد فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبى فحينئذٍ يتعين عليك إنفاذ حكم الشرع فيه فلو كشف الله لك يا ولي عن منازلهم عند الله في الدار الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم والله يلهمنا رشد أنفسنا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[شرع محمد ﷺ وما يتضمنه]

قوله في الباب السادس والثلاثين في صفحة 290:

اعلم أيدك الله أنه لما كان شرع محمد ﷺ يتضمن جميع الشرائع المتقدمة، وأنه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلا ما قررته الشريعة المحمدية، فبتقريرها ثبتت فتعبدنا بها نفوسنا من حيث إن محمداً ﷺ قررها، لا من حيث إن النبي المخصوص

بها في وقته قررها فلهذا أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم.

فإذاً عمل جميع العالم المكلف اليوم من الإنس والجن محمدي إذ ليس في العالم اليوم شرع إلٰهي سوى هذا الشرع المحمدي، ثم ذكر رضي الله عنه فوائد كثيرة تتعلق بهذا المعنى فراجعه إن شئت.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[شفاعته ﷺ]

قوله في الباب الرابع والستين في صفحة 408:

في ذكر شفاعته العظمى ﷺ، فإذا قام الناس ومدت الأرض، وانشقت السماء، وانكدرت النجوم، وكورت الشمس، وخسف القمر، وحشرت الوحوش، وسجرت البحار، وزوجت النفوس بأبدانها، ونزلت الملائكة على أرجائها، أعني أرجاء السمٰوات، وأتى ربنا في ظلل من الغمام، ونادى المنادي يا أهل السعادة فأخذ منهم الثلاث طوائف، وماج الناس، واشتد الحر، وأَلجم الناس العرق، وعظم الخطب، وجل الأمر، وكان البهت فلا تسمع إلا همساً، وجيءَ بجهنم، وطال الوقوف بالناس ولم يعلموا ما يريد الحق بهم كما قال رسول الله ﷺ: «**يقول الناس بعضهم لبعض تعالوا ننطلق إلى أبينا آدم، فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه، فقد طال وقوفنا ، فيأتون آدم يطلبون منه ذلك، فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ويذكر خطيئته فيستحي من ربه أن يسأله، فيأتون نوحاً ويقولون له مثل ذلك فيقول لهم مثل ما قال آدم، ويذكر خطيئة دعوته على قومه، وقوله: ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً فموضع المؤاخذة عليه قوله: ولا يلد إلا فاجراً كفاراً لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاء، ثم يأتون إبراهيم فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدم، فيقول كما قال من تقدم، ويذكر كذباته الثلاث، ثم يأْتون موسى وعيسى وغيرهما ، ويقولون لكل واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيبونهم بمثل جواب آدم، فيأتون محمداً ﷺ وهو سيد الناس يوم القيامة، فيقولون له مثل ما قالوا للأنبياء، فيقول محمد ﷺ: أنا لها**»[1].

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة. ورواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة، حديث رقم (193) [1/ 182] ورواه غيرهما.

وهو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة، فيأتي يسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك، ثم يشفع إلى ربه أن يفتح الله باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء والمؤمنين فبهذا يكون ﷺ سيد الناس يوم القيامة، فإنه شفع عند الله في أن تشفع الملائكة والرسل، ومع هذا تأدب ﷺ وقال: «**أنا سيد الناس**»[1] ولم يقل: أنا سيد الخلائق، فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع من ملك وغيره، وذلك أنه ﷺ جمع له بين مقامات الأنبياء كلهم، ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام وعليهم من اختصاصه بعلم الأسماء كلها، فإذا كان ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة والناس.

آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة، وظهر ما له من الجاه عند الله تعالى إذ كان القهر الإلٰهي والجبروت الأعظم قد أخرس الجميع.

وكان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام وأعظم في يوم اشتدت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الإلٰهي الذي تجلى فيه الحق في ذلك اليوم، ولم يظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم عليه السلام، فدل بالمجموع على عظم قدره ﷺ حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلٰهية على مناجاة الحق فيما سأل فيه، فأجابه الحق سبحانه، فعلقت الموازين، ونشرت الصحف، ونصب الصراط وبدئ بالشفاعة، ثم تكلم رضي الله عنه على من شفعوا وأحوال القيامة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الوسيلة جنة خاصه به ﷺ]

قوله في الباب الخامس والستين في صفحة 416:

واعلم أن جنة الأعمال مائة درجة تنقسم إلى منازل، فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الأمة المحمدية وما تفضُل به سائر الأمم فإنها خير أمة أخرجت للناس بشهادة الحق في القرآن، وتعريفه. وهذه المائة درجة في كل جنة من الثمان الجنان وصورتها جنة في جنة وأعلاها جنة عدن، وهي قصبة الجنة فيها الكثيب الذي يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى، وهي أعلى جنة في الجنان بمنزلة دار الملك

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، فالتي تلي جنة عدن إنما هي الفردوس، وهي أوسط الجنات التي دون جنة عدن، وأفضلها، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة.

وأما الوسيلة فهي أعلى درجة في أعلى جنة، وهي جنة عدن هي لرسول الله ﷺ حصلت له بدعاء أمته فعل ذلك الحق سبحانه لحكمة أخفاها، فإنا بسببه ﷺ نلنا السعادة من الله تعالى، وبه كنا خير أمة أخرجت للناس، وبه ختم الله بنا الأمم كما ختم به النبيين، وهو ﷺ بشرنا كما أمر أن يقول لنا. ولنا وجه خاص إلى الله تعالى نناجيه منه ويناجينا، وهكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه، فأمرنا على أمر الله تعالى أن ندعو له بالوسيلة حتى ينزل فيها وينالها بدعاء أمته، فافهم هذا الفضل العظيم الذي كرم الله به هذا النبي وهذه الأمة.

وتحتوي الجنة من الدرج التي فيها على خمسة آلاف درجة ومائة درجة، وخمس درجات لا غير. وقد تزيد على هذا بلا شك، ولكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجري مجرى الأنواع من الأجناس، والذي اختصت به هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم من هذه الدرجات اثنتا عشرة درجة لا غير، لا يشاركها فيها أحد من الأمم كما فضل رسول الله ﷺ على الرسل في الآخرة بالوسيلة، وفتح باب الشفاعة وفي الدنيا بست لم يعطها نبي قبله كما ورد في الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج[1]، فذكر منها عموم رسالته ﷺ، وتحليل الغنائم، والنصر بالرعب، وجعلت له الأرض مسجداً، وجعلت تربتها له طهوراً، وأعطي مفاتيح خزائن الأرض.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الصلاة على النبي ﷺ]

قوله في الباب التاسع والستين في صفحة 684:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزَاب: 56] فسأل المؤمنون رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن

(1) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (523) [1/ 372].

يصلوها عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**»(1) أي مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

فإن قلت: يظهر من هذا الحديث فضل إبراهيم على رسول الله ﷺ إذ طلب أن يصلي عليه مثل الصلاة على إبراهيم فاعلم أن الله أمرنا بالصلاة على رسول الله ﷺ ولم يأمرنا بالصلاة على آله في القرآن، وجاء الإعلان في تعليم رسول الله ﷺ إيانا الصلاة عليه بزيادة الصلاة على الآل فما طلب ﷺ الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث أعيانهما، فإن العناية الإلٰهية برسول الله ﷺ أتم إذ قد خص بأمور لم يخص بها نبي قبله لا إبراهيم، ولا غيره.

وذلك من صلاته تعالى عليه، فكيف تطلب الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث عينه، وإنما المراد من ذلك ما أبينه لك إن شاء الله تعالى، وذلك أن الصلاة على الشخص قد تصلى عليه من حيث عينه، ومن حيث ما يضاف إليه غيره، فكانت الصلاة من حيث ما يضاف إليه غيره وهي الصلاة من حيث المجموع إذ للمجموع حكم ليس للواحد، إذا انفرد، ثم أطال الكلام في تفسير معنى الآل بما لم أرَ ضرورة إلى نقله هنا مع كثرة فوائده، ومن شاءه فليراجعه، ثم قال: فهي صلاة من حيث المجموع، وذكرناه يعني سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه تقدم بالزمان على رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة، ومن كان بهذه المثابة عند الله تعالى كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على إبراهيم من حيث أعيانهما، فلم يبق إلا ما ذكرناه، وهذه المسألة هي واقعة إلٰهية من وقائعنا فللّه الحمد والمنة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[فضل يوم الجمعة]

قوله في الباب الواحد والسبعين في صفحة 812:

في فضل يوم الجمعة إذ كان ليس كمثله يوم، فإنه خير يوم طلعت فيه الشمس

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: ﴿يزفون﴾ النسلان في المشي، حديث رقم (3190) [3/ 1233] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر وصف الصلاة على المصطفى ﷺ. . ، حديث رقم (1957) [5/ 286] ورواه غيرهما.

وهو اليوم الذي اختلفت فيه الأمم فهدانا الله اختلفوا فيه من الحق بإذنه فما بينه الله لأحد إلا لمحمد ﷺ لمناسبة الكمالية، فإنه أكمل الأنبياء ونحن أكمل الأمم، وسائر الأمم وأنبياؤها ما أبان الحق لهم عنه لأنهم لم يكونوا من المستعدين له، لكونهم دون درجة الكمال وأنبياؤهم دون محمد ﷺ، وأممهم دوننا في كمالنا فالحمد لله الذي اصطفانا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[وفاته ﷺ]

قوله في الباب الثالث والسبعين في صفحة 7 من الجزء الثاني:

ومات رسول الله ﷺ بعدما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يبدل، ودخلت الرسل كلهم في هذه الشريعة يقومون بها، والأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه، فإنه قطب العالم الإنساني، ولو كانوا ألف رسول لا بد أن يكون الواحد من هؤلاء هو الإمام المقصود، فأبقى الله بعد رسول الله ﷺ من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة، وهم إدريس عليه السلام بقي حياً بجسده وأسكنه الله في السماء الرابعة، والسمٰوات السبع هن من عالم الدنيا، وتبقى ببقائها وتفنى صورتها بفنائها، فهي جزء من الدار الدنيا، فإن الدار الأخرى تبدل فيها السمٰوات والأرض بغيرها، وأبقى في الأرض أيضاً إلياس، وعيسى وكلاهما من المرسلين، وهما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاء به محمد ﷺ، فهؤلاء ثلاثة من الرسل المجمع عليهم أنهم رسل.

وأما الخضر عليه السلام وهو الرابع فهو من المختلف فيه عند غيرنا لا عندنا فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدار الدنيا وقد ذكر في ذلك كلاماً ينبغي مراجعته لمن شاء.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[تخلق النبي ﷺ بأخلاق الله]

قوله في الباب الثالث والسبعين أيضاً في صفحة 97:

في الجواب عن السؤال التاسع والأربعين والخمسين من أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه وهو قوله للرسل سوى محمد ﷺ منها وكم لمحمد ﷺ منها أي من أخلاق الله تعالى المذكورة في السؤال قبله، وهي مائة وسبعة عشر خلقاً.

الجواب: كلها [له]، أي لمحمد ﷺ إلا اثنين، وهم فيها على قدر ما نزل في كتبهم وصحفهم إلا محمداً ﷺ، فإنه جمعها له كلها، بل جمعت له عناية أزلية قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البَقَـرَة: 253] فيما لهم من هذه الأخلاق.

فاعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم أصنافاً، وجعل في كل صنف خِياراً، واختار من الخِيار خواص، وهم المؤمنون، واختار من المؤمنين خواص، وهم الأولياء، واختار من هؤلاء الخواص خلاصة، وهم الأنبياء، واختار من الخلاصة نقاوة، وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم، واختار من النقاوة شرذمة قليلين، هم صفاء النقاوة المروقة، وهم الرسل أجمعهم، واصطفى واحداً من خلقه هو منهم، وليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمداً أقام عليه قبة الوجود وجعله الله أعلى المظاهر وأسناها صح له المقام تعييناً وتعريفاً فعلمه قبل وجود طينة البشر وهو محمد ﷺ لا يكاثر ولا يقاوم هو السيد ومن سواه سوقة. قال عن نفسه: «**أنا سيد الناس ولا فخر**»(1) أي أقولها ولا أقصد الافتخار على من بقي من العالم.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الدولة المحمدية]

قوله في صفحة 105:

في جواب السؤال الثامن والخمسين بعد أن ذكر أن مكان الأولياء المحدَّثين أي الملهمين من النبيين مكان التابع من المتبوع، وهو المشي على الأثر قال شيخنا محمد بن قائد: رأيت في دخولي عليه أثر قدم أمامي فغرت فقيل لي: هذه قدم نبيك فسكن ما بي.

فاعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين عليهم السلام فأيّ وليّ رأى قدماً أمامه فتلك قدم النبي الذي هو له وارث، وأما قدم محمد ﷺ فلا يطأ إثره أحد ﷺ كما لا يكون أحد على قلبه، فالقدم التي رآها محمد بن قائد أو يراها كل من يراها فتلك قدم النبي الذي هو له وارث.

ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير، ولهذا قيل له: قدم نبيك، ولم يقل له: هذه قدم محمد ﷺ.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[مقامه المحمود ﷺ]

قوله في صفحة 113 من الباب المذكور:

في جواب السؤال الثالث والسبعين وهو ما المقام المحمود؟ قال: هو الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها وإليه تنظر جميع الأسماء الإلٰهية المختصة بالمقامات، وهو لرسول الله ﷺ ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة، وبهذا صحت له ﷺ السيادة على جميع الخلائق يوم العرض. قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[1]، وكان قد أقيم فيه آدم ﷺ لما سجدت له الملائكة، فإن ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا وهو لمحمد ﷺ في الآخرة، وهو كمال الحضرة الإلٰهية، وإنما ظهر به أولاً أبو البشر لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد ﷺ، وهو الأب الأعظم في الجسمية والمقرب عند الله تعالى، وأول هذه النشأة الترابية الإنسانية فظهرت فيه هذه المقامات كلها وكانت العاقبة لمحمد ﷺ في الدار الآخرة، فظهر في المقام المحمود، ومنه يفتح باب الشفاعات فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له أهلية الشفاعة من ملك، ورسول، ونبي وولي، ومؤمن، وحيوان، ونبات، وجماد فيشفع رسول الله ﷺ عند ربه لهؤلاء أن يشفعوا فكان محموداً بكل لسان، وكل مقام فله أول الشفاعة ووسطها وآخرها، فلا تجتمع المحامد يوم القيامة كلها إلا لمحمد ﷺ، فهو الذي عبر عنه بالمقام المحمود. وقال ﷺ في هذا المقام: «**فأحمد بمحامد لا أعلمها الآن**»[2] وهذا يدلك على أن علوم الأنبياء والأولياء أذواق لا عن فكر، ونظر، فإن الموطن يقتضي هنالك بآثاره أسماء إلٰهية يحمد الله بها ما لا يقتضيه موطن الدنيا، فلهذا قال: «**لا أعلمها الآن**»[1].

وهذا المقام هو الوسيلة لأن منه يتوسل إلى الله تعالى فيما يوجد فيه من فتح باب الشفاعة، وهو شفاعته في الجميع ألا تراه ﷺ يقول في الوسيلة: «**إنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد وأرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**»[3]فجعل الشفاعة ثواب السائل، ولهذا سمي المقام المحمود

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (816) [2/ 387].

(3) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر إيجاب الشفاعة في القيامة لمن. . ، حديث رقم (1690) =

الوسيلة، وكان ثوابه في هذا السؤال أن يشفع ﷺ له وترجع المقامات كلها والأسماء إلى هذا المقام المحمود. قال ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»(1).

وأجاب عن السؤال الرابع والسبعين، وهو بأي شيء ناله ﷺ؟ أي المقام المحمود بقوله. قال ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة فاستعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي**»(2) لعلمه ﷺ بموطن الآخرة أكثر من علم غيره من الأنبياء.

فاعلم أنه لما كان المقام المحمود إليه ترجع المقامات كلها وهو الجامع لها لم يصح أن يكون صاحبه إلا من أوتي جوامع الكلم لأن المحامد من صفة الكلام، ولما كان بعثه ﷺ عاماً كانت شريعته عامة جامعة جميع الشرائع فشريعته تتضمن جميع الأعمال كلها التي تصح أن تشرع، واعلم أن جنات الأعمال ما بين الثمانين إلى السبعين لا تزيد ولا تنقص والإيمان بضعة وسبعون باباً أدنى ذلك إماطة الأذى عن الطريق وأرفعه قول: لا إلٰه إلا الله.

قال الله تعالى في حق العاملين: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزُّمَر: 74] فلم يحجر عليهم، وهذا لمن عمل بكل عمل فإن الإنسان في الدنيا أي عمل عمله من أعمال الإيمان لا يحجر عليه إذ شاء عمله فلما ظهر ﷺ بجميع شعب الإيمان كلها التي هي بعدد الجنات العملية كلها. إما بالفعل وإما بالدلالة عليها فإنه الذي سنها لأمته، ، فله ﷺ أجر من عمل بها ولا يخلو واحد من الأمة أن يعمل بواحدة منها فهي في ميزانه ﷺ من حيث العمل بها فتبوأ من الجنة حيث يشاء، وهذا لا يصح إلا لمحمد ﷺ، فإنه عنه ظهرت السنن الإلٰهية، فبهذا نال المقام المحمود، وبجوامع الكلم وبالبعثة العامة فإنه بالعناية الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا وباتصافه بهذه الأحوال في الدنيا تلك المقامات الأخروية، فهو دور بديع مختلف الوجوه حتى يصح الوجود عنه.

= [4/ 588] ورواه أبو داود في السنن، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، حديث رقم (523) [1/ 144] ورواه غيرهما.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم في صحيحه، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم (199) [1/ 189] ورواه الترمذي في السنن، باب فضل لا حول ولا قوّة إلا بالله، حديث رقم (3602) [5/ 580] ورواه غيرهما.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الفرق بين حظه ﷺ وحظوظ الأنبياء]

قوله في الجواب عن السؤال الخامس والسبعين وهو كم بين حظ محمد ﷺ وحظوظ الأنبياء عليهم السلام؟

أما بينه وبين الجميع فحظ واحد، وهو عين الجمعية لما تفرق فيهم، وأما بينه وبين كل واحد منهم فثمانية وسبعون حظًا ومقاماً إلا آدم فإنه ما بينه وبين رسول الله ﷺ إلا ما بين الظاهر والباطن، فكان في الدنيا محمد ﷺ باطن آدم عليه السلام، وآدم ظاهر محمد ﷺ، وبهما كان الظاهر والباطن، وفي الآخرة آدم باطن محمد ﷺ، ومحمد ﷺ ظاهر آدم، وبهما يكون الظاهر والباطن في الآخرة، فهذا بين حظ محمد ﷺ وبين حظوظ الأنبياء عليهم السلام.

وفي هذا الفصل تفصيل عظيم تبلغ فصول التفضيل فيه إلى مائة ألف تفضيل، وأربعة وعشرين ألف تفضيل، بعدد الأنبياء عليهم السلام لأنه يحتاج إلى تعيين كل نبي ومعرفة ما بين حظ محمد ﷺ وبين ذلك النبي، والحظوظ محصورة من حيث الأعمال في بضعة وسبعين، وقد يكون لنبي من ذلك أمر واحد ولآخر أمران ولآخر عشر العدد، وتسعه، وثمنه، وأقل من ذلك وأكثر، والمجموع لا يكون إلا لرسول الله ﷺ.

ولهذا لم يبعث بعثاً عاماً سوى محمد ﷺ، وما سواه فبعثه خاص ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المائدة: 48].

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[لواء الحمد]

قوله في الجواب عن السؤال السادس والسبعين وهو ما لواء الحمد؟

لواء الحمد هو حمد الحمد، وهو أتم المحامد وأسناها وأعلاها مرتبة، لما كان اللواء يجتمع إليه الناس لأنه علامة على مرتبة الملك ووجود الملك كذلك حمد الحمد يجتمع إليه المحامد كلها فإنه الحمد الصحيح الذي لا يدخله احتمال، ولا يدخل فيه شك، ولا ريب إنه حمد لأنه لذاته يدل فهو ثناء في نفسه ألا ترى لو قلت في شخص إنه كريم أو يقول عن نفسه ذلك الشخص إنه كريم، يمكن أن يصدق هذا

الثناء، ويمكن أن لا يصدق، فإذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان والإحسان شهد العطاء بذاته بكرم المعطي فلا يدخل في ذلك احتمال، فهذا معنى حمد الحمد، فهو المعبر بلواء الحمد، وسمي لواء لأنه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد لأن به يقع الحمد من كل حامد وهو عاقبة العاقبة، فافهم.

ولما كان يجمع ألوان المحامد كلها لهذا عم ظله جميع الحامدين. قال ﷺ: «**آدم فمن دونه تحت لوائي**»[1] وإنما قال: «**فمن دونه**»[1] لأن الحمد لا يكون إلا بالأسماء وآدم عالم بجميع الأسماء كلها، فلم يبق إلا أن يكون من هناك تحته ودونه في الرتبة لأنه لا بد أن يكون مثنياً باسم ما من تلك الأسماء.

ولما كانت الدولة في الآخرة لمحمد ﷺ المؤتى جوامع الكلم وهو الأصل، فإنه ﷺ أعلم بمقامه فعلمه وآدم بين الماء والطين لم يكن بعد.

وكان آدم لما علمه الله الأسماء في المقام الثاني من مقام محمد ﷺ فكان قد تقدم لمحمد ﷺ علمه الكلم والأسماء كلها من الكلم، ولم تكن في الظاهر لمحمد ﷺ عيناً فتظهر بالأسماء لأنه صاحبها، فظهر ذلك في أول موجود من البشر، وهو آدم، فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد ﷺ لأنه تقدم عليه بوجوده الطيني فمتى ظهر محمد ﷺ كان أحق بولايته ولوائه، فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة، فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه ﷺ، وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم فهم في الآخرة تحته، فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله ﷺ على الجميع.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الوسيلة]

قوله في الباب المذكور في صفحة 128:

كان شيخنا أبو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه: اللهم إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا، ولم تسد باب الولاية. اللهم فمهما عينت أعلى رتبة في الولاية لأعلى ولي عندك فاجعلني ذلك الولي. فهذا من المحققين الذين طلبوا ما يمكن أن يكون حقاً لهم وإن كانت النبوة والرسالة مما يستحقه الإنسان

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

عقلاً لكون ذاته قابلة لها، لكن لما علم أن الله قد سد بابها شرعاً، وسد باب نبوة الشرائع لم يسألها، وسأل ما يستحقه، فإن الله ما حجر الولاية علينا، ومن هذا الباب سؤال الوسيلة، وإن لم يكن مثلها، لكن يقرب منها وإنما ألحقناها بها في التشبيه لقرينة حال، وهي درجة في الجنة لا ينالها أو لا تنبغي إلا لرجل واحد.

قال رسول الله ﷺ: «**وأرجو أن أكون أنا، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[1] فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه لما سأل ما لا يستحقه لأنه ربما لا ينالها إلا شخص هو على صفة مخصوصة والله تعالى يقول: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: 35]: لا، إنه لم يقل منه، فقد يمكن أن يكون هذا من التوسل وتلك الصفة إما موهوبة، أو مكتسبة ولم يعينها رسول الله ﷺ، ولا حجرها على واحد بعينه، ولم يقل إنها لا تنبغي إلا لمن هو أفضل عند الله من البشر، ونحن نعلم أنه ﷺ أفضل الناس عند الله بما نص على نفسه، فكان يكون ذلك تحجيراً، ولم ينص أيضاً في وحدانية ذلك الشخص هل هو واحد لعينه أو واحد تلك الصفة فتكون الأحدية لتلك الصفة ولو ظهرت في ألف مكان لكان كل واحد من الألف له الوسيلة لأن تلك الصفة تطلبها، فلما لم يقع من الشارع شيء من ذلك ساغ لنا أن نطلبها لأنفسنا، ولكن يمنعنا من ذلك الإيثار وحسن الأدب مع الله في حق رسول الله ﷺ الذي اهتدينا بهديه، وهو طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة فتعين علينا أدباً وإيثاراً ومروءة ومكارم خلق أن لو كانت لنا، لوهبناها له إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء لعلو منصبه، وما عرفناه من منزلته عند الله، ونرجو بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة مثل قيمة المثل عندنا في الحكم المشروع في الدنيا، وذلك أن بيننا وبينه ﷺ أخوة الإيمان، وإن كان هو السيد الذي لا يقاوم ولا يكاثر، ولكن قد انتظم معنا في سلك الإيمان فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: 10].

وثبت في الشرع أن الإنسان إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك: له ولك بمثله. فإذا دعونا له بالوسيلة وهو غائب عنا قال: الملك: ولك بمثله. فهي له، والمثل للداعي، فينال من درجات مجموعة ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة مثل قيمة المثل لأن الوسيلة لا مثل لها أي ما ثَمَّ درجة واحدة تجمع ما جمعت الوسيلة

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

متفرقاً في درجات متعددة، ولكن الوسيلة خاصية الجمع أي يوجد ما جمعته الوسيلة متفرقاً في درجات متعددة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

قوله في الباب المذكور في صفحة 164 في جواب السؤال الخامس والأربعين ومائة.

وهو ما تأويل قول موسى عليه السلام: اجعلني من أمة محمد عليه الصلاة والسلام؟

الجواب: لما عرف موسى عليه السلام أن الأنبياء في النسبة إلى محمد ﷺ نسبة أمته إليه من اسميه الظاهر والباطن، ونسبة الأنبياء إليه من اسمه الباطن أراد موسى أن يجمع الله له بين الاسمين في شرعه، ثم إنه لما علم أنه تبع ولم يشك أراد إقامة جاهه عند محمد ﷺ على غيره من الرسل إذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالأمم والأتباع، وليس في الرسل أكثر أتباعاً من موسى عليه السلام كما أخبر ﷺ في الصحيح حين رأى سواداً أعظم، فسأل فقيل له: هذا موسى وأمته، وقد قال ﷺ إنه سيد الناس يوم القيامة والسيد لا يكاثر فإذا كان موسى بدعائه من أمة محمد ﷺ في الدرجة ظاهره وباطنه مثل ما نحن في سوادنا بلا شك، وما قال ﷺ: «**إني مكاثر بكم الأمم**»[1] إلا في أمم لم يكن لنبيها مجموع الاسمين اللذين دعا الله موسى أن يكونا له فكل من جمع بين الاسمين حشر معنا في أمته ﷺ، فيباهي موسى بأمته سائر الأنبياء الذين حشروا معنا، فيكونون معه بمنزلة الأمراء المقدمين على العساكر فأكبرهم أميراً وأكثرهم جيشاً وأكثرهم جيشاً أعظمهم قدراً، وحرمة عند رسول الله ﷺ. ولهذا قال الترمذي يعني الحكيم صاحب السؤالات المذكورة وهو غير الترمذي المحدث إنه: يكون في أمة محمد ﷺ من هو أفضل من أبي بكر الصديق عند من يرى أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ من المسلمين فإنه معلوم أن عيسى عليه السلام أفضل من أبي بكر وهو من أمة محمد ﷺ ومتبعيه، وإنما ذكرناه لكون الخصم يعلم أنه لا بد أن ينزل في هذه الأمة في آخر الزمان ويحكم بسنة

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، حديث رقم (2685) [2/ 176] ورواه ابن ماجة في السنن، كتاب النكاح، حديث رقم (1846) [1/ 592]. ورواه غيرهما.

النبي ﷺ مثل ما حكم الخلفاء الراشدون المهديون فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدخل بدخوله من أهل الكتاب في الإسلام خلق كثيراً أيضاً. وذكر رضي الله عنه قبل هذا أن اثني عشر نبياً أن يكونوا من أمة محمد ﷺ.

من جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[شرعه ﷺ تضمن شرع جميع الأنبياء]

قوله في الباب المذكور في صفحة 177 في جواب السؤال الرابع والخمسين ومائة وهو ما تأويل أم الكتاب؟ فإنه ادخرها من جميع المسلمين له ولهذه الأمة.

الجواب: الأم هي الجامعة ومنه أم القرى، وأم الرأس، والرأس أم الجسد. يقال: أم رأسه لأنه مجموع القوى الحسية والمعنوية كلها التي للإنسان وكانت الفاتحة أمَّاً لجميع الكتب المنزلة، وهي القرآن العظيم أي المجموع العظيم الحاوي لكل شيء، وكان محمد ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فشرعه قد تضمن جميع الشرائع، وكان نبياً، وآدم لم يخلق، فمنه تفرعت الشرائع لجميع الأنبياء عليهم السلام فهم أرساله ونوابه في الأرض لغيبة جسمه، ولو كان جسمه موجوداً لما كان لأحد شرع معه، وهو قوله ﷺ: «**لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»(1) وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: 44] ونحن المسلمون وعلماؤنا الأنبياء ونحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم، فإنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها وشرعه أصلها وأرسل إلى الناس كافة، ولم يكن ذلك لغيره ﷺ والناس من آدم إلى آخر إنسان.

وكانت فيهم الشرائع في شرائع محمد ﷺ بأيدي نوابه فإنه المبعوث إلى الناس كافة فجميع الرسل نوابه بلا شك، فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له، ولا حاكم إلا رجع إليه واقتضت مرتبته أن تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا ولم يعطه أحد من نوابه، ولا بد أن يكون ذلك الأمر من العظم بحيث إنه يتضمن جميع ما تفرق في نوابه وزيادة فأعطاه أم الكتاب فتضمنت جميع الصحف والكتب.

وظهر بها فينا مختصرة سبع آيات تحتوي على جميع الآيات كلها كما كانت السبع الصفات الإلٰهية تتضمن جميع الأسماء الإلٰهية كلها، ويرجع كل اسم إلٰهي إلى

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

واحد منها بلا شك، وقد فعل ذلك الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني في كتاب الخفي والجلي له، فرد جميع الأسماء إليها، وما وجد من الأسماء الإلٰهية بصفة الكلام إلا الاسم الشكور خاصة، وباقي الأسماء قسمها على الصفات فقبلتها حيث تضمنتها بلا شك فمنها ما ألحقه بالعلم ومنها بالقدرة وسائر الصفات فكذلك أم الكتاب ألحق الله بها جميع الكتب والصحف المنزلة على الأنبياء نواب محمد ﷺ فادخرها له، ولهذه الأمة ليتميز على الأنبياء بالتقدم وأنه الإمام الأكبر وأمته التي ظهر فيها خير أمة أخرجت للناس، لظهوره بصورة فيهم، وكذلك القرن الذي ظهر فيه خير القرون لظهوره فيه بنفسه وقبل ذلك وبعده بشرعه.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[المغفرة التي له ﷺ]

قوله في الباب المذكور في صفحة 182 في جواب السؤال الخامس والخمسين ومائة، وهو آخر السؤالات، وهو ما معنى المغفرة التي لنبينا، وقد بشر النبيين بالمغفرة؟

الجواب: الغفر الستر، فستر عن الأنبياء عليهم السلام في الدنيا كونهم نواباً عن رسول الله ﷺ، وكشف لهم عن ذلك في الآخرة إذ قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[1] فيشفع فيهم ﷺ أن يشفعوا فإن شفاعته ﷺ في كل مشفوع فيه بحسب ما تقتضيه حاله من وجوه الشفاعة، فبشر النبيين بالمغفرة الخاصة، وبشر محمداً ﷺ بالمغفرة العامة، وقد ثبتت عصمته ﷺ، فليس له ذنب يغفر فلم يبق إضافة الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب، والقصد أمته كما قيل: «إياك أعني فاسمعني يا جارة»، وكما قيل له: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يُونس: 94]، ومعلوم أنه ليس في شك، فالمقصود من هو في شك من الأمة وكذلك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: 65] وقد علم أنه لا يشرك، فالمقصود من أشرك وهذه صفته، فلذلك قيل له ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2] وهو معصوم من الذنوب فهو المخاطب بالمغفرة والمقصود ما تقدم من آدم إلى زمانه، وما تأخر ممن تأخر من الأمة من زمانه إلى يوم القيامة فإن الكل أمته ﷺ،

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

فإنه ما من أمة إلا وهي تحت شرع من الله تعالى، وقد قررنا أن ذلك هو شرع محمد ﷺ من اسمه الباطن حيث كان نبياً وآدم بين الماء والطين.

وهو سيد النبيين والمرسلين فإنه ﷺ سيد الناس، وهم من الناس وقد تقدم تقرير هذا كله، فبشر الله محمداً ﷺ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2] بعموم رسالته إلى الناس كافة، وكذلك قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَإ: 28]، وما يلزم الناس رؤية شخصه ﷺ، فكما وجه في زمان ظهور جسمه رسوله علياً ومعاذاً إلى اليمن لتبليغ الدعوة كذلك وجه الرسل والأنبياء إلى أممهم من حين كان نبياً، وآدم بين الماء والطين فدعا الكل إلى الله تعالى، فالناس أمته ﷺ من آدم إلى يوم القيامة فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس، وما تأخر منهم.

فكان هو المخاطب والمقصود الناس فيغفر الله للكل ويسعدهم وهو اللائق بعموم رحمته التي وسعت كل شيء، وبعموم مرتبة محمد ﷺ حيث بعث إلى الناس كافة بالنص، ولم يقل أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة، ولا إلى أهل هذا الزمن إلى يوم القيامة خاصة، وإنما أخبره أنه مرسل إلى الناس كافة، والناس من آدم إلى يوم القيامة فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدم من ذنبه وما تأخر، والله ذو الفضل العظيم.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[اختيار الله له ﷺ]

قوله في الباب التسعين في صفحة 223:

الأمور في أنفسها تقبل الاختيار كما فعل سبحانه في جميع الموجودات فاختار من كل أمر في كل جنس أمراً ما كما اختار من الأسماء الحسنى كلمة الله، واختار من الناس الرسل، واختار من العباد الملائكة، واختار من الأفلاك العرش، واختار من الأركان الماء، واختار من الشهور رمضان، واختار من العبادات الصوم، واختار من القرون قرن النبي ﷺ، واختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة، واختار من الليالي ليلة القدر، واختار من الأعمال الفرائض، واختار من الأعداد التسعة والتسعين، واختار من الديار الجنة، واختار من أحوال السعادة في الجنة الرؤية، واختار من الأحوال الرضى، واختار من الأذكار لا إلٰه إلا الله، واختار من الكلام القرآن، واختار من سور القرآن سورة يٓس، واختار من آي القرآن آية الكرسي،

واختار من قصار المفصل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1] .

اختار من أدعية الأزمنة دعاء يوم عرفة، واختار من المراكب البراق، واختار من الملائكة الروح، واختار من الألوان البياض، واختار من الأكوان الاجتماع، واختار من الإنسان القلب، واختار من الأحجار الحجر الأسود، واختار من البيوت البيت المعمور، واختار من الأشجار السدرة، واختار من النساء مريم وآسية، واختار من الرجال محمداً ﷺ.

وذكر اختيارات أخرى لا حاجة إلى ذكرها هنا، وإنما ذكرت ما ذكرته مما قاله أولاً بمناسبة اختيار النبي ﷺ من الرجال وهو جار في قوله: واختار من العباد الملائكة على قول له، والذي رجحه جمهور الصوفية والعلماء من المتكلمين وغيرهم: أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة فيكونون هم الذين اختارهم الله من العباد، واختار سيدهم سيدنا محمداً ﷺ من جميع الخليقة.

وقد تقدم لسيدي محيي الدين رضي الله عنه ما يؤيد ذلك، وهو كالجمع عليه عند الصوفية، وهو الذي أعتقده وأدين لله به أنه ﷺ سيد الخلق وأفضل العالمين على الإطلاق ليس فوقه إلا الله. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وقد شرح سيدنا محيي الدين رضي الله عنه بعض الاختيارات في الباب نفسه إلى أن قال: وأما اختياره محمداً ﷺ، فلما اقتضاه مزاجه دون الأمزجة الإنسانية من الكمال والاعتدال إذ به شاهد نبوته، وآدم بين الماء والطين، وهو متفرق الأجزاء في المولدات العنصرية إلى أن قال: فكان له ﷺ أعظم مجلى إلٰهي، علم به علم الأولين والآخرين، ومن الأولين علم آدم الأسماء.

وأوتي محمد ﷺ جوامع الكلم، وكلمات الله لا تنفد، وله السيادة على جميع الخلق يوم القيامة، فيشفع في الشافعين أن يشفعوا من ملك، ورسول، ونبي، وولي، ومؤمن فله المقام المحمود في اليوم المشهود ﷺ، ثم قال: وأما اختياره الثلاثة القرون[1] على الترتيب فإن الأول من ذلك لظهور كمال محمد ﷺ غيباً

(1) يشير إلى قول النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». الحديث رواه البخاري في صحيحه، باب فضائل الصحابة. . ، حديث رقم (3450) [3/ 1335].

وشهادة، فسن الشريعة بنفسه، ونسخ ما كان سنه منه نوّابه بوجوده، وأقر منه ما أقر، وأقر الإيمان بجميع ما نسخ منه، وما لم ينسخ، وهذا هو القرن الأول، ثم اثنان بعده والكل أهل فتح وظهور بمنزلة الثلاث الغرر من كل شهر.

يقول ﷺ «**يغزو فئام من الناس، فيقال هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم فيفتح لهم وهذا هو القرن الأول، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم فيفتح لهم، وهذا هو القرن الثاني، ثم يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، قال: فيفتح لهم وهذا هو القرن الثالث**»[1] وما زاد ﷺ على هذا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[أعدل خلقة وأحسنها خلقته ﷺ]

قوله في الباب الثامن والأربعين ومائة الذي جعله في معرفة مقام الفراسة وأسرارها في صفحة 314:

وأما الفراسة المذكورة عند الحكماء فأنا أذكر منها طرفاً على ما أصلوه، وما جربوه، واختبروه، ثم اعتباره في الصفات بما يقتضيه طريقنا في هذا الكتاب مختصراً كافياً إن شاء الله تعالى.

فاعلم أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق إنساناً معتدل النشأة لتكون جميع حركاته وتصرفاته مستقيمة وفق الله الأب لما فيه صلاح مزاجه، ووفق الأم أيضاً لذلك، فصلح المنيّ من الذكر والأنثى، وصلح مزاج الرحم، واعتدلت فيه الأخلاط اعتدال القدر الذي به يكون صلاح النطفة، ووقت الله لإنزال الماء في الرحم طالعاً سعيداً بحركات فلكية جعلها الله علامة على الصلاح فيما يتكون في ذلك الوقت من الكائنات فيجامع الرجل امرأته في طالع سعيد بمزاج معتدل فينزل الماء في رحم معتدل المزاج، فيتلقاه الرحم ويوفق الله الأم ويرزقها الشهوة إلى كل غذاء يكون فيه صلاح مزاجها، وما تتغذى به النطفة في الرحم فتقبل النطفة التصوير في مكان معتدل، ومواد معتدلة وحركات فلكية مستقيمة فتخرج النشأة، وتكون على أعدل

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم. . ، حديث رقم (2532) [4/ 1962] وفيه عبارة [من رأى من صحب] بدل عبارة [من رأى من رأى].

صورة، فتكون نشأة صاحبها معتدلة ليس بالطويل، ولا بالقصير لين اللحم رطبه بين الغلظ والرقة أبيض مشرباً بحمرة وصفرة معتدل الشعر طويله، ليس بالسبط ولا الجعد القطط، في شعره حمرة ليس بذاك السواد، أسيل الوجه، أعين عينه مائلة إلى الغور والسواد معتدل عظم الرأس سائل الأكتاف في عنقه استواء معتدل اللبة ليس في وركه، ولا صلبه لحم، خفي الصوت صاف ما غلظ منه، وما رق مما يستحب منه غلظه أو رقته في اعتدال، طويل البنان للرقة، سبط الكف قليل الكلام والصمت إلا عند الحاجة، ميل طبائعه إلى الصفراء والسوداء في نظرة فرح وسرور قليل الطمع في المال ليس يريد التحكم عليك، ولا الرياسة، ليس بعجلان ولا بطيء، فهذا قد قالت الحكماء: أعدل الخلقة وأحسنها، وفيها خلق سيدنا محمد ﷺ ليصح له الكمال في النشأة كما صح له الكمال في المرتبة، فكان ﷺ أكمل الناس من جميع الوجوه ظاهراً وباطناً.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[أصل أرواحنا روحه ﷺ]

قوله في الباب الثالث عشر وثلاثمائة في صفحة 64 من الجزء الثالث:

اعلم أيدك الله أن أصل أرواحنا روح محمد ﷺ، فهو أول الآباء روحاً، وآدم أول الآباء جسماً، ونوح أول الآباء رسولاً، فإنه أول رسول أرسل ومن كانوا قبله إنما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[النبي ﷺ سيد ولد آدم]

قوله في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة في صفحة 186:

قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[1] الحديث بكماله، وقال ﷺ: «**لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**»[2] لعموم رسالته وشمول شريعته فخص ﷺ بأشياء لم تعط لنبي قبله، وما خص نبي بشيء إلا وكان لمحمد ﷺ فإنه أوتي جوامع الكلم، وقال: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[3] وغيره من الأنبياء

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.
(2) هذا الحديث سبق تخريجه.
(3) هذا الحديث سبق تخريجه.

لم يكن نبياً إلا في حال نبوته وزمان رسالته، فلنذكر في هذا الباب منزله ومنزلته ﷺ، فالمنزل يظهر في بساط الحق ومقعد الصدق عند التجلي والرؤية يوم الزَّوْرِ العام الأعظم فيعلم منزله ﷺ بالبصر والشهود.

وأما منزلته ﷺ فهي منزلة في نفس الحق ومرتبة منه، ولا يعلم ذلك إلا بإعلام الله تعالى، وله ﷺ المقام المحمود، وهو فتح باب الشفاعة للملائكة، فمن دونهم وله الأولية في الشفاعة، وله الوسيلة، وليس في المنازل أعلى منها ينالها محمد ﷺ بسؤال أمته جزاء لما نالوه من السعادة به حيث أبان لهم طريقها فاتبعوه، ثم قال رضي الله عنه في الباب نفسه:

واعلم أن الله تعالى لما جعل منزل محمد ﷺ السيادة، فكان سيداً ومن سواه سوقة علمنا أنه لا يقاوم فإن السوقة لا تقاوم ملوكها، فله منزل خاص، وللسوقة منزل.

ولما أُعطي ﷺ هذه المنزلة وآدم بين الماء والطين علمنا أنه الممد لكل إنسان كامل مبعوث بناموس إلٰهي أو حكمي، وأول ما ظهر في آدم حيث جعله الله خليفة عن محمد ﷺ، فأمده بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي هي لمحمد ﷺ، فظهر بعلم الأسماء كلها من اعترض على الله في وجوده، ورجح نفسه عليه، ثم توالت الخلائف في الأرض إلى أن وصل زمان وجود صورة جسمه لإظهار حكم منزلته باجتماع نشأتيه، فلما برز ﷺ كان كالشمس اندرج في نوره كل نور فأقر من شرائعه التي وجه بها نوابه ما أقر، ونسخ منها ما نسخ، وظهرت عنايته بأمته لحضوره، وظهوره فيها وإن كان العالم الإنساني والناري كله أمته، ولكن لهؤلاء خصوص وصف، فجعلها خير أمة أخرجت للناس.

هذا الفضل أعطاه ظهوره بنشأتيه، فكان من فضل هذه الأمة على الأمم أن أنزلها منزلة خلفائه في العالم قبل ظهوره إذ كان أعطاهم التشريع، فأعطى هذه الأمة الاجتهاد في نصب الأحكام وأمرهم أن يحكموا بما أداهم إليه اجتهادهم، فأعطاهم التشريع فلحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم، فإن المتأخر يرث المتقدم بالضرورة، فيدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرسل، ومحمد ﷺ أخبر بعصمتهم فيما يدعون إليه **فمنهم** المخطئ حكم غيره من المجتهدين، وما هو مخطئ عن الحق، فإن الذي جاء به حق، فإن أخطأ حكماً قد تقدم الحكم به لمحمد ﷺ، وما وصل إليه فذلك الذي جعل له أجراً واحداً، وهو أجر الاجتهاد، وإن أصاب الحكم المتقدم باجتهاده فله أجران، أجر الاجتهاد،

وأجر الإصابة، وإن كان المصيب مجهول العين في المجتهدين عند نفسه وعند غيره فليس بمجهول عند الله، وكل من دخل في زمان هذه الأمة بعد ظهور محمد ﷺ من الأنبياء والخلفاء الأول، فإنهم لا يحكمون في العالم إلا بما شرع محمد ﷺ في هذه الأمة، وتميز في المجتهدين وصار في حزبهم مع إبقاء منزلة الخلافة الأولى عليه فلهم حكمان يظهر بذلك في القيامة ما له ظهور بذلك هٰهنا، ومنزل محمد ﷺ يوم الزَّوْر الأعظم على يمين الرحمٰن من حيث الصورة التي يتجلى فيها على عرشه ومنزله يوم القيامة، ليس على يمين الرحمٰن، لكن بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الأوامر الإلٰهية والأحكام في العالم، فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن وهو ﷺ وجه كله يرى من جميع جهاته، وله من كل جانب إعلام عن الله تعالى يفهم عنه.

يرونه لساناً، ويسمعونه صوتاً وحرفاً، ومنزلته في الجنان الوسيلة التي تتفرع جميع الجنان منها، وهي في جنة عدن دار المقامة ولها شعبة في كل جنة من تلك الجنات من تلك الشعبة يظهر ﷺ لأهل تلك الجنة وهي في كل جنة أعظم منزلة فيها، فهذه منازل كلها حسية لا معنوية.

قال: وأما منزلته ﷺ في العلوم فإحاطته بعلم كل عالم بالله من العلماء به تعالى متقدميهم ومتأخريهم وكل منزل له ولأتباعه مطيب بالطيب الإلٰهي الذي لم يدخل فيه، ولا استعملت أيدي الأكوان فيه. واعلم أنه من كماله ﷺ خص بست لم تكن لنبي قبله.

الخصلة الأولى: فأخبر ﷺ أنه أُعطي مفاتيح الخزائن، وهي خزائن أجناس العالم ليخرج إليهم بقدر ما يطلبونه بذواتهم وما أعطيها ﷺ حتى كان فيه الوصف الذي يستحقها به، ولهذا طلب يوسف عليه السلام من الملك صاحب مصر أن يجعله على خزائن الأرض لأنه حفيظ عليم ليفتقر الكل إليه فتصح سيادته عليهم، وأخبر بالصفة التي يستحق من قامت به هذا المقام فقال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: 55] حفيظ عليها فلا يخرج منها إلا بقدر معلوم كما أنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾﴾ [الحِجر: 21] فإذا كانت هذه الصفة فيمن كان ملك مقاليدها.

ثم قال بعد قوله: ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: 55] أخبر أنه عليم بحاجة المحتاجين لما في هذه الخزائن التي خزن فيها ما به قوامهم عليم بقدر الحاجة، فلما أعطي ﷺ مفاتيح خزائن الأرض علمنا أنه حفيظ عليم، فكل ما ظهر من رزق في العالم فإن الاسم الإلٰهي لا يعطيه إلا عن أمر محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح كما اختص الحق بمفاتيح

الغيب فلا يعلمها إلا هو وأعطي هذا السيد منزلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن.

والخصلة الثانية: أوتي ﷺ جوامع الكلم، والكلم جمع كلمة، وكلمات الله لا تنفذ، فأعطي علم ما لا يتناهى، فعلم بما لا يتناهى ما حصره الوجود، وعلم ما لم يدخل في الوجود وهو غير متناه فأحاط علماً بحقائق المعلومات، وهي صفة إلهية لم تكن لغيره. ثم قال:

والخصلة الثالثة: بعثته إلى الناس كافة من الكفت وهو الضم ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥﴾ [المرُسَلات: 25]، أي تضم الأحياء على ظهرها والأموات في بطنها كذلك ضمت شريعته جميع الناس فلا يسمع به أحد إلا لزمه الإيمان به ولما سمع الجن القرآن يتلى قالوا لقومهم ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ [الأحقاف: 31-32]، فأخبر بقوله فليس بمعجز في الأرض عن الجن وقول الله من وليس له إلى مبين فضمت شريعته الجن والإنس فعم بشريعته الإنس والجن وعمت العالم رحمته التي أرسل بها. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] فأخبر الله تعالى أنه أرسله ليرحم العالم، وما خص عالماً من عالم فإذا أتى بكل ما يرضي العالم صنفاً صنفاً ما عدا بعض من هو مخاطب بحكم شرعه فقد رحمه وقام بالرحمة التي أرسل بها، بل نقول: إنه جاء بحكم الله وحكم الله يرضى به كل صنف من العالم بلا شك، فإن كل العالم مسبح بحمده، فهو راضٍ بحكمه من جهة ما جاء به هذا الرسول العام الدعوة العام بنشر الرحمة على العالم غير أن من الناس من لم يرض بالمحكوم به. وإن كان راضياً بالحكم فقد نال رحمة الله التي أرسل بها ﷺ على قدر ما رضي به من الحكم المعين الذي جاء به... إلى أن قال: فعلمنا أن الله أرسله بالرحمة وجعله رحمة للعالمين، فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته، وإنما ذلك من جهة القابل، فهو كالنور الشمسي أفاض شعاعه على الأرض فمن استتر عنه في كن وظل جدار، فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه، وعدل عنه فلم يرجع إلى الشمس من ذلك منع.

وأخبر ﷺ أنه بعث إلى كل أحمر وأسود فذكر من قامت به الألوان من الأجسام يشير إلى أنه ﷺ مبعوث بعموم الرحمة لمن يقبلها، أو بعموم الشرع لمن يؤمن به، فأمته ﷺ جميع من بعث إليه ليشرع له، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر والكل أمته.

والخصلة الرابعة: أنه ﷺ نصر بالرعب بين يديه مسيرة شهر.

والخصلة الخامسة: أحلت له الغنائم، لم تحل لأحد قبله فقسمها في أصحابه عناية من الله بهم لكرامة هذا الرسول ﷺ، فأكرمه بأمر لم يكرم به غيره من الرسل وأكرم من آمن به بما لم يكرم به مؤمناً قبله.

والخصلة السادسة: أن طهر الله بسببه الأرض فجعلها كلها مسجداً له فحيث أدركته، أو أمَّته الصلاة يصلي.

ثم قال فهذه ستة خص بها هذا النبي ﷺ فكانت منزلته التي لم ينلها غيره لها حكم في كل منزل من الدنيا، وهو ما ذكرناه، ومن برزخ وقيامة وجنة وكثيب، فيظهر حكم هذا الاختصاص الإلٰهي في كل منزل من هذه المنازل ليتبين شرفه ﷺ، وما فضله الله به على غيره مع كونه أعطي جميع ما فضلت بعضها على بعض، ثم لتعلم أيها الولي أنه من رحمته ﷺ التي بعثه الله بها ما أبان الله على لسانه لنا وأمره بتبليغ ذلك فبلغ ﷺ أنه ليس من شرط الرسالة ظهور العلامات على صدقه إنما هو شخص منذر مأمور بتبليغ ما أمره تبليغه هذا حظه لا يجب عليه غير ذلك فإن أتى بعلامة على صدقه فذلك فضل من الله ليس ذلك بيده، فأقام عذر الأنبياء كلهم في ذلك، فكان ﷺ رحمة بالرسل في هذا فجاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [العَنكبوت: 50].

وهذا قول غير العرب. ما هو قول العرب لأنه ﷺ جاء بالقرآن على صدقه للعرب إذ لا يعرف إعجازه وكونه آية غير العرب فلم يرد عنه ﷺ أنه أظهر آية لكل من دعاه من غير العرب كاليهود والنصارى والمجوس، ولكن أيّ شيء من الآيات فذلك من الله تعالى لا بحكم الوجوب عليه، ولا على غيره من الرسل، فقيل له: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [العَنكبوت: 50]، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾ [العَنكبوت: 51] بهم فإنا أرسلناك رحمة للعالمين فتضمن القرآن جميع ما تعرف الأمم أنه آية على صدق من جاء به وقد علموا منه بقرائن الأحوال أنه لا قَرَأ، ولا كتب، ولا طالع، ولا عاشر، ولا فارق بلده، بل كان أمياً من جملة الأميين فأخبرهم عن الله تعالى بأمور يعرفون أنه لا يعلمها من هو بهذه الصفة التي هو عليها هذا الرسول إلا بإعلام من الله.

فكان ما جاء به من القرآن من ذلك آية كما قالوا أو طلبوا وكان إعجازه للعرب خاصة إذ نزل بلسانهم وصرفوا عن معارضته أو لم يكن في قوتهم ذلك من غير صرف حدث لهم فجاء القرآن بما جاءت به الكتب قبله ولا علم له بما جاء فيها إلا من

القرآن، وعلمت ذلك اليهود والنصارى، وأصحاب الكتب فحصلت الآية من عند الله لأن القرآن من عند الله فقد تبين لك منزل محمد ﷺ من غيره من الرسل.

وخصه الله بعلوم لم تجتمع في غيره منها أنه أعطاه أنواع ضروب الوحي كلها فأوحى الله إليه بجميع ما يسمى وحياً كالمبشرات، والإنزال على القلوب والأذان بحالة العروج، وعدم العروج، وغير ذلك، وخصه بعلوم علم الأحوال كلها فأعطاه العلم بكل حال وفي كل حال ذوقاً لأنه أرسله إلى الناس كافة، وأحوالهم مختلفة فلا بد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الأحوال، وخصه الله بعلم إحياء الأموات معنًى وحساً.

فحصل العلم بالحياة المعنوية، وهي حياة العلوم والحياة الحسية، وهي ما أتى في قصة إبراهيم عليه السلام تعليماً وإعلاماً لرسول الله ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: 120]، وخص ﷺ بعلم الشرائع كلها فأبان له عن شرائع المتقدمين وأمره أن يهتدي بهداهم، وخص ﷺ بشرع لم يكن لأحد غيره منه ما ذكرناه في السنة التي خص بها ﷺ.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[مقامه المحمود ﷺ]

قوله في الباب الثامن والثلاثين والثلاثمائة في صفحة 194:

اعلم أن لله في المقام المحمود الذي يقام فيه رسول الله ﷺ يوم القيامة باسمه الحميد سبعة أَلوية تسمى بألوية الحمد تُعطى لرسول الله ﷺ، وورثته المحمديين في الألوية أسماء الله تعالى التي يثني بها ﷺ على ربه إذا أقيم في المقام المحمود يوم القيامة، وهو قوله ﷺ إذا سئل في الشفاعة: «**فأحمد الله بمحامد لا أعلمها الآن**»(1) وهو الثناء عليه سبحانه وتعالى بهذه الأسماء التي يقتضيها ذلك الموطن والله تعالى لا يثنى عليه إلاّ بأسمائه الحسنى خاصة، وأسماؤه سبحانه وتعالى لا يحاط بها علماً.

فإنَّا نعلم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ونعلم أنا لا نعلم ما أخفي لنا من قرة أعين، وما من شيء من ذلك إلا وهو

---

(1) رواه أحمد في المسند عن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، حديث رقم (2546) [1/ 281]، وفيه عبارة [لم يحمده بها أحد] بدل [لا أعلمها الآن]. ورواه مسلم بنحوه باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (193) [1/ 183] وفيه عبارة [لا أقدر عليها الآن] بدل [لا أعلمها الآن].

مستند إلى الاسم الإلٰهي الذي ظهر به حين أظهره، والاسم الإلٰهي الذي أمتنّ به علينا تعالى بإظهاره لنا، فلا بد أن نعلمه، ونثني على الله به ونحمده إما ثناء تسبيح أو ثناء إثبات.

فلما عرفت بذلك سألت عن عدد تلك الأسماء التي يحمد الله تعالى بها يوم القيامة في المقام المحمود، فإني علمت أني لا أعلمها الآن ولا يعلمنيها الله، فإنها من المحامد التي يختص بها ﷺ يوم القيامة، فإذا سمعناه يحمده بها يوم القيامة في المقام المحمود وانتشرت الألوية بها، والمحامد مرقومة فيها ففي ذلك الموطن نعلمها، فقيل لي: إن عدد تلك الأسماء ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسماً، كل لواء منها فيه مرقوم تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة غير لواء واحد من هذه الألوية، فإن فيه مرقوماً من هذه الأسماء سبعمائة وسبعون اسماً يحمده ﷺ بهذه المحامد كلها وكلها تتضمن طلب الشفاعة من الله تعالى.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: 1]]

قوله في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة في صفحة 202:

عند كلامه على قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: 1-3] هو فتوح المكاشفة بالحق وفتوح الحلاوة في الباطن، وفتوح العبارة ولهذا الفتوح كان القرآن معجزًا فما أُعطي أحد فتوح العبارة على كمال ما أعطيه رسول الله ﷺ، فإنه قال: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88] أي معيناً، فقال تعالى له ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: 1] في الثلاثة الأنواع من الفتوح فتحاً أكده بالمصدر مبيناً، أي ظاهراً يعرفه كل من رآه بما تجلى وما حواه، ففتوح الحلاوة ثابت له ذوقاً، وفتوح العبارة ثابت للعرب بالعجز عن المعارضة، وفتوح المكاشفة ثابت بما أشهده وليلة إسرائه ﷺ من الآيات ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح: 2] فيسترك عما يستحقه صاحب الذنب من العتب والموءاخذة ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] يسترك عن عين الذنب حتى لا يجدك فيقوم بك، فأعلمنا بالمغفرة في الذنب المتأخر أنه ﷺ معصوم بلا شك.

ويؤيد عصمته أن جعله الله أسوة يتأسى به فلو لم يقمه الله في مقام العصمة للزمنا

التأَسي به فيما يقع منه من الذنوب إن لم ينص عليها كما نص على النكاح بالهبة.

إن ذلك خالص له مشروع، وهو حرام علينا ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [يُوسُف: 6] بأن يعطيها خلقها إذ قد عرفنا بالمخلقة من ذلك وغير المخلقة وأخبر بهذه الآية أن نعمته التي أعطاها محمداً ﷺ مختلفة أي تامة الخلقة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفَتْح: 2] وهو صراط ربه الذي هو عليه كما قال هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود: 56]، والشرائع كلها أنوار، وشرع محمد ﷺ بين هذه الأنوار كنور الشمس بين أنوار الكواكب، فإذا ظهرت الشمس خفيت أنوار الكواكب واندرجت أنوارها في نور الشمس، فكان خفاؤها نظير ما نسخ من الشرائع بشرعه ﷺ مع وجود أعيانها كما يتحقق وجود أنوار الكواكب ولهذا الزمنا في شرعنا العالم أن نؤمن بجميع الرسل، وجميع شرائعهم أنها حق فلم يرجع بالنسخ باطلاً ذلك ظن الذين جهلوا فرجعت الطرق كلها ناظرة إلى طريق النبي ﷺ.

فلو كانت الرسل في زمانه لتبعوه كما تبعت شرائعهم شرعه، فإنه ﷺ أوتي جوامع الكلم ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفَتْح: 3] والعزيز من يرام فلا يستطاع الوصول إليه فإذا كانت الرسل هي الطالبة للوصول إليه فقد عز عن إدراكها إياه ببعثته العامة وأعطاه الله جوامع الكلم والسيادة بالمقام المحمود في الدار الآخرة، ويجعل الله أمته خير أمة أخرجت للناس وأمة كل نبي على قدر نبيها فاعلم ذلك.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[المراد بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفُرقان: 57]]

قوله في الباب الثاني والأربعين وثلاثمائة في صفحة 223:

ولما كان العمل يطلب الأجر بذاته ويعود ذلك على العامل وأداء الرسائل عمل من المؤدى لأن المرسل استعمله في أداء رسالته لمن أرسله إليه وجب أجره عليه لأن المرسل إليه ما استعمله حتى يجب عليه أجره، ولهذا قالت الرسل لأممها عن أمر الله تعالى تعريفاً للأمم بما هو الأمر عليه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [سَبَإ: 47] فذكروا استحقاق الأجر على من استعملهم ولم يقولوا ذلك إلا عن أمره فإنه قال لكل رسول: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [صٓ: 86] واختص محمداً ﷺ بفضيلة لم ينلها غيره. عاد فضلها على أمته، ورجع حكمه ﷺ إلى حكم الرسل قبله في إبقاء أجره على الله فأمره الحق أن يأخذ أجره الذي له على رسالته من

أمته إلى حكم الرسل قبله في إبقاء أجره على الله فأمره الحق أن يأخذ أجره الذي له رسالته من أمته وهو أن يوادوا قرابته فقال له: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الشّورىٰ: 23] أي على تبليغ ما جئت به إليكم ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشّورىٰ: 23] فتعين على أمته أداء ما أوجب الله عليهم من أجر التبليغ فوجب عليهم حب قرابته ﷺ وأهل بيته وجعله باسم المودة وهو الثبوت في المحبة.

فلما جعل له ذلك ولم يقل إنه ليس له أجر على الله ولا أنه بقي له أجر على الله، وذلك ليجدد له النعم بتعريفه ما يسر به فقيل له بعد هذا قل لأمتك أمراً ما قاله رسول لأمته: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سَبَإ: 47] فما أسقط الأجر عن أمته في مودتهم للقربى وإنما رد ذلك الأجر بعد تعينه عليهم، فعاد ذلك الأجر عليهم الذي كان يستحقه رسول الله ﷺ، فيعود فضل المودة على أهل المودة فما يدري أحد ما لأهل المودة في قرابة رسول الله ﷺ من الأجر إلا الله تعالى.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[مرتبة الإنسان الكامل]

قوله في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة صفحة 247:

واعلم أن مرتبة الإنسان الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان، فهو الكامل الذي لا أكمل منه، وهو محمد ﷺ ومرتبة الكمَّل من الأناسي النازلين عن درجة هذا الكمال الذي هو الغاية من العالم منزلة القوى الروحانية من الإنسان وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومنزلة من نزل في الكمال عن درجة هؤلاء من العالم منزلة القوى الحسية من الإنسان وهم الورثة رضي الله عنهم، وما بقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل وهم من جملة الحيوان فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطي النمو والإحساس.

واعلم أن العالم اليوم بفقد جمعية محمد ﷺ في ظهوره روحاً، وجسماً، وصورة، ومعنًى، نائم لا ميت، وإن روحه الذي هو محمد ﷺ هو من العالم في صورة المحل الذي هو فيه روح الإنسان عند النوم إلى يوم البعث الذي هو مثل يقظة النائم هنا. وإنما قلنا: محمد ﷺ على التعيين إنه هو الروح الذي هو النفس الناطقة في العالم لما أعطاه الكشف، وقوله ﷺ: **أنه سيد الناس**. والعالم من الناس فإنه الإنسان الكبير في الجرم والمقدم في التسوية والتعديل ليظهر عنه صورة نشأة

محمد ﷺ كما سوّى الله جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه، ثم نفخ فيه من روحه روحاً كان به أنساناً تاماً أعطاه بذلك خلقه وهو نفسه الناطقة، فقبل ظهور نشأته ﷺ كان العالم في حال التسوية والتعديل كالجنين في بطن أمه وحركته كالروح الحيواني منه الذي صحت له به الحياة فَأَجِلْ فكرك فيما ذكرته لك فإذا كان في القيامة حيي العالم كله بظهور نشأته ﷺ.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[بعثته ﷺ برسالة عامة]

قوله في الباب الخامس والخمسين وثلاثمائة في صفحة 331:

فكل من في الوجود من المخلوقات يعبد الله على الغيب، إلا الإنسان الكامل المؤمن فإنه يعبده على المشاهدة ولا يكمل العبد إلا بالإيمان، فإنه النور الساطع الذي يزيل كل ظلمة، فإذا عبده على الشهادة رآه جميع قواه، فما قام بعبادته غيره ولا ينبغي أن يقوم بها سواه فما ثَمَّ من حصل له هذا المقام إلا المؤمن الإنساني فإنه ما كان مؤمناً إلا بربه، فإنه سبحانه المؤمن.

واعلم أنك إذ لم تكن بهذه المنزلة وما لك قدم في هذه الدرجة فأنا أدلك على ما يحصل لك به الدرجة العليا، وهو أن تعلم أن الله ما خلق الخلق على مزاج واحد، بل جعله متفاوت المزاج وهذا مشهود بالبداهة والضرورة لما بين الناس من التفاوت في النظر العقلي والإيمان وقد حصل لك من طريق الحق أن الإنسان مرآة أخيه، فيرى منه ما لا يراه الشخص من نفسه إلا بواسطة مثله، فإن الإنسان محجوب بهواه متعشق به فإذا رأى تلك الصفة من غيره وهي صفته أبصر عيب نفسه في غيره فعلم إن كانت قبيحة، أو حسنها إن كانت ذات حسن.

واعلم أن المرائى مختلفة الأشكال، وأنها تُصَيِّر المرئي عند الرائي بحسب شكلها من طول، وعرض، واستواء، وعوج، واستدارة، ونقص، وزيادة، وتعدد، وكل شيء يعطيه شكل المرآة، وقد علمت أن الرسل أعدل الناس مزاجاً لقبولهم رسالات ربهم، وكل شخص منهم قبل من الرسالة قدر ما أعطاه الله في مزاجه من التركيب. فما من نبيّ إلا بعث خاصة إلى قوم معينين لأنه على مزاج خاص مقصور وإن محمداً ﷺ ما بعثه الله إلا برسالة عامة إلى جميع الناس كافة، ولا قبل هو مثل هذه الرسالة لكونها على مزاج عام يحتوي على مزاج كل نبي ورسول، فهو أعدل

الأمزجة وأكملها وأقوم النشأة، فإذا عملت هذا وأردت أن ترى الحق على أكمل ما ينبغي أن تظهر به هذه النشأة الإنسانية.

فاعلم أنك ليس لك ولا أنت على مثل هذا المزاج الذي لمحمد ﷺ، وأن الحق مهما تجلى لك في مرآة قلبك فإنما تظهر لك مرآتك على قدر مزاجها، وصورة شكلها وقد علمت نزولك عن الدرجة التي صحت لمحمد ﷺ في العلم بربه في نشأته فالزم الإيمان والاتباع، واجعله ﷺ أمامك مثل المرآة التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك فإذا فعلت هذا علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لمحمد ﷺ في مرآته وقد أعلمتك أن المرآة لها أثر في نظر الرائي في المرآة فيكون ظهور الحق في مرآة محمد ﷺ أكمل ظهوره وأعدله وأحسنه لما هي مرآته عليه، فإذا أدركته في مرآة محمد ﷺ فقد أدركت منه كمالاً لم تدركه من حيث نظرك في مرآتك.

ألا ترى في باب الإيمان وما جاء به في الرسالة من الأمور التي نسب الحق لنفسه بلسان الشرع مما تحيله العقول ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا من ذلك من حيث نظرنا العقلي شيئاً ألبتة، بل نرده ابتداء ونجهل القائل به، فكما أعطانا بالرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق كذلك قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا عن المشاهدة وعن إدراك ما تجلى في مرآة محمد ﷺ أن ندركه في مرآتنا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[إسراء النبي ﷺ ومعراجه]

قوله في الباب السابع وثلاثمائة في صفحة 447:

فيما تكلم به على إسراء ومعراج النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11] فوصف نفسه بأمر لا ينبغي أن يكون ذلك الوصف إلا له تعالى وهو قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] فهو تعالى معنا أينما كنا في حال نزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل في حال كونه في الاستواء على العرش في حال كونه في العلماء، وهو الذي كان فيه تعالى من غير تكييف، ولا تشبيه قبل خلق الخلق كما ورد في الحديث[1]؛ وأصل العماء في اللغة السحاب

(1) يشير إلى الحديث الذي رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الأخبار عما كان الله فيه..، =

الرقيق. في حال كونه في الأرض وفي السماء. في حال كونه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد منه، وهذه نعوت لا يمكن أن يوصف بها إلا هو، فما نقل الله عبداً من مكان إلى مكان ليراه، بل ليريه من آياته التي غابت عنه قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: 1]، وكذلك إذا نقل الله العبد في أحواله ليريه أيضاً من آياته فنقله في أحواله مثل قوله ﷺ: «**زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها**»(1) وكذلك قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿75﴾﴾ [الأنعام: 75] وذلك عين اليقين لأنه عن رؤية وشهود، وكذلك نقله عبده من مكان إلى مكان ليريه ما خص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله إلا بتلك الآية، وهو قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: 1] وحديث الإسراء يقول: «**ما أسريت بِهِ إلا لرؤية الآيات لا إليَّ فإنه لا يحويني مكان، ونسبة الأمكنة إليّ نسبة واحدة وأنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن فكيف أسرى به إليَّ وأنا عنده ومعه أينما كان**».

فلما أراد الله تعالى أن يُرِيَ النبي عبده محمداً ﷺ من آياته ما شاءَ الله تعالى أنزل إليه جبرائيل عليه السلام وهو الروح الأمين بدابة يقال لها: البراق إثباتاً للأسباب وتقوية له ﷺ لِيُرِيَه العلم بالأسباب ذوقاً كما جعل الأجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الأسباب التي وضعها في العالم.

والبراق دابة برزخية دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين، وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد فجمع البراق بين من ظهر من جنسين مختلفين وبين من ظهر من جنس واحد لحكمة علمها أهل الله في صدور عالم الخلق وعالم الأمر وفي

= حديث رقم (6141) [14/ 8] ونصه: عن أبي رزين العقيلي قال: قلت: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال: هل ترون ليلة البدر القمر أو الشمس بغير سحاب قالوا: نعم قال: فالله أعظم قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السمٰوات والأرض قال: في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء» وروى الحديث غيره.

(1) رواه ابن ماجة في السنن، باب ما يكون من الفتن، حديث رقم (3952) [2/ 1304] ورواه الطبراني في الأوسط من اسمه موسى، حديث رقم (8397) [8/ 200] ورواه غيرهما.

صدور الأجسام الطبيعية وما فوقها، فركبه ﷺ وأخذه جبريل عليه السلام، والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل للمرسل إليه ليركبه تهممًا به في الظاهر، وفي الباطن أنه لا يصل إليه إلا على ما يكون منه لا على ما يكون لغيره، وليتنبه بذلك فهو تشريف وتنبيه لمن يدري مواقع الأمور فجاء ﷺ إلى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام. كل ذلك إثباتاً للأسباب فإنه ما من رسول إلا وقد أسري به راكباً على ذلك البراق وإنما ربطه مع علمه بأنه مأمور ولو أوقفه دون ربط بحلقة لوقف، ولكن حكم العادة منعه من ذلك ليثبت حكمة العادة التي أجراها الله تعالى في مسمى الدابة.

ألا تراه ﷺ كيف وصف البراق بأنه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب، وأنه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة الآتية، إلى مكة فوصف البراق بأنه يعثر، والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية. يعني القدح.

فلما صلى جاءه جبريل عليه السلام بالبراق، فركب عليه ومعه جبريل فطار البراق به في الهواء واخترق الجو، فعطش ﷺ واحتاج إلى الشرب فأتاه جبريل عليه السلام بإِناءَين إناء من لبن وإناء من خمر، وذلك قبل تحريم الخمرة فعرضهما عليه فتناول اللبن. فقال له جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك، ولذلك كان ﷺ يتأول اللبن إذا رآه في المنام بالعلم.

فلما وصلا إلى السماء الدنيا استفتح جبريل، فقال له الحاجب: من هذا؟ فقال: جبريل. قال: من معك؟ قال: محمد ﷺ. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح فدخل جبريل ومحمد ﷺ، فإذا بآدم عليه السلام وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء أهل الجنة، وعن يساره نسم بنيه الأشقياء عَمَرَةُ النار ورأى ﷺ صورته في أشخاص السعداء الذين على يمين آدم، فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الإنسان في مكانين وهو عينه لا غيره، فكان له كالصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة والمرايا. فقال: مرحباً بالابن الصالح.

ثم عرج به البراق وهو محمول في الفضاء الذي بين **السماء الأولى والسماء الثانية** أو سمك السمٰوات فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الأولى، وقال، وقيل له، فلما دخل إذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه، فإنه لم يمت إلى الآن، بل رفعه الله إلى هذه السماء وأسكنه بها وحكّمه فيها.

قال سيدي محيي الدين. وهو شيخنا الأول الذي رجعنا على يديه وله بنا عناية

عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة وأرجو أن أدركه في نزوله إن شاء الله.: فرحب به ﷺ وسهل وجبريل عليه السلام في هذا كله يسمي له ﷺ ما يرى من هؤلاء الأشخاص.

ثم جاء السماء الثالثة فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت فإذا بيوسف ﷺ ورحب به وسهل.

ثم عرج إلى السماء الرابعة، فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت فإذا بإدريس عليه السلام بجسده فإنه ما مات إلى الآن، بل رفعه الله مكاناً علياً وهو هذه السماء قلب السمٰوات وقطبها فسلم عليه ورحب وسهل.

ثم عرج به إلى السماء الخامسة فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت فإذا بهارون ويحيى عليهما السلام فسلما عليه ورحبا به وسهلا، ثم عرج به إلى السماء السادسة فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت، فإذا بموسى عليه السلام فسلم عليه ورحب وسهل.

ثم عرج به إلى السماء السابعة فاستفتح، وقال، وقيل له، فإذا بإبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور والضراح. **(الضُّراح في السماء حيال الكعبة وهو البيت المعمور قاله ابن الأثير في النهاية)**. فنظر إليه وركع فيه ركعتين وعرفه أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر، فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغارب الكواكب وأخبره أن أولئك الملائكة يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطير عندما يخرج من انغماسه في نهر الحياة، فإن له كل يوم غمسة فيه.

ثم عرج به إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها كالقلال، وورقها كآذان الفيلة، فرآها ﷺ وقد غشاها الله من النور ما غشي فلا يستطيع أحد أن ينعتها لأن البصر لا يدركها حتى ينعتها بنورها، ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهر، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأخبره جبريل أن النهرين الظاهرين النيل والفرات، والنهرين الباطنين نهران يمشيان إلى الجنة وأن هذين النهرين النيل والفرات يرجعان يوم القيامة إلى الجنة، وهما نهرا العسل واللبن، فإنه في الجنة أربعة أنهر نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن لم يتغير طعمه، ونهر من خمر لذة للشاربين، ونهر من عسل مصفى، وهذه الأنهار تعطي لشاربها علوماً متتابعة يعرفها أصحاب الأذواق في الدنيا. قال سيدي

محيي الدين: ولنا فيها جزء صغير فلينظر ما ذكرناه في ذلك الجزء. وأخبره ﷺ أن أعمال بني آدم تنتهي إلى تلك السدرة وأنها مقر الأرواح، فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها، ونهاية لما يعرج إليها مما هو دونها، وبها مقام جبريل عليه السلام، وهناك منصته. فنزل ﷺ عن البراق بها وجيء إليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا، فقعد ﷺ وسلمه جبريل عليه السلام إلى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به، فقال له: لا أقدر لو خطوت خطوة احترقت، فما منا إلا له مقام معلوم، وما أسرى الله بك يا محمد إلا ليُرِيَك من آياته، فلا تغفل، فودعه وانصرف مع ذلك الملك على الرفرف يمشي به إلى أن ظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام في الألواح بما يكتب الله بها مما يجريه في خلقه، وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده ولكل قلم ملك قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29].

ثم زج في النور زجة فأفرده الملَك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش ﷺ لما لم يره معه، وبقي لا يدري ما يصنع وأخذه هيمان مثل السكران في ذلك النور، وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين، وذات الشمال، واستغرقه الحال، وكان سببه سماع إيقاع تلك الأقلام وصريفها في الألواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه إلى ما ذكرنا من سريان الحال فيه وحكمه عليه، فتقوى بذلك الحال وأعطاه الله تعالى في نفسه علماً علم به ما لم يكن يعلم قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته فطلب الإذن في الرؤية بالدخول على الحق، فسمع صوتاً يشبه صوت أبي بكر وهو يقول: يا محمد قف إن ربك يصلي، فراعه ذلك الخطاب، قال في نفسه: «**أربّي يصلي؟!**».

فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر الصديق تلا عليه ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: 43] فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق.

فلما فرغ من الصلاة مثل قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾ [الرَّحمٰن: 31] مع أنه لا يشغله شأن عن شأن، ولكن لخلقه أصناف العالم أزمان مخصوصة، وأمكنة مخصوصة لا يتعدى بها زمانها ولا مكانها لما سبق في علمه ومشيئته في ذلك، فأوحى الله إليه في تلك الوقفة ما أوحى، ثم أمر بالدخول، فدخل فرأى عين ما علم لا غير، وما تغيرت عليه صورة اعتقاده، ثم فرض الله تعالى عليه في جملة ما أوحى به إليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزل ﷺ حتى وصل إلى موسى عليه

السلام فسأَله موسى عما قيل له، وما فرض عليه فأَجابه وقال: «**إن الله فرض على أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة**»[1]، فقال له: يا محمد قد تقدمت إلى هذا الأمر قبلك وعرفته ذوقاً وتعبت مع أمتي فيه، وإني أنصحك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجع ربك واسأَله التخفيف فراجع ربه، فترك له عشراً فأخبر موسى بما ترك له ربه، فقال له موسى: راجع ربك، فراجعه فترك له عشراً فأخبر موسى، فقال له: راجع ربك. فراجعه فترك له عشراً، فأخبر موسى فقال له: راجع ربك، فراجعه فترك له عشراً، فأخبر موسى، فقال له: راجع ربك، فراجعه، فقال له ربه: هي خمس وهن خمسون ما يبدل القول لديَّ، فأخبر موسى، فقال له: راجع ربك، فقال: «**إني استحييت من ربي وقد قال لي كذا وكذا**»[1].

ثم ودعه وانصرف ونزل إلى الأرض قبل طلوع الفجر، فنزل بالحِجْر فطاف، ومشى إلى بيته. فلما أصبح ذكر ذلك للناس فالمؤمن به صدقه وغير المؤمن به كذبه، والشاك ارتاب فيه.

ثم أخبرهم ﷺ بحديث القافلة وبالشخص الذي كان يتوضأَ، وإذا بالقافلة قد وصلت كما قال ﷺ، فسأَلوا الشخص فأخبرهم بقلب القدح كما أخبرهم رسول الله ﷺ وسأله شخص من المكذبين ممن رأى بيت المقدس أن يصفه لهم، ولم يكن رأى منه ﷺ إلا قدر ما مشى فيه، وحيث صلى فرفعه الله تعالى له حتى نظر إليه فأخذ ينعته للحاضرين، فما أنكروا من نعته شيئاً، ولو كان الإسراء بروحه وتكون رؤيا رآها كما يرى النائم في نومه ما أنكره أحد، ولا نازعه أحد، وإنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسراء كان بجسمه في هذه المواطن، وله ﷺ أربع وثلاثون مرة الذي أسري به منها إسراء، واحد بجسمه، والباقي بروحه رؤيا رآها ﷺ.

وأما الأولياء فلهم إسراآت روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال يُعْطَوْنَ العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني، ولهم الإسراء في الأرض، وفي الهواء غير أنهم ليس لهم قدم محسوسة في السماء، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراءِ الجسم واختراق السمٰوات والأفلاك حساً، وقطع مسافات حقيقية محسوسة، وذلك كله لورثته معنى لا حساً من السمٰوات فما

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب الإسراء برسول الله ﷺ، حديث رقم (162) [1/ 145] ورواه أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري حديث رقم (12527) [3/ 148] ورواه غيرهما.

فوقها، ثم قال سيدي محيي الدين رضي الله عنه نظماً:

ألم ترَ أن الله أسرى بعبده ... من الحرم الأدنى إلى المسجد الأقصى
إلى أن علا السبع السمٰوات قاصداً ... إلى بيته المعمور بالملأ الأعلى
إلى السدرة العليا وكرسيه الأحمى ... إلى عرشه الأسنى إلى المستوى الأزهى
إلى سبحات الوجه حتى تقشعت ... سحاب العمى عن عين مقلته النجلا
فكان تدليه على الأمر إذ دنا ... من الله قربا قاب قوسين أو أَدنى
وكانت عيون الكون عنه بمعزل ... تلاحظ ما يسقيه بالمورد الأحلى
فخاطبه بالأنس صوت عتيقه ... توقف قرب العرش سبحانه صلى
فأزعجه ذاك الخطاب وقال هل ... يصلي إلٰهي ما سمعت به يتلى
فشال حجاب العلم عن عين قلبه ... وأوحى إليه في الغيوب الذي أوحى
فعاين ما لا يقدر الخلق قدره ... وأيده الرحمٰن بالعروة الوثقى
وألفاه مشتاقاً إلى وجه ربه ... فأكرمه الرحمٰن بالمنظر الأَجلى
ومن قبل ذا قد كان أَشهد قلبه ... بغار حراءِ قبل ذلك في النجوى

ثم ذكر رضي الله عنه فوائد أخرى ومن أهمها معراجه هو الروحي وأطال فيه، فراجعه إن شئت.

ومن جواهره رضي الله عنه

[كنت نبيا وآدم بين الطين والروح]

قوله في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة في صفحة 671:

وكان محمد ﷺ عين سابقة النبوة البشرية لقوله معرفاً إيانا: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[1]، وهو عين خاتم النبيين لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40] لما ادعى فيه أنه أبو زيد، نفى الله تعالى عنه أن يكون أباً لأحد من رجالنا لرفع المناسبة، وتمييز المرتبة.

ألا تراه ﷺ ما عاش له ولد ذكر من ظهره تشريفاً له لكونه سبق في علم الله أنه خاتم النبيين؟ وقال ﷺ: «**إن الرسالة**. يعني البعثة إلى الناس. **بالتشريع لهم، والنبوة**

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

قد انقطعت» أي ما بقي من يشرع له من عند الله حكم يكون عليه ليس هو شرعنا الذي جئنا به، فلا رسول بعدي يأتي يخالف شرعي إلى الناس ولا نبي يكون على شرع ينفرد به من عند ربه يكون عليه فصرح أنه خاتم نبوة التشريع ولو أراد غير ما ذكرناه لكان معارضاً لقوله: «**إن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً يؤمنا بنا**»[1] أي بالشرع الذي نحن عليه، ولا شك فيه أنه رسول ونبي، فعلمنا أنه ﷺ أراد أن لا شرع بعده ينسخ شرعه، ودخل بهذا القول كل إنسان في العالم من زمان بعثته إلى يوم القيامة في أمته، فالخضر، وإلياس، وعيسى من أمة محمد ﷺ الظاهرة، ومن آدم إلى زمن بعثة رسول الله ﷺ من أمته الباطنية، فهو النبي بالسابقة، وهو النبي بالخاتمة. فظهر من كلام رسول الله ﷺ أن السابقة عين الخاتمة في النبوة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الحكمة من عدم ادعاء الألوهية له ﷺ]

قوله في الباب الأربعين وخمسمائة صفحة 234:

قال الله عز وجل وتقدست أسماؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: 46] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: 156] الآية.

والمدار كله على شهود هذه المعية، فإنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فهو مع الصابرين والمتقين والمحسنين، فهذا الذكر ينتج شهود المعية التي له تعالى مع الصابرين خاصة هذا وما هو إلا صبر على الرسول حتى يخرج إليهم. فكيف الصبر على الله؟

لما كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه والله جليس من يذكره فلم يزل رسول الله ﷺ جليس الحق دائمًا، فمن جاءَ إليه ﷺ فإنما يخرج إليه من عند ربه إما مبشراً وإما موصياً ناصحاً، ولهذا قال: لكان خيراً لهم فلو كان خروجه إليهم بما يسؤوهم في آخرتهم ما كان خيراً لهم، وقد شهد الله بالخيرية فلا بد منها، وهي ما

---

(1) رواه بنحوه البخاري في صحيحه، باب قتل الخنزير. .، حديث رقم (2109) [2/ 774] ونصه: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد». ورواه مسلم في صحيحه، باب نزول عيسى بن مريم. .، حديث رقم (155) [1/ 135] ورواه غيرهما.

ذكرناه من بشارة خير، أو وصية، أو نصيحة، أو إبانة عن أمر مقرب إلى سعادتهم غير ذلك لا يكون.

ومن صبر نفسه على ما شرع الله له على لسان رسوله ﷺ، فإن الله لا بد أن يخرج إليه رسوله ﷺ في مبشرة يراها أو في كشف بما يكون له عند الله من الخير وإنما يخرج إليه رسول الله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ لا يتصور على صورته غيره فمن رآه رآه لا شك فيه بخلاف رؤية الحق، فإن الحق له التجلي في صور الأشياء كلها، فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى، فالعارف يعلم أن كل شيء يراه ليس إلا الحق، وهو مُعطي السعادة والشقاء، والرسول ليس كذلك فيعتمد على رؤية الرسول ولا يغتر برؤية الحق، ولهذا الذي أشرنا إليه ادعى من ادعى من بشر وجن الألوهة، وقبل منهم وعبدوا من دون الله وما قدر أحد يدّعي أنه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ.

وإن تنبأ فما يقول: إنه محمد، وإنما يقول: إنه رسول الله فيُطالب بالدليل على دعواه فتنبه إلى عصمة هذا الاسم العلم أن يتصور عليه أحد من خلق الله في كشف، ولا نوم كصورته في اليقظة سواء، فمن رآه ﷺ رآه فما تغير من صورته تغير حسن فذلك راجع إلى حال الرائي، أو صورة الشرع في المكان الذي رآه فيه عن ولاة أمور الناس وكذلك لو كان تغير قبح كذلك فاعلم ذلك فيكون تغيره بالحسن والقبح عين إعلامه وخطابه إياه بما هو الأمر عليه في حقه، أو في حق ولاة العصر بالموضع الذي يراه الرائي فيه ورؤية الحق ليست كذلك، لأنه ما ثَمَّ شيء خارج عنه، فكل شيء فيه حسن لا قبح فيه وما قبح ما قبح من الأمور إلا بالشرع وفي أصحاب الأغراض بالغرض، وفي أصحاب المزاج بعدم الملايمة للطبع، وفي أصحاب النظر الفكري من الحكماء بالكمال، والنقص، وصاحب هذا الهجير كثير الصلاة على محمد ﷺ وعلى هذا الذكر يحبس نفسه ويصبر حتى يخرج إليه ﷺ وما لقيت أحداً على هذا القدم غير رجل كبير حداد بإشبيلية كان يعرف باللهم صل على محمد، ما كان يعرف بغير هذا الاسم رأيته، ودعا لي وانتفعت به لم يزل مشتهراً بالصلاة على محمد ﷺ لا يتفرغ لكلام أحد إلا قدر الحاجة إذا جاء أحد يطلب منه أن يعمل له شيئاً من الحديد فيشارطه على ذلك ولا يزيد، وما وقف عليه أحد من رجل، ولا صبي، ولا امرأَة إلا ولا بد أن يصلي على محمد ذلك الواقف إلى أن ينصرف من عنده، وهو مشهور بالبلد بذلك.

وكان من أهل الله فكل ما ينتج لصاحب هذا الذكر فإنه علم حق معصوم، فإنه لا يأتيه شيء من ذلك إلا بواسطة الرسول ﷺ وهو المتجلي له والمخبر.

لقي رجل بعض الناس في زمان أبي يزيد البسطامي، فقال له: هل رأيت أبا يزيد فقال له: رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد.

فقال له الرجل: لو رأيت أبا يزيد مرة لكان خيراً لك من أن ترى الله ألف مرة، فلما سمع ذلك منه رحل إليه فقعد مع الرجل على طريقه فعبر أبو يزيد وفروته على كتفه.

فقال له الرجل: هذا أبو يزيد فنظر إليه فمات من ساعته فأخبر الرجل أبا يزيد بشأن الرجل، فقال أبو يزيد: كان يرى الله على قدره، فلما أبصرنا تجلى له الحق على قدرنا، فلم يطق فمات.

ولما كان الأمر هكذا أعلمنا أن رؤيتنا الحق في الصورة المحمدية بالرؤية المحمدية هي أتم رؤية تكون فما زلنا نحرّض الناس عليها مشافهة وفي كتابنا هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله وحده.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه:

[كتابه التنبيهات في علو مرتبة الحقيقة المحمدية الموجود في المكتبة الخديوية]

هذا الكتاب النفيس الذي وجدت[1] اسمه في فهرست المكتبة الخديوية المصرية فأرسلت استكتبته، وها أنا أثبته هنا بحروفه وأرجو ممن يطلع على اسم مؤلفه أن يثبته هنا حتى إذا تيسر طبع هذا المجموع مرة أخرى يصرح فيه باسمه مع أن كثيراً من معانيه تقدم نقلها عن أئمة الصوفية كالشيخ الأكبر سيدي محي الدين بن العربي رضي الله عنه، وقد صرح بالنقل عنه في مواضع:

وهذا نص كتاب التنبيهات المذكور قال مؤلفه رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، الحمد لله وسلام على

(1) أي الشيخ يوسف النبهاني مؤلف أصل الكتاب (موسوعة جواهر البحار في فضائل النبي المختار).

عباده الذين اصطفى، خصوصاً على نبيه ورسوله ووليه وصفيه المجتبى، الذي كمله وأشهده وقربه حتى كان منه كقاب قوسين أو أدنى، محمد المختص بمظهر الربوبية العظمى ﷺ، صلاة وسلاماً دائمين بلا انقطاع ولا انتهاء، أما بعد فإني ذاكر تنبيهات دالّات على علو مرتبة الحقيقة المحمدية وتوحده بها مما كوشف به بعض محققي وارثه لتحيى قلوبنا بفهمها وتتشرف أسماعنا بأدراكها وتسعد ألسنتنا بذكرها ﷺ.

التنبيه الأول: اعلم أن الحقيقة المحمدية مسماة **بالعقل الأول**، **وبالقلم** الذي علم الله تعالى به الخلق كلهم، **وبالحق** الذي قامت به السموات والأرض، **وبالباء** وأحسن أسماء هذه الحقيقة المحمدية الباء من حيث ظهور الأشياء بها، وإنما ظهرت الأشياء بالباء لأن الحق تعالى واحد ولا يصدر عنه إلا واحد، فكأن الباء أول شيء صدر عن الحق تعالى فهي ألف على الحقيقة وحداني من جهة ذاتها، وهي باء من جهة مرتبتها لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الموجود، فلهذا سميت باء لتمتاز عن الحق تعالى ويبقى اسم الألف له تعالى، فالباء اثنان من جهة المرتبة فهي عدد والأشياء عدد فصار العدد من العدد يعني من الباء وبقي الواحد الأحد في أحديته مقدساً منزهاً، ثم اعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل، فلهذا كانت النقطة التي تحتها بين العالم الكوني وبينها إشارة إلى الأحدية، فلو كان الأثر للباء لم تكن هذه النقطة أصلاً فثبت بوجود هذه النقطة أن الأثر لها لا للباء والله تعالى أعلم.

التنبيه الثاني: اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل الذي لا أكمل منه من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان وهو سيدنا محمد ﷺ الذي هو الغاية المطلوبة من العالم ومرتبة الكمل النازلين عن مرتبته بمنزلة القوى الروحانية من الإنسان وهم الأنبياء ﷺ، ومرتبة من نزل عن مرتبتهم بمنزلة القوى الحسية من الإنسان وهم الورثة رضوان الله تعالى عليهم، وما بقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل وهو من جملة الحيوان فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطى النمو والإحساس، وإنما قلنا إنه ﷺ النفس الناطقة لما أعطاه الكشف ولقوله ﷺ: «**أنا سيد الناس**»[1] والعالم من الناس لأنه الإنسان الكبير في الجرم المتقدم في التسوية لتظهر عنه صورة نشأته ﷺ كما سوى الله تعالى جسم الإنسان وعدله قبل وجود

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

روحه، ثم نفخ فيه من روحه روحاً كان به إنساناً تاماً، والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان وكذلك الجن فليس العالم إنساناً إلا بوجود الإنسان الذي هو نفسه الناطقة كما أن نشأة الإنسان لا تكون إنساناً إلا بنفسه الناطقة، ولا تكون هذه النفس الناطقة من الإنسان كاملة إلا بالصورة الإلهية، فلذلك نفس العالم التي هي عبارة عن سيدنا محمد ﷺ حازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في الوجود والبقاء والتنوع في الصور وبقاء العالم به، فكان حال العالم قبل ظهوره ﷺ بمنزلة الجسد المسوى بلا روح، وحاله بعد وفاته ﷺ بمنزلة النائم، وحاله ببعثه ﷺ يوم القيامة بمنزلة الانتباه بعد النوم، ولما أراد الله تعالى بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التميز خلق لها أجساداً برزخية تميزت بها عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا في النوم وبعد الموت والله تعالى أعلم.

التنبيه الثالث: اعلم أن الأرض الواسعة إنما هي أرض عبادتك فتعبد الحق فيها كأنك تراه في ذاتك من حيث بصرك على ما يليق بجلاله تعالى وعين بصيرتك يشهد بأنه ظاهر لها ظهور علم فتجمع في عبادتك بين ما يستحقه تعالى من العبادات في الخيال وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال، فتعبده مطلقاً ومقيداً وليس هذا لغير هذه النشأة الإنسانية المؤمنة التي جعلها الله تعالى حرمه المحرم وبيته المعظم فكل من في الوجود من المخلوقات يعبد الله تعالى على الغيب إلا الإنسان الكامل فإنه يعبد الله تعالى على المشاهدة ولا يكمل العبد إلا بالإيمان الكامل فإنه النور الذي يزيل كل ظلمة فإذا عبده على المشاهدة رآه جميع قواه فما قام بعبادته تعالى غيره ولا ينبغي أن يقوم بها سواه، واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة وما لك قَدَم في هذه الدرجة فأنا أدلك على ما يحصل لك به هذه الدرجة العليا، وذلك أن تعلم أن الرسل صلى الله عليهم وسلم أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم تعالى وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية على قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب فلذلك لم يبعث نبي منهم إلا لقوم معينين لأنه على مزاج خاص مقصور وأن سيدنا محمداً ﷺ ما بعثه الله تعالى برسالة عامة إلى جميع الناس كافة ولا قبل مثل هذه الرسالة العامة إلا لكونه على مزاج عام يحتوي على مزاج كل نبي ورسول، فمزاجه ﷺ أعدل الأمزجة كلها ونشأته أقوم النشآت أجمعها. فإذا علمت هذا

وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية فالزم الإيمان والاتباع له ﷺ واجعله مثل المرآة أمامك، وقد علمت أن الله تعالى لابد أن يتجلى لسيدنا محمد ﷺ في مرآته، فيكون ظهور الحق تعالى في مرآته أكمل ظهور وأعدله وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال، فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته ﷺ تكون قد أدركت منه كمالاً لم تدركه في غير مرآته ﷺ ألا ترى في باب الإيمان بما جاء به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه بها على لسان الشرع بما تحيله العقول، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي، فكما أعطانا بالرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى، كذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا عند المشاهدة عن إدراك ما تجلى في مرآته ﷺ أن تدركه في مرآتها، وكما آمنت به في الرسالة غيباً شهدته عند التجلي عيناً، فقد نصحتك وأبلغت لك في النصيحة، فلا تطلب مشاهدة الحق تعالى إلا في مرآته ﷺ، واحذر أن تشهد النبي أو تشهد ما تجلى في مرآته من الحق تعالى في مرآتك، فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية فالزم الاقتداء به والاتباع له ﷺ ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك ﷺ فضع قدمك على قدمه إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العليا والشهود الكامل في المكانة الزلفى والله الموفق.

التنبيه الرابع: اعلم أن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً فظهرت الأرواح المهيمة بين الجلال والجمال، وخلق في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين العنصر الأعظم، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي، وما منهم روح يعرف أن ثم سواه لفنائه في الحق بالحق، ثم إنه تعالى أوجد بتجل آخر من غير تلك المرتبة المقدمة أرواحاً متحيرة في أرض بيضاء وهيمهم فيها بالتسبيح والتقديس لا يعرفون أن الله تعالى خلق سواهم وكل منهم على مقام من العلم بالله تعالى والحال، وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة وسميت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيرة، ولا يجوز عليها التبديل ولا تزال كذلك أبد الآباد لما سبق في علم الله تعالى، وللإنسان الكامل في هذه الأرض مثال وله فيهم حظ وله في الأرواح الأول مثال آخر، وهو

في كل عالم على مثال ذلك العالم، ثم إن هذا العنصر الأعظم له التفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ولا وجود لذلك العالم في العين وهذا العنصر المشار إليه أكمل موجود في العالم، ولولا عهد الستر الذي أخذ على أهل هذه الطريقة لبسطنا الكلام فيه وبينا كيفية تعلق كل ما سوى الله تعالى به، فأول ما كان الوارد بعد تلك الالتفاتة العقل الأول وقيل فيه أول لأنه أول عالم التدوين والتسطير، وتلك الالتفاتة إنما كانت للحقيقة الإنسانية التي لها الكمال من هذا العالم، فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز أسباباً مقدمة لترتيب نشأته كما سبق في العلم، ومملكته ممتدة قائمة القواعد له ﷺ لأنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله تعالى، فلا بد من تقدم وجود العالم الذي هو مملكته عليه وأن يكون هو آخر موجود بالفعل، وإن كانت له الأولية بالقصد فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة إليها توجهت العناية الكلية، فهو عين الجمع والوجود والنسخة العظمى والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه ﷺ.

التنبيه الخامس: اعلم أن الوجود واحد وله ظهور وهو العالم وله بطون وهو الأسماء وله برزخ جامع فاصل بينهما ليتميّز الظهور عن البطون والبطون عن الظهور وهو الإنسان الكامل ﷺ فالظهور مرآة البطون وما بينهما فهو مرآة لهما جمعاً وتفصيلاً. واعلم أنه كان بين ذات الحق تعالى وذات الإنسان الكامل مضاهاة وبين علمه وعلمه مضاهاة وأن كل ما فيها مجمل فهو فيها مجمل، وكل ما فيها مفصل فهو فيها مفصل فكذلك بين القلم وروح الإنسان الكامل مضاهاة وبين اللوح وقلبه مضاهاة وبين العرش وجسمه مضاهاة وبين الكرسي ونفسه مضاهاة وكل واحد منها مرآة لما يضاهيه، فكل ما في القلم مجمل فهو في روحه مجمل وكل ما في اللوح مفصل فهو في قلبه مفصل، وكل ما في العرش مجمل فهو في جسمه مجمل وكل ما في الكرسي مفصل فهو في نفسه مفصل، فالإنسان الكامل جامع لجميع الكتب الإلهية والكونية، فكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء، وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته، فكذلك نقول في حق الإنسان الكامل أن علمه بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء من علمه بذاته لأنه هو جميع الأشياء إجمالاً وتفصيلاً، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه وعرف جميع الأشياء، وانظر إلى قوله

تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البَقَرَة: 1-2] فالألف يشار به إلى الذات الأحدية من حيث إنه أول الأشياء واللام يشار به إلى الوجود المنبسط على الأعيان الوجودية والميم يشار به إلى الكون الجامع وهو الإنسان الكامل، فالحق تعالى والعالم والإنسان الكامل كتاب لا ريب فيه والله تعالى أعلم.

التنبيه السادس: اعلم أن مقام المحبة أعلى المقامات والأحوال وهو الساري فيها وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد، وكل مقام أو حال بعدها فمنها يستفاد، لأنه مقام أصل الوجود وسيده، ومبدأ العالم وممده، وهو سيدنا محمد ﷺ الذي أتخذه الله تعالى حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً فمن حقيقة هذا السيد تفرعت الحقائق كلها علواً وسفلاً فأعطى الله تعالى أعلى المقامات، وهو المحبة لأصل الموجودات وهو سيدنا محمد ﷺ، واعلم أن طلب الاتصاف بأوصاف الإلهية حجاب عن التحقق بها في الجملة كما كان سيدنا محمد ﷺ الذي كان من ربه تعالى في القرب بأدنى من قاب قوسين ثم أصبح وليس عليه أثر من ذلك لأنه ما ورد عليه أمر لم يكن فيه ولا ورد عليه شيء لم يكن في فطرته، وأما غيره، يعني سيدنا موسى عليه السلام، فإنه لما ورد عليه أمر غريب ورد عليه أمر أثر فيه فكان يتبرقع من النور الذي كان على وجهه لأنه كان يأخذ بأبصار الناظرين والله تعالى أعلم.

التنبيه السابع: اعلم أن الإنسان الكامل كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية لأنه نسخة العالم الكبير فمن حيث روحه وعقله كتاب عقلي يسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه يسمى كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه يسمى كتاب المحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسها ولا يدرك أسرارها ومعانيها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية، وما ذكرت من الكتب إنما هو أصول الكتب الإلهية، وأما فروعها فكل ما في الوجود تنتقش فيه أحكام الموجودات فهي أيضاً كتب إلهية والله تعالى أعلم.

التنبيه الثامن: اعلم أن رب الأرباب هو الحق تعالى باعتبار الاسم الأعظم، والتعين الأول هو منشأ جميع الأسماء وغاية الغايات، ومتوجه الرغبات، والحاوي لجميع المطالب كلها وإليه الإشارة بقوله تعالى لرسوله ﷺ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النّجم: 42] لأنه ﷺ مظهر التعين الأول فالربوبية المختصة به هي هذه

الربوبية العظمى، واعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة، ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر والموجودات العينية، وتلك الأسماء الإلهية صورة في العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة، ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر والموجودات العينية وتلك الأسماء أرباب تلك المظاهر، فالحقيقة المحمدية صورة للاسم الجامع لجميع الأسماء الإلٰهية الذي منه الفيض على جميعها فهو تعالى ربه، فالحقيقة المحمدية التي هي ترب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها الذي هو رب الأرباب فبظاهرها ترب ظاهر العالم وبباطنها ترب باطن العالم، لأنه صاحب الاسم الأعظم وله الربوبية المطلقة، إنما هي له من جهة مرتبته ﷺ لا من جهة بشريته، فإنه من تلك الحقيقة عبد مربوب محتاج إلى ربه سبحانه وتعالى.

التنبيه التاسع: اعلم أن القطب الذي عليه مدار أحكام العالم وهو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة إنما هو الحقيقة المحمدية وباعتبار حكم الكثرة متعدد فالنبي في كل عصر قطبه، وعند انقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها انقلبت القطبية إلى الأولياء مطلقاً، فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائماً في هذا المقام، ليحفظ الله تعالى به هذا الترتيب والنظام، إلى أن يظهر خاتم الأولياء الذي هو خاتم الولاية المطلقة والله تعالى أعلم.

التنبيه العاشر: اعلم أن الحق تعالى تجلى لذاته بذاته وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة، فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النور الإنساني في الحضرة العالمية، فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً، ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً، فصارت أعياناً ثابتة، فأعيان العالم في العلم والعين وكمالاتها إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم.

التنبيه الحادي عشر: في بيان معاني وصف الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى للحقيقة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم بأنه الحادث الأزلي، والنشء الدائم الأبدي، والكلمة الفاصلة الجامعة، أما حدوثه الذاتي فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب، وأما حدوثه الزماني فلكون نشأته العنصرية مسبوقة بالعدم

الزماني، وأما أزليته فبالوجود العلمي، فعينه الثابتة في العلم أزلية، وكذا بالوجود العيني الروحاني لأنه غير زماني، والفرق بين أزلية الأعيان الثابتة في العلم والأرواح المجردة وبين أزلية الحق تعالى هو أن أزليته تعالى نعت سلبي ينتفي به افتتاح وجودها عن العدم لكن وجودها من غيرها، وأما دوامه وأبديته ﷺ فلبقائه ببقاء موجده تعالى دنيا وأخرى، وأما كونه كلمة جامعة فلإحاطة حقيقته بالحقائق الإلهية والكونية كلها علماً وعيناً، وأما كونه كلمة فاصلة فلأنه هو الذي يفصل بين الأرواح وصورها في الحقيقة وإن كان الفاصل ملكاً معيناً فإنه بحكمه يفصل بينها، وكذلك هو الجامع بينها لأنه الخليفة الجامع للأسماء ومظاهرها، فلما وجد هذا الكون الجامع تم العالم وجوده الخارجي، لأنه روح العالم المدبرة له والمتصرفة فيه وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجود العيني لأنه لما كانت عينه في الخارج مرتبة من العناصر المتأخر وجودها عن الأفلاك وأرواحها وعقولها وجب أن توجد قبله لتقدم الجزء على الكل بالطبع، وكون هذا الكامل ختماً على خزانة الدنيا فهو أيضاً ختم على خزانة الآخرة ختماً أبدياً فيه دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة إنما هي بواسطته ﷺ والمعاني المفصلة لأهلها متفرعة عن مرتبته ومقام جمعه أبداً كما تفرعت أزلاً، فما للكامل من الكمالات في الآخرة لا نهاية لها والله تعالى أعلم.

التنبيه الثاني عشر: اعلم أن إطلاق الصورة على الله تعالى عند أهل النظر إنما هو مجاز لا حقيقة، إذ لا تستعمل حقيقتها إلا في المحسوسات دون المعقولات، وأما عند المحققين فإنها تستعمل في وصف الله تعالى حقيقة لأن العالم بأسره صورة الحضرة الإلٰهية تفصيلاً، والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلٰهية جمعاً، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق آدم على صورته**»[1] فالنشأة الإنسانية حازت صورة الحضرة الإلٰهية وصورة العالم، لأنه أي آدم بروحه حاز رتبة الحضرة الإلٰهية، ورتبة الأرواح الروحانية، وبجسمه حاز رتبة الأجسام، فرتبته حازت الجمع والإحاطة، ولهذا قامت حجة الله تعالى على الملائكة لإحاطته ﷺ بما لم يحيطوا بعلمه والله تعالى أعلم.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب بدء السلام، حديث رقم (5873) [5/ 2299] ورواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم (2612) [4/ 2017] ورواه غيرهما.

التنبيه الثالث عشر: اعلم أن كلاً من الظاهر والباطن ينقسم إلى قسمين باطن مطلق وباطن مضاف وظاهر مطلق وظاهر مضاف، فأما الباطن المطلق فهو الذات الإلٰهية وصفاتها والأعيان الثابتة في علم الله تعالى، والباطن المضاف هو عالم الأرواح، فإنه ظاهر بالنسبة إلى الباطن المطلق وباطن بالنسبة إلى الظاهر المطلق وهو عالم الأجسام، فلذلك أنشأ الله تعالى صورة الإنسان الكامل الظاهرة من حقائق العالم وصوره وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى، فلذلك قال الله تعالى: «كنت سمعه وبصره»[1] فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم عليه السلام كذلك هي سارية في كل موجود من العالم، لكن سريانها وظهورها في كل حقيقة من حقائق العالم إنما هو بقدر استعدادها، واعلم أن لكل فرد من الأفراد الإنسانية نصيباً من الخلافة به يدبر ما يتعلق به من أمر نفسه أو غيره وهو سهمه الذي ورثه من والده الأكبر الذي هو الخليفة ﷺ.

التنبيه الرابع عشر: اعلم أن سيدنا محمداً ﷺ اختص بمقام الجمع فجاء بقول الله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: 11] فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة وبين الجمع والتفصيل والتنزيه والتشبيه بل جامع لجميع المقامات الأسمائية فجمع الله تعالى له في قوله ليس كمثله شيء بين إثبات المثل وبين نفيه في آية واحدة بل في نصفها، وبسبب هذا الجمع والتنزيه والتشبيه قال ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم**»[2] أي جميع الحقائق والمعارف ولهذا جمع الله تعالى له في القرآن جميع ما أنزله من المعاني في كتب الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم فدعا أمته إلى الظاهر في عين الباطن، وإلى الباطن في عين الظاهر، وإلى الوحدة في عين الكثرة، وإلى الكثرة في عين الوحدة، وما دعاهم إلى الغيبة والوحدة وحدها ولا إلى المشاهدة والكثرة وحدها والله تعالى أعلم.

التنبيه الخامس عشر: اعلم أن الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وورثتهم رضي الله

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم (7397) [2/ 250] ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي موسى، باب ما أعطى الله تعالى محمداً، [6/ 318] ورواه غيرهما.

تعالى عنهم خادمو الأمر الإلهي مطلقاً سواء كان الأمر موافقاً للإرادة أو مخالفاً لها، بل هم في نفس الأمر خادمون لأحوال الممكنات من حيث إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم ومنعهم مما يضر دينهم ودنياهم، وهذا الإرشاد والخدمة منهم لهم إنما هي من مقتضيات أعيانهم وأحوالهم الثابتة في الحضرة العلمية دون وجودهم الخارجي، فانظر ما أعجب هذا الأمر إن خادم الأمر الإلهي يكون خادماً للممكنات مع جلالة قدره عند الله تعالى والرسل صلى الله عليهم وسلم خادمو الأمر التكليفي بالحال كإتيانهم بالعبادات والأفعال المثبتة لطريق الحق ليقتدى بهم وبالقول كالأمر بالإيمان والنهي عن الكفر والعصيان وبيان ما يثابون عليه ويعاقبون عليه، وليسوا بخادمي الإرادة إذ لو كانوا خادميها لما منعوا أحداً من فعل ما يتعلق بالإرادة، بل كانوا يساعدونهم فيه والله تعالى أعلم.

التنبيه السادس عشر: في معنى قول الشيخ أي الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى في فصوص الحكم: حكمة فردية في كلمة محمدية، إنما كانت حكمة فردية لانفراده ﷺ بمقام الجمعية الإلهية الذي ما فوقه إلا مرتبة الذات الأحدية، لأنه ﷺ مظهر لاسم الله الأعظم الجامع للأسماء كلها، ولأن أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان عينه الذاتية، وأول ما وجد بالفيض الأقدس من الأكوان روحه، فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية وعينه الثابتة الفردية الأولى، واعلم أن أول الأفراد الثلاثة مازاد عليها، بل هو صادر منها، وهذه الثلاثة الأفراد المشار إليها في الوجود هي الذات الأحدية والمرتبة الإلهية والحقيقة المحمدية المسماة بالعقل الأول، ولما كانت تعطي الفردية الأولى بما هو مثلث النشء قال ﷺ: «**حبب إلي من دنياكم ثلاث**»[1] بما فيه من التثليث وجعلت المحبة التي هي أصل الوجود ظاهرة فيه فقدم ذكر النساء ثم الطيب ثم قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[1] وإنما حبب النساء إليه ﷺ لكمال شهود الحق فيهن إذ لا يشاهد الحق تعالى مجرداً عن المواد أبداً، فإن الله تعالى بالذات غني عن العالمين ولا نسبة بينه تعالى وبين شيء من هذا الوجه أصلاً، فلا يمكن شهوده تعالى مجرداً عن المواد، فإذا كان الأمر من هذا الوجه

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ممتنعاً ولم تكن المشاهدة إلا في مادة فشهود الحق تعالى في النساء أعظم الشهود وأكمله في حال النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب، وأعظم الوصلة الجماع، وهو نظير التوجه الإلهي على خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه مثال صورته، وكذلك الناكح يتوجه لإيجاد ولد على صورته ينفخ بعض روحه فيه يعني النطفة ليشاهد عينه في مرآة ابنه ويخلفه من بعده فصار النكاح المشهود نظير النكاح الأصلي الأزلي بظاهر صورة الإنسان خلق موصوف بالعبودية وباطنه حق لأنه من روح الله تعالى الذي يدبر ظاهره ويربيه إذ هو الظاهر بصورته الروحانية والله تعالى أعلم.

التنبيه السابع عشر: اعلم أن سيدنا محمد ﷺ لما خلق عبداً بالأصالة لم يرفع رأسه قط إلى السيادة مراعاة لما تقتضيه ذاته من العبودية الذاتية الحاصلة من التعين والتقيد وحفظاً للأدب مع الحضرة الإلهية بل لم يزل ساجداً لحضرته متذللاً لربه تعالى واقفاً في مقام عبوديته ورتبة انفصاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعاً لأنه ﷺ قال: «**أول ما خلق الله تعالى نوري**»[1] الذي سماه عقلاً بقوله: «**أول ما خلق الله تعالى العقل**»[1] فأعطاه رتبة الفاعلية بأن جعله خليفة متصرفاً في الوجود العيني معطياً لكل من الوجود العيني في العالم كما قاله، فالروح المحمدية هو المظهر الرحماني الذي استوى على العرش فتعم رحمته على العالمين كما قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107].

التنبيه الثامن عشر: قال الشيخ أي سيدي محيي الدين رضي الله عنه: اعلم أن دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه وأحسنهم صورة، فكان سبب نزول جبريل على سيدنا محمد ﷺ في صورته إعلاماً من الله تعالى أنه ما بيني وبينك يا محمد سفير إلا صورة الحسن والجمال، وهي التي لك عندي فيكون ذلك بشرى له حسناء ولاسيما أن أتى بأمر الوعيد والزجر فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه فيه ذلك الوعيد والله تعالى أعلم.

التنبيه التاسع عشر: قال سيدي محيي الدين رحمه الله تعالى: أعجب ما عندنا

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

من العناية الإلهية التي صحت لنا بسيدنا محمد ﷺ أن كل واحد من الرسل صلى الله عليهم وسلم يحشر جزئي الحكم لاقترانه بطائفة مخصوصة والقطب منا ليس كذلك فإنه عام جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر، وإن كان أرثه عيسوياً أو موسوياً فلا يقدح ذلك فيه فإنه من مشكاة محمدية فله المقام الأعم وقد نبه عليه رسول الله ﷺ بقوله عن طائفة من أمته ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء صلى الله عليه وعليهم وسلم للبركة المحمدية التي نالتهم من مقامه الأعم ﷺ.

التنبيه العشرون: في بيان المعاني المرادة من قول سيدنا محمد رسول الله ﷺ: «**إن الحق تعالى وضع يده بين كتفيه وإنه أحس ببرد أنامله بين ثدييه فعلم ما في السموات وما في الأرض**».

اعلم أن الحق تعالى منزه عن اليد الحسية وأناملها وإنما هي يد امتنان واصطفاء بإفاضة الأنوار النبوية والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد ببصيرته وبصره العوالم كلها أولها وآخرها ظاهرها وباطنها كلياتها وجزئياتها دنيا وأخرى، ولذلك أخبرنا ﷺ بالأوائل والأواخر بما كان وبما يكون في الدنيا والآخرة، لأن الحضرات الكونية صارت أمام بصيرته وبصره حتى أنه كان ﷺ يرى من ورائه كما يرى من أمامه، وإنما خصص وضع اليد بين الكتفين لأن النور الإلهي لا يأتي إلى من خصصه الله تعالى به إلا من ورائه، وأمَّا برد الأنامل التي أحس بها بين ثدييه ﷺ فهو عبارة عن اللذة التي حصلت له بما كشفه الله تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له، وهذا كله إنما هو بمقتضى مرتبته وأما من حيث بشريته فقال: «**إني أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر**»[1] وأمثال ذلك من الستر عليه في بعض الأمور إنما هو لأمر عارض اقتضاه الحكم الإلَهي ولذلك قال ﷺ: «**لست أنسى ولكني أُنسَّى لأَسنّ**»[2].

التنبيه الحادي والعشرون: اعلم أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده الله تعالى بها في نفسه، فإن بعث بها إلى غيره

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، الهمزة مع الميم، حديث رقم (585) [1/ 221].

(2) أورده العراقي في المغني عن حمل الأسفار برقم (3639) [2/ 1000] وقال ذكره مالك في الموطأ بلاغاً بغير إسناد.

كان رسولاً، فتارة ينزل الملك بالوحي على قلبه، وتارة يأتيه على صورة حسنة من خارج، فيلقي ما جاء به على أذنه فيسمعه، وتارة على بصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء، وكذلك سائر القوى الحسية، وهذا باب قد غلق بسيدنا محمد ﷺ ولا سبيل أن يتعبد الله تعالى أحداً بشريعة ناسخة لهذه الشريعة، وإذا نزل عيسى ﷺ فإنما يحكم بهذه الشريعة المحمدية وهو خاتم أولياء هذه الأمة، فإن من شرف سيدنا محمد ﷺ أن الله تعالى ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم وهو ﷺ أن الله تعالى ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم وهو ﷺ يحشر يوم القيامة مع الرسل رسولاً ومع هذه الأمة ولياً تابعاً وإلياس بهذا المقام أيضاً و«أما حالة أنبياء أولياء هذه الأمة فهم كل شخص أقامه الله تعالى في تجل من تجلياته وأقام له مظهر محمد ﷺ ومظهر جبريل ﷺ وهو يلقى خطاب الأحكام المشروعة لمظهر رسول الله ﷺ فيسمع صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه ذلك الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية، فيرد إلى نفسه وقد وعى جميعها وعلم صحتها علم اليقين بل عين اليقين، فأخذ حكم هذا النبي وعمل به على بينة من ربه تعالى، فهؤلاء أولياء هذه الأمة ولا ينفردون بشريعة قط ولا يكون الخطاب بها إلا بتعريفهم أن هذا هو شرح محمد رسول الله ﷺ انتهى هذا آخر كتاب التنبيهات في بيان حقيقة سيد السادات ﷺ.

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف الكبير الشهير سيدي عمر بن الفارض(*) المولود سنة 576هـ = 1181م والمتوفى سنة 632هـ = 1235م

وشارح تائيته الكبرى الإمام
العلامة الشيخ عبد الرزاق الكاشاني رضي الله عنهما

فمن جواهر سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه

[ذكر معجزات الرسل]

قوله في تائيته الكبرى ذاكراً بعض معجزات جماعة من المرسلين صلوات الله

(*) عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة (576هـ - 632هـ = 1181 - 1235م). أبو حفص وأبو القاسم، شرف الدين ابن الفارض: أشعر المتصوفين. يلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يسمى «وحدة الوجود» قدم أبوه من حماة (سورية) إلى مصر فسكنها وصار يثبت الفروض للنساء على الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلب عليه التلقيب بالفارض. وولد له «عمر» فنشأ بمصر في بيت علم وورع. ولما شب اشتغل بفقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري وغيره. ثم حبب إليه سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة (بالقاهرة) وأطراف جبل المقطم. وذهب إلى مكة في غير أشهر الحج، فكان يصلي بالحرم، ويكثر العزلة في وادٍ بعيد عن مكة، وفي تلك الحال نظم أكثر شعره. وعاد إلى مصر بعد خمسة عشر عاماً، فأقام بقاعة الخطابة بالأزهر، وقصده الناس بالزيارة، حتى أن الملك الكامل كان ينزل لزيارته. وكان جميلاً نبيلاً، حسن الهيئة والملبس، حسن الصحبة والعشرة، رقيق الطبع، فصيح العبارة، سلس القياد، سخياً جواداً. وكان أيام ارتفاع النيل يتردد إلى مسجد في «الروضة» يعرف بالمشتهى، ويحب مشاهدة البحر في المساء. وكان يعشق مطلق الجمال. ونقل المناوي عن القوصي أنه كانت للشيخ جوارٍ بالبهنسا، يذهب إليهن فيغنين له بالدف والشبابة وهو يرقص ويتواجد، قال المناوي: «ولكل قوم مشرب، ولكل مطلب، ليس سماع الفساق كسماع سلطان العشاق» ثم قال: «واختلف في شأنه، كشأن ابن عربي، والعفيف التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذه الششتري، وابن مظفر، والصفار، من الكفر إلى القطبانية، وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية» وقال الذهبي: كان سيد شعراء عصره وشيخ «الاتحادية» وأورد ابن حجر أبياتاً صرح فيها ابن =

عليهم، وإنها اجتمعت لسيّدنا محمد ﷺ:

بـذاك عـلا الـطـوفـانَ نـوحٌ وقـد نـجـا ... بـه مَـن نـجـا مـن قـومِـهِ فـي الـسـفـيـنـةِ
وغـاضَ لـه مـا فـاضَ عـنـهُ اسـتـجـادةً ... وجـدّ إلـى الـجُـودِي بـهـا فـاسـتـقـرتِ
وسـارَ ومـتـنُ الـريـح تـحـتَ بـسـاطـه ... سُلَـيـمـان بـالـجـيشـيـن فـوقَ الـبـسـيـطـة
وقبل ارتدادِ الطرفِ أُحضرَ مِن سبا ... لـه عـرشُ بـلـقـيـس بـغـيـرِ مـشـقّـة
وأخـمـدَ إبـراهـيـمُ نـارَ عـدوّه ... وعـن نـورِهِ عـادت لـه روضَ جـنّـة
ولـمـا دعـا الأطـيـارَ مِـن كـلِّ شـاهـقٍ ... وقـد ذُبـحَـتْ جـاءَتـهُ غـيـرَ عـصـيَّـة
ومِـن يـدِهِ مُـوسـى عـصـاهُ تَـلَـقّـفَـتْ ... من السّحر أهوالاً على النّفس شقّت
ومـن حـجـرٍ أجـرى عـيـونـاً بـضـربـة ... بـهـا ديـمـاً سَـقّـت ولـلـبـحـر شـقـت
ويـوسـفُ إذ ألـقـى الـبـشـيـر قـمـيـصـه ... عـلـى وجـه يـعـقـوب إلـيـه بـأوبـة
رآه بـعـيـنٍ قـبـلَ مَـقـدَمِـه بـكـى ... عـلـيـه بـهـا شـوقـاً إلـيـه فـكُـفّـت
وفـي آل إسـرائـيـلَ مـائـدةٌ مـن ... الـسـمـاء لـعـيـسـى أنـزِلَـت ثـمَّ مُـدّت
ومـن أكـمـهٍ أبـرا ومـن وضـحٍ عـدا ... شـفـى وأعـادَ الـطـيـنَ طـيـراً بـنـفـخـة
وسـرُّ انـفـعـالاتِ الـظـواهـرِ بـاطـنـاً ... عـن الأذن مـا ألـقـت بـأذنـك صـيـغـت
وجـاءَ بـأسـرارِ الـجـمـيـعِ مُـفـيـضُـهـا ... عـلـيـنـا لـهـم خَـتـمـاً عـلـى حـيـن فَـتْـرَة

قال شارحها المذكور الشيخ عبد الرزاق الكاشاني: وهذه المعجزات وأمثالها مفصّلة في جميع الأنبياء مجموعة في خاتمهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين، كما قال: وجاء بأسرار الجميع مفيضها إلى آخر البيت المذكور، أي جاء بأسرار جميع الانفعالات التي هي آثار المعجزات الحاصلة للأنبياء عليهم السّلام وعلى نبيّنا محمد ﷺ الذي أفاضها علينا لأجل الختم، على زمان فترة وانقطاع رسالة.

والمراد أنه لما كان خاتم الأنبياء جمع جميع أسرارهم التي هي الآثار

= الفارض بالاتحاد، كقوله:

«وفـي مـوقـفـي لا بـل إلـي تـوجـهـي ... ولـكـن صـلاتـي لـي ومـنـي كـعـبـتـي»

له «ديوان شعر» جمعه سبطه علي وهو مطبوع في الدار. وشرحه كثيرون منهم حسن البوريني وعبد الغني النابلسي. وشرحاهما مطبوعان في الدار. ولمحمد مصطفى حلمي «ابن الفارض والحب الإلهي» وليوحنا قمير «ابن الفارض». الأعلام للزركلي (5/ 55).

والانفعالات المنسوبة إليهم؛ إذ جميع القرآن هو صورة تفاصيل أحواله وأخلاقه ﷺ، كما قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: كان خلقه القرآن. فجميع الأنبياء مظاهر تفاصيل أحواله وأخلاقه ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: كان خلقه القرآن[1]. فجميع الأنبياء مظاهر تفاصيل أحواله وأخلاقه ﷺ قد بدا للخلق في صورة كل نبيّ ومرسل سرّ من أسراره ﷺ.

وكان أي ذلك النبيّ داعياً إلى الله تعالىٰ قومه بذلك السرّ بتبعية الرسول ﷺ؛ كما قال، أي ابن الفارض رضي الله عنه:

وما منهم إلا وقد كان داعياً به قومه للحق عن تبعية

أي: وما أحد من الأنبياء إلا كان داعياً قومه إلى الحق دعوة صادرة عن تبعيّته ﷺ، وكما أن الأنبياء قبل بعثة الرسول ﷺ كانوا رسلاً إلى قومهم بما نالوا من تفاصيل أسراره، كان علماء أمّته بعده كالأنبياء قبله، من حيث إنهم داعون الخلق إلى الحقّ على متابعته ﷺ بواسطة ما نالوا من تفاصيل أسراره وأحواله وأخلاقه ﷺ، ولم يسموا أنبياء لأنهم بعثوا بعد الختم، والأنبياء مبعوثون قبله ﷺ.

ومن جواهر ابن الفارض رضي الله عنه

[في شرح قول من التائية]

قوله من تائيّته أيضاً على لسان النبيّ ﷺ:

وأهل تلقي الروح باسمي دعوا إلى سبيلي وحجوا الملحدين بحجتي

قال شارحها الكاشاني المذكور رضي الله عنه: الأخذ، والمراد بأهل تلقّي الروح: الأنبياء، والمراد بالروح جبريل، وبالسبيل طريق التوحيد، وبالاسم ما غلب على كل شيء من الأسماء الإلٰهية الذي به دعا قومه.

وكان إعجازه نتيجة ذلك الاسم كالمحيي الذي أحيا عيسى عليه السّلام به الموتى، وأعجز به قومه عن الإتيان بمثله، وصار دليل نبوّته ﷺ وصدقه وغلب على المنكرين له.

(1) رواه الطبراني في الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (72) [1/ 30] ورواه أحمد في المسند عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، حديث رقم (24645) [6/ 91] وحديث رقم (25341) [6/ 163] وحديث رقم (25855) [6/ 216]. ورواه غيرهما.

وقوله: **حجوا**، أي أغلبوا بالحجة، **والملحد** من مال عن الطريق القويم والدين المستقيم، يعني أن الأنبياء الذين تلقوا الوحي من جبريل عليه السّلام ودعوا الخلق إلى سبيل التوحيد بما خصّصتهم من الأسماء الإلٰهية الموهوبة لي كعيسى عليه السلام الذي دعا قومه إلى الله تعالىٰ باسم الخالق والمحيي والمبرئ؛ كما دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: 110] الآية، وغلبوا على الجاحدين بحجتي، وهي أنهم تحدّوهم بأن يأتوا بمثل ما أتوا به من المعجزات فلم يقدروا على الإتيان به، وأضاف حجتهم إلى نفسه بطريق الحكاية عن صدر الرّسالة ﷺ، ثم قال على لسانه ﷺ:

وكلهمُ عن سبق معناي دائر ... بدائرتي أو وارد من شريعتي

قال الشارح: أراد **بكلهم**: كل واحد من الأنبياء، **وبمعناي**: روح النبيّ ﷺ التي سبقت أرواح الأنبياء عليهم السّلام، **وبدائرتي**: دائرة نبوّة محمد ﷺ، وصرح بتقدمه ﷺ على جميع الأنبياء بقوله رضي الله عنه على لسانه ﷺ:

وإني وإن كنت ابنَ آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

قال الشارح: يعني وإني أصل آدم وأبوه من حيث المعنى وإن كنت فرعه، وابنَه من حيث الصورة، وذلك لأن حقيقة الرسول ﷺ ومعناه هو الروح الإضافي الذي نفخ منه نفخة في آدم هي روحه، ومعناه: فمعناه ﷺ أصل معنى آدم عليه السلام، ثم قال:

ونفسي عن حِجْر التجلي برشدها ... تخلت وفي حِجْر التجلي تربت
وفي المهد حزبي الأنبياء وفي عنا ... صريْ لوحيَ المحفوظ والفتح سورتي
وقبلَ فصالي دون تكليف ظاهري ... ختمتُ بشرعي الموضحي كلَّ شرعة
فهم والأُلَى قالوا بقولهمُ على ... صراطيَ لم يعدوا مواطئ مشيتي

قال الشارح: يعني والنبيون الذين أوضحوا الشرائع والذين قالوا بقولهم وتمسّكوا بشرعهم من الأولياء قائمون على صراطي المستقيم ومنهجي القويم، والحال أنهم لم يجاوزوا موضع وطأ مشيتي، وذلك أني برزت في كل منهم بوصف معين واسم خاص، فظهرت فيهم بجميع أوصافي وأسمائي، فالماشي على الصراط في الحقيقة أنا، وهم يتبعون مواطئ سيري. ولما جمع كمال النبيّ ﷺ متفرّقات أوصاف الكمال المنقسم على السابقين واللاّحقين من الأنبياء والأولياء كانت تحت

يده وفي تصرّفه؛ كما قال رضي الله عنه حاكياً عنه ﷺ:

فَيُمْنُ الدعاةِ السابقينَ عليّ في ... يميني ويُسر اللاحقينَ بيسرتي

ولا تحسبنّ الأمرَ عنيَ خارجاً ... فما سادَ إلا داخلٌ في عبودتي

قال الشارح: أي لا تظننّ أمر الدعوة والتكميل خارجاً عني لأنه ما صار أحد سيّد القوم إلاّ من دخل في طاعتي، وفي اتّباعي لأني قطب الوجود وأصل الشهود ومأخذ العهود، كما قال:

فلولاي لم يُوجد وجودٌ ولم يكُن ... شهودٌ ولم تُعْهَد عهودٌ بذِمّة

قال الشارح: وإنما لم يوجد وجود إلاّ به ﷺ لأنه صورة الروح الأعظم وهو رابطة الإيجاد، وكذا لم يكن شهود للمكاشفين إلاّ به لأن الشهود صفة الروح وروحه ﷺ أصل الأرواح، وكذا لم يرع عهود مع ذمة ووفاء إلاّ به ﷺ لأنه هو الذي أخذ عليه الميثاق أولاً في العهد الأزليّ، ثم أوفى بعده ﷺ، وكل ذي عهد أوفى بعهده الأزليّ من الذوات المأخوذ عليهم الميثاق عهده مستفاد من عهده ﷺ، ثم أخذ في بسط القول ليفصّل ما أجمل من معنى البيت بقوله على لسانه ﷺ:

فلا حيَّ إلا عن حياتي حياته ... وطوعُ مُرادي كُلّ نفس مُريدة

ولا قائلٌ إلا بلفظي محَدِّثٌ ... ولا ناظرٌ إلا بناظر مُقْلَتي

ولا مُنصتٌ إلا بسمعيَ سامعٌ ... ولا باطشٌ إلا بأَزْلي وشدّتي

ولا ناطقٌ غيري ولا ناظرٌ ولا ... سميع سِوائي من جميعِ الخليقة

قال الشارح: ثم أخبر عن شمول وجوده ﷺ كل العوالم من الشهادة والغيب والملكوت والجبروت وعموم ظهوره ﷺ قوله رضي الله عنه:

وفي عالم التركيب في كل صورة ... ظهرت بمعنى عنه بالحسن زِينَت

وفي كل معنى لم تبنه مظاهري ... تصوّرت لا في هيئة هيكليّة

وفيما تراه الروح كشف فراسة ... خفيت عن المعنى المعنّي بدقّة

قال الشارح: أي وفي عالم الشهادة الذي هو عالم التركيب والصور ظهرت في كل صورة بمعنى الجمال الذي زينت الصورة عنه بالحسن، وفي عالم الغيب الذي هو باطن الشهادة صرت مقصوداً في كل معنى لم تظهره ظواهر الوجود التي هي مظاهري، أي تصوّرت في هيئة معنوية لا هيكلية جسمانية، وفي عالم الملكوت والجبروت الذي هو باطن الباطن، وغيب الغيب.

خفيت بسبب دقّتي ولطافتي عن المعنى الفكري الذي يُعَنَّى به الفكر في صورة الأسماء والصفات التي يراها الروح بطريق كشف وفراسة وبداهة من غير تعنٍّ وكلفة، يعني أنا الذي ظهرت في الصورة الحسّية، والعقلية، والروحية للحس، والعقل، والروح، لكن خفيت في الصورة الروحية عن العقل الذي يدرك المعاني المعنِيَّة كما خفيت في الصور العقلية عن الحس الذي يدرك الصور الهيكلية.

[جواهر] الإمام المحقق أحد أكابر الصوفية الشيخ عبد الكريم الجيلي(*) الشافعي اليمني المولود سنة 767هـ = 1365م والمتوفى سنة ٨٣٢هـ في كتابيه الإنسان الكامل والكمالات الإلهية

[التعريف به]

وهو رضي الله عنه من أكابر العارفين، وأئمة الصوفية المحققين، السالكين على

(*) عبد الكريم الجيلي: هو الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، الملقّب بقطب الدين، المولود سنة 767هـ/ 1365م، والمتوفى على قول سنة 832هـ/ 1428م. الجيلي نسبة إلى قرية جيل التابعة لمنطقة بغداد. ومن الباحثين من أضاف إلى اسمه كلمة القادري نسبة إلى تعاليم الطريقة القادرية التي مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني. وهذه النسبة قد تكون صحيحة لوجهين:
الأول: أن الشيخ الجيلي كان متأثراً بالشيخ عبد القادر الجيلاني، فكثيراً ما يستشهد به في كتبه ويروي عنه، شأنه في ذلك شأن شيخه الشيخ إسماعيل الجبرتي.
الثاني: أن الشيخ الجيلي هو ابن بنت الشيخ عبد القادر الجيلاني، وبذلك تكون نسبة الجيلي إلى القادري نسبة نسب وليست نسبة طريقة.
وهذا ما أرجّحه لأني أعتبر الجيلي صاحب مدرسة وتعاليم خاصة به.
ولُقِّبَ الجيلي بقطب الدين، وهذا اللقب كافٍ في الدلالة على تضلّعه بعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة، أو نقول: الإسلام والإيمان والإحسان؛ أي الفقه والتوحيد والتصوّف؛ أو نقول: الملك والملكوت والجبروت؛ لأن الشريعة الشارحة للمقام الأول من مقامات الدين الإسلامي الكامل الإسلام، تقابل عالم الملك المتعلق بجسد الإنسان، والتوحيد الشارح للمقام الثاني الإيمان، يقابل عالم الملكوت المتعلق بقلبه والتصوّف الشارح للمقام الثالث الإحسان، يقابل عالم الجبروت (أي عالم الأمر) المتعلق بروحه.
ومن الشيوخ الذين لم يعاصرهم الجيلي لتقدمهم عنه بقرنين، ولكنه رغم ذلك تأثّر بهم بواسطة الأخبار التي تحدثت عنهم وبواسطة مؤلفاتهم التي وصلت إليه، الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي من مشاهير أئمة التصوّف في القرن السادس والسابع الهجري، فهو يعتبر صاحب فلسفة وحدة الوجود التي بلورها في كتابه «فصوص الحكم» فإن H. Ritter اعتبر الجيلي تلميذاً روحياً وفكرياً للشيخ الأكبر، كما اعتبره شارحاً ومبلوراً لتعاليم الشيخ الأكبر من =

....

= حيث العلاقة بين الحق والخلق والوحدة والكثرة، أي من حيث الوجود الواحد الواجب وتنزلاته أو تجلياته في المراتب الحقية والخلقية. واعتبر الزيادات التي أتى بها الجيلي هي زيادات شرح وتفسير وليست زيادات في أصل فكرة وحدة الوجود أو الإنسان الكامل. واعتبر معارضة الجيلي للشيخ الأكبر هي معارضة في الشكل وليست في المضمون، إلا أنه قال: «إن أسلوب الجيلي في كتاباته أكثر تنسيقاً وذات بنية جدلية واضحة تساعد القارىء على فهم أسلوب الصوفية».

يقول الأستاذ بوركهارت: Titus Burckhardt إنّ الجيلي مكمِّل للتعليم الميتافيزيقي لهذا المعلِّم الكبير. الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، وإنه إذا ما عارض هذا الأخير في بعض الأحيان فإن ذلك ليس إلا من حيث الشكل وليس من حيث الجوهر؛ فضلاً عن أنه يذكرنا هو نفسه: «أن جميع الحقائق المتناقضة تتحد في حقيقة واحدة هي (الحق)». وإذا ما قارنا تعليم ابن عربي بتعليم الجيلي فإننا نجد أن تعليم هذا الأخير هو أكثر منهجية من عدّة أوجه، إذ يتضمن هندسة كلامية أكثر بروزاً يشكِّل فائدة للقارىء الذي يألف هذه الناحية من الصوفية». وجاء في الموسوعة الإسلامية»: L'Encyclopédie de l'Islam والجيلي نصير الصوفي الحلولي. القائل بوحدة الوجود. الشهير بابن عربي بيد أنه علّق على «فتوحات» هذا الأخير وطوّر وعدّل مذاهبه».

أما Morijan Molé فمن ناحية اعتبر فلسفة الجيلي تلخيصاً لفلسفة الشيخ الأكبر إلا أنها من ناحية أخرى مستقلة عنها لأنها تنشر تصوّر فلسفة الإنسان الكامل، يقول»: Mole إن كتابه الأكثر رواجاً هو «الإنسان الكامل» الذي بعد أن رسم فيه ميتافيزيقية تمت بصلة لميتافيزيقية ابن عربي ولكن مستقلة عنها، طوّر فيها مفهوم «الإنسان الكامل».

ويقول الدكتور أبو العلا عفيفي في مقدمة كتابه «التعليقات على كتاب فصوص الحكم» مؤيداً الفكرة القائلة بأن أسلوب الجيلي في عرضه لفلسفة وحدة الوجود أو الإنسان الكامل أو شرح العلاقة بين الوحدة والكثرة أكثر تنظيماً من نظيرتها عند الشيخ الأكبر في الفصوص: «وليس في الفصوص فكرة منظمة تشرح العلاقة بين الحق والخلق والوحدة والكثرة على نحو ما نجده في فلسفة أفلاطون في الفيوضات أو فلسفة عبد الكريم الجيلي في «التنزلات الإلٰهية». انتهى.

ولما قلته في نسبة فلسفة وحدة الوجود إلى الشيخ الأكبر، أستطيع أن أقول بأن الجيلي هو صاحب فلسفة الإنسان الكامل ولو أنها برزت هي أيضاً عند من تقدمه من فلاسفة الصوفية كالشيخ الأكبر ومن قبله الجنيد والحلاج وذي النون المصري وسهل التستري وأبو يزيد البسطامي وغيرهم، فالجيلي هو الذي أفرد لها كتاباً سماه «الإنسان الكامل» شرح فيه وفي غيره من الكتب ككتاب «مراتب الوجود وحقيقة كل موجود» فلسفته شرحاً وافياً مستوعباً. فلذلك نسبت هذه الفلسفة إليه كما نسبت فلسفة وحدة الوجود إلى الشيخ الأكبر.

هذا وقد ذكر الشيخ الجيلي بعض الحقائق الإلٰهية التي كُشِفَت له والتي خالف فيها الشيخ الأكبر =

....

= محيي الدين بن عربي، وهذه المسائل هي التالية:
أولاً: إيجاد الأشياء من العدم. فالجيلي يرى أن القدرة هي إيجاد الأشياء من العدم، بينما يرى الشيخ الأكبر أن القدرة هي إبراز الأشياء من الوجود العلمي إلى الوجود العيني.
ثانياً: تسمية الله مختاراً. فالشيخ الأكبر محيي الدين يذهب إلى أنه لا يجوز أن يسمّى الله مختاراً لأنه لا يفعل إلا ما اقتضاه العالم من نفسه، بينما يذهب الجيلي إلى القول بأن الإرادة الإلٰهية المخصصة للمخلوقات صادرة من غير علّة ولا سبب بل بمحض اختيار إلٰهي.
ثانياً: هل علم الله مستفاد من اقتضاء المعلومات أم بعلم أصلي منه تعالى. يذهب الشيخ محيي الدين بن عربي إلى القول بأن علم الله تعالى مستفاد من اقتضاء المعلومات فتكون المعلومات هي التي أعطت الحق العلم من نفسها. أما الشيخ عبد الكريم الجيلي فيقول: «إن الله تعالى يعلم الأشياء بعلم أصلي منه غير مستفاد مما عليه المعلومات فيما اقتضته من نفسها بحسب حقائقها الثابتة في علمه تعالى».
رابعاً: هل ذات الله مُدْرَكَة أم صفاته؟ يقول الجيلي: إنّ ذات الله مدركة إلا أنّ صفاته تعالى غير مدركة. وهذا بخلاف ما يقول الشيخ الأكبر.
مؤلفات الجيلي: قبل أن نتحدث عن خلاصة فلسفة الإنسان الكامل عند الشيخ الجيلي لا بد من الإشارة إلى أن مؤلفاته بلغت ثلاثين كتاباً تحدّث فيها عن المعارف الإلٰهية، وهذه المؤلفات هي التالية:
1. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل.
2. الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمٰن الرحيم.
3. مناظرة علية أو مناظرة إلٰهية.
4. رسالة السفر القريب.
5. الكمالات الإلٰهية في الصفات المحمدية.
6. قاب قوسين وملتقى الناموسين.
7. رسالة حقيقة اليقين وزلفة المتمكين.
8. النوادر العينية في البوادر الغيبية أو المعارف الغيبية.
9. مراتب الوجود وحقيقة كل موجود.
10. شرح مشكلات الفتوحات المكية.
11. الناموس الأعظم والقاموس الأقدم.
12. حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه الخلائق.
13. سرّ النور المتمكّن في معنى خلق المؤمن مرآة المؤمن.
14. لوامع البرق.
15. الإسفار عن نتائج الأسفار أو «الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار».
16. غنية أرباب السماع. =

منهج الشيخ الأكبر سيدنا محي الدين رضي الله عنهم أجمعين، وهو صاحب كتاب الإنسان الكامل وقد نقلت منه في ما تقدم من هذا الكتاب كما نقلت من كتابه الكمالات الإلٰهية وكل كتبه رضي الله عنه لا نظير لها في معناها، ومن ذلك كتابه الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في قدر النبي ﷺ وقد ذكر في مقدمات أجزائه أنه أربعون جزأ ولم أطلع منه بعد البحث الشديد والطلب الذي ما عليه من مزيد إلا على ثلاثة أجزاء العاشر والحادي عشر والثاني عشر أما العاشر وهو المسمى بكتاب «**قاب قوسين وملتقى الناموسين**» فسأذكره في ذكره بحروفه وقد اطلعت على ثلاثة نسخ منه **الأولى**: استكتبتها من المكتبة العمومية الخديوية المصرية، **والثانية**: كتبت بطلبي من المكتبة المحمودية في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، **والثالثة**: ظفرت بها في ضمن مجموعة اشتريتها من تاجر كتب جاء بها من حلب، وقد صححت نسختي الآتية في هذا الكتاب على هذه الثلاث نسخ فجاءت أفضلها وأصحها وهذا الجزء هو أجمع وأنفع الأجزاء المذكورة في التغيير عن علو قدره ﷺ ولذلك ذكرته بحروفه وإن وجد فيه عبارات قليلة معترضة بحسب الظاهر عند من لا يعرف تأويلها ومتى عرف تأويلها فلا اعتراض منها قوله في أحد الأبيات التي مدح بها النبي ﷺ في مقدمته:

شـــأن الإلـــه وعـــيـــن واحـــد ذاتـــه

=

17. لسان القدر.
18. القصيدة الواحدة.
19. عقيدة الأكابر المقتبسة من أحزاب وصلوات.
20. روضة الواعظين.
21. شرح أسرار الخلوة.
22. منزل المنازل في معنى التقربات بالفرائض والنوافل.
23. كشف الغايات شرح كتاب التجليات.
24. عيون الحقائق في كل ما يحمل من علم الطرائق.
25. بحر الحدوث والقدم وموجود الوجود والعدم.
26. الكنز المكتوم الحاوي على سر التوحيد المجهول والمعلوم.
27. مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب.
28. الوجود المطلق المعرّف بالوجود الحق.
29. سفر الغريب.
30. نسيم السحر.

وهذا بحسب الظاهر منكر يجب انتقاده ولا يجوز اعتقاده وتأويله أن الإضافة في قوله عين واحد ذاته للتشريف والمعنى أنه ﷺ عين الواحد المضاف للذات الإلٰهية إضافة تشريف لأنه مخلوق من نورها الذاتي وغيره مخلوق من أنوار الصفات كما ذكره الشيخ الجيلي نفسه وغيره من سادات الصوفية، ومن ألفاظه المتشابهة المخالفة بحسب الظاهر للعقيدة الإسلامية قوله في أوائل الباب الأول منه من قول الحق جل وعلا إني قد اختلست من ذاتي نسخة جامعة لأسمائي وصفاتي ألخ يعني محمداً ﷺ، وهذه العبارة معترضة منتقدة ولا يجوز أن تكون بحسب ظاهرها عند أحد من المسلمين فضلاً عن العارفين معتقده وقد نبه هو على الاعتراض عليها بقوله قبلها فحينئذ برزت إشارة كنهيه بعبارة منهية وتأويلها أن يقال في قوله إني قد اختلست من ذاتي أن لفظ من للابتداء لاللتبعيض يعني أن خلق النبي ﷺ ناشئ عن الذات لا عن الأسماء والصفات كما تقدم وليس المعنى إنه ﷺ بعض ذاته تعالى وتقدس وأصل الاختلاس الأخذ خفية ومن المتشابهة المخالفة بحسب الظاهر للعقيدة الاسلامية قوله في الباب الثالث: واما كماله الحقي الذي قد حياه الله تعالى به فأعظم من أن يدرك له غور أو يعرف له غاية إذا كان ﷺ متحققاً بجميع الأخلاق الإلٰهية قال وقد أوردت ذلك صفة واسماً اسماً في كتابنا الموسوم بالكمالات الإلٰهية في الصفات المحمدية: انتهت عبارته وكتابه هذا قد تقدم النقل عنه في هذا الكتاب وقوله إنه ﷺ كان متحققاً بجميع الأخلاق الإلٰهية التي ينبغي تخلقه بها ﷺ وتليق به ويليق بها لا بالأخلاق الإلٰهية التي لا تليق بالمخلوق كما ذكرت ذلك في ما تتقدم عنه النقل من كتابه المذكور الكمالات الإلٰهية وتطبيق الصفات صفة صفة واسماً واسماً.

ومن ألفاظه المتشابهة المخالفة بحسب الظاهر للعقيدة الإسلامية قوله في الباب الرابع: ورسول الله ﷺ مخلوق من ذاته فمحتده الذات وتأويله كما تقدم أن من في قوله من ذاته هي للابتداء لا للتبعيض أي خلقه ﷺ ناشئ عن ذات الله تعالى بخلاف غيره فخلقهم ناشئ عن صفاته تعالى، هذا ما يتعلق في الجزء العاشر الذي سأذكره بحروفه.

وأما الجزء الحادي عشر المسمى بالنور المتمكن في معنى قوله المؤمن مرآة المؤمن والجزء الثاني عشر المسمى لسان القدر بكتاب نسيم السحر فإنهما قد اشتملا على ما يتعلق بعلو قدر النبي ﷺ وعلى معان أخرى دقيقة صوفية لا تعلق لها بحسب الظاهر بالنبي ﷺ وإنما استطرد لذكرها لمناسبات دقيقة يعلمها هو وأمثاله رضي الله عنه وعنهم ولذلك ذكرت من هذين الجزئين ما يتعلق في وصفه ﷺ فقط

وقد استكتبتهما من المكتبة الخديوية المذكورة، واعلم أن أجزاء هذا الكتاب الثلاثة المذكورة وهي العاشرة والحادي عشر والثاني عشر كل واحد منها كتاب مستقل لا تعلق له في ما قبله ولا في ما بعده ولا أدري هل يوجد هذا الكتاب الناموس الأعظم جميعه الأربعين جزء في مكان واحد أو لا لأني بعد كمال البحث في فهارس المكاتب لم أطلع منه إلا على هذه الأجزاء الثلاثة فأطلب ممن يطلع على شيء منه أن يجتهد في نشره لعموم النفع به خدمة لله تعالى وحبيبه الأعظم ﷺ فإن هذا الكتاب لا نظير له في معناه ومؤلفه من أجل الأولياء الذين اطلعهم الله تعالى على علو قدر حبيبه ومصطفاه ﷺ.

[ومن جواهره كتابه الناموس الأعظم والقاموس الأقدم]

وهذا نص الجزء العاشر من كتابه المذكور المسمى بقاب قوسين وملتقى الناموسين رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي جعل محمداً ﷺ مجلاه الأعز الأكمل، الأفخر الأفضل، الأمجد الأعظم، محل نظره من العالم، ومظهر ذاته من بني آدم، ومرآة جماله وجلاله وكماله الأكمل الأقوم، وترجمان صفاته إلى مخلوقاته بين الحدوث والقدم، باللسان الأقدم أكمل كملاء الوجود المبهم، طراز حلة الصورة والمعنى المعلم، تاج فرق الجمع المحكم، واحد الدهر الأزلي المدغم، سر الله في الوجود، وخزانة الكرم والوجود، سلطان الحقيقتين الرقيقتين،، وواحد الوجهين، وموصوف الوصفين، وحاوي المعنيين، وحائز الكمالين، من العين والأين، المنفرد بالأكملية صورة ومعنى، صاحب قاب قوسين أو أدنى.

عين الوجود وواحد الموجود ... مجلى محاسن حضرة المعبود
وحقيقة الاسم الذي لصفاته ... خضعت رقاب معاند وحجود
متوحد في كل فضل باهر ... ووحيد فرد حقيقية التوحيد
كل الكمال عبارة عن خردل ... متحقر في عزه المصمود
شأن الإله وعين واحد ذاته ... المجتبى بصعوده لسعود
خال الملاحة نور ضوء جبينها ... قد عم مسبوق الفنا بوجود
سعدت به الأكوان طراً إنما ... بالأصل يسعد فرع كل سعيد
روح المعاني والأواني جملة ... معنى الوجود وصورة الموجود
ذاك النبي الهاشميّ محمد ... عبد الإله خليفة المحمود

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

مـا صـب وبـل سَـجَـمـاً[1] أو لاح بـرق أضـرمـا

فـي جـنـح لـيـل أظـلـمـا

أما بعد: فهذه رسالة مني إلى عشاق حضرة الكمال، ومحبي بهجة الجمال، ومريدي نسخة الجلال، أعني قوماً عقدوا مع الله على حب الحبيب المختار، ولازموا شريعته متعلقين بأذيال عزه آناء الليل وأطراف النهار، قد تشربت جسومهم بما أفاضت عليها القلوب من خمر حبه المنزه عن الخمار.

قـوم بـأحـمـد فـي الـكـرام تـمـسـكـوا وبـحـبـه فـي الـعـالـمـيـن تـهـتـكـوا

وبـجـاهـه فـتـعـلـقـوا وتـشـبـكـوا فـوداده حـج لـهـم وتـنـسـك

لا يرتجون سواه في المقصود

يـبـغـون أحـمـد عـنـد غـايـات الـمـنـى وبـه يـحـوزون الـمـسـرة والـفـنـا

مـتـوسـلـيـن بـه يـرجـون الـغـنـى لله در قـلـوبـهـم لـهـم الـهـنـا

حلوا به في منزل المسعود

الـحـب أبـكـاهـم وأنـحـل جـسـمـهـم ومـحـا وأفـنـى في الـحـقـيـقـة رسـمـهـم

قـد أدغـمـوا في نـعـت أحـمـد اسـمـهـم مـذ قـد دعـا داعـي الـمـحـبـة وسـمـهـم

فهم لأحمد من أقل عبيد

شـربـوا بـكـاسـات الـمـحـبـة مـتـرعـاً فـلـذاك قـد صـرعـوا وبـالـك مـضـرهـا

نـالـوا الـفـخـار بـه وطـابـوا مـنـبـعـا وزكـت أصـولـهـم بـفـرع أيـنـمـا

فهم بأحمد في علا وصعود

مـتـحـقـقـيـن بـنـوره فـي قـدسـهـم أحـيـاء قـد عـاشـوا بـه فـي رمـسـهـم

مـتـطـلـعـيـن لـحـسـنـه فـي أنـسـهـم مـتـشـرعـيـن بـفـعـلـه فـي حـسـهـم

خلفاؤه في عزة وسعود

ولاهـم الـرحـمٰـن عـنـه نـيـابـة مـلـك الـوجـود عـنـايـة ومـنـابـة

فـعـلاهـم مـن عـز أحـمـد هـابـه نـور تـلـبـيـه الـقـلـوب إجـابـة

(1) السَّجَم: الماء والدَّمع، والوَبْلُ والوابل: المطر الشديد الضخم القطر. (لسان العرب) و(القاموس المحيط).

مهما ادعوا للعشق ود ودود

رضي الله عنهم وأرضاهم، وحرسهم ووالاهم، وجمعنا في مقعد مع النبي وإياهم، اعلموا إخواني أوصلنا الله تعالى وإياكم إليه ودلنا جميعنا به عليه، أن الطرائق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق للعوام، وليس إلا طريقة واحدة لخواصه الكرام، وذلك معنى قوله تعالى على لسان حبيبه محمد ﷺ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 153] وذلك السبيل القويم والطريق المستقيم، هو الحجة البيضاء، والحنيفية السمحاء، شريعة خير الأنام، وطريقة المبعوث إلى الخواص والعوام، عليه أفضل الصلاة والسلام، قد انسد في الظاهر كل طريق غير طريقه، وانغلق في الباطن كل باب غير باب تحقيقه، فلا سبيل إلى نيل السعادة الكبرى إلا بوسيلته، ولا وصول للزلفة العليا إلا بواسطة فضيلته، وكل ولي إنما يستمطر سحابها، ويستهل عبابها، وكل من ظن أنه يعرج بغير وساطته، فإنما صعوده هبوط في سجنه وحثالته، ، فعليكم بالتعلق بجانبه الرفيع والتمسك بالعروة الوثقى من جاهه المنيع، مع دوام استحضار تلك الصور الكاملة، التي هي لمعاني الوجود وصورة جامعة شاملة، حتى تفيض لكم الأسرار على الأرواح والأرواح على القلوب والقلوب على النفوس والنفوس على الجسوم من حبه شراباً معنوياً تنتعش به الأرواح والأشباح مذهباً معدماً أطلالكم والرسوم فتذهبون ويكون ﷺ فيكم عوضا منكم عنكم، لتنالوا حينئذ بقابلية حقيقته المشرفة بوجودكم، ما لم ينله كون من الأكوان في معرفة معبودكم لأن الله سبحانه وتعالى خص محمداً ﷺ بالتجليات الكاملة الكبرى التي لم يقبلها قابلية أحد غيره دنيا ولا أخرى فإذا أشرقت أرض وجودكم بنور شمسه الظاهر، واستنشقت مشام أرواحكم من خزامى تلك الرياض الناضرة، واستوت ذواتكم بنصيبها من قابليته على بعض تلك المجالي فأصبحت إلى ربها ناظرة وها أنا أبين لكم في هذه الورقات، ، وأكشف إن شاء الله تعالى نقاب الجهل عن وجوه أسباب هذه المعاني المخدرات، لتعرفوا مقداره ﷺ فتأخذوا بحقائقكم من قابلية النصيب الأعظم، وعند ذلك تغتنموا من السعادة الكبرى كل مغنم، فلذلك جعلت هذا الكتاب مبوباً على سبعة أبواب.

الباب الأول: في محتد روحه القدسية، وتعاليها في الحضرات الإلٰهية، على المناظر العلية، ﷺ.

الباب الثاني: في عظم شأنه عند الله وتنزله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته

العليا إلى العالم الكوني وإيجاد الوجود بوجوده ﷺ.

الباب الثالث: في كمال خلقته واعتدالها، وظهور جمالها وجلالها ظهراً وبطناً، صورة ومعنى، ﷺ.

الباب الرابع: في تمييز قابليته من قابلية كل موجود سواه، وبيان صفة قطرات الوجود بالنسبة إلى بحر علاه، ﷺ.

الباب الخامس: في سر تسميته بالحبيب، وبيان الحركة الحبية لمعرفته للبعيد والقريب، ﷺ.

الباب السادس: في كيفية التعلق بجانبه، والعكوف على بابه، ﷺ.

الباب السابع: في ثمرة ملازمة تلك على مشاهدة تلك الصورة وملاحظة ذلك المعنى بالتخيل والفكرة، وهذه الرسالة الكريمة، المشرقة بهذه المسائل العظيمة، سمتها الإرادة القديمة فى حضرة العين، وحيث لا أين بكتاب قاب قوسين وملتقى الناموسين، وإنه لهو الجزء العاشر من تجزئة أربعين من كتاب الناموس الأعظم، والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ وهذا أوان الشروع في الكتاب، والله الموفق للصواب.

الباب الأول: في تنزل روحه القدسية، وتعاليها في الحضرات الإلٰهية، على المناظر العلية ﷺ.

أخبرنا ترجمان الأزل في مشهده المنزه عن العلل، أن صفات الله الاسنى، وأسماء الله الحسنى، تقابلت في معاني الكمالات، لإظهار حقائق الذات فأظهرت كل صفة ما يخصها من الجمال والجلال، وأبرز كل اسم ما يقتضي معناه من الكمال، وبقيت الذات الإلٰهية على ما هي عليه من البطون، على حقيقة الكنزية في الكمون، فاجتمعت حقائق تلك الأسماء والصفات، حيث لا أين في مشهد معنوي للذات، ويقول كل منها أنا وإن أظهرنا هذا الكمال، وأبرزنا هذا الجمال والجلال، فإنما أخبرنا عن قطرة من بحر، وحدثنا عن ذرة في قفر، وهيهات هيهات، أين منا ما حوته الذات، فكيف السبيل إلى ظهور الشؤون الإلٰهية الذاتية، المتعالية عن الحقائق الأسمائية والصفاتية فحينئذ برزت إشارة كنهية بعبارة منهية إني قد اختلست من ذاتي، نسخة جامعة لأسمائي وصفاتي، يزيد حقائق الكنه الذي لا يعبر عنه أبرز فيه بروزاً هو عين الكمون، وأظهر فيه ظهوراً هو عين البطون، متصوراً بصورة بديعة، متنزلاً في مشاهدي الرفيعة تكون تلك الصورة مجلى لشأوكم الرفيع وتستأثر في نفسها، بما لها

في قدسها، من كنه لا يعرف، وحقيقة لا تدرك ولا توصف فتكون نسبة ذلك المظهر الأكمل، والمجلى الأعز الأفضل، إلى مظاهركم العظيمة ومجاليكم الكريمة، نسبة الذات، إلى الصفات، ليكمل ثنائي، على غلائي، فشققت من الحمد اسمها، إذ كان ذلك رسمها، فسميته محمداً وأحمد ومحموداً، وجعلته عابداً ومعبوداً، ومن ثم جعلت الحمد لواه، والوسيلة العظمى مستواه، فالأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم مظاهر الأسماء والصفات ومحمد ﷺ مظهر الذات، ولذلك كان هو الختام، لمقام الجلال والإكرام، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

الباب الثاني: في عظم شأن محمد ﷺ وشرفه وكرمه عند الله تعالى وتنزله على مجالي أسمائه الحسنى وصفاته العليا إلى العالم الكوني وإيجاد الوجود بوجوده ﷺ.

اعلم وفقنا الله تعالى وإياك ولا أخلانا من أنسه ولا أخلاك، أن النبي ﷺ هو واسطة الله بينه وبين عباده وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»[1] قد شهدته الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليه وعليهم قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياتهم، وأُعلموا علو شأنه عليهم في عظيم مكاناتهم، واستمد الجميع به في ذواتهم، وإلى ذلك الإشارة في إمامته بهم فوق السموات فهو إمام الأنبياء وقدوة الأولياء، صورة ومعنى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

واعلم أنه ﷺ لما تنزل من الحضرة الأحدية، إلى الحضرة الواحدية، ظهر فيها بحقائق الأسماء الحسنى، والصفات العليا، فتعشقت به الحضرة الكمالية تعشق الاسم بالمسمى والصفة بالموصوف فكل معاني ذلك الكمالات لا تشير بحقيقتها إلا إليه، ولا تدل بهويتها إلا عليه، فلو تحقق أحد بكمال من تلك الكمالات المشار إليها، كان عطفاً عليه لديها، وتقدير هذا الكلام إنه لو تحقق مثلاً ألف نبي أو ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل منهم نوراً مطلقاً ثم أطلقت اسمه النور لم يقع هذا الاسم إلا عليه ولم تسبق هذه الصفة إلا إليه ﷺ، ولهذا أسماه الله تعالى في كتابه العزيز بالنور دون غيره، وسر ذلك أن الأنبياء إنما تحققوا بهذه الصفة وهو ﷺ حقيقة هذه الصفة وكم بين حقيقة الشيء على من تحقق به فافهم وتحت هذه المسألة فائدة جليلة لو فتح الله عليك بمعرفتها، ثم إنه ﷺ أول من تنزل من حضرة الواحدية، إلى حضرة الألوهية، تلقته منها الحضرة العلمية فتشكل بصورة تلك العلمية، ولهذا لما تنزل إلى الوجود الكوني كان هو ﷺ صورة القلم المسمى بالعقل الأول، ولهذا ورد

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

عنه ﷺ أنه قال: «**أول ما خلق الله العقل**»[1]، وورد عنه ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[1] فعلم بذلك اتحاد هذه الثلاثة المعاني وإن اختلافها إنما هو من جهة التعبير فكان ﷺ أول موجود خلقه الله تعالى بلا واسطة وهذه الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول هي مظهر الذات في الوجود فافهم، ثم خلق الله تعالى بواسطة الروح المحمدية المسماة بالعقل الأول عقلاً كلياً هو مظهر الصفات سماه بالعرش وهو الذي تسميه الحكماء بالعقل الثاني وهذا العقل الكلي هو حقيقة روح كل نبي وولي كامل لأنه الظهور الكمالي بالمعنى الأسمائي والنعت الصفاتي إذ عرشه العظيم عبارة عن حقيقة الرحمانية التي هي المستوية على العرش المحيط بالعالم المخلوق في نهاية العالم الكوني، فالحقيقة الرحمانية المعبر عنها بالعرش العظيم والمظهر الكمالي هي عين الأسماء والصفات الإلهية المحيطة بالوجود أعلاه وأسفله، وهذه الحقيقة الرحمانية وسعت كل شيء بالرحمة لقوله تعالى ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: 156] وسع مجلاها المسمى بالعرش المحيط كل العالم الكوني صورة، ولهذا كان العرش منتهى مقام كل نبي مرسل أو ملك مقرب، ولم يصل فوق العرش أحد غير محمد ﷺ وحده، وسر هذا الأمر كما ذكرت لك، إنما هو لعلو محتده ﷺ إذ هو حقيقة النور الذاتي، والأنبياء من حقيقة النور الصفاتي، والذات من وراء الصفات، فاعلم ذلك وتنبه، ثم إن الله تعالى خلق بواسطة هذا العقل الثاني المسمى بالعقل الكلي عقلاً ثالثاً هو مظهر الأفعال وسماه بالكرسي فهو مظهر الأسماء الفعلية، ومن ثم ورد أن قدمي الحق متدليتان على الكرسي وإنما ذلك عبارة عن أمره ونهيه، وهذه النفس الكلية هي محتد سائر النفوس الناطقة فظاهرها الكرسي الأعلى وباطنها اللوح المحفوظ وهو النفس الموجود هذا العقل فيها لظهوره واسمها كما سيأتي ذكره النفس الكلية، ولهذا لم يجد أحد من المخلوقات نسخة العالم كله في نفسه إلا الإنسان، لأن اللوح المحفوظ فيه علم كل ما كان أو هو كائن إلى يوم القيامة، فالإنسان يجد ذلك جميعه من حيث إن باطن حقيقته هو المسماة بالنفس الكلية، واللوح المحفوظ، ويؤمر بالعمل الصالح وينهي عن العمل الفاسد، لأن حقيقته المسماة بالنفس الكلية هي مظهر الأمر والنهي المعبر عن مجلاه بالكرسي وهو العقل الثالث، ولهذا لا ينعم النعيم الدائم غيره ولا يعذب العذاب المقيم سواه، وسر ذلك أن الأسماء الفعلية لاينقطع ظهور أثرها أبداً فلهذا اختصت آثارها بالبشر دون كل مخلوق وما ثم من يشاركه في بعض وصفه إلا الملك والشياطين، فالملك نور محض يشاركونه في نعيم القرب دون نقمة البعد والشياطين نقمة محضة يشاركونه في نقمة

البعد دون نعيم القرب لأن مرتبة الجمع المسماة بالكرسي الذي هو محل تدلي القدمين إنما هو محتد الإنسان وحده فافهم، ثم إن الله تعالى خلق بواسطة هذا العقل الثالث عقلاً رابعاً وهو روح السماء السابعة، وخلق بواسطة الرابع عقلاً خامساً وهو روح السماء السادسة، وخلق بواسطة هذا العقل عقلاً سادساً وهو روح السماء الخامسة، وخلق بواسطة السادس عقلاً سابعاً وهو روح السماء الثالثة، وخلق بواسطة الثامن عقلاً تاسعاً وهو روح السماء الثانية، وخلق بواسطة التاسع عقلاً عاشراً وهو روح السماء الأولى سماء الدنيا ويسمى هذا العقل بالعقل الفعال جعل الله سبحانه تدبير العالم الأرضي مصروفاً بقدرته تعالى إلى هذا العقل كما جعل تدبير الجسم الحيواني مصروفاً إلى الروح، ثم أوجد بواسطة هذا العقل الفعال الأركان الأربعة فأول مخلوق منها هو النار ثم الهواء ثم الماء ثم التراب، وتم التدبير بهذه الأربعة مع واسطة العقل الفعال بأمر الله تعالى وإرادته وقدرته على حسب ما جرى به القلم الأعلى في اللوح المحفوظ الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا من جهة من الجهات، هذه الأربعة الأركان المذكورة هي التي كنى عنها سبحانه وتعالى بالأيام بقوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فُصّلَت: 10] بالحال فإن السؤال بالحال منوط بالإجابة دون غيره كما بيناه في ما مضى على أن الإجابة التي هي لبيك من الله تعالى واقعة فورياً والأمر المطلوب إن وافق سؤال الحال وقع فورياً أيضاً وإلا أخر إلى أن يوافقه سؤال الحال إما في الدنيا وإما في الآخرة وأما الأيام التي هي الأربعة الأركان فهي الأركان الأربعة التي جعل مرزاق فيها أرزاق العالم الأرضي.

واعلم أن الله تعالى أوجد من كل عقل نفساً تقوم بإظهار ما حواه ذلك العقل فيظهر سره بها بل هي على الحقيقة سر ذلك العقل كما خلق حواء من آدم عليه السلام لظهور ما في صلبه من الذرية، فالنفس الأولى الموجودة في باطن العقل الأول هي المسماة بروح الأرواح لإطلاقها الكلي وحيطتها بنسخة الكمالات الإلهية على ما هي عليه وهي بعينها تسمى بالروح الإضافية المنفوخة في آدم في ذريته حال جزئيها فافهم، والنفس الثانية الموجودة في العقل الكلي ومنه هي المسماة بالروح الكلية، والنفس الثالثة الموجودة في العقل الثالث ومنه هي المسماة بالنفس الكلية المعبر عن اللوح المحفوظ بها وهي محتد للنوع الإنساني كما سبق بيانه، لكل سماء من هذا العقل الباقية السبعة نفس هي حقيقة الكوكب الموجود في سماء ذلك العقل فنفس العقل الرابع حقيقة كيوان، ونفس العقل الخامس حقيقة المشتري، ونفس العقل السادس حقيقة بهرام وهو المريخ، ونفس العقل السابع حقيقة الشمس، ونفس العقل الثامن

حقيقة الزهرة، ونفس العقل التاسع حقيقة عطارد، ونفس العقل العاشر المعبر عنه بالعقل الفعال حقيقة القمر، فالاركان الأربعة آباء وهذا العقل الفعال في الوجود والأرض والمعدن والنبات والحيوان جميعه آباء هذه الأركان الأربع، وتم نظام العالم بوجود ذلك وقال الله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: 4] فالأيام هذه التي خلق الله السموات والأرض فيها هي الجهات الستة التي أوجد الله العوالم فيها، واليوم السابع الذي استوى الله فيها على العرش هو عدم الجهة المخصوصة له بحال دون غيره فرتب الله الموجودات السفلية بواسطة الأركان الأربعة ورتب الأركان بواسطة هذه العقول المذكورة وترتيب موجود في هذه العقول العشرة كترتيب وجود العدد من الواحد فإن الاثنين مثلاً لا يوجد إلا بوجود الواحد والثلاثة لا توجد إلا بوجود الاثنين وهلم جراً فلم يوجد عدد إلا بعد وجود ما قبله في المرتبة والكل موجودون ومن الواحد وليس الواحد من العدد لأن كل عدد تضربه في عدد يخرج منه عدد أكثر من مثل أحدهما ولو ضربت جميع الأعداد في الواحد لا يخرج منه شيء لأن الواحد ليس هو بعدد ولهذا كان العقل الأول الذي هو عبارة عن حقيقة الروح المحمدية أصلاً لوجود العالم كله عالم الأمر وعالم الخلق فهو على الحقيقة عند المحققين علة العلل والله منزه أن يكون علة لوجود شيء سبحانه وتعالى، وقد علمت بما ذكرناه تفصيل خلقية الوجود من محمد ﷺ فإن سائر الأرواح الجزئية مخلوقة من تلك الأرواح الكلية المخلوقة منها والأجسام مخلوقة من الأركان المخلوقة منها فهو أول الوجود وآخره، وعن ذلك أفصح ﷺ بقوله: «**استدار الوجود في زمانه كهيئته يوم خلق الله السموات**»[1]، أي كملت الدائرة الوجودية لظهوره ﷺ فيها صورة ومعنى، ولهذا كان ﷺ الختام المخصوص بمقام الإجلال والإكرام فهو ﷺ كما كان أقرب الخلق في الباطن سيكون أعلاهم درجة في الجنة وأقربهم إليه في الظاهر وسمى الله تلك الدرجة التي وعده بالوسيلة، وما الوسيلة في المعنى إلا السبب فهو في الابتداء سبب وجود الخلق ودرجته من الانتهاء الوسيلة لأنه سبب قرب الخلق إلى الحق فحصل له القرب الصوري والمعنوي وكمل له علو المكان وعلو المكانة، ولهذا كان ﷺ أكمل العالم وصفاً وأعظمهم خلقاً وأتمهم في الاعتدال صورة ومعنى خلقاً وخلقاً وهذا موضع ذكر ذلك والله الموفق.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الباب الثالث: في كمال خلقته واعتدالها، وظهور جمالها وجلالها، ظهراً وبطناً، صورة ومعنى، ﷺ ما هدر الورق وغنى، وهب النسيم وهَنَّا، اعلم أيدنا الله والجميع بروح القدس، وجمعنا وإياكم في حضرة الأنس، أَنَّ الوجود المطلق بالنظر إلى مراتبه ومفرداته الموجودة ينقسم إلى قسمين قسم لطيف كالمعاني والأخلاق والأرواح وأمثالها وقسم كثيف كالصورة والأشكال والأجسام وأمثالها، وكل من هذين القسمين يتفرغ إلى طرفين طرف أعلى من الوجود وطرف أدنى، فالطرف الأعلى المعنوي كالتحقق بالصفات الإلهية كالأخلاق المحمدية المحمودية في الإنسان وجميع مراتب الكمالات المعنوية، وهذا العلو يسمى علو المكانة ونهايتها لا تكون في الوجود الكوني بل نهايتها عند الله لمن أراد الله تعظيمه عنده، والطرف الأدنى الصوري هو الأفعال الحسية الصالحة المشهودة، والصور الحسية الموجودة، والأشكال اللطيفة، والأماكن العلية المنيفة، وهذا العلو الصوري يسمى المكان وأعلى المكانات الجنة وهي متفاوتة في العلو وأعلى درجاتها الوسيلة كما قد أخبر ﷺ وأخبر أن الله قد وعده بها فهو ﷺ مخصوص بعلو المكان الموجودي الصوري كما أنه مخصوص بعلو المكانة إذ لا لأحد قدراً عند الله تعالى أعلى منه كما قد أخبر في الحديث النبوي حيث يقول له الحق «**وخبأت لك شيئاً عندي ولم أخبئه لنبي غيرك**»[1] ولهذا قال أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين رضي الله تعالى عنهم أكمل الله الشرف لمحمد ﷺ على أهل السموات والأرض، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثم أقوم عن يمين العرش وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري**»[2] وأول هذا الحديث هو ما جاء في الحديث المروي عن أنس رضي الله عنه حيث يقول قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر**»[3]. وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه في لفظ هذا الحديث «**وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذ حبسوا لواء الحمد بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي**»[4] وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(2) رواه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ. . ، حديث رقم (3611) [5/ 585].
(3) رواه الترمذي في باب فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3610) [5/ 585].
(4) رواه ابن كثير في التفسير، سورة الصافات، كأنهن بيض مكنون [4/ 8].

عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر**»[1] وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال رسول الله ﷺ: «**ألا وأنا حبيب الله**»[2] وله في رواية عنه ﷺ: «**أنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**»[3] وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «**أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ﷺ**»[4] وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وأنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم صلوات الله عليه وعليهم أجمعين**»[5] والأحاديث في أكمليته وأحاطته بجميع الكمالات صورة ومعنى كثيرة لا تحصى فاكتفيت من ذلك بما أوردناه أن لا منازع في أكمليته ﷺ ولا مدافع فله علو المكانة المعبر عنها بالوسيلة والمقام المحمود، فهو ﷺ أعلى الموجودات مكانة ومكاناً فاختص ﷺ بغاية العلو الوجودي صورة ومعنى، وهذا الطرف الأعلى المعبر عن المكان والمكانة بجانبه من طرف الوجود، والطرف الثاني هو الطرف المعبر عن جانبه بسقوط المكانة وذلك حظ إبليس وجنده وهم الأشقياء كما مضى بيانه في الجزء الذي هو قبل هذا الجزء من كتاب الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ فلنقيض عنان القول عن إعادة ما مضى ولنتكلم على ما نحن بصدده من دلائل إحاطته ﷺ بالأكملية وترقيه في العلو الوجودي مكاناً ومكانة صورة ومعنى فنجعل الكلام في هذا الباب على فصلين:

الفصل الأول: في الكمال المعنوي الذي هوالشاهد له ﷺ بعلو المكانة عند الله تعالى، اعلم أيدك الله تعالى وإيانا بروح منه ولا أخلى الجميع في نَفَس عنه أن الكمال المعنوي ينقسم إلى قسمين فقسم كمالي إلهي يتحقق به الكمل رضوان الله

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الترمذي في السنن، باب فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3616) [5/ 587] ورواه الدارمي في السنن، باب ما أعطي النبي ﷺ، حديث رقم (47) [1/ 39] ورواه غيرهما.

(3) هذا الحديث سبق تخريجه.

(4) رواه الديلمي في الفردوس عن السيدة عائشة برقم (4516) [3/ 187] ورواه ابن أبي عاصم في السنة عن السيدة عائشة برقم (1494) [2/ 632] ورواه غيرهما.

(5) هذا الحديث سبق تخريجه.

عليهم كما قال ﷺ: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[1] وكمال كوني يتخلق به الإنسان وهي الصفات المحمودة التي مجموعها مكارم الأخلاق ولا شك ولا خفاء أنه لا يجمع أحد ما كان عليه محمد ﷺ من مكارم الأخلاق لأنه متممها حيث يقول ﷺ: «**بعثت لأتمم مكارم من خلق الأخلاق**»[2] فمنه ابتدأت وبه اختتمت وتمت ولهذا قال الله تعالى له في حقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4] وكتب السير المروية عنه ﷺ مشحونة بمكارم أخلاقه الفائضة من طيبات أعراقه وهي لا تحصى كثرة بل الله إن كل ما ورد عنه من مكارم الأخلاق التي له هي كالقطرة إلى البحر بالنسبة إلى مالم يرد ولم يحك عنه ﷺ وهي له حقيقة وتحقيقاً فما ورد يسير في جنب ما لم يرد، على أن ما ورد لا يجمعه هيكل سواه، ولم يحظ به أحد غيره ﷺ، وقد علمت بذلك كماله الخلقي.

وأما كماله الحقي الذي قد حباه الله تعالى به فأعظم من أن يدرك له غور أو يعرف له غاية إذ كان ﷺ متحققاً بجميع الأخلاق الإلهية وقد أوردت ذلك صفة واسماً في كتابنا الموسوم بالكمالات الإلهية في الصفات المحمدية وسأذكر من ذلك ما دل عليه الكتاب العزيز تصريحاً أو إشارة وتلويحاً.

فمن ذلك اسم **الله** والدليل على أنه ﷺ كان مظهراً لهذا الاسم قوله تعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] قوله تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: 80] وهذا معنى قوله ﷺ أنا عبد الله وهذه العبودية الخاصة به عبارة عن تسميته باسم ربه لتخلقه بأخلاقه ﷺ، ولا يستبعد هذا الأمر في تعظيم الله إذ ذاك لا يطعن بالحق تعالى، وماذا ينقص هذا في الكمال الإلهي أليس الله تعالى قد سماه صريحاً بأسماء كثيرة من أسمائه تعالى.

ومن ذلك اسمه **النور** وهذا الاسم اسم ذاتي قال الله تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المَائدة: 15] يعني محمداً ﷺ ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النَّمل: 1]، يعني القرآن.

(1) أورده الرازي في التفسير، سورة البقرة، الآية (269) ﴿يؤتي الحكمة من﴾ [7/ 60] وأورده الغزالي في المقصد الأسنى، خاتمة لهذا الفصل واعتذار [1/ 150] وأورده غيرهما.

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب بيان مكارم الأخلاق. .، حديث رقم (20571) [10/ 191] ورواه القضاعي في مسند الشهاب، باب (736 إنما بعثت. .) حديث رقم (1165) [2/ 192] ورواه غيرهما.

ومن ذلك اسمه **الحق** قال الله تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يُونس: 108] وقال تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: 5] يعني محمداً ﷺ.

ومن ذلك اسمه **الرؤوف** واسمه **الرحيم** قال الله تعالى في حقه ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: 128].

ومن ذلك اسمه **الكريم**: قال الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقَّة: 40] يعني محمداً ﷺ.

ومن ذلك اسمه **العظيم**: قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: 4] والخلق هو الوصف فوصفه بالعظمة وهي لله وحده ومن ذلك اسمه الشهيد واسمه الشاهد قال تعالى في حق نفسه حكاية عن قول عيسى عليه السلام له تعالى ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المَائدة: 117] وقال في حق محمد ﷺ ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: 143] وقد ذكر القاضي عياض رضي الله تعالى عنه إن الله تعالى سمى محمداً باسمه الجبار وباسمه الخبير وباسمه الفتاح وباسمه الشكور وباسمه العليم وباسمه العلام وباسمه الأول وباسمه الآخر وباسمه القوي وباسمه العفو وباسمه الهادي وباسمه المؤمن وباسمه المهيمن وباسمه الداعي وباسمه العزيز إلى غير ذلك من الأسماء الإلهية المخصوصة بالحق وأقام دليل كل اسم من ذلك القرآن العزيز حيث لا يدافعه مدافع ولا يجد مدخلا إليه منازع فأكتفي من ذلك بذكر هذا القدر إذ لا خلاف عند المحققين أنه ﷺ متصف متحقق بجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا بالغ في ذلك من الكمال مبلغاً لا ينبغي لأحد من المخلوقين سواه ﷺ وآله وصحبه وسلم، وقد تحققت علما بما ذكرته أنه ﷺ صاحب علو المكانة عند الله تعالى حشرنا الله تعالى في زمرته وجعلنا من أهل محبته.

تنبيه: اعلم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وكلامه سبحانه صفته لأن الكلام صفة المتكلم وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن. تعني النبي ﷺ فما أعرفها به انظر كيف جعلت صفة الله تعالى خلقاً لمحمد ﷺ لاطلاعها منه على حقيقة ذلك، وقال الله تعالى في القرآن ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقَّة: 40] وهو على الحقيقة قول الله تعالى فانظر إلى هذا التحقق العظيم بصفات الله تعالى حيث اقامه مقامه في صفاته واسمائه، ومقام الخليفة مقام المستخلف، فتأمل هذه النبذة فإن تحتها سراً شريفاً أطلعنا الله وإياك على حقيقة ذلك.

الفصل الثاني: في ذكر الكمال الصوري الشاهد له ﷺ بتحقق علو المكان

عند الله تعالى وهذا الكمال ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول**: ذاتي، **القسم الثاني**: فعلي كالصلاة والصيام والصدقة وأمثالها، **والقسم الثالث**: قولي كالكلمة الطيبة والاهداء إلى غير ذلك، وها أنا أذكر جميع ذلك إن شاء الله تعالى.

القسم الأول: أما ذاته الشريفة ﷺ فإنها كانت أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأنورها وأطهرها، وصورته أجمل الصور وأحلاها وأزكاها، وفي الحديث إنه ﷺ كان أملح من يوسف عليه السلام، وورد في حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ على فراشه في ليلة مظلمة فسقط من يدها إبرة إلى الأرض فكشفت عن وجه رسول الله ﷺ فوجدتها بنور جبينه فرفعتها، وفي الخبر عن هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذ هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسكاً سواء البطن والصدر، فسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخطط، عاري البدن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط الراحة، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء إذا زال تقلعاً، يخطو تكفؤا، ويمشي هوناً، ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام، متواصل الأحزان دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ولا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يقاوم لغضبه إذا تُعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، أو إذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، يضرب بإبهامه اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

هذا حديث جامع في صفة حِليته واعتدالها وكمال نشأته الظاهرة الكاملة التي

أجمع الحكماء من أهل الفِراسة أن كل حلية من هذه المذكورات دالة على معنى الكمال، فهو أكمل خلق الله صورة وأعدلهم نشأة، لأنه ﷺ هو الموجود الأول الذي هو في غاية الاعتدال كمالاً وبهاء وسناء، ولهذا كان كل من قارب هذه الخلقة الشريفة في الاعتدال أكمل من غيره بقدرما أوجد الله تعالى فيه من هذه الصفات المعتدلة الكاملة الخلقة الدالة على شرف الذات صورة ومعنى.

تنبيه: إنما أوردت لك هذه الخلقة الشريفة لتتصورها بين عينيك وتلحظها في كل ساعة حتى تصير ممثلة لك لتكون حينئذ في درجة المشاهدين له ﷺ فتفوز بالسعادة الكبرى وتلحق بالصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فإن لم تستطع ذلك على الدوام فلا أقل من أن تستحضر هذه الصورة الشريفة بما لها من الكمال عند الصلاة عليه ﷺ.

القسم الثاني: أما أفعاله ﷺ الزكية وأحواله الرضية فقد امتلأت الصحف بها وشهدت الأكوان بحسنها وكمالها وناهيك من رجل كل العالم في ميزانه فإنه الذي أسس لهم طرق الهداية، وأخرج الخلق من الغواية، وسن الحلال والحرام، والصلاة والصيام، وكل خير يوجد بين الأنام، ومن سن سنة حسنة: كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فله ﷺ أجر جميع الخلق بل الكل في ميزانه بل الكل قطرة من بحره لأنه الأصل وهم الفرع ويكفي هذا القدر من ذكر جميل أفعاله ومليح أقواله وأحواله ﷺ التي هي أظهر من الشمس، ويكفيك ما ورد من ورم أقدامه لطول قيامه ﷺ على أنه مغفور له، ومن شده الحجر على بطنه الشريف من شدة الجوع، وقد أوتي مفاتيح خزائن الأرض وقال له جبريل أمرت أن أجعل لك جبال الأرض ذهباً فأبى ﷺ واختار الفقر نصيباً، وأتي ﷺ بمال من البحرين ذهباً، وقيل إنه كان يغرق فيه الرمح فصبه بين يديه وفرقه جميعه ولم يحمل منه إلى بيته شيئاً ولبيته نيفاً من شهرين لا يوقد فيه نار لطعام بل كان على الأسودين التمر والماء، وصفاته الظاهرة أعلى من أن تخفى على أحد فلنكتف بهذا القدر والله المستعان.

القسم الثالث في أقواله المفصحة عن مليح أحواله ﷺ: وهذا القسم أيضاً لا يحتاج إلى تطويل إذ جميع كتب الإسلام مشحونة من تلك الأقوال الشريفة وناهيك بعظيم مكان قوله حيث قال الله تعالى في القرآن الذي هو كلام الله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقّة: 40] ذلك لأنه ﷺ الناطق به عندهم وقد صح أن كلامه من كلام ربه وقال الله تعالى عنه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾

[النّجْم: 3-4] فانظر إلى أي كلمة شئت من حديثه ﷺ تجد فيها مجامع المحاسن من كل جهة وبكل حقيقة إذ هداية الخلق مقرونة بأقواله، فلم يدع خيراً إلا وقد هدى الأنام إليه ولا ترك فضيلة إلا وقد نبه عليها، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين لأنه قد أحاط بالتنبيه على كل دقيقة وحقيقة ، وأوضح بنوره كل طريقة، فلم يحتج الكون إلى مرشد سواه ﷺ.

الباب الرابع: في تمييز قابليته ﷺ من قابلية كل موجود سواه بشان نسبة قطرات الوجود من بحر علاه، اعلم أيدنا الله وإياك أن الفيض الإلهي إنما يكون على قدر القوابل أما ترى الشمس تظهر في المرآة بشعاعها حتى لا يكاد الشخص أن يستطيع النظر إلى المرآة وتظهر في بقية الجمادات بغير هذا المظهر، وكذلك إذا نظرت في المرايا المعتدلة الهيئة ظهر وجهك فيها على ما هو عليه، وإذا نظرت في مرآة مستطيلة ظهر وجهك فيها طويلاً وفي العريضة عريضاً وفي الصغيرة صغيراً وفي الكبيرة كبيراً، فعلم بذلك أن الفيض على قدر القابلية لأن الله تعالى حكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها، وقد ذكرنا في ما مضى تفصيل القابلية، فظهور الحق تعالى في المخلوقات على قدر قوابلهم بل ظهوره في أسمائه وصفاته على حسب ما تقتضيه قوابلها إذ ليس ظهوره في اسمه المنعم كظهوره في اسمه المنتقم وليس ظهوره في النعمة كظهوره في النقمة فالظاهر واحد والظهور مختلف لاختلاف المظاهر، وقد علمت بما مضى أن ظهور الحق في المظاهر بقدر القوابل وإن قوابل الأشياء تتعلق بمحاتدها التي ظهرت منها فالنعمة مخلوقة والنقمة مخلوقة فهما مظهران مخلوقان:

فمحتد النعمة اسم المنعم ومحتد النقمة اسم المنتقم وهما اسمان إلهيان فهما مظهران قديمان لأن صفات الله تعالى قائمة بذاته وقد شرحنا لك في ما سبق أن كل شيء في العالم إنما هو أثر اسمائه وصفاته فكل فرد من أفراد العالم له محتد من أسماء الله تعالى وصفاته وقد عرفناك في أوائل الكتاب أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من أسمائه الذاتية فهي محاتدهم والأولياء خلقوا من أسمائه الصفاتية فهي محاتدهم وبقية الموجودات مخلوقة من صفاته الفعلية فهي محاتدهم ورسول الله ﷺ مخلوق من ذاته فمحتده الذات ولهذا كان ظهور الحق تعالى عليه بالذات ألا تراه انفرد دون غيره بجميع الكمالات الإلهية لأن الصفات ترجع إلى الذات ولهذا نسخ دينه سائر الأديان لأن الصفات لا تشهد بعد بروز الذات بل يبقى علمها ولأجل ذلك بقيت نبوة الأنبياء على حالها وما انتسخ إلا أديانهم فنسبة القابلية المحمدية كنسبة البحر ونسبة

قوابل الأنبياء عليهم السلام والأولياء رضوان الله تعالى عليهم كالجداول والأنهار ونسبة قوابل بقية العوالم كالقطرات من ذلك البحر، وسبب ذلك أن محمداً ﷺ مجموع العوالم لأن روحه العقل الأول كما شرحناه في ما مضى، وقد علمت أن العالم كله مخلوق منه ﷺ فقابليته وحده بقوابل سائر الموجودات فهو المستفيض الأول والمفيض الثاني لأن الفيض الأقدس الذاتي متوجه إليه بالتوجه الأول ومنه يتوجه إلى بقية المخلوقات بقدر قوابلهم فهو كل الوجود وله كل شيء وما أحسن قول الإمام عبد الله اليافعي رضي الله تعالى عنه في مدحه ﷺ حيث يقول:

ياواحد الدهر ياعين الوجود ويا غوث الأنام وهادي كل حيران

ولما كانت قابليته ﷺ كلية وقابلية سائر الأكوان من المرسلين والنبيين والملائكة المقربين، وسائر الأولياء والصديقين، وغيرهم من المؤمنين الصالحين، وسائر الأكوان جزئية كانت قاصرة بالطبع عن درك شأوه المنيع، عاجزة عن اللحوق بشأنه الرفيع، ولما علمت ذلك الأنبياء والأولياء وضعت الرؤوس خضوعاً على باب عزه العالي، وحطت رقابها على أرض المذلة لمجده الشامخ السامي، وذلك معنى أخذ الله تعالى على الأنبياء العهد لتؤمنن به ولتنصرنه قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عِمرَان: 81] ثم إن جميع الأولياء المقربين من علو شأنهم إنما يترقون ويعرجون بالاستمساك بحبل عروته الوثقى ﷺ ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه انسدَّ كل باب إلى الله تعالى إلا باب محمد ﷺ فلا طريق إلى الله تعالى إلا من بابه ﷺ يعني ليس لأحد طريق إلا أن يمشي خلفه ويكون تابعه ظاهراً وباطناً حتى يصل إلى الله تعالى والإ فلا، ولولا ذلك لادعت الأولياء ما أدعته الأنبياء من قبل فإن الأولياء من أمة محمد ﷺ نالوا ما نالته الأنبياء في الباطن من الله تعالى ولم ينالوا النبوة لا نقطاعها بمحمد ﷺ.

والحكمة في ذلك أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما نالوا مانالوا من النبوة وشرعوه من الأديان بإذن الله تعالى لعلمه سبحانه وتعالى بأن أديانهم تنسخ بظهور الدين المحمدي لأنه ﷺ بعدهم ظهوراً والأولياء ظهروا بعد محمد ﷺ فلو حصلت النبوة لأحد منهم لكان كالناسخ للدين المحمدي وذلك محال فلا سبيل إليه لأن الجزء لا يظهر على الكل بل الظهور للكل على الجزء فدين محمد ﷺ كلي ولهذا كان مبعوثاً إلى كافة الخلائق بخلاف غيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين لأنهم إنما بعثهم الله تعالى إلى أقوام مخصوصة لأن دينهم جزئي ودين كل منوط بمحتده كلي بكلي وجزئي بجزئي فقوة محمد ﷺ بقوة العالم كله العرش والكرسي واللوح والقلم والأفلاك والأملاك والسموات والنجوم والكواكب السيارات والشمس والقمر والنار والريح والماء والتراب والشجر والحجر والمعدن والحيوان وجميع الإنس والجان ومجموع ما خلق الله تعالى وما هو خالق، ويزيد على ذلك كله بالجمعية الكبرى التي خص بها وذلك هو المعبر عنه بقاب قوسين ﷺ وليس لسواه من ذلك كله إلا ما وسعته قابليته فافهم وألحق نفسك به لحوق القطرة بالبحر لتفوز بالسعادة الكبرى والمكانة الزلفى، وفي هذه النكتة سر جليل وأمر نبيل لو قدر الله لك فهمه، وإلى هذا اللحوق بالبحر المحمدي أشار سيدي الشيخ أبو الغيث بن جميل رضي الله تعالى عنه بقوله خضنا بحراً وقفت الأنبياء على ساحله لأن اللحوق الحقيقي بالشخص لا يكون إلا لمن بعده صورة ومعنى فالأولياء الكمل من أمة محمد ﷺ لاحقون به صورة ومعنى فهم خائضون بحر اللحوق المحمدي بخلاف الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين لأنهم إنما لحقوا بمحمد ﷺ حكماً فهم لاحقون من حيث المعنى لا من حيث الصورة فلأجل ذلك وقفوا على ساحل بحر اللحوق بالكمال المحمدي لأنهم كانوا في الظاهر متبوعين لا تابعين لغيرهم على أنهم في الحكم تابعون له ﷺ والأولياء تابعون له لا متبوعون فالأولياء تابعون له ﷺ صورة ومعنى عيناً وحكماً، فمن وفق الله تعالى له أن يلحق قطرته ببحر الحقيقة المحمدية فاز بالسعادة الأبدية الكبرى وحق له أن يقول ما قاله الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ما رفع النبي ﷺ قدما إلا وضعت قدمي موضع قدمه الأقدم النبوة العظمى والمكانة الزلفى والوسيلة الكبرى فإنه مخصوص بها ﷺ فاجتهد أن تلحق به وفقنا الله تعالى وإياك لذلك.

الباب الخامس: في سر تسميته ﷺ بالحبيب، وبيان الحركة الحبيبية التي هي محتد اسمه ليعرفه البعيد والقريب ﷺ.

اعلم أيدنا الله تعالى وإياك، ولا أخلانا من جوده ولا أخلاك، أنه ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج، حتى إذا دنا منهم سمعتهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما؟ وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج عليهم فسلم وقال ﷺ: «**سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً**

وهو كذلك، وموسى كلمه الله تكليماً وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك، وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ولا فخر، فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين من أمتي وأنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر»[*].

اعلم أن هذا حديث جامع مصرح بكماله وأفضليته على كل الكملاء والفضلاء صلوات الله تعالى عليه وعليهم أجمعين وقد مضى بيان بعض علو مكانته ﷺ وسأنبئك عن سر تخصيصه ﷺ باسم الحبيب لتعلم أن المقام الحبي أعلى المقامات الكمالية وذلك أنه ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال حاكياً عن الله تعالى: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني**»[1] فكان التوجه الحبي أول صادر من الجناب الإلهي في إيجاد المخلوقات، فالحب لبقية مقامات الكمال أصل وهي له كالفروع ولأجل أن المقام الأولي الأصلي كان مخصوصاً بالموجود الأول الأصلي فجميع الحقائق الإلهية إنما ظهرت بواسطة الحب إذ لولا ذلك لما وجد الخلق، ولولا الخلق لما عرفت الأسماء والصفات، والخلق إنما ظهروا بواسطة الروح المحمدي، كما سبق بيانه، فلولا الحقيقة المحمدية لم يكن خلق، ولولا الخلق لم تظهر صفات الحق لأحد، فلولا الحقيقة المحمدية لما عرف الله مخلوق ولا ظهرت صفاته لأحد، إذ لا أحد فالحب هو الواسطة الأولى لوجود الموجودات، ومحمد ﷺ هو الواسطة الأولى لظهور الموجودات، كما بيناه في ما سبق، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «**إن الله تبارك وتعالى قال له في ليلة المعراج: «لولاك لما خلقت الأفلاك»**[1] فعلم بذلك أن محمداً ﷺ هو الذي كان المقصود بالتوجه الحبي للمعرفة بالكنز الخفي وإن جميع ما سواه كانوا عطفاً عليه فهو الأصل في مقصود الحب الإلهي وغيره كالفرع له، فمن أجل ذلك خصه الله تعالى باسم الحبيب دون غيره، وإنما أحب الله تعالى أمته الذين اتبعوه لقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 31] لأنهم مخلوقون منه، كما قال ﷺ: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»[1] وهذه خصوصية من الله تعالى لأمة محمد ﷺ دون غيرهم من سائر الأمم. فإن الله تعالى أنكر على من ادعى

(*) رواه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3616) [5/ 587] ورواه الدارمي في السنن، باب ما أعطى النبي ﷺ، حديث رقم (47) [1/ 39].

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

من الأمم الماضية أنهم أحباء الله، وأثبت المحبة لأتباع محمد ﷺ لأن كل أمة مخلوقة من نبيها ولا حبيب إلا محمد ﷺ فاختصت أمته بمحبة الله تعالى دون غيرهم، واعلم أن الحب على الإطلاق له تسع مراتب في الخلق ومرتبتان في الحق.

المرتبة الأولى في الحق تسمى **الحب** باسمه ما لم تكن حركة لظهور أثرها، فإذا حصلت تلك الحركة سمي الحب **إرادة** فالحب الحقيقي والإرادة الحقيقية لله تعالى، ومراتب الحب في الخلق أولها **الميل** وهو انجذاب القلب إلى المطلوب، فإذا زاد سمي **رغبة**، فإذا زاد سمي **طلباً**، فإذا زاد سمي **ولهاً**، فإذا اشتد ودام سمي **صبابة**، فإذا قوي واسترسل بالقلب في المعنى المراد سمي **هوى**، فإذا استولى حكمه على الجسد بحيث أن يفنى المحب عن نفسه سمي **شغفاً**، فإذا نما وظهرت علامة بحيث أن يفنى المحب عن نفسه وعن فنائه سمي **غراماً**، فإذا استحكم وطفح وظهر وتمكن تمكناً أفنى المُحب عن نفسه وعن حبيبه أيضاً بحيث يبقى الأمر شيئاً واحداً وهو الحب المطلق سمي **عشقاً**، وهذا آخر مقامات الخلق فيه، فيصير المُحب في هذا المقام حبيباً والحبيب محباً فيتلون كل منهما بصورة الآخر، وذلك أن العاشق قد تمكنت روحه بصورة المعشوق فتعلقت بتلك الصورة الروحانية تعلق التمازج كما يتعلق الزاج بالعفص فيستحيل الفك والمفارقة والانفصال بينهما كما قيل:

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر[1]

فهذه المراتب التسعة هي للخلق حقيقة لا يقال إنها لله إلا من حيث إن وجود الخلق لله تعالى، وأما الحب والإرادة فهما لله تعالى حقيقة قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ

(1) هذان البيتان هما للشيخ السهروردي المقتول: أبو الفتوح يحيى بن حبش الحكيم، شهاب الدين السهروردي. فلسفي ينسب إليه إشعار من ذلك ما قاله في النفس على مثال عينية ابن سينا:

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى ... وصبت لمغناها القديم تشوقا

وكان يتهم بانحلال العقيدة فأفتى علماء حلب بإباحة قتله فقتله الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين سنة 587هـ وعمره ستة وثلاثون سنة وكانت ولادته سنة 587هـ. والسهروردي نسبة لسهرورد بلدة قريبة من زنجان.

وهو مؤلف كتاب (حكمة الإشراق) الذي شرحه قطب الدين الشيرازي، و(هياكل النور)، والتنقيحات والتلويحات) وغير ذلك. انظر (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

﴿يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: 54] وقال تعالى في الحديث القدسي: «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿40﴾﴾ [النّحل: 40] فالحق سبحانه وتعالى يحب ويريد فالحب والإرادة من شؤون الله تبارك وتعالى، وللحب مرتبة أخرى تظهر في الحق والخلق ولهذا تسمى المرتبة الجامعة وهي مرتبة **الود**، فإن الله يسمَّى الودود فهو يود من يشاء من خلقه والخلق يودونه، فالود مرتبة مشتركة تظهر بالقدم في القديم وبالحديث في المحدث، والمودة من خصائصها الاشتراك لوقوعها من الجانبين، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: 21] فالمودة تكون من الجانبين فهي اسم للمحبة إذا ظهرت من المحب والمحبوب لأن الشيء إذا كان بين اثنين لا يختص به واحد دون الآخر بل هما مشتركان فيه بالود يشترك فيه كل واحد من الزوجين، فإذا صار كل منهما محباً للثاني محبوباً له كانت المحبة والمودة بينهما ظاهرة وهو نهاية مراتب العشق في الظهور لأجل وقوعه من الجانبين فقط وإلا فلا شيء في الخلق أعلى مرتبة من ظهور العشق إذ هو نار الله الموقدة فافهم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب السادس: في كيفية التعلق بجنابه والعكوف على بابه ﷺ

اعلم وفقنا الله وإياك للوقوف ببابه، والعكوف بجنابه، أن الله تعالى لما أحبه جعله شفيعاً لخلقه إليه يوم القيامة وليس لأحد من الخلق عموم الشفاعة سواه وسر ذلك أن الأنبياء لم يبعثوا إلى كافة الخلق، وإنما بعث إلى كافة الخلق محمد ﷺ. فهو مقدمهم وراعيهم وكل راع مسؤول عن رعيته، فأوجب الله تعالى عليه الشفاعة لهم والقيام بمصالحهم دنيا وأخرى وما أوجب الله تعالى عليه إلا ما وفقه للقيام به فمن أجل ذلك وعده بالوسيلة التي هي المقام المحمود يوم القيامة، وليست الوسيلة في المعنى إلا الواسطة للوصول إلى المطلوب وهي الشفاعة، ولهذا المعنى منزلة صورية في الجنة المسماة بالفردوس الأعلى وهي أرفع منازل الجنان يكون هو ﷺ فيها الذي يحوي الكمال صورة ومعنى ظاهراً وباطناً، كما سبق بيانه في أوائل هذه الرسالة، فلما كان ﷺ واسطة الجميع في البداية لأجل الظهور كان واسطتهم في

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

النهاية لأجل النعيم المقيم، فليس في الأول والأبد وسيلة ولا واسطة ولا علة لوجودك ووجود كل خير لك ولكل موجود أحد سواه ﷺ. فمن الأولى أن تتعلق بجنابه وتعتكف على بابه ليحصل الميل من الجهتين فيسرع الوصول إلى المقصود، ألا تراه ﷺ قال للإعرابي الذي تمنى عليه أن يكون رفيقه في الجنة: «**أَعِنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[1] فقوله ﷺ أعني دليل على أنه أحب أن يشفع له إلى الله تعالى أن يكون رفيقه في الجنة، ولكنه أراد أن يكون الجذب من الجهتين ليسرع وصوله إلى ذلك فأمره أن يعينه على نفسه بالسجود ليتحقق بالمقصود أكمل تحقق، ولهذا كان دأب الكمال من الأولياء رضوان الله عليهم أن يتعلقوا بجنابه ويحطوا جباههم على بابه ﷺ ولم يزل ذلك دأبهم ودأب كل من أراد الله تكميله حتى إنهم رضي الله عنهم إذا حضروا في بعض الحضرات الإلهية التي يمكنهم أن لا ينظروا فيها إلى محمد ﷺ أسرعوا إلى توجيه المشاهدة للأنوار الإلهية نحو الجناب المحمدي وصرفوا إليه كلمة الحضرة الإلهية وذهلوا عن كل ما تقتضيه حقائقهم من الكمالات الإلهية تأدباً معه ﷺ، فيحصل لهم ببركة هذه الحالة من الزيادة ما لا يمكن شرحه، وذلك أنهم يسمعون ويشهدون حينئذ بالسمع والبصر المحمدي ما هو مناسب للقابلية المحمدية التي ليس في ذات أحد قوتها، فيخلع عليهم إذ ذاك من الخلع المحمدية ما لا يمكن حصولها إلا بهذه الطريقة، ومن ثم قال شيخنا الشيخ أبو الغيث بن جميل خضنا بحراً وقف الأنبياء على ساحله، يعني بذلك: بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولهذا من تحقق بالسنة المحمدية ظاهراً وباطناً خاض بحر الحقيقة المحمدية التي خاضها هو وأمثاله بكمال الاتباع المحمدي صورة ومعنى لأخذه الأشياء من الله تعالى في بعض الحضرات بالقابلية المحمدية كما سبق بيانه، فإذا علمت ذلك وتحققته فالزم سبيل جنابه ولازم الوقوف ببابه ﷺ.

فإن قلت لا أدري كيف هذا التعلق والملازمة بهذا الجناب العظيم والنبي الكريم ﷺ؟

---

(1) رواه الطبراني في الكبير عن مصعب الأسلمي برقم (851) [20/ 365].

قلنا إن التعلق بمحمد ﷺ على نوعين: **النوع الأول**: هو التعلق الصوري بالجناب النبوي وهو على قسمين: **القسم الأول** هو الاستقامة على كمال الاتباع له بمواظبة ما أمر به الكتاب والسنة قولاً وفعلاً واعتقاداً على ما هو عليه أحد الأئمة الأربعة وهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل رضي الله عنهم، إذ قد وقع إجماع العلماء المحققين بأن هؤلاء المذكورين من الأئمة هم أهل الحق وهم الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى يوم القيامة، ومن كمال هذا القسم من الاتباع الصوري أن تعتمد فعل عزائم الأمور ولا تركن إلى الرخص، فإن الله تعالى أمر النبي ﷺ بارتكاب العزائم في قوله تعالى ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35] فأمره أن يصبر صبراً كصبر أولي العزم دون غيرهم وقيل إنهم خمسة صلوات الله عليهم وهم المذكورون بالتصريح في هذه الآية وهي ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشّورىٰ: 13] فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم أولو العزم من الرسل فينبغي للتابع الكامل الاتباع أن يأتي بعزائم الأمور ولا يركن إلى التسهيل ولا يقف مع الأرخص ولا مع ما أمر به ونهى عنه، فإن ذلك مقام الإسلام ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القربة والصديقية، ومن شرطها اتباع النبي ﷺ في ارتكاب عزائم الأمور ولن تقدر على ذلك كما ينبغي إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها، ولا يعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله تعالى يدلك على ذلك جميعه ويعرفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأعمال والأحوال، ألا ترى أن النبي ﷺ كان في بدايته يتحنث في غار حراء الأيام الكثيرة، فلما انتهى وعظم شأنه ترك التحنث في الغار وبقي مع أصحابه طول السنة ماخلا العشر الأخيرة من شهر رمضان ولا يتحنث للطالب معرفة ما هو اللائق به إلا بواسطة شيخ مرشد يدله على ذلك جميعه أو بواسطة جذب إلهي كاشف له عن ذلك، وليس لنا مع المجذوب كلام وكلامنا معك أيها العاقل الطالب للاتباع المحمدي، فينبغي لك أن تطلب شيخاً مرشداً يدلك على معرفة الله تعالى بتعريفه لك بنفسك، فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره ولا تفارق موضعه ولو قطعك البلاء إرباً إرباً، واحذر أن تعصيه أو تكتمه شيئاً من أمرك فلو قضى الله عليك بمعصية ينبغي لك أن تعرض لشيخك بعلم ذلك ليسعى في دفع المقتضى لذلك بمداواتك بما يعرفه من أمرك أو بالشفاعة والالتجاء إلى الله تعالى في حقك ليزول عنك وخاصة تلك الزلة،

فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله تعالى فالزم طريق أهل الله تعالى.

وجملة الطريق إلى الله تعالى أربعة أشياء **أحدها**: فراغ القلب عن الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة، **الثاني**: الإقبال على الله تعالى بالكلية بالقصد والمحبة المنزهة عن العلل من غير فتور ولا التفات ولا ملل ولا طلب عوض. **الثالث**: دوام المخالفة للنفس في كل ما تطلبه من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وأخرى وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله تعالى نظراً واعتقاداً وعلماً. **الرابع**: دوام ذكر الله تعالى: النظر إلى جمال الله وجلاله سواء كان ذكر اللسان أو ذكر القلب أو ذكر الروح أو ذكر السر أو ذكر الجملة وقد شرحناها في كتاب «غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوهات الأسماع» فمن أراد معرفة ذلك فليطالع هنالك والله الموفق لا رب غيره ولا معبود سواه.

القسم الثاني من النوع الأول الذي هو التعلق الصوري هو أن تتبعه ﷺ بشدة المحبة له حتى أن تجد ذوق محبتك له في جميع وجودك فإني والله لأجد محبته ﷺ في قلبي وروحي وجسمي وشعري وبشري كما أجد سريان الماء البارد في وجودي إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد، هذا وإن حبه ﷺ فرض واجب على كل أحد قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6] وقال ﷺ: «**لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده**»[1] فإذا لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك فاعلم أنك ناقص الإيمان فاستغفر الله تعالى وتضرع إليه وتب من ذنوبك وتولع بدوام ذكر النبي ﷺ والتأدب معه والقيام بما أمر مع اجتناب مانهى لعلك تنال ذلك فتحشر معه لأنه ﷺ القائل المرء مع من أحب. يقول مسود هذه الرسالة العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود الكيلاني نسباً البغدادي أصلاً الربيعي عرباً الصوفي حسباً إني أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وجميع خلقه أني أحب محمداً رسول الله ﷺ مؤثراً له على نفسي وروحي ومالي وولدي وأجد لمحبته في قلبي وجسمي وشعري وبشري سرياناً ودبيباً محسوساً لا ينكره من حصل له ذلك وأنا

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

استودع الله تعالى هذه المحبة ولنبيه ﷺ ليحفظها علي إلى يوم القيامة إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير. وقد علمت بما ذكرته لك أن النوع الأول الذي هو التعلق الصوري بالجناب النبوي ﷺ إنما هو القيام على ظاهر الشريعة وسلوك عزائم الطريقة والاسترسال في محبته بالكلية وبالتعظيم لشأنه ﷺ في السر والعلانية. ومن جملة التعظيم لشأنه ﷺ أن تتأدب مع أصحابه وأهل بيته بالمحبة والتعظيم والإيثار لهم عليك وأن تتأدب مع كافة أهل الله فإنهم أقرب الناس إلى النبي ﷺ فإن سوء الأدب مع أهل الله موجب للبعد عن الله تعالى فالله الله في محبتهم والتأدب معهم حق التأدب والله الموفق الهادي.

النوع الثاني: هو التعلق المعنوي بالجناب المحمدي ﷺ.

وهو أيضاً على قسمين: **القسم الأول**: هو دوام استحضار صورته ﷺ التي سبق حليتها في الذهن والتأدب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة فإن لم تستحضر تلك الصورة البديعة المثال وكنت قد رأيته وقتاً ما في نومك فاستحضر الصورة التي رأيتها في النوم فإن لم تكن رأيته ولم تستطع أن تستحضر تلك الصورة المشخصة الموصوفة بعينها فاذكر. وصل عليه ﷺ وكن في حال ذكرك له كأنك بين يديه في حياته متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته، لأنه متصف بصفات الله تعالى والله جليس من ذكره فللنبي ﷺ نصيب وافر من هذه الصفة، لأن العارف وصفه وصف معروفه وهو أعرف الناس بالله تعالى فإن لم تستطع أن تكون بين يديه بهذا الوصف وكنت قد زرت يوماً ما قبره الشريف ورأيت روضته الشريفة وقبته العالية المنيفة فاستحضر في ذهنك قبره الشريف وتلك الحضرة السنية كلما ذكرته ﷺ أو صليت عليه وكن كأنك واقف عند قبره الشريف ﷺ مع الأجلال والتعظيم إلى أن تشهد روحانيته ظاهرة لك، فإن لم تكن زرت قبره الشريف ولا رأيت موطن حضرته وروضته فأدم الصلاة عليه وتصور أنه يسمعك ﷺ وكن إذ ذاك متأدباً جامع الهمة لتصل إليه صلاتك عليه وأنت حاضر بقلبك لديه فإن لجمع الهمة أثراً.

واستحي أن تذكره أو تصلي عليه ﷺ وأنت مشغول بغيره فتكون صلاتك جسماً بلا روح لأن كل عمل يعمله العبد من أعمال البر إذا كان منوطاً بحضور القلب كانت صورة ذلك العمل حية، وإذا كان منوطاً بالغفلة وشغل الخاطر بالغير كانت صورته ميتة لا روح لها، ومن ثم قال مشايخنا رضوان الله عليهم إن النية روح العمل، ولهذا

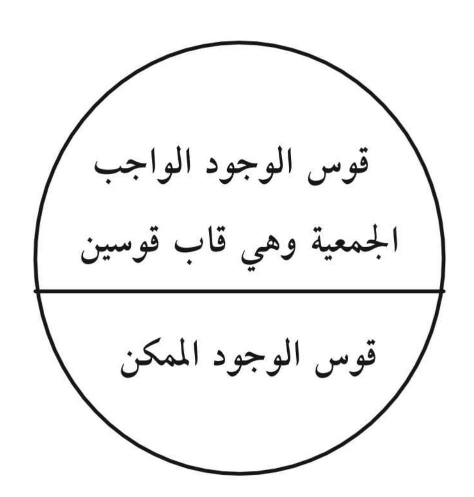
قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[1]. ولقد سمعت سيدي وشيخي الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي قدس الله تعالى روحه في الجنة يوماً وهو يقول إن العمل إذ صدر من العبد غير مقارن للنية في أوله فإذا أراد أن يقصد به وجه الله تعالى فلينو بعد الشروع فيه، فإنه يكون ذلك سبباً لنفخ الروح فيه، ولو كان العبد قد نوى نية قبيحة ثم تاب عنها في أثناء العمل ونوى نية صالحة غير تلك فإن ذلك أيضاً نافع في حسن صورة العمل ويكون العمل حياً كاملاً ولقد صدق فيما قاله رضي الله عنه. وقد علمت بما ذكرناه أن القسم الأول من التعلق المعنوي هو استحضار صورته وما يتعلق بها مع ملازمة دوام التعلق بها بالهيبة مع الإجلال والتعظيم له ﷺ فعليك بذلك ففيه السعادة الكبرى والمكانة الزلفى والله الموفق:

القسم الثاني: من التعلق المعنوي هو استحضار حقيقته الكاملة، المشرفة بنور الذات الإلهية في الآباد والآزال، المحيطة بكل كمال حقي وخلقي المستوعبة لكل فضيلة في الوجود صورة ومعنى حكماً وعيناً غيباً وشهادة ظاهراً وباطناً ولن تستطيع أن تستحضر كل ذلك له حتى تعلم أنه ﷺ هو البرزخ الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتا وصفات لأنه مخلوق من نور الذات والذات جامعة لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكماً وعيناً. ومن ثم قال الله تعالى في حقه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجم: 8-9] وإني سانزل لك حقيقة معنى هذه الآية الشريفة، المفصحة عن كمالاته المنيفة، ﷺ إنزالاً مثالياً يتصور لك في الذهن برؤية هذا المثال تحقيق معناها إن شاء الله تعالى، اعلم أولاً أن الوجود كله كدائرة واحدة مقسومة في النصف بخط يمر على مركز الدائرة، فالنصف الأعلى منها يسمى بالوجود القديم والواجب والحق وتعالى الله عن التقسيم والانقسام، والنصف الأسفل منها يسمى بالوجود المحدث والممكن والخلق فكل نصف من الدائرة قوس والخط الواحد وتر ذاك القوس فالخط وتر قوسي الدائرة وبه تقوس كل نصف على ما هو عليه فقسم هذا الخط الذي هو الوتر قاب قوسين، فعلم أن المقام المحمدي هو الجامع للكمالات الإلهية والكمالات الخلقية صورة ومعنى، وقد مثلنا هذه الدائرة في الكتاب المتقدم على

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب بداء الوحي، حديث رقم (1) [1/ 3] ورواه أبو داود في السنن، باب فيما عنى به الطلاق. . ، حديث رقم (2201) [2/ 262] ورواه غيرهما.

هذا الكتاب من حيث التجزئة ولم نكتف به لأن هذا المحل محتاج إلى ذكرها والله أعلم.

وهذه صورة للدائرة الوجودية المثالية.



[كان ﷺ برزخاً]

وإنما كان ﷺ برزخاً بين الحقائق الحقية والحقائق الخلقية لأنه حقيقة الحقائق جميعها ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش وقد علمت أن العرش غاية المخلوقات إذ ليس فوق العرش مخلوق فعند استوائه ﷺ ثَمَّ كانت المخلوقات بأسرها تحته وربه فوقه برزخاً بين الحق والخلق بالصورة المحسوسة كما كان برزخاً بالمعنى لأنه الموجود من الحق، والخلق موجودون منه ﷺ فهو المتصف بكلتا الصفتين من كلتا الجهتين صورة ومعنى حكماً وعيناً. فإذا علمت ما ذكرته لك سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمدي كما هو له إن شاء الله تعالى.

تنبيه اعلم أن للحقيقة المحمدية ظهوراً في كل عالم يليق بحال ذلك العالم فليس ظهوره ﷺ في عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح لأن عالم الأجسام ضيق لا يسع ما يسعه عالم الأرواح. وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى فإن عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع، ثم ليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء وليس ظهوره في السموات كظهوره عن يمين العرش

وليس ظهوره عن يمين العرش كظهوره عند الله سبحانه وتعالى فوق العرش حيث لا أين، ولا كيف. فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الأنزل، ولكل ظهور جلالة وهيبة بقدر المحل حتى يتناهى إلا محل لا يستطيع أن يرى فيه أحداً من الأنبياء والأولياء وذلك معنى قوله ﷺ «**لي وقت مع الله تعالى لا يسعني فيه غير ربي**»[1] وفي رواية «**لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»[1] فارفع بهمتك يا أخي لتراه في مظاهره العليا بمعانيه الكبرى فإنما هو هو.

إشارة: أوصيك يا أخي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ﷺ ولو كنت متكلفاً مستحضراً فعن قليل تتألف روحك به فيحضر لك ﷺ عياناً تجده وتحدثه وتخاطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة رضي الله عنهم وتلحق بهم إن شاء الله تعالى.

الباب السابع: في ثمرة ملازمة تلك الحضرة الشريفة، والدوام على مشاهدة تلك الصورة اللطيفة بمعانيها العزيزة المنيفة، وملاحظة ذلك ولو بالتصور والتخيل والتفكر.

اعلم أيدنا الله وإياك بروح قدسه، ولا أخلى الجميع من بسطه وأنسه، أن ثمرة العكوف عليه، هي سبب الوصول إليه، ألا تراه ﷺ يقول: «**أكثركم عليّ صلاة أقربكم مني يوم القيامة**»[2] وذلك أن المصلي عليه ﷺ كثيراً لابد أن يتعلق به خاطره فيتعشق قلبه بالصورة الروحانية تعشقاً يوجب المحبة ودوام الذكر له بالصلاة عليه ﷺ فلأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ومعه ﷺ. وثم نكتة أخرى وهي ما ورد في الحديث عنه ﷺ: «**أن الداعي إذا دعا لأخيه المؤمن تقول له الملائكة ولك بمثله**»[3]. ولا خلاف أن دعاء الملائكة مقبول لأنهم معصومون فيصلي الله على المصلي فترجع صلاة المصلي على نفسه ولهذا ورد في الحديث عنه ﷺ أنه من صلى عليه صلاة واحدة صلى عليه، أي على المصلي بها عشراً ولهذا يحصل المصلي في حقيقة القرب فيحشر معه فإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما تكون نتيجة الصلاة بالقلب والروح والسر، وليست الصلاة إلا القرب والاجتماع والإقبال كما ورد في

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

(3) رواه ابن ماجه في السنن، باب فضل دعاء الحاج، حديث رقم (2895) [2/ 966].

اللغة. فإذا حصل هذا الأمر من الروح والسر هل يكون إلا معه عند الله؟ لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ القرب بالمكان وهو في الجنة ونتيجة العمل الباطن وهو التعلق والإقبال ودوام استحضار صورته ﷺ ومعناه القرب بالمكانة وهو عند الله في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف فافهم.

إشارة: اعلم أن الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره على أنه لا ينساه وكلما ازدادت معرفته بالنبي ﷺ وظهرت عليه الآثار عند ذكره ﷺ وذلك أن معرفة الولي لله تعالى إنما هي على قدر قابلية النبي ﷺ، فلهذا لا يطيق أن يثبت له وتظهر عليه الآثار لأنه من فوق أطواره وكلما ازداد الولي في النبي ﷺ معرفة كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الإلهية وأدخل في معرفة الله تعالى على الإطلاق.

بشارة: من خصائص النبي ﷺ أن كل من رآه من الأولياء في تجل من التجليات الإلهية لابساً لخلعة من الخلع الكمالية فإنه ﷺ يتصدق بتلك الخلعة على الرائي وتكون له، فإن كان قوياً أمكنه لبسها على الفور وإلا فهي مدخرة له عند الله تعالى يلبسها متى تقوى واستعد إما في الدنيا وإما في الآخرة، فمن حصل له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا أو في الآخرة تكون له من النبي ﷺ هذه الفتوة فكل من رأى ذلك الولي في تجل من التجليات وعليه تلك الخلعة النبوية فإنه يخلعها ويتصدق بها عن النبي ﷺ على الرائي الثاني، وينزل للولي الأول من المقام المحمدي خلعة أكمل من تلك الخلعة عوض ما تصدق بها عن النبي ﷺ، فإن أمكن أن يراه فيها أحد بعد ذلك خلعها عليه وحصلت له أخرى، وهكذا إلى مالانهاية له صدقة نبوية محمدية هاشمية جرت سنة محمد ﷺ بذلك من الأزل عند أخذ الله له العهد على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى نالوا بذلك مقام النبوة الشريفة التي قصرت أيادي الأولياء عن نيلها، لأن رؤية الأولياء له ﷺ إنما وقعت بعد تلك الرؤية وفي غير ذلك المحل، ولأجل هذا فازت الأنبياء صلوات الله على نبينا وعليهم بدرجة السعادة التي ليست لغيرهم لأنهم أول من رآه في أكمل خلعة له ولم تزل هذه الفتوة دأبه عادة لسائر من يراه من الأولياء إلى أبد الآبدين ولتكن هذه المقالة، آخر هذه الرسالة، والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، والحمد لله رب العالمين صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

انتهى كتاب قاب قوسين.

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه

[كتابه النور المتمكن]

كتابه «النور المتمكن» في معنى قول المؤمن مرآة المؤمن وهو الجزء الحادي عشر من كتابه «الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ».

فمن جواهره فيه قوله رضي الله عنه:

في خطبته الحمد الله الظاهر بنور الوجود، الباطن الذي لا يدرك على ظهوره في كل موجود، الولي الحميد، القريب البعيد، المتفضل بمقتضيات الحقائق على أهل النعيم وأصحاب العذاب الشديد، الآخذ بناصية الكل إليه، من كلتا يديه، فهذا شقي وهذا سعيد، جعل الله محمداً ﷺ مقدم أهل الهداية آخذاً بيد الخلق إلى الحق المجيد، على طريق التقى بالعلم النافع والعمل الصالح والرأي السديد، واقفا بباب الوصل يدعو إليه كل مؤمن رشيد، وجعل إبليس اللعين مقدم أهل الغواية صارفا للخلق عن الحق إلى الباطل العتيد، على طريق الهوى بالعلم المهلك والعمل الفاسد والرأي العنيد، واقفاً بباب القطع كالحاجب لمنع كل منكر وشيطان مريد، فقسم سبحانه الخلق على قسمين، واتبعهم هذين الشخصين، فهذا ولي مقبول وهذا شقي طريد، وصفاته هي الداعية لوجود هذين الجنسين في العبيد، فالجمال يقتضي النعمة، والجلال يقتضي النقمة، والبسط يقتضي التقريب، والقبض يوجب التبعيد، وبعد قطع مفاوز الطريقين فنهاية الكل إليه الشقي والسعيد، أحمده عين حمده لنفسه بالجمال، وأعظمه تعظيمه لذاته بالجلال، وأقر له بما هو نعته من الجمال، وأشهد أن لا إله إلا هو الواحد بالذات المنزه عن الأصول والفروع والعترة والآل، وأشهد أن محمداً ﷺ قطب رحى الكمالات، ومنصب حقائق الأسماء والصفات، الغوث الفرد الجامع لما قصرت عنه سائر الموجودات، فهو مفتاح خزائن الجود، والفضل في الوجود، وختم سائر المقامات، المبعوث رحمة للبريات، ماتواترت الآيات، وتعاقبت الأوقات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وشرف وعظم ومجد وكرم.

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي أيضاً:

قوله في مقدمة كتابه النور المتمكن المذكور اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الله سبحانه وتعالى ذو جمال وجلال، فصفات الجمال تقتضي التقريب والتنعيم، وصفات الجلال تقتضي التبعيد والتعذيب، ومدار الوجود الكوني بأجمعه على هذين

الحكمين، فما ثم إلا علو وسفل، ولطيف وكثيف، أو قريب وبعيد، أو شقي وسعيد، فأهل العلو هم أهل القرب وهم السعداء الذين لطفت هياكلهم بلطف أرواحهم فصاروا من أهل اليمين ومستقرهم الجنة. وأهل السفل هم أهل البعد وهم الأشقياء الذين كثفت أرواحهم بكثافة هياكلهم فصاروا من أهل الشمال ومستقرهم النار.

إلى أن قال رضي الله عنه في المقدمة أيضاً وجعل لكل طائفة من أهل السعادة والشقاوة مقدماً هو أعظمهم اتصافاً في ذلك المعنى فمحمد ﷺ هو مقدم السعداء وأعظم الخلق اتصافاً بالسعادة، وهو ﷺ قائدهم إلى كل خير وفي كل زمان وفي كل موطن دنيا وآخرة ولهذا كان مدار الأمر إليه فختم الله به النبوة كما بدأ بخلقه ﷺ، وضده في المعنى أبليس اللعين مقدم الأشقياء وأعظم الخلق اتصافاً بالشقاوة وقائد الأشقياء إلى كل زمان وفي كل موطن دنيا وأخرى. وسر ذلك أن إبليس أول من عصى الله تعالى حيث أمره الحق ولم يسجد فهو إذن مقدم العصاة وقائدهم إلى جهنم. ومحمد ﷺ هو أول من أطاع الله في الوجود لقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر**»[1] الحديث. فالعقل الأول هو أول مخلوق لله وهو أول طائع له وهو حقيقة الروح المحمدية لقوله ﷺ أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر فهو ﷺ حقيقة العقل الذي هو أول مطيع ولهذا كان قائد المطيعين إلى الله تعالى ومقدمهم في كل موطن ﷺ فمثال محمد ﷺ مثال الدوادار للخلق إلى السلطان. ومثل إبليس اللعين مثل الحاجب المانع المبعد للخلق من حمى الملك ولله المثل الأعلى وهو المنزه أن يكون له في الوجود حاجب أو دوادار. ثم قال رضي الله عنه فالسعيد المطلق بل أسعد السعداء هو محمد ﷺ والشقي المطلق بل أشقى الأشقياء هو إبليس عليه اللعنة وسعادة السعداء متفاوتة على حسب زيادة اتباعهم لمحمد ﷺ ونقص ذلك بحسبه فما من اتبعه في قوله كمن اتبعه في قوله وفعله وحاله ﷺ، فكما أن هذه الطائفة السعيدة متفاوتون في السعادة بالاتباع المحمدي كذلك تلك الطائفة الشقية متفاوتة في الشقاوة بالاتباع لإبليس. وقد آن أوان تفصيل أهل السعادة أتباع محمد ﷺ والله الموفق.

---

(1) رواه ابن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ حديث رقم (46) [1/ 48] ورواه ابن كثير في التفسير، آخر تفسير سورة السجدة [3/ 514].

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي:

قوله في كتابه النور المتمكن المذكور الباب الأول في ذكر الحقيقة المحمدية التي لها العلو المطلق في الوجود وفي الاهتداء بها ضرورة علماً وعملاً ظاهراً وباطناً صورة ومعنى أعلم وفقنا الله وإياك، ولا أخلانا عنه ولا أخلاك، أن الله تعالى خلق محمداً ﷺ إكسير السعادة الكبرى وأنموذجاً للطائفة صورة ومعنى، فجعل مرتبته في الوجود، المرتبة العلية التي ليس فوقها مرتبة لموجود، كما قال ﷺ: «**إن الوسيلة أعلى درجة في الجنة وإنها لا تكون إلا لرجل واحد**» وقال ﷺ: «**وأرجو أن أكون ذلك الرجل**» ورجاؤه محقق لأن الله تعالى قد وعده بها فجميع أحواله وأقواله ﷺ مما يوافق لتلك المرتبة العليا، والمكانة الزلفى، ولهذا كان ﷺ هداية محضة يهدي إلى السعادة المطلقة قولاً وفعلاً وحالاً ظاهراً وباطناً لأن ذاته لا تقتضي خلاف ذلك وضرورة من آمن به أو سلك طريقه أو حذا حذوه أو أحبه أن يسعد لأنه ﷺ إكسير السعادة المطلقة، فكل من تبعه أو خالطه أو مازجه أو قاربه بوجه من الوجوه سعد سعادة أبدية على قدر ذلك الاتباع والمخالطة.

ألا ترى أن من آمن به ﷺ ثم مات من وقته كيف يحكم له بدخول الجنة على أنه لم يفعل شيئاً من الأفعال الصالحة ولم يتبعه في شيء من الأقوال والأحوال، إذ هو ﷺ نور محض والنور يهدي إلى الجنة والقليل من النور كاف، ألا ترى إلى نور الشمعة كيف تهديك في الليل المظلم إلى بيتك كما يهديك ضوء الشمس في النهار، ولهذا كان أهل السعادة تابعة له ﷺ سواء تقدم ظهورهم على زمان ظهوره أم تأخر. وكل نبي من الأنبياء المتقدمين صلوات الله وسلامه عليهم تابع له في باطنه وظاهره ومن ثم كانوا نوابه وكانت الأولياء خلفاءه ﷺ فهم أسعد الخلق لأنهم فازوا بالأكملية ظاهراً وباطناً فسايروه باطناً في الكمالات الإلهية. والمعارف اللدنية، وسايروه ظاهراً في النبوة والرسالة والهداية وفي الدعوة المشروعة الخاصة بطريق كل منهم وكذلك من الأولياء المحمديين رضوان الله عليهم تبع له ﷺ في الكمالات الإلهية باطناً وفي الأحوال والأقوال والأفعال ظاهراً فهم أكمل أتباع محمد بعد الأنبياء صلى الله عليه وعليهم، وإنما انحطوا عن درجة الأنبياء لأنهم يدعون إلى الله تعالى على الشرع المحمدي، وكل من الأنبياء والرسل إنما يدعو على شرعه المختص به، فمزية الأنبياء صلوات الله عليهم على الأولياء بالتشريع فقط، ولهذا

قال ﷺ: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**»(1) يريد العلماء بالله الذين هم العارفون بجمال الله وجلاله. فمن كان له من الأولياء أتباع كان خليفة عن الرسل، ومن لم يكن له منهم أتباع كان خليفة عن الأنبياء الذين لم يرسلوا، فالأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم كانوا لمحمد ﷺ كالحجاب لمرورهم قبله في العالم الدنياوي كما يمر الحاجب قبل الملك والأولياء المحمديون رضوان الله عليهم هم لمحمد ﷺ كالخدم والخواص الذين يكونون حول الملك على خزائنه ومراتبه ومن ثم قال الشيخ أبو الغيث بن جميل رضي الله عنه، خضنا بحراً وقف الأنبياء على ساحله.

المشهور أن هذا كلام أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: يريد بحر القرب المحمدي والاختصاص بشرعه ﷺ في الحقائق الباطنة والدقائق الظاهرة، وليس للأنبياء صلوات الله عليهم من شرعه إلا حكم كونهم اتباعاً له في الحقيقة، فالأولياء المحمديون مطلعون على الأسرار المحمدية خائضون في بحر الكمال المحمدي الذي وقف الأنبياء على ساحله لأنهم كانوا مشرعين لأنفسهم فما خاضوا بحر الشرع المحمدي الذي خاضته الأولياء الكمل من أمته ﷺ، ومن ثم قال سيد الأولياء محيي الدين الشيخ عبد القادر الكيلاني في معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه، يعني أن الأنبياء صلوات الله عليهم أوتوا لقب التبعية للنبي ﷺ فسموا أتباعاً له بالحكم وإنما تبعه حقيقة الأتباع الأولياء من أمته لأنهم تشرعوا بشرعه وتحلوا بكمالاته المختصة به فهم تبع لمحمد ﷺ حقيقة ومجازاً صورة ومعنى ظاهراً وباطناً وكل من دونهم فلا يسمى تبعاً للنبي ﷺ إلا بوجه واحد أو وجوه متعددة لا من كل الوجوه، فما شمول الوجوه كلها بالتبعية إلا للكمال من أمة محمد ﷺ فهم أسعد الخلق بعد الرسل والأنبياء صلوات الله على الجميع لأنهم اتبعوه من كل الوجوه فسعادتهم تامة من كل وجه كاملة من كل نسبة دون غيرهم من كافة كل الخلق.

واعلم أن أتباع محمد ﷺ مقسومون على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هم السابقون المفردون الذين ذكرهم النبي ﷺ بقوله: «**سيروا سبق المفردون**»(2) وهم الذين صحت التبعية المحمدية في الحقائق الإلهية لهم

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1744) [2/ 83].

(2) رواه مسلم في صحيحه، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم (2676) [4/ 2062] ورواه الترمذي في السنن، باب في العفو والعافية، حديث رقم (3596) [5/ 577] ورواه غيرهما.

فتخلقوا بأخلاق الله، وفي الحقائق الكونية فتطهرت نفوسهم وتخلصوا من دنس الصفات المذمومة بالصفات المحمودة الخلقية، وصحت لهم التبعية في الأفعال الظاهرة المشروعة في الطريقة المحمدية. واتصفوا بالصفات المحمدية، وتحققوا بالكمالات الإلهية على حكم التبعية له ﷺ فاستوفوا جميع الوجوه.

والقسم الثاني: هم العارفون الزاهدون في ما سوى الله تعالى المتحققون بالعبودية التابعون له ﷺ في العالم المعنوي بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم في ما يتعلق بأمر الحق وأمر الخلق..

والقسم الثالث: هم المؤمنون العاملون بأقواله، التابعون له في أفعاله حققوا أخباره، ثم اقتفوا آثاره، ﷺ فهم اتباعه في العالم الصوري.

وتقسيم هذه الأقسام الثلاثة على ما ورد في كلام الله تعالى حيث قال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿32﴾﴾ [فاطر: 32] فالأئمة في هذه الآية اختلافات كثيرة.

فمنهم من جعل **الظالم لنفسه** أقوم في المعنى تأويلاً على أنه ظلمها بعدم إعطاء نفسه شهواتها فأفناها عن الطبائع والعوائد والشهوات وعما سوى الله تعالى حتى فنيت في الله وأبقاها الله فيه به فهم القسم الصديقي.

وجعل **المقتصد** من توسط في ذلك فقام بما يجب عليه من الحقوق الإلهية، وأعطى نفسه حظاً ما من الحظوظ الكونية، فعبد الله تعالى إخلاصاً طلباً لشيء في الدنيا والآخرة فهو القسم الشهيد، وجعل **السابق بالخيرات** عبارة عمن تبع النبي ﷺ بالأعمال طلباً للدار الآخرة فهو يعبد الله تعالى للجزاء فهو القسم الصالحي، والذي ذهب إلى بحر هذه المعاني في هذه الآية هم المحققون كالشيخ الإمام محيي الدين بن العربي وأمثاله.

ومن الأئمة من عكس هذا القول فجعل السابق في اللفظ المؤخر في الآية سابقاً مقدماً في الأفضلية وجعل المقتصد متوسطاً أي طائعاً محضاً لكنه دون من سبق بالخيرات بعد كونه طائعاً وجعل الظالم لنفسه عبارة عمن خلط فجاء بالطاعة والمعصية كمن ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة: 102] وعسى في كلام الله محققه الوقوع

فجعل هذه الثلاثة أصناف عبارة عمن أرادهم الله تعالى بقوله ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ [فَاطِر: 32]، وعلى كلا تقديري الأئمة فالمصطفون من عباده مقسمون على ثلاثة أقسام كما قد سبق بيانه وقد ذكرنا أن القسم الأول هم الأولياء الكمل المحققون الذين صحت لهم التبعية المحمدية من كل الوجوه، وبقي تفصيل القسمين الآخرين وهذا موضع بيان ذلك.

الفصل الأول في ذكر اتباع محمد ﷺ بمكارم الأخلاق والاهتداء به في المعاني إلى معرفة الخلاق: اعلم أن النبي ﷺ كانت له طريقة باطنة وطريقة ظاهرة فالطريقة الباطنة هي أمر إجمالي وجملة تفصيله وعماد أمره هو التخلق بالأخلاق الإلهية والسلوك في الحقائق على المنهج الموصل إلى إعطاء كل ذي حق حقه، واعلم أن الأخلاق تتفرع إلى نوعين: **أحدهما** أخلاق إلهية ليس للكسب فيها مدخل بل حصول ذلك لا يكون إلا بمحض العناية الإلهية لمن سبقت السعادة عند الله تعالى له.

ثانيهما أخلاق كونية وهي المعبر عنها بمكارم الأخلاق وهذا النوع للكسب فيه مدخل فيحصل بالكسب لمن وهبه الله ذلك في الأزل فإن الصورة الحاصلة بالمكاسب ترجع إلى المواهب، وهذا النوع الثاني على ضربين.

الضرب الأول: هو ما يختص بالإنسان كالتقوى وعلو الهمة وشرف النفس واليقين والعقيدة الحسنة في الله تعالى وفي أنبيائه وأوليائه والصبر والعفة والحياة وأمثال ذلك من الفضائل بالإنسان.

والضرب الثاني: هو ما يعم غيره كالحلم والكرم وحسن الخلق ووسع الصدر والهداية والخدمة إلى غير ذلك من الأوصاف المتعدية من الموصوف إلى غيره. وهذا القسم عين التبعية الصورية، لأن الروح يوم القيامة تحشر على حسن صورة الأخلاق، والجسم يحشر على حسن صورة الأعمال لا الأخلاق فالأهم طلب حسن صورة الروح لأن حسن صورة الجسد تابع للروح، ألا ترى إلى الطاووس هل نفعه حسن صورة جسمه مع الإنسان، وهل يضر الإنسان لو خلق مشوه الخلق وروحه حسنة الصورة في الباطن؟ كلا ولهذا كان الإنسان أشرف من سائر الحيوانات لأن المعتبر في ذلك صورة الروح فأهل الاتباع المعنوي بمكارم الأخلاق أفضل وأشرف من جميع أهل الأتباع الصوري وسوف نفصل ذلك أيضاً إن شاء الله ﷺ تعالى.

الفصل الثاني: في ذكر الاقتداء به ﷺ في الأعمال واقتفاء آثاره في سائر الأفعال والوقوف مع ما ورد عنه من الأقوال للبلوغ إلى أعلى رتب الكمال.

اعلم أيدنا الله وإياك ولا أخلانا عنه ولا أخلاك أن الاقتداء الصوري أمر كلي وممر الكل عليه وأهل هذا الاقتداء على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: هم المقتدون به في أقواله ﷺ وهم العلماء ورثة الأقوال كالقراء والمحدثين والمفسرين وأصحاب الفقه وأصول الدين وجميع صنوف علماء الإسلام فكلهم حفاظ لأقوال النبي ﷺ.

والنوع الثاني: هم المقتدون به في أفعاله القلبية ﷺ كالزهد والإخلاص والمراقبة والتوكل والتفويض والتسليم وأمثال ذلك.

والنوع الثالث: هم المقتدون به في أفعاله الظاهرة ﷺ كالصلاة والصيام والأدعية وصنوف أعمال البر جميعاً. وكل هذه الأنواع الثلاثة اتباع له، وأفعالهم وأحوالهم وأقوالهم مسعدة بحكم تبعيته ﷺ فلم يشق منهم أحد لأنهم أتباع محمد ﷺ وهذه التبعية الصورية هي التي يحشر الجسم على صورتها يوم القيامة فمن كانت أعماله وأقواله الصورية حسنة كانت صورة جسمه في الآخرة من أحسن الصور وأجملها، وكذلك التبعية المعنوية هي التي تكون الروح على صورتها يوم القيامة، فمن كانت تبعيته المعنوية حسنة كانت روحه في الآخرة أكمل الأرواح وأجملها، فالتفاوت في الجميع والزيادة والنقصان على قدر الزيادة والنقصان في كمال التبعية أو نقصها فافهم. فالفقهاء ورثة أقواله ﷺ والعباد ورثة أحواله الظاهرة ﷺ. والمريدون ورثة أفعاله القلبية الباطنة ﷺ، والعارفون ورثة أخلاقه الروحانية وأوصافه الرحمانية ﷺ، والكمل المحققون ورثة شؤونه الإلهية وأسراره الصمدانية ﷺ قد جمعوا بين وراثة الأقوال والأفعال، في إحراز رتبة الكمال انتهى ما أخذته من كتابه النور المتمكن رضي الله عنه.

ومن جواهر سيدي عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه

كتابه المسمى «لسان القدر بكتاب نسيم السحر» وهو الجزء الثاني عشر من كتاب «الناموس الأعظم والناموس الأقدم في معرفة قدر النبي ﷺ» وقد رتبه على اثني عشر فصلاً.

الفصل الأول: في ذكر تخليته ﷺ واعتزاله عن الناس لانفراده بربه ورياضته الأيام ذوات العدد مرة بعد أخرى في غار حراء، عند بداية أمره لا الانتهاء.

الفصل الثاني: في سر رعيه الأغنام والشاة والأنعام زمان الصبا ودرك الأحلام ﷺ.

الفصل الثالث: في سر سفره بالتجارة إلى أرض الشام ﷺ.

الفصل الرابع: في سر قوله ﷺ: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**»(1).

الفصل الخامس: في سر قوله ﷺ: «**المرء حيث وضع نفسه**».

الفصل السادس: في سر تحبيب النساء إليه وتكثيره من الزوجات ﷺ.

الفصل السابع: في سر تحبيب الطيب إليه ﷺ.

الفصل الثامن: في سر جعل قرة عينه في الصلاة ﷺ.

الفصل التاسع: في سر شوقه ﷺ إلى إخوانه الذين من بعده.

الفصل العاشر: في سر قوله ﷺ «**ولي وقت مع الله تعالى لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»(2).

الفصل الحادي عشر: في سر قوله ﷺ «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(2).

الفصل الثاني عشر: في سر قوله ﷺ حالة انتقاله إلى ربه «**في الرفيق الأعلى**»(3) وتكراره لذلك ثلاث مرات وكونه كان آخر كلامه ﷺ. ثم ساق الكلام في هذه الفصول الإثني عشر على ما عقدها لأجله من المعاني والأسرار فصلاً فصلاً.

ولما كان جل كلامه فيها جارياً على اصطلاح الصوفية من المعاني الدقيقة والحقائق الرقيقة التي لا يدركها أمثالي رأيت أن اختصر من كل فصل منها جملاً نافعة، أنواراً ساطعة.

فمما قاله رضي الله عنه في الفصل الأول الذي عقده في الكلام على تخلية رسول الله واعتزاله عن الناس بغار حراء في أول بعثته ﷺ.

الحمد لله الذي انفرد بالذات، في كثرة ظهوره بحقائق الأسماء والصفات، المتجلي بالأحدية لذاته في ذاته بذاته من وراء سائر النسب والاعتبارات، وفوق جميع النعوت والأوصاف وخلف حقائق معاني الكمالات، الواحد بالظهورات المتعددات، الكثير بالنعوت في الشؤون والمحال المتبرعات، الكبير بالعظمة

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

(3) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب لو كنت متخذاً خليلاً..، حديث رقم (3467) [3/ 1341].

والتعالي، اللطيف بالقرب والتداني، العظيم بالعزة والكبرياء، القديم بالوجوب والبقاء، قيوم الوجود، المفيض على الحقائق بمقتضى قوابلها من خزائن الكرم والجود، معطي كل حقيقة حقها من النقص والكمال، ومنشئ كل ذرة على حسب مقتضى ذاتها للبقاء والزوال، أحمده بنعوت الكمال، وأثني عليه بأوصاف الجلال. وأشكره بصفات الجمال، حمداً ما فتئ له في الآباد والآزال، وثناء ما برح لسانه ولا زال، وشكراً ما انفك نواله السرمدي الأفضل، وأصلي على نبيه المخصوص بالخلق العظيم، المتخلق بالقرآن القديم، الذي أسري به لابساً نعله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى العرش الكريم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم خير صلاة وتسليم، إخواني أفيقوا من هذه الغفلة، قبل انقضاء زمان المهلة، وجردوا لمقاصدكم السنية، سيوف العزم من أغماد الهمم العلية، وتخلوا بالشغل بالمحبوب، فعسى ولعل أن يحصل المطلوب، وقال في المعنى.

يا من أراد الفوز بالأحباب	هلا اشتغلت بهم عن الأسباب
تهوى الحبيب وتبتغي بدلاً به	هذا لعمري أعجب الأعجاب
يا من يريد الخل يصحب غيره	إن كان حقاً من أولي الألباب
لم يتسع قلب الفتى في شغله	إلا لشيء واحد وجناب
فاترك سواهم إن أردت وصالهم	واهجر هواك وسائر الطلاب
وتخل معْهم ساعة في خلوة	قد نُزِّهت عن مانع وحجاب

ما تخلى ﷺ في غار حرا عن سائر الورى إلا لعلمه بأن الحبيب غيور، لا يسكن قلباً فيه للغير عبور، الوحشة عن الخلق، باب المستأنسين بالحق، والانفراد بالبراري والكهوف، علامة كل واله بالحبيب مشغوف، الخلوة عن الخلق، تفتح الخلوة مع الحق، إذا لم تجد مع الأنس أنس، وقعت مع المحبوس بلا حبس، كلما قلَّت مسموعات الأذن ومرئيات الأبصار. قلت وساوس الصدور وهواجس الأفكار، وزالت عن القلوب أحدية الأكدار، فانهملت بمحبوبها الأرواح والأسرار، واسترسلت في الاشتغال به آناء الليل وأطراف النهار، قد يشغل عن النفوس. فراق بعض المألوف والمأنوس، ويخف عن الأرواح، في حب من تهواه فراق الأشباح، فإن كنت نفسانياً أخلدت إلى الأرض، وركضت في طولها والعرض، وإن كنت روحانياً في الهوى، طرت إلى المحبوب في الهوا، وفارقت طبعك والهوى، وما ارتاض خير الأنام، في غار حراء من البلد الحرام، بترك الطعام والمنام والكلام، إلا

لعلمه بأن مقتضيات الجثمان، بترك الشرك والكفران، كلما قوي حكم الجسم على القلب ضعف حكم الأرواح، وإذا قوي سلطان الروح ضعف قوة حكم الأشباح، فأضعف النفس بالجوع، وقوى بالروح بعدم الهجوع، وأنف الوسواس بقلة الكلام، وأخل الوقت مع المحبوب بترك الآثام، وقال في المعنى:

قد صفا الوقت بمن أهوى وطاب ... ونأى عن وقتنا الواشي وغاب
سمح الدهر بطيب الملتقى ... يا لها من حضرة وصل تستطاب
نام عنا عين من يرقبنا ... وتجلى الخل من غير حجاب
لازمتنا بالنوى حادثة ... إنما البعد عن الحب عذاب
لست أخشى جور دهري في الهوى ... أنا في ظل حبيبي لا أصاب

ترك الطعام وترك الشراب، يصقل القلوب والألباب، والنوم أخو الموت اتركه تحيا، وترى ذلك المحيا، الناس يشغلونك عن المحبوب، فاجعل دأبك تركهم تنل المطلوب، كثرة الكلام تعقب الوساوس، وتركه يجلي القلب من الصدأ والدسائس، فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي، لو كانت الممالك، تنال بدون المهالك، ما شُجَّ سيد الخلق ولا كسرت رباعيته هذا وهو نبي وآدم بين الماء والطين، ولو كانت المعارف تقتضي عدم الاجتهاد، والجد في حصول المراد، لما شد لشدة الجوع بطنه بالحجارة سيد العباد، اركب المهالك في الحال، إن أردت اللحوق بالرجال، وما أحسن قول من قال، من لم يرتكب مركب المهالك لم يبلغ مبالغ الرجال، وقال في المعنى:

دعني أسير على الجفون مهرولاً ... نحو الحبيب ولو على الأرماح
لا خير فيمن ينثني عن خله ... خوف البلاء وخشية الإفضاح
لو كان بيني والحبيب جهنم ... لولجتها بالروح والأشباح
أو كان من أهواه في أفق السما ... لأطير لو قص الغرام جناحي
لا صبر لي عمن هويت ولم أزل ... أدنو إليه عشيتي وصباحي

الفصل الثاني في سر رعيه الأغنام، والشاة والأنعام، زمن الصبا ودرك الأحلام، عليه أفضل الصلاة والسلام.

الحمد لله الذي أسقط ظل جماله، على بساط كماله. فكسا الوجود محاسن من نعته وجلاله، خلق على صورته الخليفة آدم، واستخلفه على الخليقة في العالم، فدبر به ملك الوجود، وأجرى على يديه كل فيض وجود، علمه بالفطرة الأصلية، أسماء

الخلائق الوجودية، ليحيط علماً بمملكته، إذ لا ينبغي للملك أن يكون جاهلاً برعيته، وأسجد له كرام خلقه المقربين عند كمال ما يقتضيه شرف مرتبته، وتعليماً لهم بكمال قدره وعلو منزلته، ليحيطوا بالسجود له ويسعدوا بخدمته، فكان أول ما من به عليهم من التأديب والتعليم والتهذيب، والتمني لكمال ما تقتضيه حضرة الحبيب، أن رقاهم بالتدريج والتعليم، من حضيض عجب **(نحن نسبح)** إلى أوج اعتراف ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: 32]، وقال:

اخضع لمن تهواه ثم تذلل ... والثم تراب حمى علاه وقبل
لا تدعني عند الحبيب مكانة ... دعوى المحب رديئة لم تجمل
أدب الحضور مع الأحبة أن ترى ... ألا ترى لك في الهوى من منزل
من لم يمت عند الأحبة ذلة ... لم يحي في عين الوصال الأفضل
لا تطلبن إلى إرادته التي ... اختارها لك في الزمان الأول
فاصبر على ما تبتغيه ولا تكن ... متعرضاً في أمره وتحمل
إن يقبلوك لخدمة فبفضلهم ... أو يطردوك فعنهم لا ترحل

كان إبليس مع الملائكة كذلك ألف سنة ما أخرجه من بينهم إلا ظهور الخليفة، قال له لسان حال آدم ليس للأنذال أن يجالسوا أهل المراتب الشريفة، فانزل إلى مقتضى طبعك، ومحل سجنك الأسفل، ومستدعى طبيعتك الكثيفة، من هذه المنزلة العالية المنيعة، فقد مضى زمان لعب الذئاب بين الأغنام، وجاء الراعي بعصاه ليرد كلا إلى المرتبة من التأهيل والإكرام وقال:

أمر الوجود على نظام محكم ... يجري بتدبير الحكيم الأحلم
فإذا رأيت خلاف ما تبغي فقل ... طوعاً وسمعاً للعليم الأعلم
في كل وقت للأمور مدبر ... قطب عليه مدار أمر ملزم
مستخلف لله في أرض له ... جاءته تلك وراثة عن آدم
إن كنت من أولاد آدم يا فتى ... فاطلب خلافته بإذن واغنم
إن الخلافة لم تزل تأتي على ... سنن إلى أهل الكمال الأعلم
هذا تراه بعد ذاك وبعده ... هذاك في حكم القضاء المحكم
خلفاء حق للإله بملكه ... يقضون ما يبغونه بتحلم
أوتوا مقاليد السموات العلا ... والملك والملكوت حقاً فاعلم

فهم الملوك ومن سواهم أعبد ... لهم على المخلوق كل تحكم
نفذت أوامرهم على كل الورى ... من غير ما نقض وغير تلوم
لا يسألون إذا أتوا فعلاً ولا ... يعصون أمراً معقباً بتندم

ما جعل ﷺ راعي الأغنام، قبل دركه للأحلام، إلا تنبيهاً على أنه الراعي الأعظم المتصرف والمتخلف على تدبير العالم، أما تراه فشفع في الأب الأول حتى عفا عنه وشفع لأولاده في الآخرة بالخلاص من جهنم، كل يقول نفسي نفسي خوفاً عليهم من الأمر المبرم، لكونهم رعيته يقول قائلهم ما أملك إلا نفسي لكنما الراعي الأعظم، يقول أمتي لأنه راعيهم وكل راع مسؤول عن رعيته فاعلم، فهو الموجود، الذي عنده راحة الوجود، وهو المنفس في المضايق، عن سائر الخلائق، وقال في المعنى:

نحن الذين إذا ضاقت مسالكها ... كنا لها نفساً بالروح والكرم
فجاهنا واسع والفضل متصل ... وفضلنا سائغ في سائر الأمم
لنا المكانة في العليا وشيمتنا ... بذل المكارم والإحسان من قدم

بعث ﷺ إلى الأحمر والأسود والفصيح والأعجم ليكون رحمة للعالمين، فلا تظن أن رحمته مخصوصة بالمسلمين والمؤمنين فإنه يشفع للخلائق أجمعين، ألا تراه ﷺ يقول آدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر، ليت شعري هل يصل إلى من يكون تحت لواء محمد ﷺ شر من الشر، ما هذا ظني بذلك العظيم القدر، وقد صح عنه ﷺ أنه قال إن الله تبارك وتعالى قد وعده أن يعطيه ثلاث حثيات بيده ممن قد استوجب النار، وقال:

ألا قل لمن أمسى سمير المعاطب ... وحفت به الأهوال من كل جانب
بأحمد تنجو من بلاء بجاهه ... فلا تخش بالمختار هول المصائب
هو العاقب الماحي الذي عم فضله ... جميع البرايا من عدو وصاحب
أتى آخراً إن السلاطين يا فتي ... يكونون حقاً آخراً في المواكب
فكل الورى للهاشمي رعية ... نعم وهو راعي شرقها والمغارب
إليه مقاليد الأمور جميعها ... بدنيا وأخرى وهو معطي المآرب
عليه صلاة الله ما بلبل شدا ... وحنت على أيك طيور المخالب

لما بلغ عُمْراً يدرك في مثله الأحلام، قيل له أنزل لرعي الشاة والأغنام، فأنت الراعي الحقيقي لسائر الأنام، إنما جعل الرعي لك كالطريقة، للتحقق بما سبق لك في الحقيقة، لابد لظهور سرك المواهب، من حركة منك أيها المحبوب، فاسع

بالجد لكي تنال المطلوب، يا هذا احذر على غنم غيمة الروح من قرب شيطان النفس، فلا تدع عصا مخالفتها من كف خوف النزع والزيغ واللبس، لولا ما أراد نبيك ﷺ، من تحريضك على مخالفة نفسك وحسن سياسة باطنك على الدوام، لما قال لك مرتباً بحكمته: «**كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته**»[1]، الحواس الخمس والتقوى الباطنة والجوارح الظاهرة جميعها رعية لراعيها فالعدل بها أحرى، إياك أن تستعملها في الموبقات فتشقى بشقائها في الأخرى، فإن ذلك ظلم في حقها وأنت بجزاء الظالم أدرى. قال في المعنى:

العدل من شيم الكرام فلا تكن ... يا سيدي فيمن وليت ظلوما
أحسن سياسةَ أمنِ كلِّ رعية ... نسبوا إليك وكن بقيت رحيما
فالناس مجزيون بالعمل الذي ... هم عاملوه وكان ذا محتوما

الفصل الثالث: في سر سفره بالتجارة إلى أرض الشام ﷺ.

الحمد لله الذي أظهر سر المعلومات، فصيرها أعياناً محسوسات، مشهودة معانيها على حسب تنوع معاني التجليات التي كانت سبب اتحاد كل موجود من الموجودات، فدبر الأشياء من عدوة إلى عدوة قصوى في كل وقت من الأوقات، فخلقها في كل نفس خلقاً جديداً للتصور بصورة الأحوال الطيارات، تشكلا بأعيانها على هيئة الأمور المقتضية التقلبات، ليكون العالم بما فيه من الأنواع المختلفات مسافراً في كل آن بسبب الترقي والزيادات، فقال عز من قائل منبهاً على ذلك للعبيد، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [قٓ: 15]، وقال في المعنى:

سافر يكلمك الجمال السافر ... نحو الأحبة فالوجود مسافر
ما في البرية واقف في منزل ... كل على شرط الترقي سائر
هذا يسير إلى الكمال منعماً ... يخفى ترقيه لمن هو ماهر
كل يسير إلى العلا مترقياً ... في منهج أجراه فيه القادر
يجري على حسب الإرادة أمره ... وقتاً لأمر يقتضيه الآمر
والأمر يقضي بافتداء صفاته ... في قابلية كل كون دائر

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم (852) [1/ 304] ورواه مسلم في صحيحه، باب فضيلة الإمام العادل. . ، حديث رقم (1829) [3/ 1459] ورواه غيرهما.

السفر الأصلي، واحد كلي، لا يستطيل بل دوري، وهو السفر الحق من الحق إلى الحق من الله الابتداء، وإلى ربكم المنتهى، كما بدأكم تعودون، وعلى منوال أرواحكم ترجعون، ثم ذكر الإمام الجيلي رضي الله تعالى عنه بكلام دقيق لهذه الطريق عشرة منازل **(المنزل الأول)** اعلم الله تبارك وتعالى أول ظهور العبد هناك ولا أولية لذلك الظهور لعدم الإدراك. **(المنزل الثاني)** هو الكتاب المبين وهو اللوح المحفوظ الذي يظهر به العبد على التعيين **(المنزل الثالث)** أصلاب ظهور الآباء يتعين فيه العبد كوناً كالذرية بعد قطع منازل شتى خفية، **(المنزل الرابع)** هو المنزلة الذرية التي يأخذ الله فيه من ظهور الآباء الذرية، **(المنزل الخامس)** بطون الأمهات فيها يتعين الجنين بالأشكال والهيئات، **(المنزل السادس)** هو العالم الدنياوي محل الابتلاء والاختبار ودار الزوال والفناء والأكدار، **(المنزل السابع)** هو البرزخ، **(المنزل الثامن)** الحشر وهو المسمى بيوم القيامة، **(المنزل التاسع)** إما الجنة وإما النار المخلوقتان للبقاء والقرار **(المنزل العاشر)** الكثيب لأهل الجنة، والأعراف لأهل النار.

ثم ذكر أسفاراً ستة وتكلم عليها وعلى هذه المنازل العشرة بكلام دقيق على اصطلاح ساداتنا الصوفية أهل الحقائق والتحقيق لا أفهمه أنا ولا أمثالي كقوله، **(السفر الأول)** نزول الحق إلى الخلق، **(السفر الثاني)** صعود الخلق إلى الحق من الخلق، ويسمى السفر إلى الله تبارك وتعالى، والذي قبله يسمى السفر في الله **(السفر الثالث)** صعود، **(السفر الرابع)** سفر الخلق في الحق بالحق، **(السفر الخامس)** سفر الخلق من الحق بالحق إلى الحق، **(السفر السادس)** سفر العبد من الحرية إلى العبودية في العبودية.

وطريقة أهل الحق متفاوتة في الخلق **فمنهم** من سار على الترتيب، إلى آخر المراتب الكونية بالتدريج، على مدى عمر الكون الطويل الهائل، ومن القوم من طويت له المراحل، وزويت له المسافات بين المنازل، فوصل إلى الله تبارك وتعالى وهو في هذه الدار، واستقر به القرار، فلم يلتفت بعد إلى جنة ونار.

ثم قال رضي الله عنه ولكل موطن بضاعة موصوفة، وسلعة معروفة، فلا تبع جوهرة البقاء والكمال، في سوق زجاج النقص والفناء والزوال، بل كل الزفر بيد الغير، واكتم لديك ما حويت من الخير، أما علمت أن مال رسول الله ﷺ كان منسوباً لخديجة لا إليه، تنبيهاً لك على ما حرضناك عليه، فلا تقف مع ما حويت في

المنازل وانشر تجارة الكمال والإكمال في المراحل، لما نبهناك عليه في دوام سفر الوجود من البداية إلى النهاية، وزيادة في ترقيك إلى الملك المعبود في الأول والغاية، وهكذا صفات الكمال، يترقى بزيادة ظهورها في نوعي الجلال والجمال، في الآباد والأزال، فلم تزل تطلب الزيادة إن كنت من الرجال، فذاك سر تجارة أكمل الأكامل، وأفضل الأفاضل، وسفره إلى الشام ﷺ.

الفصل الرابع: في سر قوله ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي»[1].

الحمد لله القيوم القائم، الأحد الواحد الفرد الصمد الدائم، الذي ستر بنور وجوده الكاتم، ظلمة الكون الوجودي العدمي الملزوم اللازم، أظهر نوراً متخلقاً بأعيان حقائق الممكنات، وكساها من خلع الجمال ما اقتضته شؤون أسمائه والصفات، وجعل كل صفة من صفاته ناظرة إلى كل موجود من الموجودات، وغلب على كل موجود صفة منها ليكون مظهر تجليها من بين سائر التجليات، لتحفظه المراتب في العالم عن الممنوع أحوالها المتخلفات، والصلاة والسلام الاتمان الأكملان، الأطيبان، على سيد الثقلين وخير موجود من آل عدنان، محمد بن عبد الله حبيب الملك الديان، وعلى آله وأصحابه ما اختلف الملوان، إخواني ما اشتغل بالخلق، من صدق في طلب الحق، ولا ظفر بالمطلوب، من أنس بغير المحبوب، العمر مع الأنفاس زائل، وأنت إلى ما سوى الحبيب مائل، كيف تنال منه ما تهوى يا جاهل، وقلبك عن الحضور بين يديه لاه وغافل.

قال الشيخ القطب الجليل، فخر اليمن أبو الغيث بن جميل، قدس الله سرّه: اعلم أن المطلوب بعد صحة المقصد هو الاسترسال في الله تعالى هذا وصف المحب مع الأحباب، أما سمعت ما أثنى الله تبارك وتعالى على نبيه أيوب بالرجوع إليه فقال فيه نعم العبد إنه أواب، يا هذا إذا حرض الله تعالى الأنبياء على دوام الاسترسال فيه بالرجوع إليه، وملازمة الذهاب فيه بالوقوف بين يديه، كيف يستقربك القرار وأنت غير مطروح عليه ولا مقيم عنده ولا عاكف لديه، وقال في المعنى:

أنخ لعيسك بالأحباب يا حادي ... وانزل بسقط اللِّوى من سفح ذي الوادي
ما بعد منزل من تهواه مرتحل ... كيف الرحيل ومن تهواه في النادي
غنى الدليل إذا ما سار مرتحلاً ... عنه وحنت حداة الركب والهادي

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ليت النياق رمت بي في الهوادج إذ ... جد الرحيل ومالت بي لإبعادي
بل ليتها فقدت طرا قوادمها ... وما أمدت بورد الماء والزاد
مالي وما لرحيل عن حمى عرب ... في دارهم من سبا قلبي وأكبادي
المتلفين لقلب فيه قد نزلوا ... والسالبين لروح بين أجسادي
والضاربين حجاباً من صوارمهم ... على البدور فلا تبدو بأشهادي
هم بغيتي ومُنى قلبي وعندهم ... مأواي حقا ومثواي وتردادي
لا أبتغي بدلاً عن أرضهم أبداً ... إن دمت فيها فيا عرسي وأعيادي

ما قال لك الحكيم الأعظم، رسول الله ﷺ: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**» إلا تحريضاً على التعلق بالله وتنويها وتعريفاً لك بما في ظل الوحدانية من الكمالات وتنبيهاً، فإنه بالله كان يصول، وبه سبحانه كان يجول، فرمحه في المعنى، هو هذا الأمر الأسنى، فالزم العكوف على هذا الجناب، فعن قليل ينفتح لك الباب، وتتنعم بملك الكمال في دار الأحباب.

الفصل الخامس: في سر قوله عليه ﷺ: «المرء حيث وضع نفسه»[1].

الحمد لله المتجلى في سائر المراتب، بما هي مستحقة له من التفاوت في المناصب، على ما هي عليه من العلو والسفل والنقص والكمال والأمر والسلام والمنافي والمضاد والمناسب، كل ذلك من غير سلوك فيها أو مزج لها أو اتحاد بها أو انفصال عنها أو اتصال معها في التباعد والتقارب، بل كما يستحقه عز وجل في كماله من المكانة بالذات والوصف الواجب، وثبوت ما أوجبه لنفسه من الكمال وما نفاه عنها التنزيه القدسي السالب، فهو الواحد المتعين بحقائق الكثرة عن المكان المخصوص في تجليه بحقيقة الأمكنة والجهات من كل جانب، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقَرَة: 115] أي في الملك المشهود والملكوت الغائب. ثم قال فسبحان من نفخ في الانسان روحه وأشرق فيه وكلما أنزله في عالم طبع فيه جميع ما يحتويه ذلك العالم من أسراره وبركاته حتى أقامه في أسفل سافلين، بعد أن كان صاحب عليين، يستوعب له الكمالات والنقائص،

(1) أورده الغزالي في التبر المسبوك في نصيحة الملوك من كلام عمرو بن العاص، الباب الرابع في سمو همم الملوك، [1/ 39] وأورده أبو نعيم في حلية الأولياء، ذكر طبقة من تابعي أهل الشام [5/ 400] وهو من كلام كعب.

ويحيط بالمراتب على العلوم وبالتصرف على الأسرار والخصائص، نفى أي مرتبة أقام نفسه فيها، كان ولياً لتلك المرتبة وواليها، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البَقَرَة: 148] وأشار إلى ذلك ﷺ بقوله المرء حيث وضع نفسه فإياك أن تكون ممن جهل مكان حسه، وجفا مكانته العلية وقدسه، ثم قال فكن محمدي المشهد، أحمدي المحتد، حيث قال الله تبارك وتعالى لهذا السيد الكريم، في محكم كتابه القديم، لما انتمى إلى الحمى وسما: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17][الآية] وقال الله تعالى لعبده الأكمل الأواه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفَتْح: 10] إلى أن قال فاغترف بالسعادة المحمدية من بحر الأحدية، واتبع آثاره في منهج الكمالات الإلهية، لتفوز بالمكانة القطبية، وتنفرد بالغوثية، وتدخل في طرف حاشية من حواشي تمكين الروح المحمدية، عليه الصلاة والسلام مادامت الموجودات وعلى آله وصحبه خير البرية.

الفصل السادس: في سر تحبيب النساء إليه ﷺ وتكثيره من الزوجات.

الحمد لله الذي أحب وجود العالم لمعرفته، وخلق الموجودات على أكمل نظام حكمته، فعل كل شيء كاملاً حتى النقص له كمال في مرتبته كمل سبحانه وتعالى كل شيء كمالا راجعاً إلى صفته، برجوعه في كل موجود، وظهوره على حسب ما اقتضاه ذلك الموجود بقابليته، فالظاهر واحد والظهور مختلف لوسع المظهر وضيقه ولطفه وكثافته، وكل مظهر له محتد ظهوري من ذلك الحق ونعتيته، وذلك المحتد عبارة عن معنى معاني الكمالات الواجب بذاته وصفته، فالموجودات منتظمة المعاني على حسب أسمائه وصفاته، التي بحسبها يكون توجيه إرادته وقدرته، في الظهور الوجودي عند التكوين بكلمته، والصلاة والسلام على نور حضرته، وطراز خلعته، وزبدة محض معرفته، وسيد أهل قربته، وسر ذاته وصفته، خاتم الأنبياء المخصوصين بنبوته، وتاج المرسلين المميزين بإعلاء المراتب من مكانته ومرتبته، محمد بن عبد الله المبعوث من أشرف بريته، وعلى آله وصحبه وعشيرته وسائر أمته، صلاة دائمة بدوام ألوهيته، ثم قال محبته ﷺ للنساء عين محبته تعالى لمعرفته بلا خلاف ولا عناء كما ورد في الحديث القدسي عن النبي ﷺ حاكياً عن الله تعالى في ما ترجم: أنه قال: «**كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فبي عرفوني**»[1] أحب تعالى

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ظهور الحقائق، فخلق لذلك الخلائق، وأحبه ﷺ ليتحقق بكل كمال، فكان حب العبد الأواه، تبعاً لحب الله، ولأجل ذلك قال: «**حُبِّبَ إليَّ من دنياكم النساء**»[1] يضيف الفعل إلى المتعال، ولم يقل أحببت باسناده إلى نفسه في الحال، إلى أن قال نقوله حبب إليَّ من دنياكم إشارة إلى الذات ولا خفاء أن المرأة مخلوقة من ضلع الإنسان، وضلعه ذاته بلا خلاف ولا جحدان، والذات محبوبة بالطبع لكل أحد، تبعاً لمحبة الواحد الأحد، ولذلك صح لمحمد ﷺ استيعاب سائر الكمالات، من سائر الجهات، ففاز بكمالات الوجود فإن كنت مؤمناً فأنت منه، لقوله ﷺ والمؤمنون مني فلا تخرج عنه، أطلب مطلوبه، وأرغب مرغوبه، واحبب محبوبه، وأشرب مشروبه. ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] فاستيقظ يا هذا من السِّنة.

الفصل السابع: في سر تحبيب الطيب إليه ﷺ.

الحمد لله الذي طيب نشر الملأ الأعلى بصفات الحسن والجمال، وحلى المقربين من الكروبيين بنعوت المجد والجلال، وخلع على الصفوة من أوليائه خلع الكمال، وحبب إليهم الترقي إلى ذاته، بملاحظة صفاته، وحققهم بكمال أسمائه وصفاته ليظهر لهم آثارها بوجوده وهيآته، وأخذ بناصية خلقه إليه، من كلتي يديه، فحجب الغافلين عن ذلك وكشفه للحاضرين لديه، هؤلاء قوم أشهدهم الحق جريان قدرته فأوقفهم بواسطة تجليه في الأفعال عنده ثم من أهل الحضور قوماً كانوا أعزة عليهم به عنهم فما شهدوا في العالم شيئاً سواه ولا خطر بوجودهم أن موجوداً ثَمَّ غير الله، فما شعروا بالسكون والحركات، ولا فطنوا لتعاقب الدهور والأوقات، بل غابوا في الله بالله عن سائر الموجودات، لا يخطر في أنفسهم أمر ذاتهم، لا يعرفون فعلهم وصفاتهم، يفوح منهم روائح الجمال، وتفاح الكمال والجلال، لما قد تعطروا به من صفات الكمال، لا يشعرون بما هم فيه من الأفعال، بل هم ذاهلون في شهود الجمال، فانون عن الوجود بكل حال إلى أن قال تهب على الوجود منهم في كل نفس عطرات، ذوات أنفاس طيبات، تحيا بشم نسماتهم أموات القلوب، ويوجد عندهم عياناً جميع أسرار الغيوب، انكسرت أوعية قلوبهم، من أجل محبوبهم، لا يوجد إلا الله تعالى عندهم ولديهم، فأنزل سوحهم معتمداً عليهم، هم

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب الرغبة في النكاح، حديث رقم (13232) [7/ 78].

المطيبون بأطياب الكمال، المتلطخون بعبير عنبر الجمال والجلال، وهو الطيب المشار إليه في الحديث النبوي ﷺ وقال في المعنى:

نسمات طيبك هيجت أشجاني ... وشميم عطرك عن سواك سباني
إني سكرت بنسمة عطرية ... فيها تراوح حضرة الرحمن
من طيبته بطيبها أضحى بها ... متضوعاً طيباً بكل مكان
من شم منها شمة نال المنى ... من كل ما يهوى بغير مباني
طيب لو أن الميت شم نسيمه ... أحياه منه محيي الأكوان

الفصل الثامن: في سر جعل قرة عينه في الصلاة ﷺ:

الحمد لله الذي صلى على الصفوة من عباده الكرام، وحياهم بتحياته والسلام، فجعلهم من أفضل الفرق، وهداهم إلى أقرب الطرق، ظهر لهم بالكاف والواو والنون، وتجلّى في كل حركة وسكون، فاستوت عندهم به الأماكن، وتساوى لديهم عنده المتحرك والساكن، رأوا فعله في الوجود، فلم يسندوا حقيقة عمل بعد إلى موجود، وصار قصور كل متحرك في الوجود عندهم كالعلم، فاتخذوا نسبة وجود الفعل إلى الفاعلين كنسبة العدم، وانشد لسان حالهم، بلطيف قالهم وقال:

لا فعل لي إن قلت إني فاعل ... والقول لا قولي إذا أنا قائل
ما في الوجود جميعهم من فاعل ... شيئاً لأنك في الحقيقة فاعل
كذب الذي هو مدعي فعلاً له ... بالانفراد فإنه بك جاهل
أنت الذي تعطي وتمنع في الورى ... وهمُ كمالات وأنت العامل

تفرق القوم عند هذا الشهود، فسلك كل طريقه في الوجود، علماً بأن الآخذ بالنواصي، هو فاعل الطاعات والمعاصي، فسيان حالتا العبدين في العملين، وسيان حركاتهما في الحالتين ليس هذا فاعل الطاعة من عمل، ولا لذلك فاعل ما يتأتى عنه الخطأ والخلل، لكنه بفضله جعل المطيع الآيب، وبعدله هلك العاصي الخائب، وهذا معنى قوله المتعالي، هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، لكنما المحب العاشق، والمستهام الواثق، يقول كلما صدر من الغيوب، فهو غاية المطلوب، ونهاية المقصود والمرغوب، وقال في المعنى:

حكم سيوفك في رقاب أهل الهوى ... ما ثم إلا طائع أو راضي

رأوا مواضع المشيئة والإرادة، فشغلوا عن مقتضى الشقاوة والسعادة، واستوى

عندهم لمراده فعل المعصية والعبادة، فشقوا الأجفان على المراد، من غير ما توقف وعناد، فقال قائلهم

أتيت الذي يقتضيه فيّ مراده وعيني له قبل الفعال تطالع
فإن كنت في حكم الشريعة عاصياً فإني في حكم الحقيقة طائع

هؤلاء هم أهل حقيقة السعادة، ولهم من دون من سواهم المزيد والسيادة، لكنهم متفاوتون في المعالي، متمتعون في التعالي، فالمكرم الواصل، والمذلل الكامل، هو من أجراه الله تعالى في طريق الطاعة، وأقام وصلته وأزال انقطاعه، لأنه أوجد في مكارم الأخلاق إياه، فجد في أعمال أهل البر كالصوم والصلاة، لوجوده فيها محبوبه، وشهوده فيها مطلوبه، وإلى هذا المعنى الأعظم، أشار النبي الأكرم، بقوله عليه الصلاة والسلام «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[1]، قرة عينه في كل حال، بوجود ذات الكبير المتعال، والمعنى أنه وجد الكمال والسعادة والسيادة، في الجانب الأيمن المعبر عنه بالسعادة، فتحقق أيضاً بالربوبية والعبادة، ثم كأنه إلى هذا المعنى أشار سيد الوجود إلى أهل الطرق أيضاً المخصوصة بالجمال على الإطلاق، بقوله بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، لأنه جمع بذاته الكمالات الخلقية، إلى ما هو له من الجبلة والكمالات الخفية، فتمت له به مكارم الأخلاق، لجمعه بين الوهب والكسب إلى ما هو له بالأصالة والاستحقاق.

الفصل التاسع: في شوقه ﷺ إلى إخوانه الذين بعده

الحمد لله الذي جعل قبائل أعيان الموجودات، ليظهر في كل منها ما حواه الآخر بالذات والصفات، وذلك ظهور الوحدة في الأعداد لكثرة المركبات، ولولا ذلك لما صدقت أسماؤه الكلية على الجزئيات، أحمده على سوابغ الأعطيات، وسوابل الأغطيات، حمداً متصلاً بالآيات، يكافئ نعمه الباطنات، ويوافي آلاءه الظاهرات، مصلياً على نبيه صاحب المعجزات، ومفتاح خزائن الآيات البينات، وعلم عوامل ديوان المرضيات، وطرازكم فضيلة المحاسن والحسنات ﷺ وعلى آله شموس الكمالات، وأهله سماء المكارم والفتوات، ونجوم مفاوز الهدايات، وشرف وعظم، ثم صلى وسلم، إنما اشتاق ﷺ إلى إخوانه الذين من بعده، بعد أن كان في الصحابة من كان من أهل الغرام بوجده، وسبقهم إلى كل فضل بجهده وحده، لأن للقلوب، في

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

سلوكها إلى المحبوب، طرقاً عزيزة غريبة، ومناهج شريفة عجيبة، ولكل طريق علم عجيب ووارد غريب، وعند ذلك السيد الحكيم، مرهم كل جريح وأليم، فما قبلت قوابل الصحابة من تلك المراهم، إلا ما كان لجراحاتها في الهوى كالملايم، وبقي القلب المحمدي مشحوناً بالغرائب، مملؤا بالعجائب، فاشتاق إلى ما هو أهل لسماع تلك المعارف، مستحق التجلي بطرف تلك المطارف، ليتنفس في الهوى، بخفيف بعد أثقال الجوى، فإن في بعض الأشجان، تنفيس المكروب الولهان، ولا شك أن أعباء الرسالة، اندمج تحتها من الجلالة والجمالة والكمالة، أمر يعجز عن حله طاقة الإنسان، ولو كان له قوة سائر الأكوان. وإلى ذلك أشار إليه بقوله الرحمن، إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً، فلولا القوة الإلهية له لما وجد لحمله سبيلاً، فألقاه إلى أهل الكمال، من معاني معارف ذلك الجمال والجلال، ينفس عنه مكروب الغرام طرفاً، ويشفي صدره لكونهم يشفون به من البعد والجفا، فارحل أيها الفقير منك فيك إليه، وانزل بسوحه بين يديه، وخيم عنده ولديه، واعتكف من الأزل إلى الأبد عليه، ليداوي جرح القلب الخسيس، بما عنده من ذلك المرهم النفيس، فيشفى من الداء الدسيس، فما أخبرك عليه أفضل الصلاة والسلام بشوقه إليك، إلا تفضلا منه ومنّة عليك، ليجعل بينك وبينه طريقة مسلوكة إليك، فيك ومنك لديك، فتحيا بالتحية والإكرام، من الجناب المحمدي عليه الصلاة والسلام.

الفصل العاشر: في سر قوله ﷺ: «لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1].

الحمد لله المهيمن الوسيع، ذي المجد الباذخ المنيع، والشأن الشامخ الرفيع، أحمده على أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، حمداً يؤدي شكر أيادي جماله، ويقوم بواجبات مقتضى جلاله، ويوفي مستحقات معاني كماله، والصلاة والسلام على أفضل الأنام، وخاتم الرسل الكرام، محمد بن عبد الله المبعوث إلى الخواص والعوام، وعلى آله وأصحابه مؤيدي الإسلام، ما همر غمام، وهدر حمام، إخواني عليكم بمشاهدة الكمالات الإلهية، في حقيقة الذات المحمدية، بصرف وجود الحصر إليها، والتعويل بالشهود عليها، لتصطادوا بقابليته شوارد المعاني، وتنالوا بوجاهته جميع الأماني، وتسمعوا بأذن كماله مخاطبات الأنس، في حضرات القدس، فتفوزوا

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

بعلم مكتمات الأسرار، المصنوعات عن أسماع الأغمار، ولا تقتصروا على ذواتكم، فما حوت غير صفاتكم، فليس لكل من الحقيقة الكلية، إلا ما وسعته روحه الجزئية، بخلاف الحقيقة المحمدية، فإنها العقل الأول بل الروح الإلهية، فأخذها منه كلي بكلية القابلية، وأخذنا بجزء القوابل الجزئية، ولا لأحد من الأنام طريق، إلى وجود كمال التحقيق، إلا على الشرح الذي ذكرناه من الكلام، في الأخذ من القابلية المحمدية عليه أفضل الصلاة والسلام، فإن شئت أن تحظى بمطلق الكمال، ويبرز لك بالعقل ما هو بالقوة من الجلال، فتعلق بالحضرة المحمدية بالأذيال.

توسل بالحبيب إلى الحبيب ... لتحظى بالتوسل من قريب
وحادي العيس عرس بالمطايا[1] ... بسوح[2] النازلين على الكثيب[3]
وبرّد بالعذيب[4] غليل حر ... لاكباد تذوب من الوجيب
نناجيها بألسنة التداني ... ونسمعها بآذان المجيب
ونبسط في بساط الأنس شرحاً ... لحال في مودتها غريب
فنحظى بالوصال على أمان ... من العذال والواشي الرقيب

ما عرفك صاحب جوامع الكلم، بأن له القدم الأقدم في القدم، حيث قال: لي وقت مع الله تبارك وتعالى لا يسعني فيه غير ربي إلا لتعلم أنه ذو الشرف الأعلى، ومن دونه عنه في المقام الأنزل، فتأخذ أنت بقابلية من ربه حباه كل وصف أفضل، وترقى به في الكمال إلى المقام الأكمل، واعجباً كيف وسعت القلوب الحق تعالى؟ ولم تسع المصطفى ﷺ أما تراه سبحانه يقول في ما ترجم عنه الرسول: «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[5] من وسع ربه كيف لا يسع محمداً في وقته مع الله المهيمن، إنما ذلك لكون وسع القلوب للحق المتعال، على ما في

---

(1) المطية من الدواب التي تمط في سيرها وهو مأخوذ من المطو أي المد والجمع المطايا.
(2) سوح الساحة: الناحية وهي أيضاً فضاء يكون بين دور الحي. ساحة الدار باحتها والجمع ساح سوح وساحات.
(3) الكثيب: التل من الرمل.
(4) العذيب: ماء معروف بين القادسية ومغيثة وفي الحديث ذكر العذيب، وهو ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة مسمى بتصغير العَذْب؛ وقيل سمي به لأنه طرف أرض العرب من العذبة وهي طرف الشيء.
(5) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2256) [2/ 255].

قوابلها من النقص والكمال، وقوابلها جزئية المحتد في الآزال، وروح النبي ﷺ كلية فقابليتها كلية الأخذ بلا محال، فلأجل ذلك رجعت القلوب عنه القهقرى، وقد وسعت الحق بلا مراء، وهذا الأمر لا يطلع عليه إلا الكمال الفقر.

الفصل الحادي عشر: في سر قوله ﷺ: «لا احصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1].

الحمد لله أهل المجد والثناء، ومفيض النوال والسناء، ذي العز الشامخ، والمجد الباذخ، والفضل القديم، والجود العميم، والفخر الكامل، والكمال الشامل، الذي حمد نفسه بكل المحامد، وأجرى بربوبيته العبودية من كل شيء فكل موجود له خاشع وساجد، أحمده بمقتضى أسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأشكره شكره لمجده الأسنى، وأثني عليه بما به على نفسه أثنى، مصلياً على النور الأعظم، والطراز المعلم، صاحب قاب قوسين أو أدنى، ﷺ وعلى آله ما زمزم الحادي وغنى، إخواني إن كمال مرتبة الإنسان، بتحقق ثنائه على الملك الديان، وثناؤه له منوط بقابليته التي هي أثر محتده من ذات الملك المنان، وعلى نسق ما أعطته المواهب من الاستعداد يا هذا إنما الثناء على الله تبارك وتعالى بما هو له أهل، لا بما صوبه لك الفكر والدليل بالعقل، أين أنت يا هذا؟ هيهات، من محل قوم أثنوا على ذاته بالذات، بأن تحققوا بما له فيهم مما هو حقه من معاني الكمالات، فكم توسطوا في بحره العجاج، وتلاطمت بهم الأمواج، وأغرقتهم من كل جهة بالكمال الأبهى الوهاج، واحتووا نهاية مالا ينتهي، من معاني ذلك الوجه البهي، أخذوه تفصيلاً في الإجمال، من غير تفصيل في الحال، فقال سيدهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، أي لكثرة ما شهدته من معاني الكمال التي هي ليست ذات نهاية بحال، أنت كما أثنيت على نفسك تفصيلاً وإجمالاً، فلك الكمال إجلالاً وإجمالاً، والله تعالى أعلم وقال في المعنى:

يفنى الزمان ومدح وصفك باقي	يا حائزاً لمحاسن الأخلاق
أعجزت ألسنة الورى في نعتهم	بمحاسن تعلو على الإنطاق
عجز النهى عن درك وصفك قدرة	العجز فيك سجية الحذاق

الفصل الثاني عشر: في قوله ﷺ عند انتقاله من دار الدنيا إلى دار الأخرى:

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

«الرفيق الأعلى»[1]. وتكرارها ثلاثاً وكون ذلك آخر كلامه.

الحمد لله خالق المعارج، ونور المراقي والمدارج، الهادي لخلته بمخلوقاته، والدال لأوليائه بأسمائه وصفاته عليه، الذي تودد إلى خواصه فأحبوه، وتعرف إليهم فطلبوه، أشهدهم جماله وجلاله في كل شيء من غير حلول فشهدوه، وأوجدهم ذاته في غير محل مخصوص فوجدوه، وكملهم بكماله، وجملهم بجماله، وأظهر على أيديهم آثار لطفه وأنوار جلاله، أحمده على ما يعلمه لنفسه الكريمة من نفسه، وأشكره على ما خصني به من معرفة حظائر قدسه، وأثني عليه بما أسبغ علي من نعمه بالقرب الحقيقي المحفوف بأنسه، وأصلي على الوسيلة العظمى، ذي المحل الأعز الأسنى، والمقام الأكمل الأهنى، صاحب قاب قوسين أو أدنى، المبعوث إلى كافة خلق الله، بالهداية المطلقة إلى الله، ﷺ وعلى آله وصحابته، وخلفائه وعترته، أما بعد فإن الإنسان، له من وجوه المعاني وجهان، فوجه يكون به مع الأكوان، ووجه يكون به مع الملك الديان، فهو في حال ظهوره بكل وجه يا إخوان، كامل بما يقتضيه ذلك الوجه من الذات والوصف والاسم والفعل والأثر والشأن، فكأنه في الحقيقة له ذاتان، فالوجه الأبعد له وجه العجز والحصر والافتقار والنقصان، والوجه الأقرب منه له وجه العز والكبرياء والكمال والمعنى والوجود والإحسان، ثم قال رضي الله عنه لما قضى رسول الله ﷺ من العالم الدنياوي محبة وولى، قال ثلاث مرات في الرفيق الأعلى، فما كان هذا آخر كلام الرسول في النفس الآخر، عند القدوم من الدنيا إلى اليوم الآخر، إلا لتحقيق أمر في الحقيقة، مع الله على هذه الطريقة، لكيلا يرجع عن الرفيق الأعلى الرحماني، إلى الرفيق الأنزل النفساني والروحاني وقال:

لا تصرفوا نظري عن المحبوب	ما إن سواه في الهوى مطلوبي
إني يعز عليَّ أنظر غيره	في موضع يأوي له محبوبي
قلبي محل الخل بل كلي له	مأوى وما قلبي أخو تقليب
لي في الغرام تملك وتمكن	من حسن ذاك الأبلج المحبوب
أصبو إليه وهو عندي إن ذا	عجب وما شأن الهوى بعجيب

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

قال سيدي عبد الكريم الجيلي في الإنسان الكامل يخاطب النبي ﷺ:

يا مركز البيكار يا سر الهدى ... يا مِحور الإيجاب والإمكان
يا عين دائرة الوجود جميعه ... يا نقطة القرآن والفرقان
يا كاملاً ومُكملاً لأكاملٍ ... قد جُمِلّوا بجلالة الرحمٰن
قطب الأعاجب أنت في خلواته ... فلَكُ الكمال عليك ذو دوران
نُزّهتَ بل شبهتَ بل لك كل ما ... يُدرى ويُجهل باقياً أو فاني
ولك الوجود والانعدام حقيقةً ... ولك الحضيضُ مع العلا ثوبان
أنت الضياء وضده بل إنما ... أنت الظلام لعارف حيران
مشكاتُه والزيت مع مصباحه ... أنت المراد به وَمَنْ أنشاني
زيتٌ لكونك أوَّلاً ولكونك المخلوقَ ... مشكاةٌ منيرٌ ثاني
ولأجل ربِ عينُ وصفك عبده ... ها أنت مصباح ونور بيان
كن هادياً لي في دجى ظلماتنا ... بضيائكم ومكمّلاً نقصاني
يا سيد الرسل الكرام ومن له ... فوق المكان مكانة الإمكان
أنت الكريم فجد فلي بك نسبة ... عبد الكريم أنا المحب الفاني
خذ بالزمام زمام عبدك فُكّ كي ... يُرخَى ويُطلَقَ في الكمال عناني
يا ذا الرجاء تقيدت بك مهجتي ... بل للمحبة قد دعتك لساني
صلى عليك الله ما غنت على ... مغنىً تصاويرٌ لهن مغاني
وعلى جميع الآل والصحب الأُلى ... كانوا لدار الدين كالأركان
والوارثين ومن له في سوحكم ... نبأٌ ولو بالعلم والإيمان
وعليك صلى الله يا حاء الحيا ... يا سينَ سرّ الله في الإنسان

ومن جواهر العارف بالله عبد الكريم الجيلي:

[خاتمة كتابه الإنسان الكامل]

قوله في خاتمة كتابه الإنسان الكامل واعلم أن مقام القربة هي الوسيلة وذلك لأن الواصل إليها يصير وسيلة للقلوب إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية. والأصل في هذا أن القلوب ساذجة في الأصل عن جميع الحقائق الإلهية ولو كانت مخلوقة منها فإنها بنزولها إلى عالم الأكوان اكتسبت هذه السذاجة، فلا تقبل شيئاً في

نفسها حتى تشاهده في غيرها فيكون ذلك الغير لها كالمرآة أو الطابع فتنظر نفسها في ذلك الشيء فتقبله لنفسها وتستعمله كما تستعمل ذلك الشيء بحكم الأصالة، فاسم الحق أولاً وسيلة الأرواح إلى السكون إلى الأوصاف الإلٰهية وقلب الولي الواصل إلى مقام القربة وسيلة الأجسام إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية لظهور الآثار فلا يمكن الولي أن يتحقق جسده بالأمور الإلهية إلا بعد مشاهدته كيفية تحقق ولي من أهل مقام القربة فيكون ذلك الولي وسيلة في البلوغ إلى درجة التحقق وكل من الأنبياء والأولياء وسيلتهم محمد ﷺ، فالوسيلة هي عين مقام القربة وأول مرتبة من مراتبها مقام الخلة، وانتهاء مقام الخليل ابتداء مقام الحبيب لأن الحبيب الذاتي عبارة عن محل التعشق الاتحادي فيظهر كل من المتعشقين على صورة الثاني ويقوم كل منهما مقام الآخر. ألا ترى إلى الجسد والروح لما كان تعشقهما ذاتياً كيف تتألم الروح لتألم الجسد في الدنيا ويتألم الجسد لتألم الروح في الأخرى ثم يظهر كل منهما في صورة الآخر. وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله لمحمد ﷺ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفَتْح: 10] أقام محمداً ﷺ مقام نفسه وكذلك قوله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: 80] ثم صرح النبي ﷺ لأبي سعيد الخراز لما رآه في النوم فقال له يارسول الله أعذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك فقال له يا مبارك إن محبة الله هي محبتي، فلما كان محمد ﷺ هناك خليفة عن الله كان الله هنا نائباً عن محمد ﷺ والنائب هو الخليفة والخليفة هو النائب فذاك هو هذا وهذا هو ذاك، ومن هنا تفرد محمد ﷺ بالكمال فختم الكمالات والمقامات الإلهية باطناً، وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهراً وآخر مقام المحبة أول مقام الختام ومقام الختام، عبارة عن التحقق بحقيقة ذي الجلال والإكرام إلا في نوادر مما لا يمكن لمخلوق أن يصل إلى ذلك، فتكون تلك الأشياء له على سبيل الإجمال وهي في الأصل لله تعالى على سبيل التفصيل، فلأجل هذا لا يزال الكامل يترقى في الكمال لأن الله تعالى ليس له نهاية فلا يزال الولي يترقى فيه على حسب ما يذهب به الله في ذاته، ثم اعلم أن مقام العبودية غير مختص بمكانة دون غيرها فقد يرجع الولي من مقام الخلة إلى الخلق فيقيمه الله في مقام العبودية وقد يرجع من مقام الحب وقد يرجع من مقام الختام، وفائدة هذا الكلام أن العبودية رجوع العبد من المرتبة الإلهية بالله إلى الحضرة الخلقية فمقام العبودية له هيمنة على جميع المقامات، والفرق بين العبادة والعبودية والعبودة هو أن العبادة صدور أعمال

البر من العبد لطلب الجزاء، والعبودية صدور أعمال البر من العبد لله تعالى عارياً عن طلب الجزاء بل عملاً خالصاً لله تعالى، والعبودة هي عبارة عن العمل بالله ولذلك الهيمنة لمقام العبودة على جميع المقامات وكذلك مقام الختام فإنه منسحب على مقامات القربة جميعها لأنه عبارة عن ختم مقامات الأولياء، وبمجرد بلوغ الولي مقام القربة يجوز جميع المقامات التي يصل إليها المخلوق في الله تعالى، لأنه يلتحق في مقام القربة بالله تعالى فيختم بوصوله إليها جميع مقامات الخلق ويكون له فيها نصيب من مقام الخلة ونصيب من مقام الحب فيكون هو الختام في نفس مقام القربة. وإنما اختص اسم الخلة بأول مرتبة من مقامات القربة لأن المقرب هو من تخللت آثار الحق وجوده ثم مقام الحب بعد ذلك لأنه عبارة عن المقام المحمدي في المناظر الإلهية، ومقام الختام هو اسم لنهاية مقام القربة، ولا سبيل إلى نهايتها، لأن الله تعالى لا نهاية له، لكن اسم الختام منسحب على جميع مقامات القربة، فمن حصل في مقام القربة فهو ختم الأولياء ووارث النبي في مقام الختام، لأن مقام القربة هو المقام المحمود والوسيلة لذهاب المقرب فيها إلى حيث لا يتقدمه فيها أحد فيكون هو فرداً في تلك المقامات الإلهية وينبغي أن يعتقد ذلك بمحمد ﷺ. وقد أشار عليه الصلاة والسلام إلى ذلك بقوله: «**إن الوسيلة أعلى مكان في الجنة ولا تكون إلا لواحد وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل**»[(1)] لأنه كان له البدء في الوجود فلابد أن يكون له الختام، عليه أفضل الصلاة والسلام انتهت عبارة سيدي عبد الكريم الجيلي التي ختم بها كتابه الإنسان الكامل،

فائدة مهمة قال العارف بالله سيدي السيد مصطفى البكري إمام الطريقة الخلوتية وأحد أكابر أئمة الصوفية رضي الله عنه في آخر رسالته «**الثغر الدري البسام في من يجهل من نفسه المقام وهو من أهل الرسوخ في المقام**» وقد عَنَّ لي أن أختم هذه الرسالة بخاتمة في الختم المحمدي، جعلني الله ممن به يقتدى ليهتدي، فاقول مستعيناً بربي، فإنه وليي وحسبي، اعلم علمك الله من لدنه علماً، وجعل لك في ذوق الحقائق سهماً، أن نبينا ﷺ لما ختم بمبعثه دائرة النبوة، وأكمل حائطها المشيد بالفتوة، كذلك ختم باب ولاية النبوة في الظاهر وتختم بعيسى ولاية النبوة في الباطن وقد انختمت الولاية المحمدية الباطنية بسيدي محيي الدين قدس الله سره وستختم

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الولاية المحمدية الباطنة والظاهرة بالإمام، محمد المهدي المقدام، عليه منا السلام، ولنذكر عبارة سيدي محيي الدين في فتوحاته المكية، من أنه خاتم الولاية المحمدية الباطنية، قال فيها إن رسول الله ﷺ حين ضرب لنا مثلاً في الأنبياء عليهم السلام فقال ﷺ: «**مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطاً فأكمله إلا لبنة واحدة فكنت أنا تلك اللبنة فلا رسول بعدي، ولا نبي**»[(1)]، فشبه النبوة بالحائط والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط وهو تشبيه في غاية الحسن فإن مسمى الحائط هذا المشار إليه لم يصح ظهوره إلا باللبن فكان ﷺ خاتم النبيين.

وكنت في مكة سنة 599 أرى في ما يرى النائم الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب لبنة فضة ولبنة ذهب وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء وأنا أنظر إليها وإلى حسنها فالتفت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي وهو إلى الركن الشامي أقرب فرأيت موضع لبنتين لبنة فضة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفين في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين فكنت أنا عين تلك اللبنتين وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص وأنا واقف أنظر وأعلم أني واقف وأعلم أني عين تلك اللبنتين لا أشك في ذلك وإنهما عين ذاتي.

واستيقظت فشكرت الله تعالى وقلت متأولاً إني في الاتباع في صنفي كرسول الله ﷺ في الأنبياء عليهم السلام وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي وما ذلك على الله بعزيز وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط وإنه كان تلك اللبنة فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن في مكة من أهل تبريز فأخبرني في تأويلها بما وقع لي وما سميت له الرائي من هو فالله تعالى أن يتممها على تكرمه، فإن الاختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وإن ذلك من فضل الله تعالى يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، انتهى أي كلام سيدي محيي الدين، قال السيد مصطفى البكري بعده وفي كل عصر لابد من وجود ختم يختتم الله به دائرة أولياء عصره وتارة يكون هو القطب وتارة يكون غيره ومقامه مقام الختام، وأصول مقاماته ألف على التمام، وله الظهور فيها جميعها

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين حديث رقم (2286) [4/ 1790] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما مثل المصطفى ﷺ نفسه مع. . ، حديث رقم (6407).

بدون إبهام، وسيره بالكشف، وإرشاده بالرشف، جاز علم مراتب الوجود، وحاز فهم أسرار الشهود، فكانت الخاء والتاء عدد أصول مقاماته التي اطلع عليها، والميم لمراتب الوجود التي أوصله الكشف للوقوف على أسرارها والوصول إليها، يخفى حاله على كثير من الأولياء، فكيف لا يخفى على الأغبياء، قال شيخنا الشيخ عبد الغني في قصيدته التي مدح بها الهمام الأكبر قدس الله سرهما:

وفـي كـل عـصـر فـرد خـتـم ولايـة ... على الأوليا يخفى فكيف أولي الجحد

وقلنا في الألفية:

والـخـتـم وهـو واحـد فـي الـعـصـر ... قـد خـص بـالـتـأيـيـد ثـم الـعـصـر

ثم قلنا مشيرين لختم الولاية المحمدية الخاصة:

لـلأولـيـاء الـكـامـلـيـن خـتـم ... فـرد لـه الـتـقـديـم فـيـه كـتـم

ولـم يـكـن أكـبـر مـنـه فـيـهـم ... كـأن إمـداداتـه تـكـفـيـهـم

وإن ذا خـتـم الـولايـة الـتـي ... بـالـكـامـل الـمـحـمـدي خـصـت

ثم أشرنا لختم الولاية المحمدية العامة الذي هو المهدي فقلنا:

وثـم خـتـم آخـر قـد خـتـمـت ... فـيـه الـولايـة الـتـي قـد عـلـمـت

ثم نقل سيدي مصطفى البكري بعدما ذكر عبارة سيدي عبد الكريم الجيلي السابقة فقال: قال الجيلي قدس الله سره في أواخر كتابه الإنسان الكامل: ومن هنا تفرد محمد ﷺ بالكامل فختم المقامات الإلهية باطناً وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهراً إلى آخر عبارته السابقة.

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه قد نقلت في الجزء الثالث من كتابي «**جواهر البحار**»(1) في صفحة 1215 منه قول سيدي العارف الكبير الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين» رداً على من أنكر أنه خاتم الأولياء، كما أن نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء، إن دعواه أنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة لا يمنعها كثرة الأولياء في عصره ولا فيما بعده إلى آخر ما قاله هناك فراجعه، وقلت بعد انتهاء عبارة سيدي عبد الغني في هذا الشأن: إني رأيت في كلام غيره ما يدل على أن مرتبة الختمية للولاية التي نالها الشيخ الأكبر

(1) هو أصل هذا الكتاب الذي اختصرناه.

هي مرتبة باقية وكان من أهلها أحمد صفي الدين القشاشي المدني المتوفى سنة 1074 في المدينة المنورة انتهى ما قلته هناك.

وانقل هنا عبارة كتاب خلاصة الأثر في ذلك لتمام الفائدة وهي قول المحبي في ترجمته رضي الله عنه ووصل إلى مقام الختمية في عصره، فقد قال في ما وجد بخطه على هامش رسالة العارف بالله سالم بن أحمد شيخاني باعلوي المسماة بشق الحبيب في معرفة رجال الغيب عند قوله والختم وهو واحد في كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة وهو الشيخ الأكبر ما نصه: الذي يتحقق وجدانه أن الختمية الخاصة مرتبة إلهية ينزل بها كل أحد لها حسب وقته وزمانه غير منقطعة أبد الآباد إلى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله لعدم خلو المراتب الإلهية عن القائمين بها حتى يصير القائم بها كالصفر الحافظ لمرتبة العدد في ما قبله وبعده بأنفاسه تتم الصالحات وتقضى الحاجات، وقد تحققنا بذلك حقاً ونزلناه منازلة وصدقاً، وممن رأيته من مشايخي من أهل الختمية المذكورة سنداً متصلاً منهم إلينا من غير انقطاع بإذن الله تعالى خمسة أنفس سادسهم كلبهم لا رجماً بالغيب وربه ثم قال بعدها قاله عبد الجميع أحمد بن محمد المدني ومثله لا يتكلم بمثل هذا الكلام إلا عن إذن إلهي ونفس ووعي. انتهت عبارة المحبي في (**خلاصة الأثر**) وهي صريحة بأن ختمية الولاية ليست خاصة بالشيخ الأكبر.

فمن جواهره رضي الله عنه

[قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ]

قوله في الباب الستين من كتابه «الإنسان الكامل»: اعلم أن هذا الباب عمدة أبواب هذا الكتاب، بل جميع الكتاب من أوّله إلى آخره شرح لهذا الباب، فافهم معنى هذا الخطاب، ثم إن أفراد هذا النوع الإنساني كل واحد منهم نسخة للآخر بكماله لا يفقد في أحد منهم مما في الآخر شيء، إلا بحسب العارض، كمن تقطّع يداه ورجلاه أو يخلق أعمى. لما عرض له في بطن أمّه، ومتى لم يحصل العارض فهم كمرآتين متقابلتين يوجد في كل واحدة منهما ما يوجد في الأخرى، ولكن منهم من تكون الأشياء فيه بالقوة، ومنهم من تكون فيه بالفعل، وهم الكمل من الأنبياء والأولياء، ثم إنهم متفاوتون في الكمال، فمنهم الكامل والأكمل، ولم يتعيّن أحد

منهم بما تعيّن به محمد ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له بانفراده فيه، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله، فهو الإنسان الكامل، والباقون من الأنبياء والأولياء الكمّل صلوات الله عليهم، ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل، ومنتسبون إليه انتساب الفاضل إلى الأفضل، ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلّفاتي إنما أريد به محمّداً ﷺ، تأدّباً لمقامه الأعلى ومحلّه الأكمل الأسنى، ولي في هذه التسمية له إشارات وتنبيهات على مطلق مقام الإنسان الكامل لا يسوغ إضافة تلك الإشارات.

ولا يجوز إسناد تلك العبارات إلاّ لاسم محمد ﷺ؛ إذ هو الإنسان الكامل بالاتّفاق، وليس لأحد من الكمل ما له من الخلق والأخلاق، وفيه قلت هذه القصيدة المسمّاة، بالدرة الوحيدة في اللجّة السعيدة:

قلب أطاع الوجدَ فيه جنانهُ ... وعصى العواذلَ سرُّه ولسانهُ
عقد العقيق من العيون لأنه ... فقد العقيق ومن همُ أعيانه
ألف السهاد وما سها فكأنما ... نظم السُّهى في هُدبه إنسانه
يبكي على بعد الديار بمدمع ... سل عنه سلعاً كم روت غدرانه
فحنينه رعد ونار زفيره ... برق ومزن المنحنى أجفانه
فكأن بحر الدمع يقذف درّه ... حتى نفذن وقد بدا مرجانه
ولئن تداعى فوق أيك طائر ... داعى الحمامَ بأنّه خفقانه
ويزيده شجواً حنين مطية ... رفلت بها نحو الحمى ركبانه
يا سائق العيس المعمّم في السرى ... قف للذي تحدوكم أشجانه
بلّغ حديثاً قد روته مدامعي ... إذ عنعنته مسلسلاً فيضانه
أسند لهم ضعفي وما قد صح من ... متواتر الخبر الذي جريانه
يرويه عن عبراته عن مقلتي ... عن أضلعي عمّا روت نيرانه
عن مهجتي عن شجوها عن خاطري ... عن عشقتي عما حواه جنانه
عن ذلك العهد القديم عن الهوى ... عمّن همُ روحي وهم سكانه
وأسأل سلمت أحبتي بتلطف المسـ ... ـكين عندهمُ وهم سلطانه
واستنجد العرب الكرام تعطّفاً ... لمضيَّع في هجرهم أزمانه

لا يوحشنك عزّهم وعلوّهم ... تلك الديار لوفدها أوطانه
كلا ولا تنس الحديث فحبّهم ... قصص الصبابة لم يزل قرآنه
ما آيسوا المقطوع من إيصالهم ... بل آنسوه بأنهم خلانه
قد كنت أعهد منهمُ حفظ الودا ... د فليت شعري هل هم أخوانه
ولقد أنزه عن خيانة عهدنا ... شأن الحبيب وإن يكن هو شأنه
حيا الإله أحبتي وسقاهم ... غيثاً يجود بوبله[1] سكبانه
يحيي به الربع الخصيب ولم يزل ... حياً تميس بوُرقه أغصانه
عجباً لذاك الحي كيف يهمه ... قحط السنين وأحمد نيسانه
أو كيف يظمأ وفده ولديهم ... بحر يموج بدره طفحانه
شمس على قطب الكمال مضيئة ... بدر على فلك العلى سيرانه
أوج التعاظم مركز العزّ الذي ... لرحى العلا من حوله دورانه
ملك وفوق الحضرة العليا على الـ ... عرش المكين مثبّت إمكانه
ليس الوجود بأسره إن حققوا ... إلا حُباباً طفحته دِنانه
الكل فيه ومنه كان وعنده ... تفنى الدهور ولم تزل أزمانه
فالخلق تحت سما علاه كخردل ... والأمر يبرمه هناك لسانه
والكون أجمعه لديه كخاتم ... في إصبعٍ منه أجلْ أكوانه
والملك والملكوت في تياره ... كالقطر بل من فوق ذاك مكانه
وتطيعه الأملاك من فوق السما ... واللوح ينفذ ما قضاه بنانه
فلكم دعا بالنخلة الصما فجا ... ءت مثلما جاءت له غزلانه
ناهيك شق البدرِ منه بإصبع ... والبدر أعلى أن يزول قرانه
شهدت بمكنته الكِيَان وخير بيـ ... ـنة يكون الشاهدين كيانه
هو نقطة التحقيق وهو محيطه ... هو مركز التشريع وهو مكانه
عُقد اللوا بمحمد وثنائه ... فالدهر دهر والأوان أوانه
وله الوساطة وهي عين وسيلة ... هي للفتى يجلى بها رحمانه

---

(1) الوبل والوابل: المطر الشديد الضخم القطر.

وله المقام وذلك المحمود ما ... لم يدر من شأنٍ تعالى شأنه
ميكال طست موجة من بحره ... وكذاك روح أمينه وأمانه
وبقية الأملاك من مائية ... كالثلج يعقده الصبا وحرانه
والعرش والكرسيّ ثم المنتهى ... مجلاه ثم محله ومكانه
وطوى السمٰوات العلا بعروجه ... طيّ السجل كمدلج ركبانه
أنبا عن الماضي وعن مستقبل ... كشف القناع وكم أضا برهانه
وأتت يداه بمال قيصره ففرقـ ... ـها وكسرى ساقط إيوانه
ولكم له خلق يضيء بنوره ... يُهدي بذكراه الهدى جيرانه
ولكم تطهر في التزكّي وانتفى ... حتى ارتقى ما لا يرام عيانه
أنبا عن الأسرار إعلاناً ولم ... يفش السريرة للورى إعلانه
نظم الدراري في عقود حديثه ... منتثرات فوقها عقيانه
حتى يبلغ في الأمانة حقّها ... من غير هتك رامه خوّانه
اللّه حسبي ما لأحمد منتهى ... وبمدحه قد جاءَنا فرقانه
حاشاه لم تدرك لأحمد غاية ... إذ كل غايات النهى بدآنه
صلّى عليه اللّه مهما زمزمت ... كلم على معنى يريح بيانه
والآل والأصحاب والأنساب والأقطـ ... ـاب قوم في العلا إخوانه

[النبي ﷺ القطب الذي تدور عليه الأفلاك]

اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود، من أوّله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوّع في ملابس فيسمّى به باعتبار لباس، ولا يسمّى باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان اسم ما، يليق بلباسه في ذلك الزمان.

فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبيّ ﷺ، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة 796هـ، انتهى. ثم أطال الكلام في ذلك بما لا يفهم، أكثره أمثالي، فلذلك لم أنقله هنا، ومن شاءه فليراجعه في كتابه المذكور.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي

[الصفات المحمدية]

قوله في خطبة كتابه المسمى بكتاب «الكمالات الإلٰهية في الصفات المحمدية»، وهو كتاب نفيس وحجمه نحو ستة كراريس: الحمد لله الذي جعل محمداً ﷺ مظهر الكمال، وحلاه من أوصافه بكل ما تعرف به إلينا من الجمال والجلال، وخصّه بالوسيلة في مقام قاب قوسين أو أدنى، ثم دلاه بعدما أدناه ليظهره في العالم بأسمائه الحسنى، ومكّنه من القرب المقدس في المكانة العليا، وأحلّه من الجوار المؤنس في المستوى الأزهى، وجعله في العالم أنموذج حضرة الحضرات، ومرآة ظهور الأسماء والصفات، وأنزل عليه آياته الكريمة ظهراً وبطناً، وعرّفه بحقائق الأشياء صورة ومعنى، فله الحمد سبحانه، أن جعله النسخة العظمى لمطلق العدم والوجود، وفتح على يديه أبواب خزائن الكرم والجود، أحمده حمده لنفسه، بما يستحقه من كمالات قدسه، وأشكره شكراً متصلاً بالعليا، متواتراً مع النعمى، بالغاً من الغاية نهاية المكانة الزلفى، جامعاً لمتفرّقات المدح والثنا، مفصحاً عما يستحقه لذاته وأسمائه وصفاته التي كلّها حسن وحسنى، وأثني عليه بالحال والقال، ثناء من قام مقام الافتقار بين يديه، فوكله في ثنائه عليه.

فقال متأدّباً في حضرة قدسك: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»(1)، إلى أن قال رضي الله عنه: ولله در ذي نفس أبية، وشيم مرضية، قد امتطى نجيب الجدّ والاجتهاد، وسلك إلى الله طريق الفحول الأفراد، والحبيب المقرّب المبجّل المكرّم، نور الأنوار، ومعدن الأسرار، وطراز حلة الفخار، وتاج مملكة التمكين والاقتدار، واسطة عقد النبوّة، ولجّة زاخر الكرم والفتوّة، درّة صدفة الوجود، ومنبع الفضائل والجود، الجامع لحقائق الضدّين من معاني الجمال والجلال، الملحوظ بنظر العناية من ذات المتعال، المخصوص من الأزل بالأكملية على كل كمال، بحر الحقائق الرحمانية، ساحل الرقائق الإمكانية، زبدة خلاصة الكلمة الإنسانية، مالك مملكة الموجودات الأكوانية، مستخلف الخلفاء في المرتبة

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (486) [1/ 352] ورواه أبو داود، باب القنوت في الوتر، حديث رقم (1427) [2/ 64] ورواه غيرهما.

السلطانية، سيّد كل من يطلق عليه اسم العالم، الموجود في أعلى مراتب، وبين الماء والطّين آدم، صاحب لواء الحمد محمد رسوله الأعلم، وعبده الأكرم، ﷺ، وعلى إخوانه المضافين إليه من الأنبياء والمرسلين، المبعوثين بحكم النيابة عنه لتمهيد قواعد الدين.

ثم ذكر رضي الله عنه أنه برزت إليه الإشارة الإلٰهية بوضع هذا الكتاب في أول ربيع الأول من سنة 803 من تاريخ الهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام، وهو يومئذٍ بمدينة غزة المحروسة، وقد رتّب هذا الكتاب على مقدمة وأربعة أبواب، قال في المقدمة:

اعلم أن محمداً ﷺ هو النسبة التي بين العبد والربّ، فآدم ومن دونه إنما يستحق الاتّصاف بالصفات الإلٰهيّة لكونه نسخة من محمد ﷺ، فينبغي لك أيها الأخ أن تعرف أولاً صحة كونه النسبة التي بين الله وبينك، ثم ينبغي لك ثانياً أن تعرف ما لله من صفات الكمال، وما يستحقه في قدسه الكبير المتعال، ثم ينبغي لك ثالثاً أن تعرف اتّصاف محمد ﷺ بتلك الأسماء والصفات الإلٰهية حتى تسلك طريقه القويم، وصراطه المستقيم، فالحق تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] ، وإنك لمحتاج أيها الأخ في سلوك طريقه إلى معرفة نفسك، فهذه أربعة معارف لا بدّ لك منها، أي من تحقّقها، ولأجل ذلك فتحت هذا الكتاب على أربعة أبواب:

الباب الأول: في معرفة أن محمداً ﷺ هو النسبة التي بين الله وبين عبده.

الباب الثاني: في معرفة ما لله تعالىٰ من الأسماء والصفات.

الباب الثالث: في معرفة اتّصاف محمد ﷺ بالصفات الإلٰهيّة.

الباب الرابع: في معرفة ما في الإنسان من الأمور الكمالية وبيان كيفية الاتّصال إلى ذلك.

[الباب الأول]

في معرفة أن محمد ﷺ هو النسبة التي بين الله وعبده:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] ، اعلم أن هذه الرحمة هي التي عمّت الموجودات كلّها، فإليها الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: 156] ، يعني: أن محمداً ﷺ هو الواسع لكل

ما يطلق عليه اسم الشيئية من الأمور الحقّية، والأمور الخلقية، ولأجل ذلك ذكره الله تعالىٰ في آخر الآية فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿156﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: 156-157]، تنبيهاً على أنه من اتّبع محمّداً ﷺ في طريقه المخصوص به دون سائر الأنبياء، فسوف يلحق بمقامه المحمديّ.

وهذا معنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 156]، ويؤتون الزكاة أي يصيرون رحمة، فافهم واعلم أن الرحمة رحمتان: رحمة عامة ورحمة خاصّة، فالرحمة الخاصّة هي التي يدرك الله بها عباده في أوقات مخصوصة، **والرحمة العامّة هي حقيقة محمد ﷺ، وبها رحم الله حقائق الأشياء كلها، فظهر كل شيء في مرتبته من الوجود، وبها استعدّت قوابل الموجودات لقوابل الفيض، فلذلك أوّل ما خلق الله روح محمد ﷺ.**

كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه: ليرحم الله به الموجودات الكونية، فيخلقها على نسخته ويستخرجها من نشأته، فخلق منه العرش والكرسي، وسائر العلويّات والسفليات، لتكون مرحومة به؛ إذ هي من نشأته الكريمة مخلوقة على أنموذج نسخته العظيمة، ولذلك سبقت رحمة الله غضبه لأن العالم كلّه على نسخة الحبيب، والحبيب مرحوم، وحكم الرحمة في الوجود لازم، وحكم الغضب عارض؛ لأن الرحمة من صفات الذات، والغضب من صفات العدل، والعدل فعل، وفرق كبير بين صفات الذات، وبين صفات الفعل.

ولذلك المعنى تسمّى الله بالرحمٰن الرحيم، ولم يتسمّ بالغضبان، ولا الغضوب، وجاز أن يقال: إن الله لم يزل رحماناً رحيماً، ولم يجز أن يقال إن الله لم يزل غضباناً ولا غضوباً على الإطلاق، وسر ذلك كلّه، إنما هو سبق الرحمة الغضب لكون الوجود للحبيب، كالمرآة للصورة، أو كالصفة للذات أو كالبعض بالنسبة إلى الكل، فعمّت الرحمة جميع الموجودات بنسبته ﷺ، وقال لسان الحال:

حظيت بك الأكوان يا خير الورى ... وكذا الفروع بأصلهن تطيب
أنت الحبيب وكلها لك نسخة ... وجميع ما هو للحبيب حبيب

اعلم أن الله لما أراد أن يظهر من تلك الكنزية المخفية، وأحب أن يخلق هذا العالم الكوني لمعرفته، كما ورد في قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**كنت كنزاً**

مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق»[1]، وكانت الموجودات في ذلك التجلّي الأزلي، موجودة في علمه أعياناً ثابتة قد علم من قوابلها، أنها لا تستطيع معرفته لعدم النسبة بين الحدوث، والقدم، والمحبة مقتضية لظهوره عليهم حتى يعرفوه، فخلق من تلك المحبة حبيباً اختصّه لتجليات ذاته.

وخلق العالم من ذلك الحبيب لتصح النسبة بينه وبين خلقه فيعرفوه بتلك النسبة، فالعالم مظهر تجليات الصفات، والحبيب ﷺ مظهر تجليات الذات، وكما أن الصفات فرع عن الذات كذلك العالم فرع عن الحبيب، فهو ﷺ واسطة بين الله وبين العالم، والدليل على ما قلناه قوله ﷺ: «**أنا من الله**» أي مخلوق من نوره تعالىٰ أي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وإضافته لله للتشريف «**والمؤمنون مني**»[2]، ولنا دليل آخر وهو قوله ﷺ لجابر: «**إن الله خلق روحه ﷺ ثم خلق العرش والكرسي والسفليات جميعاً منه**»[3]، وقد رتب خلق هذه الأشياء في الحديث ترتيباً واضحاً لا إشكال في أنها فروع له، وهو أصلها ويدل على ما أوردناه قوله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[4]، لأنه يعلم من ذلك أنه كان واسطة بين الله وبين آدم، حتى صح

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2016) [2/ 173].

(2) قال الزركشي في اللآلي المنثورة في الأحاديث المشهورة: الحديث السادس والثلاثون: «أنا من الله والمؤمنون مني». قال بعض الحفاظ هذا اللفظ لا يعرف عن النبي لكن ثبت في الكتاب والسنة: إن المؤمنين بعضهم من بعض كما قال تعالى: ﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [آل عِمرَان: 195]، وقال رسول الله ﷺ: «الأشعريين هم مني وأنا منهم»، وقال لعلي رضي الله عنه: «أنت مني وأنا منك» وقال للحسن: «هذا مني وأنا منه»، وكلها صحيحة.

(3) قال العجلوني في كشف الخفاء: رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله بلفظ قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور إنسهم وهو التوحيد لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله... الحديث. كذا في المواهب.

(4) هذا الحديث سبق تخريجه.

ظهور آدم، وكمل وجوده؛ إذ النبوة المحمدية إنما هي نبوة التشريع، وهي عبارة عن الواسطة بين الله تعالىٰ وبين العبد، فتخصيص الحديث بذكر آدم دليل واضح، بأن رسول الله ﷺ كان واسطة بين الله تعالىٰ وبين آدم، حتى بعث آدم نبياً لأجل النسبة المحمدية، وإذا كان آدم معه ﷺ بهذه المثابة، فما قولك في ذريته إذ ذاك من باب أولى، ولهذا أخذ الله الميثاق على النبيّين أن يؤمنوا به وينصروه، فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿81﴾﴾ [آل عِمرَان: 81].

وتنكير الرسول هنا للتعظيم باتفاق المفسرين لا لكونه غير معروف، وقوله تعالىٰ للأنبياء: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: 81] دليل على أنهم لم يدركوا الكمالات المحمدية بالكشف حتى تكون لهم مشهودة، وسبب ذلك أن الفرع لا سبيل له أن يحيط بالأصل، فأخذ الله الميثاق عليهم أن يؤمنوا بكمالاته إيماناً بالغيب ليكون ذلك سبباً لهم إلى المعارف الذاتية، فيحصلوا بذلك في مراتب الأكملية، ويلتحقوا به ﷺ لعلمه تعالىٰ أنهم لا يدركون ذلك إلاّ بواسطة محمد ﷺ، وسرّ هذا الأمر أنه ﷺ مظهر الذات، والأنبياء مظهر الأسماء والصفات وبقية العالم العلوي والسفلي مظاهر أسماء الأفعال ما خلا أولياء أمّة محمد ﷺ، فإنهم كالأنبياء مظاهر الأسماء والصفات؛ لقوله ﷺ: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**»(1)، فإذا علمت أنه ﷺ كان سبباً بين الله تعالىٰ وبين أنبيائه، فعلمك بكونه سبباً بين الله وبين الملائكة يكون بالطريق الأولى لما ذهب إليه الجمهور، وأن خواص بني آدم أفضل من خواص الملائكة، فإذا صحّ أنه ﷺ نسبة بين الله تعالىٰ وبين خواص الأنس والملك فمن طريق الأولى أن يصح كونه نسبة بين الله تعالىٰ، وبين عوامهما وبقية الموجودات، عطفاً على هذين الجنسين، فعلم بما أوردناه أنه ﷺ لو لم يكن موجوداً، لما كان شيء من الموجودات يعرف ربه، بل لم يكن العالم موجوداً، لأن الله تعالىٰ، ما أوجد العالم إلاّ لمعرفته.

فلو أنه علم من قوابلهم عدم المعرفة لعدم النسبة لما كان يوجدهم بل أوجد النسبة أولاً، ثم أوجدهم من تلك النسبة لكي يعرفوه بها، ولو لم تكن النسبة لم

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1744) [2/ 83].

يكونوا وإلى ذلك أشار الحديث القدسي في قوله تعالىٰ للنبيّ ﷺ: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[1].

ولما كان ﷺ علّة لوجود العالم، وسبباً لرحمته وواسطة بين الله وبينهم، كان له مقام الوسيلة في الآخرة، لأن الخلق توسّلوا به إلى معرفة الله وتوسّلوا به في الوجود، لأنهم خلقوا منه وتوسّلوا به في كل خير ظاهر وباطن، فهو صاحب الوسيلة، قال رحمه الله تعالىٰ: وقد تكلمنا طرفاً في معنى كونه واسطة بين الله وبين الخلق، وأوضحناه في كتابنا الموسوم، بالكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمٰن الرحيم[2]، ويكفي من هذا الباب هذا المقدار في هذا الكتاب، والله يقول الحق وإليه المرجع والمآب،

[الباب الثاني]

ثم إنه رحمه الله تعالىٰ ذكر الباب الثاني من الكتاب في معرفة ما لله تعالىٰ من الأسماء والصفات، وعدّها وشرحها واحداً واحداً.

[الباب الثالث]

ثم قال: الباب الثالث في اتّصاف محمد ﷺ بالأسماء، والصفات الإلٰهية.

تنبيه: يقول جامعه يوسف النبهاني[3] عفا الله عنه: اعلم أن اتّصاف رسول الله ﷺ بالأسماء والصفات الإلٰهية إنما هو على الوجه الذي يليق به ﷺ لا على الوجه الذي يليق بالله تعالىٰ من أوصاف الألوهية المختصّة به عزّ وجلّ، فإن هذا لا يجوز أن يتّصف به النبيّ ﷺ ولا أحد من الخلق، ولكن الله تعالىٰ من فضله قد خلع على سيد خلقه حبيبه الأعظم، وعبده الأكرم سيّدنا محمد ﷺ كثيراً من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا تشريفاً له ﷺ بما اختصّه به بين الأنام، وقد نظمت أسماءه الشريفة ﷺ بمزدوجة سميتها أحسن الوسائل في نظم أسماء النبيّ ﷺ، جمعت فيها ما قدرت على جمعه من الكتب المعتمدة، وذلك ثمانمائة ونحو الثلاثين اسماً، ثم أفردتها مع شرح ما يلزمه الشرح منها في كتاب سمّيته: الأسمى في ما

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) وهو مطبوع في الدار بتحقيقنا.

(3) مؤلف موسوعة (جواهر البحار في فضائل النبي المختار) وهو الكتاب الذي اختصرناه بدورنا بهذا الكتاب الذي أسميناه (الحقيقة المحمدية عند أقطاب السادة الصوفية).

لسيدنا محمد ﷺ من الأسما، ورتبته على الحروف وهما مطبوعان، وذكرت في كتاب الأسمى فوائد أخرى لم يمكن ذكرها في النظم، وجعلت له خاتمة، وها أنا أذكرها هنا لتمام الفائدة.

قلت فيها: ذكر القاضي عياض في الشفاء نحو ثلاثين اسماً من أسماء الله الحسنى، التي شرف بها حبيبه محمداً ﷺ فسمّاه بها، وقد تقدّمت مع أسماء كثيرة أخرى لم يذكرها القاضي عياض، أبلغتها واحداً وثمانين اسماً سبق ذكرها مجتمعة ومفرّقة في حروفها، وذكر أيضاً، أنه تعالىٰ سمّى ببعض أسمائه الحسنى بعض النبيّين كرامة منه تعالىٰ، خلعها عليهم كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم، وإبراهيم بحليم[1]، ونوح بشكور، وعيسى ويحيى ببر، وموسى بكريم وقوي، ويوسف بحفيظ وعليم، وأيوب بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد.

كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع ذكرهم، وبعد أن ذكر جميع ذلك في فصل مستقل دفع وهم من يتوهم، مشابهة المخلوق للخالق، إذا تسمّى باسم من أسمائه تعالىٰ، فقال: وهٰهنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل، وأختم بها هذا القسم، وأزيح الإشكال بها، في ما تقدم عن كل ضعيف الوهم، سقيم الفهم، تخلصه من مهاوي التشبيه، وتزحزحه عن شبه التمويه، وهو أن يعتقد أن الله جلّ اسمه في عظمته، وكبريائه وملكوته وحسن أسمائه وعليّ صفاته، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا تُشَبَّه به، وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق.

فكما أن ذاته تعالىٰ لاتشبه الذوات، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفكّ عن الإعراض، وهو تعالىٰ منزّه عن ذلك، بل لم يزل بصفاته وأسمائه، وكفى في هذا قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورىٰ: 11] ، لله در من قال من العلماء العارفين المحقّقين: التوحيد إثبات ذات غير مشبّهة للذوات ولا معطلة من الصفات، وزاد هذه النكتة الواسطي بياناً وهي مقصودنا، فقال: ليس كذاته تعالىٰ ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلاّ من جهة

(1) وفي نسخة جليم: جلم الشيء يجلمه جلماً: قطعه. والجلمان: المقراض واحدها: جَلَمٌ للذي يُجَزُّ به. والصحيح حليم إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ [التوبة/ 114].

موافقة اللفظ اللفظ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثه، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة.

وهذا كله مذهب أهل الحق والسنّة والجماعة رضي الله عنهم، وقد فسّر الإمام أبو القاسم القشيري قوله هذا ليزيده بياناً، فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد، وكيف تشبه ذاته تعالىٰ ذات المحدثات، وهي بوجودها مستغنية، وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس، أو دفع نقص حصل، ولا لخواطر وأغراض وجد، ولا بمباشرة، ومعالجة ظهر، وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه.

وقال الإمام أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه، ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل، وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد، وما أحسن قول ذي النون المصري: التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالىٰ في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج، وعلّة كل شيء صنعه ولا علّة لصنعه، وماتصوّر في وهمك فالله بخلافه، وهذا كلام عجيب نفيس محقّق. والفصل الأخير وهو قوله: وما تصور في وهمك فالله بخلافه، هو تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورىٰ: 11].

والثاني: وهو قوله: وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبيَاء: 23].

والثالث: وهو قوله: حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج، وصنعه لها بلا مزاج، أي ممازجة شيء بشيء، تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النّحل: 40]، ثبتنا الله تعالىٰ وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه، وجنبنا طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنّه وفضله ورحمته، انتهى كلام القاضي عياض(1).

وقال ملا علي القاري في شرحه على الشفا، في الفصل الذي قبل هذا: لا يتصور اشتراك المخلوق مع الخالق في نعت من النعوت، بحسب الوصف الحقيقي، وإنما يكون بملاحظة المعنى المجازي والعرفي، فالله سميع بصير عليم حيّ قادر مريد متكلم، وقد أثبت هذه الصفات أيضاً لبعض المخلوقات، ولكن بينهما بون بيّن، ولا يخفى مثل هذا على ديّن.

(1) انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه..، [1/ 153].

قال: وقد أفرد المصنف القاضي عياض كما سيأتي فصلاً في بيان هذا الفضل، لئلا يعدل أحد عن مقام العدل، انتهى.

كلام ملا علي القاري، والفصل الذي أشار إليه هو ما ذكرته هنا، والله أعلم وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

انتهت خاتمة كتابي المذكور وبها يندفع كل إشكال يخطر في بال أحد من جهة وصف النبيّ ﷺ بأسماء الله تعالىٰ، وصفاته عزّ وجلّ.

ولنرجع إلى تكميل كلام الشيخ عبد الكريم الجيلي، قال رضي الله عنه: الباب الثالث في اتّصاف محمد ﷺ بالأسماء والصفات الإلٰهية، قال الله تعالىٰ لنبيّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4]، والخلق هو الوصف فالأوصاف العظيمة هي أوصاف الله تعالىٰ.

وسئلت عائشة رضي الله عنها، فقالت: **كان خلقه ﷺ القرآن**[1]. إشارة عن حقيقة التحقيق بالكمالات الإلٰهية، لأن القرآن إنما هو عبارة عن كمالات الله تعالىٰ، وأيضاً القرآن كلام الله تعالىٰ، والكلام صفة المتكلم، وهو خلق محمد ﷺ، يعني وصفه، فهو متّصف بأوصاف الله تعالىٰ، وقد انفرد ﷺ بكمال ذلك دون كل موجود، والدليل على ذلك ما صح بالإسناد عن رسول الله ﷺ، برواية ابن وهب رضي الله عنه أنه ﷺ قال «**قال الله تعالىٰ: يا محمد سل، فقلت: يا رب وما أسأل؟ اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلّمت موسى تكليماً، واصطفيت نوحاً، وأعطيت سليمان ملكاً، لا ينبغي لأحد من بعده، قال الله تعالىٰ: ما أعطيتك خيراً من ذلك، أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوّ السماء، وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمّتك، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك، وجعلت قلوب أمّتك مصاحفها، وخبأت لك شفاعتك، ولم أخبئها لأحد غيرك**»، هذا الحديث صحيح الإسناد معتمد على روايته، وفيه إشارة عظيمة إلى كمال تحقّقه ﷺ بالكمالات الإلٰهية، وتصريح ظاهر بانفراده بجميع ذلك، دون غيره؛ لقوله تعالىٰ: «**وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لغيرك**».

وقوله: «**ما أعطيتك خيراً من ذلك**»، يعني أن هؤلاء النبيّين المذكورين تجلّيت

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

عليهم بصفاتي، وتجلّيت عليك بذاتي، والدليل على أن محمداً ﷺ ذاتي، ومن دونه صفاتيّ، هو أن الله تعالىٰ لم يسمّ أحداً غيره من الأنبياء بأسمائه الذاتية على الإطلاق، وسمّى محمداً ﷺ بها فسمّاه بالحق، وسمّاه بالنور صريحاً وغيره من الأنبياء لم يسمّهم إلاّ بأسماء الصفات؛ كما قال تعالىٰ في إبراهيم عليه السلام، أنه حليم(1)، وفي يحيى عليه السلام أنه بر(2)، وغيرهما كذلك.

ولم يتسمّ بالحق والنور إلاّ محمد ﷺ وهما اسمان ذاتيان، وقوله تعالىٰ: «**أعطيتك الكوثر**»(3) يعني المعرفة الذاتية الإلٰهية التي يستمد منها كل من سواه، وقوله: «**جعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جو السماء**»(*) إشارة إلى الجمعية التي في المكانة العليا، وأما قوله: «**وجعلت لك الأرض طهوراً ولأمتك**»(**)، فالأرض عبارة عن النفس البشرية التي بلغت منه ﷺ في غاية الطهارة، حتى قيل فيه ما زاغ البصر، وما طغى، وقد صعق موسى عليه السلام من تجلّي الربوبية، وقيل في إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصَّافات: 105] على سبيل العتاب والصعق من آثار البشرية، وأخذ الرؤيا على ظاهرها كذلك، وما في الأنبياء نبي إلاّ وقد ظهرت البشرية عليه، إلاّ محمداً ﷺ، فإن بشريته معدومة لا أثر لها بخلاف غيره من الأنبياء والأولياء، فإنهم وإن زالت عنهم البشرية، فإنما زوالها عبارة عن انستارها، كما تنستر النجوم عند ظهور الشمس، فإنها وإن كانت مفقودة العين، فهي موجودة الحكم حقيقة، وبشريته ﷺ مفقودة؛ لقوله: «**لم يؤمن من الشياطين إلا شيطاني**»(4).

أو كما قال مما هذا معناه، وعن هذه الطهارة ضرب الله له المثل في بدايته بإخراج الدم من جوفه، حين شقّ الملك صدره الشريف، وقوله تعالىٰ: «**وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك**»، فإنه عبارة عن عدم

(1) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ [التوبة/ 114].
(2) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً﴾ [مريم/ 14].
(3) يشير إلى قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر/ 1].
(*) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(**) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(4) لم أجده بلفظه وورد بألفاظ أخرى منها: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله قال: «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير».

البقاء بالخلقية فيه من جميع الوجوه لتحقّقه ﷺ بالكمالات الحقية من كل الوجوه، فمن لا بقية له من وجوده لا ذنب له لأن الله قد غفر له، وقوله تعالىٰ: «**ما تقدم من ذنبك وما تأخر**»، دليل واضح أن رسول الله ﷺ كان متحققاً بالله تعالىٰ في سائر أحواله، من الطفولية والشبوبية والكهولية، فلم يغفل عن الله تعالىٰ طرفة عين حتى، ولا في الأرحام والأصلاب، لأنه كان نبيّاً وهو في الأرحام والأصلاب، والنبيّ لا يغفل عن الله تعالىٰ، وغيره لم يكن نبياً إلاّ بعد كماله، وظهوره في العالم الدنيوي، فظهر من الكلام وعلوّ رتبة محمد ﷺ، وقوله تعالىٰ: «**لم أصنع ذلك لأحد قبلك**»، يعني: أن الكمالات التي تحقق بها رسول الله ﷺ لم يتقدمه أحد من المتحقّقين بذلك، فكل متحقّق بالكمالات الإلٰهية، فهو بعد محمد ﷺ لا قبله، وقوله تعالىٰ: «**وجعلت قلوب أمتك مصاحفها**»، إشارة إلى أن الكل بأجمعهم، من أمّته ﷺ فمن تقدم منهم بالزمان سمّي رسولاً نبيّاً، ومن تأخّر منهم بالزمان سمّي ولياً، وكلهم من أتباعه ﷺ، ولم يكن ذلك إلاّ له ﷺ وحده.

وكون **قلوبهم مصاحف**، يعني بذلك تجليات الحق تعالىٰ لهم على قلوبهم، ومن ثم كانت معارج الأنبياء والأولياء جميعهم بأرواحهم، وعرج به ﷺ إلى العرش، فهو تجلى عليه بروحه وجسمه وسائر هيكله، وبقية الكمل تجلّى عليهم بأرواحهم، فنهاية ما تبلغ إليه أرواحهم هو ما بلغ إليه جسمه، ولروحه من وراء ذلك ما لا يكون لغيره ﷺ.

وقوله تعالىٰ: «**وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبيّ غيرك**»، هي الخصوصية الذاتية التي خصّص بها رسول الله ﷺ من دون غيره، قال رحمه الله تعالىٰ: ولانفراده ﷺ بجوامع الكلمات الإلٰهية دلائل كثيرة، وتلك الدلائل على **ثلاثة أنواع**:

فمنها: دلائل ثبتت بالكتاب، **ومنها**: دلائل بحديثه الذي هو وحي يوحى، **ومنها**: دلائل عقلية أيّدت بالكشف الصريح الذي هو من الله تعالىٰ بلا واسطة يلقيه إلى الكمل من أوليائه.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً

[فضله وسيادته ﷺ على الخلق أجمعين]

قوله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً فذلك قوله**: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقِعَة: 27] ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقِعَة: 41]، **فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين،**

ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهم ثلثاً، وذلك قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾ [الواقعة: 8-9]، **ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، فذلك قوله:** ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحُجرات: 13] الآية، **فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فذلك قوله:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾(1) [الأحزاب: 33]» الآية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»(2). وفي حديث أنس: «**أنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر**»(3).

وفي حديث ابن عباس: «**أنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر**»(4)، وعن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ: «**أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد ﷺ، ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم**»(5). وعن أنس رضي الله عنه: أتي بالبراق، ليلة أسري به فاستصعب عليه، فقال جبريل عليه السّلام: أبمحمد تفعل هذا، فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفضّ عرقاً(6).

وقال أبو ذرّ وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، أنّه قال: «**أعطيت ستاً**». وفي بعض الروايات. «**خمساً لم يعطهن نبي قبلي: نصرت**

---

(1) رواه الطبراني في الكبير، بقية أخبار الحسن بن علي رضي الله عنهما، حديث رقم (2674) [3/ 56] ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، الأصل السابع والستون، في عقاب من غش العرب [1/ 331] ورواه غيرهما.

(2) رواه الترمذي في سننه، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3609) [5/ 585] ورواه الحاكم في المستدرك، حديث رقم (4209) [2/ 665] ورواه غيرهما.

(3) أورده السيوطي في الدر المنثور، سورة الطور، الآيات [23 ـ 29] [7/ 634] وعزاه إلى الترمذي وحسنه وابن مردويه عن أنس.

(4) رواه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3616) [5/ 587].

(5) رواه الطبراني في الأوسط، من اسمه محمد، حديث رقم (6285) [6/ 237] ورواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة، باب جماع مبعث النبي ﷺ، حديث رقم (1402) [4/ 752] ورواه غيرهما.

(6) رواه الترمذي في السنن، باب ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم (3131) [5/ 301] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر استصعاب البراق..، حديث رقم (46) [1/ 234] ورواه غيرهما.

بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيّما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأُحلّت لي الغنائم ولم تحل لنبيّ قبلي، وبعثت إلى الناس كافّة، وكان النبيّ يبعث إلى قومه، وأعطيت الشفاعة»(1)، وفي رواية، «**وأوتيت جوامع الكلم**»(2)، وفي رواية، «**وختم بي النبيين**»(3)، وفي رواية، «**فأنا أول من تنشق عنه الأرض**»(4).

وعن العرباض بن سارية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني عبد الله وخاتم النبيّين، وإن آدم لمنجدل في طينته ودعوة إبراهيم، وبشارة عيسى** عليه وعليهم الصّلاة والسّلام».

وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته، قال: اللّهمّ بحق محمد اغفر لي خطيئتي.

وفي رواية لما دعا آدم قال الله: «**من أين عرفت محمداً؟**»، فقال آدم: «**لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فعلمت أن ليس أحد أعظم قدراً عندك منه، حيث جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه أنه: وعزّتي وجلالي لآخر النبيّين من ذرّيتك، ولولاه ما خلقتك**»(5):

وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر إلى قلوب العباد، فاختار منها قلب محمد ﷺ، فاصطفاه لنفسه(6)، الحديث.

وفي حديث الإسراء التصريح ظاهر بعلوّ مرتبته، حيث عين لكل نبي اسماً، وذكر عبوره عن ذلك، وعروجه عن سائر مقامات النبيّين عليه وعليهم الصّلاة والسّلام، وعروجه عن سائر مقامات الملائكة، حتى توقف كل من الأنبياء دون مرماه، وكونه أم النبيّين وصلّى بهم إشارة ظاهرة على انفراده بالكمالات لموضع الإمام من المأموم، ولذا قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: أكمل الله لمحمد

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم. . ، حديث رقم (328) [1/ 128] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الخصال التي فضل ﷺ على غيره، حديث رقم (6398) ورواه غيرهما.
(2) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (523) [1/ 372] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (8135) [2/ 314] ورواه غيرهما.
(3) أورده ابن الخطيب في وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام، [1/ 140].
(4) أورده ابن الجوزي في التذكرة وعزاه إلى ابن أبي الدنيا، [2/ 338].
(5) أورده أبو الليث السمرقندي في التفسير، سورة البقرة ﴿فتلقى آدم من ربه﴾ [1/ 72].
(6) رواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (8582) [9/ 112] ورواه أحمد في المسند عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، حديث رقم (3600) [1/ 379] ورواه غيرهما.

الشرف على أهل السمٰوات والأرض، وعن أنس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي، ولا فخر**»[1].

وفي رواية عنه رضي الله عنه لفظ هذا الحديث: «**وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا جلسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي**»[2].

نكتة: لواء الحمد عنوان ثنائه على الله بما أثنى به الله على نفسه، ولا يكون ذلك إلاّ للذات وهي الحقيقة المحمدية ﷺ.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم هذا المقام غيري**»[3]، فهذا تصريح ظاهر بشموله وحيطته للكمالات ظاهراً وباطناً، وفي حديث أبي سعيد عنه ﷺ أنّه قال: «**أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض**».

ودليل ظاهر على أكمليته ﷺ ما ورد في الحديث، أنّه قال: «**أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة**»[4]، ثم قال: «**إنهما في أمتي**»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب النبيّ ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم، سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم عجباً: إن الله اتّخذ إبراهيم من خلقه خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلّمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج ﷺ فقال: «**سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتّخذ إبراهيم خليلاً، وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحميد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق**

---

(1) أورده الكلاباذي في بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، [1/ 343].

(2) رواه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3610) [5/ 585] ورواه الدارمي في السنن، باب ما أعطي النبي ﷺ، حديث رقم (48) [1/ 39].

(3) رواه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3611) [5/ 585].

(4) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

الجنة فيفتح فأدخلها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأوّلين والآخرين ولا فخر»[1]، وهذا حديث جامع معرف بكماله وتقديمه على كل مخلوق ﷺ.

والأحاديث الواردة في الكمالات المحمديّة كثيرة لا تحصى، ويكفي هذا القدر من ذكر ذلك، لأن الأمة مجمعون على ذلك، وما ذكرنا هذا المقدار من المعنى إلاّ ليعرف أهل الله ما هم عليه من النبيّ ﷺ، فإن للحقائق سكرة، وللتوحيد فكرة، وللقلوب جموحاً، فإذا تأمّل الفقير إلى مقامات هؤلاء النبيّين الكمل، والملائكة الفضل، وكيف تأخروا عنه ﷺ مع علوّ مكانتهم، وعظم شأنهم، فوقعوا دونه في الحقيقة التوحيدية، وعجزوا عن بلوغ شأوه، وقصر مداهم عن نيل مثاله ﷺ تأدب حينئذٍ، ولزم حدّه من الفقر، والتذلّل بين يدي سيد العالم الذي هو مطلوب كل فقير.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً

[الدلائل العقلية]

قوله: النوع الثالث في الدلائل العقلية المؤيّدة عند الخواص بالكشف الصريح، وعند العوام بالخبر الصحيح ليعلم من ذلك تفرّده ﷺ في الكمالات، وأنه أفضل العالم وأشرف الخلق بالإجماع، لكونه مخلوقاً من نور الذات الإلٰهية وما سواه فإنما هو مخلوق من أنوار الأسماء والصفات، فلأجل ذلك كان ﷺ أوّل مخلوق خلقه الله تعالىٰ، فكما أن الذات مقدّمة على الصفات فمظهرها أيضاً مقدم على مظهر الصفات، وقد أخبر عن نفسه في حديث جابر رضي الله عنه، فقال: «**أوّل ما خلق الله روح نبيّك يا جابر، ثم خلق العرش منه، ثم خلق العالم بعد ذلك منه**»[2]، وقد رتّب خلق العالم في ذلك الحديث منه أعلاه وأسفله، والسرّ في ذلك أن الذات سابقة الوجود في الحكم على الصفات، وإلاّ فلا مفارقة بين الصفات والذات، لأن السبق إنما هو في الحكم لا في الزمان، لأن الصفات لا بدّ لها من ذات أقدم في الوجود، فكان رسول الله ﷺ أقدم في الوجود، لأنه ذات محض، والعالم جميعه صفات تلك الذات، وهذا معنى خلق الله العالم منه، وروح محمد ﷺ هو المعبّر عنها بالقلم الأعلى، وبالعقل الأول لبعض وجوهه، ومن هذا المعنى ورد قوله ﷺ: «**أوّل ما خلق الله القلم**»[3]، وقد قال: «**أوّل ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[2]، ولو

---

(1) رواه الترمذي في السنن، باب في فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3616) [5/ 587].
(2) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث وسبق تخريجه.
(3) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، حديث رقم (3693) [2/ 492] ورواه أبو داود في السنن، باب في القدر، حديث رقم (4700) [4/ 225].

لم تكن الأشياء الثلاثة عبارة عن وجود واحد هو روح محمد ﷺ، لكان التناقص لازماً في هذه الأخبار الثلاثة، وليس الأمر كذلك بل هي جميعها عبارة عنه، كما يعبّر عن قلم الكتابة تارة باليراعة، وتارة بالآلة، وتارة بالقلم، كل ذلك لوجوهه من غير زيادة ولا نقص، فرسول الله ﷺ هو الذاتي الوجود، وما سواه فصفاتيّ الوجود، وذلك أن الله تعالىٰ لما أراد أن يتجلّى في العالم، اقتضى كمال الذات أن يتجلّى بكماله الذاتي في أكمل موجوداته من العالم، فخلق محمد ﷺ من نور ذاته، لتجلّي ذاته لأن العالم جميعه لا يسع تجليه الذاتي، لأنهم مخلوقون من أنوار الصفات، فهو في العالم بمنزلة القلب الذي وسع الحق، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «**يٓس قلب القرآن**»[1]، ويٓس اسمه أراد بذلك أن النبيّ بين القلوب والأرواح، وسائر العوالم الوجودية، بمنزلة القلب من الهيكل، وبقية الموجودات كالسماء والأرض، لم تسع الحق، قال تعالىٰ على لسان نبيّه: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[2]، فالأنبياء والأولياء والملائكة وسائر المقرّبين من سائر الموجودات، ليس عندهم وسع المعرفة الذاتية، ومحمد ﷺ الذي هو قلب الوجود، هو الذي عنده الوسع الذاتي للمعرفة الذاتية، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «**لي وقت مع ربي لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»[3]، فجعلهم بمنزلة السماء والأرض فكلاهما لم يَسَعَا الحق بالذات، وَيَسَعَان الحق بالصفات ووسعه القلب الذي هو يٓس، لأن القلب يسع من المعرفة الإلٰهية ما ضاقت عنه السمٰوات والأرض، فوسع النبيّ ﷺ تجلّيه الذاتي الذي ضاقت الموجودات عنه، وهذه المسألة لقننيها رسول الله ﷺ بحججها التي ذكرتها في هذا المكان، وبعد أن أمليتها في هذا الكتاب أشار إليَّ ربّي، وذكر تلقينه لي في هذا الموضع، وأسند ذلك إليه كما وصفته، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولما كان ﷺ ذاتياً متّسعاً للخلق للتجلي الذاتي، كان متّصفاً متحقّقاً بسائر الأسماء والصفات، ومستوعباً لسائر الكمالات، من جميع الوجوه، والنسب والاعتبارات، فحاز ﷺ الكمالات الوجودية الحقية والخلقية، ولم يجتمعا لكمالهما في موجود سواه، من أجل ذلك جعلت هذا النوع منقسماً على فصلين:

---

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور، سورة يس [7/ 37] وعزاه إلى الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن معقل بن يسار.

(2) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2256) [2/ 255].

(3) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2159) [2/ 226].

الأول: في استيعابه ﷺ الكمالات الحقية والخلقية، خُلُقاً وخَلْقاً.

والثاني: في استيعابه ﷺ الكمالات الحقية، صورة ومعنى، ظاهراً وباطناً، تواضعاً وتحقّقاً، ذاتاً وصفات، جمالاً وجلالاً وكمالاً.

[استيعاب الكمالات]

في استيعابه الكمالات الخلقية خُلقاً وخَلقاً، وقد ذكر أصحاب السِّيَر من عجائب ذلك ما يضيق المحل عن ذكره، وفي ذلك كفاية المتأمّل، وإنما أردت التبرّك بذكر شيء من ذلك، فإن في كل صفة من صفاته الخلقية أسراراً جميلة ومعاني جليلة لا يمكن شرحها، ومجمل ذلك، أن هيئته الظاهرة الهيكلية، أم الكمالات الحسية الوجودية، العلوية والسفلية، وهيئته المعنوية الوجودية، أم الكمالات المعنوية العلوية والسفلية، فكل كمال تشهده بالمحسوسات، فهو من فيض صورته الظاهرة، وكل كمال تعقله من المعنويات، فهو من فيض معانيه الباطنة، فهو في المثل معدن كمالات العالم باطنها وظاهرها، فمحسوسات العالم تستمد من ظاهره، ومعقولات العالم تستمد من باطنه، فهو هيولى الصورة والمعاني الوجودية، فعالم الشهادة فيض ظاهره، وعالم الغيب فيض باطنه، وعالم الغيب عبارة عن حقيقته ﷺ، ومن أجل ذلك جعلنا هذا الفصل منقسماً إلى قسمين:

القسم الأول: في هيكله وخَلقه المحسوس الظاهر.

والقسم الثاني: في أخلاقه ﷺ، فهي لو كانت ظاهرة، فهي من القسم المعنوي الباطن.

[القسم الأول: في هيكله وخلقه المحسوس الظاهر]

اعلم أنهﷺ كان في اعتدال الخلقة في كمال لأمر بعده في حسن وجمال، لا زيادة عليه، لأن الأمر الإلٰهي إنما أبرزه للكمال لا للنقصان، ولأجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «**بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[1]، فكان الوجود قبل بعثته ناقصاً فهو المكمل للوجود بالمحسوسات الضرورية والمحمودات الشرعية، فتكميله بالموجودات الضرورية؛ كقوله: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]، وتكميله

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب بيان مكارم الأخلاق. . ، حديث رقم (20571) [10/ 191] ورواه القضاعي في مسند الشهاب، إنما بعثت. . ، حديث رقم (1165) [2/ 193] ورواه غيرهما.

بالمحمودات الشرعية قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3]، فما كان كمال الوجود إلاّ به صورة ومعنى ﷺ، ولما كان ﷺ الوجود كان كل شيء فيه على غاية من الكمال، فلا نقص فيه بوجه من الوجوه، لأنه كمال محض حتى فضلاته ﷺ كانت طاهرة، والدليل على ذلك أن المرأة لما شربت بوله لم ينهها هو، ولا أحد من أصحابه، فلو لم تكن طاهرة لكان ذلك الفعل محل النهي، فهو ﷺ مخلوق في أحسن تقويم، من غير أن يرجع أسفل سافلين كغيره، ومن أجل ذلك كان على أكمل نظام وأجمل حلية، فظهر ﷺ في نهاية من حسن الصورة، واعتدال الخلقة، وكمال الأعضاء وتناسقها، ولطافة البشرة، ورقة الحاشية، وزيادة البهجة، وحسن الصوت، وبشاشة الوجه، وسواد الشعر، وبياض اللون المشرب بالحمرة، وطيب الرائحة، وفصاحة الكلام، وطيب المكالمة، وحسن العشرة في سائر حركاته وسكناته، وتوسط القامة بين الطويل والقصير، وتماسك الخلقة، وتسوية البطن والصدر، وبعد المنكبين وذرع[1] المشية، وحسن الالتفات، وخفض الطرف.

فكان كاملاً في جميع ما ينسب إليه من خَلقه وخُلقه، وقد روينا عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال: سألت خالي هند بن أبي هند عن حلية رسول الله ﷺ، وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رَجْل الشعر انفرقت عقيصته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وَفرَه، أزهر اللون واسع الجبين، أزج، الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما، عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كثّ اللحية أدعج سهل الخدين، ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادناً متماسكاً سواء الصدر والبطن مسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة، بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين،

---

(1) معنى الذرع في اللغة التقدير بالذراع من اليد، يقال ذرع الثوب يذرعه ذرعاً إذا قدّره بذراعه. ويقال ذريع المشية كما سيرد لاحقاً.

مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعاً، ويخطو تكفؤاً ويمشي هوناً، ذريع المشية إذا مشى، كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام.

قلت له: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تُعرّض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفّه كلها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضرب بأبهامه اليمنى راحة اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جل ضحكه التبسّم، ويفتر عن مثل حب الغمام[1].

وهذا حديث جامع من تأمّله علم يقيناً أن هذه الصورة الكاملة المعتدلة أكمل صورة وأحسنها، ولو أخذنا في شرح ما قالت الحكماء في كتب الفراسة على ما يقتضي كل عضو يكون هذا صفته لأتى ذلك في مجلدات كثيرة، ولكن اكتفينا من ذلك جميعه بذكر هذه الصورة، ما لا يحصل بدون ذلك، ومتى تعقل العبد هذه الصورة في قلبه، وكان دائم الملاحظة لها حصلت له السعادة الكبرى، وانفتح بينه وبين النبيّ ﷺ طريق الاستمداد من غير واسطة، حتى إنه إذا تصفّى وتزكى وتطهر، وتخلص من خواطره النفسية والعقلية وما دونها، فإنه يرتقي في ذلك إلى أن تفاجئه الصورة المحمديّة في عالم لأرواح، فتظهر له كما هي عليه ويناجيها فتكلمه، فيأخذ من رسول الله ﷺ كما يأخذ منه أصحابه، ومتى كان هذا العبد من أهل التوحيد الخالص، فإنه يشهد بعد ذلك كمالاته المعنوية، وبها يتقوّى بالاتّصاف بما يقدر له منها، ولا يزال كذلك حتى يشهده في الملكوت الأعلى، ثم يشهده في الأفق المبين، فإذا شهده في الأفق المبين انطبع بالخاصية المحمديّة في قابلية الولي،

---

(1) رواه الطبراني في الكبير عن هند بن أبي هالة التميمي، حديث رقم (414) [22/ 155] ورواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في خلق الرسول. . ، حديث رقم (1430) [2/ 154] ورواه غيرهما.

كمالات محمدية من المقام المحمدي فيها يكمل وجوده ويتحقّق في صفات معبوده.

فمن لا يرى رسول الله ﷺ بالأفق الأعلى والمستوى الأزهى لم يكن من أهل المقام المحمديّ، فإنه يراه على قدر قابلية نفسه، لا على ما هو عليه ﷺ، فإنه لا يطيق أن يراه على ما هو عليه أحد سواه ﷺ، وذلك سر اتّصافه بصفات الله المعبّر عنها بقولنا: لا يعلم ما هو إلاّ هو، فافهم.

[القسم الثاني: في أخلاقه ﷺ]

فإنه كان جامعاً لمكارم الأخلاق، حاوياً لها على الإطلاق، لأنه مفطور على أكمل الأخلاق الضرورية، ومخلوق على أكمل الأخلاق الكسبية.

فالأخلاق الضرورية **منها ما هو ضروري محض**، ليس للعبد فيه اختيار، وقد كان كامل الأخلاق الضرورية المخلوقة عليها ذاته في جبلته ﷺ، مثل قوة عقله وزيادة حظّه من الإدراك القلبي، وصحة قياسه الفكري، وصدق ظنونه، وصحة فهمه وفصاحة لسانه، وحلاوة منطقة، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته الضرورية المتلعقة بالكسب، مثل غذائه، ونومه، ويقظته، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وحاله، ومعاملته للناس، وأمثال ذلك، فقد وردت الأحاديث الصحيحة الصريحة بكماله في جميع ذلك، حتى تواترت الأخبار بأنه كان من ذلك على أكمل حالة وأحسن حلية، فهو الغاية القصوى في كمال هذه الأوصاف الضرورية.

وأما المكتسبة، فإنها إنما كانت فيه جبلية فطر عليها، وما جعلناها مكتسبة إلاّ باعتبارها من حيث هي، فإنها قد يكتسبها المرء، أمّا هو ﷺ، فإن جميع أوصافه كلّها هي أوصاف جبلية فطر عليها، لم يتّصف يوماً من الدهر بنقيض كمالها، ولم يتخلّق بضد حسنها وجمالها، بل كان حاوياً بالطبع لجميع الأوصاف المحمودة، عقلاً وشرعاً، كالعلم، والحلم، والصبر، والسكون، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفّة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والصدق، والوفاء بالعهد، وعرض الحسب، وطول الحياء، والمودّة، والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة، والهداية للخلق، وحبّ الخير لكل أحد، وإعطاء الحكمة حقها في سائر أموره كلّها، ولولا خشية البسط لتكلّمنا على أوصافه التي وردت بها الشرائع، وإنها والله لتجل عن الإحصاء بطريق الحصر، فإنه لا يستوفي حصر ذلك أحد، بعلم ولا إدراك، وكثير من كريم أخلاقه لم يتفطن لها أهل العلوم، وهي

مذكورة عندهم في الكتب بالأحاديث الصحيحة، عن ثقات الرواة، وقد تحقّق بمعرفتها الكمل كشفاً، وقد يعرف ذلك بطريق التتبّع لأقواله وأفعاله وأحواله، ونسبة بعضها من بعض، وكيف يحصرها العلماء، وتحويها الكتب، وهي من فوق الحصر ووراء الغاية والنهاية، فمن تأمّل في ذلك تيقّن أن جميع الكمالات إنما تكون لأكمل المخلوقات وحده، لأن كل نبيّ لا بدّ له من جميع الكمالات البشرية الشرعية على مقدر مقامه عند الله، لأن القائل: «**آدم ومن دونه تحت لوائي، ولا فخر**»[1]، فله من كل وصف نهاية ما عليه مما تقتضيه مرتبة ذلك الوصف من الوجود، فشجاعته نهايتها، وكرمه كذلك، وجيمع أوصافه بالغة نهاية المراتب، فلا كشجاعته شجاعة، ولا كسخائه سخاء، ولا كأوصافه صفة لأحد، إذ كل أحد يتّصف بشيء من الصفات المحمودة على قدر قابلية نفسه، واتّصافه إنما هو على قدر قابليته لذاته، وكم بين قابلية محمد ﷺ وبين قوابل العالم.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً:

[اتصاف النبي ﷺ بالأسماء الإلهية]

ما ذكره من اتّصاف النبيّ ﷺ بأسماء الله تعالىٰ، وذكرها اسماً اسماً، وقد أخذت من كلامه ما وقع عليه اختياري. قال رحمه الله تعالىٰ:

﴿ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: 4] : قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: 80] فقد أطاع الله ، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفَتْح: 10].

تنبيه: يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني، عفا الله عنه: قد ذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه، هنا كلاماً لا يجوز اعتقاد ظاهره، وقد قال العلماء: إن اسم الله للتعلق لا للتخلق، ومعنى هاتين الآيتين، وما أشبههما ظاهر، وهو كقوله ﷺ: «**من أطاع أميري فقد أطاعني**»، ولا يطلق على الأمير أنه رسول الله، كما لا يجوز أن يطلق على رسول الله أنه الله، بل هو عبد الله ورسوله، جعله واسطة خلقه في تبليغ أوامره ونواهيه، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، ومن بايعه فقد بايع الله كما هو واقع في أمراء الملوك الذين يؤمّرونهم على الناس، فمن أطاع الأمير في ما أمره به الملك، فقد أطاع الملك، ومن عصا فقد عصى

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الملك، ومع ذلك لا يطلق على الأمير أنه ملك ولو أطلق ذلك لا يرضى به الملك، وهذا من الظهور بالمكان، الذي لا يحتاج لإقامة برهان، والله أعلم.

ثم رأيته رضي الله عنه ذكر في موضع آخر من كتابه هذا، **(الكمالات الإلٰهية)** أنه بينما كان جالساً أمام الحجرة النبويّة، إذ كشف عنه الحجاب، فرأى النبيّ ﷺ في الأفق الأعلى، بصفة إلٰهية لا يشكّ فيها، ومكتوب حوله سورة، قل هو الله أحد، فلما رجع إلى حسّه نظر، فإذا في الحائط المقابل، له قد كتبت سورة، قل هو الله أحد، ولئلا يطلع أحد من القاصرين على كلامه فيضلّ، أو ينسب الشيخ إلى الضلال حاشاه من ذلك، أردت أن أشرحه شرحاً يزيل كل اشتباه، ويزيد كل مسلم إيماناً بأن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً عبد الله ورسوله.

فأقول: اعلم أنه لا أحد من المسلمين يشكّ في أن القرآن كلام الله تعالىٰ، وأنه كله حق وهدى، وقد قال الله تعالىٰ فيه: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [النَّمل: 7] لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ﴾ [القَصَص: 30] ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القَصَص: 30]، ونحن على يقين من أن الله تعالىٰ منزّه عن أن يكون هو نفس النار، ولكن الله تعالىٰ تجلّى فيها لموسى لكونه كان في طلبها، لاصطلاء زوجته في أيام البرد الشديد، فكانت أحب الأشياء إليه، فلذلك تجلّى له تعالىٰ فيها، كما في الفصوص للشيخ الأكبر.

وكذلك يقال هنا: لما كان النبيّ ﷺ هو أحب الأشياء للشيخ عبد الكريم الجيلي، تجلى له الله تعالىٰ فيه ﷺ، كما تجلّى لموسى في النار، وإنما هي نور، فاعلم ذلك وتذكّر قول النبيّ ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم**»[1]، فإنه إذا أعتقد أحد ظاهر كلام الشيخ، وأنه ﷺ هو الله كما تعتقد النصارى بالمسيح، فهو كافر بلا شك، وحاشا الشيخ عبد الكريم الجيلي أن يعتقد ذلك، وإنما هي مشاهدات وتجلّيات يتجلّى بها الحق على خاصّة عباده لا ندرك نحن حقائقها، ونعلم يقيناً أنهم مثلنا لا يشكّون بأن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وأنه أمكن في العبودية من جميع عبيد الله تعالىٰ، ولذلك صار أحبّهم إليه.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، في بابين أحدهما: باب واذكر في الكتاب مريم. .، حديث رقم (3261) [3/ 1271] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الزجر عن أن يرغب المرء عن آبائه. .، حديث رقم (413) [2/ 147] ورواه غيرهما.

وقد شرحت هذا المعنى في كتابي: شواهد الحق، بعبارة نقلتها على ظهر كتابي هذا جواهر البحار، لتكون كالمقدمة له، ولتحقيق عبوديته ﷺ لله تعالىٰ مع ما هو مذكور في كتابي هذا عن الأئمّة العارفين من علوّ قدره ﷺ إلى درجة لا يمكن أن تتصوّرها عقولنا القاصرة، ومع ذلك فقد أقروا واعترفوا بأنهم لم يدركوا حقيقته المحمدية ﷺ على ما هي عليه عند ربّه عزّ وجلّ، ثم بعد كتابتها رأيت في كتاب: المرائي النبوية، لسيدي أبي المواهب الشاذلي، وهو كتاب جمع فيه أكثر من مائة رؤيا، رأى فيها النبيّ ﷺ، ما نصّه:

الرؤيا العاشرة وهي يوم الجمعة الموفي عشرين من ذي القعدة، عام أحد وخمسين وثمانمائة، رأيته عليه الصّلاة والسّلام في الدار، بعد صلاة الضحى، فقال ﷺ: «**أنا النبي أنا الأبطحى، أنا الزمزمي، أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وسيادتي بالعبودية، وقد خيّرني ربي بين أن أكون ملكاً مطاعاً أو عبداً، فاخترت العبودية، وهي شرفي وهي الصلة بيني وبين ربي**» ثم ساق الرؤيا، ورؤياه ﷺ حق، وجميع ما ذكره فيها هو وارد في الأحاديث المرويّة عنه ﷺ فاعلم ذلك، وإيّاك أن تسيء الظن بأحد من أولياءالله تعالىٰ، بسبب ما تراه في بعض عباراتهم من المخالفة لذلك بحسب الظاهر، قد أودعوا تلك العبارات أسراراً، وقصدوا بها معاني شريفة لا يدركها أمثالنا رضي الله عنهم وأرضاهم، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة.

وأما **الرحمٰن**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً بالرحمانية، لسريان وجوده في جميع الموجودات لأنه هيولى العالم، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ خلق العالم منه، فهو ﷺ سار في جميع الموجودات سريان الحياة في كل حي، فهو حياة العالم وهو الرحمة العظمى التي عمّت الموجودات، ولذلك قال الله تعالىٰ في حقّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبيـاء: 107] .

وأما **الرحيم**: فقد كان ﷺ متحقّقاً بذلك، وهو صفة الملكية، فنزل بها إلى مقام العبودية كمالاً وتمكيناً، وقد أخذ الله تعالىٰ له العهد على الأنبياء، كما يؤخذ العهد للملك على غلمانه، وحواشيه.

وأما **القدوس**: فقد ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ في كتابه: الشفا[1] أن

(1) كتاب (الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى) مطبوع في الدار.

من أسماء النبيّ ﷺ اسمه القدوس، سمّاه الله تعالىٰ به في الإنجيل.

وأما **السلام**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً متجلياً به، والدليل على ذلك ارتفاع المسخ والخسف بعد بعثته، فإنه ﷺ كان سبب سلامة العالم من ذلك، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33]، فهو ﷺ سلامة محضة، وهو السلام المطلق.

وأما **المؤمن** و**المهيمن**: فقد قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البَقَرَة: 285].

قال القاضي عياض: والمهيمن مصغر من الأمن، وقلبت الهمزة هاء، ثم قال: والنبيّ ﷺ أمين، ومهيمن ومؤمن، وقد سمّاه الله تعالىٰ بذلك كلّه، وسمي المؤمن لأنه أمان العالم، وذو الإيمان المطلق، وقد شهد الله تعالىٰ له بذلك، فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البَقَرَة: 285] الآية.

وأما **العزيز**: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبَة: 128]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنَافِقون: 8].

وأما **الجبار**: فقد قال القاضي عياض، رحمه الله في كتابه الشفا: وسمّي النبيّ ﷺ في كتاب داود بجبار، فقال: تقلّد أيها الجبار سيفك ناموسك، وشريعتك مقرونة بهيبة يمينك، معناه في حق النبيّ ﷺ.

إما لإصلاحه بالهداية والتعليم، يعني من جبر الكسر، أو لقهر أعدائه ولعلوّ منزلته على البشر، وعظيم خطره، ونفى الله تعالىٰ عنه جبرية الكبر التي لا تليق به، فقال: وما أنت عليهم بجبار.

وأما **المتكبر**: فإنه كان متّصفاً بذلك، والدليل على ما قلناه كونه قد اتّصف بأسماء الله الحسنى، فلا كبر بأعظم من صفات الله تعالىٰ.

واعلم أن التكبّر عن الله بالله محمود، وما ورد من ذمّ الكبر فإنما هو في التكبّر على الله، فافهم موضع الحمد من الذمّ.

وأما **الخالق**: فإنه ﷺ كان متّصفاً بصفة الخالقية، والدليل على ذلك نبع الماء من بين أصابعه، فإنها صفة خالقية.

وأما **البارئ**: فإنه كان متصفاً به، والدليل على ذلك تكثير الطعام، حتى إنه أطعم نيفاً وألف رجل يوم الخندق، من صاع شعير.

وأما **المصور**: فإنه كان ﷺ متصفاً بذلك، والدليل على ذلك قوله للأعرابي: «**كن زيداً**»(1)، فإذا هو زيد، يعني في قصة أبي ذر في غزوة تبوك، حينما رأى النبيّ ﷺ راكباً من بعيد، فقال له: «**كن أبا ذر**»، فكانه.

وأما **الغفار**: فإنه كان متصفاً به، والدليل على ذلك غفرانه للأعرابي الذي جامع في رمضان، وأسقط عنه الكفارة، وقد رويناه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: بينما نحن جلوس عند النبيّ ﷺ، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، فقال: «**ما لك**»، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم.

وفي رواية: أصبت امرأتي في رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**»، قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين**»، قال: لا، قال: «**هل تجد طعام ستين مسكيناً**»، قال: لا، فمكث النبيّ ﷺ فبينما نحن على ذلك إذا أتى النبيّﷺ بفرق فيه تمر، والفرق المكتل، فقال: «**أين الأعرابي**»؟، فقال: ها أنا، قال: «**خذ هذا فتصدّق به**»، فقال: على أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتيها ـ يعني المدينة ـ أهل بيت أفقر من بيتي، فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، أي أنيابه، ثم قال: «**أطعمه أهلك**»(2)، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّسَاء: 64]، جعل استغفار الرسول شرطاً للمغفرة والتوبة، ولم يكتف باستغفارهم الله تعالىٰ، بل قيّده بمجيئهم إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لهم، وسرّ هذا أنه متّصف بصفة المغفرةﷺ.

وأما **القهار**: فإنه كان ﷺ متصفاً به، والدليل على ذلك أنه قهر بنوره جميع أنوار الأنبياء، أي سترها كما تقهر الشمس أنوار النجوم، فنسخت شريعته شرائع الأنبياء، فهو القهار الحقيقي، ومن قهره نصره بالرعب مسيرة شهر، كماورد في الحديث.

---

(1) أورد نحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة أبي ذر الغفاري، [70/ 128] وفيه [كن أبا ذر] بدل [كن زيداً] وأورد نحوه ابن قيم الجوزية في زاد المعاد في هدي خير العباد، [3/ 99] وأورد نحوه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء.. و حديث رقم (1834) [2/ 684] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ أمر هذا بالإطعام..، حديث رقم (3529) [8/ 298] ورواه غيرهما.

وأما **الوهاب**: فإنه ﷺ كان متصفاً به، كما روينا عن محمد بن المنكدر، قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً، فقال: لا.

وأما **الرزاق**: فقد كان متّصفاً بهذه الصفة أيضاً، والدليل على ذلك إنزال الغيث الذي هو سبب لأرزاق جميع الحيوانات، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، وقال: «**اللّهمّ أغثنا، اللّهم أغثنا، اللّهم أغثنا**»، قال أنس: فوالله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من باب ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسّطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال أنس: فوالله ما رأينا الشمس ستًّا، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنّا، قال: فرفع النبيّ ﷺ يديه، ثم قال: «**اللّهم حوالينا لا علينا، على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر**»، قال: فأقلعت فخرجنا نمشي في الشمس[(1)].

وأما **الفتاح**: فقد قال تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: 19]، يعني محمداً، وقد كان ﷺ متّصفاً بالصفة الفتاحية، فإنه فتح أبواب السمٰوات، وفتح الله به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً، وقد ورد مثل ذلك ما حكاه لنفسه في الأحاديث المروية عنه ﷺ.

وأما **العليم**: قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النِّسَاء: 113]، وقال في حقه ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: 151]، كان ﷺ متّصفاً بصفة العلم الإحاطي، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**فعلمت علم الأوّلين والآخرين**»[(2)]، وعلم الأولين والآخرين علم الكون بأسره، فهذا دليل معرفته ﷺ بالمخلوقات كلّها، أولها وآخرها، دنياها وأخراها. وأما دليل علمه بالله، فالحديث المروي عن النبيّ ﷺ

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، الاستسقاء، حديث رقم (897) [2/ 613] ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

وهو قوله للكمل من أمّته: «**أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفاً له**»[1].

وأما **القابض** و**الباسط**: فإنهﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين، والدليل على ذلك ما روت أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنه قبض على الشمس فوقفت حتى صلّى عليّ رضي الله عنه، ففي رواية صحيحة الإسناد عنها: أنه ﷺ كان يوحى إليه، ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «**أصلّيت يا عليّ**»، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «**اللّهم إنّه كان في طاعتك، وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس**»[2]، قالت: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت، ووقعت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر.

أخرجه الطحاوي في مشكل الحديث، فهذا دليل عظيم على اتّصافه بالقبض والبسط، فإنه قبض على الشمس أن تغيب، وبسط في النهار حتى زاد، ووقعت الشمس على الجبال والأرض، وفي بسطه لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه في ولده، وماله، ولأنس وغيرهما ما يغني المتأمّل عن زيادة الاستدلال، فافهم.

وأما**الخافض** و**الرافع**: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين، لأنه خفض أعلام الشرك ورفع رايات الهدى، وقد مدحه العباس بن مرداس بهاتين الصفتين، فأقرّه ولم ينكر عليه، حين قال له في قصيدته:

وما كنتُ دون امرئٍ منهما ... وَمَن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ[3]

وأما **المعز** و**المذل**: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين، والدليل على ذلك تمكينه ﷺ من التصرف الكلّي في الوجود، وقد شهد الله له أنه مطاع في الملكوت الأعلى، فقال في حقّه: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التّكوير: 20-21]، يعني: عند ذي العرش، فإذا شهد الله أنه مطاع في الملكوت الأعلى، فما قولك في الملك الأسفل، وهو في تسخيره العالم العلوي الذي في طوعه وتحت أمره.

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (607) [1/ 231] بلفظ: «أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه».

(2) أورده ابن كثير في البداية والنهاية، باب آثار النبي ﷺ التي كان يختص بها في حياته [6/ 281] وأورده القرطبي في التفسير، وعزاه إلى الطحاوي في مشكل الحديث، (انظر تفسير سورة آية 30 [15/ 192] وأورد الحديث غيرهما.

(3) أحد سبعة أبيات للشاعر المخضرم، العَبَّاس بن مرداس بن أبي عامر السلمي من مضر، أبو الهيثم، توفي سنة 18 هجرية (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

وأما **السميع**: فإنه ﷺ كان متّصفاً به، والدليل على ما ما روي عنه ﷺ، أنه سمع صريف الأقلام، وقد علمت أنها جفت من الأزل، بما هو كائن إلى الأبد، فسماعه لصريفها إنما هو بالصفة السمعية المحيطة بما كان، وبما هو كائن.

وأما **البصير**: فإنه ﷺ كان متّصفاً به، والدليل على ذلك ما أخبرنا عنه ﷺ من معاينته لعجائب القدرة المتعلقة بأمر الدنيا وبأمر الآخرة معاينة مشاهدة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تحصى، كحديثه الذي ذكر فيه رؤيته للجنّة والنار.

والحديث الذي ذكر فيه رؤيته لعجائب الملكوت الأعلى، والحديث الذي ذكر فيه موت النجاشي والصلاة عليه، وقد قال تعالىٰ في حقه ﷺ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿17﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿18﴾﴾ [النّجم: 17-18].

وأما **الحكم** و**العدل**: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين حقيقة، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿65﴾﴾ [النّسَاء: 65] لأنه حكم وعدل، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المَائدة: 49]، وقال: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النّسَاء: 105]، وكل ذلك دليل على أنه متّصف بحقيقة هذين الاسمين الصفتين، فهو الحكم العدل.

وأما **اللطيف**: فإنه ﷺ كان متصفاً بذلك، فلولا لطفه لما عرج به إلى السماء بجسده حتى بلغ العرش، وهذا غاية اللطف، وأيضاً فقد سرى بلطفه في الموجودات، وقد ذكرنا آنفاً ما يدلّ عليه، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: 159]، يعني ما أنت فظ غليظ القلب، بل أنت لطيف رحيم.

وأما **الخبير**: فقد سمى به الله محمداً ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفُرقان: 59]، يعني: فاسأل محمداً ﷺ عن الله تعالىٰ، فهو خبير به، هكذا ذكره المفسّرون.

وأما **الحليم**: فقد كان رسول الله ﷺ متصفاً بصفة الحلم، غاية الاتّصاف وحقيقته بحيث إنه شهد له بذلك العالم بأسره..

قد روت عائشة رضي الله عنها في حديث تقول فيه: وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلاّ أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله.

وروي أن رسول الله ﷺ لما كُسرت رباعيته، وشُجّ رأسُه ووجهُه شَقّ ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال ﷺ: «**إني لم أبعث لعاناً، ولكنني بعثت داعياً ورحمة**»(1)، [وقال ﷺ]: «**اللّهمّ اْهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**»(2).

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه، فقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً، فأبيت أن تقول إلاّ خيراً، فقلت: «**اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(2).

وأما **العظيم**: فقد سمى به الله محمداً ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4] ، وقد كان رسول الله ﷺ متّصفاً بصفة العظمة، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ شهد له بها، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4] .

وأما **الغفور**: فإن رسول الله ﷺ كان متّصفاً بهذه الصفة حقّ الاتّصاف، والدليل على ذلك أحاديث مشهورة كثيرة لا تحصى، وفي ما روي عن غورث بن الحارث كفاية للمتأمل، فإنه عمد إلى رسول الله ﷺ ليقتله، ورسول الله ﷺ تحت شجرة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلاّ وهو قائم، والسيف صلتاً في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: «**الله**»، فسقط السيف من يده، فأخذه النبيّ ﷺ، فقال: «**من يمنعك مني**»(3)، فقال: كن خير آخذ فتركه وعفا عنه، فجاء الرجل إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وقال القاضي عياض: ومن عظم عفوه، عفوه ﷺ عن اليهودية التي سمّته في الشاة، بعد اعترافها على الصحيح من الرواية، وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم حين سحره، وقد علم به وأوحى الله إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته، وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أُبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته ﷺ

---

(1) روى نحوه مسلم في صحيحه، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم (2599) [4/ 2006] وروى نحوه أبو يعلى في المسند، عن أبي هريرة، حديث رقم (6174) [11/ 35].

(2) رواه البخاري في صحيحه في بابين أحدهما: حديث الغار رقم (3290) [3/ 1282] ورواه ابن ماجة في السنن، باب الصبر على البلاء، حديث رقم (4025) [2/ 1335].

(3) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب المغازي، حديث رقم (4322) [3/ 31] ورواه أبو يعلى في المسند عن جابر بن عبد الله، حديث رقم (1778) [3/ 312] ورواه غيرهما.

قولاً وفعلاً، بل قال لمن أشار بقتل بعضهم: «**لا يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه**»(1).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبيّ ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة، حتى أثرت الحاشية في صفحة عاتقهﷺ، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبيّ ﷺ وقال: «**المال لله وأنا عبد الله**»، ثم قال ﷺ: «**ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي**»(2)، قال: لا، قال: «**لم؟**»، قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة، فضحك النبيّ ﷺ، ثم أمر أن يحمل على بعير شعير، وعلى الآخر تمر ﷺ.

وأما **الشكور**: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسرَاء: 3]، في حق محمد ﷺ.

وأما **العلي**: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهذه الصفة، فكان العلوّ له مكاناً ومكانة.

أمّا علوّ المكان فلأنه رقى العرش بجسمه، ولأنهﷺ قال: «**الوسيلة أعلى درجة في الجنّة ولا تكون إلاّ لرجل واحد، وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل**»(3)، ورجاؤه أمر حقيقي، أي محقّق الحصول، والدليل على ذلك أن الله وعده بها، وأن الله لا يخلف الميعاد، فهذا علوّ المكان.

وعلوّ المكانة هو ما هو عليه في نفس الأمر، والدليل على ذلك ظهور ذاته بالكمالات، والصفات القدسية، وتحقّقه بها صورة ومعنى، حتى تمكن في جميعها إلى أن شهد الله لتمكّنه فيها، حيث قال: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿20﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿21﴾﴾ [التّكوير: 20-21]، فالعندية هي المكانة، فقد جمع رسول الله ﷺ علوّ المكان والمكانة.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدّة منها: باب ما ينهى عن دعوى الجاهلية، حديث رقم (3330) [3/ 1296] ورواه مسلم في صحيحه، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (2584) [4/ 1998] ورواه غيرهما.

(2) رواه بنحوه النسائي في السنن الكبرى، القود من الجبذة، حديث رقم (6978) [4/ 227] وأبو داود في السنن، باب في الوقار، حديث رقم (4775) [4/ 247] ورواه بلفظه القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، في تكميل الله تعالى ﷺ، في المحاسن. . ، [1/ 71].

(3) رواه ابن كثير في التفسير، آخر تفسير سورة السجدة [3/ 514] وابن إسحاق في فضل الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم (46) [1/ 48].

وأما **الكبير**: فإنهﷺ كان متحقّقاً به، ظاهراً وباطناً، ومتّصفاً بالكبرياء، ومعنى اتّصافه بها هو أن الله تعالىٰ خلق جميع الموجودات منه ﷺ، فهو كل الوجود، ولا شيء بأكبر من كلية الوجود بأسره.

وأما **الحفيظ**: فهو متحقق بهذا الاسم لأن الله تعالىٰ خلق منهﷺ فكل شيء من العالم في مرتبة من مراتب الوجود، فهو ﷺ الحافظ لظهوره في المراتب الوجودية، صورة ومعنى.

وأما المغيث: وهو بدل المقيت في الرواية المشهورة، فإنه كان ﷺ متحقّقاً به متّصفاً بصفات الإغاثة، لأن الله تعالىٰ أغاث الوجود به، **منها**: أنه ﷺ بعث على حين فترة من الرسل بعد أن خبط بنو إسرائيل في الدين، وبدّلوا كلام الله تعالىٰ، فأغاث الناس وجاءهم بالحق المبين، **ومنها**: أنه ﷺ لما بعث ارتفع المسخ والخسف من العالم بعد أن كان شاع ذلك، وكثر في أقطار الأرض، فكان ﷺ غياثاً للعالم من الهلاك، **ومنها**: أنه ﷺ أغاث أهل الحقائق بسلوكهم، لأنه ظهر بالتحقيق الإلٰهي فصار ذلك لأهل الحقائق أنموذجاً يسلكون على منواله، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] ، يعني بتحققه بالحقائق الإلٰهية فتقتدون به فيها وتقتفون أثره، **ومنها**: أنه ﷺ أغاث العالم بفعله، فسقاهم الغيث في حين الجدب والمَحْل، كما تقدم بالحديث.

وأما **الحسيب**: فإنه كان متّصفاً به ﷺ، إذ لا حسب أرفع من حسبه، وأيّ حسب أعلى من الاتّصاف بالأسماء والصفات الإلٰهية، تحققاً وتخلقاً، ظاهراً وباطناً، وأما الحسب الظاهر، فلا حاجة إلى ذكره لعدم الخلاف في عظم حسبه وعلوّه، قال ﷺ: «**أنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله، ولا فخر**»(1)، فكانﷺ قرشياً، ووليأ ونبياً، ورسولاً مطلقاً إلى كافة خلق الله، ولم يكن ذلك لغيره.

وأما **الجليل**: فإنه كان متحققاً بالجلال، والدليل على أن الله تعالىٰ أمرنا أن نتأدّب معه ولا نرفع أصواتنا فوق صوته لجلال قدره ﷺ.

وأما **الكريم**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به متصفاً بصفات الكرم، ظاهراً وباطناً، ذاتاً وصفات وأفعالاً، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ سمّاه به، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ [الحاقّة: 40] .

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (12604) [12/ 103].

وأما **الرقيب**: فإنهﷺ كان متحقّقاً به، متصفاً بصفة الرقيبية. والدليل على ذلك أنه قال ﷺ: «**تنام عيني ولا ينام قلبي**»(1)، وهذا من كمال المراقبة، وقوله: «**تعرض عليَّ أعمال أمتي حسناتها حتى إماطة الأذى عن الطريق، وسيّئاتها حتى البصاق في المسجد**»(2)، فهذا دليل واضح لكونه رقيباً على الحوادث الكونية، وأما قوله: «**ولا ينام قلبي**»، فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك ما ورد من أوصافه، أنه كان يجيب من دعاه، وهذه إجابة مطلقة.

وأما **الواسع**: فإنه كانﷺ متحقّقاً به، والدليل على ذلك أنه وسع الحق تعالىٰ، ووسع خلقه، ووسع علمه. أما وسعه للحق، فإنه صاحب القلب المشار إليه بقوله تعالىٰ: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»(3)، ولا أوسع من قلبه ﷺ، فإنه البحر المحيط الذي كل القلوب قطرة من قطراته.

وأمّا وسعه للخلق، فلأنه الرحمة التي قال الله تعالىٰ فيها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156]، وهذه مسألة صرّح بها طائفة من فحول العلماء، فهو الواسع لكل شيء.

أمّا وسعه للعلم الإلٰهيّ، فلقوله: «**علمت علم الأولين الآخرين**»(4) ﷺ.

وأما **الحكيم**: فإنهﷺ كان متحقّقاً به، وموصوفاً بهذه الصفة، لأنه الذي أعطى المراتب الوجودية حقها من نفسه، فكان مسمى كل اسم، على حسب ما يقتضيه ذلك الشيء في نفسه، فهو متحقق بحقائق الموجودات.

وأما **الودود**: فإنهﷺ كان متصفاً به، والدليل على ذلك أن مقامه الحب، فهو المحب المطلق، والحب هو الوداد.

وأما **المجيد**: فإنه ﷺ كان متّصفاً به، والدليل على ذلك اتصافه بالأسماء والصفات الإلٰهية، فلا مجد أعظم من أسماء الله تعالىٰ، وصفاته هذا من جهة الباطن.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب كان النبي ﷺ: تنام عينه ولا ينام قلبه. .، حديث رقم (3376) [3/ 1308] ورواه ابن حبان في الصحيح، عن السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (6385) [14/ 297] ورواه غيرهما.

(2) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(3) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2256) [2/ 255].

(4) هذا الحديث سبق تخريجه.

وأمّا من جهة الظاهر فأيّ مجد أعظم من مجده ﷺ، وقد قرن الله اسمه مع اسمه، وأوتي الوسيلة والشفاعة، ونسخ دينه جميع الأديان، وفي أمّته مثل موسى وعيسى عليه وعليهما الصلاة والسّلام.

وأما **الباعث**: فإنهﷺ كان متّصفاً به، والدليل على أنه قال عليه الصّلاة والسّلام: «**وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي**»[1]، والحاشر هو الباعث، إذ المعنى واحد.

وأما **الشهيد**: فإنه ﷺ كان متصفاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [المائدة: 117]، فهو الشهيد المطلق للحق والخلق.

وأما **الحق**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، متّصفاً بهذه الصفة الحقية، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: 108]، يعني محمداً، وقال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: 5]، يعني محمداً، ذكره القاضي عياض رحمه الله في كتابه. وأيضاً أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحِجر: 85]، وقد ورد في الحديث من رواية جابر أن الله تعالىٰ أوّل ما خلق روح محمد ﷺ، ثم خلق منه العرش والكرسي، والسماء والأرض، وجميع الموجودات.

وأما **الوكيل**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6]، فإذا كان هو أولى بهم من أنفسهم، فبالضرورة يكون أولى بالتصرف في ما يملكونه منهم، فهو الوكيل المطلق عليهم، ولا يحتجّ بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 54]، فإن هذه الوكالة هي المخصوصة من جهة محاسبتهم وعقابهم والشدّة عليهم، لأنه أرسل رحمة لا نقمة ﷺ.

وأما **القوي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التّكوير: 20].

وأما **المتين**: فإنه ﷺ كان متحققاً به لأنه ذو الكمال الذي لا يتناهى، وقد بينّا في شرح الأسماء، في الباب الذي قبل هذا الباب، أن المتين هو ذو الكمال الواسع الذي لا يتناهى، ولا شكّ أنه ﷺ موصوف بهذه الصفة.

---

(1) أورده السبتي في مشارق الأنوار، القاف مع الدال [2/ 173] وابن الجزري في النهاية في غريب الأثر، باب القاف مع الدال [4/ 25].

وأما **الولي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، ولا ولاية أعظم من ولايته، لما اتفق عليه الجمهور، أن كل نبي وليّ، وكل رسول نبيّ ولا عكس، فما كل نبيّ رسول ولا كل وليّ نبي، واعلم أن كل نبي أو رسول، ولايته على قدر نبوّته ورسالته، ولهذا قال المحقّقون: إن الولاية أفضل من النبوّة، يريدون بذلك في الرجل الواحد، يعني أن ولاية النبيّ أفضل من نبوّته، ومن هنا قال بعضهم[1]:

مقام النبوّة في برزخ دوين الوليّ وفوق الرسول

فالولاية عبارة عن الوجه الإلهيّ الذي للنبيّ، **والرسالة** عبارة عن الوجه الذي بين النبيّ وبين الخلق، ولأجل ذلك كانت الرسالة أنزل من النبوّة، والنبوّة أنزل من الولاية، فافهم.

وأما **الحميد**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك ما ورد أن الله تعالىٰ أعطاه لواء الحمد، وهوعبارة عن الثناء على الله تعالىٰ بما أثنى الله به على نفسه، ولذلك شقّ اسمه من الحمد، فهو أحمد، ومحمد، ومحمود، وحامد، وله لواء الحمد، وأنزل الله عليه الحمد، وأوتي ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ﴾ [الحِجر: 87] ، قيل: إنه سورة الحمد ولهذا المعنى إشارات شريفة يعرفها أهلها.

وأما **المحصي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**تعرض عليّ أعمال أمتي حتى إماطة الأذى عن الطريق**»[2]، فهذا عين الإحصاء.

وأما **المبدئ**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه ﷺ أبدى غرائب مكنونات الغيب، وأخبرنا عنها، ماضياً ومستقبلاً، وحالاً، وأظهرها بعد أن كانت مستورة باطنة مجهولة غير معروفة.

وأما **المعيد**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك أنه دعا الخلق إلى الحق، وأرجعهم إلى الله تعالىٰ، بعد أن ضلّوا عنه، فهو معيد لهمﷺ.

وأما **المحيي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه أحيا الميت، وقد تواترت بذلك الأخبار، وأحيا الدين بعد اندماره، وأحيا الأرض الميتة، ودلائل

---

(1) القائل هو الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن عربي الحاتمي المتوفى سنة 638 هجرية. (تفسير ابن عربي، سورة النساء [1/ 170].

(2) هذا الحديث لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

ذلك من حيث أفعاله كثيرة لا تحصى.

وأما **المميت**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على أنه لما رمى يوم بدر تلك الحصيات في وجه المشركين، لم يعش أحد ممن أصابه شيء من ذلك، هكذا ورد في الأخبار عنه ﷺ.

وأما **الحي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه المادة الوجودية للعالم الكوني، فهو الحياة السارية في الموجودات الأبدية الأزليّة.

وأما **القيوم**: فإنه كان متحققاً به متصفاً بهذه الصفة القيومية، لأنه كان جامعاً لحقائق الأسماء قائماً بها، وجامعاً للصفات الخلقية قائماً بها، فهذه هي القيومية، فافهم.

وأما **الماجد**: فإنه ﷺ كان من مجده وعلوّ شأنه متحققاً بالكمالات الإلٰهية، والكمالات الخلقية.

وأما **الواجد**: فإنه ﷺ كان واجداً حقيقياً، وجد الكمالات الإلٰهية، أي التي تنبغي له عنده، كما وجد جميع المقتضيات عنده، فلا وجدان أعظم من وجدانه ﷺ.

ولم يذكر اسم **الواحد** وهو ﷺ واحد، في الفضل بين سائر المخلوقات، لا نظير له فيهم، فهو سيّد عبيد الله وواحدهم.

وأما **الصمد**: فإنه ﷺ كان متحققاً موصوفاً بهذه الصفة، والدليل على ذلك أنه الموجود الذي صمدت إليه الحقائق بذواتها، ورجعت إليه لكونه حقيقة الحقائق الوجودية.

وأما صمديته من حيث عدم الأكل والشرب، فمشهورة وقد طوى رسول الله ﷺ حتى قيل: إنه لم يعد إلى الأكل، وفي رواية: لم يأكل رسول الله ﷺ مدة شهرين طعاماً، وفي قوله: «**إني لست كأحدكم**»[(1)] كفاية.

وأما **القادر والمقتدر**: فقد كان ﷺ متحققاً بهما، إذ لا خلاف في أنه ﷺ كان كلما استعجزته قريش بطلب معجزة جاء بها على حسب ما طلبته منه، وذلك مثل ما ورد أنهم طلبوا منهﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين، فرقة فوق الجبل،

(1) وتتمته: «إن ربي يطعمني ويسقيني» رواه ابن حبان في الصحيح حديث رقم (3574) [8/ 341] ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم، حديث رقم (778) [3/ 148] ورواه غيرهما.

وفرقة بقرن الجبل، حتى رؤي جبل حراء بين فرقتي القمر، فقال ﷺ: «**اشهدوا**»[1].

وأما **المقدم** و**المؤخر**: فإنهما من الأسماء الفعلية، ومتى صح أنه ﷺ كان متّصفاً بالقدرة، فبالضرورة يصح اتّصافه بجميع الأسماء الفعلية، وقد أقرّ ﷺ عباس بن مرداس السلمي على قوله: ومن تضع اليوم لا يرفع[*]، ولم ينكر.

وأمّا **الأول** و**الآخر**: فإنه ﷺ كان متحققاً بهما، لأنه أصل الوجود؛ إذ هو حقيقة الحقائق، وهو آخر الوجود بالظهور، إلى هذا أشار ﷺ بقوله: «**نحن الآخرون والأولون**»[2]، وقوله ﷺ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنّة، وأول شافع، وأوّل مشفع**»[3].

وأما **الظاهر** و**الباطن**: فإنه ﷺ كان متحققاً بهما أمّا الظاهر فلأنه عين كل موجود، لأنه منه خلق. وأمّا الباطن، فلأنه حقيقة الحقائق، وهي غير مشهودة.

وأما **الوالي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، متصفاً بصفة الولاية الكبرى، فهو والي الوجود وحاكمه الأكبر، لأنه المعطى منه، لكل حقيقة من الحقائق، مرتبة من المراتب، على ما يقتضيه شؤون وجوده ﷺ، وهذا عين الولاية الكبرى والحكم النافذ، فهو ﷺ الوالي الحقيقي، لأنه قطب الوجود المطلق، عليه تدور رحى الحقائق كلها ﷺ.

وأما **المتعالي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك ما شهد الله تعالىٰ له به، فقال في حقه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجم: 8-9]، وقد وصف الله تعالىٰ نبيّه محمداً ﷺ بأنه بالأفق الأعلى.

---

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر انشقاق القمر للمصطفى ﷺ. .، حديث رقم (6495) [14/ 420] ونصه: عن عبد الله قال: انشق القمر وكنا مع رسول الله ﷺ بمنى حتى ذهبت فلقة خلف الجبل فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».

(*) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين، بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت، [3/ 127] ابن كثير في البداية والنهاية، مرجعه عليه الصلاة والسلام من الطائف وقسمة الغنائم [4/ 360] وأورده غيرهما.

(2) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر خبر أوهم من لم يحكم صناعى الحديث. .، حديث رقم (3217) [8/ 11].

(3) رواه ابن أبي عاصم في السنة، باب في ذكر قول النبي ﷺ أنا أول شافع. .، حديث رقم (792) [2/ 369] وابن أبي شيبة في المصنف، باب أول ما فعل. .، حديث رقم (35859) [7/ 258] ورواه غيرهما.

وأما **البر**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، وموصوفاً بهذه الصفة، إذ لا خلاف في أنه براً شفوقاً رحيماً.

وأما **التواب**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه كان يبايع الخلق على التوبة فهو التواب، ولولاه لما تاب مسيء من ذنب.

وأما **المنتقم**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، ودليل ذلك ما روت عائشة رضي الله عنها أنه كان لا ينتقم إلاّ لله ﷺ، وقد أمر برجم اليهوديين لما زنيا، وبقطع السارقة المخزومية وغير ذلك، وكان ﷺ كامل الرحمة، ولو كان منتقماً.

وأما **العفو**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، وقد سمّاه الله تعالىٰ بذلك، فقال: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ**﴾ [الأعراف: 199]، وقال: ﴿**فَٱعْفُ عَنْهُمْ**﴾ [آل عِمرَان: 159]، وفي ما ورد من عفوه وصفحه عن الجرائم العظيمة كفاية.

وأما **الرؤوف**: فالله تعالىٰ قد سماه به فقال: ﴿**بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التّوبة: 128] ﷺ.

وأما **مالك الملك**: فإنه ﷺ كان متحققاً به موصوفاً بصفة المالكية للمملكة الوجودية، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ خلق العالم من أجله، فهو مالك الملك وسيّده، وقد قال: «**أنا سيد ولد آدم، ولا فخر**»[1]، وقد سخر الله العالم لآدم وأولاده، فقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: 13]، جميعاً منه وهو سيد العالم أجمع، ومالك الملك وآخذ العهد من الأنبياء، في القدم دليل واضح على أنه الملك، لأن العهد لا يؤخذ إلاّ على الأتباع، والخدم للمتبوع المالك.

وأما **ذو الجلال والإكرام**: فإنه ﷺ كان متحققاً به لجلالة قدره.

وأما **المقسط**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، لأن القسط هو العدل، وهو ﷺ قد فرق الله به بين الحق والباطل، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 49]، وقوله تعالىٰ: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ**﴾ [النّساء: 65].

وأما **الجامع**: فإنه ﷺ كان متحققاً به لأنه جمع الكمالات [كلها الخَلْقية والخُلُقية، الظاهرة والباطنة الحلقية والحقّية].

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

وأما **الغني**: فإنه ﷺ كان كذلك غنياً بالذات، والدليل على ذلك ما روي أن جبريل عليه السلام أتاه بمفاتيح خزائن الأرض، فقال له: ربك يقرئك السلام، ويقول لك: خذ هذه، فقال له: «**بل أجوع يوماً وأشبع يوماً**»(1)، ولم يأخذ شيئاً.

وأما **المُغْني**: فإن رسول الله ﷺ كان متحققاً به، وقد أغنى قريشاً بعد فقرهم وجهدهم، والأنصار وغيرهم من المهاجرين، حتى ملكوا البلاد، وحكموا على العباد، وفرّقوا خزائن كسرى وقيصر.

وأما **المانع**: فقد كان ﷺ متصفاً به، ومنعه لا يكون إلاّ في محله، فهو عين الجود.

وأما **الضار والنافع**: وهما من أسماء الأفعال، فقد كان ﷺ متحققاً بهما لتحققه بصفات القدرة.

وأما **النور والهادي**: فإن الله تعالىٰ سمّاه بهما في قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: 15]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورىٰ: 52].

وأما **البديع**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، وقد ابتدع واخترع من عجائب القدرة ما يعجز الكون عن الإفصاح به، والكتب مشحونة بذلك.

وأما **الباقي**: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عِمرَان: 169]، فإذا كان الشهداء أحياء فما قولك في سيد الشهداء ﷺ فقد مات مسموماً شهيداً.

وأما **الوارث والرشيد**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً بهذين الاسمين، متّصفاً بهاتين الصفتين.

وأما **الصبور**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك أن قريشاً فعلوا به ما فعلوا من شجّ رأسه وكسر رباعيته وأمثال ذلك، فلم يدع عليهم، ولا انتقم منهم، بل قال: «**اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(2).

تنبيه: قد ذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله تعالىٰ هذه الأسماء الحسنى

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان، التاسع والستون من شعب الإيمان، حديث رقم (10410) [7/ 310] ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء، ترجمة الفضيل بن عياض [8/ 133].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

وطبقها على أوصاف النبيّ ﷺ كما ترى، وذكر بعضها في محلين، وزاد عليها أسماء خارجة عن التسعة والتسعين، ومن جملة ما ذكره طه ويس، وأنقل كلامه عليهما هنا لما فيه من الفائدة.

قال رحمه الله تعالىٰ: فقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أنهما من أسماء الله تعالىٰ، وذهبت طائفة منهم إلى أنهما من أسماء رسول الله ﷺ، وعلى الحقيقة أنهما اسمان لله تعالىٰ، واسمان لمحمد ﷺ، وهذان الاسمان ذاتيان، ولا وصفية فيهما، ومن ذلك أسماؤه التي في أوائل السور، وهي الحروف المقطعات.

ذهبت طائفة من العلماء إلى أنها أسماء الله تعالىٰ، وذهبت طائفة إلى أنها أسماء رسول الله ﷺ، وذهبت طائفة إلى أنها أسماء القرآن.

وذهب بعضهم أن بعضها أسماء محمد ﷺ، وبعضها أسماء الله، وبعضها أسماء القرآن، وذهبت طائفة أن كل حرف من ذلك اسم، فقالوا في طه: إن الطاء اسم الطاهر، والهاء اسم الهادي، وكذلك البواقي، وعلى الحقيقة أن الجميع أسماء الله تعالىٰ، وهي بعينها أسماء محمد ﷺ.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني(*) المولود سنة 851هـ = 1448م والمتوفى سنة 923هـ = 1517م

[خطبة كتاب المواهب اللدنية]

الحمد لله الذي أطلع في سماء الأزل شمس أنوار معارف النبوة المحمدية، وأشرق من أفق أسرار الرسالة مظاهر تجلي الصفات الأحمدية. أحمده على أن وضع أساس نبوته على سوابق أزليته، ورفع دعائم رسالته على لواحق أبديته، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة والجلال، الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله أشرف نوع الإنسان، وإنسان عيون الأعيان، المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان، الممنوح ببدائع الآيات، المخصوص بعموم الرسالة، وغرائب المعجزات، السر الجامع الفرقاني، المخصص بمواهب القرب من النوع الإنساني، مورد الحقائق الأزلية، ومصدرها، وجامع جوامع مفرداتها، ومنبرها، وخَطيبها إذا حضر حظائر قدسها ومحضرها، بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه، وجعله ناظماً لحقائق قدسه، مدة مداد نقطة الأكوان، ومنبع ينابيع الحكم والعرفان، المفيض من بحر مدد الوفاء، على القائل من أهل المعارف والاصطفاء. (هو سيدي محمد وفا) حيث خاطب ذاته الأقدسية. بالمنح الأنفسية فقال:

فـأنـتَ رسـولُ الـلَّـهِ أعـظـمُ كـائـن ... وأنـتَ لـكـلِّ الـخـلـقِ بـالـحقِّ مـرسـلُ

(*) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين: من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة (851 ـ 923هـ= 1448 ـ 1517م).
له (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري) عشرة أجزاء. و(المواهب اللدنية في المنح المحمدية) في السيرة النبوية، و(لطائف الإشارات في علم القراءات) و(الكنز) في التجويد، و(الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر) و(شرح البردة) سماه (مشارق الأنوار المضيئة) منه نسخة في دمشق، كما في تعليقات عبيد، وأخرى في خزانة الرباط (2083 كتاني) (انظر الأعلام للزركلي [1/ 232]).

عليكَ مدارُ الخلقِ إذ أنتَ قطبُه وأنتَ منارُ الحق تعلو وتعدلُ
فؤادُك بيتُ اللَّهُ دارُ علومِه وبابٌ عليهِ منهُ للحقِّ يُدخَلُ
ينابيعُ علمِ اللَّهِ منه تفجرتْ ففي كلِّ حي منهُ لله منهلُ
منحت بفيضِ الفضلِ كلَّ مفضل فكلٌّ له فضلٌ به منكَ يفضلُ
نظمتَ نثارَ الأنبياءِ فتاجُهم لديكَ بأنواعِ الكمالِ مكللُ
فيا مدة الأمداد نقطة خطه ويا ذروةَ الإطلاق إذ يتسلسلُ
محال يحول القلب عنك وإنني وحقك لا أسلو ولا أتحولُ
عليكَ صلاةُ اللَّهِ منهُ تواصلَت صلاة اتصالٍ عنكَ لا تتنصَّلُ

شخصت أبصار بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله، وحنت أرواح رؤساء الأنبياء إلى مشاهدة كماله، وتلفتت لفتات أنفس الملأ الأعلى إلى نفائس نفحاته، وتطاولت أعناق العقول إلى أعين لمحاته ولحظاته، فعرج إلى المستوى الأقدس، وأطلعه السر الأنفس، في إحاطته الجامعة، وحضرات حظيرة قدسه الواسعة، فوقفت أشخاص الأنبياء في حرم الحرمة، على أقدام الخدمة، وقامت أشباح الملائكة في معارج الجلال على أرجل الإجلال، وهامت أرواح العشاق في مقامات الأشواق.

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق، فشق مرائر الأشقياء المشاققين، وحن لمفارقته الجذع فتصدع فانصدعت قلوب الأغبياء المنافقين، وبرقت من مشكاة بعثته بوارق الحقائق، وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلائق، ولم يزل يجاهد في سبيل الله بصادق عزماته، وينظم شتات الإسلام بعد افتراق جهاته حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغة، وتمت على سائر أمته الأمية نعمته السابغة، وخيّر فاختار الرفيق الأعلى، وآثر الآخرة على الأولى، فنقله الله تعالى قائماً على قدم السلامة، إلى دار الكمال وفردوس الكرامة، وبوأه أسنى مراقي التكريم في دار المقامة، ومنحه أعلى مراتب الشرف في اليوم المشهود، فهو الشاهد، المشهود، المحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود، ذو المنزلة العلية، والدرجة السنية، في حظائر القدس الأقدسية، والمشاهد الأنفسية، واصل الله عليه فواضل الصلوات، وشرائف التسليم ونوامي البركات، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، صلاة وسلاماً لا ينقطع عنهما أمد الأمد، ولا يحصرهما العدد أبد الأبد.

انتهت خطبة كتاب المواهب اللدنية للإمام القسطلاني، ثم ذكر كيفية تأليفه وترتيبه، وأنه رتبه على عشرة مقاصد.

فمن جواهره رضي اللّٰه عنه

[الحقيقة المحمدية]

قوله في **المقصد الأول**: اعلم يا ذا العقل السليم، المتصف بأوصاف الكمال والتتميم. وفقني الله وإياك بالهداية إلى الصراط المستقيم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه، أبرز الحقيقة المحمدية، من الأنوار الصمدية، في الحضرة الأحديَة، ثم سلخ منها العوالم كلها، علوها وسفلها، على صورة حكمه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوته، وبشره برسالته، هذا وآدم لم يكن إلا كما قال ﷺ بين الروح والجسد، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأحلى، فهو ﷺ الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس، ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه ﷺ إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فهو ﷺ وإن تأخرت طينته، فقد عرفت قيمته، فهو خزانة السر، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خبر إلا عنه، ولله در القائل، وهو سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه:

ألا بأبي من كان مَلْكاً وسيداً ... وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الأبطحيّ محمد ... له في العلا مجد تليد وطارف
أتى بزمان السعد في آخر المدى ... وكان له في كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه ... فاثنت عليه ألسن وعوارف
إذا رام أمراً لا يكون خلافه ... وليس لذاك الأمر في الكون صارف

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العارف بالله سيدي الشيخ(*) عبد الوهاب الشعراني المولود سنة 898هـ= 1493م المتوفى سنة 972هـ = 1565م

فمن جواهره رضي اللَّه عنه

[ثبوت رسالة النبي ﷺ]

ما ذكره في كتابه اليواقيت والجواهر في المبحث الثالث والثلاثين منه، في ثبوت رسالة نبينا محمد ﷺ، وبيان أنه أفضل خلق الله على الإطلاق، وغير ذلك ذكر نقولاً كثيرة في هذا الشأن، وكثير منها من الفتوحات المكية، نقلت معظمها فيما تقدم عن سيدي محيي الدين في الفتوحات، ولذلك تركت هنا كثيراً مما نقله عنه

(*) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد بن الحنفية، الشعراني، أبو محمد: من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة (بمصر) سنة (898هـ = 1493م) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته: (الشعراني، ويقال الشعراوي) وتوفي في القاهرة سنة (973هـ = 1565م).

له تصانيف منها: «الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية» و«أدب القضاة» و«إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين» و«الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية» ـ و«البحر المورود في المواثيق والعهود ـ» و«البدر المنير ـ» في الحديث، و«بهجة النفوس والأسماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق» بخطه، و«تنبيه المغترين في آداب الدين» و«تنبيه المفترين في القرن العاشر، على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر» و«الجواهر والدرر الكبرى» و«الجواهر والدرر الوسطى» و«حقوق أخوة الإسلام ـ» مواعظ و«الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة» رسالة، و«درر الغواص» من فتاوى الشيخ علي الخواص، و«ذيل لواقح الأنوار» جزء صغير، و«القواعد الكشفية» في الصفات الإلٰهية، و«الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر» و«كشف الغمة عن جميع الأمة» و«لطائف المنن» يعرف بالمنن الكبرى، و«لواقح الأنوار في طبقات الأخيار» مجلدات، يعرف بطبقات الشعراني الكبرى، و«لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية ـ» و«مختصر تذكرة السويدي» في الطب، رسالة، و«مختصر تذكرة القرطبي» مواعظ، و«إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء، إلى شروط صحبة الأمراء» ـ رسالة في خزانة الرباط (2598 كتاني) وغيرها. (انظر الأعلام للزركلي [4/ 180]).

وأثبت فوائد أخرى ذكرها الشعراني عن نفسه وعن غيره. وهي وإن تكرر شيء منها مع ما ذكرته قبلاً فهو قليل.

قال رضي الله عنه: اعلم أن رسالة محمد ﷺ ثابتة بالكتاب المعجز، والسنة، والإجماع وكذلك أجمعت الأمة على أنه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها، وكذلك نشهد لجميع الأنبياء بأنهم بلغوا رسالات ربهم، وقد خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع فحذر، وأنذر، وأوعد، وما خص بذلك أحد دون أحد، ثم قال: «**ألا هل بلغت؟**» فقالوا: بلغت يا رسول الله، فقال: «**اللهم اشهد**»[1].

وقال رضي الله عنه: فإن قيل فما أول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العمى؟ الجواب كما قاله الشيخ تقي الدين بن منصور: إن أول ما ظهر بعد فتق العمى هو محمد ﷺ، فاستحق بذلك الأولية للأوليات، فهو أبو الروحانيات كلها، كما كان آدم عليه الصلاة والسلام أبا الجسمانيات كلها». قال: فإن قلت فما معنى قوله ﷺ **كنت نبياً وآدم بين الماء والطين؟**[2] والنبي هو المخبر عن الله، وكيف صح إخباره ﷺ قبل أن يخلق؟ وقبل وجود من يخبرهم؟

فالجواب: كما قاله الشيخ [الأكبر] في الباب الخامس وثلاثمائة من الفتوحات، معناه أن رسول الله ﷺ كان يعرف ذاته بذاته بإذن الله في غير مجلى قبل أخذ الميثاق، وهو الحال التي كان فيها ﷺ يعرف نبوته، وذلك قبل خلق آدم كماأشار إليه الحديث المذكور، فكان له ﷺ التعريف في ذلك الحال. فإن النشأة الإنسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها إلى حين وجودها، لكن من الناس من أعطى في ذلك الموطن شهود نفسه، ومرتبته إما على غاياتها بكمالها، وإما بأن يشهد صورة ما من صوره، وهي عين تلك المرتبة التي له في الدنيا، فيعلمها ليحكم على نفسه بها، وهنا شاهد ﷺ نبوته، ولا ندري هل شهد صور جميع أحواله أم لا، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [فُصّلَت: 12]، فما من فلك من الأفلاك التسعة

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً»..، حديث رقم (6667) [6/ 2593].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

إلا وللإنسان صورة فيه، فيحفظها ذلك الفلك إلى وصول وقتها، فوجودها كوجود الصورة الواحدة في المرائي الكثيرة المختلفة الأشكال من طول وعرض، واستقامة وتعويج، واستدارة وتربيع، وتثليث، وصغر وكبر، فتختلف صور الأشكال باختلاف المجلى، والعين واحدة فلذلك قلنا إنه ﷺ كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى بإذن الله تعالى، وإذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب إذا نالها قال ﷺ وهو في المرتبة العليا: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1]، فلتحكم فيه المرتبة، وقال في وقت آخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110].

فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته، وسبب ذلك أنه رأى لطيفة ناظرة إلى مركبها العنصري وهو متبدد فيها، فشاهد ذاته العنصرية، فعلم أنها تحت قوة الأفلاك العلوية، ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الأناسي والحيوان والنبات والمعدن، فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلاً على أحد ممن تولد عنها، بل رأى نفسه مثلاً لهم ورآهم أمثالاً له فقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110]، وكان يتعوذ من الجوع، فما افترق عنا إلا بقوله يوحى إليّ، فقد عرفت معنى قوله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[1]، وإن هذا القول إنما كان بلسان تلك الصورة التي هو فيها مما هو معدود من صور تلك المراتب فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة.

فإن قلت: فهل أعطي أحد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد ﷺ؟ فالجواب لم يبلغنا أن أحداً أعطي ذلك، إنما كانوا أنبياء أيام رسالتهم المحسوسة.

فإن قلت: فلم قال كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، ولم يقل كنت إنساناً، أو كنت موجوداً؟

فالجواب: إنما خص النبوة بالذكر دون غيرها، إشارة إلى أنه أعطي النبوة قبل جميع الأنبياء، فإن النبوة لا تكون إلا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى.

فإن قلت: فما معنى قولهم إنه ﷺ أول خلق الله؟ هل المراد به خلق

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

مخصوص، أو المراد به الخلق على الإطلاق؟.

فالجواب: كما قاله الشيخ [الأكبر] في الباب السادس: إن المراد به خلق مخصوص وذلك أن أول ما خلق الله الهباء، وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد ﷺ قبل سائر الحقائق.

وإيضاح ذلك: أن الله تبارك وتعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الإرادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية، فحدث الهباء، وهو بمنزلة طرح البنَّاء الجص ليفتتح فيه من الأشكال والصور ما شاء، وهذا هو أول موجود في العالم، ثم إنه تعالى تجلى بنوره إلى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة، فقبل منه كل شيء في ذلك الهباء على حسب قربه من النور، كقبول زوايا البيت نور السراج، فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوؤه وقبوله، ولم يكن أحد أقرب إليه من حقيقة محمد ﷺ فكان أقرب قبولاً من جميع ما في ذلك الهباء، فكان ﷺ مبدأ ظهور العالم وأول موجود.

ثم قال: فعلم كما قاله الشيخ محيي الدين في الفتوحات، إن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ، إذ هو قطب الأقطاب، فهو ممد لجميع الناس أولاً وآخراً، فهو ممد كل نبي وولي سابق على ظهوره حال كونه في الغيب، وممد أيضاً لكل ولي لاحق به، فيوصله بذلك الإمداد إلى مرتبة كماله في حال كونه موجوداً في عالم الشهادة وفي حال كونه متنقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة، فإن أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين.

فإن قلت: قد ورد في الحديث: «**أول ما خلق الله نوري**»[1]. وفي رواية: «**أول ما خلق الله العقل**»[1] فما الجامع بينهما؟.

فالجواب: إن معناهما واحد، لأن حقيقة محمد ﷺ تارة يعبر عنها بالعقل الأول، وتارة بالنور.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

فإن قلت: فما الدليل على كونه ﷺ ممد الأنبياء السابقين في الظهور عليه من القرآن؟.

فالجواب: من الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90]، أي أن هداهم هو هداك الذي سرى إليهم منك في الباطن فإذا بهداهم فإنما ذلك اهتداء بهداك، إذ الأولية لك باطناً والآخرية لك ظاهراً، ولو أن المراد بهداهم غير ما قررنا، لقال تعالى له ﷺ فبهم اقتده وتقدم حديث: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[1]، فكل نبي تقدم على زمن ظهوره ﷺ فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة، ويؤيد ذلك قوله ﷺ في حديث: «**وضع الله تعالى يده بين ثديي**»[2]، أي كما يليق بجلاله «**فعلمت علم الأولين والآخرين**» أن المراد بالأولين هم الأنبياء الذين تقدموه في الظهور عند غيبة جسمه الشريف، وإيضاح ذلك أنه ﷺ أعطي العلم مرتين: مرة قبل خلق آدم عليه السلام، ومرة بعد ظهور رسالته ﷺ، كما أنزل عليه القرآن أولاً من غير علم جبريل، ثم نزل عليه به جبريل مرة أخرى، ولذلك قال تعالى له: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: 114]. أي لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن تسمعه من جبريل، بل اسمعه من جبريل وأنت منصت إليه كأنك ما سمعته قط، وقد عملت التلامذة الموفقون بذلك مع أستاذيهم. ذكر ذلك الشيخ في الباب الثاني عشر من الفتوحات وفي غيره من الأبواب.

قال بعده الإمام الشعراني قلت وفي تصريح الشيخ بأن القرآن أنزل على رسول الله ﷺ قبل جبريل، نظر ولم أطلع على ذلك في حديث فليتأمل.

فإن قلت: فإذاً روح محمد ﷺ هي روح عالم الخير كله، وهي النفس الناطقة فيه كله.

الجواب: نعم والأمر كذلك كما ذكره الشيخ في الباب السادس والأربعين

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

وثلاثمائة. فحال العالم المذكور قبل ظهوره ﷺ بمنزلة الجسد السوي، وحاله بعد موته ﷺ بمنزلة النائم، وحال العالم حين يبعث ﷺ يوم القيامة بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كله نائم من حين مات رسول الله ﷺ إلى أن يبعث.

ثم بعد أن ذكر فوائد تقدم نقلها تتعلق بأفضليته ﷺ على آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من النبيين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، قال: فإن قلت قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على يونس**»(1). الحديث، هل هو منسوخ أو قاله تواضعاً؟.

فالجواب: هو تواضع منه ﷺ، وإلا فهو يعلم أنه أفضل خلق الله تعالى، وذلك ليصح له تمام الشكر، فإنه أشكر خلق الله تعالى لله، ولا يكون ذلك إلا بمعرفته كل ما أنعم الله به عليه، فافهم، ومعنى الحديث «**لا تفضلوني**» من ذوات نفوسكم لجهلكم بالأمر، وليس معناه لا تفضلوني مطلقاً، فإن من فضله ﷺ بتفضيل الله عزَّ وجل له فقد أصاب.

فإن قلت: فهل للعارف أن يفضله ﷺ بحسب ما تحتمله الألفاظ؟.

فالجواب نعم له ذلك، ولكن الكامل لا يعتمد في جميع ما يقوله إلا على ما يلقيه الله تعالى عنده، لا على ما تحتمله الألفاظ والله أعلم.

فإن قلت: فهل جميع مقاماته ﷺ تورث لاتباعه من الأنبياء والأولياء، أم يختص ﷺ بمقامات لا يصح لأحد منهم أن يرثها منه؟.

فالجواب: كما قاله الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة، يختص ﷺ بمقامات لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء، ثم عد منها الإمام الشعراني ما نقلته عن سيدي محي الدين فيما نقلته عنه فيما تقدم فلا حاجة لإعادته، ثم تكلم على لواء الحمد والوسيلة ومنزلة النبي ﷺ يوم الموقف الأعظم بما تقدم أيضاً.

---

(1) رواه البخاري بلفظ: «ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى» صحيح البخاري باب ﴿إنا أوحينا إليك﴾ حديث رقم (4327) ورواه أبو داود في السنن، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حديث رقم (4669) [4/ 217] ورواه غيرهما.

ومن جواهر العارف الشعراني أيضاً

[قصة إسرائه ﷺ في كتاب اليواقيت]

قوله رضي الله عنه في المبحث الرابع والثلاثين من كتابه المذكور في بيان صحة الإسراء وتوابعه: اعلم أن الأصل في قصة الإسراء قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسرَاء: 1].

قال الشيخ محيي الدين والضمير في قوله إنه راجع إلى رسول الله ﷺ، لا إلى الباري جلَّ وعلا، وأطال في ذلك ثم قال: فما نقل الحق تعالى محمداً ﷺ من مكان إلى مكان إلا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى، من حيث وصف خاص لا يعلم من الله تعالى إلا بتلك الآية كأَنه تعالى يقول ما أسريت بعبدي إلا لرؤية الآيات لا إليّ لأنه لا يحويني مكان، ونسبة الأمكنة إليّ نسبة واحدة، وكيف أسري بعبدي إليّ وأنا معه حيث كان.

فإن قلت فما بقي إلا أن رؤية الملك في دسكرة ملكه وجنوده أعلى في التعظيم، وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر، وإنما كان تعالى لا يحويه المكان، لأن المكان المعقول هو من سقف العرش إلى تخوم الأرض وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش.

ولما تحت التخوم، فإن صعد العرش إلى أبد الآبدين لا يجد بعده سقفاً، أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له أرضاً، ومن رأى الوجود هذه الرؤية جمد في القول بالجسمية تعالى الله رب العالمين عن ذلك.

ثم بعد أن ذكر قصة المعراج كما قدمته عن سيدي محيي الدين في محله قال: **فإن قلت**: فهل ثم في المعراج إلى السماء بالجسم أو الروح فائدة أخرى غير رؤية الآيات؟

فالجواب: نعم، **منها** أنه إذا مر على حضرات الأسماء الإلٰهية صار متخلقاً بصفاتها، فإذا مر على الرحيم كان رحيماً أو على الغفور كان غفوراً أو على الكريم

كان كريماً أو على الحليم كان حليماً أو على الشكور كان شكوراً أو على الجواد كان جواداً، وهكذا فما يرجع من ذلك المعراج إلا وهو في غاية الكمال.

ومنها شهود الجسم الواحد في مكانين في آن واحد كما رأى محمد ﷺ نفسه في أشخاص بني آدم السعداء حين اجتمع بآدم في السماء الأولى، ثم قال تعالى في حق سيد العبيد على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: 1]، فأقامه في العبودية المطلقة، ونزع منه الدعوى والربوبية على شيء من العالم، وجرده عن كل شيء حتى عن الإسراء، وجعله يسري به، وما أضاف السري إليه، فإنه لو قال سبحان الذي دعا عبده لأن يسري إليه، أو إلى رؤية آياته، لكان له تعالى أن يقول ذلك، ولكن المقام لا يقتضي ذلك فجعله مجبوراً لاحظ له ﷺ في الدعوى لفعل من الأفعال.

ومن فوائد الإسراء أيضاً التنويه بشرف مقام رسول الله ﷺ ومدحه نظير تمدحه تعالى بالاستواء على العرش والثناء بذلك على نفسه عزَّ وجل، فإن العرش أعظم الأجسام لاحتوائه على جميع الموجودات، فما فوقه سقف في العلو، ولا أرض في السفل، وإنما خص الاستواء به لأنه غاية مطمح أبصار المؤمنين.

وأما العارفون من الأنبياء وكمل أتباعهم فيرون هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة في الهواء ليس لها سقف ترسي عليه ولا أرض تنزل عليها فسبحان من لا يعرف قدره غيره.

وقال الشيخ محيي الدين في الباب السادس عشر وثلاثمائة، اعلم أنه لما كان الاستواء على العرش تمدحاً لله عزَّ وجل جعل الله تعالى لنبيه ﷺ كذلك نسبة على طريق التمدح عليه، حيث كان العرش أعلى مقام ينتهي إليه من أسري به من الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال: وهذا يدل على أن الإسراء كان بجسمه ﷺ، ولو كان الإسراء رؤيا لما كان الإسراء، ولا الوصول إلى هذا المقام تمدحاً، ولا وقع من الأعراب في حقه إنكار على ذلك، لأن الرؤيا يصل الإنسان فيها إلى مرتبة رؤية الله تعالى، وهي أشرف الحالات، ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس، إذ كل إنسان، بل كل حيوان، له قوة الرؤيا.

قال: وإنما قال ﷺ على سبيل التمدح: «**حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الأقلام**»[1]وأتى بحرف الغاية الذي هو حتى إشارة لما قلناه من أن منتهى السير بالقدم المحسوس العرش والله تعالى أعلم.

ومن جواهر العارف الشعراني أيضاً

[أنه ﷺ خاتم النبيين]

قوله رضي الله عنه في المبحث الخامس والثلاثين اعلم أن الإجماع قد انعقد على أنه ﷺ خاتم المرسلين، كما أنه خاتم النبيين وإن كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين. وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات، قد ختم الله تعالى بشرع محمد ﷺ جميع الشرائع، فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل إليه بشرع يتعبد به في نفسه، إنما يتعبد الناس بشريعته ﷺ إلى يوم القيامة.

ثم قال: وقال الشيخ أيضاً في الباب الحادي والعشرين من الفتوحات: من قال إنَّ الله تعالى أمره بشيء فليس ذلك بصحيح، إنما ذلك تلبيس لأن الأمر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس، فإنه ما بقي في الحضرة الإلٰهية أمر تكليفي إلا وهو مشروع، فما بقي للأولياء وغيرهم إلا سماع أمرها، ولكن لهم المناجاة الإلٰهية، وتلك لا أمر فيها، وإنما هو حديث وسمر، وكل من قال من الأولياء إنه مأمور بأمر إلٰهي في حركاته وسكناته مخالف لأمر شرعي محمدي تكليفي، فقد التبس عليه الأمر وإن كان صادقاً فيما قال إنه سمعه فليس ذلك عن الله وإنما هو عن إبليس، فظن أنه عن الله لأن إبليس قد أعطاه الله تعالى أن يصور عرشاً وكرسياً وسماءً ويخاطب الناس منه، فقد بان لك أن أبواب الأوامر الإلٰهية والنواهي قد سدت وكل من ادعاها بعد محمد ﷺ فهو مدع شريعة أوحي بها إليه، سواء وافق شرعنا أو خالف، فإن كان مكلفاً ضربنا عنقه وإلا ضربنا عنه صحفاً.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء. .، حديث رقم (342) [1/ 136] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الأخبار عن وصف الجنابذ. .، حديث رقم (7406) [16/ 419]. ورواه غيرهما.

فإن قيل فهل كان قبل بعثة رسول الله ﷺ تحجير في ادعاء النبوة؟ **فالجواب**: لم يكن في ادعائها تحجير. ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه السلام وما فعلته عن أمري فإن زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحي إليه بها على لسان ملك الإلهام، وقيل بلا واسطة، وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى، وعندنا، وزكاه.

وأما اليوم فإلياس والخضر عليهما السلام على شريعة محمد ﷺ، إما بحكم الوفاق، وإما بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك إلا على سبيل التعريف، لا على طريق النبوة، وكذلك عيسى عليه السلام إذا نزل إلى الأرض لا يحكم فينا إلا بشريعة سيدنا محمد ﷺ، يعرّفه الحق تعالى بها على طريق التعريف، وإن كان نبياً.

واعلم أن أمر الحق عزَّ وجل حكمه العموم إلا أن يخصه دليل وقد قال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [محمّد: 33] فلم يجعل لأحد بعد بعثة محمد ﷺ أن يخالف شرعه إنما أوجب عليه الاتباع، وجعل لمحمد ﷺ أن يشرع فيأمر وينهي.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النّسَاء: 59]، فالمراد بطاعتنا لهم فيما إذا أمرونا بمباح ونهونا عنه، لا أنهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد ﷺ الثابت، فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم فقد أجرنا في ذلك أجر من أطاع أمر الله تعالى فيما أوجبه من أمر ونهي، وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤوا به والله أعلم.

فإن قلت فما الحكم في تشريع المجتهدين؟

فالجواب: إن المجتهدين لم يشرعوا شيئاً من عند أنفسهم، وإنما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الأحكام فقط من حيث إنه ﷺ قرر حكم المجتهدين، فصار حكمه من جملة شرعه الذي شرعه فإنه ﷺ هو الذي أعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من الدليل، ولو قدر أن المجتهد شرع شرعاً لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع، رددناه عليه، لأنه شرع لم يأذن به الله والله أعلم.

قال الإمام الشعراني بعد ما ذكر ومما يؤيد كون محمد ﷺ أفضل من سائر المرسلين وأنه خاتمهم، وكلهم يستمدون منه، ما قاله الشيخ [الأكبر] في علوم الباب الثاني والتسعين وأربعمائة، من أنه ليس لأحد من الخلق علم يناله في الدنيا والآخرة، إلا وهو من باطنية محمد ﷺ، سواء الأنبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها، وقد أخبرنا ﷺ بأنه أوتي علم الأولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك، وقد عم محمد ﷺ الحكم في العلم الذي أوتيه، فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب، فاجهد يا أخي أن تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه ﷺ، فإنه أعلم خلق الله بالله على الإطلاق، وإياك أن تخطئ أحداً من علماء أمته من غير دليل، وهذا سر نبهتك عليه فاحتفظ به، ولا تقل حجرت واسعاً، وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عزَّ وجل من غير واسطة محمد ﷺ ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذي هو رسول زمانه، لأنا نقول نحن ما حجرنا عليك أن لا تعلم مطلقاً وإنما حجرنا عليك أن يكون لك علم ذلك، إلا من باطنية محمد ﷺ شعرت بذلك، أم لم تشعر.

قال الشيخ ووافقنا على ذلك الإمام أبو القاسم بن قسي في كتابه خلع النعلين، وهو من روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة خمسمائة وتسعين هجرية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ومن جواهر العارف الشعراني أيضاً

[إرساله إلى الخلق كافة]

قوله رضي الله عنه في المبحث السادس والثلاثين قد ورد في صحيح مسلم وغيره: «**وأرسلت إلى الخلق كافة**»[1]، وفسره بالإنس والجن، كما فسروا بهما أيضاً من بلغ في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: 19]، أي

(1) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (523) [1/ 271] ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في الغنيمة، حديث رقم (1553) [4/ 123] ورواه غيرهما.

بلغه القرآن، وكما فسروا بذلك أيضاً العالمين بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفُرقان: 1]، قاله الجلال المحلى رحمه الله.

ثم قال: والحاصل أن كلام الأصوليين يرجع إلى قولين:

الأول: أنه ﷺ أرسل إلى الملائكة.

والثاني: لم يرسل إليهم.

والذي صححه السبكي وغيره أنه أرسل إليهم وزاد البارزي رحمه الله أنه ﷺ أرسل إلى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر، ذكره الجلال السيوطي في أوائل كتاب الخصائص، ونقل أيضاً عن السبكي أنه كان يقول إن محمداً ﷺ نبي الأنبياء، فهو كالسلطان الأعظم، وجميع الأنبياء كأمراء العساكر، ولو أدركه جميع الأنبياء لوجب عليهم اتباعه، إذ هو ﷺ مبعوث إلى جميع الخلق من لدن آدم إلى قيام الساعة، فكانت الأنبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف، وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه ﷺ لا يتعداها، وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: كان ﷺ مبعوثاً إلى الخلق أجمعين في عالم الأرواح، الأجسام من لدن آدم إلى قيام الساعة.

وسمعته يقول: الملائكة على ثلاثة أقسام:

قسم أرسل إليهم محمد ﷺ بالأمر والنهي معاً وهم الملائكة الأرضيون وما بين الأرض والسماء الأولى.

وقسم أرسل إليهم بالأمر فقط وهم ملائكة السموات فإنهم لا يذوقون للنهي طعماً، إنما هم في الأمر فقط قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحـْريم: 6].

وقسم لم يرسل إليهم أصلاً لا بأمر ولا نهي، وهم الملائكة العالون المشار إليهم بقوله تعالى لإبليس [استفهام] إنكار: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [صٓ: 75] فإن هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التي جبلهم عليها، لا يحتاجون إلى رسول، بل هم مهيمون في جلال الله تعالى، لا يعرفون أن الله تعالى خلق آدم ولا غيره.

قال بعده الإمام الشعراني: فليتأمل القسم الأول ويحرر، فإنه غريب في كلامهم والله أعلم. ونقل بعده عن شيخه الخواص والعارف القاشاني: أن ملائكة الأرض غير معصومين، ولذلك أرسل إليهم النبي ﷺ بالأمر والنهي. ثم قال بعد عبارة القاشاني، قال بعضهم، ولعل مراده بهؤلاء الملائكة القاطنين بين السماء والأرض نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحاً له.

ومن جواهر العارف الشعراني أيضاً

[وجوب الطاعة والإذعان لما جاء به ﷺ]

قوله رضي الله عنه في المبحث السابع والثلاثين في بيان وجوب الإذعان والطاعة لكل ما جاء به ﷺ من الأحكام وعدم الاعتراض على شيء منه، اعلم أنه يجب على كل مؤمن أن ينشرح لكل ما شرعه رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿65﴾﴾ [النِّساء: 65]، قال وقد ذكر الشيخ محيي الدين أواخر الحج من الفتوحات ما نصه، إياك أن ترى أموراً قد أباحها الشارع ﷺ فتكره ذلك ويقع في نفسك من فعلها حزازة، وتقول لو أن الحكم لي فيها لحجرتها وحرمتها على الناس، فترجح نظرك في ذلك على نظر الشارع، وتجعل نفسك أرجح ميزاناً منه وتنخرط في سلك الجاهلين. قال: وهذا واقع كثير من بعض الناس الذين لم يمارسوا الأدب مع الشارع ﷺ، فيغضب على الناس إذا فعلوا بعض المباحات التي أباحها الشارع.

ويقول: إذا عجز عن كف الناس عنها، أي شيء أصنع هذا قد أباحه الشارع، ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على حنق وكره في نفسه على استعمال الناس شرع ربهم، وهذا من أعظم ما يكون من سوء الأدب، وصاحبه ممن أضله الله على علم قال: وقد ظهر ذلك من بعض الناس في العصر الأول، وأما اليوم فقد فشا في غالب الناس، ويقولون لو أدرك ذلك رسول الله ﷺ لمنع الناس منه، ونحن نعلم أن الشارع هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شيء، ولو كانت إباحة ذلك الأمر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسول ﷺ، فإنه ﷺ مبلغ عن الله أحكامه فيما أراده الله

تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه، ولا ينسى شيئاً مما أمره بتبليغه ﴿وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النّجم: 4]، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مَريَم: 64].

وما قرر الله تعالى من الشرائع إلا ما تقع به المصلحة في العالم، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه، ومهما زيد فيه، أو نقص منه، أو لم يعمل بما قرره الشارع، فقد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وقدره من الأحكام.

ومن جواهر العارف الشعراني أيضاً

[سيد ولد آدم]

قوله رضي الله عنه في المبحث السبعين في بيان أن نبينا محمداً ﷺ أول شافع يوم القيامة وأول مشفع وأولاه، فلا أحد يتقدم عليه، قال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول شافع وأول مشفع**»[1] زاد في رواية: «**ولا فخر**»[1] قال العلماء وإنما خص يوم القيامة بالسيادة لأنه يوم ظهورها لكل أحد، كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: 16] بخلاف شرفه ﷺ في الدنيا وسيادته فإنها لا تخلو من منازع.

قال: قال الشيخ محيي الدين: وإنما أخبرنا ﷺ بأنه أول شافع، وأول مشفع، شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب إلى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي، فأراد إعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين حتى تأتي نوبته ﷺ ويقول: «**أنا لها، أنا لها**»[2]، فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسبه، لا بد من تعبه وذهابه إلى نبي بعد نبي بخلاف من بلغه ذلك، ودام معه إلى يوم القيامة فالنبي ﷺ ما أكثر شفقته على الأمة وإنما قال فى آخر الحديث ولا فخر، أي لا أفتخر بكوني سيد ولد آدم من الأنبياء، فمن دونهم، وإنما قصدت بذلك راحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عز وجل أن أكون أول شافع وأول مشفع، فما زكى ﷺ نفسه إلا لغرض صحيح، وكذلك

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الطيالسي في المسند، عن ابن عباس، حديث رق (2711) [6/ 496] وابن كثير في التفسير، سورة الإسراء [5/ 92].

تزكية جميع الائمة لأنفسهم، لا يكون إلا لغرض صحيح فإنهم منزهون عن رؤية فخر نفوسهم على أحد من الخلق.

قال الجلال السيوطي وغيره وله ﷺ يوم القيامة ثمان شفاعات.

أولها: وأعظمها شفاعته ﷺ في تعجيل حساب الخلائق وإراحتهم من طول ذلك الموقف وهي مختصة به ﷺ.

ثانيها: في إدخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به ﷺ.

ثالثها: فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها. وتردد النووي في كون هذه مختصة به ﷺ.

رابعها: في إخراج من أدخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخلو طبقتهم وينبت فيها الجرجير كما ورد، وهذه الشفاعة يشاركه ﷺ فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون، وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلاً فقال: إن كانت هذه الشفاعة لإخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فهي خاصة به ﷺ ليست لأحد من الأنبياء ولا الملائكة ولا المؤمنين وإن كانت لغير من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره ﷺ.

خامسها: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وجوز الإمام النووي رحمه الله اختصاص هذه به ﷺ.

سادسها: في جماعة من صلحاء أمته ﷺ ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في العروة الوثقى.

سابعها: فيمن خلد من الكفار في النار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعاً بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزّخرُف: 75] كما ورد ذلك في الصحيحين في حق أبي طالب، وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من أنه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين، لسروره بولادة رسول الله ﷺ، وإعتاقه ثويبة حين بشرته به ﷺ.

قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى: ولا يرد علينا شفاعته ﷺ لبعضهم أن

يخفف عنه عذاب القبر لأن هذه شفاعة في المؤمنين، وفي البرزخ. وكلامنا إنما هو في شفاعته ﷺ يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين ولغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر.

ثامنها: في أطفال المشركين أن لا يعذبوا.

وهذه الثلاث الأخيرة ذكرها بعضهم وأضاف إليها من دفن بالمدينة، رواه الترمذي وصححه. قال: قال الشيخ محيي الدين في الباب الأحد وسبعين وثلاثمائة: واعلم أن الشفاعة الأولى من محمد ﷺ تكون في فتح باب الشفاعة للناس، فيشفع في كل شافع أن يشفع فإذا شفع الشافعون قبل الحق تعالى من شفاعاتهم ما شاء ورد منها ماشاء.

قال: يبسط الله تعالى الرحمة ذلك اليوم في قلوب الشفعاء، فمن رد الله تعالى شفاعته من الشافعين في ذلك اليوم لا يردها انتقاصاً ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه، وإنما أراد تعالى بذلك إظهار المنة الإلٰهية على بعض عبيده، فيتولى الله تعالى سعادتهم ويرفع الشقاء عنهم بإخراجهم من النار إلى الجنان بشفاعة الاسم أرحم الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهي، أي شفاعة الحق تعالى مراتب أسماء إلٰهية لا شفاعة محققة، لأن الله تعالى يقول سبقت رحمتي غضبي، شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين»[1]، فدل بالمفهوم أنه لم يشفع فيتولى بنفسه إخراج من شاء من عصاة الموحدين من النار إلى الجنة ويملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه كما يملأ الله الجنة برضاه ورحمته.

وقال في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة مانصه: اعلم أن لكل من أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين جماعة مخصوصة يشفع فيهم، فشفاعة أرحم الراحمين خاصة بمن لم يعملوا خيراً قط غير توحيدهم لله عز وجل فقط، قال

(1) رواه عبد الرزاق في المصنف، باب من يخرج من النار، حديث رقم (20857) [11/ 409] ورواه أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري، حديث رقم (11917) [3/ 94] ورواه غيرهما.

وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة أنه لا إله إلا هو، وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم الأخلاق من العصاة، قال وتكون شفاعة الملائكة على الترتيب الذي جعله الله لهم وآخرهم شفاعة التسعة عشر التي على جهنم. وأما شفاعة النبيين فتكون في المؤمنين خاصة. والمؤمنون قسمان:

مؤمن عن نظر وتحصيل دليل، فالشافع فيه النبيون فإن الأنبياء جاؤوا بالخبر إلى الأمم والخبر هو متعلق الإيمان.

والقسم الثاني، **مؤمن مقلد لما أعطاه أبواه** وأهل الدار التي نشأ فيها، فالشافع في هذه المؤمنون الذين هم فوقه في الدرجة، بعد أن خلص هؤلاء الشافعون بأنفسهم ونجوا بشفاعة محمد ﷺ، ثم إن الشفعاء كلهم لا يشفعون إلا إذا انتهت مدة المؤاخذة لعصاة الموحدين.

وقال في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة في قوله ﷺ: «**سُحقاً سُحقاً**»[1] في حق قوم ارتدوا على أدبارهم بعده ﷺ، وإنما قال ﷺ ذلك طلباً لموافقة الحق تعالى في غضبه عليهم، إذ العالم بالأمر لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت، فلهذا قال ﷺ مع شفقته ورحمته: «**سحقاً سحقاً**»[1]، ثم إنه ﷺ بعد زوال ذلك الحال يتلطف في المسألة ويشفع فيمن كادت تهوي به الريح في مكان سحيق، فهي شفاعة فيمن ارتد عن فعل شيء من فروض الإسلام لا فيمن ارتد عن أصل الدين.

وقال في الباب الثالث والسبعين إنما كان ﷺ صاحب المقام المحمود في الشفاعة يوم القيامة بين يدي الله عز وجل، لأنه أوتي جوامع الكلم، فيحمده في ذلك المقام الأولون والآخرون، ويرجع إلى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق، وكما كانت بعثته ﷺ عامة، وشريعته جامعة لجميع الشرائع، كانت شفاعته كذلك عامة، فكما لا يخرج عن شريعته ﷺ عمل يصح أن يشرع، كذلك لا يصح أن يخرج

---

(1) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه في بابين أحدهما: باب في الحوض وقول الله تعالى. . ، حديث رقم (6212) [5/ 2406] ورواه مسلم في صحيحه في بابين أحدهما: باب استحباب إطالة الغرة. . ، حديث رقم (249) [1/ 218] ورواه غيرهما.

عن شفاعته أحد، وأطال في ذلك.

ثم قال في الجواب الثامن والسبعين من الباب السابق إنما سجد ﷺ يوم القيامة بين يدي الله عز وجل من غير أن يتقدمه إذن من الله عز وجل في ذلك السجود، لأن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكون في عين جسم محمد ﷺ، إذ هو طريق إلى فتح باب الشفاعة التي ليست لأحد غيره، فلذلك يتقدم محمد ﷺ بين يدي الرب جل وعلا كما يليق بجلاله في ذلك اليوم الأعظم، ويسجد من غير أمر ورد عليه بالسجود، فيقال له: ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ﷺ.

ومن جواهر العارف الشعراني أيضاً

[الخلق كلهم بالنسبة إليه ﷺ كالعبيد والغلمان]

قوله رضي الله عنه في كتابه درر الغوّاص من فتاوى شيخه سيدي علي الخواص رضي الله عنهما ما نصه. وسألته رضي الله عنه في سنة 941هـ هل أدخل في حملات الناس أم امتنع؟ فقال: لا أرى الامتناع من ذلك إلا أولى لك، لأن غالب الناس قد استحقوا نزول البلاء والمحن والخسف والمسخ وإيش جهد ما تعمل، فقلت له قد قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251].

فقال: صحيح ولكن فيما يقدرون ثم قال: جميع الأولياء الأحياء والأموات قد تزحزحت أبوابهم للغلق وما بقي مفتوحاً إلا باب رسول الله ﷺ، فأنزل كل شيء توجه به الناس، إليك برسول الله ﷺ، فإنه شيخ الناس كلهم وحكم الخلق كلهم بالنسبة إليه كالعبيد والغلمان الذين في خدمته فهو يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون والله أعلم.

ومن جواهر العارف الشعراني أيضاً

[النبي ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق]

قوله رضي الله عنه في الباب الرابع عشر من كتابه المنن الكبرى: ومما أنعم الله تبارك وتعالى به عليّ، شهودي بنور الإيمان وسر الإيقان أن نبينا محمداً ﷺ أفضل

خلق الله تعالى على الإطلاق، فلا أحد من أهل السموات وأهل الأرض يساويه في مقام من المقامات، ثم لا يتوقف على دليل في ذلك إلا من أعمى الله بصيرته وصار بصره كبصر الخفافيش، لأن نور شريعته ﷺ أضوأ من نور الشمس وقت الظهيرة، ويكفي في بيان فضله ﷺ إجماع أمته كلهم في سائر الأقطار على تفضيله على الأولين والآخرين بالبديهة من غير توقف، مع أن أحداً منهم لم يره، وإنما رأى شرعه وسمع هديه فقط، وقد قال ﷺ «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»(*).

وقد وقع في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة أن شخصاً زعم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام أفضل من سيدنا محمد ﷺ، مستنداً إلى تعليمه ﷺ الصحابة كيفية الصلاة عليه في الصلاة، وقوله في حديث التشهد كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم، بناء على قاعدة أهل المعاني من أن المشبه به أعلى من المشبه،وغاب عن هذا الشخص أن المسألة واردة على سبب، وذلك أن الصحابة لما قالوا: يارسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا؟ فقال: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم**»[1]، إلى آخره، فالنكتة في قوله ﷺ كما صليت على إبراهيم كونه ﷺ مسؤولاً في تعليم الكيفية، وتأمل إذا قلت لإنسان من الأولياء والعلماء مثلاً علمني تحية أعظمك بها وأمدحك بها وأفضلك بها بين الناس، كيف لا يسعه إلا السكوت أو النطق بما فيه تواضع.

ولذلك جاء في حديث كعب بن عجرة أنه قال: لما سألنا رسول الله ﷺ: كيف نصلي سكت، وتمعر وجهه، حتى تمنينا أن لم نكن سألناه، يعني من شدة حيائه ﷺ.

وقوله ﷺ «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض،**

(*) لفظه: «لا تجمع أمتي على ضلالة». رواه أحمد في المسند حديث أبي ثعلبة الأسجعي رضي الله عنه، حديث رقم (27267) [6/ 39] ورواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (2171) [2/ 280].

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قوله عز وجل ونبئهم عن ضيف إبراهيم. . ، حديث رقم (3190) [3/ 1233] ورواه مسلم في صحيحه، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، حديث رقم (405) [1/ 305] ورواه غيرهما.

وأول شافع وأول مشفع»[1]، صريح في تفضيله على جميع الخلق حتى آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝﴾ [النّجْم: 3] وإنما تأدب ﷺ مع أبيه آدم، لأنه لا ينبغي للولد أن يقول: أنا أفضل من أبي. إلا فيما ورد به الإذن الالٰهي، كما في حديث «**آدم فمن دونه تحت لوائي**»[2]، وقد انتصر علماء مصر وصنفوا مصنفات في الرد على هذا الشخص بتقدير ثبوت ذلك عنه، كسيدي محمد البكري، وسيدي محمد الرملي، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والشيخ نور الدين الطنتدائي وقرئت تلك المصنفات على رؤوس الأشهاد بحضرة خلائق لا يحصون، فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ويشبه حكاية هذا الشخص المنكر المخذول ما ذكره رضي الله عنه في طبقاته الكبرى في ترجمة العارف بالله سيدي أبي المواهب الشاذلي قال فيها: وكان يقول، يعني أبا المواهب رضي الله عنه، وقع بيني وبين شخص من الجامع الأزهر مجادلة في قول صاحب البردة رحمه الله تعالى:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

وقال: ليس له دليل على ذلك، فقلت له: قد انعقد الإجماع على ذلك، فلم يرجع، فرأيت النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر جالساً عند منبر الجامع الأزهر وقال لي: «**مرحباً بحبيبنا**»، ثم قال لأصحابه: «**أتدرون ما حدث اليوم**»؟ قالوا: لا يا رسول الله، فقال: «**إن فلاناً التعيس يعتقد أن الملائكة أفضل مني**». فقالوا بأجمعهم: يارسول الله ما على وجه الأرض أفضل منك. فقال لهم: «**فما بال فلان التعيس الذي لا يعيش، وإن عاش عاش ذليلاً خمولاً مضيقاً عليه خامل الذكر في الدنيا والآخرة، يعتقد أن الإجماع لم يقع على تفضيلي، أما علم أن مخالفة المعتزلة لأهل السنة لا تقدح في الإجماع**»؟ انتهى، ورأيت هذه الرؤيا مبسوطة في كتاب المرائي النبوية لأبي المواهب.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه أحمد في المسند عن ابن عباس، حديث رقم (2546) [1/ 281] ورواه أبو يعلى في المسند عن ابن عباس، حديث رقم (2328) [4/ 213] ورواه غيرهما.

ومن جواهر الإمام الشعراني أيضاً

[خصائصه ﷺ]

ماذكره في كتابه (**كشف الغمة عن جميع الأمة**)، من خصائص النبي ﷺ، ناقلاً ذلك من خط شيخه الحافظ السيوطي كما ذكره في آخرها، وقد راجعت كتاب الحافظ السيوطي (**أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب**)، الذي لخصه من كتابه الخصائص الكبرى، فوجدت ما ذكره الإمام الشعراني هو نفسه، إلا في مواضع قليلة ولزيادة بعض الفوائد ذكرت الخصائص النبوية في كتابي هذا مراراً أولها عن الإمام النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللغات.

ونقلت ما اختص منها بالفضائل عن الإمام المقري اليمني في كتابه (**الروض**) مع شرحه لشيخ الإسلام وحاشيته للشهاب الرملي، ونقلتها مبسوطة بأحاديثها ورواياتها عن الخصائص الكبرى للحافظ السيوطي، ولما كانت ملخصة تلخيصاً حسناً صحيحاً فيما نقله الإمام الشعراني ذكرتها هنا أيضاً بعبارته اعتناء بشأنها وتسهيلا لضبطها.

قال رضي الله عنه كتاب النكاح وفيه أبواب الأول في بيان جملة من خصائص رسول الله ﷺ. اعلم أن جميع الكرامات والخصائص الواقعة في هذا العالم منذ خلق الله تعالى الدنيا لنبينا محمد ﷺ بحكم الأصالة، وإن وقع شيء منها لخواص الخلق فذلك بحكم التبعية في الإرث له ﷺ، ثم اعلم أن كل ما مال إلى تعظيم رسول الله ﷺ لا ينبغي لأحد البحث فيه، ولا المطالبة بدليل خاص فيه، فإن ذلك سوء أدب فقل ماشئت في رسول الله ﷺ على سبيل المدح لا حرج، وما ضبط العلماء رضي الله عنهم هذه الخصائص إلا تنبيهاً على علو مقامه ﷺ عن التحجير الواقع على أمته وصيانة لغيره أن يدعي ما ليس له، وقد سب رجل مرة أبا بكر رضي الله عنه، وَهَمَّ عمر رضي الله عنه أن يضرب عنقه، فقال أبو بكر رضي الله عنه إنها لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ من أمته.

واعلم أن العلماء رضي الله عنهم قد قسموا الخصائص إلى ثمانية أقسام، فلنذكر من كل قسم منها طرفاً صالحاً فأقول وبالله التوفيق.

القسم الأول: فيما اختص به في ذاته في الدنيا

خص رسول الله ﷺ بأنه أول النبيين خلقاً، وبتقديم نبوته، وكان نبياً وآدم بين الماء والطين، وبتقديم أخذ الميثاق عليه، وإنه أول من قال: «بلى»، يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعـرَاف: 172] ، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش، وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت وذكر الملائكة له في كل ساعة، وذكر اسمه في الأذان في عهد آدم وفي الملكوت الأعلى، وأخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به، وينصروه، والتبشير به في الكتب السابقة، ونعته فيها، ونعت أصحابه، وخلفائه، وأمته، وحجب إبليس من السموات لمولده، وشق صدره، وجعل خاتم النبوة بظهره، بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وسائر الأنبياء كان الخاتم في يمينهم وبأن له ألف اسم، وباشتقاق اسمه من اسم الله تعالى، وبأنه سمي من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسماً، وبأنه سمي أحمد، ولم يسم به أحد قبله، وبإظلال الملائكة له في سفره، وبأنه أرجح الناس عقلا، وبأنه أوتي كل الحسن، ولم يؤت يوسف إلا شطره وبغطه ثلاثاً عند ابتداء الوحي، وبرؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها، وبانقطاع الكهانة لمبعثه، وحراسة السماء من استراق السمع، والرمي بالشهب، وبإحياء أبويه حتى آمنا به، وبوعده بالعصمة من الناس، وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو إلى قاب قوسين، ووطئه مكاناً ما وطئه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وإحياء الأنبياء له وصلاته إماماً بهم وبالملائكة، واطلاعه على الجنة والنار، ورؤيته من آيات ربه الكبرى، وحفظه حتى مازاغ البصر وما طغى، ورؤيته للباري سبحانه وتعالى مرتين، وقتال الملائكة معه، وسيرهم معه حيث سار يمشون خلف ظهره، وبإيتاء الكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، وبأن كتابه معجز ومحفوظ من التبديل والتحريف على مر الدهور، ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب، وزيادة وجامع لكل شيء ومستغن عن غيره، وميسر للحفظ، ونزل منجماً، وعلى سبعة أحرفٍ ومن سبعة أبواب وبكل لغة ويكتب لقارئه بكل حرف عشر حسنات، وبأنه فضل على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلة لم تكن في غيره.

منها أنه دعوة وحجة، ولم يكن مثل هذا لنبي قط، إنما كان لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها، فالقرآن العظيم دعوة بمعانيه، حجة بألفاظه، وكفى الدعوة شرفاً أن تكون حجتها معها وكفى الحجة شرفاً أن لا تنفصل الدعوة عنها، وأعطي ﷺ من كنز تحت العرش، ولم يعط منه أحد، وخص بالبسملة والفاتحة وآية الكرسي وخواتم سورة البقرة والسبع الطوال والمفصل وبأن معجزته مستمرة الى يوم القيامة وهي القرآن، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها، وبأنه أكثر الأنبياء معجزات، وبأنه جمع له كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات وفضائل ولم يجمع ذلك لغيره، بل اختص كل بنوع، وأوتي انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الماء من بين الأصابع، وبكلام الشجر، وشهادتها له بالنبوة، واجابتها دعوته، وبأنه خاتم النبيين وبعموم الدعوة للناس كافة، وأرسل إلى الجن بالإجماع، وبأن الله أقسم بحياته واقسم على رسالته، وتولى الرد على أعدائه عنه، وقرن اسمه باسمه في كتابه، وفرض على العالم طاعته والتأسي به فرضاً مطلقاً، لاشرط فيه ولا استثناء ووصفه في كتابه عضوا عضوا، ولم يخاطبه باسمه في القرآن، بل يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وحرم على الأمة نداؤه باسمه، وخاطبه بألطف مما خاطب به الأنبياء قبله، ولم يره الله تعالى في أمته شيئاً يسوؤه حتى قبضه، بخلاف سائر الأنبياء، وبأنه حبيب الرحمن، وجمع له بين المحبة والخلة، وبين الكلام والرؤية.

وكلمه عند سدرة المنتهى، وكلم موسى بالجبل، وجمع له بين القبلتين والهجرتين، وجمع له بين الحكم بالظاهر والباطن معاً، ونصر بالرعب مسيرة شهر أمامه، وشهر خلفه، وأوتي جوامع الكلم، وأوتي مفاتيح خزائن الأرض على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس، وكلمه بجميع أصناف الوحي وهبط إسرافيل عليه ولم يهبط على نبي قبله، وجمع له بين النبوة والسلطان، وأوتي علم كل شيء حتى الروح والخمس التي في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمَان: 34] وبين له في أمر الدجال ما لم يبين لأحد، ووعد بالمغفرة وهو يمشي حياً، صحيحاً، فقال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: لم يؤمن الله تعالى أحداً من خلقه إلا

محمداً ﷺ، ورفع ذكره فلا يذكر الله جل جلاله في أذان، ولا خطبة، ولا تشهد، إلا ذكر معه وعرض عليه أمته بأسرهم، حتى رآهم وعرض عليه ما هو كائن في أمته إلى يوم القيامة، بل عرض عليه سائر الأمم كما علم آدم أسماء كل شيء، وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله تعالى فهو أفضل من سائر المرسلين وجميع الملائكة المقربين.

وكان أفرس العالمين، وأيد بأربعة وزراء: جبريل وميكائيل وأبي بكر وعمر، واعطي من أصحابه أربعة عشر نجيباً، وكل نبي أعطي سبعة، وأسلم قرينه.

وكان أزواجه عوناً لله، وزوجاته وبناته أفضل نساء العالمين، وثواب أزواجه وعقابهن مضاعف، وأصحابه أفضل العالمين إلا النبيين، ويقاربون عدد الأنبياء، وكلهم مجتهدون مصيبون ولهذا قال: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[1].

وأحلت له مكة ساعة من نهار وحرم ما بين لابتي المدينة وتربتها مؤمنة من العذاب، وغبارها يبرئ الجذام، ويسأل عنه الميت في قبره، ولما دخل عليه ملك الموت استأذن عليه، ولم يستأذن على نبي قبله، ويَحْرُم نكاح أزواجه من بعده، وأمة وطئها والبقعة التي دفن فيها، أفضل من الكعبة ومن العرش، ويجوز أن يقسم على الله به وليس ذلك لأحد، ولم تر عورته قط، ولو رآها أحد طمست عيناه، وبأنه ما من نبي له خاصة نبوة في أمته إلا وفي أمة محمد ﷺ من علمائها من يقوم في قومه مقام ذلك النبي في أمته، وينحو منحاه في زمانه، ولهذا ورد علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل.

وورد أن العالم في قومه كالنبي في أمته، وسماه الله عبد الله ولم يطلقها، على أحد سواه، وإنما قال عبداً شكوراً، نِعْمَ العَبْدُ، وليس في القرآن ولا غيره أمر بالصلاة على غيره، واسماؤه توقيفية كأسماء الله تعالى بحكم التبعية والله اعلم.

القسم الثاني: فيما اختص به في شرعه وأمته في دار الدنيا

اختص ﷺ بإحلال الغنائم، وجعل الأرض كلها مسجداً، ولم تكن الأمم

(1) رواه البيهقي وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم (كشف الخفاء، حديث رقم (381) [1/ 147].

تصلي إلا في البِيَع والكنائس، وبجعل التراب طهوراً، وهو التيمم، وبالوضوء فإنه لم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وبمسح الخف، وبجعل الماء مزيلاً للنجاسة، وإن كثير الماء لا تؤثر فيه النجاسة والاستنجاء بالجامد، وبالجمع في الاستنجاء بين الماء والحجر، وبمجموع الصلوات الخمس، ولم تجمع لأحد، وبأنهن كفارات لما بينهن، وبالعشاء ولم يصلها، أحد، وبالأذان، والإقامة، وافتتاح الصلاة بالتكبير، وبالتأمين، وبقول: اللهم ربنا لك الحمد، وبتحريم الكلام في الصلاة، وباستقبال الكعبة، وبالصف في الصلاة كصفوف الملائكة، وبتحية السلام، وهي تحية الملائكة وأهل الجنة، وباتخاذ يوم الجمعة عيداً له ولأمته، وبساعة الإجابة، وبعيد الأضحى، وبصلاة الجمعة وصلاة الجماعة وصلاة الليل. على الهيئة المشروعة الآن. وبصلاة العيدين، والكسوفين، والاستسقاء، والوتر وبقصر الصلاة في السفر وبالجمع بين الصلاتين في السفر، وفي المطر، وفي المرض، وبصلاة الخوف، ولم تشرع لأحد من الأمم قبلنا، وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال إيماءً، وحيثما توجه، وبشهر رمضان على هذه الكيفية من الشروط، وبتصفيد الملائكة للشياطين فيه.

وإن الجنة تزين فيه وأن خلوف فم الصائمين أطيب من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حين يفطرون، ويغفر لأجمعهم في آخر ليلة منه، وبالسحور، وتعجيل الفطر، وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر وكان محرماً على من قبلنا بعد النوم، وبتحريم الوصال في الصوم، وكان مباحاً لمن قبلنا وبإباحة الكلام في الصوم، وكان محرماً على من قبلنا عكس الصلاة، وبليلة القدر وبيوم عرفة، ويجعل صوم يوم عرفة كفارة سنتين، لأنه سنته ﷺ، وصوم عاشوراء، كفارة سنة واحدة لأنه سنة موسى عليه السلام، وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه، وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة، وبالاستغسال من العين وانه يدفع ضررها وبالاسترجاع عند المصيبة، وبالحوقلة، وباللحد، وكان لأهل الكتاب الشق، وبالنحر ولهم الذبح، وبفرق شعر الرأس ولهم السدل، وبصبغ الشعر، وكانوا لا يغيرون الشيب، وبتوفير اللحى وتقصير السبال، وكانوا يقصرون لحاهم ويوفرون سبالهم، وكانوا يعقون عن الذكر دون الأنثى وشرع ذلك لنا معاً، وبترك القيام للجنازة، وبتعجيل المغرب

والفجر، وبكراهة اشتمال الصماء، وبكراهة صوم يوم الجمعة منفرداً، وكان اليهود يصومون يوم عيدهم منفرداً، وبضم تاسوعاء الى عاشوراء في الصوم، وبالسجود على الجبهة وكانوا يسجدون على حرف، وكراهة التميّل في الصلاة وكانوا يتميلون.

وبكراهة تغميض البصر فيها والاختصار والمقام بعدها للدعاء، وقراءة الإمام فيها في المصحف والتعلق فيها بالحبال، وبالأكل يوم العيد قبل الصلاة وكان أهل الكتاب لا يأكلون يوم عيدهم حتى يصلوا، وبالصلاة في النعال والخفاف.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: كانت بنو إسرائيل إذا قرأَت أئمتهم جاوبوهم فكره الله ذلك لهذه الأمة فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: 204]، ونهى رسول الله ﷺ رجلاً رآه جالساً في الصلاة معتمداً على يده اليسرى. وقال: «**إنها صلاة اليهود**»[1]، وأذن لنساء هذه الأمة في الصلاة في المساجد، ومنعت نساء بني إسرائيل.

وكان في شرعهم فسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه، وبالعذبة في العمامة، وهي سيما الملائكة، وبالائتزار في الأوساط، وبكراهة السدل والطيلسان المقوّر، وشد الوسط على القميص الواحد والقزع، وبالأشهر الهلالية، وبالوقف، وبالوصية بالثلث عند موتهم، وبالإسراع بالجنازة، وبأن أمته ﷺ خير الأمم وآخر الأمم، ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا، واشتق لهم اسمان من أسماء الله تعالى المسلمون والمؤمنون، وسمي دينهم الإسلام، ولم يوصف بهذا إلا الأنبياء دون أممهم. ورفع عنهم الإصر الذي كان على الأمم قبلهم، وأبيح لهم الكنز إذا أدوا زكاته، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج.

وأبيح لهم أكل الإبل والنعام وحمار الوحش والأوز والبط وجميع السمك والشحوم والدم الذي ليس بمسفوح كالكبد والطحال والعروق، ورفع عنهم

(1) رواه الحاكم في المستدرك، باب التأمين، حديث رقم (1007) [1/ 406] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب الاعتماد بيديه على الأرض..، حديث رقم (2636) [2/ 136] ورواه غيرهما.

المؤاخذة بالخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه، وحديث النفس، وإن من هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب سيئة بل تكتب حسنة، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، وإن من هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة، فإن عملها كتبت عشر إلى سبعمائة ضعف ووضع عنهم قتل النفس في التوبة وفقوء العين من النظر، إلى ما لا يحل، وقرض موضع النجاسة، وربع المال في الزكاة ونسخ عنهم تحرير الأولاد والتحصر والرهبانية والسياحة، وفي الحديث: «**ليس في ديني ترك النساء ولا اللحم ولا اتخاذ الصوامع**»[1].

وكان من عمل من اليهود شغلاً يوم السبت يصلب ولم يجعل علينا يوم الجمعة مثل ذلك، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يتوضئوا كوضوء الصلاة، وكان من سرق استرق عبداً، ومن قتل نفسه حرمت عليه الجنة، وكان إذا ملك الملك عليهم اشترط عليهم أنهم رقيقه، وإن أموالهم له ما شاء أخذ منها وما شاء ترك.

وشرع لهم نكاح أربع والطلاق ثلاثاً، ورخص لهم في نكاح غير ملتهم، وفي نكاح الأمة وفي مخالطة الحائض، سوى الوطء، وإتيان المرأة في قبلها على أي هيئة شاؤوا، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية.

وشرع لهم دفع الصائل، وكانت بنو إسرائيل كتب عليهم إذا الرجل بسط يده إلى الرجل لا يمتنع منه حتى يقتله أو يدعه، وحرم عليهم كشف العورة، والنوح على الميت، والتصوير، وشرب المسكر، وآلات الملاهي، ونكاح الأخت، وأواني الذهب والفضة، والحرير وحلي الذهب على رجالهم والسجود لغير الله.

وكان ذلك تحية لمن قبلنا فأعطينا مكانه السلام، وكرهت لهم المحاريب وعصموا من الاجتماع على الضلالة، ومن أن يظهر أهل الباطل على أهل الحق. ومن أن يدعو عليهم نبيهم بدعوة فيهلكها، واجتماعهم حجة، واختلافهم رحمة، وكان اختلاف من قبلهم عذاباً، والطاعون لهم شهادة ورحمة، وكان على الأمم

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة، سورة المائدة (87 ـ 88).

عذاباً وما دعوا به استجيب لهم، ويؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويحجون البيت الحرام، لا ينأون عنه أبداً، ويعجل لهم الثواب في الدنيا، مع إدخاره في الآخرة وتتباشر الجبال والأشجار بممرهم عليها لتسبيحهم وتقديسهم، وتفتح أبواب السماء لأعمالهم وأرواحهم وتتباشر بهم الملائكة ويصلي عليهم الله وملائكته، كما صلى على الأنبياء كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزَاب: 43].

ويقبضون على فرشهم وهم شهداء عند الله، وتوضع المائدة بين أيديهم فما يرفعونها حتى يغفر لهم، ويلبس أحدهم الثوب فما ينفضه حتى يغفر له، وصديقهم أفضل الصديقين وهم علماء حكماء كادوا لفقههم أن يكونوا كلهم أنبياء ولا يخافون في الله لومة لائم، وأذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وقربانهم الصلاة وقربانهم دماؤهم وستر على من لم يتقبل عمله منهم، وكان من قبلهم يفتضح إذا لم تأكل النار قربانه، وتغفر لهم الذنوب بالاستغفار والندم لهم توبة.

وروي أن آدم عليه السلام قال: إن الله عزَّ وجل أعطى أمة محمد ﷺ أربع كرامات لم يعطنيها كانت توبتي بمكة، وأحدهم يتوب في أيّ مكان كان، وسلبت ثوبي حين عصيت وهم لا يسلبون، وفرق بيني وبين زوجتي، وأخرجت من الجنة.

وكان بنو إسرائيل إذا أخطأ أحدهم حرم عليه طيب الطعام وأصبحت خطيئته مكتوبة على باب داره، ووعدوا أن لا يهلكوا بجوع ولا بعدو من غيرهم يستأصلهم، ولا بغرق ولا يعذبوا بعذاب عذب من قبلهم، وإذا شهد اثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة.

وكان الأمم السالفة لا يجب لأحد منهم الجنة إلا إن شهد له مائة، وهم أقل الأمم عملاً وأكثرهم أجراً وأقصر أعماراً، وكان الرجل من الأمم السالفة أعبد منهم بثلاثين ضعفاً، وهم خير منه بثلاثين ضعفاً ووهب لهم عند المصيبة الصلاة والرحمة والهدى، وأوتوا العلم الأول، والعلم الآخر.

وفتح عليهم خزائن كل شيء، حتى العلم، وأوتوا الإسناد والأنساب والإعراب

وتصنيف الكتب، وحفظ سنة نبيهم في كل دور حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، **ومنهم** أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال **ومنهم** من يصلي إماماً بعيسى عليه السلام، **ومنهم** من يجري مجرى الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال، ويسمع الملائكة أذانهم في السماء، وتلبيتهم، وهم الحمادون لله على كل حال، ويكبرون على كل شرف، ويسبحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة الأمر أفعله إن شاء الله وإذا غضبوا هللوا، وإذا تنازعوا سبحوا، وإذا أرادوا أمراً قدموا الاستخارة ثم فعلوه، وإذا استووا على ظهور دوابهم حمدوا الله تعالى، ومصاحفهم في صدورهم، وسابقهم سابق ويدخل الجنة بغير حساب، ومقتصدهم ناج ويحاسب حساباً يسيراً، وظالمهم مغفور له وليس منهم أحد إلا مرحوماً، ويلبسون ألوان ثياب أهل الجنة ويراعون الشمس للصلاة، وهم أمة وسط عدول بتزكية الله عزَّ وجل، وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا، وافترض عليهم ما افترض على الأنبياء والرسل، وهو الوضوء والغسل من الجنابة.

وكذلك الحج والجهاد، وأعطوا من النوافل ما أعطي الأنبياء ونودوا بيا أيها الذين آمنوا، ونودي غيرهم من الأمم في كتبها بيا أيها المساكين، وخوطبوا بقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البَقَرَة: 152] فأمرهم أن يذكروه بغير واسطة، وخوطبت بنو إسرائيل بقوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البَقَرَة: 40]، فإنهم لم يعرفوا الله إلا بآلائه فكانت النعم موصلة إلى ذكر المنعم وهم أكثر الأمم أيامى ومملوكين ولما نزلت: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التّوبَة: 100].

قال رسول الله ﷺ: «**هذا لأمتي كلها وليس بعد الرضى سخط**»[1] وسموا أهل القبلة وشهادتهم تجوز على من سواهم، وكانت الأمم لا تجوز لهم شهادة على غير ملتهم.

---

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن مردويه من طريق الأوزاعي (الدر المنثور، التوبة آية 100 [4/ 272].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: لا يحل في هذه الأمة التجريد، ولا مد، ولا غل، ولا صفد، يعني لا تجرد ثيابه، ولا يمد عند إقامة الحدود بل يضرب قاعداً، وعليه ثوبه.

قال العلماء وكان بدء الشرائع على التخفيف، ولا يعرف في شرع نوح وصالح وإبراهيم تثقيل، ثم جاء موسى عليه السلام بالتشديد والإثقال وتبعه عيسى على نحو ذلك، وجاءت شريعة نبينا محمد ﷺ بنسخ تشديد أهل الكتاب، وفوق تسهيل من كان قبلهم فهي على غاية الاعتدال والله أعلم.

القسم الثالث: فيما اختص به في ذاته في الآخرة

اختص ﷺ بأنه أول من تنشق الأرض عنه وأول من يفيق من الصعقة، وبأنه يحشر في سبعين ألف ملك ويحشر على البراق، ويؤذن باسمه في الموقف، ويكسى في الموقف أعظم الحلل من الجنة، وبأنه يقوم عن يمين العرش، وبالمقام المحمود وأن بيده لواء الحمد.

وآدم فمن دونه تحت لوائه، وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم، وأول من يؤذن له في السجود، وأول من يرفع رأسه، وأول من ينظر إلى الله تعالى، وأول شافع، وأول مشفع، ويسأل الله في حق غيره وكل الناس يسألون في أنفسهم، وبالشفاعة العظمى في فصل القضاء، وبالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وبالشفاعة في حق من استحق النار أن لا يدخلها، وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة، وبالشفاعة في إخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد، وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المسلمين، ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات، وبالشفاعة في الموقف تخفيفاً عمن يحاسب، وبالشفاعة فيمن خلد في النار من الكفار أن يخفف عنه العذاب، وبالشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذبوا، وسأل ربه أن لا يدخل النار أحد من أهل بيته فأعطاه ذلك.

وأنه أول من يجوز على الصراط إلى الجنة، وأن له في كل شعرة من رأسه ووجهه نوراً، وليس للأنبياء إلا نوران، ويؤمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر ابنته على الصراط، وأنه أول من يقرع باب الجنة، وأول من يدخلها، وبعده فاطمة

رضي الله عنها، وخص بالكوثر وبالحوض الأعظم.

ولكل نبي حوض، ولكن حوضه أعرض الحياض، وأكثرها وارداً، وخص بالوسيلة، وهي أعلى درجة في الجنة، وقوائم منبره رواتب في الجنة، ومنبره على ترعة من ترع الجنة، وما بين منبره وقبره روضة من رياض الجنة، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب ذلك من سائر الأنبياء، ويشهد لجميع الأنبياء بالبلاغ.

وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه ويكنى آدم عليه السلام في الجنة به دون سائر ولده تكريماً له، فيقال له أبو محمد.

ووردت أحاديث في أهل الفترة أنهم يمتحنون يوم القيامة، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، والظن بآل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان لتقرَّ بهم عينه ﷺ، وورد أن درجات الجنة بعدد آي القرآن، وأنه يقال لصاحبه اقرأ وارق فآخر منزلته عند آخر آية يقرؤها، ولم يرد في سائر الكتب مثل ذلك، ولا يقرأ في الجنة إلا كتابه ﷺ دون سائر الكتب، ولا يتكلم أحد في الجنة إلا بلسانه وكان ﷺ يقول: «**أنا أول من يقرع باب الجنة فيقوم الخازن فيقول من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فيقول: أقوم فافتح لك، ولم أقم لأحد قبلك، ولا أقوم لأحد بعدك**»(1). والله أعلم.

القسم الرابع: فيما اختص به في أمته في الآخرة

اختص ﷺ بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض من الأمم، ويأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، ويكونون في الموقف على كوم عال ولهم نوران كالأنبياء، وليس لغيرهم إلا نور واحد.

ولهم سيما في وجوههم من أثر السجود وتسعى ذريتهم بين أيديهم، ويؤتون كتبهم بأَيمانهم، ويمرون على الصراط كالبرق والريح ويشفع محسنهم في مسيئهم،

(1) رواه أبو نعيم في صفة الجنة، حديث رقم (83) [1/ 117] وعزاه الزرعي في حادي الأرواح إلى الطبراني (حادي الأرواح، الباب الخامس والعشرون في ذكر أول من يقرع باب الجنة. .، [1/ 76].

وعجل عذابها في الدنيا وفي البرزخ لتوافي القيامة ممحَّصة، وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج بلا ذنوب، تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها، ولها ما سعت وما سعى لها، وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، ويقضى لهم قبل الخلائق، ويغفر لهم المقحمات، وهم أثقل الناس ميزاناً، ونزلوا منزلة العدول من الحكام يشهدون على الناس أن رسلهم بلغتهم، ويعطى كل منهم يهودياً أو نصرانياً، فيقال له يا مسلم هذا فداؤك من النار، ويدخلون الجنة قبل سائر الأمم ويدخل منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ومع كل واحد من السبعين ألفاً سبعون ألفاً وأطفالهم كلهم في الجنة، وأهل الجنة مائة وعشرون صفاً، سائر الأمم أربعون وهذه الأمة ثمانون، ويتجلى الله عليهم فيرونه ويسجدون له بإجماع أهل السنة، وفي الحديث: «**كل أمة بعضها في الجنة وبعضها في النار، إلا هذه الأمة فإنها كلها في الجنة**»(1) والله أعلم.

القسم الخامس: فيما اختص به من الواجبات التي هي تخفيف على غيره وربما شاركه في بعضها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

خص ﷺ بوجوب صلاة الضحى والوتر والتهجد والسواك والأضحية والمشاورة، وركعتي الفجر وغسل الجمعة وأربع قبل الزوال وبالوضوء لكل صلاة، وكلما أحدث ثم نسخ بالسواك وبالاستعاذة ومصابرة العدو وإن كثر عددهم، وإذا بارز رجلاً في الحرب لم ينكشف عنه قبل قتله، وإظهار تغيير المنكر وعدم سقوطه عنه بالخوف، ووجوب الوفاء بوعده، وقضاء دين من مات من المسلمين معسراً وتخيير نسائه في فراقه واختياره وإمساكهن بعد أن اخترنه، وعدم التزوج عليهن والتبدل بهن مكافأة لهن، ثم نسخ ذلك لتكون المنة له ﷺ، وأن يؤدي فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها وأن يدفع بالتي هي أحسن وكلف من علم السياسة وحده ما كلفه الناس بأجمعهم.

وكلف بمشاهدة الحق مع معاشرة الناس، وكلف من العمل بما كلف به الناس

(1) رواه الذهبي في سير أعلام النبلاء، المروزي [13/ 176] وعزاه المتقي الهندي في كنز العمال إلى الديلمي في الفردوس عن ابن عمر، حديث رقم (34521) [12/ 77]. ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، برقم (1425) [3/ 322].

أجمعون، وكان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي، ولا تسقط عنه الصلاة والصوم وسائر الأحكام، وكلف بالاستغفار كل يوم سبعين مرة وكانت جميع نوافله التابعة للفرائض زيادة في الأجر لا جبراً لخلل الفرائض، فإنها كلها منه تامة ﷺ. وخص بصلاة خمسين صلاة في كل يوم وليلة على وفق ما كان في ليلة الإسراء.

وأورد بعض العلماء الأحاديث في صلاته غير الخمس، فبلغت مائة ركعة، وخص بوجوب إيقاظ النائم وقت الصلاة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النّحل: 125]، وخص بوجوب العقيقة والإثابة على الهدية، وأوجب عليه التوكل وحرّم عليه الادخار، وكان يمون عيال من مات معسراً، ويؤدي الجنايات عمن لزمته وهو معسر، وكذلك الكفارات، وخص بوجوب الصبر على ما يكره، وصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ، وخطاب الناس بما يعقلون ﷺ.

القسم السادس:
فيما اختص به من المحرمات تشريفاً له ﷺ

اختص رسول الله بتحريم الزكاة والصدقة والكفارة عليه وعلى آله ومواليه، إن كان لهم ما يكفيهم، وعلى زوجاته بالإجماع، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: إنما كان حراماً عليه صدقات الأعيان دون العامة كالمساجد ومياه الآبار، وخص بتحريم جعل آله عمالاً، وصرف النذر والكفارة إليهم، وأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل، ومما خص به تحريم الكتابة والشعر والقراءة في الكتاب.

وكان يحرم عليه نزع لامته إذا لبسها، حتى يقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه، وكذلك الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام، والمنّ ليستكثر، أي أن يهدي هدية ليثاب بأكثر منها وخائنة الأعين ونكاح الكتابية ومد الأعين إلى ما متع به الناس وتحريم الإغارة إذا سمع التكبير، وحرم عليه الخمر من أول ما بعث قبل أن يحرم على الناس بنحو عشرين سنة، ولم يشربه قط، ولا أبو بكر لا في جاهلية ولا إسلام ونهى عن التعري وكشف العورة قبل مبعثه بخمس سنين.

القسم السابع: فيما اختص به من المباحات

اختص رسول الله ﷺ بإباحة المكث في المسجد جنباً، وبجواز صلاة الوتر

على الراحلة وقاعداً مع وجوبه عليه، وبالجهر في القراءة فيه، وغيره يسر وبجواز صلاة الركعة الواحدة بعضها من قيام وبعضها من قعود عند بعضهم، والقُبْلة في الصوم مع قوة الشهوة لعصمته، والوصال وقهر من شاء على طعامه وشرابه ولباسه إذا احتاج، ويجب على مالك ذلك بذله وإن هلك، ويفدي بمهجته مهجة رسول الله ﷺ، وبإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن وإردافهن ونكاح أكثر من أربع نسوة، وكذلك الأنبياء، والنكاح بلا مهر ابتداءً وانتهاءً وبلا ولي وبلا شهود، وفي حال الإحرام، وبغير رضى المرأَة، وإذا رغب في نكاح امرأَة حرم على غيره خطبتها بمجرد الرغبة.

وإذا رغب في مزوجة وجب على زوجها طلاقها لينكحها، وكان له أن يخطب على خطبة غيره، وأن يزوج المرأَة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها، وتزوجها لنفسه وتولي الطرفين بغير إذنها ولا إذن وليها، وزوج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس، فقدم على الأقرب، وقال لأم سلمة: مري ابنك أن يزوجك فزوجها وهو يومئذٍ صغير لم يبلغ، وزوجه الله تعالى زينب فدخل عليها، بتزويج الله تعالى بغير عقد من نفسه.

وكان له أن يستثني في كلامه بعد حين منفصلاً وأن يصطفي من الغنيمة قبل القسمة ما شاء، وكان له أن يشهد لنفسه ولولده وأن يقبل شهادة من شهد له ولولده، وقبول الهدية بخلاف غيره من الحكام.

وكان له قتل من اتهمه بالزنا من غير بينة ولا يجوز ذلك لغيره، وكان له أن يدعو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلي إلا على نبي أو ملك، وضحَّى عن أمته وليس لأحد أن يضحي عن الغير بغير إذنه، وله أن يجمع في الضمير بينه وبين الله بخلاف غيره وله قتل من سبه أو هجاه.

وكان يقطع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض كلها، وله أن يقطع أرض الجنة من باب أولى ﷺ والله أعلم.

القسم الثامن: فيما اختص به من الكرامات والفضائل

اختص ﷺ بمنصب الصلاة وبأنه لا يورث وكذلك الأنبياء فلهم أن يوصوا بكل

ما لهم صدقة، وكان إذا خرج للغزاة بنفسه يجب على كل أحد الخروج معه لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبَة: 120]، ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء وخص بتحريم رؤية أشخاص أزواجه وبناته في الأزر، وبتحريم كشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها، وسؤالهن مشافهة وصلاتهن على ظهور البيوت، وأنهن أمهات المؤمنين، ووجوب جلوسهن بعده في البيوت.

وأباح لهن ولآله الجلوس في المسجد مع الحيض والجنابة، وكان تطوعه قاعداً كتطوعه قائماً بلا عذر، وكان يجب على المصلي إجابته وكذلك الأنبياء، وكان جابر رضي الله عنه يقول: ليس على من ضحك في الصلاة وضوء، إنما وجب على الصحابة لكونهم ضحكوا خلف رسول الله ﷺ.

ويحرم نداؤه من وراء الحجرات، والصياح به من بعيد، وخص بطهارة دمه وبوله وسائر فضلاته، بل شرب بوله شفاء، من سبه قتل ومن استهان به كفر، ومحبته فرض على الأمة وكذلك محبة أهل بيته وأصحابه، ولم تبغ امرأة نبيّ قط وأولاد بناته ينسبون إليه وفي حديث: «**أن الله تعالى لم يبعث نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه غيري، فإن الله تعالى جعل ذريتي من صلب عليّ ولا يجوز التزوج على بناته**»(1).

ومنع بعض العلماء التزوج على ذرية بناته، وإن سفلن إلى يوم القيامة ووجهه ظاهر، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار، ولا يجتهد في محراب صلى إليه لا في يمنة ولا يسرة ويجل منصبه عن الدعاء له بلفظ الرحمة، وليس لأحد أن ينقش محمد رسول الله على خاتمه كما كان خاتمه ﷺ.

وكان لا يقول في الغضب والرضى إلا حقاً، ورؤياه وحي، وكذلك الأنبياء ولا يجوز على الأنبياء الجنون، ولا الإغماء الطويل الزمن على أن إغماءهم بخلاف إغماء غيرهم، كما خالف نومهم نوم غيرهم، وبالجملة فيجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل نقص، بنفر النفوس.

---

(1) رواه الذهبي في ميزان الاعتدال، برقم (4959 ـ 5090) [4/ 313] وابن الجوزي في العلل المتناهية، باب فضل علي بن أبي طالب، حديث رقم (339) [1/ 214].

وكان له أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام، كجعله شهادة خزيمة بشهادة رجلين، وكما رخص في النياحة لخولة بنت حكيم، وفي الإحداد لأسماء بنت عميس، وأسلم رجل على أنه لا يصلي إلا صلاتين فقبل منه ذلك، وخص نساء المهاجرين بأن يرثن دور أزواجهن لكونهن غرائب لا مأوى لهن كما تقدم في كتاب الفرائض بيانه.

وكان أنس رضي الله عنه يصوم من طلوع الشمس لا من طلوع الفجر، فالظاهر أنها خصوصية له، وأصام أطفال أهل بيته وهم رضعاء، وكان يرى من خلفه كما ينظر أمامه، وعن يمينه وعن شماله، ويرى بالليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار وفي الضوء، وريقه يعذب الماء المالح، ويجزي الرضيع، ويبلغ صوته وسمعه ما لا يَبلغه غيره، وتنام عينه ولا ينام قلبه، وما تثاءب قط ولا احتلم قط، وكذلك الأنبياء في الثلاثة وعرقه أطيب من المسك.

وكان إذا مشى مع الطويل طاله، وإذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين، ولم يقع ظله على الأرض ولا رؤي له ظل في شمس ولا قمر، لأنه كان نوراً، ولم يقع على ثيابه ذباب قط، ولا آذاه القمل، وكان إذا ركب دابة لا تروث، ولا تبول وهو راكبها، ولم تكن لقدمه أخمص[1]، وكانت خنصر رجله متظافرة، وكانت الأرض تطوى له إذا مشى، وأوتي قوة أربعين في الجماع، والبطش كل رجل قوته قوة مائة رجل، وكان أقنع الناس في الغذاء تقنعه اللعقة، وكانت الأرض تبتلع ما يخرج منه ويشم من مكانه رائحة المسك وكذلك الأنبياء ولم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح قط وتقلب في الساجدين حتى خرج نبياً، ولم يلد أبواه غيره، ونكست الأصنام لمولده، وولد مختوناً ومقطوع السرة ونظيفاً ما به قذر، ووقع إلى الأرض ساجداً رافعاً إصبعه كالمتضرع المبتهل، ورأَت امه عند ولادته نوراً خرج منها أضاء له قصور الشام، وكذلك أمهات النبيين يرين، ولم ترضعه مرضعة إلا أسلمت.

(1) الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض/ وخمص الجرح أي سكن/ والمخمصة: المجاعة/ والخمصة: الجوعة.

وكان مهده يتحرك بتحريك الملائكة، ويميل القمر إليه حيث أشار إليه، وتكلم في المهد، وكان ما تكلم به أن قال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً أوردت إليه الروح بعدما قبض ثم خير بين البقاء في الدنيا والرجوع إلى الله، فاختار الرجوع إليه، وكذلك الأنبياء، وأرسل إليه ربه جبريل ثلاثة أيام في مرضه يسأله عن حاله.

ولما نزل إليه ملك الموت نزل معه ملك يقال له إسماعيل يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء ولم يهبط إلى الأرض قبل ذلك اليوم قط، وسمعوا صوت ملك الموت يبكي وينادي عليه وامحمدا، وصلى عليه ربه والملائكة وصلى عليه الناس أفواجاً بغير إمام وقالوا هو إمامكم حياً وميتاً وبغير دعاء الجنازة المعروف، ودفن في بيته حيث قبض، وكذلك الأنبياء، والأفضل في حق غيرهم الدفن في المقبرة، وأظلمت الأرض بعد موته وهو حي في قبره يصلي فيه بآذان وإقامة.

وكذلك الأنبياء، وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها كقراءة القرآن، ويستحب الغسل لقراءة حديثه، والطيب ولا ترفع عنده الأصوات كما هو في حياته ﷺ ويكره لقارئ حديثه أن يقوم لأحد، وحملة الحديث لا تزال وجوههم نضرة وأصحابه كلهم عدول.

ومن خصائصه أن الإمام بعده لا يكون إلا واحداً ولم تكن الأنبياء قبله كذلك، وأن آله لا يكافئهم في النكاح أحد من الخلق، ويطلق عليهم الأشراف وهم ولد علي وعقيل وجعفر والعباس كذا مصطلح السلف رضي الله عنهم، وإنما حدث تخصيص الشرف بولد الحسن والحسين في مصر خاصة من عهد الخلفاء الفاطميين.

[خصائص السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها]

ومن خصائص ابنته فاطمة رضي الله عنها أنها كانت لا تحيض، وكانت إذا ولدت طهرت من نفاسها بعد ساعة حتى لا تفوتها صلاة، ولذلك سميت الزهراء، ولما جاعت وضع ﷺ يده على صدرها فما جاعت بعد، ولما احتضرت غسلت نفسها وأوصت أن لا يكشفها أحد فدفنها علي رضي الله عنه بغسلها ذلك.

وكان ﷺ إذا مسح بيده رأس أقرع نبت شعره في وقته. وغرس نخلاً فأثمرت

من عامها، وكان إذا تبسم في الليل أضاء البيت، وأنه كان يسمع حفيف أجنحة جبريل وهو بعدُ في سدرة المنتهى، ويشم رائحته، إذا توجه بالوحي إليه وكان له قراءة القرآن بالمعنى، واهتز العرش لموت بعض أصحابه فرحاً بلقاء روحه، ولم يكن يمر ﷺ في طريق فيتبعه فيها أحد إلا عرف أنه سلكها من طيبه وحسن رائحته، وبالجملة فأوصافه ﷺ الحسنة لا تحصى ولا تحصر وفي هذا القدر كفاية وتنبيه على ما سواه.

قال الإمام الشعراني رضي الله عنه: وقد كتبت هذه الخصائص من خط سيدنا وشيخنا خاتمة الحفاظ الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله ونفعنا بعلمه والمسلمين.

وكان رضي الله عنه يقول تتبعت هذه الخصائص حتى أنهيتها إلى هذا الحد مدة عشرين سنة ولم أعلم أحداً أنهاها إلى هذا الحد والله أعلم.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العلامة الشيخ علي نور الدين الحلبي صاحب السيرة المولود سنة 975هـ = 1567م المتوفى سنة 1044هـ = 1635م(*)

فمن جواهره رضي اللّه عنه

[محمد ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان]

رسالته التي سماها **تعريف أهل الإسلام والإيمان بأن محمداً ﷺ لا يخلو منه مكان ولا زمان** وهي تأليفه كما هو مكتوب على ظهر نسختها ورأيت في ترجمة العلامة ابن علان في خلاصة الأثر أنها من مؤلفاته والله أعلم. وهي هذه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله الذي لا يخيب من قصده، بل كل من قصده صادقاً وجده، تعالى علواً كبيراً عن أقوال من جحده، والصلاة والسلام على أفضل نبي تقرب إليه وعبده، محمد نبي الرحمة والشفاعة الذي لا نبي بعده، صلاة الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى ملائكة السموات والأرضين، وعلى جميع الآل والقرابة والصحابة والتابعين.

وبعد، فقد سبقت منا الكتابة مراراً في المعنى الذي وضع له هذا التصنيف، وتقدمت الإجابة عن الأسئلة من نوع هذا الترصيف، وقد رفع إلينا سؤال الآن في ذلك المعنى صورته، بعد البسملة الشريفة، ماذا تقولون في معنى قولكم تصريحاً وتلويحاً، في كتبكم ومجالسكم من أن محمداً ﷺ خير البرية؟ ملأ العوالم العلوية والسفلية، فهل هو مقيم في قبره أو لا؟ وإذا قلتم بأنه مقيم في قبره، فما معنى وجوده بكل حيز ووجود؟

(*) هو علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من حلب، ومولده ووفاته بمصر (975 ـ 1044هـ = 1567 ـ 1635م).
له تصانيف كثيرة منها: «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» ويعرف بالسيرة الحلبية، و«زهر المزهر» اختصر به مزهر السيوطي، و«مطالع البدور في قواعد العربية» و«غاية الإحسان في من لقيته من أبناء الزمان» و«أعلام الطراز». (انظر الأعلام للزركلي [4/ 251]).

وما معنى حضوره في كل موجود؟ فأجبنا عن ذلك بما صورته:

الحمد لله اللهم ألهمنا إلهاماً وهداية لإصابة الصواب، اعلم أيها الأخ الصادق، والمريد الموافق، شفاني الله وإياك من داء الغموم، وسقاني الله وإياك من دلاء العلوم، أنه لا بد من تأسيس أصل لهذا الجواب، وهو أن العوالم مختلفة والأكوان متباينة، فكون الإنسان ببطن أمه ليس كونه في دار الدنيا، لأنه لا يصبر حينئذٍ على أدنى ضيق كان معه في الرحم، وعالم الفكر أوسع منه، بدليل أن الإنسان متى أغمض عينيه وفكر في نفسه اتسع عليه الحال، وعالم النوم أوسع منه، بدليل أن الروح تذهب فيه كل مذهب، وفيه تعرج من الفرش إلى العرش، وعالم البرزخ أوسع منه، لأن الروح متى تجردت عن البدن صارت إلى قريب من قوة الملك، فلا يصح أن تقاس على حبسها في الدنيا، ولهذا المعنى يصح، ويتضح، وينهض مقصود هذا الجواب، وإذ قلنا: إن لها حينئذٍ قوة ملكية، فتحصيلها للقوة الجنية أولى بها مع أن الجن متى استحضرهم الطالب في مندل وكان في أقصى المشرق، واستحضرهم آخر كذلك وكان في أقصى المغرب، وحضروا معهما جميعاً ولا مساواة لهم بالأنبياء والأولياء في ذلك، لأن ذلك إنما يكون للأنبياء والأولياء حياة وموتاً تشريفاً لهم من جهة كونهم تكلموا بما ليس في مقدورهم، وتحملوا ما ليس في مطبوعهم، ليجمعوا بين فضائل الثقلين بخلاف الجن، فإن ذلك لهم بالطبع، وأيضاً فتمثل الجن في المندل إن صح، فإنما هو خيال محض، وإلا فقد قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: 27].

وأما اجتماع النبي ﷺ وبعض الأولياء بهم، فمن قبيل الخصوصيات، فكان ذلك المعنى للأنبياء والأولياء من باب تناهي القوة في الشرف، وللجن من باب تناهي القوة في طبعهم، وعالم الحشر والنشر أوسع من عالم البرزخ، وعالم الجنة والنار أوسع من تلك العوالم كلها، وفضل الله تعالى وسعة رحمته وإحاطة علمه أوسع من أضعاف تلك العوالم وتلك الأكوان، لأنها بما حوت وما وعت جزء من تفضلاته تعالى، ودقيقة من معلوماته عزَّ وجل، كما أن الجنة بعض ثوابه سبحانه، والنار بعض عقابه تبارك اسمه.

ومن تأسيس هذا الأصل فهم أن الحياة في الدنيا والبرزخ والبعث متحدة من جهة الروح مختلفة من جهة القوة، فأدناها بطشاً، وإدراكاً، وتشكلاً، وتصرفاً،

وإحاطة حياة الدنيا، وأوسطها حياة البرزخ، فربّ ميت لما مات عاش، وأعلاها الحياة الأخروية الأبدية، وإذاً فقد تمهدت طريق الجواب، وهو أن المحققين من العلماء قاطبة كما قال القرطبي وغيره ذهبوا إلى أن الموت ليس بعدم محض، بل طريق انتقال من عالم الملك إلى عالم الملكوت، وحجاب بين أهل الدنيا وأهل البرزخ، فيكون الميت ليس على الحالة التي كان يحسّ به فيها، وعليها وبها في دار الدنيا. هذا معنى كلامهم في سائر الأموات، وقالوا: إن الأرواح كلها لطيفة ليست ثقيلة، ولا كثيفة كالأجسام تسرح وتمرح حيث شاء الله تعالى، إن كانت مأذونة وليست مسجونة، فعلى هذا تكون هذه الأمة كسائر الأمم في ذلك المعنى، ولا شك أن لها اختصاصاً أيضاً بزيادة تصرفات لأرواحها ليس لغيرها من الأمم السابقة مشاركة معها فيه، كما خصها الله تعالى عن سائر الأمم بخصائص لا تكاد أن تحصى، وإذا كان الأمر كذلك فلعلمائها العاملين وأوليائها العارفين زيادة مزية، ومزيد اختصاص في تلك المنقبة العلية ولأئمة علمائها كالإمام الأعظم، والشافعي، والإمام مالك، من ذلك أعظم المزايا ويتزايد الحال بمزيد العلم، والصحبة الشريفة إلى أن ينتهي الشرف الأعلى والمجد الأسنى كما بدأ إلى نبي هذه الأمة محمد ﷺ نبي الشفاعة والرحمة، فإن له اختصاصاً في خصوص ذلك المعنى على سائر أولي العزم من المرسلين.

ألا ترى أن منصب الشفاعة له ليس لأحد منه شيء إلا أن يكون بإذنه، كما أنه لا يشفع إلا بإذن من ربه تعالى.

ألا ترى أنه لا يجوز لأحد أن يتوسل إلى الله بأحد من خلقه إلا به، هذا على قول بعضهم. والصحيح أنه يجوز التوسل إلى الله تعالى بجميع أنبيائه وأوليائه.

ألا ترى أنه رأَى موسى كما سيأتي، ورأى الأنبياء في بعض السموات، ولم يرهم إلا بالمعنى الذي أراده الله تعالى، وأراد سبحانه وتعالى وضع هذا الكتاب لأجله، وحينئذٍ فقد عرفت بهذا تمام تصرفه ﷺ في الكون، وغاية سيره في الوجود للغوث والعون، وجسمه الشريف الذي هو منا بأنفسنا أولى.

هل هو مقيم في قبره أو لا؟

ففي كتاب الحافظ السيوطي المسمى بتنوير الحلك، بإمكان رؤية النبي ﷺ

والملك. عن أنس أنه ﷺ قال: «**إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم**»[1].

وفيه أيضاً أخرج البيهقي عن أنس أنه ﷺ قال: «**إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور**».

وفيه أيضاً روى الإمام سفيان الثوري قال: قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب، قال: «**ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع**»[2]. قال البيهقي فعلى هذا يكون كسائر الأنبياء. انتهى. قلت: أجل، وأخص لزيادة الرفعة في المكان والمكانة والله تبارك وتعالى أعلم.

وفي الكتاب المذكور أيضاً روى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن أبي المقدام عن سعيد بن المسيب، قال: «**مامكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً**»[2].

وفيه أيضاً أخرج إمام الحرمين في تاريخه، والطبراني في الكبير، وإبراهيم في الحلية عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحاً**»[3].

وفيه أيضاً أن إمام الحرمين في النهاية والإمام الرافعي في الشرح رَوَيا أن النبي ﷺ قال: «**أنا أكرم على ربي من أن يتركني في القبر ثلاثاً**». زاد إمام الحرمين وروي «**أكثر من يومين**».

وفيه أيضاً ذكر أبو الحسن بن الزعفراني الحنبلي في كتبه حديثاً: «**إن الله تعالى لا يترك نبياً في قبره أكثر من نصف يوم**».

قلت: وهذه الأحاديث كلها مستشكلة خصوصاً عند الملحين علينا في الأسئلة عن المعنى الذي وضع لأجله هذا الكتاب من أهل زماننا، ويوضح الإشكال ما في الكتاب المذكور، وهو أيضاً في كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بسيد الأنام في اليقظة والمنام للحافظ ابن النعمان المغربي، من أن أعرابياً جاء إلى القبر الشريف

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس عن أنس برقم (852) [1/ 222] ورواه البيهقي في حياة الأنبياء بعد وفاتهم، حديث رقم (4) [1/ 75].

(2) رواه عبد الرزاق في المصنف، حديث رقم (6725) [3/ 576].

(3) رواه الطبراني في مسند الشاميين عن يزيد بن أبي مالك، حديث رقم (341) [1/ 196] وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ذكر من اسمه موسى [61/ 183].

على صاحبه أفضل الصلاة والسلام فسلم ثم قال: قد قلت فوعينا قولك إلى قوله وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 64]. وقد ظلمت نفسي وجئت مستغفراً وأرجو أن تستغفر لي، فنودي من القبر أن قد غفر لك.

فهذا النص الصريح المقبول الصحيح يدل على أنه ﷺ مقيم في قبره موجود، ويوضح الإشكال أيضاً ما في كتاب السيوطي أيضاً من أن السيد نور الدين الأيجي وقف بالروضة الشريفة، ثم قال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فسمع من كان بحضرته من القبر قائلاً يقول: وعليك السلام يا ولدي.

وإن الشيخ أبا بكر الديار بكري وقف بإزاء وجه النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله وأنه ﷺ رد عليه السلام، وإن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة الشريفة وكان بعض الخدم يؤذيها، وأنها شكت ذلك إلى النبي ﷺ فسمعت قائلاً من الحجرة الشريفة يقول: أما لك فيّ أسوة فاصبري كما صبرت. أو كما قال، وإن الأستاذ سيدي أحمد الرفاعي نفعنا الله ببركاته لما حج وقف تجاه الحجرة الشريفة وأخذ يقول:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وأنه ﷺ مدّ يده الشريفة فقبلها وعادت إلى غير ذلك مما في الكتاب المذكور وغيره.

ومما يوضح الإشكال قوله ﷺ رأيت ليلة الإسراء أخي موسى قائماً في قبره بالكثيب الأحمر يصلي.

وأعجب من ذلك ما نقله المؤرخون من أن نوحاً نقل آدم معه في السفينة خشية عليه من الطوفان، وأن يعقوب عليه السلام كان مدفوناً بالقرافة في مصر، وأن يوسف ولده كان مدفوناً بالفيوم، وأنهما نقلا إلى بلد الخليل في جوار بيت المقدس ليجمع بينهما وبين آبائهما.

والحاصل أنه إن سُلِّمَ أن كل نبي ملازم لقبره ألبتة لزوماً كلياً بحيث أنه لا يصح وجوده في غيره، كانت تلك الأحاديث في غاية الإشكال وكان ذلك نقصاً في حقوق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن من آحاد الأموات، فضلاً عن الأصفياء

والأولياء، من يخرج من قبره شبح مثله تشاهده العيون في أقصى البلاد البعيدة عن قبره، وتواتر الخبر على ألسنة هذه الأمة إن القطب العارف سيدي أحمد البدوي، المعروف في بلاد الكفار بالخطاف، اتفق له بعد موته أنه حمل الأسرى من بلاد الإفرنج إلى أوطانهم بمصر وغيرها وإلى تربته.

والذي يظهر إن شاء الله تعالى أن النبي ﷺ حين مات انتقل إلى أزكى الرضوان، وإلى أعلى فراديس الجنان، وإلى درجة الوسيلة على ترتيب معقول هو أنه ﷺ وصل إلى روضته المشرفة، ومحل قبره المعظم، ثم رفعه بلا شبهة إلى أشرف درجة عنده، وهي الوسيلة التي يغبطه فيها الأولون والآخرون، ثم أذن الله سبحانه وتعالى له، إذناً متحتماً أن يسير في أقطار السموات والأرض، والبر والبحر، والسهل والوعر، حيث شاء متى شاء، ومع هذا فقد أعطاه الله تعالى قوة وهيبة، وأهّله أهلية بحيث يكون في درجة الوسيلة موجوداً بحيث لو ناداه منها نبي مرسل أو ملك مقرب لأجابه من يوم موته إلى ما لا نهاية له مما بعد القيامة، كما هو كذلك في درجة الوسيلة، فكذلك يجده طالبه بين يدي ربه سبحانه وتعالى، ويجده المسلم عليه داخل قبره، ويجده كل طالب بين يدي مطلوبه، كما يجده المتفكر في فكره، والعارف في سره، كما أذن الله تعالى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد رفعهم إلى حظيرات قدسه الأعلى في إقامة شبح منهم في قبورهم تأنيساً لأهل الأرض، وفي تجريد أشباح تسرح حيث شاءت على أنه لا حجر على ذلك، والشبح المقيم في القبر ليس لإقامته معنى سوى أنه متى طلبه طالب وجده، ومتى حضر عليه رأى شخصه، ويوضح ذلك ما سيأتي في موسى.

قال الحافظ السيوطي في كتابه المذكور بعد استيعابه لأكثر نقول العلماء، والأحاديث الدالة على إمكان رؤية النبي ﷺ في المنام واليقظة، قد تحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث، أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء، وإنه يغيب عن الأبصار، كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد كرامته برؤيته، رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال. انتهى كلام السيوطي.

قلت: وأما كلامنا والذي نقوله إن شاء الله أن الأمر كما قاله الجلال السيوطي

وأخص من ذلك، وأن الذي أراه أن جسده الشريف لا يخلو منه زمان، ولا مكان، ولا محل، ولا إمكان، ولا عرش، ولا لوح، ولا كرسي، ولا قلم، ولا بر، ولا بحر، ولا سهل، ولا وعر، ولا برزخ، ولا قبر، كما أشرنا إليه أيضاً وأنه امتلأ الكون الأعلى به كامتلاء الكون الأسفل به وكامتلاء قبره به، فتجده مقيماً في قبره طائفاً حول البيت، قائماً بين يدي ربه لأداء الخدمة تام الانبساط بإقامته في درجة الوسيلة. ألا ترى أن الرائين له يقظة أو مناماً في أقصى المغرب يوافقون في ذلك الرائين له كذلك في تلك الساعة بعينها في أقصى المشرق؟ فمتى كان ذلك مناماً كان في عالم الخيال والمثال، ومتى كان يقظة كان بصفتي الجمال والجلال وأعلى غايات الكمال كما قال القائل:

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

فإن قال قائل: هل طلع بهذا في أفق سماء الفضل نور قبلكم أم هو شيء تقولونه من عند أنفسكم؟ وكيف يتصور هذا الحال؟ وكيف يصح أن يحل جسم واحد في جميع المحال؟

قلنا الجواب: إن شاء الله تعالى أن من كذب على النبي ﷺ فقد استحق والعياذ بالله تعالى الصد، ومن أحدث في أمره الشريف ما ليس منه فهو رد.

فما ذكرناه في هذا المدعى إنما هو بمفيض فائض الإلهام، ولا يتوقف في صحته إن شاء الله أحد من أهل الأفهام، إلا الشاذ النادر من أهل الأوهام، وأصحاب الإيهام والإبهام:

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وإذا لم تر الهلال فسلم ... لأناس رأوه بالأبصار

ومن علم حجة على من لم يعلم، ومن فهم حجة على من لم يفهم، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، على أنا نقول لا فراق إلا بجميل، ولا يصح قول إلا بدليل، فلنا على ذلك أدلة صحيحة نقلية، وبراهين وجودية قطعية، فمن الدليل النقلي ما رويناه في عوالينا الصحيحة، في مسانيدها الثابتة الرجيحة، كما هو ثابت عند جميع الحفاظ، وعند جميع أهل المعاني والألفاظ، من أنه ﷺ ليلة الإسراء رأى أخاه موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره، وجاء نبينا إلى بيت المقدس فرآه أيضاً بين يديه وصلى موسى خلفه مقتدياً به ﷺ أسوة بالأنبياء ثم فارقه.

وصعد النبي ﷺ إلى السماء الرابعة فوجده فيها، أو في غيرها على ما روي، فقد روي أنه وجد آدم في الأولى، وعيسى في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، على أن يصح أن يكون رأى موسى فيهما جمعاً بين الروايتين، فإن كان هذا لموسى وهو دون نبينا محمد ﷺ في الرتبة فنبينا بكونه موجوداً في كل مكان وكونه مقيماً في قبره، أجدر وأحق وأحرى وأولى كوجود موسى في السماء الرابعة أو السادسة، مع أن نبينا محمداً ﷺ فارقه ببيت المقدس، وفارقه قائماً في قبره يصلي، لكن يختص نبينا بامتلاء الكون به عن موسى وعن غيره، لأن نبينا تقرب وترقى ليلة الإسراء إلى ما لا قدرة لملك مقرب، ولا نبي مرسل على الوصول إلى تخطيه خطوة منه، ولذلك تخلف رئيس الملائكة جبريل عند سدرة المنتهى محتجاً بقوله: وما منا إلا له مقام معلوم. وتخلف إبراهيم في السماء السابعة، وتخلف موسى في السماء الرابعة، أو السادسة إلى غير ذلك.

ومن الأدلة النقلية أيضاً على ذلك الصريحة الصحيحة ما سلكناه من أوضح المسالك وهو ما ثبت عندنا في عوالينا الصحيحة، ومسانيدنا الثابتة الرجيحة، كما هو ثابت عند إمام الأئمة الحافظ الإمام البخاري وغيره، هو أن الملكين يقولان للمقبور ما تقول في هذا الرجل، واسم الإشارة لا يشار به إلا لحاضر هذا هو الأصل في حقيقة معناه.

وأما قول بعض العلماء: إنه يمكن أن يكون حاضراً ذهناً. فلا سبيل إليه هنا، لأنا نقول له ما الذي دعا إلى التجوز والعدول عن الحقيقة إلى ذلك، فوجب أن يكون حاضراً بجسده الشريف بلا كلام، وفي بعض المنقولات: أن مالكاً مات، فسئل في القبر فارتج عليه الجواب، فقال ميت بإزائه هذا مالك بن أنس واقف عند رأسك يجيب عنك.

قال المصنف: قلت: فعلى هذا فإمامنا الإمام الأعظم الشافعي رضي الله عنه وقدس روحه ونوّر ضريحه أحق بذلك من كل أحد، ولذلك قلنا من نظمنا البديع:

إذا سـأَلانـي مـنـكـر ونـكـيـر عـن ... صحيح اعتقادي من جعلت إمامي
أقـول لـهـم ديـن الـنـبـي مـحـمـد ... أديـن بـه والـشـافـعـيّ إمـامـي

وقلنا:

لعمري الإمام الشافعي من انتمى ... له لا يرى لوثاً فأستاذه ليث
ولا يختشي ضيما ولا يشتكي ضنى ... فإن له غوثاً مكارمه غيث

وقلنا أيضاً:

إني اتخذت طريقة وعقيدة ... علم ابن إدريس الإمام الشافعي
وجعلت مذهبه الشريف وسيلة ... لي في غد عند النبيّ الشافع

رجوعاً لما نحن بصدده فقد كاد أن يخرج الكلام في مدح إمام الأئمة والأحبار، عن قبضة الاختيار، فأقول: والله المرجو المأمول، هذان دليلان نقليان يتلقاهما بالقبول سليم الفطرة والفطنة والنية، ولم يبقَ إلا ذكر الأدلة القطعية العقلية، ويجب بعد ذلك التسليم على من فيه إنسانية، فمن البراهين القطعية إنه لا يخالف أحد من كل موجود، في أنه ﷺ روح الوجود، وهل رأَيت وبلغك في قول مشروح، أنه يصح مع الحياة خلو جزء من البدن عن الروح، ولما كان ﷺ روح العوالم العلوية والسفلية، وجب أن لا يخلو جزء منها عن جسده وروحه الزكية.

ومن البراهين على ذلك أيضاً أن جماعة من الأولياء كان معهدهم هذا المعهد، ومشهدهم هذا المشهد، فما حكى الجلال السيوطي وغيره في الكتاب المذكور، وغيره أن العارف أبا العباس الطنجي قال: ذهبت إلى الأستاذ أحمد الرفاعي ليسلكني فقال لي: هل عرفت رسول الله ﷺ؟ اذهب إلى شيخك عبد الرحيم القناوي ليعرفك به، ليصح لك السلوك، قال: فذهبت إليه، فقال لي: اذهب إلى بيت المقدس يكشف لك عن ذلك، فلما جئت بيت المقدس كشف الله تعالى عن بصري فرأَيت النبي ﷺ ملأ السموات والأرض، والعرش والكرسي، وملأ سائر الأقطار والأكوان.

ومن البراهين على ذلك أن غالب الأولياء والعارفين كانوا يجتمعون غالباً بسيد المرسلين يقظة ومناماً، وكان العارف بالله تعالى خليفة بن موسى كثير الاجتماع به، واجتمع به في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، وقال له: يا خليفة لا تمل منا، فقد مات كثير من الأولياء بحسرة رؤيتنا.

قلت: فكان الحاصل أن الحجاب من قبلنا بموجب مساوينا لا من قبله ﷺ، ولهذا تجد العبد متى فارق نفسه ولو بالنوم وأغمض عينيه يراه إذا قسم الله تعالى له

ذلك ومتى قتلها بقمعها، وأماتها بردعها، لم يبق بينه وبينه حجاب لا مناماً ولا يقظة، ولهذا كان شيخنا نور الدين الشوني يجتمع عليه في المحيا بالأزهر يقظة.

وكان علامة اجتماعه قيامه في المحيا فيقوم الناس معه تارة آخر الليل، وتارة نصفه، وتارة عند ابتداء القراءة في المحيا بعد العشاء، فيستمر قائماً إلى الصبح.

وكان يجتمع به في خلوته بالسيوفية، بباب الزهومة ليلاً ونهاراً غالباً، وكان السيد أبو العباس المرسي يقول: لو حجبت عن رؤية النبي ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

والأخبار في هذا أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تستقصى، اكتفينا بهذا عن قصد حصرها.

وفي كتاب الحافظ الجلال السيوطي المذكور وغيره بعض أشياء من ذلك، فراجعه تقربة، لأن جل القصد والغرض من هذا التصنيف الجواب عن السؤال وقد حصل.

ومن البراهين على ذلك أن الأبدال من هذه الأمة إنما سمي الواحد منهم بدلاً، لأنه يسافر ويترك بدله مكانه شخصاً على صورته، وقد اتفق لقضيب البان أنه ادُّعي عليه بترك الصلاة فسأَله القاضي: ماذا تقول؟ فانقسم منه سبع صور كل منها لا يشك شاك أنه قضيب البان فقالت صورة من تلك الصور للقاضي والمدعين: انظروا على أي صورة تدعون بترك الصلاة؟

قلت: فإذا كان هذا للواحد من الأبدال أفلا يظهر من رسول الله ﷺ ألف ألف مثال؟

ومما يصح نقله أن بعض مريدي سيدي تاج الدين بن عطاء الله السكندري رضي الله عنه، صاحب كتاب الحكم، وكتاب التنوير وغيرهما، حج سنة فما وقف بموقف، ولا حضر مشهداً إلا ورأَى سيدي تاج الدين في ذلك الموطن، وأنه متى هم أن يكلمه يأتي إليه فلا يجده، وأن المريد جاء إلى مصر وسأل عن حال الشيخ، فقيل: إنه طيب، فلما اجتمع بالشيخ قال له الشيخ مكاشفة: أرأَيت كذا، في محل كذا أو كما قال إلى غير ذلك مما حكي.

ومن البراهين على ذلك أنه من الممكن المعقول المشاهد في رأي العين أن يجعل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بمكان كمكان جعل فيه البدر، فيراه الذي في أقصى المشرق كما يراه الذي في أقصى المغرب وهو فرد، وضوؤه ملأ الأكوان، وكذلك

عين الشمس والزهرة، وبقية النجوم، فإنه قد استوى في رؤيتها كل من كان على وجه الأرض لأن الله تعالى قد جعل لها مكاناً يقتضي ذلك، فلا بدع أن يكون قبر النبي ﷺ بطيبة كذلك، ولا غرو في أن يجعل الله تعالى شبحاً من نبينا بغير طيبة أيضاً يُرى منها، ويُشاهد كذلك، ما لم يكن الرائي أعمى البصيرة فلا يرى شيئاً، ولا يؤمن بشيء، كما أن أعمى البصر لا يرى الشمس، ولا القمر، ولا النجوم، مع كونها بادية بارزة ظاهرة ولهذا قلنا من نظمنا البديع:

مثال النبيّ المصطفى في وجوده	بسائر أرض الله والعجْم والعرب
على أنه في قبره طاب تربة	بطيبة دامت منه في صلة القرب
كبدر السما في الأفق باد وضوؤه	يعم جميع الكون في الشرق والغرب

وقلنا أيضاً:

أنظر إلى المختار كيف وجوده	ملأ السما والأرض والأكوانا
فتراه مثل البدر في كبد السما	وضياؤه ملأ الوجود عيانا

ومن البراهين على ذلك أيضاً أنه يجوز ويمكن ويتعقل أن يجعل الله تعالى العوالم العلوية والسفلية بين يدي النبي ﷺ، كجعله تعالى الدنيا بين يدي سيدنا عزرائيل، فإن الملك الجليل عزرائيل سئل: كيف تقبض روح رجلين حضر أجلهما معاً في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب؟

فقال: إن الله تعالى قد زوى لي الدنيا بجميع أكوانها فجعلها بين يديَّ كالقصعة بين يدي الآكل، أتناول منها ما شئت.

ومن البراهين على ذلك أيضاً أن أمر البرزخ لا يقاس على غيره، ألا ترى لملكي السؤال مع تناهي عظمهما في أضيق اللحود من أين يأتيان؟ ومن أين يذهبان؟ وكيف يسألان ميتين أو أمواتاً في وقت واحد منهم من هو في أقصى المشرق، ومنهم من هو في أقصى المغرب، وكيف تخرق بأصبعه في اللحد طاقة تنفذ إلى الجنة وطاقة إلى النار مع أن الجنة عند سدرة المنتهى والنار تحت البحر المالح.

فكان الحاصل أن الله تعالى الرب الحكيم، الحليم، القادر العلي العظيم في قدرته، أن يعطي محمداً ﷺ الذي أعطاه لملكي السؤال وملك الموت، وفوق ذلك، إذ هما دونه، لأنهما إنما يسألان عنه.

وكان الجاحد لذلك بعد علمه بهذا المفاد ضالاً، كما ضلت الفلاسفة حيث

جعلوا في سرة بعض المقبورين زيبقاً ظانين أنه متى أقعد للسؤال في القبر سال الزيبق، ثم نبشوا بعد ذلك عليه فوجدوا الزيبق لم يسل، ولهذا قلنا من نظمنا البديع:

إذا رمت فرداً جامعاً فيه جمعت ... عوالم خلق الله فضلاً من الله
لقدر النبي المصطفى انظر وسل وقل ... تجد ملء أبصار وسمع وأفواه

وقلنا:

ما أبصرت قط عين أو وعت أذن ... أو فاه نطق بمدح أو أشيع نِدا
كالمصطفى منظراً أو ذكره خبرا ... أو قدره منصباً أو راحتيه نَدا

وقلنا:

إذا قدروا الأشياء تقدير أربع ... وعشرين جزءاً فالنبي وآله
محمد منه جزء ألف مقوم ... بسائر خلق الله جل جلاله

وقلنا:

تقاصر فوق الفوق والأوج والعلا ... ولم يبلغوا المعشار من قدر آدما
فكيف بمن فاق النبيين رفعة ... وأضحى سماء لا تطاوله سما

وقلنا:

تقاصر مدح الناس عن مدح من علا ... على المدح عبد الله وهو حبيبه
محمد المختار حتى كأنما ... مديح جميع العالمين يعيبه

وقلنا:

لو لم يكن من جنسنا ... من قد رقى فوق الفلك
محمد ما فضلوا ... جنس البشر على الملك

وقلنا:

تفكر فديتك في عز من ... رقى فوق ما وصفه يذكر
ولما أتى سدرة المنتهى ... تدلى له الرفرف الأخضر

فإن قال قائل: ما قدر الرفرف الأخضر، وهل كان يسعه وحده أو لا؟

فالجواب: أنه لما تدلى سدّ الأفق الأعلى. وقد تحرر إن شاء الله تعالى من هذه المقالات والأجوبة والسؤالات إنه ﷺ بجسده الشريف، وروحه، لا يخلو منه زمان ولا مكان، ولا عصر، ولا أوان.

وقد بلغنا عن الولي العارف سيدي عبد العزيز الديريني، أنه لما نسبت إليه المشيخة بديرين، ونازعه فيها جماعة من الأشراف، اتفقت آراء أهل البلاد على موعد بعد صلاة الجمعة، وإن السادة والأشراف ينادون جدهم رسول الله ﷺ، وإن سيدي عبد العزيز يناديه أيضاً وإن كل من أجابه النبي ﷺ كان الحق له، فاجتمع لذلك جماهير الناس، فقال سيدي عبد العزيز للأشراف: تقدموا أنتم ونادوا. فتقدم واحد بعد واحد كل منهم ينادي يا جدي يا رسول الله، فلم يجب واحداً منهم، فعند ذلك تقدم العارف سيدي عبد العزيز فقال: يا سيدي يا رسول الله فسمع الناس قاطبة لبيك يا عبد العزيز. فقال جماعة إن الصف الذي يلي سيدي عبد العزيز، سمع والصفوف التي خلفه لم تسمع فأعاد النداء فعادت الإجابة له ثلاث مرات.

فانظر إلى اتصال النبي ﷺ بديرين، مع أن جسده الشريف مقيم بطيبة في مقام أمين، تجده بذلك ﷺ قد ملأ الأكوان بيقين.

واعلم أن آخر ما اجتمعنا عليه من المشايخ العارفين من أصحاب التسليك الهادين المهديين الشيخ نور الدين الشوني صاحب الحال النبوي، والمدد المصطفوي، الذي كانت الصلاة على النبي ﷺ دأَبه ليلاً ونهاراً، حتى صارت له شعاراً أو دثاراً، وكان هذا الرجل كثير الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة ومناماً، كما قدمنا ومثل ما أسلفنا، بحيث شاع ذلك عنه وذاع وملأَ الأفواه والأسماع.

وقد روينا في عوالينا الصحيحة ومسانيدنا الرجيحة، وهو ثابت عند الشيخين والإمامين البخاري ومسلم، وعند أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي**».

وروى الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله الخثعمي ومن حديث أبي بكرة. وروى الدارمي مثله من حديث أبي قتادة الأنصاري ومعنى هذا الحديث التبشير بأن من فاز من أمته برؤيته في المنام، لا بد ألبتة إن شاء الله تعالى أن يراه في اليقظة، ولو قبيل الموت بهنيهة، ويسلم إن شاء الله تعالى إلى العبد في ذلك الوقت من المقت، إذ هو وقت الحاجة.

على أن جمهور الصلحاء من السلف والخلف اجتمعوا به حقيقة يقظة وسأَلوه عن أشياء من مصالحهم ومآربهم وعواقبهم فأجابهم عنها بأمور، وحذرهم من أشياء فجاء الأمر كما قال: سواء بسواء، وقد ذكر ذلك الجلال السيوطي في كتابه المذكور بعينه فراجعه تفز به.

وقد استقر الحال إن شاء الله أن أرواح المؤمنين المأذونة تسرح وتمرح في الجنة والسموات، وتأتي إلى أَفنية قبورها لزيارة أجسادها أحياناً وتدنو من سماء الدنيا تجاه قبورها، وأن المؤمن يعرف زائره، والمسلِّم عليه، ويرد عليه متى تمكن، وأذن له، ولم يكن مشغولاً فيه، وإن تلك المعرفة تزداد من عشية يوم الخميس، وتستمر الزيادة لصبيحة يوم السبت، وأن الأولياء والأصفياء أزيد من عامة المؤمنين في ذلك، وأن العلماء العاملين والشهداء والصحابة والآل والقرابة أقوى زيادة وتخصيصاً، وأن الأنبياء يسيرون في الكون بأشباحهم وأرواحهم، ويحجون ويعتمرون متى أذن الله تعالى لهم في ذلك كما كانوا أحياء.

وأن النبي ﷺ ملأ العوالم العلوية والسفلية، لأنه أفضل عباد الله تعالى وعبّاده، وأن الكون كله بما حوى وما وعى من مسطوراته بفضل ربه تبارك وتعالى.

فإن قيل: قد أجدتم في هذا الجواب غاية الإجادة، وأفدتم غاية الإفادة، لكن بقي عليكم سؤال موجه يجب الجواب عنه، لتتم إن شاء الله فائدة هذا الكتاب، وهو أنه ورد في صحيح الأخبار أن الله تبارك وتعالى، وكل ملكاً بقبر النبي ﷺ، يبلغه الصلاة والسلام من المصلي والمسلم عليه، وأنه ليلة الجمعة ويومها يسمع ذلك بنفسه، ويرد بكل حال، فلو كان حاضراً في كل مكان، أو موجوداً في كل زمان، وأرفع من قبره لما احتاج الأمر إلى الملك.

فالجواب: إن شاء الله تعالى أنكم قد علمتم من مفادنا في هذا الكتاب أن القبر الشريف المنور الكائن بطيبة الطيبة على صاحبه من الرحمٰن الرحيم أفضل الصلاة وأشرف التسليم، ليس خلياً عنه ﷺ، بل هو ممتلئ به أسوة الكون العلوي والسفلي، وله زيادة تخصيص بحلوله ﷺ فيه ودفنه، وذلك الشأن أزيد من تلك الشؤون كلها، وأقوى هيبة، وحينئذٍ، فلكل ملك قلعة، ومحل كرسي لمملكته، وذلك المحل للنبي ﷺ هو طيبة الطيبة، والروضة المشرفة، فإذاً محل الخدمة هو هناك، فالخدام والطواشية يخدمون ظاهراً، والملائكة الكرام يخدمون ظاهراً وباطناً.

وقد جعل الله وظيفة أداء خدمة التبليغ لذلك الملك المسؤول عنه على سبيل الاحترام والتوقير، وإلا فالذي يقول بأن البعد في المسافة حجاب بين صلاتنا وبين سماع النبي ﷺ لها يلزمه أن القبر الشريف، والشباك المعظم، ونحو ذلك من الأشياء الحسية، مانع من السماع له ﷺ، وهذا لا يقوله أحد، فعلم أن ملازمة

الملك إنما هي لأداء وظيفة الخدمة، ولدوام إقامة الناموس والحرمة، ولإظهار مزية ليلة الجمعة، ويومها فيكون المعنى إن شاء الله تعالى، إنه يحدث للنبي ﷺ في تلك الليلة زيادة إدراك ليهتم بشأنها، وأيضاً ملازمة الملائكة والخدام هناك لئلا يتعطل محل العهد بالجسم الشريف من الزيارة، ولهذا ورد «**من حج ولم يزرني فقد جفاني**»، **ففيه إعلام وتصريح بأن الاجتماع بحضرة النبي ﷺ في كل زمان ومكان ليس إلا لمن فاز من الله تعالى بخصوصيات المواهب، وحاز جميع المناصب، وفاز بأعلى المراتب، وعمل عملاً يصح أن يكون وسيلة إلى ذلك، كما وقع لشيخنا الشيخ نور الدين الشوني رحمه الله تبارك وتعالى عليه، بسبب ملازمته للصلاة والسلام على النبي ﷺ بالغدو والآصال، والعشي والإبكار، وآناء الليل وأطراف النهار، بحيث اتخذ ذلك ورداً، وجعل ذلك حزباً، وكان لا يسلك إلا بها لا بعذبة، ولا سجادة، ولا تلقين إلى غير ذلك.**

ومن هذا القبيل أن الملائكة تعرض أعمال الأمة على نبيها محمد ﷺ، نبي الرحمة والشفاعة ﷺ، في كل يوم بكرة وعشية، ليس ذلك لخفائها عليه، بل لإقامة أداء الخدمة أيضاً، ولإظهار العدل بإقامة الحجة بشهادة الملك أيضاً، وإلا فكفى بالنبي ﷺ شاهداً، أو كفى بالله شهيداً رقيباً.

ألا ترى أن الله تبارك وتعالى وعزَّ وجل مع إحاطة علمه بالكليات الصادرة عن عباده، والجزئيات، نصب كراماً كاتبين وسفرة بررة حافظين إلى غير ذلك.

ومن الأدلة العقلية والنقلية أيضاً على ما ذكرناه، أن النبي ﷺ حاضراً ألبتة، وأن الله تبارك وتعالى نصبه شاهداً على أعمال العباد خيرها وشرها، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا﴾ [الأحزاب: 45] .

والشاهد لا بد أن يكون حاضراً للمشهود عليه، وناظراً للمشهود إليه، فعلم إنه ملأ كل عالم، وحاضر في كل مكان.

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿**فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ**﴾ [النِّساء: 41].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: 143] الآية، قد سوى بين

النبي ﷺ، وبين الأمة في معنى الشهادة، وسوى بينه وبين الأنبياء في ذلك المعنى أيضاً.

فالجواب: إن شاء الله تعالى أنه لا تسوية، لأنه في الآية الأولى قال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النِّسَاء: 41]، وقال في الآية الثانية: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البَقَرَة: 143]، وورد أن هذه الأمة تشهد على جميع الأمم، وتشهد لأنبيائها بالتبليغ، ونبيها يزكيها، فلا مساواة به ولا أحد في درجته.

وأما شهادة الأنبياء فلا إشكال فيها، لأنهم موجودون بالأجسام في قيد الحياة بين أظهر أممهم لأنهم شاهدون وحاضرون حساً ومعنى.

وأما شهادة هذه الأمة فإنما هي من باب الشهادة على الشاهد لأنها إنما تلقت ذلك من القرآن العظيم الصادق الوارد على لسان النبي المصدوق، فتبين بهذا وبأنه لما كان كل رسول إذا مات انتهت شريعته وأرسل رسول غيره، ولم يكن نبينا كذلك، بل شريعته مستمرة، ودعوته قائمة باقية إلى يوم القيامة، ومعها وبعدها، إذ لا نبي بعده.

إن شهادته ﷺ مستمرة بموجب حضوره في جميع العوالم، وامتلأ الكون والمكان والزمان به فكان مثاله في هذا المعنى كما اسلفناه وكما أشرنا، كبدر في سماء علو الفضل، ونحن تحته سائرون في ضوء نوره، متى رفعنا رؤوسنا إليه ونحن في شدة العدو، أو المشي، والتأني أو جلسنا، أو نمنا، أو استيقظنا نراه معنا فوق رؤوسنا، ولو مشينا إلى أقصى المشرق، ومشى آخرون إلى أقصى المغرب، وركب آخرون السفن في لجج البحار، وصعد آخرون الجبل وسلك آخرون القفار، كل ذا ونبيهم محمد ﷺ حاضر معهم كحضور البدر مع هؤلاء، كلهم ذو أيضاً، فمن الناس المقربين من اجتماعه بالنبي ﷺ بمصر مثلاً أقوى من اجتماع بعض الحجاج به عند محل قبره، إذ من الناس من حضورهم كالغيبة، ومن الناس من غيبتهم أقوى من الحضور.

ألا ترى إلى البحر الطامي أبي يزيد البسطامي لما حج ثلاث مرات لم يصر لمزيد القرب أهلاً حتى غاب في المرة الثانية وفني أصلاً، ولهذا قال رضي الله عنه:

حججت ثلاث مرات ففي المرة الأولى رأَيت البيت ولم أر رب البيت، وفي المرة الثانية رأَيت رب البيت ولم أر البيت، وفي المرة الثالثة لم أر البيت ولم أر رب البيت انتهى.

قلت: فكان الحاصل من مقاله ومن اعتبار حاله أن حجته الأولى من حج العوام في سائر الأعوام، وأن الثانية كانت من بداية مقامات الفناء، قضي عن رؤية كل محسوس، فلم ير أحداً أحق بالوجود من الله تعالى، وهذا معنى قوله: رأَيت رب البيت، وإلا فرب البيت لا يجوز أن يرى في الدنيا، وكانت نفسه في هذه الحجة الثانية موجودة معه يرى بها ويبصر بها، فلما حج الثالثة فني حتى عن نفسه فلم يبق معه مرآة يرى بها شيئاً. فني في معنى قرب الحق تبارك وتعالى فناء كلياً أشار إليه القائل بقوله:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ... فكان فناؤه عين البقاء

ففي هذه الغيبة يحصل الحضور بأوفى من كيل الويبة[*].

قال سهل بن عبد الله التستري: يامسكين كان ولم تكن، ويكون ولا تكون، فلما كنت الآن صرت تقول أنا وأنا، كن الآن كما لم تكن، فإنه الآن كما كان.

ومن الأدلة على أن الأنبياء يسيرون في الكون ما رويناه في كتاب الأعلام بحكم عيسى عليه السلام للجلال السيوطي أن النبي ﷺ كان يطوف بالبيت حيناً، فسلم على شيء في الهواء، فسئل عن ذلك فقال: «**رأَيت أخي عيسى ابن مريم يطوف بالبيت فسلم علي وسلمت عليه**»[1]، فاستقر الحال على أن عيسى كما قال الحافظ الذهبي وغيره: نبي، ورسول، وصحابي، وأنه أفضل الصحابة، ويليه في الفضل أبو بكر الصديق، فعمر فعثمان فعلي رضي الله تعالى عنهم على الترتيب المشهور. وأن الأنبياء والمرسلين يسيرون في الكون لنفعهم ونفع العباد، وأن النبي ﷺ ملأ العوالم العلوية والسفلية.

(*) الوَيْبَة: اثنان أو أربعة وعشرون مداً.

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

واعلم أيها المريد المسترشد أن قول الحافظ جلال الدين السيوطي سقى الله عهده صيب الرحمة والرضوان وجمعني وإياه على سيد ولد عدنان كما أسلفنا آنفاً، أن النبي ﷺ يسير في الكون إلى آخره، ويدل بحروفه ومنطوقه ومفهومه على أن النبي ﷺ ملأ الكون، لأنه لو لم يكن الأمر كذلك، لزم منه أنه متى سار يصير قبره خالياً منه، ويكون الزائر إنما يزور الضريح فقط، وهذا لا يقوله أحد. وأيضاً فإن قوله ﷺ: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»[1]. من أصرح صريح، وأدل دليل، وأقوى برهان، وأثبت حجة على ذلك، لأنه شامل لكل من رآه في المشرقين والمغربين، ولأنه كما قدمنا لا يصح أن يفسر باقتصاره على رؤيته في الآخرة، لأن سائر الأمم تراه يومئذٍ سواء في ذلك من رآه في الدنيا ومن لم يره. وبالجملة والتفصيل فهو ﷺ موجود بين أظهرنا حساً، ومعنى، وجسماً، وروحاً، وسراً، وبرهاناً.

فإن قال قائل معنى قول الجلال السيوطي: إن النبي ﷺ يسير في الكون، إنه يتجرد من شبحه كما أفدتم وأفتيتم، والجسم الشريف مقيم في القبر المنور.

قلنا: الجواب إن شاء الله تعالى: إن هذا المعنى، وإن كان صحيحاً في حد ذاته، كما أفدناه آنفاً، لكن قد لا ينهض، لأن يفسر به كلام الجلال السيوطي، لأنه رحمة الله تعالى عليه، إنما مقصوده في الحقيقة تمييز نبينا محمد ﷺ عن سائر الأنبياء والمرسلين في ذلك المعنى بخصوصه، ولا يتم له مقصوده في ذلك إلا بالتفسير الذي فسرناه به، وهو الحق إن شاء الله تعالى، وإلا فجميع الأنبياء مشاركون له في التشكل والمثال والتطور وتعدد الأشباح، بل الأبدال كما قدمنا، يفعلون في حياتهم ذلك، وفي موتهم، بل وخاصة المؤمنين، بل وعامتهم الذين لم يشغلهم عن ذلك شاغل من موبقات الذنوب، وعزائم الكروب، ومدلهمات الخطوب، ألا ترى إلى ما نقله ابن القيم وغيره من أن صالح المروزي وغيره تخلف عن حضور الجمعة، فلما جاء مستدركاً أي بعض الأرواح قد تشكلت وجلست على

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، حديث رقم (6592) [6/ 2567] ورواه مسلم في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني»، حديث رقم (2266) [4/ 1775]، ورواه غيرهما.

ظاهر قبورها، وأنهم قالوا له: أبطأت عن الجمعة، فقال لهم: أَتعرفون الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعرف ما يقول الطير في جو السماء. قال: «فما يقول؟» قالوا: يقول يوم صالح. وفي هذا الباب ما لايكاد ينحصر بحيث قالوا: إن الأموات قد يعلمون بالشيء قبل حدوثه في عالم المُلك، وقبل اتصاله بالأحياء، ونقلوا أن المتوكل على الله الخليفة العباسي، لما قتله مماليكه رحمه الله تعالى بسبب موالسة[1] ولده عليه، رآه الولد في النوم فقال له: أتقتلني لأجل الخلافة؟ والله لا تقيم فيها ولا تبقى فيها، وستجزى في الآخرة، فقام مرعوباً من نومه، وأخبر بما رأَى فلم يمكث إلا مدة يسيرة جداً ومات. إلى غير ذلك أيضاً مما حكي في هذا المعنى، وفي كتاب الروح منه الشيء الكثير عن الجمِّ الغفير، الجمهور الكبير. فتخلص أن معنى كلام الحافظ السيوطي إنما المراد منه كون النبي ﷺ ملأً العوالم العلوية والسفلية، بأهبة وقابلية، وأهلية جعلها الله تعالى له، وأسكنها عزَّ وجل في جسمه، وأعطاه معنى من معاني الملائكة صلاة الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، فكان يخالط الملك كجبريل وإسرافيل اللذين هما رؤساء الملائكة، لأن إسرافيل تردد لخدمته ثلاث سنين قبل سيدنا جبريل ﷺ، كما حكاه الحافظ ابن حجر وغيره في مقدمة فتح الباري وغيره. وقد ظهر معنى كلام الحافظ السيوطي ظهوراً كافياً شافياً، والله تبارك وتعالى أعلم بالصواب، جمعنا الله والمسلمين ومن شاء من الموحدين على النبي الحبيب الخليل الجليل المصطفى، نبي الرحمة والشفاعة، أفضل من سعى بين المروة والصفا، وبوأَنا بجواره في الجنان غرفاً، وحشرنا مع آله وأصحابه السادة الحنفا، خصوصاً الأربعة الخلفا، أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

ومن جواهر الإمام الرباني الشيخ أحمد الفاروقي أيضاً

[حقيقته المحمدية ﷺ]

قوله في المكتوب الحادي والعشرين بعد المائة إلى مولانا حسن الدهلي:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، **اعلم** أن

(1) قال ابن شميل: الموالسة: الخداع، يقال: قد توالسوا عليه وترافدوا عليه أي تناصروا عليه في خب وخديعة.

الحقيقة المحمدية ظهور أول وحقيقة الحقائق، بمعنى أن سائر الحقائق سواء كانت حقائق الأنبياء الكرام، أو حقائق الملائكة العظام عليهم الصلاة والسلام كالظلال لها وأنها أصل جميع الحقائق قال عليه وعلى آله الصلاة والسلام: «**أول ما خلق الله نوري**»(1) وقال ﷺ «**خلقت من نور الله، والمؤمنون من نوري**»(2).

فبالضرورة تكون تلك الحقيقة بين سائر الحقائق وبين الحق جل وعلا، ويكون وصول أحد إلى المطلوب بلا توسطه صلى الله عليه وآله وسلم محالاً، فهو نبي الأنبياء والمرسلين، وإرساله رحمة للعالمين، ومن هنا يتمنى الأنبياء أولو العزم مع وجود الأصالة فيهم تبعيته، والدخول في عداد أمته كما ورد عنه عليه وعليهم الصلاة والسلام.

فإن قيل: أي كمال مربوط بكون الأنبياء من أمته ﷺ، ولم يتيسر لهم مع وجود دولة النبوة فيهم.

قلت: إن ذلك الكمال هو الوصول إلى حقيقة الحقائق والاتحاد به، وهما منوطان بالتبعية والوراثة، بل موقوفان على كمال فضله تعالى، فإنهما نصيب أخص الخواص من أمته ﷺ، ومن لم يكن من أمته لا يصل إلى هذه الدولة ولا يرتفع في حقه الحجاب فإنه إنما يتيسر بسبب الاتحاد ولعل الله سبحانه قال من هذه الحيثية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: 110] فهو ﷺ، كما هو أفضل من كل فرد من الأنبياء الكرام والملائكة العظام، كذلك هو ﷺ أفضل من الكل من حيث الكل عليه وعليهم الصلاة والسلام، فإن للأصل فضلاً على ظله وإن كان ذلك الظل متضمناً لألوف من الظلال، فإن وصول الفيوض من المبدأ الفياض سبحانه إلى الظل إنما هو بتوسط الأصل.

قال وقد حقق هذا الفقير في رسائله، إن للنقطة الفوقانية فضلاً على جميع النقط التي تحتها، وهن كالظلال لها وقطع العارف بتلك النقطة الفوقانية التي هي كالأصل أزيد من قطعه لجميع النقط التحتانية التي هي كالظلال لها.

فإن قيل يلزم من هذا البيان فضل خواص هذه الأمة على الأنبياء عليهم السلام.

قلت: لا يلزم ذلك أصلاً وإنما يلزم شركة الخواص من هذه الأمة مع الأنبياء في تلك الدولة، ومع ذلك في الأنبياء كمالات كثيرة، ومزايا عديدة مختصة بهم،

---

(1)، (2) هذا الحديث سبق تخريجه.

وأخص الخواص من هذه الأمة، لو ترقى غاية الترقي لا يصل رأسه إلى قدم أدنى الأنبياء، وأين المجال للمساواة؟ والمزية بعد أن قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصَّافات: 171].

ثم قال: **فإن قيل**: هل يجوز الترقي من الحقيقة المحمدية، التي هي حقيقة الحقائق، ولا حقيقة فوقها من حقائق الممكنات أو لا؟.

قلت: لا يجوز فإن فوقها مرتبة أللاّتعين، ووصول المتعين إليها ولحوقه بها محال فعلم أن الترقي من حقيقة الحقائق غير واقع، بل غير جائز، فإن رفع القدم منها، ووضعها فيما فوقها، وضع القدم في الوجوب وخروج من الإمكان وذلك محال عقلاً وشرعاً.

فإن قيل: يلزم من هذا التحقيق أن الترقي من تلك الحقيقة غير واقع لخاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام أيضاً.

قلت: إنه ﷺ أيضاً هو مع علو شأنه وجلالة قدره ممكن دائماً لا يخرج من الإمكان قط ولا يلحق بالوجوب أصلاً فإنه مستلزم للتحقق بالألوهية تعالى الله عن أن يكون له ند وشريك.

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
فان فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العلامة الشيخ محمد المهدي(*) الفاسي شارح «دلائل الخيرات»

فمن جواهره رضي اللّٰه عنه

[شرح الدلائل على اسم خاتم الأنبياء]

قوله في شرح الدلائل: وأما اسمه ﷺ خاتم الأنبياء، أي الذي ختمهم، أي جاء آخرهم، وأختموا به، فهو كالخاتم والطابع.

فلا نبي بعده، بل ولا معه، فلقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40] ولقوله ﷺ لعلي: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» أخرجه الشيخان[1].

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق**

(*) محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف بن محمد الفاسي الفهري، أبو عيسى: مؤرخ محدث. مولده بالقصر الكبير (بالمغرب) سنة (1033هـ = 1624م) ووفاته بفاس سنة (1109هـ = 1698م). كان لا يأكل إلا من عمل يده بالنسخ، ولا ينسخ لمن في ماله شبهة. وخطه حسن متقن. له تآليف منها: (التحفة) في ذكر متأخري صلحاء المغرب، و(العقد المنضد من جواهر مفاخر سيدنا محمد ـ) نسخة جيدة، في خزانة الرباط (66 ابن الجلاوي) و(التعريف بمؤلف دلائل الخيرات وزمانه وكلامه وشيوخه). و(سمط الجوهر الفاخر) في السيرة النبوية، و(الألماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع ـ) و(ذيل ممتع الأسماع) وعليهما المدار في معرفة أولياء المغرب، و(مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات) و(داعي الطرب في اختصار أنساب العرب) في خزانة تازة بالمغرب، ومعهد المخطوطات. وله (روضة المحاسن الزهية) في الرباط (976 جلا) في سيرة جده أبي المحاسن يوسف بن محمد، متأخرة عن (مرآة المحاسن) لمحمد العربي ابن يوسف. ولأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (كتاب) في أخباره (1). انظر الأعلام للزركلي ـ (7/ 112)).

(1) رواه البخاري في صحيحه، في بابين أحدهما: باب غزوة تبوك. . ، حديث رقم (4154) [4/ 1602] ومسلم في صحيحه باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم (2404) [1870].

السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء».

ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب إن محمداً خاتم النبيين وغير ذلك من الأحاديث. ومن وجوه المدح به أن فيه دوام شرعه والعمل به لظهور ثبوت رسالته، وفي ذلك من غاية التعظيم له ما لا يخفى ولا ينافي ذلك نزول عيسى عليه السلام بعده، لأنه إذ نزل كان على دينه مع أن المراد إنه آخر من نبّئ. وقال بعضهم: قال أهل البصائر: لما كان فائدة الشرع دعوة الخلق إلى الحق وإرشادهم إلى مصالح المعاش والمعاد، وإعلامهم الأمور التي تعجز عنها عقولهم، وتقرير الحجج القاطعة، وقد تكفلت هذه الشريعة الغراء بجميع هذه الأمور على الوجه الأتم الأكمل، بحيث لا يتصور عليه مزيد كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: 3] فلم تبق بعده حاجة للخلق إلى بعث نبي بعده فلذلك ختم به النبوة.

وأما نزول عيسى عليه السلام ومتابعته لشريعته ﷺ، فهو مما يؤكد كونه خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وفي شعب الإيمان للشيخ عبد الجليل القصري رضي الله عنه في هذا الاسم تقول: ختم يختم ختماً، إذا طبع، والختم الطبع، وخاتمة كل شيء آخره بالكسر، وخاتمه بالفتح ما يوضع على الخاتم كالطين الذي يختم به، وتقول ختم زرعه سقاه أول سقية، كأنه سقاه في الأول سقياً يكفيه إلى آخر نهاية، وهذا كله من أوصاف المصطفى ﷺ ومخصوص به دون سائر الخلق. فضله بذلك تفضيلاً على الجميع، فإذا قلت: ختم بمعنى طبع فإن الله طبعه على خلق وطباع وأوصاف ما طبع عليها أحداً لقبول جوهره الشريف ذلك الطبع الذي لم يقدر طبع غيره أن يقبله، وإذا قلت: ختم زرعه سقاه أول سقية، فإن محمداً ﷺ أدرجت فيه في أول القدر السابق جميع النبوات، وأخفي فيه بالقدر من تخصيصات الفضائل ما يظهر ويعلو به أبد الآبدين على كل موجود، وفي القدر السابق حصل لكل أحد ما قسم له.

وإذا قلت: خاتم بالفتح، وهو ما يوضع على الخاتم، أي الطين الذي يختم به فإن نبينا محمداً ﷺ وعاء جعلت فيه النبوة كلها بجميع أجزائها، لأنها أجزاء كثيرة، وغيره أعطي من أجزائها على قدر ما يحتمل ولم يحتمل الجميع إلا محمد ﷺ، فلما أكملت فيه كان الخاتم على الكمال كما يطبع الكتاب ويختم إذا أخفي وطوي على

ما فيه. ولم يختم غيره من الأنبياء، لأنه لم تكمل فيه النبوة، وبقي له شيء لم ينله بالارتقاء أبداً، أو لذلك كان الخاتم في ظهره عليه الصلاة والسلام.

ثم قال وجه آخر: وإذا قلنا: خاتم بالكسر في التاء، فإنه الآخر وروح المعنى فيه إنه تمام الشيء وكماله ولو لم يكن لظهر النقص في الشيء المكمل المتمم، فكان عليه السلام هو المتمم المكمل فأعطي روح المعنى بالرتبة والدرجة في التتميم والتكميل وزين الجميع، وكمل الكامل وتمم التام، ولهذا المعنى عدده عليه الصلاة والسلام في فضائله التي أعطيها دون الأنبياء، فقال: «**وختم بي النبيون**»[1]، و«**أنا خاتم النبيين**»[2] فساقها في معرض المدح من الله. وللتفضيل وجه آخر في الختم كان الأنبياء قبله في أوقاتهم يبعثون جماعات جماعات إلى أقوام متفرقين في زمان واحد، ويعين بعضهم بعضاً، مع كثرتهم لقي الكل البرحاء[3] من التبليغ ولم ينقذوا من الخلق إلا اليسير. ومنهم من لم ينقذ شيئاً، وخاتم النبيين عليه وعليهم الصلاة والسلام بعث في الآخر غريباً من أبناء جنسه وإخوته، وهم الأنبياء، لم يعنه منهم أحد، فنهض بذاته الفاضلة في ذات الله وشمر عن ساقه، فأدخل في دين الله ما لم يدخله الجميع، ولا قدر عليه أحد فهذا فضل لا يدانيه فضل، انتهى. وإذا كان ﷺ خاتم النبيين فهو خاتم المرسلين لا محالة، لأن الأعم يستلزم الأخص دون العكس.

ومن جواهر الشيخ محمد الفاسي أيضاً رضي الله عنه

[شرح اسمه ﷺ: الداعي]

قوله في شرح اسمه ﷺ **الداعي**: فيحتمل أنه من دعاه الله ناداه، أو رغب إليه أو عبده من نحو قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ۝١٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ

---

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) رواه الطبراني في الكبير، عن سهل بن سعد، حديث رقم (6020) [6/ 205] وابن حنبل في فضائل الصحابة، فضائل العباس بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ، رقم (1812) [2/ 941].

(3) البرحاء: الشدة والمشقة وخصّ بعضهم به شدة الحمّى.

رَبِّي﴾ [الجنّ: 19-20] الآية. ويحتمل أنه من دعاء الخلق إلى الله ليقبلوا إليه وقد قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: 46] وقال: ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: 31] وقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يوسف: 108] وقال: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ﴾ [الحديد: 8] وقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النّحل: 125]. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إن الله تعالى حين شاء تقدير الخليقة، وذرء البرية، وإيداع المبدعات، نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو في انفراد ملكوته وتوحيد جبروته، فأشاح نوراً من نوره فلمع قبس من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية، فوافق ذلك صورة نبينا محمد ﷺ، فقال الله عز وجلّ: أنت المختار المنتخب، وعندك مستودع نوري، وكنوز هدايتي، من أجلك أسطح البطحاء، وأنزل الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب، والجنة والنار». ثم أخفى الله الخليقة في غيبه وغيبها في مكنون علمه ثم نصب العوالم، وبسط الزمان، ومرح الماء، وأثار الزبد، أوهاج الريح، فطفا عرشه على الماء فسطح الأرض على وجه الماء، ثم استجابها إلى الطاعة فأذعنت بالاستجابة، ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار ابتدعها، وقرن بتوحيده نبوة محمد ﷺ فشهرت في السماء قبل مبعثه في الأرض، فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حيث عرَّفه عند استنبائه إياه أسماء الأشياء، فجعل الله آدم محراباً وكعبة وباباً وقبلة أسجد إليها الأبرار والروحانيين والأنوار، ثم نبَّه آدم على مستودعه وكشف له خطر ما ائتمنه عليه بعد أن سماه إماماً عند الملائكة فكان حظ آدم من الخير نبياً ومستودعاً نورياً ولم يزل الله يخبأ النور تحت الميزان إلى أن فصل محمد ﷺ ظاهر العنوان. فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سراً وإعلاناً، واستدعى ﷺ التنبيه على العهد الذي قدمه إلى الذر قبل النسل، فمن وافقه قبس من مشاح النور المتقدم اهتدى إلى سره، واستبان واضح أمره، ومن أبلسته الغفلة استحق السخط.

قال الشيخ أبو محمد عبد الجليل القصري في شعبه: فقد أعلمك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ عقدت له النبوة قبل كل شيء، وأنه دعا الخليقة عند خلق الأرواح

وبدء الأنوار إلى الله تعالى كما دعاهم آخراً في خلقه جسده آخر الزمان ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان: 81] الآية إلى قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عِمرَان: 81] إلى آخر المعنى، فقد آمن الكل به فهو آدم الأرواح ويعسوبها، كما أن آدم أبو الأجساد، وسببها، ثم قال: انظر قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾ [الفُرقان: 1] والعالمون هم جميع الخليقة، فقد أنذر الخليقة أجمع وآمن الكل به في الأولية والآخروية، وانتقال النور في جميع العالم من صلب إلى صلب، فافهم. انتهى.

وقد تكلم الشيخ تقي الدين السبكي على هذا المعنى وقرره، ثم قال: وبهذا بان لنا معنى حديثين كان خفياً عنا:

أحدهما: قوله ﷺ: «**بُعثت إلى الناس كافة**»[1]. كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة، فبان أنه جميع الناس أولهم وآخرهم.

والثاني: قوله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**»[2] كنا نظن أنه بالعلم، فبان لنا أنه زائد على ذلك انتهى.

وقال الشيخ أبو عثمان الفرغاني: فلم يكن داعياً حقيقياً من الابتداء إلى الانتهاء إلا هذه الحقيقة الأحمدية، التي هي أصل جميع الأنبياء، وهم كالأجزاء والتفاصيل لحقيقته فكانت دعوتهم من حيث جزئيتهم عن خلافة من كلهم لبعض أجزائه وكانت دعوته الكل لجميع أجزائه إلى كليته، والإشارة إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سَبَإ: 28]، والأنبياء، والرسل، وجميع أممهم، وجميع المتقدمين، والمتأخرين داخلون في كافة الناس، وكان هو ﷺ داعياً بالأصالة وجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام يدعون الخلق إلى الحق عن تبعيته ﷺ وكانوا خلفاءه ونوابه في الدعوة انتهى وفي البردة:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم

(1) رواه الطبراني في الكبير، حديث رقم (6674) [7/ 154] ورواه أحمد في المسند عن عبد الله ابن عباس، حديث رقم (2742) [1/ 301].
(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

ومن جواهر الشيخ محمد الفاسي أيضاً

[شرح اسمه ﷺ: مدعو]

في اسمه ﷺ: **مدعو** هو أشرف مدعو لله تعالى بأشرف دعاء فإنه لم يخاطبه في القرآن إلا بيا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: 64]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: 41]، تكريماً وتشريفاً، ولم يخاطبه باسمه، وقد شرف الله عز وجل أمته بتشريفه، فنداها بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: 104]، ونوديت الأمم في كتبها بيا أيها المساكين، وشتان ما بين الخطابين.

ويحتمل أن المراد دعاؤه ﷺ إلى العروج إلى السماء، فإنه أرسل إليه جبريل عليه السلام يدعوه لذلك فأجابه، أو المراد دعاؤه في المعراج حين زج به في النور زجاً فخرق به سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجاباً، وانقطع عنه حس كل ملك، وأنسي كما ذكره ابن عياض في شفائه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**فإذا النداء من العلي الأعلى أدن يا خير البرية، أدن يا أحمد، أدن يا محمد، ليدن الحبيب**»(*).

أو المراد دعاؤه إلى لقاء ربه عز وجل، ففي حديث جعفر الصادق عن أبيه عند البيهقي قول جبريل له: إن الله قد اشتاق إلى لقائك.

وذلك عند مجيء ملك الموت إليه ﷺ بالتخيير فقال له ﷺ: «**فامضِ يا ملك الموت لما أمرت به**»[1].

قال البيهقي إن الله تعالى قد اشتاق إلى لقائك معناه قد أراد لقاءك بأن يردك من دنياك إلى معادك زيادة في قربك وكرامتك.

(*) أورده الخفاجي في السيرة الحلبية، باب ذكر الإسراء والمعراج [2/ 71]، وابن عجيبة في تفسير البحر المديد، سورة النجم [6/ 171].

(1) أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى، ذكر وفاة رسول الله ﷺ، [2/ 259] وابن الجوزي في المنتظم، ذكر أخبار طليحة بن خويلد، [4/ 38] وأورده غيرهما.

أو المراد دعاؤه إلى الشفاعة من الخلق بطلبهم لها منه ومن الخالق بإذنه له فيها ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 255] أو خطاب الحق له حينئذ بقوله: «**يا محمد ارفع رأسك واشفع**»[1] الحديث.

وفي حديث رواه الطبراني عن حذيفة، وقال ابن مندة حديث مجمع على صحة إسناده وثقة رجاله: أن النبي ﷺ أول مدعو يوم يجمع الناس في صعيد واحد فيحمد الله ويثني عليه. أو المراد دعاؤه إلى الزيارة في الجنة فإنه مدعو في ذلك كله. والله أعلم.

ومن جواهر الشيخ محمد الفاسي أيضاً

[شرح اسمه ﷺ: مُفَضَّل]

في شرح اسمه ﷺ: **مفضل** بفتح الضاد اسم مفعول، فمعناه أن غيره هو الذي فضله وصيره فاضلاً ولا خفاء بأنه الله سبحانه وتعالى. فهو الذي خصه بالفضل وكرمه وشرفه واختاره على العالمين، وخصوصاً الأنبياء والرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام، ولا خلاف في ذلك.

قال الشيخ أبو عبد الله البكي: وأما الملائكة فللإجماع على النقل الصحيح. وأما على الأنبياء والرسل فلوجوه:

الأول: قوله جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: 110] دلت الآية على أن هذه الأمة خير الأمم وخيرية الأمة إنما هي بخيرية نبيها، فيكون ﷺ خير الأنبياء، وهو المطلوب. وأيضاً قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[2].

لا يقال يخرج من العموم آدم، إذ لم تكن له سيادة عليه بهذا الحديث، لأنا نقول ترك ذكر آدم أدباً والمقصود التعميم.

إذاً المقصود من بني آدم هذا الجنس الإنساني، أو نقول ثبت بهذا سيادته على

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً..﴾، حديث رقم (3162) [3/ 1215] ورواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (1513) [1/ 180] ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

إبراهيم وموسى وعيسى، وليس هو بأقوى سيادة منهم، فهو سيد الجميع وهو المطلوب، وأيضاً الكامل على قسمين: إما أن يكون كاملاً في نفسه فقط غير مكمل لغيره، أو مكملاً لغيره.

والثاني: أفضل ثم ما به تكميل الغير هو العلم أو العمل، وأفضل مراتب العلم العلم بالله، وأفضل الأعمال الطاعة له، فمن كان بهذين أقوى تحصيلاً، وإفادة كان أفضل ولا شك أنه ﷺ أقوى في هذين الشيئين، إذ هو ذو الكلمة الجامعة والرسالة المحيطة بدليل ما ظهر في أمته وانتشر فيهم من العلم بالله والعبادات الجامعة لعبادة العالم كله على ما تشير إليه الصلاة والحج وغير ذلك مما لم تكن لغيره ولا في غيرهم.

والحاصل أنه ﷺ مختص بأعلى الكمال والتكميل، وكل من هو مختص بأعلى الكمال والتكميل، فهو أفضل، فهو ﷺ أفضل، وهذا برهان جلي إذ وسطه علة في العلم والوجود معاً، وتحقيق مقدماته ما بسطناه.

وأما المُحَدِّث فأدلته ما تقدم من السمع. وأما الصوفي فيقول بما تقدم، ويزيد بأن يقول المفيد من كل الوجوه أعلى من المستفيد من كل الوجوه وهو ﷺ المفيد من كل الوجوه، إذ هو ﷺ من نوره امتدت الأنوار، وقد قال ﷺ: «**أول ما خلق الله نوري، ومن نوري خلق كل شيء**»(1).

والأنوار على قسمين: طبيعية وروحانية، والروحانية على قسمين: علوم وأخلاق. ولا شك إنه ذو العلم المبثوث منه إلى الخلق، وذو الخلق المبثوث إليهم كذلك ولذلك قال جل وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4]، وإلى هذا الإمداد أشار بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبيَاء: 107]، وإليه الإشارة بقوله «**أنا يعسوب الأرواح**»(2)، أي أصلها، و«**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**»، وبالجملة فهو صاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود، وكل ذلك بناء على اختصاصه بسر البداية للجميع، وقد نبه ﷺ على خاصيته التي لم

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.
(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

يعلمها على الحقيقة إلا الله بقوله ﷺ: «**يا أبا بكر، والذي بعثني بالحق، لم يعلمني حقيقة غير ربي**»[1] فاعرف ذلك ومن أجل هذه الفضيلة سأل أولو العزم من الرسل كإبراهيم وموسى الحق جل وعلا أن يجعلهم من أمته، وهذا ما ثبت من النهي عن التفضيل بين الأنبياء في الأحاديث فمحمله عند المحققين على التفضيل بالخصائص والأقيسة، لأن المزايا لا تقتضي التفضيل، وإنما هو محض اصطفاء واختصاص من الله تعالى بحكم المشيئة السابقة، والقدر الأزّلي النافذ لا بعلة تقتضي نقص المفضل عليه منهم، أو سبب وجد في الفاضل، وفقد في المفضول حتى يتطرق النقص أو التقصير إلى المفضول إذ ما من نبي إلا وأتى بما أمر به على التمام ولم ينقص منه ذرة. فهو إذاً توقيفي بحكم من الله، لا يصح القدوم عليه إلا بسمع وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: 55]، وقال تعالى تلك: ﴿ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 253]، وهو موسى عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: 253]، وهو محمد ﷺ، فأفضليته ﷺ على جميع الخلق لا خلاف فيها بين الأئمة، وإنما تكلموا بعد اتفاقهم على أفضليته على الجملة والتفصيل في أنه هل يسوغ تعيين المفضول في الذكر والإطلاق اللساني عملاً بما هو المعتقد أو لا صوناً للأدب، وعملاً بنحو قوله ﷺ: «**لا تفضلوني على موسى**»[2]، «**ولا يقل أحد أنا خير من يونس بن متى**»[3]؟ وهذا هو المختار إعمالا للدليلين والله أعلم اهـ، أي المختار عنده.

ومن جواهر الشيخ محمد الفاسي أيضاً رضي الله عنه

[شرح قول صاحب الدلائل]

قوله عند قول صاحب الدلائل: اللهم صل على صاحب المكان المشهود. من شهدت الشيء شهوداً، حضرته وفي صلاة زين العابدين علي بن الحسين رضي الله

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(2) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار، باب التخيير بين الأنبياء [4/ 315] وأورده القرطبي في التفسير، البقرة: 253، تلك الرسل فضلنا [3/ 263].
(3) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن علي رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: ليس لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى سبح الله في الظلمات.

عنهم تسميته ﷺ بصاحب المحضر المشهود ويحتمل أن تكون الإشارة إلى المكان الذي شهده في معراجه حيث استقر تحت العرش وسمع صريف الأقلام، وهو المكان الذي ما شهده مخلوق غيره.

ويحتمل أن يكون المراد مكانه ﷺ في المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخرون، فيشهدون ذلك المقام. ومثله قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هُود: 103] يشهده ويحضره الأولون والآخرون المجموعون فيه للحساب، أو المراد مكانه في جلوسه على العرش، أو على الكرسي، أو في قيامه عن يمين العرش، أو حيث يحشر على البراق في سبعين ألف ملك، ويكسى أعظم الحلل من الجنة، ويؤذن باسمه ويكون لواء الحمد بيده وهو إمام النبيين يومئذٍ وقائدهم وخطيبهم، أو حيث يكون بين الجبار وبين جبريل فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجمع كلهم، أو حيث يكون هو الواسطة بين الله وبين خلقه في الجنة، لا يصل إلى أحد شيء إلا بواسطته، فإن مكانه في هذه الأمور كلها مشهود لأهل الموقف ظاهر لهم وفي الأخير لأهل الجنة.

ويحتمل أن يكون هذا مثل اسمه صاحب المحشر إذا حملناه على أنه اسم مكان، فالمكان المشهود هو المحشر لقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هُود: 103].

وأما إذا حملنا المحشر في اسمه صاحب المحشر على أنه اسم مصدر: فهو بمعنى اسمه حاشر وهذه كلها في الآخرة.

ويحتمل أن يكون المراد مكانه في حياته في الدنيا، والشهود شهود الملائكة له، وقد كانت كثيرة الحضور عنده ﷺ، حيث كان ويحتمل أن المراد بمكانه قبره، والشهود شهود الملائكة له أيضاً على ما رواه ابن المبارك في فائقه وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في الحلية عن كعب الأحبار: أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون الفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول الله ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه.

ويحتمل أن المراد أيضاً قبره وهو مشهود معروف معين دون قبور غيره من سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يصح تعيين قبر منها.

ويحتمل أن تكون الإشارة إلى قول الحسن البصري: إن الله عز وجل اختار

محمداً ﷺ على علم، وأنزل عليه كتابه وجعله رسوله إلى خلقه، ثم وضعه في الدنيا موضعاً لينظر إليه أهل الدنيا فآتاه منها قوتاً، ثم قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] إلى آخر كلامه. . . ويحتمل أن يكون المراد مكانه حيث كان في الدنيا والآخرة، فيشمل ذلك كله فهذا كله مما يحتمله اللفظ على قرب أو بعد، والله أعلم.

ومن جواهر الشيخ محمد الفاسي أيضاً

[شرح: (طراز ملكك) من صيغة: اللَّهم صل على محمد بحر أنوارك]

قوله في شرح اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ولسان حجتك، وعروس مملكتك، وإمام حضرتك، وطراز ملكك، وخزائن رحمتك، وطريق شريعتك، المتلذذ بتوحيدك، إنسان عين الوجود، والسبب في كل موجود، عين أعيان خلقك، المتقدم من نور ضيائك، صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك، لا منتهى لها دون علمك صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين.

الطراز علم الثوب، وشبه الملك بالثوب في نسجه وتحسينه وتزيينه به بدليل إثبات اللازم الذي هو الطراز، واستعير للنبي ﷺ الطراز بجامع الزينة، فطراز الثوب الذي هو علمه، زينته التي تشوق العيون إليه، والنبي ﷺ به زين الله وجود العالم بأسره وهو روحه، وسره، وبهجته، وحسنه، ونوره، وسناه وفي صلاة مفردة: اللهم صل على عين العناية، وطراز الحلة، وعروس المملكة، ولسان الحجة، سيدنا محمد وعلى آله عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون. وفي صلاة سيدي علي بن وفا: عين الرحمة الربانية وبهجة الاختراعات الأكوانية.

[وخزائن رحمتك]

جمع خزانة بكسر الخاء ما يخزن فيه المتاع والأموال والأرزاق وهو ﷺ خزائن رحمة الله الموضوعة في العالم، فلا يرحم أحد إلا على يديه وبما خرج له من خزائنه، ويرحم الله الشيخ محمد البكري الصديقي حيث يقول:

ما أرسل الرحمن أو يرسل ... من رحمة تصعد أو تنزل

في ملكوت الله أو ملكه ... من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده ... نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها ... يعلم هذا كل من يعقل

وجمع الخزائن تبعاً لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ [الإسراء: 100]، وقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ [ص: 9]، وجمعت في الآيتين لتنوعها وكثرتها وما فيها من الأموال والأرزاق الحسية والمعنوية والله أعلم.

قال ابن عطية: والخزائن للرحمة، استعارة كأنها موضع جمعها وحفظها، لما كانت ذخائر البشر تحتاج إلى ذلك خوطبوا في الرحمة بما ينحو إلى ذلك.

[وطريق شريعتك]

الموصل إليها وعنه تؤخذ وتتلقى لأنه نبيك ورسولك والمترجم عنك والمبلغ عنك إلى خلقك والواسطة بينك وبينهم.

[المتلذذ]

من اللذة وهي معلومة بتوحيدك أي بما يدل عليه من قول لا إله إلا الله ونحوه، والمعنى إنه كان يلهج بتوحيد الله متلذذاً بذلك ومستطيباً له وإن ذلك كان دأبه وديدنه، وهذا جار على أسلوب كلام الناس فإنهم يقولون إن فلانا يتلذذ بذكر فلان، ويقول الواحد منهم لمن يحبه: إني لأحبك وأتلذذ بذكرك واستطيب حديثك، وإن حملنا التوحيد على الأمر الباطن من الإيمان بالله تعالى وحده وإفراده بالذات والصفات والأفعال، لم يصح أن يكون المراد وصفه بمطلق وجدانه، لذلك لذيذاً وإدراكه للذة، لأنه لو وصف بذلك بعض أقوياء أمته لكان قليلاً في حقه، وحطاً من منزلته، فكيف به ﷺ، وإنما المراد أمر خاص زائد على ذلك، فإما أن تفعل هنا للتكثير والكثرة على ما يناسبه ﷺ، وإما إنها للصيرورة كتحجَّر، أي صار حجراً، والمعنى أنه ﷺ صار عين اللذة، إشارة إلى انصباغه بالتوحيد وامتزاجه به، وإحاطته به وعدم شعوره بغيره وذلك على وجه أخص مما لغيره، من الخلق بل على معنى يليق به ويطابق حاله والله أعلم.

[إنسان عين الوجود]

الذي عليه مداره وبه أمكن ابصاره، وانسان العين هو المثال الذي يرى في سوادها، وهو الذي به يكون النظر في وسطها قدر العدسة، ويقال: له ذباب العين،

وكما أن إنسان العين هو سر العين وزينتها وفائدة وجودها وبه يتوصل الجسد إلى منافعه ويهتدي إلى مراشده ولولاه هو لم يكن للعين نور ولا إبصار ولكان الجسد شبحاً بلا روح، وصورة بلا معنى، لأن الأعمى ميت، وإن لم يقبر كذلك هو ﷺ روح الأكوان وحياتها وسر وجودها، ولولاه، لم يكن لها نور، ولا دلالة، بل لذهبت وتلاشت ولم يكن لها وجود، كما قال سيدي عبد السلام رضي الله عنه ونفعنا به: ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط.

وقال سيدي علي بن وفا رضي الله عنه:

روح الوجود حياة من هو واجد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد

وقال في صلاته نور كل شيء وهداه. وسر كل سر وسناه، ثم قال: إنسان عين المظاهر الإلهية، ولطيفة تروحنات الحضرة القدسية، مدد الأمداد وجود الجود، وواحد الآحاد وسر الوجود، سرك المنزه الساري في جزئيات العالم وكلياته، علوياته وسفلياته، من جوهر وعروض ووسائط، ومركبات وبسائط، ثم قال وأرى سريان سره في الأكوان، ومعناه المشرق في مجاليه الحسان، وقال الشيخ شمس الدين العبدوسي في صلاة له: مظهر سر الجود الجزئي والكلي، وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي، موج جسد الكونين، وعين حياة الدارين، وقال بعضهم:

كل المكارم تحت طي بروده ... ولقد أضاء الكون عند وروده

والبحر يقصر عن موارد جوده ... إنسان عين الكون سر وجوده

والوجود في الأصل مصدر بمعنى المفعول، وآل فيه عوض عن المضاف إليه المحذوف أي وجود الكون والمراد بوجوده عينه، والوجود عين الموجود في الحادث اتفاقاً من متكلمي أهل السنة وفي القديم على رأي الشيخ الأشعري.

[والسبب في كل موجود]

دليل هذا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عند عبد الرزاق أن الأشياء كلها مخلوقة من نوره ﷺ، ومثله حديث أبي مروان الطبني الذي أخرجه في فوائده عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند البيهقي في دلائله والحاكم وصححه، وقول الله تبارك وتعالى لآدم عليه السلام: «**لولا محمد ما خلقتك**»، وروى في حديث آخر «**لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماءً ولا أرضاً**».

وفي حديث سلمان عند ابن عساكر قال هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول لك إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا، وقال البوصيري: لولاه لم تخرج الدنيا من العدم.

[عين أعيان خلقك]

العين تطلق على أشياء عديدة منها العين الباصرة، وتجمع على أعيان وأعين وعيون بضم العين. ومنها خِيار الشيء، وكبير القوم، والمراد: أن أعيان خلق الله الذين هم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون وجميع عباد الله الصالحين، كما أنهم خِيار خلق الله وكبراؤهم وهم أعينهم التي بها يبصرون وسر وجودهم كذلك النبي ﷺ هو خير أولئك الأخيار وكبيرهم وهو عينهم التي بها يبصرون وسر وجودهم يحتمل أن يكون المضاف بمعنى من المعاني المذكورة والمضاف إليه بمعنى آخر منها، والأقرب أن المراد العين الباصرة فيهما معاً والله أعلم، وقال سيدي علي بن وفا:

عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لما ورد

وقال الشيخ أبو محمد عبد الحق بن سبعين في حزب الفرج والخلاص: عين الأعيان وسر التعينات، كنز الأسرار ومرآة التجليات.

قال الفاسي رحمه الله تعالى: وبالجملة فقد اتفقت كلمة أولياء الله تعالى على خصوصيته ﷺ على كل العوالم، وإنه سر الله الممد في الأرواح وبنسيمها وتنسمها له حياتها، والله أعلم.

قال ونقل سيدي عبد النور يعني الشريف العمراني قدس الله سره عن شيخه أبي العباس الحمامي، عن شيخه أبي عبد الله بن سلطان أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت له: يا سيدي يارسول الله أنت مدد الملائكة والمرسلين، فقال لي: «**أنا مدد الملائكة والنبيين والمرسلين وسائر خلق الله أجمعين، وأنا أصل الموجودات، والمبدأ والمنتهى وإليَّ غاية الغايات، ولا يتعداني أحد**»، قال: ورأيته أيضاً في النوم فأجرى الله على لساني أن قلت له: السلام عليك يا عين العيون، ويا معدن السر المصون.

[المتقدم من نور ضيائك]

هو من إضافة الشيء إلى مرادفه للتقوية والمبالغة هذا الأقرب فيه. ويحتمل أنه

من إضافة الموصوف إلى صفته، على أن الضياء غير النور وهو أقوى وأعظم منه.

ويحتمل أنه من إضافة الأصل إلى فرعه على أن النور هو ذات المنير، والضياء أشعته المنتشرة عنه وشرره المنقدحة منه.

وقد قال الأشعري: إنه تعالى نور ليس كالأنوار، والروح النبوية القدسية لمعة من نوره، والملائكة شرر تلك الأنوار.

وقال ﷺ «**أول ما خلق الله نوري، ومن نوري خلق كل شيء**»[1]، وغيره مما في معناه فهو ﷺ أول صادر عن الله وهو منه بلا واسطة، ويحتمل أن يكون الكلام على القلب، أي من ضياء نورك، أي أشعته والله أعلم، والواقع في النسخة السهلية وغيرها من النسخ المعتمدة المتقدم بالميم من تقدم ضد تأخر، وفي بعض النسخ المنقدح بالحاء المهملة، وهو الواقع في الصلاة المفردة المشار اليها أولاً ومعناه الموري والمخرج من أورى الزند إذا خرجت منه ناراً، ومعناه المغترف. وفي الأساس قدح النار من الزند، واقتدحها وقدح المرقة واقتدحها اغترفها بالمقدح والمقدحة وقدح الماء من أسفل البئر. انتهى.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الحقيقة المحمدية
من جواهر قاضي القضاة الشهاب الخفاجي(*)

فمن جواهره رضي الله عنه

[جميع الأنبياء خلقوا من نور النبي ﷺ]

قوله في أواخر شرح الشفا عند الكلام على قتل الحلاج قال الشاذلي: اضطجعت في المسجد الأقصى في وسط الحرم، فدخل خلق كثير أفواجاً. فقلت: ماهذا الجمع؟ قالوا: جمع الأنبياء والرسل، قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد ﷺ في إساءة أدب وقعت منه، فنظرت إلى التخت، فإذا نبينا ﷺ جالس عليه بانفراد وجميع الأنبياء على الأرض جالسون مثل إبراهيم وموسى وعيسى ونوح. فوقفت أنظر وأسمع كلامهم فخاطب موسى محمداً عليهما الصلاة والسلام فقال له: إنك قلت: «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**» فأرني منهم واحداً. فقال: «**هذا**». وأشار إلى الغزالي، فسأله موسى سؤالاً فأجابه بعشرة أجوبة فاعترض عليه

(*) هو أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد بمصر سنة (977هـ = 1569م) نشأ في مصر ثم رحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءاً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي سنة (1069 هـ = 1659م). من أشهر كتبه (ريحانة الأَلِبَّا) ترجم به معاصريه على نسق اليتيمة، و(شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل) و(شرح درة الغواص في أوهام الخواص للحريري) و(طراز المجالس) و(نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض) أربع مجلدات، و(خبايا الزوايا بما في الرجال من البقايا) مجلد في التراجم، و(ريحانة الندمان) و(عناية القاضي وكفاية الراضي) حاشية على تفسير البيضاوي، ثماني مجلدات، و(ديوان الأدب في ذكر شعراء العرب) و(السوانح) في خزانة أسعد أفندي بالأستانة، رقم (2738) أدب (كما في المختار من المخطوطات العربية بالأستانة 47) و(قلائد النحور من جواهر البحور) في العروض، ومعه رسالتان له أيضاً، هما (جنة الولدان) و(الكنس الجواري) أخبرني بهما أحمد خيري، ولعلهما في مكتبته. وله شعر رقيق جمع في (ديوان) انظر (الأعلام للزركلي ـ (1/ 238)).

موسى بأن [الجواب ينبغي أن يطابق السؤال] والسؤال واحد والجواب عشرة. فقال له الغزالي: هذا الاعتراض وارد عليك أيضاً حين سئلت: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿17﴾﴾ [طه: 17] . وكان الجواب هي عصاي فعددت لها صفات كثيرة. قال الشاذلي: فبينما أنا متفكر في جلالة قدر محمد ﷺ، وكونه جالساً على التخت بانفراده والبقية على الأرض إذ زقني شخص برجله زقة مزعجة فانتبهت، فإذا بقيّم المسجد يشعل قناديل الأقصى فقال: لا تعجب، فإن الكل خلقوا من نوره ﷺ فخررت مغشياً عليّ، فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيّم فلم أجده إلى يومي هذا، ومن هنا قال صاحب البردة:

فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف بالله سيدي الشيخ إسماعيل حقي(*) صاحب تفسير روح البيان الذي أتم تأليفه سنة 1117هـ

فمن جواهره رضي الله عنه

[تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ [المائدة: 15]]

قوله في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦﴾ [المائدة: 15-16].

اعلم أن الله تعالى بعث النبي ﷺ نوراً يبين حقيقة حظ الإنسان من الله تعالى، وأنه تعالى سمّى نفسه نوراً بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: 35] لأنهما كانتا مخفيتين في ظلمة العدم، فالله تعالى أظهرهما بالإيجاد، وسمى الرسول نوراً، لأن أول شيء أظهره الحق بنور قدرته من ظلمة العدم كان نور محمد ﷺ، كما قال: «**أول ما خلق الله نوري**»(1)، ثم خلق العالم بما فيه من نوره بعضه من

(*) هو إسماعيل حقي بن مصطفى الاسلامبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء: متصوف مفسر. تركي مستعرب. ولد في آيدوس Aidosوسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) فنفي إلى تكفور طاغ، وأوذي. وعاد إلى بروسة فمات فيها سنة (1127هـ = 1715م) وهو مجهول تاريخ الولادة.
له كتب عربية وتركية. فمن العربية (روح البيان في تفسير القرآن) أربعة أجزاء، يعرف بتفسير حقي، و(الرسالة الخليلية ـ ط) تصوف، و(الأربعون حديثاً)، وكتاب سماه، هو أو ناسخه (الفروقات) في مجلد واحد، ابتدأه بالكلام على قواعد الكتابة العربية، ثم جعله معجماً مرتباً على الحروف، في موضوعات مختلفة، وأتى بعده بباب عنوانه (الفوائد) وختمه بباب في (الفروق من فنون شتى) انظر (الأعلام للزركلي ـ (1/ 313)).

(1) أورده علي القاري في مرقاة المفاتيح، الفصل الثاني [1/ 270] وأورده الحلبي في السيرة الحلبية [1/ 240].

بعض، فلما ظهرت الموجودات من وجود نوره سماه نوراً، وكل ما كان أقرب إلى الاختراع كان أولى باسم النور، وعالم الأرواح أقرب إلى الاختراع من عالم الأجساد. فلذلك عالم الأنوار والعلويات نورانياً، بالنسبة إلى السفليات، فأقرب الموجودات إلى الاختراع ما كان من نور النبي عليه الصلاة والسلام وكان أولى باسم النور، ولهذا كان يقول أنا من الله والمؤمنون مني، وقال تعالى: ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: 1] وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، وكان يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه**»[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺأنه قال: «**لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط**»[2] . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد أن تغفر لي. فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ، وقد غفرت لك، ولولا محمد لما خلقتك**». رواه البيهقي في دلائله.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي أيضاً

[تفسير ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: 157]]

قوله رضي الله عنه في تفسير سورة الأعراف عند قوله تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(2) أورده السيوطي في الدر المنثور، تفسير سورة التوبة، آية 128 [1/ 58] وعزاه إلى ابن أبي عمر العدني عن ابن عباس، وفيه عبارة أن قريشاً كانت نوراً، وأورده القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة [1/ 58] وأورد الحديث غيرهما.

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (157)﴾ [الأعراف: 156-157].

فقد علم أن اتباع القرآن، وتعظيم النبي ﷺ بعد الإيمان، سبب للفوز والفلاح عند الرحمن، ونصرته ﷺ على العموم والخصوص، فالعموم: للعامة من أهل الشريعة، والخصوص: للخاصة من أرباب الطريقة، وأصحاب الحقيقة، وهم الواصلون إلى كمال أنوار الإيمان وأسرار التوحيد بالإخلاص والاختصاص.

واعلم أن المقصود الإلٰهي من ترتيب سلسلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو وجود محمد ﷺ، فوجود الأنبياء قبله كالمقدمة لوجوده الشريف ﷺ، فهو الخلاصة والنتيجة والزبدة، وأشرف الأنبياء والمرسلين كما قال ﷺ: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وتربتها طهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون**»(1).

وكذلك المقصود من الكتب الإلٰهية السالفة هو القرآن الذي أنزل على النبي عليه الصلاة والسلام، فهو زبدة الكتب الإلٰهية وأعظمها ومصدق لما بين يديه، لأنه بلفظه قد أعجز البلغاء أن يأتوا بسورة من مثله وبمعناه جامع لما في الكتب السالفة من الأحكام والآداب والفضائل. متضمن للحجج والبراهين والدلائل. وكذا المقصود من الأمم السالفة هو هذه الأمة المرحومة، أعني أمة محمد ﷺ، فهي كالنتيجة لما قبلها، وهي الأمة الوسط كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143].

ثم أثنى رضي الله عنه على الدولة العلية العثمانية نصر الله بها الدين، وأعز بها المسلمين، وأدامها موفقة للخيرات إلى يوم الدين ثم قال عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158] الخطاب عام وكان رسول الله ﷺ مبعوثاً إلى الكافة من الثقلين إلى من وجد في عصره، وإلى من سيوجد بعده إلى يوم القيامة بخلاف سائر الرسل، فإنهم بعثوا إلى أقوامهم أهل عصرهم، ولم تستمر شرائعهم إلى يوم القيامة.

قال الحدادي [شارحاً الآية]: إني رسول الله إليكم كافة أدعوكم إلى طاعة الله وتوحيده واتباعي فيما أؤديه إليكم.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

وفي «آكام المرجان» لم يخالف أحد من طوائف المسلمين، في أن الله تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الجن والإنس والعرب والعجم فإن قلت: في بعثة سليمان عليه السلام مشاركة له ﷺ لأنه أيضاً كان مبعوثاً إلى الإنس والجن وحاكماً عليهما بل على جميع الحيوانات، قلت: إن سليمان لم يبعث إلى الجن بالرسالة بل بالملك، والضبط والسياسة والسلطنة، لأنه عليه السلام استخدمهم وقضى بينهم بالحق، وما دعاهم إلى دينه لأن الشياطين والعفاريت كانوا يقومون في خدمته وينقادون له مع أنهم على كفرهم وطغيانهم، ثم قال عند قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]. قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول ﷺ، واتبع سنته، ولزم طريقته، لأن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه وعلى المقتفين أثره والمتبعين سنته ﷺ.

ثم قال: فإذا اتبعت فاتبع سيد المرسلين محمداً ﷺ الذي آدم ومن دونه من الأنبياء والأولياء تحت لوائه فإذا اتبعت واحداً من أمته فلا تتبعه لمجرد كونه رجلاً مشهوراً بين الناس مقبولاً عند الأمراء والسلاطين، بل الواجب عليك أن تعرف أولاً الحق، ثم تزن الرجال به وفيه.

قال باب العلم الرباني علي رضي الله عنه: من عرف الحق بالرجال حار في تيه الضلال. بل اعرف الحق تعرف أهله، وبقدر متابعتك للنبي ﷺ تستحكم مناسبتك به وتتأكد علاقة المحبة بينك وبينه وبكل ما يتعلق به ﷺ من الصلاة عليه، أو زيارة قبره، أو جواب المؤذن، والدعاء له عقيبه، فإذا فعلت ذلك، كنت مستحقاً لشفاعته ﷺ.

قالوا: لو وضع شعر رسول الله ﷺ، أو عصاه، أو سوطه على قبر عاصٍ لنجا ذلك العاصي ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإن كانت في دار إنسان، أو بلدة لا يصيب سكانها بلاء ببركاتها، وإن لم يشعروا بها ومن هذا القبيل ماء زمزم، والكفن المبلول به، وبطانة أستار الكعبة والتكفن بها.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وإذا أردت مثالاً من خارج، فاعلم أن كل من أطاع سلطاناً وعظمه، فإذا دخل بلدته ورأى فيها سهماً من جعبة أو سوطاً له، فإنه يعظم تلك البلدة وأهلها فالملائكة يعظمون النبي ﷺ، فإذا رأوا ذخائره في دار أو بلدة أو قبر عظموا صاحبه وخففوا عنه العذاب.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللّه عنه

[تفسير ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال: 33]]

قوله في تفسير سورة الأنفال عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾ [الأنفال: 33]: تعظيم للنبي ﷺ وحفظ لحرمته، وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، والرحمة والعذاب ضدان، والضدان لا يجتمعان، قيل: إن الرسول عليه الصلاة والسلام هو الأمان الأعظم ما عاش، ودامت سنته باقية، والآية دليل على شرفه عليه الصلاة والسلام واحترامه عند الله تعالى حيث جعله سبباً لأمان العباد، وعدم نزول العذاب. وفي ذلك إيماء إلى أن الله تعالى يرفع عذاب قوم لاقترانهم بأهل الصلاح والتقى.

قال حضرة الشيخ الشهير بأفتاده قدس سره: جميع الانتظام بوجوده الشريف ﷺ فإنه مظهر الذات وطلسم العوالم حتى قيل في وجه عدم ارتحال جسده الشريف من الدنيا مع أن عيسى عليه الصلاة والسلام قد عرج إلى السماء بجسده: إنه إنما بقي جسمه الطاهر ﷺ هنا لإصلاح عالم الأجساد وانتظامه.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللّه عنه أيضاً

[تفسير ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: 72]]

قوله في تفسير سورة الحجر عند قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: 72]: قسم من الله تعالى بحياة النبي ﷺ وهو المشهور وعليه الجمهور. عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله تعالى نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد غيره ﷺ.

وفي «التأويلات النجمية»: هذه مرتبة ما نالها أحد من العالمين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ من الأزل إلى الأبد وهو أنه تعالى أقسم بحياته ﷺ. ثم قال: وقد أقسم الله تعالى بالنبي ﷺ في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ﴾ ليعرف الناس عظمته عند الله تعالى ومكانته لديه عز وجل.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللّه عنه أيضاً

[تفسير أول سورة الإسراء]

قوله في تفسير سورة الإسراء عند قوله تعالى: ﴿۞ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا

مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسرَاء: 1]: قال الشيخ الأكبر قدس سره: إن معاريجه عليه الصلاة والسلام أربعة وثلاثون، منها: مرة واحدة بجسده، والباقي: بروحه رؤيا رآها، أي قبل النبوة وبعدها، وكان الإسراء الذي حصل له ﷺ قبل أن يوحى إليه توطئة له وتيسيراً عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة، والذي يدل على أنه ﷺ عرج مرة بروحه وجسده معاً.

قوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: 1] ، فإن العبد اسم للروح والجسد جميعاً، وأيضاً: إن البراق الذي هو من جنس الدواب، إنما يحمل الأجساد وأيضاً لو كان بالروح حال المنام أو حال الفناء أو الانسلاخ لما استبعده المنكرون، وقد ذكروا أن جبريل عليه السلام أخذ طينة النبي ﷺ فعجنها بمياه الجنة وغسلها من كل كثافة، وكدورة، فكأن جسده الطاهر كان من العالم العلوي كروحه الشريف، وكان الإسراء ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الإثنين وعليه عمل الناس قالوا: إنه ﷺ ولد يوم الإثنين، وبعث يوم الإثنين، وأسري به ليلة الإثنين، وخرج من مكة يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، ومات ﷺ يوم الإثنين.

ثم قال عند قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسرَاء: 1] : غاية للإسراء، وإشارة إلى أن الحكمة في الإسراء به ﷺ إراءة آيات مخصوصة بذاته تعالى التي ما شرف بإراءتها أحداً من الأولين والآخرين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ، فإنه تبارك وتعالى أرى خليله عليه السلام وهو أعز الخلق عليه بعد حبيبه ﷺ الملكوت، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعَام: 75]. وأرى حبيبه آيات ربوبيته الكبرى كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النّجم: 18] ليكون من المحبين المحبوبين ف «من» تبعيضية، لأن ما أراه الله تعالى في تلك الليلة، إنما هو بعض آياته العظمى، وإضافة الآيات إلى نفسه تعالى على سبيل التعظيم لها، لأن المضاف إلى العظيم عظيم.

قال في أسئلة الحكيم: أما الآيات الكبرى فمنها في الآفاق ما ذكره ﷺ من النجوم والسموات والمعارج العلى، والرفرف الأدنى، وصرير الأقلام، وشهود الألواح، وما غشى الله سدرة المنتهى، من الأنوار وانتهاء الأرواح، والعلوم والأعمال إليها، ومقام قاب قوسين من آيات الآفاق، إلى أن قال فما نقل عبده من

مكان إلى مكان إلا ليريه من آياته التي غابت عنه كأنه تعالى قال: ما أسريت به إلا لرؤية الآيات، لا إليّ فإني لا يحدني مكان ولا يقيدني زمان. ونسبة الأمكنة والأزمنة إليّ نسبة واحدة وأنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن، فكيف أسري به إليَّ وأنا عنده، ومعه أينما كان، نزولاً وعروجاً واستواءً.

وقد ساق رضي الله عنه قصة الإسراء والمعراج بطولها مع فوائد جمّة في أكثر من عشرة أوراق بالقطع الكبير والخط الدقيق.

قال رضي الله عنه: ومن كان مؤمناً لا ينكر المعراج، ولكن وقوع السير المذكور في مقدار ذلك الزمن اليسير يشكل عند العقل بحسب الظاهر، وأما عند التحقيق فلا إشكال ألا يرى أن في الوجود الإنساني شيئاً لطيفاً، أعني القلب يسير من المشرق إلى المغرب، بل في جميع العوالم في آن واحد، وهو بديهي لا ينكر من له أدنى تمييز حتى البله والصبيان، أفلا يجوز أن تحصل تلك اللطافة لوجود النبي ﷺ بقدرة الله تعالى فوقع ما وقع منه في الزمن اليسير.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللّه عنه أيضاً

[تفسير ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]]

قوله في تفسير سورة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]: فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين، ومن أعرض عنه ﷺ واستكبر فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه فلا يرحم.

قال بعضهم: جاء رحمة للكفار أيضاً من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه، وآمنوا به عذاب الاستئصال والخسف والمسخ.

ورد في الخبر أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام: «**إن الله تعالى يقول:** ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] فهل أصابك من هذه الرحمة شيء»؟ قال: نعم، إني كنت أخشى عاقبة الأمر فآمنت بك لثناء الله تعالى عليَّ بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التّكوير: 20-21].

وقال بعض الكبار: وما أرسلناك إلا رحمة مطلقة، تامة كاملة، شاملة، عامة، جامعة محيطة، بجميع المقيدات من الرحمة الغيبية والشهادة العلمية، والعينية، والوجودية، والشهودية، والسابقة، واللاحقة، وغير ذلك للعالمين، جمع عالم من

ذوي العقول وغيرهم من عالم الأرواح والأجسام، ومن كان رحمة للعالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين.

وفي التأويلات النجمية في سورة مريم بين قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾ [مريم: 21] في حق عيسى عليه السلام، وبين قوله تعالى في حق نبينا ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] فرق عظيم وهو أنه تعالى ذكر في حق عيسى عليه السلام الرحمة مقيدة بحرف من، ومن للتبعيض، فبهذا كان رحمة لمن آمن به واتبع ما جاء به إلى أن بعث نبينا ﷺ، ثم انقطعت الرحمة من أمته بنسخ دينه، وفي حق نبينا ﷺ ذكر تعالى الرحمة للعالمين، فلهذا لا تنقطع الرحمة عن العالمين أبداً، أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه، وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته، حتى إبراهيم عليه السلام، فافهم جداً.

قال في «عرائس البقلي»: أيها الفهيم، إن الله أخبرنا أن نور محمد ﷺ أول ما خلقه، ثم خلق جميع الخلائق من العرش، إلى الثرى من بعض نوره فأرسله ﷺ إلى الوجود رحمة لكل موجود، إذ الجميع صدر منه، فكونه كوّن الخلق، وكونه سبب وجود الخلق، وسبب رحمة الله على جميع الخلائق فهو رحمة كافية، وافهم أن جميع الخلائق صورة مخلوقة مطروحة في فضاء القدرة بلا روح، حقيقة منتظرة لقدوم محمد ﷺ، فإذا أقدم إلى العالم صار العالم حياً بوجوده، لأنه روح جميع الخلائق، ويا عاقل إن من العرش إلى الثرى، لم يخرج من العدم إلا ناقصاً من حيث الوقوف على أسرار قدمه تعالى بنعت كمال المعرفة والعلم، فصاروا عاجزين عن البلوغ إلى شط بحار الألوهية وسواحل قاموس الكبريائية، فجاء محمد ﷺ إكسير أجساد العالم، وروح أشباحه بحقائق علوم الأزلية وأوضح سبيل الحق للخلق بحيث جعل سفر الآزال والآباد للجميع خطوة واحدة، فإذا قدم من الحضرة إلى سفر القربة بلغهم جميعاً بخطوة من خطوات صحارى ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] حتى وصل إلى مقام أو أدنى، فغفر الحق لجميع الخلائق بمقدمه المبارك.

قال بعض العلماء: إن كل نبي كان مقدمة للعقوبة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: 15]. ونبينا ﷺ كان مقدمة للرحمة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]. وأراد الله تعالى أن يكون خاتمة

على الرحمة، لا على العقوبة لقوله تعالى: ﴿**سبقت رحمتي غضبي**﴾[1].

ولهذا جعلنا آخر الأمم. فابتداء الوجود رحمة، وآخره وخاتمته رحمة. واعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة الأحمدية من كُمون الحضرة الأحدية، فميزه بميم الإمكان وجعله رحمة للعالمين وشرَّف به نوع الإنسان، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، ثم بدا ما بدا في عالم الأجساد والأشباح، كما قال ﷺ: «**أنا من الله تعالى والمؤمنون من فيض نوري**»[2]، فهو ﷺ الغاية الجليلة من ترتيب مبادي الكائنات، كما قال تعالى: «**لولاك ما خلقت الأفلاك**»[3].

ثم ذكر أبياتاً بالفارسية للشيرازي في مدحه ﷺ، وقال في آخرها: ـ يعني ـ يكفيك شرفاً وفضلاً أن الله سبحانه إنما خلق وبعث الأنبياء والرسل ليكونوا مقدمة لظهورك في عالم الملك والشهادة فأرواحهم وأجسادهم تابعة لروحك الشريف وجسمك اللطيف، ثم اعلم أن حياته ﷺ رحمة، ومماته رحمة، كما قال ﷺ: «**حياتي خير لكم ومماتي خير لكم**»[4]. قالوا: هذا خيرنا في حياتك، فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «**تعرض علي أعمالكم كل عشية الاثنين والخميس فما كان من خير حمدت الله تعالى وما كان من شر استغفرت الله لكم**»[5].

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللّه عنه

[تفسير ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزَاب: 6]]

قوله في تفسير سورة الأحزاب عند قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزَاب: 6]: روي أنه ﷺ أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال الناس: نشاور آباءنا وأمهاتنا فنزلت، والمعنى: النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في كل أمر من

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾، حديث رقم (7114) [6/ 2745] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (7297) [2/ 242].

(2) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه.

(3) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه.

(4) أورده السيوطي في جامع المسانيد والمراسيل وعزاه إلى ابن النجار عن أنس بن مالك، حديث رقم (13424) [1/ 2278]. وأورده المتقي الهندي في كنز العمال عن أنس برقم (31904) [1/ 62].

(5) رواه البزار في المسند، عن زاذان عن عبد الله برقم (1925) [5/ 308] ورواه الحارث في المسند، باب حياته ووفاته ﷺ، حديث رقم (953) [2/ 884] ورواه غيرهما.

أمور الدين والدنيا كما يشهد به الإطلاق على معنى أنه ﷺ لو دعاهم إلى شيء ودعتهم نفوسهم، إلى شيء آخر، كان النبي ﷺ أولى بالإجابة إلى ما يدعوهم إليه من إجابة ما تدعوهم إليه نفوسهم لأن النبي ﷺ لا يدعوهم إلا ما فيه نجاتهم وفوزهم، وأما نفوسهم فربما تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم وبوارهم، كما قال تعالى حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: 53] . فيجب أن يكون ﷺ أحب إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها، وآثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقوى من شفقتهم عليها، وأن يبذلوها دونه، ويجعلوها فداءه ﷺ في الخطوب والحروب، ويتبعوه في كل ما دعاهم إليه، وفي الحديث: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وماله والناس أجمعين**»[1] .

قال سهل قدس سره: من لم ير نفسه في ملك الرسول ﷺ ولم ير ولايته عليه في جميع أحواله لم يذق حلاوة سنته بحال.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللَّه عنه

[تفسير ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزَاب: 45]]

قوله في تفسير سورة الأحزاب أيضاً عند قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزَاب: 45-46]: اعلم أن الله تعالى شبَّه نبينا ﷺ بالسراج لوجوه:

منها: أنه يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهداية كما يهتدى بالسراج المنير في الظلام إلى سمت المرام.

ومنها: أن السراج الواحد يوقد منه ألف سراج ولا ينقص من نوره شيء، وقد اتفق أهل الظاهر والشهود على أن الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور محمد ﷺ، ولم ينقص من نوره شيء، وهذا كما روي أن موسى عليه السلام قال: يا رب، أريد أن أعرف خزائنك. فقال له: اجعل على باب خيمتك ناراً يأخذ كل انسان سراجاً من نارك. ففعل، فقال: هل نقص من نارك شيء؟ قال: لا، يا رب، قال: فكذلك خزائني. وأيضاً علوم الشريعة وفوائد الطريقة وأنوار المعرفة، وأسرار الحقيقة قد

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب حب الرسول ﷺ. . ، حديث رقم (14) [1/ 14] ورواه في باب علامات النبوة. . ، حديث رقم (3394) ورواه مسلم في صحيحه، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، حديث رقم (44) [1/ 67] ورواه غيره.

ظهرت في علماء أمته ﷺ وهي بحارها في نفسه عليه الصلاة والسلام. ألا ترى أن نور القمر مستفاد من الشمس ونور الشمس بحاله، وفي القصيدة البردية.

فإنهُ شمسُ فَضْلٍ هُمْ كواكِبُها يُظْهِرْنَ أَنوارَها للناس في الظُّلم

أي أن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام شمس من فضل الله تعالى طلعت على العالمين والأنبياء كواكبها يظهرن الأنوار المستفادة منها، وهي العلوم والحكم في عالم الشهادة عند غيبتها ويختفين عند ظهور سلطان الشمس فينسخ دينه سائر الأديان وفيه إشارة إلى أن المقتبس من نور القمر كالمقتبس من نور الشمس.

ومنها: أنه عليه الصلاة والسلام يضيء من جميع الجهات الكونية إلى جميع العوالم كما أن السراج يضيء من كل جانب وأيضاً يضيء لأمته كلهم كالسراج لجميع الجهات، إلا من عمي مثل أبي جهل ومن تبعه على صفته، فإنه لا يستضيء بنوره ولا يراه حقيقة كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 198].

حكي، أن السلطان محمود الغزنوي دخل على الشيخ أبي الحسن الخرقاني قدس سره، وجلس ساعة، ثم قال: يا شيخ، ما تقول في حق أبي يزيد البسطامي؟ فقال الشيخ: هو رجل من رآه اهتدى. فقال السلطان: وكيف ذلك وإن أبا جهل رأى رسول ﷺ ولم يخلص من الضلالة! قال الشيخ في جوابه: إنه ما رأى رسول الله، وإنما رأى محمد بن عبد الله يتيم أبي طالب، حتى لو كان رأى رسول الله لدخل في السعادة. أي لو رآه ﷺ من حيث إنه رسول معلم هادٍ لا من حيث إنه بشر يتيم.

ومنها: أنه ﷺ عرج به من العالم السفلي إلى العالم العلوي ومن الملك إلى الملكوت، ومن الملكوت إلى الجبروت والعظموت، ووصل بجذبة أدن مني إلى مقام قاب قوسين، وقربه إلى أو أدنى إلى أن نوّر سراج قلبه بنور الله بلا واسطة ملك أو نبي ومن هنا قال: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب، ولا نبي مرسل**»(1)، لأنه كان في مقام الوحدة فلا يصل إليه أحد إلا على قدمَيّ الفناء عن نفسه، والبقاء بربه فناء بالكلية، وبقاء بالكلية، بحيث لا تبقى نار نور الإلٰهية من حطب وجوده قدر ما يصعد منه دخان، نفسي نفسي وما بلغ كمال هذه الرتبة إلا نبينا ﷺ فإنه من بين سائر الأنبياء يقول: أمتي أمتي، وحسبك في هذا حديث المعراج، حيث إنه ﷺ وجد في كل سماء نفراً من الأنبياء إلى أن بلغ السماء السابعة

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2159) [2/ 226].

ووجد هناك إبراهيم عليه السلام مستنداً إلى سدرة المنتهى، فعبر عنه مع جبريل إلى أقصى السدرة وبقي جبريل في السدرة، فأدلى إليه الرفرف، فركب عليه، فأداه إلى قاب قوسين أو أدنى فهو الذي جعله الله نوراً فأرسله إلى الخلق، وقال: قد جاءكم من الله نور، فأذن له أن يدعو الخلق إلى الله بطريق متابعته فإنه من يطع الرسول حق إطاعته فقد أطاع الله، والذين يبايعونه إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم فإن يده فانية في يد الله، باقية بها، وكذلك جميع صفاته تفهم إن شاء الله وينتفع بها.

ووصفه تعالى بالإنارة حيث قال: «**منيراً**» لزيادة نوره وكماله فيه فإن بعض السرج له فتور لا ينير.

وقال بعضهم: المراد بالسراج: الشمس وبالمنير: القمر، جمع له الوصف بين الشمس والقمر دل على ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: 61]. وإنما حمل على ذلك لأن نور الشمس والقمر أتم من نور السراج ويقال: سماه سراجاً ولم يسمه شمساً ولا قمراً ولا كوكباً، لأنه لا يوجد يوم القيامة، لا شمس ولا قمر ولا كوكب، ولأن الشمس والقمر لا ينقلان من موضع إلى موضع بخلاف السراج. ألا ترى أن الله تعالى نقله ﷺ من مكة إلى المدينة.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي أيضاً

[تفسير ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبإ: 28]]

قوله رضي الله عنه في تفسير سورة سبأ عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبإ: 28] دلت الآية على عموم رسالته وشمول بعثته ﷺ، وفي الحديث: «**فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم**»[1]، وهي ما يكون ألفاظه قليلة ومعانيه كثيرة.

«**ونصرت بالرعب**»[1]: يعني نصرني الله بإلقاء الخوف في قلوب أعدائي من مسيرة شهر بيني وبينهم، وجعل الغاية شهراً لأنه لم يكن بين بلده ﷺ وبين أحد من أعدائه المحاربين له أكثر من شهر.

«**وأحلت لي الغنائم**»[1]: يعني أن من قبله من الأمم كانوا إذا غنموا الحيوانات

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

تكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء، فخص نبينا ﷺ بأخذ الخمس والصفى، وإذا غنموا غيرها من الأمتعة والأطعمة والأموال جمعوه، فتجيء نار بيضاء من السماء فتحرقه حيث لا غلول، وخص هذه الأمة المرحومة بالقسمة بينهم كأكل لحم القربان فإن الله أحله لهم زيادة في أرزاقهم ولم يحله لمن قبلهم من الأمم.

«**وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً**»: يعني أباح الله لأمتي الصلاة حيث كانوا تخفيفاً لهم وأباح التيمم بالتراب عند فقد الماء، ولم يبح الصلاة للأمم الماضية إلا في كنائسهم، ولم يجز التطهر لهم إلا بالماء. «**وأرسلت إلى الخلق كافة**» أي في زمنه، وغيره ممن تقدم أو تأخر، بخلاف رسالة نوح عليه السلام، فإنها وإن كانت عامة لجميع أهل الأرض لكنها خصت بزمانه، قال في «إنسان العيون»: والخلق يشمل الإنس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر.

قال الجلال السيوطي: وهذا القول أي إرساله ﷺ للملائكة رجحته في كتاب الخصائص، وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي وزاد أنه مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى قيام الساعة ورجحه أيضاً البارذي، وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، وزيد على ذلك أنه مرسل إلى نفسه، وذهب جمع إلى أنه ﷺ لم يرسل للملائكة، منهم الحافظ العراقي، والجلال المحلي، وحكى الفخر الرازي في تفسيره والبرهان النسفي فيه الإجماع فيكون قوله ﷺ: أرسلت إلى الخلق كافة. وقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] من العام المخصوص ولا يشكل عليه حديث سلمان رضي الله عنه: إذا كان الرجل في أرض وأقام الصلاة صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده. لأنه يجوز أن لا يكون ذلك صادراً عن بعثته إليهم.

قال رضي الله عنه بعدما ذكر: يقول الفقير دل كونه ﷺ أفضل المخلوقات على عموم بعثته لجميع الموجودات، ولذا بشر بمولده أهل الأرض والسماء، وسلموا عليه حتى الجماد بفصيح الأداء فهو ﷺ رحمة للعالمين، ورسول إلى الخلق أجمعين وختم به ﷺ النبيون أي فلا نبي بعده لا مشرعاً ولا تابعاً، كما بيَّن في سورة الأحزاب.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن إرسال ماهية وجودك التي عبرت عنها مرة بنوري وتارة بروحي من كتم العدم إلى عالم الوجود، لم تكن منا إلا لتكون بشيراً ونذيراً للناس كافة من الأولين والآخرين، والأنبياء والمرسلين، وإن لم

يخلقوا بعد لاحتياجهم لك من بدء الوجود في هذا الشأن وغيره إلى الأبد كما قال ﷺ: «**الناس محتاجون إلى شفاعتي حتى أبي إبراهيم**»(1).

فأما في بدء وجودهم فالأرواح لما حصلت في عالم الأرواح بإشارة «كن» تابعة لروحك، احتاجت إلى أن تكون لها بشيراً ونذيراً لتعلقها بالأجسام، لأنها علوية بالطبع لطيفة نورانية، والأجسام سفلية بالطبع، كثيفة ظلمانية لا تتعلق بها، ولا تميل إليها لمضادة بينهما، فتحتاج إلى بشير يبشرها بحصول كمال لها عند الاتصال بها لترغب إليها وتحتاج إلى نذير ينذرها بأنها إن لم تتعلق بالأجسام تحرم من كمالها وتبقى ناقصة غير كاملة، كمثل حبة فيها شجرة مركوزة بالقوة، فإن تزرع وترب بالماء تخرج الشجرة من القوة إلى الفعل إلى أن تبلغ كمال شجرة مثمرة فالروح بمثابة الأكار المربى، فبعد تعلق الروح بالقالب واطمئنانه واتصافه بصفته يحتاج إلى بشير بحسب مقامه يبشره بنعيم الجنة وملك لا يبلى، ثم يبشره بقرب الحق تعالى ويشوقه إلى جماله ويعد بوصله، ونذير ينذره أولاً بنار جهنم، ثم بوعده بالبعد عن الحق ثم بالقطيعة والهجران، وإذا أمعنت النظر، وجدت شجرة الموجودات منبتة من بذر روحه ﷺ، وهو ثمرة هذه الشجرة من جميع الأنبياء والمرسلين، وهم وإن كانوا ثمرة هذه الشجرة أيضاً ولكن وجدوا هذه المرتبة بتبعيته ﷺ، كما أنه من بذر واحد يظهر على الشجرة ثمار كثيرة بتبعية ذلك البذر الواحد فيجد كل بشير ونذير فرعاً لأصل بشريته ونذيرته، والذي يدل على هذا التحقيق قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبيَاء: 107] دخلت شجرات الموجودات كلها تحت الخطاب وبقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعرَاف: 187]: يشير إلى أن أكثر الناس الذين هم أجزاء وجود الشجرة وما وصلوا إلى رتبة الثمرية لا يعلمون حقيقة ما قررنا، لأن أحوال الثمرة ليست معلومة للشجرة إلا لثمرة مثلها في وصفها لتكون واقفة بحالها.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي أيضاً

[تفسير معنى لفظ يٓس]

قوله في تفسير سورة يٓس: وعن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول كثير منهم

(1) رواه بنحوه أبو نعيم في المسند المستخرج على صحيح مسلم، باب إن القرآن نزل على سبعة أحرف، حديث رقم (1855) [2/ 414] وفيه عبارة [يوم يرغب إليَّ فيه الخلق حتى أبي إبراهيم عليه السلام] بل العبارة الواردة في النص أعلاه.

أن معنى يّس: يا إنسان في لغة طيء، على أن المراد به رسول لله، ثم قال: وذهب قوم إلى أن الله تعالى لم يجعل لأحد سبيلاً إلى إدراك معاني الحروف المقطعة في أوائل السور، وقالوا: إن الله تعالى متفرد بعلمها ونحن نؤمن بأنها من جملة القرآن العظيم ونكل علمها إليه تعالى ونقرؤها تعبداً وامتثالاً لأمر الله، وتعظيماً لكلامه، وإن لم نفهم منها ما نفهمه من سائر الآيات.

قال الشيخ ابن نور الدين في بعض وارداته: سألت رسول الله ﷺ عن أسرار المتشابهات من الحروف فقال: «**هي من أسرار المحبة بيني وبين الله تعالى**»، فقلت: هل يعرفها أحد؟ فقال ﷺ: «**ولا يعرفها جدي إبراهيم عليه السلام، هي من أسرار الله تعالى التي لا يطّلع عليها نبي مرسل، ولا ملك مقرب**». ويؤيده ما في الأخبار: «**أن جبريل عليه السلام نزل بقوله تعالى: كهيعص، فلما قال:** «**كاف**»: **قال النبي** ﷺ «**علمت**». فقال: ها فقال ﷺ: «**علمت**» فقال: عين. فقال: «**علمت**». فقال: «صاد» فقال: «**علمت**». فقال جبريل: «**كيف علمت ما لم أعلم**».

قال الشيخ إسماعيل حقي رضي الله عنه بعد ما ذكر: يقول الفقير لاشك أنه ﷺ وصل إلى مقام في الكمال لم يصل إليه أحد من كمل الأفراد، فضلاً عن الغير ويدل عليه عبوره ﷺ ليلة المعراج جميع المواطن والمقامات، فلهذا جاز أن يقال: لم يعرف أحد من الثقلين والملائكة ما عرفه النبي عليه الصلاة والسلام، فإن علوم الكل بالنسبة إلى علمه كقطرة من البحر، فله ﷺ علم حقائق الحروف بما لا مزيد عليه بالنسبة إلى ما في حد البشر، وأما غيره ﷺ فلهم علم لوازمها، وبعض حقائقها بحسب استعداداتهم وقابلياتهم. ثم قال ولم يقسم الله لأحد من أنبيائه على رسالته في كتابه إلا له ﷺ.

قال في إنسان العيون من خصائصه عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى أقسم على رسالته بقوله: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ [يس: 1-3].

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللّه عنه أيضاً

[تفسير ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة: 33]]

قوله في تفسير سورة الفتح عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: 28-29] قال

في تلقيح الأذهان: أَعلم الله سبحانه محمداً عليه الصلاة والسلام أنه خلق الموجودات كلها من أجله، أي من أجل ظهوره، أي من أجل تجليه به، حتى قال: «**ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله غير عاصي الإنس والجن**»(1).

وقال الشيخ الشهير بأفثاده قدس سره: لما تجلى الله وجد جميع الأرواح فوجد أولاً نبينا ﷺ ثم سائر الأرواح فلقن التوحيد فقال: لا إله إلا الله فكرمه الله بقوله محمد رسول الله، فأعطي الرسالة في ذلك الوقت، ولذا قال ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»(2) انتهى. قال رضي الله عنه ومعنى الحديث أنه ﷺ كان نبياً بالفعل عالماً بنوبته، وغيره من الأنبياء ما كان نبياً بالفعل ولا عالماً بنبوته إلا حين بعث، بعد وجوده ببدنه العنصري، واستكمال شرائط النبوة، فكل من بدا بعد وجود المصطفى ﷺ فهم نوابه وخلفاؤه مقدمين كالأنبياء والرسل، أو مؤخرين كأولياء الله الكمل، قال ﷺ «**أنا من نور الله، والمؤمنون من فيض نوري**»(3)، فهو الجنس العالي والمقدم وما عداه التالي والمؤخر، كما قال: «**كنت أولهم خلقاً وآخرهم بعثاً**»(4)، فرسول الله ﷺ هو الذي لا يساويه رسول، لأنه رسول إلى جميع الخلق، من أدرك زمانه بالفعل في الدنيا، ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه.

وقد أخذ على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه وأخذه الأنبياء على أممهم. وفي الحديث «**أنا محمد وأحمد**»(5) ومعنى محمد كثير الحمد، فإن أهل

---

(1) رواه عبد بن حميد في المسند عن جابر برقم (1122) [1/ 337] ونصه كاملاً: عن جابر قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من سفر حتى دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شد عليه فذكروا ذلك للنبي ﷺ فأتاه فدعاه فجاء واضعاً مشفره في الأرض حتى برك بين يديه فقال: هاتوا خطاماً فخطمه ودفعه إلى صاحبه ثم التفت فقال: ما بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

(3) هذا الأثر سبقت إليه الإشارة.

(4) هذا الأثر لم أجده بلفظه وإنما ورد معناه بألفاظ أخرى سبقت الإشارة إليها.

(5) ونصه كاملاً: «عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب». رواه البخاري في صحيحه، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ. . ، حديث رقم (3339) [3/ 1299] ورواه مسلم برقم (2355) [4/ 1828] ورواه غيرهما.

السماء والأرض حمدوه. ومعنى أحمد أعظم حمداً من غيره، لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره، كما في «شرح المشارق» لابن الملك، واسمه في العرش أبو القاسم، وفي السموات أحمد، وفي الأرض محمد.

قال علي رضي الله عنه: ما اجتمع قوم في مشورة فلم يدخلوا فيها من اسمه محمد إلا لم يبارك لهم فيها.

وأشار ألف أحمد إلى كونه فاتحاً ومقدماً لأن مخرجه مبدأ المخارج، وأشار ميم محمد إلى كونه خاتماً ومؤخراً لأن مخرجه ختام المخارج، كما قال: «**نحن الآخرون السابقون**»[1]، وأشار الميم أيضاً إلى بعثته ﷺ عند الأربعين.

قال بعضهم: أكرم الله من الصبيان أربعة بأربعة أشياء يوسف عليه السلام بالوحي في الجب، ويحيى عليه السلام بالحكمة في الصباوة وعيسى عليه السلام بالنطق في المهد، وسليمان عليه السلام بالفهم، وأما نبينا ﷺ فله الفضيلة العظمى والآية الكبرى حيث إن الله أكرمه بالسجدة عند الولادة، والشهادة بأنه رسول الله وكل قول يقبل الاختلاف بين المسلمين إلا قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإنه غير قابل للاختلاف فمعناه متحقق وإن لم يتكلم به أحد.

وكذا أكرمه بشرح الصدر وختم النبوة، وخدمة الملائكة والحور عند ولادته ﷺ، وأكرمه بالنبوة في عالم الأرواح قبل الولادة وكفاه بذلك اختصاصاً وتفضيلاً، فلا بد للمؤمن من تعظيم شرعه وإحياء سنته والتقرب اليه بالصلوات وسائر القربات لينال عند الله الدرجات.

وكانت رابعة العدوية رحمها الله تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول ما أريد بها ثواباً ولكن ليسر بها رسول الله ﷺ ويقول للأنبياء: انظروا إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة. ومن تعظيمه عمل المولد إذا لم يكن فيه منكر.

قال الإمام السيوطي قدس سره: يستحب لنا إظهار الشكر لمولده عليه الصلاة والسلام. وقد اجتمع عند الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري رحمه الله في مدحه ﷺ.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في أبواب عدة منها: باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم (856) [1/ 305] ورواه مسلم في صحيحه، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم (855) [2/ 586] ورواه غيرهما.

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب   على ورق من خط أحسن من كتب
وإن تنهض الأشراف عند سماعه   قياماً صفوفاً أو جُثِياً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس عظيم بذلك المجلس، ويكفي ذلك في الاقتداء، وقد قال ابن حجر الهيثمي، إن البدعة الحسنة متفق على كذبها وعمل المولد، واجتماع الناس له كذلك أي بدعة حسنة.

قال السخاوي: لم يفعله أحد من القرون الثلاثة وإنما حدث بعد، ثم لازال أهل الإسلام من سائر الأقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر من بركاته عليهم كل فضل عظيم».

قال ابن الجوزي من خواصه: إنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، وأول من أحدثه من الملوك صاحب إربل، وصنف له ابن دحية رحمه الله كتاباً في المولد سماه «التنوير بمولد البشير النذير» فأجازه بألف دينار، وقد استخرج له الحافظ ابن حجر أصلاً من السنة وكذا الحافظ السيوطي.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي أيضاً

[تفسير ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣﴾ [النّجم: 13]]

قوله رضي الله عنه في تفسير سورة النجم عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ [النّجم: 13-14]: قال البقلي: ما الرؤية الثانية بأقل كشفاً من الرؤية الأولى، ولا الأولى بأكشف من رؤيته الثانية، أين أنت لو كنت أهلاً لقلت لك: إنه ﷺ رأى ربه في لحافه بعد أن رجع من الحضرة أيضاً في تلك الساعة وما غاب قلبه عن تلك الرؤية لمحة، وما ذكر سبحانه أن ما رأى في الأولى في اللامكان، وما رأى عند سدرة المنتهى، كان واحداً لأن ظهوره هناك ظهور القِدم والجلال، وليس ظهوره تعالى يتعلق بالمكان ولا الزمان، إذ القدم منزه عن المكان والجهات.

وكان العبد في المكان والرب في اللامكان وهذا غاية في كمال تنزيهه وعظيم لطفه، إذ تتجلى نفسه لقلب عبده وهو في اللامكان والعبد في مكان والعقل هٰهنا مضمحل والعلم متلاش لأن العقول عاجزة، والأوهام متحيرة، والقلوب والهة، والأرواح حائرة، والأسرار فانية، وفي هذه الآية بيان كمال شرف حبيبه ﷺ، إذ رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ظن ﷺ إن ما رآه في الأولى لا يكون في الكون لكمال علمه بتزيه الحق، فلما رآه ثانية علم أنه تعالى لا يحجبه شيء من الحادثات.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي اللَّه عنه أيضاً

[تفسير ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6]**]**

قوله في تفسير سورة الصف عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6] أي محمد ﷺ يريد أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً من تقدم وتأخر، فذكر أول الكتب المشهورة الذي يحكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم النبيين.

وعن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: أخبرنا يا رسول الله عن نفسك قال: «**أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي رؤيا حين حملتني أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى الشام**»(1)، وكذا بشر كل نبي قومه بنبينا محمد ﷺ والله تعالى أفرد عيسى عليه السلام بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبي قبل نبينا، فبين أن البشارة به ﷺ عمت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت إلى عيسى عليه الصلاة والسلام كما في كشف الأسرار.

وقال بعضهم كان بين رفع المسيح ومولد النبي ﷺ خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريباً، وعاش المسيح إلى أن رفع ثلاثاً وثلاثين سنة، وبين رفعه والهجرة الشريفة خمسمائة وثمان وتسعون سنة، ونزل عليه جبريل عليه السلام عشر مرات وأمته النصارى على اختلافهم، ونزل على نبينا ﷺ أربعة وعشرين ألف مرة وأمته أمة مرحومة جامعة لجميع الملكات الفاضلة.

قيل: قال الحواريون لعيسى: ياروح الله هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة محمد ﷺ حكماء علماء، أبرار أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء يرون من الله تعالى باليسير من الرزق، ويرى الله منهم باليسير من العمل. وأحمد اسم نبينا ﷺ.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في كتاب «تلقيح الأذهان»: سمي ﷺ من حيث تكرر حمده: محمداً. ومن حيث كونه حامل لواء الحمد: أحمد.

قال الراغب: أحمد إشارة للنبي ﷺ باسمه تنبيهاً على أنه كما وجد اسمه أحمد يوجد جسمه، وهو محمود في أخلاقه وأفعاله وأقواله ﷺ وخص لفظ أحمد فيما

---

(1) أورده المتقي الهندي في كنز العمال، الفصل الثاني في المعراج، حديث رقم (31835) [11/ 173] وعزاه إلى ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلاً.

بشر به عيسى عليه السلام تنبيهاً على أنه ﷺ أحمد منه ومن الذين قبله انتهى.

ويوافقه ما في كشف الأسرار من أن الألف فيه للمبالغة في الحمد، وله وجهان:

أحدهما: أنه مبالغة من المفعول أي الأنبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة، وهو ﷺ أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي يحمد بها انتهى.

قال ابن الشيخ في حواشيه: يحتمل أن يكون أحمد منقولاً من الفعل المضارع وأن يكون منقولاً من صفة، وهي أفعل التفضيل، وهو الظاهر، وكذا محمد فإنه منقول من الصفة أيضاً وهو في معنى محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فإنه ﷺ محمود في الدنيا بما هدي إليه ونفع به من العلم، والحكمة ومحمود في الآخرة بالشفاعة.

وقال الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام»: أحمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل وتلك الصفة افعل التي يراد بها التفضيل، فمعنى أحمد: أحمد الحامدين لربه عز وجل. وكذلك قال: هو ﷺ في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها، ولذلك يعقد لواء الحمد.

وأما محمد: فمنقول من صفة أيضاً وهو في معنى محمود، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار، فمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة، كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة، وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه، والله تعالى سماه به قبل أن يسمي به نفسه.

فهذا علم من أعلام نبوته إذ كان اسمه ﷺ صادقاً عليه فهو محمود في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة، وهو محمود في الآخرة بالشفاعة، فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم إنه ﷺ لم يكن محمداً حتى كان حمد ربه فنبأه وشرفه ولذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى عليه السلام، فقال: اسمه أحمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال: اللَّهم اجعلني من أمة أحمد. فبأحمد ذَكَره قبل أن يذكره بمحمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس.

فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد

التي يفتحها عليه فيكون أحمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته، فانظر كيف كان ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر، وفي الوجود في الدنيا، وفي الآخرة تلح لك الحكمة الالٰهية في تخصيصه ﷺ بهذين الاسمين، وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الأنبياء، وخص بلواء الحمد، وخص بالمقام المحمود، وانظر كيف شرع له سنة وقرآنا أن يقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّمَـر: 75] ، وقال أيضاً: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يُونس: 10] تنبيهاً لنا على أن الحمد مشروع عند انقضاء الأمور وسن ﷺ الحمد بعد الأكل والشرب، وقال عند انقضاء السفر: «**آيبون تائبون لربنا حامدون**»[1]، ثم انظر لكونه ﷺ خاتم الأنبياء، ومؤذناً بانفصال الرسالة وانقطاع الوحي، ونذيراً بقرب الساعة وتمام الدنيا، مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور مشروع عندها تجد معاني اسميه جميعاً، وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلاً لمعناه، مطابقاً لصفته، وفي ذكره برهان عظيم، وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته، وإنه قدم له هذه المقامات قبل وجوده تكرمة له وتصديقاً لأمره ﷺ. انتهى كلام السهيلي.

قال الشيخ إسماعيل حقي رضي الله عنه: قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في كتاب «مواقع النجوم»: ما انتظم من الوجود شيء بشيء، ولا انضاف منه شيء إلى شيء إلا لمناسبة بينهما ظاهرة أو باطنة، فالمناسبة موجودة في كل الأشياء حتى بين الاسم والمسمى.

ولقد أشار أبو زيد السهيلي وإن كان أجنبياً عن أهل هذه الطريقة، إلى هذا المقام في كتاب «المعارف والأعلام» له في اسم النبي ﷺ محمد وأحمد وتكلم على المناسبة التي بين أفعال النبي ﷺ وأخلاقه وبين معاني اسميه محمد وأحمد انتهى كلام الشيخ. أشار رضي الله عنه إلى ما قدمناه من كلام السهيلي.

وقال بعض العارفين سمي ﷺ بأحمد لكون حمده أتم وأشمل من حمد سائر

---

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يقول الرجل عند الركوب. .، حديث رقم (2695) [4126] ورواه أحمد في المسند، عن أنس بن مالك، حديث رقم (12992) [3/ 189] ورواه غيرهما.

الأنبياء والرسل إذ محامدهم لله إنما هي بمقتضى توحيد الصفات والأفعال، وحمده ﷺ إنما هو بحسب توحيد الذات المستوعب لتوحيد الصفات والأفعال انتهى.

قال في فتح الرحمن: لم يسم بأحمد أحد غيره ولا دعي به مدعو قبله، وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده، أي من الكهان والأحبار أن نبياً يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو وهم، محمد بن أُحَيْحَة بن الجُلَاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن البراء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمدان الجعفي، ومحمد بن خزاعة السلمي، فهم ستة لا سابع لهم. ثم حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ ولم ينازع فيهما.

واختلف في عدد أسماء النبي عليه الصلاة والسلام فقيل له ألف اسم. كما أن لله تعالى ألف اسم، وذلك لأنه ﷺ مظهر تام له تعالى، فكما أن أسماءه تعالى أسماء له عليه الصلاة والسلام من جهة الجمع فله ﷺ أسماء أخر من جهة الفرق على ما تقتضيه الحكمة في هذا الموطن.

فمن أسمائه: **محمد** أي كثير الحمد لأن أهل السماء والأرض حمدوه في الدنيا والآخرة.

ومنها: أحمد أي أعظم حمداً من غيره لأنه حمد الله تعالى بمحامد لم يحمده بها غيره.

ومنها المقفّي بتشديد الفاء وكسره، لأنه أتى عقيب الأنبياء وفي قفاهم وفي «التكملة» هو الذي قفى على أثر الأنبياء أي اتبع آثارهم.

ومنها: نبي التوبة لأنه كثير الاستغفار والرجوع إلى الله، أو لأن التوبة في أمته صارت أسهل. ألا ترى أن توبة عبدة العجل كانت بقتل النفس، أو لأن توبة أمته كانت أبلغ من غيرهم، حتى يكون التائب منهم كمن لا ذنب له لا يؤاخذ به في الدنيا، ولا في الآخرة، وغيرهم يؤاخذ في الدنيا لا في الآخرة.

ومنها: نبي الرحمة لأنه كان سبب الرحمة، وهو الوجود لقوله تعالى: **لولاك لما خلقت الأفلاك»**[1]. وفي كتاب «البرهان» للكرماني: لولاك يا محمد لما خلقت

(1) هذا الأثر سبقت الإشارة إليه.

الكائنات. خاطب الله النبي ﷺ بهذا القول.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي أيضاً رضي اللّه عنه

[تفسير ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم: 2]]

قوله في تفسير سورة القلم عند قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم: 2] كأنه قيل: انتفى عنك الجنون يا محمد، وأنت بريء منه، ملتبساً بنعمة الله التي هي النبوة والرسالة العامة، والمراد تنزيهه ﷺ عما كانوا ينسبونه إليه حسداً وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه ﷺ في غاية الغايات من حصافة العقل ورزانة الرأي.

وفي «التأويلات النجمية»: ما أنت بنعمة ربك بمستور عما كان من الأزل وما سيكون إلى الأبد، لأن الجن هو الستر، وما سمي الجن جناً إلا لاستتارها من الإنس بل أنت عالم بما كان خبير بما سيكون ويدل على إحاطة علمه قوله ﷺ: «**فوضع كفه على كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما كان وما سيكون**»[1].

قال الإمام القشيري قدس سره في «**شرح الأسماء الحسنى**»[2]: نصرة الحق لعبده أتم من نصرة العبد لنفسه، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧﴾ [الحجر: 97] ثم انظر بماذا سلاه وبأي شيء خفف عليه تحمل أثقال الأذى حيث قال: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: 3] يعني إذا تأذيت بسماع السوء فيك منهم فاسترح بروح ثنائك علينا ولذة التنزيه والذكر لنا، فإن ذلك يريحك ويشغلك عنهم، ثم إنه ﷺ لما قبل هذه النصيحة وامتثل أمر ربه تولى نصرته والرد عنه فلما قيل: إنه مجنون أقسم على نفي ذلك بقوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ [القلم: 1] الخ. تخفيفاً لتنزيهه، لمّا انشغل عنهم بتنزيهه ربه ثم عاب الله القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمه بقوله: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠﴾ [القلم: 10] إلى قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25] فكان رد الله عنه وذبه تعالى أتم من رده عن نفسه ﷺ حيث كان من جملة القرآن باقياً على الألسنة إلى يوم القيامة، ثم قال عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: 4] لا يدرك شأنه أحد من الخلق، ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) والكتاب مطبوع في الدار بتحقيقنا.

قال بعضهم: لكونك متخلقاً بأخلاق الله تعالى، وأخلاق كلامه القديم، ومتأيداً بالتأييد القدسي، فلا تتأثر بافترائهم ولا تتأذى بأذاهم إذ بالله تصبر لا بنفسك، كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: 127] ولا أحد أصبر من الله، وكلمة (على) للاستعلاء، فدلت على أنه ﷺ مشتمل على الأخلاق الحميدة ومستولٍ على الأفعال المُرضية، حتى صارت بمنزلة الأمور الطبيعية له ﷺ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [صٓ: 86]، أي لست متكلفاً فيما يظهر لكم من أخلاقي لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً، بل يرجع إليه الطبع.

ثم قال: وإنما أفرد الخُلُق ووصفه بالعظمة، كما وصف القرآن بالعظيم، لينبه على أن ذلك الخُلُق الذي هو ﷺ عليه جامع لمكارم الأخلاق اجتمع فيه شكر نوح، وخلة إبراهيم، وإخلاص موسى، وصدق وعد إسماعيل، وصبر يعقوب وأيوب، واعتذار داود، وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من أخلاق سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90] ، إذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لأن ذلك تقليد، وهو غير لائق بالرسول ﷺ، ولا الشرائع لأن شريعته ﷺ ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها في بعض الفروع، والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم إذ كان كل منهم مختصاً بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه.

فلما أمر ﷺ بذلك فكأنه أمر بجمع جميع ما كان متفرقاً فيهم، فهذه درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلا جرم وصفه الله بكونه ﷺ على خلق عظيم، كما قال بعض العارفين:

لكل نبي في الأنام فضيلة وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف ﷺ بمقتضى قوته النظرية إلا بالعلم والعرفان والإيقان والإحسان، ولم يفعل بمقتضى قوته العملية إلا ما فيه رضا الله من فرض أو واجب أو مستحب، ولم يصدر منه ﷺ حرام أو مفسد أو مكروه، فكان هو الملك، بل أعلى منه ويجمع هذا كله قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت: **كان خلقه القرآن**[1]. أرادت به أنه ﷺ كان متحلياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق،

(1) رواه الطبراني في الأوسط برقم (72) [1/ 30] ورواه أحمد في المسند برقم (24645) [6/ 91] ورواه غيرهما.

ومحاسن الأوصاف، ومتخلياً عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال.

وفي رواية قالت للسائل: ألست تقرأ القرآن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: 1] يعني اقرأ الآي العشر في سورة المؤمنين[1]، فذلك خلقه ﷺ من الإيمان الذي هو أصل الأخلاق القلبية، والصلاة التي هي عماد الأخلاق البدنية، والزكاة التي هي رأس الأخلاق المالية إلى آخر ما في الآيات.

وفي التأويلات النجمية كان خلقه ﷺ القرآن، بل كان هو القرآن كما قال العارف بالحقائق:

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني[2]

وقال الجنيد قدس سره، كان ﷺ على خلق عظيم، لجوده بالكونين:

له همم لا منتهى لكبارها ... وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقال أبو الحسن النوري قدس سره كيف لا يكون خلقه ﷺ عظيماً وقد تجلى الله بسره بأنوار أخلاقه.

قال الشيخ إسماعيل حقي رضي الله عنه، بعدما ذكر كان خلقه ﷺ عظيماً لأنه مظهر العظيم، فكان خلق العظيم عظيماً فافهم جداً.

وفي تلقيح الأذهان لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أوتي ﷺ جوامع الكلم، لأنه مبعوث لتتميم مكارم الأخلاق كما قال ﷺ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4] وهو عين كونه على الصراط المستقيم قال ﷺ: «**إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة**»[3]. قال أبو بكر رضي الله عنه: هل فيّ منها يا رسول الله شيء؟ قال: «**كلها فيك يا أبا بكر، وأحبها إلى الله السخاء**»[3]. انتهى أي كلام الشيخ الأكبر.

---

(1) وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ [المؤمنون: 1-10].

(2) القائل هوالشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي المتوفى سنة 638 هـ.

(3) رواه بنحوه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، حرف العين، [30/ 104] ونصه: عن صدقة القرشي عن رجل قال: قال رسول الله ﷺ: «خصال الخير ثلاثمائة وستون» قال: وقال أبو بكر: يا رسول الله لي منها شيء. قال: «كلها فيك وهنيئاً لك يا أبا بكر».

ولذلك كان أحسن أخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضا، وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسخاء، وإنما قال مع التوحيد لأنه قد توجد مكارم الأخلاق ولا إيمان كما أنه قد يوجد الإيمان ولا أخلاق، إذ لو كان الإيمان يعطى بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا، وللمكارم آثار ترجع على صاحبها في أيّ دار كان.

قال بعض الكبار: من أراد أن يرى رسول الله ﷺ ممن لم يدركه من أمته، فلينظر إلى القرآن فإنه لا فرق بين النظر فيه، وبين النظر إلى رسول الله ﷺ، فكأن القرآن إنشاء صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، والقرآن كلام الله تعالى فهو صفته فكأن محمداً ﷺ خلعت عليه صفة الحق: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّسَاء: 80].

وقال بعضهم: من أراد أن يرى رسول الله ﷺ فليعمل بسنته، لاسيما في مكان اميتت السنة فيه، فإن حياة رسول الله ﷺ بعد موته هي حياة سنته، ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعاً ، لأنه المجموع الأتم الأكمل ﷺ.

وقال بعضهم: لم يبق بعد بعثة رسول الله ﷺ أخلاق أبداً لأنه ﷺ أبان لنا عن مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن أجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم أخلاق، وزال عنها اسم الذم.

قال صلى الله عليه وسلم لمن ركع دون الصف: «**زادك الله حرصاً ولا تعد**»[1]. وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين**»[2]. وقال ﷺ: «**أكثروا من ذكر الله**»[3]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾ [آل عِمرَان: 175]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ [الإسرَاء: 23] . وقال: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [الأنبيَاء: 67] وغير ذلك من الآيات والأخبار... فما أمر الله باجتناب بعض الأخلاق إلا لمن يعتقد أنها

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب إذا ركع دون الصف، حديث رقم (750) [1/ 271] ورواه أبو داود في سننه، باب الرجل يركع دون الصف، حديث رقم (683) [1/ 182] ورواه غيرهما.

(2) رواه الحميدي في المسند، حديث رقم (616) [2/ 278].

(3) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق [19/ 156] وأورده السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي الجوزاء، سورة الأحزاب [6/ 618].

سفساف أخلاق وجهل معنى قوله ﷺ «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1] فمن الناس من علم، ومنهم من جهل، فالكامل لا يرى في العالم إلا أخلاق الله تعالى التي به وجدت.

وفي «كشف الأسرار» في تفسير هذه الآية: عرض عليه ﷺ مفاتيح الأرض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج، وأراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت إليها. قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النّجم: 17] ما التفت يميناً ولا شمالاً فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلَم: 4] ثم أنشد.

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وفي قصيدة البردة

فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُق ... ولم يُدانوه في علمٍ ولا كرم

فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبُها ... يُظهرن أنوارَها للناس في الظلم

ومن أخلاقه ﷺ، ما أشار إليه بقوله: «**صل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء اليك**»[2]. فإنه ﷺ ما أمر أمته بشيء قبل الائتمار به.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي رضي الله عنه

[تفسير ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضّحىٰ: 5]]

قوله في تفسير سورة الضحى عند قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضّحىٰ: 5] هذه الآية عدة كريمة شاملة لما أعطاها الله له ﷺ في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين، وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوحات الواقعة في عصره ﷺ وفي خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية، وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ولما ادخر له ﷺ من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد انبأ عن شيء منها قوله ﷺ: «**لي في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض، ترابها المسك**»[3]، وفي الحديث: «**أشفع لأمتي حتى ينادي لي أرضيت يا محمد**

---

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب بيان مكارم الأخلاق. . ، حديث رقم (2571) [10/ 191] ورواه القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (1165) [2/ 192] ورواه غيرهما.

(2) رواه بنحوه أحمد في المسند، برقم (17488) [4/ 158] ورواه بنحوه البيهقي في شعب الإيمان فصل في التجاوز والعفو. . ، حديث رقم (8079) [6/ 260] ورواه غيرهما.

(3) أورده البروسوي (إسماعيل حقّي) في روح البيان، تفسير سورة الضحى [10/ 452].

فأقول رب قد رضيت»[1].

وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أقمت بمدينة قرطبة بمشهد فأراني الله أعيان رسله من لدن آدم إلى نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام، فخاطبني منهم هود عليه السلام، وأخبرني بسبب جمعيتهم، وهو أنهم اجتمعوا شفعاء للحلاج إلى نبينا محمد ﷺ، وذلك أنه كان قد أساء الأدب بأن قال في حياته الدنيوية: أن رسول الله ﷺ همته دون منصبه. قيل له: ولم ذلك؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: 5] فكان من حقه أن لا يرضى إلا أن يقبل الله شفاعته في كل كافر ومؤمن، لكنه ما قال: «**إلا شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله ﷺ في واقعة وقال له: «**يا ابن منصور، أنت الذي أنكرت علي في الشفاعة**» فقال: يا رسول الله، قد كان ذلك. قال: «**ألم تسمع أنني قد حكيت عن ربي عز وجل إذا أحببت عبداً كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً**». فقال: بلى يارسول الله. قال: «**فإذا كنت حبيب الله كان هو لساني القائل فإذا هو الشافع والمشفوع إليه وأنا عدم في وجوده، فأيّ عتاب علي يا ابن منصور؟**» فقال: يارسول الله، أنا تائب من قولي هذا، فما كفارة ذنبي؟ قال: «**قَرِّب نفسك لله قرباناً**» قال: فكيف؟ قال: «**اقتل نفسك بسيف شريعتي**»، فكان من أمره ما كان ثم قال هود عليه الصلاة والسلام: وهو أي الحلاج من حين فارق الدنيا محجوب عن رسول الله ﷺ، والآن هذه الجمعية لأجل الشفاعة له إليه ﷺ، وكانت المدة بين مفارقته الدنيا وبين الجمعية المذكورة أكثر من ثلاثمائة سنة.

قال بعض العارفين الحقيقة المحمدية أصل مادة كل حقيقة ظهرت ومظهرها أصل مادة كل حقيقة تكونت وإليه يرجع الأمر كله قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: 21] ولا يكون رضاه إلا بعود ما تفرق منه إليه فأهل الجمال يجتمعون عند جماله، وأهل الجلال يجتمعون عند جلاله.

وقال ابن عطاء [الله] قدس سره: كأنه تعالى يقول لنبيه افترضى بالعطاء عوضاً عن المعطى، فيقول: «لا» فقيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4] أي على

---

(1) روى نحوه الطبراني في الكبير، حديث رقم (9765) [10/ 5] ورواه بنحوه أحمد في المسند برقم (4339) [1/ 454] ورواه بنحوه غيرهما.

همة جليلة، إذ لم يؤثر فيك شيء من الأكوان ولا يرضيك شيء منها.

وفي «التأويلات النجمية» أي يظهر عليك بالفعل ما في قوة استعدادك من أنواع الكمالات الذاتية وأصناف الكرامات الصفاتية والأسمائية.

ومن جواهر الشيخ إسماعيل حقي أيضاً رضي اللّه عنه

[تفسير ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١﴾ [الشَّرح: 1]]

قوله في تفسير سورة ألم نشرح عند قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١﴾ [الشَّرح: 1] قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب والشهادة بين ملكتي الاستفادة والإفادة، فما صدّك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية؟ وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق؟ أي لم تحتجب لا بالحق عن الخلق، ولا بالخلق عن الحق، بل كنت جامعاً بين الجمع والفرق حاضراً غائباً.

وفي «التأويلات النجمية» يشير تعالى إلى انفساح صدر قلبه ﷺ بنور النبوة، وحمل همومها بواسطة دعوة الثقلين، وانشراح صدر سره بضياء الرسالة، واحتمال مكاره الكفار، وأهل النفاق، وانبساط صدر نوره بأشعة الولاية، وتحققه ﷺ بالعلوم اللدنية والحكم الإلٰهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية.

وأما شرح الصدر الصوري، فقد وقع مراراً مرة وهو ابن خمس أو ست لإخراج مغمز الشيطان، وهو الدم الأسود الذي به يميل القلب إلى المعاصي، ويعرض عن الطاعات. ومرة عند ابتداء الوحي، ومرة ليلة المعراج.

ثم قال عند قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشَّرح: 4] بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث قرن اسمه ﷺ باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والآذان والإقامة وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أَغَرُّ عليه للنبوةِ خاتمٌ ... مِنَ اللَّهِ مشهودٌ يلوحُ ويُشْهَدُ
وَضَمَّ الإلهُ اسمَ النَّبيّ إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أَشْهَدُ

الحقيقة المحمدية

من جواهر الغوث الكبير الشريف الشهير سيدي الشيخ عبد العزيز الدباغ الفاسي(*) المتوفى بعد سنة 1130هـ

وهو رضي لله عنه سبب جمعي لهذا الكتاب فإني لما رأيت في الإبريز. كلامه الفريد العزيز. في بيان ما له صلى الله عليه وسلم من الكمالات. التي فاق بها جميع المخلوقات من جميع الجهات. خطر لي أن أجمعها وحدها في سفر يختص بكلام هذا الإمام. الذي كشف به عن حقائق لم تسمع من غيره في علو قدر النبي عليه الصلاة والسلام. ثم اتسع فكري فرأيت لزوم جمع ما ذكره غيره في هذا الشأن. من السيرة النبوية وكلام أهل العلم والعرفان. وقد أحسن الله بإتمام ذلك على أكمل الوجوه والحمد لله وليّ الإحسان

فمن جواهره رضي اللَّه عنه

[لولا نور محمد ﷺ]

ما ذكره تلميذه العلامة الإمام الشيخ أحمد بن المبارك في مقدمة كتابه الإبريز الذي ألفه في مناقبه، من أن سيدنا الخضر عليه السلام أعطاه ورد وأمره بذكره كل يوم

(*) هو من كبار متصوفة القرن الثاني عشر المغاربة المتوفى سنة 1130هـ. ويعتبر كتابه الإبريز الذي جمعه تلميذه أحمد بن المبارك المالكي المتوفى سنة 1156هـ ترجمة لحياته العلمية والروحية فهو من العلماء العاملين الذين ورثوا عن النبي ﷺ علوم الشريعة وأنوار الطريقة وأسرار الحقيقة ولقد حاز كتابه الإبريز شهرة واسعة بين مريدي الطرق الصوفية لما فيه من أنوار أحكام الشريعة ولطائف الطريقة الملكوتية وحقائق الأسرار الجبروتية، شأنه في ذلك شأن (حكم) الشيخ أحمد بن عطاء الله السكندري و(البرهان المؤيد) للشيخ أحمد الرفاعي و(الفتح الرباني) للشيخ عبد القادر الجيلاني، و(قوت القلوب) لأبي طالب المكي و(الرسالة القشيرية) لعبد الكريم بن هوازن القشيري وإحياء علوم الدين لحجة الإسلام محمد الغزالي.

سبعة الآف مرة، وهو: اللهم يا رب بجاه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ اجمع بيني وبين سيدنا محمد بن عبد الله، في الدنيا قبل الآخرة، ثم ذكر بعده بنحو ورقة إنه رضي الله عنه رأى سيد الوجود ﷺ يعني يقظة، فقال له شيخه سيدي عبد الله البرناوي: يا سيدي عبد العزيز قبل اليوم كنت أخاف عليك، واليوم حيث جمعك الله مع رحمته تعالى سيد الوجود ﷺ أمن قلبي واطمأن خاطري فأستودعك الله عز وجل.

ونقل في المقدمة أيضاً أن سيدي أحمد بن عبد الله الغوث رضي الله عنه قال: كان لي مريد وكنت أحبه حباً شديداً، فكنت ذات يوم أعظم له أمر سيد الوجود ﷺ، فقلت له: يا ولدي لولا نور سيدنا محمد ﷺ، ما ظهر سر من أسرار الأرض، فلولا هو ما تفجرت عين من العيون، ولا جرى نهر من الأنهار، وإن نوره ﷺ يا ولدي يفوح في شهر مارت[1] ثلاث مرات على سائر الحبوب، فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ، ولولا نوره ﷺ ما أثمرت، يا ولدي إن أقل الناس إيماناً من يرى إيمانه على ذاته مثل الجبل وأعظم منه فأحرى غيره، وإن الذات تكل أحياناً عن حمل الإيمان، فتريد أن ترميه فيفوح نور النبي ﷺ عليها فيكون معيناً لها على حمل الإيمان فتستحليه وتستطيبه.

وقال في الإبريز في أثناء تعداده لكرامات سيدي عبد العزيز رضي الله عنه.

ومنها، وقد شاهد ذلك أهل الدار وبعض من قصد الشيخ للزيارة، أنه رضي الله عنه كانت تحصل له غيبة خفيفة عن جسمه، حتى أن الجالس معه يراه بمنزلة من خرجت روحه ولا تبقى في ذاته رضي الله عنه حركة نفس ولا غيره، إلا في شفتيه وما يقرب منهما من العروق فوقع له ذلك ذات يوم، فدخل من دخل عليه البيت، فوجد النور يسطع على هيئة البرق، إلا أنه أبطأ وأصفى، فخرج فأعلم من حضر، فدخلوا فعاينوا ذلك فلما كان الغد لقيت الشيخ رضي الله عنه وخرجت معه إلى العرصة فاسترجع وقال: لقد ظهر عليَّ بالأمس أمر ما كانت عادته إلا الستر فقلت: ياسيدي لقد سمعت بهذا، أو ما علمت سر الحكاية، فقال رضي الله عنه: هو نوره ﷺ.

وذكر من كراماته رضي الله عنه أنه كان يسأله عن الحديث الصحيح من الباطل ليختبره بذلك، فكان يجيبه بصحة الصحيح، وبطلان الباطل، كما ذكره أئمة الحديث مع كونه رضي الله عنه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يطلب شيئاً من العلم.

قال ابن المبارك: ومن عجيب أمره وغريب شأنه رضي الله عنه أني إذا خضت

(1) وهو شهر (مارس = آذار).

معه في هذا الباب يميز الحديث الذي أخرجه البخاري وليس في مسلم، والذي أخرجه مسلم وليس في البخاري، فلما طالت خبرتي له وثبت عندي معرفته بالحديث من غيره، سألته عن السبب الذي يعرف به ذلك، فقال مرة، كلام النبي ﷺ لا يخفى، وسألته مرة أخرى فقال: إن الشخص في الشتاء إذا تكلم خرج من فمه الفوار، وإذا تكلم في الصيف لا يخرج من فمه الفوار، وكذلك من تكلم بكلام النبي ﷺ خرج النور مع كلامه ومن تكلم بغير كلامه خرج الكلام بغير نور. وسألته مرة أخرى فقال: إن السراج إذا تغذى قوى نوره وإذا ترك بقي على حالته، وكذا حال العارفين إذا سمعوا كلامه ﷺ تقوى أنوارهم، وتزداد معارفهم، وإذا سمعوا كلام غيره بقوا على حالتهم.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[سلطان الأرواح]

قوله رضي الله عنه بعد أن شرح أجزاء النبوة: وأما الروح: **فالأول**: من أجزائها ذوق الأنوار. وهو عبارة عن نور سار فيها تذوق به أنوار أفعاله تعالى في الكائنات، والأنوار الموجودة في العالم العلوي على ما قدر وسبق لها في القسمة وهو يخالف ذوق الذات في أمور:

أحدها: أنه نوراني لا يتعلق إلا بالنور بخلاف ذوقنا فإنه يتعلق بالأجرام فنحس بذوق حلاوة العسل بسبب اتصال جرم العسل بلساننا، والروح تذوق حلاوة العسل لا من جرم العسل بل من نور الفعل الذي قامت به حقيقة تلك الحلاوة، وهكذا ذوقها لسائر المذوقات.

ثانيها: أنه لا يشترط فيه الاتصال فإن الروح تذوق ما اتصل بها وما لم يتصل بخلاف ذوقنا، فإنه لابد فيه من الاتصال على ما جرت به العادة.

ثالثها: أنه لا يخص محلاً من الروح دون غيره بل هو سار في جميع جواهرها الظاهرة والباطنة بخلاف ذوقنا، فإنه يخص في العادة جرم اللسان.

رابعها: أنه يكون بسائر الحواس.

ثم قال وبالجملة **فهي تذوق** بجميع ذاتها وسائر جواهرها ذوقاً يحصل لها عن سائر حواسها والله تعالى أعلم. ثم إن الأرواح بعد اتفاقها في الذوق على الصفة السابقة تختلف فيه بالقوة والضعف. وأقوى الأرواح فيه من خرق ذوقها العرش

والفرش وغيرهما من العوالم، وليس ذلك إلا لروحه ﷺ، لأنها سلطان الأرواح وقد سكنت في ذاته الطاهرة ﷺسكنى الرضا والمحبة والقبول، وارتفع الحجاب الذي بينهما فصار ذوق الروح الشريفة على كماله وخرقه للعوالم ثابتاً لذاته الطاهرة الترابية، وهذا هو الكمال الذي لا كمال فوقه.

الثاني: **الطهارة**: يعني من أجزاء الروح وهي عبارة عن صفاء الروح الصفاء الذي خلقت عليه وهو ينقسم إلى حسي ومعنوي: **أما الحسي**: فمن أجل أنها نور، والنور كله على غاية الصفاء ونهاية الطهارة. **وأما المعنوي**: فهو عبارة عن امتزاج المعرفتين: أعني المعرفة الباطنة والمعرفة الظاهرة وذلك أن المخلوقات بأسرها عارفة بخالقها سبحانه، لا فرق في ذلك بين صامت وناطق، ولا بين حي وجامد، وما من مخلوق إلا وجميع جواهره فيها هذه المعرفة الباطنية ثم من رحمة الله عز وجل أن صير له ما كان باطناً ظاهراً، فيشعر بمعرفة جميع جواهره بربه عز وجل ويصير في ظاهره عارفاً بربه بجميع أجزاء ذاته وهذا من أعلى درجات المعرفة، وقد فعل سبحانه هذا بالأرواح فهي عالمة بربها في ظاهرها بجميع ذواتها مع بعد اتفاقها في هذا الصفاء، فهي مختلفة فيه على قدر تفاوت ذواتها في الصغر وفي الكبر، فإن من الأرواح من حجمه صغير ومنها من حجمه كبير، ولاشك أن من حجمه كبير تكون جواهره أكثر فتكون معارفه بربه عز وجل أكثر، وأكبر الأرواح قدراً وأعظمها حجماً روحه ﷺ، فإنها تملأ السموات والأرضين ومع ذلك فقد انطوت عليها الذات الشريفة واحتوت على جميع أسرارها. فسبحان من أقدر الذات الظاهرة على ذلك.

الثالث: **التمييز**: يعني من أجزاء الروح قال: وهو نور في الروح تميز به الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر تمييزاً كاملاً، ومع ذلك فلا تحتاج فيه إلى تعلم بل بمجرد رؤية الشيء أو سماع لفظه تميزه وتميز أحواله، ومبتدأه ومنتهاه، وإلى أين يصير؟ ولماذا خلق؟ ثم الأرواح مختلفة في هذا التمييز على قدر الاطلاع، **فمن** الأرواح من هو قوي في الاطلاع **ومنها** من هو ضعيف، وأقوى الأرواح في ذلك روحه ﷺ فإنها لم يحجب عنها شيء من العالم، فهي مطلعة على عرشه تعالى، وعلوه وسفله ودنياه وآخرته وناره وجنته، لأن جميع ذلك خلق لأجله ﷺ فتمييزه ﷺ خارق لهذه العوالم بأسرها، فعنده تمييز في أجرام السموات من أين خلقت؟ ومتى خلقت؟ ولِمَ خلقت؟ وإلى أين تصير في جرم كل سماء؟ وعنده تمييز في ملائكة كل سماء، ومن أين خلقوا؟ ومتى خلقوا؟ وإلى أين يصيرون؟ وتمييز اختلاف مراتبهم

ومنتهى درجاتهم. وعنده ﷺ تمييز في الحجب السبعين وفي ملائكة كل حجاب على الصفة السابقة، وعنده ﷺ تمييز في الأجرام النيرة في العالم العلوي مثل النجوم والشمس والقمر واللوح والقلم والبرزخ والأرواح التي فيه على الوصف السابق، وكذا عنده ﷺ تمييز في الأرضين السبع وفي مخلوقات كل أرض وما في البر والبحر من ذلك، فيميز جميع ذلك على الصفة السابقة وكذا عنده ﷺ تمييز في الجنان ودرجاتها وعدد سكانها ومقاماتهم فيها وكذا ما بقي من العوالم، وليس في هذا مزاحمة للعلم القديم الأزلي الذي لا نهاية لمعلوماته، وذلك لأن ما في العلم القديم لم ينحصر في هذا العالم، فإن أسرار الربوبية وأوصاف الألوهية التي لا نهاية لها ليست من هذا العالم في شيء، ثم الروح إذا أحبت الذات أمدتها بهذا التمييز، فلذلك كانت ذاته الطاهرة ﷺ تميز ذلك التمييز السابق وتخرق به العوالم كلها، فسبحان من شرفها وكرمها وأقدرها على ذلك.

الرابع: البصيرة: وهي عبارة عن سريان الفهم في سائر أجزاء الروح كما يسري في جميعها أيضاً سائر الحواس مثل: البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس، فالعلم قائم بجميعها، والبصر قائم بجميعها، والشم قائم بجميعها، والذوق قائم بجميعها، واللمس قائم بجميعها، حتى إنه ما من جوهر من جواهرها إلا وقد قام به علم وسمع وبصر وشم وذوق ولمس، فبصرها من سائر الجهات، وكذا بقية الحواس، فإذا أحبت الروح الذات وزال الحجاب الذي بينهما أمدتها بهذه البصيرة، فتبصر الذات من أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال بجواهرها كلها، وتسمع كذلك وتشم كذلك وبالجملة، فما كان للروح يصير للذات، وقد زال الحجاب بين الذات الطاهرة وبين الروح الشريفة، يوم شقت الملائكة صدره الشريف ﷺ وهو صغير، ففي ذلك الوقت وقع الالتحام والاصطحاب بين روحه وذاته ﷺ وصارت ذاته تطلع على جميع ما تطلع عليه روحه ﷺ، فلهذا كان ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

وقد قال ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: «**أقيموا ركوعكم وسجودكم فإني أراكم من خلفي، كما أراكم من أمامي**»[(1)] فهذا هو سر الحديث والله تعالى أعلم.

الخامس: عدم الغفلة: وهو عبارة عن انتفاء أوصاف الجهل وأضداد العلم عن القدر الذي بلغ إليه علمها ووصل إليه نظرها فلا يلحقها سهو ولا غفلة ولا نسيان عن

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

معلوم أيّ معلوم من القدر الذي وصلت إليه وليس حصول المعلومات لديها على التدريج بل يحصل ذلك بنظرها دفعة واحدة، فليس في علمها أنها إذا توجهت إلى شيء غفلت عن غيره بل إذا توجهت إليه حصل غيره معه، بل لا تحتاج إلى توجه لأن العلوم فطرية، فيها ففي أول فطرتها حصلت لها علومها دفعة واحدة، ثم دام لها ذلك كما دامت ذاتها، فهذا هو المراد بعدم الغفلة، وهو ثابت لكل روح، وإنما تختلف في قدر العلوم، **فمنها** من علومه كثيرة **ومنها** من علومه قليلة.

وأعظم الأرواح علماً وأقواها نظراً روحه ﷺ لأنها يعسوب الأرواح فهي مطلعة على جميع ما في العوالم كما سبق دفعة واحدة من غير ترتيب ولا تدريج، ثم لما وقع الاصطحاب بينها وبين ذاته الطاهرة ﷺ أمدتها بعدم الغفلة حتى صارت الذات مطلعة على جميع مافي العالم مع عدم لحوق الغفلة لها في ذلك، لكن هذا الاطلاع ليس مثل ذلك الاطلاع، فإن اطلاع الروح دفعة واحدة من غير ترتيب واطلاع الذات على سبيل التدريج والترتيب، بمعنى أنه ما من شيء تتوجه إليه في العالم إلا وتعلمه، لكن علمه لا يحصل إلا بالتوجه، فإذا توجهت إلى شيء آخر علمته وهكذا. . . حتى تأتي على ما في العالم فلها التسلط في العلم على ما في العالم، ولكن بتوجه بعد توجه، ولا تطيق الذات ما تطيقه الروح من حصول ذلك دفعة واحدة، وكذا يختلفان في عدم الغفلة، فإنه في الروح على نحو ما سبق تفسيره.

وأما في الذات فهو بالنسبة إلى توجهها بمعنى أنها إذا توجهت إلى شيء لا يفوتها ولا يلحقها في توجهها إليه سهو ولا غفلة ولا نسيان، وأما إذا لم تتوجه إليه فإنها قد تغفل عنه ويقع لها فيه السهو والنسيان، ولهذا قال ﷺ كما في صحيح البخاري: «**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني**»[1].

السادس: قوة السريان: وهي عبارة عن أقدار الله تعالى لها على خرق الأجرام والنفوذ فيها فتخرق الجبال والجلاميد والصخور والجدران وتغوص في ذلك، وتذهب فيه حيث شاءت، وإذا سكنت الروح في الذات وأحبتها واصطحبت معها أمدتها بهذه القوة، فتصير الذات تفعل ما تفعله الروح، ومن ذلك حكاية النبي، يعني زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، الذي أراده قومه، ففر منهم ودخل في شجرة، فإن روحه أمدت ذاته لمحبتها فيها بالقوة المذكورة، فخرقت الذات جرم

---

(1) باب التوجه نحو القبلة. . ، حديث رقم (392) [1/ 156] ورواه مسلم في صحيحه، باب السهو في الصلاة والسجود له، حديث رقم (572) [1/ 400] ورواه غيرهما.

الشجرة، ودخلت فيها.

ومن ذلك أيضاً ما يقع للأولياء رضي الله عنهم من وجودهم في الموضع ودخولهم إياه من غير فتح باب ومن ذلك أيضاً ما يقع لهم رضي الله عنهم مشي الخطوة حتى يضع الواحد منهم رجلاً بالمغرب وأخرى بالمشرق، فإن الذات لا تطيق خرق الهواء الذي بين المشرق والمغرب في لحظة فإن الريح تقطع أوصالها وتفتت أعضاءها وتنشف الدم والرطوبات التي فيها ولكن الروح أمدتها بالقوة المذكورة حتى وقع ما وقع. ومن ذلك قصة الإسراء والمعراج فإنه عليه الصلاة والسلام بلغ إلى ما بلغ ثم رجع في مدة قريبة، وكل ذلك من عمل الروح حيث أمدت الذات بقوة السريان التي فيها والله أعلم.

السابع: عدم الإحساس بمؤلمات الأجرام: مثل الجوع والعطش والحر والبرد ونحو ذلك... فإن الروح لا تحس بشيء من ذلك، فلا جوع ولا عطش ولا حر ولا برد، بالنسبة إليها وكذا، إذا خرقت الأجرام الحارة فإنه لا ينالها شيء من ضررها، ولا ألم من آلامها، وكذا إذ مَرَّت بموضع قذارة فإنها لا تتضرر بذلك ولا يقع لها تألم منه بخلاف المَلَك في هذا الأخير، فإنه يميل إلى الرائحة الطيبة وينفر من الرائحة الخبيثة. ولولا وجود هذا الأمر في الروح ما أطاقت القرار في الذات التي هي فيها والله تعالى أعلم.

فهذه الأمور السبعة لابد منها في حق كل روح فلذا قلنا فيها أنها أجزاء الروح تقريباً والأرواح متفاوتة فيها كما سبق بيانه وسبق أن أعلى الأرواح في ذلك روحه ﷺوسبق أن ما كان لها من هذه الأوصاف ثابت لذاته ﷺ.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[العلم والمعلومات أصلها النبي ﷺ]

قوله بعد أن ذكر أقسام الروح السبعة السابقة: **وأما العلم** ونعني به العلم الكامل البالغ الغاية في الطهارة والصفاء، فهو الذي يجتمع فيه الخلال السبع الآتي ذكرها.

قال: **واعلم** أن العلم نور العقل، والعقل نور الروح، والروح نور الذات، وقد سبق أن الذات الطاهرة التي أزيل الحجاب بينها وبين الروح تتصف بما ثبت للروح من الأنوار السابقة، فكذلك أيضاً إذا كانت الروح كاملة في الطهارة والصفاء، فإنها تتصف بجميع ما ثبت لنور العقل الذي هو العلم، فهذه الأنوار السبعة التي في العلم تتصف بها الروح زيادة على ما سبق **فأول أجزائه**: الحمل للمعلومات. **الثاني**: عدم

التضييع. **الثالث**: معرفة اللغات. وأصوات الحيوانات والجمادات. **الرابع**: معرفة العواقب. **الخامس**: معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الثقلين الإنس والجن. **السادس**: معرفة العلوم المتعلقة بأحوال الكونين أعني العالم العلوي والعالم السفلي. **السابع**: انحصار الجهات في جهة واحدة وهي جهة أمام.

وشرحها كلها شرحاً بالغاً وقال في الثاني: وهو عدم التضييع هو نور في العلم يقتضي أن لا يسقط من معلوماته شيء إلا لمن يستحقه فهذا النور يحفظه من وصوله إلى غير أهله فلا يصل إليه ابتداء، وعلى تقدير أنه وصل إليه فإنه يسترجعه ويسفه منه ويرده إلى أصله ويحميه من البقاء عند من لا يستحقه، وهكذا كان ﷺ، فإنه كان يتكلم بأنوار العلوم ويسمعها منه البر والفاجر والمؤمن والمنافق، فأما الفاجر والمنافق فإنه لا تقر عنده، ولا تبقى على باله، لأن النور المذكور يستردها إلى أصلها الطاهر، ومحلها الزاهر وهو ذاته ﷺ، وأما أهل المحبة والإيمان رضي الله عنهم فإنهم أهل للحكمة ومحل لقبول الخيرات كما قال تعالى: ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ [الفَتْح: 26] فإذا سمعوا تلك الأنوار فإنها تستقر فيهم لطهارتهم.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[شرح المشاهدات الثلاث]

ما ذكره في الإبريز بقوله بعدما تقدم في شرح المشاهدات ولما سمعت منه رضي الله عنه هذه المشاهدات الثلاث.

وقال إن كلامه ﷺ لا يعدوها، وإنه لا يشكل كلامه ﷺ إلا على من لم يعرفها لأنه ﷺ لا يقول إلا الحق ولا يتكلم إلا بالصدق في سائر أموره وفي جميع أحواله سألته عما أشكل على فهمي من الحديث.

فسألته رضي الله عنه عن حديث «تأبير النخل» الذي في صحيح مسلم[1] حيث مر عليهم وهم يؤبرون النخل، فقال ﷺ: «**ما هذا؟**» فقالوا: «بهذا تصلح يا رسول الله» فقال ﷺ: «**لو لم تفعلوا لصلحت**»: فلم يؤبروها، فجاءت شيصاً غير صالحة، فلما رآها ﷺ بعد ذلك، قال: «**ما بال التمر هكذا؟**» قالوا: يا رسول الله قلت لنا: كذا وكذا فقال ﷺ: «**أنتم أعلم بدنياكم**»[1].

---

(1) باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، حديث رقم (2363) [4/ 1836] وروى الحديث غير مسلم.

فقال رضي الله عنه قوله ﷺ: «**لو لم تفعلوا لصلحت**» كلام حق وقول صدق، وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين بأنه تعالى هو الفاعل بالإطلاق، وذلك الجزم مبني على مشاهدة سريان فعله تعالى في سائر الممكنات مباشرة بلا واسطة ولا سبب بحيث إنه لا تسكن ذرة، ولا تتحرك شعرة، ولا يخفق قلب ولا يضرب عرق، ولا تطرف عين، ولا يومئ صاحب، إلا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة وهذا أمر يشاهده النبي ﷺ كما يشاهد غيره سائر المحسوسات، ولا يغيب ذلك عن نظره، لا في اليقظة ولا في المنام، لأنه ﷺ لا ينام قلبه الذي فيه هذه المشاهدة، ولا شك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الأسباب من نظره، ويترقى عن الإيمان بالغيب إلى الشهود والعيان فعند قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافات: 96] مشاهدة دائمة لا تغيب ويقين يناسب هذه المشاهدة وهو أن يجزم بمعنى الآية جزماً لا يخطر معه بالبال نسبة الفعل إلى غيره تعالى.

ولو كان هذا الخاطر قدر رأس النملة ولا شك أن الجزم الذي يكون على هذه الصفة تخرق به العوائد وتنفعل به الأشياء، وهو سر الله تعالى الذي لا يبقى معه سبب ولا واسطة، فصاحب هذا المقام إذا أشار إلى سقوط الأسباب ونسبة الفعل إلى رب الأرباب، كان قوله حقاً، وكلامه صدقاً.

وأما صاحب الإيمان بالغيب فليس عنده في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصَّافات: 96] مشاهدة، بل إنما يشاهد نسبة الأفعال إلى من ظهرت على يده، ولا يجذبه إلى معنى الآية، ونسبة الفعل إليه تعالى إلا الإيمان الذي وهبه الله تعالى، فعنده جاذبان:

أحدهما من ربه وهو الإيمان الذي يجذبه إلى الحق. **وثانيهما**: من طبعه، وهو مشاهدة الفعل من الغير الذي يجذبه إلى الباطل، فهو بين هذين الأمرين دائماً، لكن تارة يقوى الجاذب الإيماني فتجده يستحره معنى الآية السابقة ساعة وساعتين، وتارة يقوى الجاذب الطبعي فتجده يغفل عن معناها اليوم واليومين.

وفي أوقات الغفلة ينتفي اليقين الخارق للعادة، فلهذا لم يقع ما أشار إليه النبي ﷺ لأن الصحابة رضي الله عنهم فاتهم اليقين الخارق الذي اشتمل عليه باطنه ﷺ، وبحسبه خرج كلامه الحق وقوله الصدق ولما علم ﷺ العلة في عدم وقوع ما ذكر، وعلم أن زوال تلك العلة ليس في طوقهم رضي الله عنهم أبقاهم على

حالتهم، وقال: «**أنتم أعلم بدنياكم**».

قال ابن المبارك رحمه الله بعد هذا الكلام قلت: فانظر وفقك الله هل سمعت مثل هذا الجواب أو رأيته مسطوراً في كتاب مع إشكال الحديث على الفحول من علماء الأصول؟ ثم قال: وسألته رضي الله عنه عن حديث «**إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقني**»(1) فقال رضي الله عنه العندية المراد بها المعية والإطعام، والسقي المراد بهما تقوية الله تعالى لنبيه ﷺ.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[الفرق بين النبوة والولاية]

ما ذكره في الإبريز بقوله وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عِمرَان: 42] الآية هل تدل على نبوة السيدة مريم وذكر الخلاف في نبوة بعض النساء فقال رضي الله عنه الصواب مع أرباب القول الثاني وهو نفي النبوة عن النساء ولم تكن لله نبوة في ذلك النوع أصلاً وإنما كانت السيدة مريم صديقة، ثم ذكر الفرق بين النبوة والولاية بأن نور النبوة أصلي ذاتي حقيقي مخلوق مع الذات في أصل نشأتها، ولذا كان النبي معصوماً في كل أحواله ونور الولاية بخلاف ذلك.

ثم قال وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح، لأن المفتوح عليه سواءً كان نبياً أولياً لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ماهم عليه، ويخاطبهم ويخاطبونه، ثم قال ولو أفشينا ما سمعنا من الشيخ رضي الله عنه في هذا الباب لكان آية للطالبين وعمدة للراغبين، ولكنه سر لا يُفشى إلا أني أحببت أن أذكر هنا أمرين من علوم الشيخ رضي الله عنه.

أحدهما: بعض ما يشاهده المفتوح عليه قال رضي الله عنه: **أما في المقام الأول** فإنه يكاشف بأمور، **منها** أفعال العباد في خلواتهم **ومنها** مشاهدة الأرضين السبع والسموات السبع.

ومنها مشاهدة النار التي في الأرض الخامسة وغير ذلك مما في الأرض والسماء قال: وهذه النار هي نار البرزخ لأن البرزخ ممتد من السماء السابعة إلى

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الأرض السابعة، والأرواح فيه بعد خروجها من الأشباح على درجاتها، وأرواح أهل الشقاوة والعياذ بالله في هذه النار وهي على هيئة منازل ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش.

قال وليست هذه النار هي جهنم لأن جهنم خارجة عن كرة السموات السبع والأرضين السبع وكذلك الجنة وذكر كثيراً مما يشاهده المفتوح عليه من العوالم العلوية والسفلية كالأفلاك، والشمس، والقمر، والنجوم، والشياطين، والأصوات الهائلة.

ثم قال ويجب عليه أن لا يستعظم شيئاً من هذه الأمور وأن يستصغر كل ما يرى، وإلا وقف به الحال وصار أمره إلى الانتكاس، لأن الذات في زمن الفتح سفافة تسف كل ما تستحسنه، وهذه الأشياء المشاهدة كلها ظلام.

ثم قال رضي الله عنه: ومن وقف مع شيء من هذه الأمور السابقة كانت الشياطين معه يداً بيد وصار من جملة السحرة والكهنة نسأل الله السلامة ومن رحمه الله جذبه إليه وخلق فيه شوقاً وطلباً قلبياً يخرق به هذه الحجب.

وأما ما يشاهده في المقام الثاني فإنه يكاشف بالأنوار الباقية كما كوشف في المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية فيشاهد في هذا المقام الملائكة والحفظة والديوان والأولياء الذين يعمرونه، ويشاهد مقام عيسى عليه السلام، وكل من يضاف إليه وكان على شاكلته ثم مقام موسى عليه السلام وكل من معه، ثم مقام إدريس عليه السلام وكل من معه، ثم مقام يوسف عليه السلام وكل من معه، ثم مقام ثلاثة من الرسل متقدمين منهم من كان قبل إدريس، ومنهم من تأخر عنه أسماؤهم، غير معروفة بين الناس، قال ولو شرحنا مقامات الأنبياء المذكورين وكيف يرى الملك على أصل خلقته لسمع السامع شيئاً لم يكن له على بال.

ويجب أيضاً على المكاشف بهذه الأمور أن لا يقف مع شيء منها لما سبق ان ذاته حينئذ سفافة فإذا وقف مع شيء منها سفت ذاته أسراره حتى أنه إذا وقف مع مقام سيدنا عيسى مثلاً واستحسنه سقى بسره ورجع في الحين على دينه وخرج عن ملة الإسلام نسأل الله السلامة ولا يزال المفتوح عليه على خطر عظيم وهلاك قريب حتى يشاهد مقام سيدنا ومولانا محمد ﷺ فإذا شاهده حصل له الهناء وتم له السرور لأن في ذاته ﷺ قوة جاذبة إلى الله عز وجل اختصت بها ذاته الشريفة ﷺ من بين

سائر المخلوقات، ولذا كان أعز المخلوقات وأفضل العالمين فإذا وصل المفتوح عليه إلى مقام نبينا ﷺ تزايد جذبه إلى الله عز وجل وأمن من الانقطاع وفي ذلك أسرار أخرى يعرفها أرباب الفتح جعلنا الله منهم ولا حرمنا بركتهم. ثم ذكر غير ذلك مما يراه المفتوح عليه، ولا حاجة لنا بذكره فمن شاءه فليراجعه.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: 1]]

ما ذكره في الإبريز بقوله وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 1-2] فقال رضي الله عنه المراد بالفتح المشاهدة، أي مشاهدته تعالى، وذلك أنه سبق في سباق علمه تعالى أن الخلق لا يعرفونه جميعاً إذ لو عرفوه جميعاً لم تكن إلا دار واحدة، وقد قضى تعالى أن له دارين فحجب الخلق عنه تعالى إلا من رحمه الله، فمنعهم من مشاهدة الفعل منه تعالى، ومن مشاهدة ذاته تعالى، فإنه لو كشف الغطاء عنه لشاهدوه تعالى كما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: 16]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186]، ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: 7]، وشاهدوا أفعالهم كلها مخلوقة له تعالى وإنه هو الفاعل لها لا هم، وإنما هم ظروف وأجرام موضوعة، وهو تعالى يحركها كيف شاء، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: 96] وعند ذلك لا يعصيه أحد قط، لأن المعصية لا تكون إلا من المحجوب الغافل الساهي عن ربه، وقت معصيته.

قال: والمؤمنون وإن كانوا يعتقدون أن الله هو الفاعل فيهم، المريد لأفعالهم، لكن هذا الاعتقاد يحضر ويغيب وسببه الحجاب، فاعتقادهم مجرد إيمان بالغيب لا عن مشاهدة وعيان. ومن رحمه الله تعالى أزال عنه الحجاب وأكرمه بمشاهدته تعالى فلا يرى إلا ما هو حق من الحق وإلى الحق، فهذا هو المشار إليه بالفتح المبين. فقلت: ومتى وقع؟ فقال: من صغره ﷺ، فإنه لم يحجب عنه تعالى. فقلت وهذا الفتح ثابت لكل نبي بل، ولكل عارف فأي خصوصية فيه لنبينا ﷺ؟ فقال رضي الله عنه: الفتح يختلف بالقوة والضعف، فكل على ما يطيق، والقوة التي في النبي ﷺ عقلاً وروحاً ونفساً وذاتاً وسراً وحفظة لم تثبت لغيره حتى لو جمع أهل الفتح كلهم من الأنبياء وغيرهم وجعلت القوة المشار إليها عليهم لذابوا جميعاً وتهافتت ذواتهم.

والمراد بالذنب في قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2] سببه وهو الغفلة وظلام الحجاب الذي في أصل نشأة الذات الترابية. قال: «وهذه الغفلة والحجاب للذنوب، بمثابة الثوب العفن الوسخ لنزول الذباب عليه، فمتى كان ذلك الثوب على أحد نزل عليه الذباب، ومتى زال عنه ذلك الثوب زال عنه الذباب، فالثوب مثال الحجاب، والذباب مثال للذنوب، فمن سمى ذلك الثوب ذباباً فهي تسمية سائغة، فكذلك المراد هنا بالذنب هو الحجاب والمراد بما تقدم وما تأخر الكناية عن زواله بالكلية فكأنه تعالى يقول، إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليزول عنك الحجاب بالكلية ولتتم النعمة منا عليك، ولتهدى وتنصر، فإنه لا نعمة فوق نعمة زوال الحجاب، ولا هداية فوق هداية المعارف ولا نصرة أبلغ من نصرة من كانت هذه حالته.

فقلت: وهل هذا خاص بالنبي ﷺ؟ فقال: نعم: فقلت: ولم؟ فقال: لأنه عين كل شيء فقلت: «ولذلك تقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المحشر ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: قلت: وهذا الذي قاله الشيخ رضي الله عنه من أنفس المعارف، وألطف اللطائف، وأليق بالجناب النبوي، وأبلغ في التنزيه والتعظيم، وأوفق للعصمة المجمع عليها، وأوفى بحق النبي ﷺ، وأنسب بترتيب الآية وحسن سياقها فجزاه الله عنا أفضل الجزاء، وقد تكلم في الآية خلائق لا يحصون، كثرة، وكان في عقولهم هذا المعنى الذي يشير إليه الشيخ رضي الله عنه.

منهم السبكي الكبير، وأبو يحيى الشريف التلمساني، وقد ألف في ذلك تأليفاً مستقلاً، وكذا ألف الحافظ السيوطي في المسألة جزءاً لطيفاً جمع فيه أقوال العلماء، وجمع بين هذين التأليفين الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بابا السوداني في تأليف له رحم الله الجميع.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[المراد بقوله تعالى: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [التّوبَة: 94]]

ما ذكره في الإبريز بقوله وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿26﴾﴾ [الجنّ: 26] الآية وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمَان: 34] الآية وقوله ﷺ في خمس لا يعلمهن إلا الله كيف يجمع بين هذا وبين ما يظهر على الأولياء العارفين رضي الله عنهم من الكشوفات والأخبار

بالغيوب بما في الأرحام وغيرها، فإنه أمر شائع في كرامات الأولياء، فقال رضي الله عنه: الحصر الذي في كلام الله تعالى وفي الحديث الغرض منه إخراج الكهنة والعرافين ومن له تابع من الجن، الذين كانت تعتقد فيهم جهلة العرب، الاطلاع على الغيب ومعرفته حتى كانوا يتحاكمون إليهم، ويرجعون إلى قولهم فقصد الله تعالى إزالة ذلك الاعتقاد الفاسد من عقولهم فأنزل هذه الآيات وأمثالها كما أراد الله تعالى إزالة ذلك من الواقع ونفس الأمر فملأ السماء بالحرس الشديد والشهب، والمقصود من ذلك كله جمع العباد على الحق وصرفهم عن الباطل والأولياء رضي الله عنهم من الحق لا من الباطل فلا يخرجهم الحصر الذي في الآية ونحوها.

ثم قال **قلت للشيخ رضي الله عنه** فإن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي ﷺ هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: 34] فقال رضي الله عنه وعن ساداتنا العلماء وكيف يخفى أمر الخمس عليه ﷺ والواحد من أهل التصريف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس.

وكذا سألته عن قول العلماء في معرفة ليلة القدر إنها رفعت عن النبي ﷺ ولذا قال اطلبوها في التاسعة في السابعة في الخامسة ولو بقيت معرفتها عنده ﷺ لعينها لهم، فقال الشيخ: سبحان الله. وغضب، ثم قال: والله لو جاءت ليلة القدر وأنا ميت وقد انتفخت جيفتي وارتفعت رجلي كما تنتفخ جيفة الحمار لعلمتها، وأنا على تلك الحالة فكيف تخفى على سيد الوجود ﷺ وقد عينها في أعوام مختلفة. فمرة عينها لنا في رجب، وعينها لنا في عام آخر في شعبان، وفي عام آخر في رمضان، وفي عام آخر في ليلة عيد الفطر، كان يعينها لنا قبل أن تأتي، ويأمرنا بالتحفظ عليها وكان يقول لنا إنها تنتقل وكذلك كان يعين لنا ساعة الجمعة.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[ديوان الصالحين في غار حراء]

وهي أول الفوائد التي أخذتها من الباب الرابع من الإبريز الذي عقده لذكر ديوان الصالحين ما ذكره مؤلفه ابن المبارك رحمه الله تعالى بقوله: سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول، الديوان يكون بغار حراء الذي كان يتحنث فيه النبي ﷺ قبل البعثة.

قال رضي الله عنه: فيجلس الغوث خارج الغار، ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى، وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه وثلاثة أقطاب عن يساره، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة والوكيل إمامه ويسمى قاضي الديوان وهو في هذا الوقت مالكي أيضاً من بني خالد القاطنين بناحية البصرة، واسمه سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي ومع الوكيل يتكلم الغوث ولذلك سمي وكيلاً لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان.

قال: والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون، والصفوف الستة من وراء الوكيل، وتكون دائرتها من القطب الرابع إلى الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة: فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة وهذا هو الصف الأول، وخلفه الثاني على صفته وعلى دائرته، وهكذا الثالث إلى أن يكون السادس آخرها.

قال: ويحضره النساء وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة، وذلك في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصف الأول في فسحة هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة.

قال رضي الله عنه ويحضره بعض الكمل من الأموات ويكونون في الصفوف مع الأحياء ويتميزون بثلاثة أمور:

أحدها: أن زيهم لا يتبدل بخلاف زي الحي وهيئته فمرة يحلق شعره، ومرة يجدد ثوبه، وهكذا...

وأما الموتى لا تتبدل حالتهم فإذا رأيت في الديوان رجلاً على زي لا يتبدل فاعلم أنه من الموتى، كأن تراه محلوق الشعر ولا ينبت له شعر فاعلم أنه على تلك الحالة مات وإن رأيت الشعر على رأسه على حالته، لا يزيد ولا ينقص، ولا يحلق فاعلم أيضاً أنه ميت وأنه مات على تلك الحالة.

ثانيها: أنه لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء لأنهم لا تصرف لهم فيها، وقد انتقلوا إلى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الأحياء، وإنما تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات.

قال رضي الله عنه: ومن آداب زائر القبور إذا أراد أن يدعو لصاحب قبر، ويتوسل إلى الله تعالى بولي من أوليائه في إجابة دعوته أن يتوسل إليه تعالى بولي

ميت، فإنه انجح للمقصود وأقرب لإجابة دعوته.

ثالثها: أن ذات الميت لا ظل لها فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلاً، وسره أن يحضر بذات روحه لا بذاته الفانية الترابية، وذات الروح خفيفة لا ثقيلة وشفافة لا كثيفة.

قال لي رضي الله عنه: وكم مرة أذهب إلى الديوان أو إلى مجمع من مجامع الأولياء وقد طلعت الشمس فإذا رأوني من بعيد استقبلوني فأراهم بعين رأسي متميزين هذا بظله وهذا لا ظل له.

قال رضي الله عنه: والأموات الحاضرون في الديوان ينزلون إليه من البرزخ يطيرون طيراً بطيران الروح، فإذا قربوا من موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا إلى الأرض ومشوا على أرجلهم إلى أن يصلوا إلى الديوان تأدباً مع الأحياء وخوفاً منهم.

قال: وكذا رجال الغيب إذا زار بعضهم بعضاً فإنه يجيء بسير روحه فإذا قرب من موضعه تأدب ومشى مشي ذاته الثقيلة تأدباً وخوفاً.

قال: وتحضره الملائكة وهم من وراء الصفوف ويحضره أيضاً الجن الكمل، وهم الروحانيون وهم من وراء الجميع، وهم لا يبلغون صفاً كاملاً.

قال رضي الله عنه: وفائدة حضور الملائكة والجن أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها فيستعينون بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها، قال وفي بعض الأحيان يحضره النبي ﷺ، فإذا حضره ﷺ جلس في موضع الغوث، وجلس الغوث في موضع الوكيل، وتأخر الوكيل للصف، وإذا جاء النبي ﷺ جاءت معه الأنوار التي لا تطاق وإنما هي أنوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها، وهي أنوار المهابة والجلالة والعظمة، حتى أنا لو فرضنا أربعين رجلاً بلغوا في الشجاعة مبلغاً لا مزيد عليه ثم فوجئوا بهذه الأنوار فإنهم يصعقون لحينهم إلا أن الله تعالى يرزق أولياءه القوة على تلقيها.

ومع ذلك فالقليل منهم هو الذي يضبط الأمور التي صدرت في ساعة حضوره ﷺ وكلامه ﷺ مع الغوث، قال: وكذلك الغوث إذا غاب النبي ﷺ تكون له أنوار خارقة حتى لا يستطيع أهل الديوان أن يقربوا منه بل يجلسون منه على بعد، فالأمر الذي ينزل من عند الله تعالى لا تطيقه ذات إلا ذات النبي ﷺ، وإذا خرج من

عنده ﷺ فلا تطيقه ذات إلا ذات الغوث، ومن ذات الغوث يتفرق على الأقطاب السبعة، ومن الأقطاب السبعة يتفرق على أهل الديوان.

وأما ساعة الديوان فقد سبق الكلام عليها وإنها هي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ، وإنها هي ساعة الاستجابة من ثلث الليل الأخير التي وردت بها الأحاديث كحديث «**ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له**»(1) الحديث.

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند ارادة النوم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ﴾ [الكهف: 107] إلى آخر السورة ويطلب من الله تعالى أن يوقظه في الساعة المذكورة فإنه يفيق فيها. ذكره الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه وقد جربناه ما لا يحصى وجربه غيرنا حتى أنه وقع لجماعة غير ما مرة أن يقرأوا الآية المذكورة ويطلبوا من الله تعالى الإفاقة في الساعة المذكورة كل واحد منهم يفعل ذلك في خاصة نفسه، من غير أن يعلم به صاحبه واذا أفاقوا أفاقوا جميعاً في وقت واحد.

وسمعته رضي الله عنه يقول: إن الديوان كان أولاً معموراً بالملائكة، ولما بعث الله النبي ﷺ جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة حيث رأينا الولي إذا خرج إلى الدنيا وفتح الله عليه وصار من أهل الديوان فإنه يجيء إلى موضع مخصوص في الصف الأول أو غيره فيجلس فيه، ويصعد الملك الذي كان فيه، فإذا ظهر ولي آخر جاء إلى موضع، ويصعد الملك الذي في ذلك الموضع، وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل ولله الحمد، كلما ظهر ولي صعد ملك.

وأما الملائكة الذين هم باقون فيه، ويكونون خلف الصفوف الستة كما سبق فهم ملائكة ذات النبي ﷺ الذين كانوا حفاظاً لها في الدنيا.

ولما كان نور ذاته ﷺ مفرقاً في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف. قال رضي الله عنه، وإذا حضر النبي ﷺ في الديوان وجاءت

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى، باب (52 المعافاة والعقوبة) حديث رقم (7768) [4/ 420] ورواه الدارمي في السنن، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا، حديث رقم (1479) [1/ 413].

معه الأنوار التي لا تطاق بادرت الملائكة الذين مع أهل الديوان ودخلوا في نوره ﷺ، فما دام النبي ﷺ في الديوان لا يظهر منهم ملك فإذا خرج النبي ﷺمن الديوان رجع الملائكة إلى مراكزهم. والله أعلم.

ثم قال رضي الله عنه: وقد يحضر سيد الوجود ﷺ في غيبة الغوث، فيحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع من حيث إنهم يجهلون العاقبة في حضوره ﷺما يخرجهم عن حواسهم حتى إنه لو طال ذلك أياماً كثيرة لانهدمت العوالم.

قال رضي الله عنه: وإذا حضر سيد الوجود ﷺ مع غيبة الغوث فإنه يحضر معه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، والحسين، وأمهما فاطمة الزهراء تارة كلهم وتارة بعضهم رضي الله عنهم أجمعين.

قال: وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاتي يحضرن الديوان في جهة اليسار، كما سبق، وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن. قال: وسمعتها رضي الله عنها تصلي على أبيها ﷺ من الليالي وهي تقول: اللهم صل على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون. اللهم صل على من هو إمام الأنبياء والمرسلين. اللهم صل على من هو إمام أهل الجنة عباد الله المؤمنين. وكانت تصلي عليه ﷺ لكن لا بهذا اللفظ وإنما أنا استخرجت معناه والله أعلم.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[مشاهدة العبد ربه عز وجل بعده ﷺ]

قول صاحب الإبريز في الباب التاسع: منه وإنما ذكرته أنا هنا لمناسبة ما تقدم في الجوهرة السابقة قال سيدي عبد العزيز رضي الله عنه وعلامة إدراك العبد لمشاهدة ربه عز وجل، أن يقع في فكره بعد مشاهدة النبي ﷺ التعلق بربه، بحيث يغيب فكره في ذلك مثل الغيبة السابقة في النبي ﷺ، ثم لا يزال كذلك إلى أن يقع له الفتح في مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، فيقع على ثمرة الفؤاد، ونتيجة الفكر، وإذا كانت ذاته تسقى بجميع أنواع نعيم أهل الجنة عند مشاهدة النبي ﷺ، فما ظنك بما يحصل له عند مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، الذي هو خالق النبي ﷺ، وخالق الجنة وكل شيء.

قال رضي الله عنه: ثم بعد الفتح في مشاهدة الحق سبحانه انقسم الناس قسمين: فقسم غابوا في مشاهدة الحق سبحانه عما سواه وقسم، وهم أكمل غابت أرواحهم في مشاهدة الحق سبحانه وبقيت ذواتهم في مشاهدة النبي ﷺ، فلا مشاهدة أرواحهم

تغلب مشاهدة ذواتهم، ولا مشاهدة ذواتهم تغلب مشاهدة أرواحهم.

قال رضي الله عنه: وإنما كان هذا القسم أكمل لأن مشاهدتهم في الحق سبحانه أكمل من مشاهدة القسم الأول، وإنما كانت مشاهدتهم في الحق سبحانه أكمل، لأنهم لم ينقطعوا عن مشاهدة النبي ﷺ التي هي سبب في الارتقاء في مشاهدة الحق سبحانه، فمن زاد في مشاهدته ﷺ زيد له في مشاهدة الحق سبحانه ومن نقص منها نقص له.

قال رضي الله عنه: ولو كان الاختيار للعبد وكان عمره تسعين سنة مثلاً، لاختار في جميع هذه المدة أن لا يشاهد إلا النبي ﷺ وقبل موته بيوم يفتح له في مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، فإنه يحصل له في هذا اليوم من الفتح في مشاهدة الحق سبحانه وتعالى لأجل رسوخ قدمه في مشاهدة النبي ﷺ أكثر مما يحصل لمن فتح له في المشاهدتين معاً في تلك المدة من أولها إلى آخرها.

ثم جعل رضي الله عنه مرآة بين عينيه وجعل ينظر في الحروف فقال: أليس إن الذي يظهر في الحروف وصفائها في النظر يتبع صفاء المرآة وحسن مائها؟

فقلت: نعم، فقال رضي الله عنه: فمشاهدة النبي ﷺ بمنزلة المرآة، ومشاهدة الحق سبحانه بمنزلة الحروف، فعلى قدر الصفاء في المشاهدة النبوية يحصل الصفاء، ويزول الغمام في المشاهدة النبوية يحصل الصفاء، ويزول الغمام في المشاهدة للذات الأزلية.

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: سمعت هذا الكلام منه رضي الله عنه، وقد سأله بعض فقهاء الأشراف أيمكن أن يترك الولي الصلاة؟

فقال رضي الله عنه: لا يمكن أن يترك الولي الصلاة، وكيف يمكنه ذلك؟ وهو دائماً يكوى بمشهابين: فذاته تكوى بمشهاب مشاهدة النبي ﷺ، وروحه تكوى بمشهاب مشاهدة الحق سبحانه، وكل من المشاهدتين يأمره بالصلاة وغيرها من أسرار الشريعة.

وقال رضي الله عنه مرة أخرى: كيف يترك الولي الصلاة؟ والخير الذي حصل له في المشاهدتين، إنما حصل له بعد سقي ذاته بأسرار ذات النبي ﷺ، وكيف تسقى ذات بأسرار الذات الشريفة ولا تفعل ما تفعله الذات الشريفة، هذا لا يكون». انتهت عبارته في الباب التاسع.

وقال في الباب الخامس: واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب، ولا يتقيد بمذهب من المذاهب، ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي ﷺ طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة وحينئذٍ فهو العارف بمراد النبي ﷺ، وبمراد الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها.

وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه، لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه، وحينئذٍ فكيف يسوغ الانكار على من هذه صفته، ويقال: إنه خالف مذهب فلان في كذا ثم أطال الكلام في ذلك، فراجعه إن شئت.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[عدم استطاعة المخلوقات تحمّل نوره ﷺ]

قول صاحب الإبريز: وسمعته رضي الله عنه يقول: إني لم أزل أتعجب من الولي الذي يقول إنه: يملأ الكون، وذلك لأن للكون باباً منه يقع الدخول إليه وهو النبي ﷺ، ولا يطيق مخلوق من المخلوقات أن يحمل نوره ﷺ، ومن عجز عن الباب فكيف يطيق غيره؟ اللهم إلا أن يكون دخل من غير باب، يعني فيكون فتحه شيطانياً ظلمانياً، وهذا لا يملأ بيته فضلاً عن داره فضلاً عن شيء آخر.

قال رضي الله عنه: واعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضاً من نور النبي ﷺ، وإن مجموع نوره ﷺ لو وضع على العرش لذاب، ولو وضع على الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت، ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع عليها ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت، وإذا كان هذا شأن نوره ﷺ فكيف يكون من يقول أنه يملأ الكون؟ فأين تكون ذاته إذا بلغت المدينة المشرفة وقربت من القبر الشريف؟ أم كيف تكون إذا تصاعدت نحو البرزخ وقربت من الموضع الذي فيه النور العظيم القائم بالروح الشريفة؟ أفتكون ذاته حاملة له والمخلوقات بجملتها عاجزة عنه؟ أم يتخطى ذلك الموضع؟ فلم يملأ الكون والفرض أن الموضع المذكور آخذ من القبر الشريف إلى قبة البرزخ تحت العرش؟

ولعله أراد بالكون ما بين السماء والأرض ما عدا موضع البرزخ الذي فيه النور المعظم، فقلت: ولعله أنه يملؤه من حيث النور، أي يملؤه بنوره لا بذاته كالشمس

التي سطعت على السموات والأرض.

فقال رضي الله عنه: وما مراده إلا أنه يملؤه بنوره ولا يريد أنه يملؤه بذاته ولكن أين نوره من نور المصطفى ﷺ، فإن ذلك النور من النور المكرم بمنزلة الفتيلة في وسط النهار وقت الظهيرة وهل يصح أن يقال إن تلك الفتيلة كسفت نور الشمس؟ فقلت: ونور الشمس من النور المكرم بمنزلة الفتيلة، فما باله ملأ الأكوان؟ فقال رضي الله عنه: لم يملأ الأكوان بمعنى أن النور المكرم ذهب بسببه، واضمحل، فكيف؟ ونور الشمس إنما هو من نور أرواح المؤمنين الذي هو من نوره ﷺ، وإنما سبب ذلك أنّا حجبنا عن مشاهدة النور المكرم كما حجبنا عن مشاهدة أنوار الأولياء فلو كشف الحجاب لكانت الأنوار من النور المكرم بمنزلة الفتائل وسط النهار، ولم يظهر الشمس ولا لغيرها نور إلا كما يظهر للفتائل وسط النهار.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[سعة معرفته ﷺ]

جوابه رضي الله عنه عن كلام صاحب الإحياء في كتاب التفكر حيث قال: إن سيدنا جبريل أعلم من سيد الأولين والآخرين ﷺ بقوله رضي الله عنه: لو عاش سيدنا جبريل مائة ألف عام إلى مائة ألف عام إلى ما لا نهاية له ما أدرك ربعاً من معرفة النبي ﷺ، ولا من علمه بربه تعالى، وكيف يمكن أن يكون سيدنا جبريل أعلم وهو إنما خلق من نور النبي ﷺ، فهو وجميع الملائكة بعض نوره ﷺ، وجميعهم وجميع المخلوقات يستمدون المعرفة منه ﷺ، وقد كان الحبيب ﷺ مع حبيبه عز وجل حيث لا جبريل ولا غيره، واستمد ﷺ من ربه تعالى إذ ذاك ما يليق بعطية الكريم وجلاله وعظمته مع حبيبه ﷺ، ثم بعد ذلك بمدة مديدة جعل تعالى يخلق من نوره الكريم ﷺ جبريل وغيره من الملائكة.

قال رضي الله عنه: وجبريل وجميع الملائكة وجميع الأولياء أرباب الفتح، وحتى الجن يعرفون أن سيدنا جبريل عليه السلام حصلت له مقامات في المعرفة وغيرها ببركة صحبته للنبي ﷺ بحيث لو عاش سيدنا جبريل عليه السلام طول عمره ولم يصحب سيد الوجود ﷺ وسعى في تحصيلها وبذل المجهود والطاقة، ما حصل له مقام واحد منها، فالنفع الذي حصل له من النبي ﷺ لا يعرفه إلا هو ومن فتح الله عليه.

قال رضي الله عنه: وسيدنا جبريل إنما خلق لخدمة النبي ﷺ، وليكون من

جملة حفظة ذاته الشريفة ﷺ، وونيس له إذ هو ﷺ سر الله من هذا الوجود، وجميع الموجودات تستمد منه فيحتاج إلى مشاهدتها، وذاته الشريفة خلقت من تراب كذوات بني آدم فهي لا تألف إلا ما يشاكلها، فإذا شاهد ما لا يشاكله، آنسه جبريل، ثم ذكر لنا رضي الله عنه: أن صور الملائكة تفجع هذه الذوات وتدهشها، لكونها على صورة لا تعرف مع كثرة الأيدي والأرجل والرؤوس والوجوه، وكونها على سعة عظيمة بحيث تملأ ما بين الخافقين.

قال رضي الله عنه: ولا يعلم ذلك إلا من فتح عليه، فكان سيدنا جبريل ونيسه للذات الترابية الشريفة في أمثال هذه الأمور، وأما روحه الشريفة ﷺ فإنها لا تهاب شيئاً من هذه الصور ولا من غيرها لأنها عارفة بالجميع.

قال ابن المبارك: فقلت: ولم كانت الروح الشريفة لا تكفي في الونيسة؟ فقال رضي الله عنه: لأن الذات لا تشاهدها منفصلة عنها، والوحدانية لله تعالى وحده لا يطيق الدوام عليها إلا ذاته تعالى ومن عداه شفع يحب الشفع ويميل إليه.

قال رضي الله عنه: وسيدنا جبريل إنما كان ونيسه في ما تطيقه ذاته ويعرفه مما هو تحت سدرة المنتهى.

أما ما هو فوق ذلك من الحجب السبعين والملائكة الذين فيها فإنه لم يكن ونيسه في ذلك، لأنه، أي سيدنا جبريل عليه السلام، لا يطيق مشاهدة ما فوق سدرة المنتهى لقوة الأنوار، ولهذا ذهب ﷺ في قطع تلك الحجب وحده ولم يذهب معه جبريل عليه السلام، وطلب منه الذهاب معه فقال: لا أطيقه، وإنما تطيقه أنت الذي قواك الله عليه.

وتكلمت معه في أمر الوحي وكيفية تلقي النبي ﷺ له، وهل يتلقاه بواسطة جبريل، كما هو ظاهر كغيره من الآي أولاً؟ فأتى فيه بكلام لا تطيقه العقول فلا ينبغي كتبه والله أعلم.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[شرح الصلاة المشيشية]

ما ذكره في شرح الصلاة المشيشية، للقطب الكامل الوارث الواصل الموصل، مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وهي: **اللّهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم، فأعجز**

الخلائق، وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة، ولاشيء إلا هو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب، كما قيل، الموسوط، صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله. اللَّهم إنه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك. اللَّهم ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من موارد الفضل، واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك، واقذف بي على الباطل فأدمغه، وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سرَّ حقيقتي، وحقيقته جامع عوالمي بتحقيق الحق الأول، يا أول يا آخر يا ظاهر، يا باطن، اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا، وانصرني بك لك، وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحل، بيني وبين غيرك، الله، الله، الله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القَصَص: 85]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 10].

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: سمعته رضي الله عنه يقول في شرح قوله: **(اللهم صل على من منه انشقت الأسرار)**، حاكياً عن سيدي محمد بن عبد الكريم البصري رضي الله عنه: أن الله تعالى لما أراد إخراج بركات الأرض وأسرارها مثل ما فيها من العيون والآبار والأنهار والأشجار والثمار والأزهار، أرسل سبعين ألف ملك إلى سبعين ألف ملك، إلى سبعين ألف ملك، ثلاث سبعينات من الألوف، فنزلوا يطوفون بالأرض، **فالسبعون الأولى**: يذكرون اسم النبي ﷺ ومرادنا بالاسم الاسم العالي على ما يأتي في شرح وتنزلت علوم آدم **والسبعون الثانية**: يذكرون قربه ﷺ من ربه عز وجل ومنزلته ﷺ منه. **والسبعون الثالثة**: تصلي عليه ﷺ ونوره ﷺ مع الطوائف الثلاث.

فتكونت الكائنات ببركة ذكر اسمه ﷺ، وحضوره بينها، ومشاهدتها قربه ﷺ من ربه عز وجل، قال: وذكروه على الأرض فاستقرت، وعلى السموات فاستقلت، وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت بإذن الله تعالى، وعلى مواضع عينيه ففتحت بالأنوار التي فيها، فهذا معنى قوله انشقت منه الأسرار.

فقلت: فهذا معنى قول دلائل الخيرات، وبالاسم الذي وضعته على الليل

فأظلم، وعلى النهار فاستنار، وعلى السموات فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى البحار ففُجّرت، وعلى العيون فنبعت، وعلى السحاب فأمطرت، فقال رضي الله عنه: نعم ذلك الاسم هو اسم نبينا ومولانا محمد ﷺ، فببركته تكونت الكائنات والله أعلم.

وقد سبق كلام سيدي أحمد بن عبد الله الغوث رضي الله عنه، وقوله لمريده: يا ولدي، لولا نور سيدنا محمد ﷺ ما ظهر سر من أسرار الأرض إلى آخره. . .

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول في شرح **(من منه انشقت الأسرار)**: إنه لولا هو ﷺ ما ظهر تفاوت الناس في الجنة والنار، ولكانوا كلهم على مرتبة واحدة فيهما، وذلك أنه تعالى لما خلق نوره ﷺ وسبق في سابق علمه تفاوت الناس في قبوله والميل عنه، ظهر ذلك عليهم، حيث خلق ذلك النور، فعلم هناك أن منهم من يبلغ من الخشوع درجة كذا، ومن المعرفة درجة كذا، ومن الخوف درجة كذا، وإن لون كذا من نوع كذا، وفلاناً شرب منه نوعاً آخر قبل ظهورهم، وهم في عدم العدم. قال رضي الله عنه: فتفاوت المراتب، وتباينها هو معنى انشقاق الأسرار منه ﷺ.

قال: وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول في شرح **(من منه انشقت الأسرار)**: إن أسرار الأنبياء والأولياء وغيرهم كلها مأخوذة من سر سيدنا محمد ﷺ، فإن له سرين: **أحدهما** في المشاهدة، وهو موهوب. **والآخر** يحصل من هذا السر وهو مكسوب، فلنفرض المشاهدة بمثابة ثوب، ما بقي صاحب حرفة من الحرف إلا وصنع فيه شيئاً من صنعه، ولنفرض صاحب المشاهدة كشارب لذلك الثوب بأسره فإذا شرب الخيط الذي صنعه الحرَّار مثلاً أمده الله تعالى بمعرفة صناعة الحرير وكل ما تحتاج إليه في أمورها وشؤونها كلها، وإذا شرب الخيط الذي صنعه النساج مثلاً أمده الله تعالى بصناعة النسج ومعرفة جميع ما تتوقف عليه، وهكذا. . . حتى تأتي على سائر الصنائع والحرف التي نعرفها والتي لا نعرفها، فهكذا مشاهدته ﷺ مشتملة على جميع المعارف التي سبقت بها إرادته تعالى.

قال ابن المبارك رحمه الله: قلت: ووجه الشبه بينها وبين الثوب السابق تباين الأمور، ففي الثوب السابق تباينت فيه الصنائع والحرف، وفي المشاهدة الشريفة تباينت الأسماء الحسنى، وظهرت فيها أسرارها وأنوارها. ووجه آخر أن الصنائع

المتباينة اجتمعت كلها في الثوب السابق وكذا أنوار الأسماء الحسنى كلها اجتمعت في مشاهدته ﷺ. **ووجه آخر**: أن تلك الصنائع المتباينة بمعرفتها يقع التصرف في موضوعاتها، وكذا الأسماء الحسنى بالسقي بأنوارها يقع التصرف في هذا العالم، فوجه الشبه حينئذٍ مركب من مجموع هذه الأشياء الثلاثة وهي تباين الأمور في شيء مع استيفائها فيه، وكون التصرف يضاف اليها والله أعلم.

ثم قال رضي الله عنه: فتكون ذاته ﷺ مشتملة على جميع ما يلزم في تلك المشاهدة، وممدودة بسائر أسرارها من رحمة الخلق ومحبتهم والعفو عنهم والصفح والحلم والدعاء لهم بخير، لعل الله تعالى يقويهم على الإيمان بالله عز وجل.

قال رضي الله عنه: وبهذا كان ﷺ يدعو لأبي بكر الصديق رضي الله عنه والناس اليوم لا يعرفون قيمة هذا الدعاء.

قال ابن المبارك رحمه الله: قلت: يعني أنه لما فرضنا المشاهدة مشتملة على سائر الأسماء الحسنى، وفرضنا صاحبها ﷺ كالشارب السابق للثوب السابق، لزم قطعاً أن تكون ذاته ﷺ مسقية بجميع أنوار الأسماء الحسنى، وممدودة بأسرارها فيكون في ذاته ﷺ نور الصبر، ونور الرحمة، ونور الحلم، ونور العفو، ونور المغفرة، ونور العلم، ونور القدرة، ونور السمع، ونور البصر ونور الكلام، وهكذا حتى تأتي على جميع الأسماء الحسنى، فتكون أنوارها في الذات الشريفة على الكمال، وهكذا حتى تأتي على جميع الأسماء الحسنى، فتكون أنوارها في الذات الشريفة على الكمال.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه: فتلتفت إلى غيره ﷺ من الملائكة والأنبياء والأولياء فنجدهم قد تفرق فيهم بعض ما في الذات الشريفة مع كون السقي وصل إليهم من الذات الشريفة، فالأسرار الموجودة في ذواتهم انشقت منه ﷺ حتى إني سمعته رضي الله عنه يقول: لولا الدم الذي في الذات واللحم والعروق المانع من معرفة حقائق الأمور لم يتكلم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منذ وجدوا إلى أن ظهر نبينا ﷺ إلا بأمر نبينا ﷺ، فلا تكون إشارتهم إلا إليه، ولا تكون دلالتهم إلا عليه حتى أنهم يصرحون لكل من تبعهم بأنهم إنما ربحوا منه، وأن مددهم جميعاً إنما هو منه ﷺ، وأنهم في الحقيقة نائبون عنه، لا مستقلون، وأنهم بمنزلة أولاده ﷺ وهو ﷺ بمنزلة الأب لهم حتى يكون الخلق كلهم فيه سواء، ودعوة الجميع إليه ﷺ

واحدة، فإن هذا هو الكائن في نفس الأمر والأمم الماضية بمجرد موتهم وانفصالهم عن هذه الدار يعلمونه، وفي الآخرة يظهر لهم عياناً، وعند دخول الجنة يقع الفصل بينهم وبين الجنة، حيث تنكمش عنهم وتنقبض وتقول لهم: لا أعرفكم، لستم من نور محمد ﷺ: فيقع الفصل بأنهم، وإن سبقوا عليه، فهم مستمدون من أنبيائهم وأنبياؤهم عليهم الصلاة والسلام، مستمدون من النبي ﷺ فإذاً الجميع مستمد منه ﷺ. قال رضي الله عنه لولا الدم وما سبق في الإرادة الأزلية، لكان هذا الواقع في دار الدنيا.

فقلت: وَلِمَ منع هذا الدم من معرفة الحق؟ فقال رضي الله عنه: لأنه يجذب الذات إلى أصلها الترابي، ويميل بها إلى الأمور الفانية، كالبناء والغرس، ولجمع الأموال وغير ذلك... يميل بها إلى ذلك في كل لحظة، وهو عين الغفلة، والحجاب عنه تعالى، ولولا ذلك الدم لم تلتفت الذات إلى شيء من هذه الأمور الفانية أصلاً.

قال ابن المبارك: قلت: ولا يخفى أن حجابيته تختلف، فهي كثيفة في حق العوام، ضعيفة في حق الخواص، وتقرب من الانتفاء في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنتفية رأساً على حق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله: أي في قول سيدي عبد السلام بن مشيش «وانفلقت الأنوار»: إن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد ﷺ، ثم خلق منه القلم، والجنة والبرزخ.

أما العرش، فإنه خلقه تعالى من نور، وخلق ذلك النور من النور المكرم، وهو أي النور المكرم، نور نبينا ومولانا محمد ﷺ، وخلقه، أي، العرش، يا قوتة عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها، وخلق في وسط هذه الياقوته جوهرة، فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة وصفارها هو الجوهر، ثم إن الله تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره ﷺ، فجعل يخرق الياقوتة ويسقي الجوهرة، فسقاها مرة، ثم مرة، ثم مرة، إلى أن انتهى إلى سبع مرات، فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى فرجعت ماء. ونزلت إلى أسفل الياقوتة التي هي العرش.

ثم إن النور المكرم الذي خرق العرش إلى الجوهرة التي سالت ماءً لم يرجع، فخلق الله منه ملائكة ثمانية، وهم حملة العرش فخلقهم من صفائه وخلق من ثقله

الريح، ولها قوة وجهد عظيم فأمرها تعالى أن تنزل تحت الماء، فسكنت تحته، فحملته، ثم جعلت تخدم وجعل البرد يقوى في الماء، فأراد الماء أن يرجع إلى أصله ويجمد فلم تدعه الرياح، بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد، وجعلت تلك الشقوق تتعفن ويدخلها الثقل والنتونة، وشقوق تزيد على شقوق، ثم جعلت تكبر وتتسع، وذهبت إلى جهات سبع، وأماكن سبع فخلق الله منه الأرضين السبع ودخل الماء بينها والبحور، وجعل الضباب يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ثم جعل يتراكم فخلق الله منه السموات السبع.

ثم جعلت الريح تخدم خدمة عظيمة على عادتها أولاً وآخراً فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة خرق الريح للماء والهواء، وكلما زادت نار أخذتها الملائكة وذهبت بها إلى محل جهنم اليوم، فذلك أصل جهنم، فالشقوق التي تكونت منهاالأرضون تركوها على حالها، والضباب الذي تكونت منه السموات تركوه على حاله أيضاً، والنار زادت في الهواء أخذوها ونقلوها إلى محل آخر، لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع والضباب الذي منه السموات السبع، بل وتأكل الماء وتشربه بالكلية لقوة جهد الريح.

ثم إن الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ، وأمرهم أن يعبدوه عليها، وخلق ملائكة السموات من نوره ﷺ وأمرهم ان يعبدوه عليها.

وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها، فإنها أيضاً خلقت من نور، وخلق ذلك النور من نوره ﷺ.

وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره ﷺ. فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة، وإن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره ﷺ. ثم بعد هذا فهذه المخلوقات أيضاً سقيت من نوره ﷺ.

أما القلم فإنه سقي سبع مرات سقياً عظيماً، وهو أعظم المخلوقات بحيث إنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت وصارت رميماً. وكذا الماء فإنه سقي سبع مرات ولكن ليس كسقي القلم.

وأما الحجب السبعون فإنها في سقي دائم، وأما العرش فإنه سقي مرتين: مرة في بدء خلقه، ومرة عند تمام خلقه، لتستمسك ذاته. وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين،

مرة في بدء خلقها، ومرة بعد تمام خلقها، لتستمسك ذاتها.

وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من الأمم الماضية ومن هذه الأمة فإنهم سقوا ثمان مرات:

الأولى: في عالم الأرواح حين خلق الله نور الأرواح جملة فسقاها.

الثانية: حين جعل يصور منه الأرواح فعند تصوير كل روح سقاها بنوره ﷺ.

الثالثة: يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] فإن كل من أجاب الله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سقي من نوره ﷺ، لكن منهم من سقي كثيراً، ومنهم من سقي قليلاً، فمن وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء وغيرهم.

وأما أرواح الكفار، فإنها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه، فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والارتقاآت السرمدية ندمت وطلبت سقياً، فسقيت من الظلام والعياذ بالله تعالى.

الرابعة: عند تصويره في بطن أمه وترتيب مفاصله وشق بصره، فإن ذاته تسقى من النور الكريم لتلين مفاصله ويفتح سمعه وبصره، ولولا ذلك مالانت مفاصله.

الخامسة: عند خروجه من بطن أمه فإنه يسقى من النور الكريم ليلهم الأكل من فمه، ولولا ذلك ما أكل من فمه أبداً.

السادسة: عند التقامه ثدي أمه في أول رضعة، فإنه يسقى من النور الكريم أيضاً.

السابعة: عند نفخ الروح فيه، فإنه لولا سقي الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح أبداً، ومع ذلك، فلا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة وتعب يحصل للملائكة معها، ولولا أمر الله تعالى لها ومعرفتها به، ما قدر ملك على إدخالها في الذات.

وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول: مثل الملائكة الذين يريدون أن يدخلوا الروح في الذات كعبيد صغار لملك يرسلهم إلى الباشا العظيم ليدخلوه إلى السجن، فإذا نظرنا إلى الغلمان الصغار، والى الباشا العظيم وجدناهم لا يقدرون على معالجة الباشا في أمر من الأمور، وإذا نظرنا إلى الملك الذي أرسلهم وأنه الحاكم في الباشا وغيره حكمنا بأنه يجب أن يذل لهم الباشا وغيره، وإذا أرادوا إدخالها في الذات حصل لها كرب عظيم وانزعاجات كثيرة، وتجعل ترغرغ بصوت عظيم، فلا

يعلم ما نزل بها إلا الله تعالى، والله أعلم.

الثامنة: عند تصويره عند: البعث فإنه يسقى من النور الكريم لتستمسك ذاته.
قال رضي الله عنه فهذا السقي في هذه المرات الثمان اشترك فيه الأنبياء والمؤمنون من سائر الأمم.

ومن هذه الأمة ولكن الفرق حاصل فإن ما سقي به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قدر لايطيقه غيرهم فلذلك حازوا درجة النبوة والرسالة، وأما غيرهم فكل سقي بقدر طاقته.

وأما الفرق بين سقي هذه الأمة الشريفة وبين سقي غيرها من سائر الأمم فهو أن هذه الأمة الشريفة سقيت من النور الكريم بعد أن دخل في الذات الطاهرة، وهي ذاته ﷺ، فحصل لها من الكمال ما لا يكيف ولا يطاق، لأن النور الكريم أخذ سر روحه الطاهرة، ﷺ بخلاف سائر الأمم، فإن النور في سقيها إنما أخذ سر الروح فقط، فلهذا كان المؤمنون من هذه الأمة الشريفة كمّلاً وعدولاً وسطاً، وكانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ولله الحمد والشكر.

قال رضي الله عنه: وكذا سائر المخلوقات سقيت من النور الكريم، ولولا النور الكريم الذي فيها ما انتفع أحد منها بشيء.

قال رضي الله عنه: ولما نزل سيدنا آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى الأرض كانت الأشجار تتساقط ثمارها في أول ظهورها، فلما أراد الله تعالى إثمارها سقاها من نوره الكريم ﷺ، فمن ذلك اليوم جعلت تثمر، ولقد كانت قبل ذلك كلها ذكاراً تتفتح ثم تتساقط، ولولا نوره ﷺ الذي في ذوات الكافرين، الذي سقيت به عند تصويرها في البطون، وعند نفخ الروح، وعند الخروج، وعند الرضاع، لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلاً ولا تخرج إليهم في الآخرة وتأكلهم حتى ينزع منهم ذلك النور الذي صلحت به ذواتهم.

قال وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول: لما خلق الله تعالى النور الكريم، وخلق بعده القلم والعرش واللوح والبرزخ والجنة وخلق الملائكة الذين هم سكان العرش والجنة والحجب، قال العرش: يارب لِمَ خلقتني؟ فقال الله تعالى: لأجعلك حجاباً تحجب أحبابي من أنوار الحجب التي فوقك، فإنهم لا يطيقونها لأني أخلقهم من تراب.

ولم يكن في ذلك الوقت أعداء ولا دارهم التي هي جهنم، فظن الملائكة أن أحبابه الذين يخلقهم الله تعالى من تراب يخلقهم في الجنة ويسكنهم فيها ويحجبهم بالعرش.

ثم خلق الله تعالى نور الأرواح جملة فسقاه من النور المكرم، ثم ميزه الله تعالى قطعاً قطعاً فصور من كل قطعة روحاً من الأرواح، وسقاهم عند التصوير من النور المكرم أيضاً ثم بقيت الأرواح على ذلك مدة **فمنهم** من استحلى ذلك الشراب، **ومنهم** من لم يستحله. فلما أراد الله تعالى أن يميز أحبابه من أعدائه، وأن يخلق لأعدائه دارهم التي هي جهنم جمع الأرواح وقال لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] فمن استحلى ذلك النور وكانت منه إليه رقة وحنو عليه أجاب محبة، ورضي زمن لم يستحله أجاب كرهاً وخوفاً فظهر الظلام الذي هو أصل جهنم فجعل الظلام يزيد في كل لحظة، وجعل النور أيضاً يزيد في كل لحظة، فعند ذلك، علموا قدر النور المكرم حيث رأوا من لم يستحله استوجب الغضب، وخلقت جهنم من أجلهم. والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن سقوا من نور لم يشربوه بتمامه، بل كل واحد يشرب منه ما يناسبه، وكتب له، فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة، وأحوال عديدة، وأقسام كثيرة، فكل واحد شرب لوناً خاصاً ونوعاً خاصاً.

قال رضي الله عنه: فسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام الغربة وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة وعدم القرار في موضع واحد.

وسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم أنه يتواضع له، وهو إنما يتواضع لله عز وجل لقوة مشاهدته.

وسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام شرب من النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدرها. وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام. والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: إنما ظهر الخير لأهله ببركته ﷺ، وأهل الخير هم الملائكة والأنبياء والأولياء وعامة المؤمنين.

قال ابن المبارك: فقلت: وكيف يفرق بينهم؟ فقال رضي الله عنه: الملائكة ذواتهم من النور، وأرواحهم من النور، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ذواتهم من تراب، وأرواحهم من نور، وبين الروح والذات نور آخر هو شراب ذواتهم، وكذا الأولياء غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام زادوا عليهم بدرجة النبوة التي لا تكيف ولا تطاق.

وأما عوام المؤمنين فلهم ذوات ترابية وأرواح نورانية، ولذواتهم شبه عرق من ذلك النور الذي للأولياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قال رحمه الله: فقلت: وما نسبة هذه الأنوار من نور نبينا محمد ﷺ؟ وكيف استمدادها منه؟ فضرب رضي الله عنه مثلاً عامياً، على عادته نفعنا الله به، وقال: كمن جوع جماعة من القطط مدة حتى اشتاقوا للأكل اشتياقاً كثيراً، ثم طرح خبزة بينهم، فجعلوا يأكلون منها أكلا حثيثاً والخبزة لا ينقص منها قلامة ظفر، فكذا نوره ﷺ تستمد منه العوالم ولا ينقص شيئاً، والحق سبحانه وتعالى يمده بالزيادة دائماً، ولا تظهر فيه الزيادة بأن يتسع فراغها، بل الزيادة باطنة فيه لا تظهر أبداً، كما أن النقص لا يظهر.

فهذا النور المكرم تستمد منه الملائكة والأنبياء والأولياء والمؤمنون، والمدد مختلف كما سبق والله أعلم.

وسمعته رضي الله عنه يقول: أنوار الشمس والقمر والنجوم مستمدة من نور البرزخ، ونور البرزخ مستمد من النور المكرم ومن نور الأرواح التي فيه، ونور الأرواح مستمد من نوره ﷺ.

قال رضي الله عنه: وإنما ظهرت الأنوار فيها عند قرب خلق آدم، وبعد خلق الأرض وجبالها فكانت الملائكة والأرواح يعبدون الله تعالى فلم يفجأهم إلا والأنوار ظهرت في الشمس والقمر والنجوم، ففر الملائكة الذين في الأرض من نور الشمس إلى ظل الليل، فجعلت الشمس تنسخه وهم يذهبون معه، إلى أن عادوا إلى المكان الذي بدأوا منه وحصل لهم هول عظيم وظنوا أن ذلك حدث لأمر عظيم فاجتمع ملائكة كل أرض في أرضهم وفعلوا ما سبق.

وأما ملائكة السموات والأرواح التي في البرزخ فإنهم لما رأوا ملائكة الأرض فعلوا ما فعلوا نزلوا معهم إلى الأرض.

فأما أرواح بني آدم فوقفوا مع ملائكة الأرض الأولى واجتمع الجميع من ملائكة الأرض والسموات والأرواح في تلك الليلة، فلما رجعت الشمس إلى موضعها الأول ولم يحدث شيء أمنوا فرجعوا إلى مراكزهم، ثم صاروا يفعلون ذلك كل عام فهذا سبب ليلة القدر والله أعلم.

قال ابن المبارك وسمعته رضي الله عنه يقول في شرح قول ابن مشيش: **(وفيه ارتقت الحقائق)**: إن المراد بالحقائق أسرار الحق تعالى التي فرقها خلقه وهي ثلاثمائة وستة وستون سراً ظهرت في الحيوانات على ما أراد الحق سبحانه، وظهرت في الجمادات كذلك، وهكذا سائر المخلوقات.

قال رضي الله عنه: ففي النبات مثلاً سر منها، وهو النفع، فهذا النفع حقيقة من حقائق الحق سبحانه أي المتعلقة به، لأن كل حق فهو متعلق به سبحانه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ثم هذا النفع ارتقى في النبي ﷺ وبلغ مقاماً لم يكن لغيره، ألا ترى النفع السابق في استمداد المكونات كلها من نوره ﷺ ولم يثبت هذا لمخلوق.

قال رضي الله عنه: وفي الأرض مثلاً سر الحمل لما فيها، وهو حقيقة من حقائق الحق سبحانه وقد ارتقى في النبي ﷺ إلى حد لا يطاق، حتى أنه لو جعل ما فيه من الأسرار والمعارف على المخلوقات لتهافتوا ولم يطيقوا ذلك.

وفي أهل المشاهدة مثلاً سر من الأسرار، وهو أنهم لا يغفلون عنه تعالى طرفة عين، وهذا المعنى ارتقى فيه النبي ﷺ إلى حد لا يطاق كما سبق في مشاهدته الشريفة.

وفي الصديقين سر من أسرار الحق سبحانه، وهو الصدق، ارتقى في النبي ﷺ إلى حد لا يطاق، وفي أهل الكشف سر من أسرار الحق سبحانه، وهو معرفة الحق على قدر السقي من أنوار الحق سبحانه.

ولما كان النبي ﷺ هو الأصل في الأنوار، ومنه تفرقت، لزم أن الحقائق ارتقت فيه على قدر نوره، ونوره لا يطيقه أحد فارتقاء الحقائق الذي فيه لا يطيقه أحد والله أعلم.

قال وسمعته رضي الله عنه يقول في قوله: **(وتنزلت علوم آدم)** إن المراد بعلوم آدم ما حصل له من الأسماء التي علمها المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: 31] والمراد بالأسماء الأسماء العالية، لا الأسماء النازلة، فإنّ كل مخلوق له اسم عال واسم نازل، فالاسم النازل هو الذي يشعر بالمسمّى في الجملة، والاسم العالي هو الذي يشعر بأصل المسمى، ومن أي شيء هو، وبفائدة المسمى، ولأيّ شيء يصلح، الفاس من سائر ما يستعمل فيه، وكيفية صنعة الحداد له فيعلم من مجرد سماع لفظه هذه العلوم والمعارف المتعلقة بالفاس سائر البشر أو لهم بها تعلق، وهي من كل مخلوق تحت العرش إلى ما تحت الأرض فيدخل في ذلك الجنة والنار والسموات السبع وما فيهن وما بينهن، وما بين السماء والأرض، وما في الأرض من البراري والقفار والأودية والبحار والأشجار، فما من مخلوق من ذلك ناطق أو جامد إلا وآدم يعرف من اسمه تلك الأمور الثلاثة: أصله، وفائدته، وكيفية ترتيبه، ووضع شكله، فيعلم من اسم الجنة من أين خلقت، ولأي شيء خلقت، وترتيب مراتبها وجميع من فيها من الحور، وعدد من يسكنها بعد البعث، ويعلم من لفظ النار مثل ذلك، ويعلم من لفظ السماء مثل ذلك، ولأي شيء كانت الأولى في محلها، والثانية، وهكذا في كل سماء. . . ويعلم من لفظ الملائكة من أي شيء خلقوا، ولأي شيء خلقوا، وكيفية خلقهم وترتيب مراتبهم، وبأي شيء استحق هذا الملك هذا المقام واستحق غيره مقاماً آخر، وهكذا في كل ملك في العرش إلى ما تحت الأرض.

فهذه علوم آدم وأولاده من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء الكمل رضي الله عنهم أجمعين، وإنما خص آدم بالذكر لأنه أول من علم هذه العلوم، ومن علمها من أولاده فإنما علمها بعده، وليس المراد أنه لا يعلمها إلا آدم، وإنما خصصناها بما يحتاج إليه وذريته وبما يطيقونه لئلا يلزم من عدم التخصيص الإحاطة بمعلومات الله تعالى.

وإنما قال تنزلت إشارة إلى الفرق بين علم النبي ﷺ بهذه العلوم وبين علم آدم وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بها فإنهم إذا توجهوا إليها يحصل لهم شبه منام عن مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، وإذا توجهوا نحو مشاهدة الحق سبحانه وتعالى حصل لهم شبه النوم عن هذه العلوم، ونبينا ﷺ لقوته لا يشغله هذا عن هذا، فهو إذا توجه نحو الحق سبحانه وتعالى حصلت له المشاهدة التامة وحصل له مع

ذلك مشاهدة هذه العلوم وغيرها مما لا يطاق، وإذا توجه نحو هذه العلوم حصلت له مع حصول هذه المشاهدة في الحق سبحانه وتعالى فلا تحجبه مشاهدة الحق عن مشاهدة الخلق ولا مشاهدة الخلق عن مشاهدة الحق سبحانه وتعالى.

وقال رضي الله عنه في قوله: **(وله تضاءلت الفهوم)** أي اضمحلت فيه ﷺ، فلم يدركه سابق، وهم الأنبياء، ولا لاحق، وهم الأولياء، وقوله: **(فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه)** أي فأسرار العالم العلوي وكل مخلوق فيه من الملائكة وغيرهم رحمهم الله تعالى مشرقة بنوره ﷺ، **(وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة)**. قال رضي الله عنه: اعلم أن العالم العلوي يقال له عالم الملك، وعالم الملكوت، وعالم الجبروت باعتبارات مختلفة، فعالم الملك باعتبار اتفاق أهله، أعني ناطقهم وصامتهم وجامدهم وعاقلهم، فإنهم اتفقوا على نظر واحد والتفات واحد إلى معبود واحد وهو الحق سبحانه وتعالى، فهم متفقون على معرفته ومشاهدته وسلب الاختيار عنهم بخلاف أهل الأرض من العالم السفلي **فمنهم** عباد شمس وعباد قمر وعباد كواكب وعباد صليب وعباد وثن إلى غير ذلك من ضلالتهم فاختلف نظرهم بخلاف أهل العالم العلوي. **وبالجملة** فكل عالم اتفق أهله على كلمة حق، فهو عالم الملك وليس ذلك إلا العالم العلوي.

وعالم الملكوت باعتبار اختلاف أنوار أهله وتباين مقاماتهم وأحوالهم. وعالم الجبروت باعتبار الأنوار التي تهب عليهم كما يهب علينا ريح الهواء في عالمنا، فتهب عليهم تلك الأنوار لتسقى بها ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم بها مقاماتهم، فهي، أي الأنوار التي تهب عليهم، كالحافظة لجميع ما سبق من أحوالهم فجعل لتلك الأنوار التي أشير إليها بالجبروت حياضاً، ولما كانت تلك الأنوار إنما تستمد من نوره ﷺ قال إن تلك الحياض تدفقت من فيض أنواره ﷺ.

قال ابن المبارك رحمه الله تعالى: قلت: وهذا الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه في هذه العوالم الثلاثة حسن.

وذهب بعضهم إلى أن عالم الملك هو المدرك بالحواس، وعالم الملكوت هو المدرك بالعقول، وعالم الجبروت هو المدرك بالمواهب.

وقال بعضهم: عالم الملك هو الظاهر المحسوس، وعالم الملكوت هو الباطن في العقول، وعالم الجبروت هو المتوسط بينهما الآخذ بطرف من كل منهما.

وقال الشيخ رضي الله عنه في قوله: (**ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط**). إن الكل مستمد منه ﷺ ومستند عليه في الحقيقة، وهو الواسطة لوجود الأشياء فإنها وجدت من أجله ﷺ، وهو وسيلتهم العظمى، والمراد بالموسوط ما عداه ﷺ.

وقوله: (**كما قيل**)، إشارة إلى أن هذا الأمر قد قاله غيره، واشارة به إلى ما اشتهر على ألسنة الخاص والعام أنه لولاهو ﷺ ما خلقت جنة ولا نار، ولا سماء ولا أرض، ولا زمان ولا مكان، ولا ليل ولا نهار، ولا غير ذلك. . .

وقال رضي الله عنه في قوله: (**اللهم إنه سرك الجامع**) أي الذي حمل من أسرارك وجمع منها ما لم يجمعه غيره، فإن المشاهدة كلما اتسعت دائرتها اتسعت علوم صاحبها ولا أعظم من مشاهدته ﷺ، وعندنا من يعلم من العرش إلى العرش، ويطلع على جميع ما فيه وما فوقه وذلك كله بالنسبة إليه ﷺ كألف من ستين حزباً التي هي القرآن العزيز والله أعلم.

وقال رضي الله عنه في قوله: (**اللهم الحقني بنسبه وحققني بحسبه**) أن المراد بالنسب ماثبت في باطنه ﷺ من المشاهدة التي عجز عنها الخلائق أجمعون، والشيخ عبد السلام رضي الله عنه كان قطباً معاً ووارثاً كاملاً له ﷺ.

والمراد بالحسب صفاته ﷺ مثل الرحمة والعلم والحلم وغير ذلك من أحلاقه الزكية الطاهرة المرضية، ولما كانت مشاهدته ﷺ لا يطيقها أحد طلب للحقوق بها دون التحقق بها لأنه لا يطيقه.

قال رضي الله عنه: وإياك أن تظن أن نظر الشيخ ومجمع قصده ونهاية عزمه توجهت لغير ذاته الشريفة ﷺ من كشف وتصرف وولاية، بل هي مقصورة على الذات الشريفة، انتهى كلام سيدي عبد العزيز في ما شرح به ما شرحه من صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنهما.

ومن جواهر سيدي عبد العزيز الدباغ أيضاً

[البرزخ وروح سيد الوجود ﷺ]

وهي أول الفوائد التي أخذتها من الباب العاشر الذي ذكر فيه البرزخ وصفته وكيفية حلول الأرواح، فيه قول ابن المبارك رحمه الله تعالى: سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول في البرزخ: إنه على صورة محل شق من أسفله ثم مادام يطلع

يتسع، فلما بلغ منتهاه جعلت قبة على رأسه مثل قبة الفنار

أما في القدر والعظم فإن البرزخ أصله في السماء الدنيا، ولم يخرج منها إلى ما يلينا ثم جعل يتصاعد عالياً حتى خرق السموات السبع، ثم تصاعد إلى ما لا يحصى، وقد جعلت قبته عليه هذا طوله والقبة أشرف ما فيه إذ ليس فيها إلا روح سيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ومن أكرمه الله بكرامته، كأزواجه الطاهرات وبناته وذريته الذين كانوا في زمانه، وكل من عمل بالحق بعده من ذريته إلى يوم القيامة، وأرواح الخلفاء الأربعة والشهداء الذين ماتوا بين يدي النبي ﷺ في زمانه وبذلوا نفوسهم ليحيا ﷺ ويبقى ولهم قوة وجهد لا يوجد في غيرهم إثابة لهم على حسن صنيعهم رضي الله عنهم، وأرواح ورثته الكاملين ﷺ كالغوث والأقطاب رضي الله عنهم فأشرف ما في البرزخ القبة المقصورة.

وأما عرض البرزخ فحسبك أن الشمس في السماء الرابعة لا تدور إلا به على هيئة الطائف به فتقطعه في عام وكله ثقب وفيها الأرواح.

أما روح سيد الوجود ﷺ ومن أكرمه الله بكرامته ممن سبق ذكره فهي في القبة كما تقدم ولكن روحه ﷺ لا تدوم فيها لأنها وغيرها من المخلوقات لا تطيق حمل تلك الروح الشريفة لكثرة الأسرار التي فيها وإنما يطيق حمل تلك الروح الشريفة ذاته الطاهرة الزكية الزاهرة ﷺ، فلذا كانت روحه ﷺ في البرزخ غير مقيمة في محل معين لأنه لا يطيقها شيء والأرواح التي في البرزخ من السماء الرابعة فصاعداً لها أنوار خارقة، ومن الثالثة فسافلاً غالبها محجوب لا نور لها، وهذه الثقب التي في البرزخ كانت قبل خلق آدم معمورة بالأرواح، وكان لتلك الأرواح أنوار ولكنها دون الأنوار التي لها بعد مفارقة الأشباح، فلما هبطت روح آدم عليه السلام إلى ذاته بقي موضعها خالياً، وهكذا كلما هبطت روح بقيت تثبتها خالية منها، فإذا رجعت الروح بعد الموت إلى البرزخ لا ترجع إلى الموضع الذي كانت فيه بل تستحق موضعاً آخر غيره، قال ابن المبارك قلت: كأنه يقول: بل تستحق منزلاً أعلى إن كانت مؤمنة وأسفل إن كانت كافرة. ثم قال: قال الشيخ رضي الله عنه، وعند فراغ الأرواح التي لم تخرج إلى الدنيا واستكمالها الخروج إليها حتى لا تبقى روح إلا وخرجت حينئذ تقوم القيامة. قال ابن المبارك قلت فيلزم أن يعلم أرباب هذا الكشف بالساعة ومتى تقوم وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: 34] الآية.

وقال النبي ﷺ: «**في خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى**»[1]. فقال رضي الله عنه إنما قال ذلك النبي ﷺ لأمر ظهر له في الوقت وإلا فهو ﷺ لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة، وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث، فكيف بالغوث فكيف بسيد الأولين والآخرين الذي هو سبب كل شيء ومنه كل شيء. ثم قال رضي الله عنه: وكم مرة أنظر إلى مقابر فاس فأرى الأنوار خارجة من الأرض ذاهبة إلى البرزخ على هيئة القصب النابت من الأرض فأعلم أن أصحاب تلك الأنوار أولياء أخيار.

وكم مرة يقول هٰهنا ولي كبير في موضع من المواضع هٰاهو نوره خارج إلى البرزخ، وكذلك هو في قبر نبينا ومولانا محمد ﷺ، فعمود نور إيمانه ﷺ ممتد من القبر الشريف إلى قبة البرزخ التي فيها روحه الطاهرة وتأتي الملائكة زمراً زمراً وتطوف بذلك النور الشريف الممتد وتتمسح به وتتطارح عليه تطارح النحلة على يعسوبها، فكل من عجز عن سر أو عن تحمل أمر حصل له كان أو وقوف في مقام، فإنه يجيء إلى النور الشريف ويطوف به، فإذا طاف به اكتسب قوة كاملة وجهداً عظيماً من نوره ﷺ، فيرجع إلى موضعه وقد قوى أمره ولا يفرغ من طوافه حتى تجيء جماعة أخرى من الملائكة كل واحد منهم يبادر إلى الطواف.

وقال لي مرة: لما أراد الله أن يفتح عليَّ وأن يجمعني برحمته نظرت وأنا بفاس إلى القبر الشريف، ثم نظرت إلى النور الشريف فجعل يدنو مني وأنا أنظر إليه فلما قرب مني خرج منه رجل وإذا هو النبي ﷺ فقال لي سيدي عبد الله البرناوي: لقد جمعك الله يا سيدي عبد العزيز مع رحمته وهو سيد الوجود ﷺ فلست أخاف عليك تلاعب الشياطين، وذكر في الإبريز فوائد كثيرة مهمة تتعلق بالبرزخ فراجعها إن شئت.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الحقيقة المحمدية من جواهر
الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني
شارح المواهب اللدنية المتوفى سنة 1122هـ[*]

فمن جواهره

[معنى الحقيقة المحمدية]

رحمه الله تعالى قوله في شرح المواهب عند قول المصنف في أوائل المقصد الأول: اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية وهي الذات مع النعت الأول كما في التوقيف.

وفي لطائف الكاشي[1] يشيرون بالحقيقة المحمدية إلى الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها، أي للحقائق، والسارية بكليتها، في كلها سريان الكلي في جزئياته.

قال: وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة لحقيقة الحقائق لأجل ثبوت الحقيقة المحمدية في خلق الوسطية هي عين النور الأحمدي المشار إليه بقوله ﷺ أول ما خلق الله نوري، أي قدر على أصل الوضع اللغوي، وبهذا الاعتبار سمي المصطفى بنور الأنوار، وبأبي الأرواح، ثم إنه آخر كل كامل إذ لا يخلق الله بعده مثله ﷺ

ومن جواهر الإمام الزرقاني أيضاً

[غين الأخيار لا غين الأغيار]

قوله في المقصد الرابع أيضاً عند قول المواهب ذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء

(*) هو محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري الأزهري المالكي، أبو عبد الله: خاتمة المحدثين بالديار المصرية. مولده ووفاته بالقاهرة (1055 ـ 1122هـ = 1645 ـ 1710م). ونسبته إلى زرقان (من قرى منوف بمصر) من كتبه (تلخيص المقاصد الحسنة) في الحديث، و(شرح البيقونية) في المصطلح، و(شرح المواهب اللدنية) و(شرح موطأ الإمام مالك) و(وصول الأماني) في الحديث. انظر: (الأعلام للزركلي ـ (6/ 184)).

(1) يقصد كتاب لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام والكتاب مطبوع في الدار بتحقيقنا.

الله في كتابه لطائف المنن: إن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فسألته عن هذا الحديث «**إنه ليغان على قلبي**»[1] فقال لي: يا مبارك ذلك غين الأنوار لا غين الأغيار، قال المحاسبي خوف المقربين من الأنبياء الملائكة خوف إجلال وإعظام وإن كانوا آمنين عذاب الله.

وقال السهروردي لا نعتقد أن الغين حالة نقص، بل هو كمال أو تتمة كمال، ثم مثل ذلك بجفن العين حين يسبل ليدفع القذى عن العين مثلاً فإنه يمنعها من الرؤية فهو صورة نقص من هذه الحيثية وفي الحقيقة هو كمال هذا محصل كلامه بعبارة طويلة.

قال: فهكذا بصيرة النبي ﷺ معترضة للأغبرة الثائرة من أنفاس الأغيار فدعت الحاجة إلى الستر على حدقة بصيرته صيانة لها ووقاية عن ذلك انتهى.

وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم، والاستغفار يستدعي وقوع معصية.

وأجيب بأجوبة **منها** ما تقدم في تفسير الغين. **ومنها** قول ابن الجوزي: هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإن عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر. كذا قال. وهو مفرع على خلاف المختار والراجح من عصمتهم عصمتهم من الصغائر أيضاً. **ومنها** قول ابن بطال الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لما أعطاهم الله من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير.

ومحصل جوابه: أن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الواجب له تعالى، ويحتمل أن يكون لاشتغاله بالأمور المباحة من أكل وشرب وجماع، ونوم، وراحة، ومخاطبة الناس، والنظر في مصالحهم، ومحاربة عدو تارة، ومداراته أخرى وتأليف المؤلفة، وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله والتضرع إليه ومشاهدته ومراقبته، فيرى ذلك ذنباً بالنسبة إلى المقام العلي، وهو الحضور في حظيرة القدس.

ومنها: أن استغفاره تشريع لأمته أو من ذنوبهم فهو كالشفاعة لهم. وقال الغزالي: كان ﷺ دائم الترقي فإذا ارتقى إلى حال رأى ما قبلها ذنباً فاستغفر من

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار..، حديث رقم (2702) [4/ 2075] ورواه أبو داود، باب في الاستغفار، حديث رقم (1515) [2/ 84] ورواه غيرهما.

الحال السابق، وهذا مفرع على أن القدر المذكور في استغفاره كان مفرقاً بحسب تعدد الأحوال، وظاهر ألفاظ الحديث يخالف ذلك إذ ليس فيها ما يدل على افتراق واجتماع.

ومن جواهر الإمام الزرقاني أيضاً

[النبي ﷺ حي في قبره]

قوله في المقصد الرابع أيضاً عند قول المواهب: منها، أي من خصائصه، ﷺ أنه حي في قبره.

قال البيهقي: لأن الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، وقد رأى نبينا ﷺ جماعة منهم، وأمهم في الصلاة، وأخبر ﷺ وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه. وأن سلامنا يبلغه، وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

قال السيوطي: وقلّ نبي إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة، فيدخلون في عموم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿169﴾﴾ [آل عِمرَان: 169] الآية.

وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أحلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً، أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل ذلك أن الله اتخذه نبياً واتخذه شهيداً.

وأخرج البخاري والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها كان ﷺ يقول في مرضه الذي توفي فيه: «**لم أزل أجد ألم الطعام من حين أكلت بخيبر، فهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم**»(1) هـ.

وهذا هو مراد ابن مسعود في الأثر السابق بقوله قتل قتلاً أي بتأثير السم الذي وضعته اليهودية في ذراع الشاة يوم خيبر فأكل منه ﷺ.

---

(1) رواه البيهقي في سننه بلفظ: «يا عائشة إني أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري»، باب استعمال أواني المشركين والأكل من طعامهم، حديث رقم (19501) [10/ 11] ورواه بنحوه الدارمي في السنن، باب ما أكرم النبي ﷺ من كلام الموتى، حديث رقم (67) [1/ 46].

ومن جواهر الإمام الزرقاني أيضاً

[النبي ﷺ حي في قبره كما سائر الأنبياء]

ما ذكره عند قول المواهب في المقصد الرابع أيضاً، فإن قلت القرآن ناطق بموته ﷺ، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر: 30] وقال: «**إني امرؤ مقبوض**»[1].

وقال الصديق، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. وأجمع المسلمون على ذلك الإطلاق. فأقول أجاب الشيخ تقي الدين السبكي: بأن ذلك الموت غير مستمر، وأنه ﷺ أُحيي بعد الموت حياة أخروية، ولا شك إنها أعلى وأكمل من حياة الشهداء، وهي ثابتة للروح بلا إشكال، وقد ثبت أن أجساد الأنبياء لا تبلى، وعود الروح إلى الجسد ثابت في الصحيح لسائر الموتى، فضلاً عن الشهداء، فضلاً عن الأنبياء، وإنما النظر في استمرارها في البدن، وفي أن البدن يصير حياً كحالته في الدنيا، أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله تعالى، فإن ملازمة الروح للحياة أمر عادي لا عقلي، فهذا مما يجوزه العقل، فإن صح به سمع اتبع وقد ذكره جماعة من العلماء ويشهد له صلاة موسى في قبره، كما ثبت في الصحيح، فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً.

وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لهم حكم آخر فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحقيقة لهم. **وأما الإدراكات** كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم بل ولسائر الموتى كما ورد في الأحاديث. حكى جميع ذلك الشيخ زين الدين المراغي وقال إنه مما يعز وجوده في مثله يتنافس المتنافسون.

قال الزرقاني في أنباء الأذكياء [بحياة الأنبياء]: حياة النبي ﷺ في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت

(1) رواه الطيالسي في المسند عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم (403) [1/ 53] ونصه كاملاً: عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ إني امرؤ مقبوض فتعلموا القرآن وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها الناس وتعلموا العلم وعلموه الناس فإني مقبوض وإنه سيقبض العلم وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما.

به الأخبار وألف البيهقي في ذلك جزءاً.

وفي تذكرة القرطبي عن شيخه الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى.

وقد صح أن الأرض لا تأكل أجسادهم وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ورأى موسى قائماً يصلي في قبره، وأخبر ﷺ بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصه الله تعالى بكرامة من أوليائه انتهى.

ولا تدافع بين رؤية موسى يصلي في قبره، وبين رؤيته في السماء، لأن للأنبياء مراتع ومسارح يتعرفون في ما شاءوا ثم يرجعون، أو لأن أرواحهم بعد فراق الأبدان في الرفيق الأعلى ولهذا إشراف على البدن وتعلق فيتمكنون من التعرف والتقرب بحيث يرد السلام على المسلم، وبهذا التعلق رآه يصلي في قبره ورآه في السماء، ورأى الأنبياء في بيت المقدس وفي السماء. كما أن نبينا التحق بالرفيق الأعلى وبدنه في قبره يرد السلام على من يسلم عليه، ولم يفهم من قال رؤيته يصلي في قبره منامية أو تمثيل أو إخبار عن وحي لا رؤية عين فكلها تكلفات بعيدة.

وأخرج البيهقي في كتاب «حياة الأنبياء» والحاكم في تاريخه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكن يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور، قال الحافظ في سنده محمد ابن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى سيئ الحفظ.

قال: وأما ما أورده الغزالي والرافعي بلفظ: **أنا أكرم على ربي أن يتركني في قبري بعد ثلاث**. فلا أصل له إلا أن أخذ من رواية ابن أبي ليلى هذه وليس الأخذ بجيد إذ تلك قابلة للتأويل.

قال البيهقي: إن صح فالمراد أنهم لا يتركون يصلون إلا هذا المقدار ويكونون مصلين بين يدي الله تعالى.

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف بالله تعالى سيدي السيد مصطفى البكري المتوفى سنة 1162هـ (*)

فمن جواهره رضي الله عنه

[الحجاب الأعظم]

قوله في شرحه على صلوات سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه عند قوله: «واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي»: إن روحه المحمدية ﷺ هي الممدة لسائر الحقائق، على قدر استعداد كل واحد من الخلائق.

ثم قال عند قوله «وحقيقته جامع عوالمي»: واجعل حقيقته المحمدية، حقيقة الحقائق، وينبوع الرقائق، ومجموع الدقائق، جامع عوالمي الظاهرة والباطنة لتستمد منه ﷺ كل ذرة من ذرات وجودي، فيسمو بهذا الاستمداد شهودي، واعرف نفسي فأعرف مقصودي، وأطلق من جسمي وأفك من قيودي، إذ حقيقته ﷺ دائرتها جمعت الأواخر والأوائل، وأحاطت بكل محاط إمداداً وإسعاداً بغير حاجب مانع وحائل، وأمدت كل شخص بما تقتضيه حقائقه وعوالمه فشقي من شقي وسعد الذي لجنابه مستند ومائل، فكل من أرشد ودعا فعن واسطته وعن فيضه ﷺ متكلم وقابل وقائل.

(*) مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي، الخلوتي طريقة، الحنفي مذهباً، متصوف، من العلماء، كثير التصانيف والرحلات والنظم. ولد في دمشق سنة 1099هـ = 1688م، ورحل إلى القدس سنة 1022هـ وزار حلب وبغداد ومصر والقسطنطينية والحجاز، ومات بمصر سنة 1162هـ = 1749م).

من كتبه: (مجموع رسائل رحلاته) في مجلد كبير أكثره بخطه. وفي تاريخ المرادي أسماء كتبه كلها. منها (السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد) و(الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام) و(المورد العذب لذوي الورود، في كشف معنى وحدة الوجود) رسالة، و(الصلاة الهامعة) في فضائل الخلفاء الأربعة، و(الفتح القدسي) أدعية، و(بلغة المريد) أرجوزة في التصوف 213 بيتاً، و(أرجوزة في الشمائل) و(التواصي بالصبر والحق) تصوف، (شرح القصيدة المنفرجة) و(فوائد الفرائد) منظومة في العقائد، شرحها الدردير، و(اللمحات) في صلوات ابن مشيش، و(منظومة الاستغفار) مع شرح لهما، و(المنهل العذب السائغ لوراده في ذكر صلوات الطريق وأوراده). انظر: (الأعلام للزركلي (7/ 239)).

وهذا الشرح سماه «اللمحات الرافعات للتدهيش على معاني صلوات ابن مشيش». وقد ذكر في خطبته أنه شرحها بثلاثة شروح قبله **الأول**: كبير: واسمه «الروضات العرشية». في الكلام على الصلوات المشيشية، **والثاني**: وسط اسمه «كروم عريش التهاني في الكلام على صلوات ابن مشيش الداني» وهذا ألفه في الديار الإسلامبولية، **والثالث**: مختصر واسمه «فيض القدوس السلام على صلوات سيدي عبد السلام ولما ظهر له من المعاني ما لم يكن ظهر له من قبل شرحها بهذا الشرح الرابع رضي الله عنه وعن مؤلفها.

ومن جواهر السيد مصطفى البكري أيضاً

[حزب النووي]

قوله رضي الله عنه في آخر شرحه على حزب الإمام النووي رضي الله عنهما: محمد هو أشهر أسمائه ﷺ ولم يقسم به أحد قبله لكن لما قرب زمان ظهور نوره وفشا ذكره وانتشر سمى به أهل الكتاب أولادهم رجاء النبوة وعدتهم خمسة عشر، وأسماؤه ﷺ قيل ألف، وقيل ألفان وعشرون، ولكن ألذها للأسماع، وأشرفها لتسكين لاعج الإلتياع، هذا الاسم الكريم، وإن كانت كل أسمائه ﷺ بهذا المنزل العظيم.

قال شارح الدلائل قريباً من الأوائل: هو أشهر أسمائه ﷺ وأخصها وأعرفها وبه يناديه الله تبارك وتعالى ويسميه في الدنيا والآخرة، وهو المختص بكلمة التوحيد، وبه كني آدم عليه الصلاة والسلام، وبه تشفع وعليه صلى في مهر حواء، وبه كان يسمي نفسه ﷺ، فيقول: «**أنا محمد بن عبد الله**»، «**والذي نفس محمد بيده**»، و«**فاطمة بنت محمد**»، ويكتب من محمد رسول الله، وبه يصلي عليه الملائكة، وبه يسميه عيسى عليه السلام في الآخرة حين يدل عليه للشفاعة، وبه سماه جبريل في حديث المعراج وغيره، وبه سماه إبراهيم عليه السلام في حديث المعراج أيضاً.

وبه سماه جده عبد المطلب حين ولد وبه كان يدعوه قومه، وبه ناداه ملك الجبال، وبه صعد ملك الموت إلى السماء باكياً لما قبض روحه الشريفة ينادي وامحمداه، وبه يسمي نفسه ﷺ لخازن الجنان حين يستفتح فيفتح له إلى غير ذلك مما لم يحضرني الآن.

وقال عند شرح أسمائه ﷺ وهو اسم علم على ذاته ﷺ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفَتْح: 29] وهو منقول من الصفة إذ أَصله اسم مفعول من حمد المضاعف ثم نقل وجعل علماً عليه ﷺ، وهو من صيغ المبالغة معنى إذ الثلاثي تضعف عينه لقصد المبالغة فكان الأصل محموداً من حمد المبني للمفعول، ثم ضعف فصار الفعل حمّد بالتضعيف، والمفعول محمد كذلك وذلك للمبالغة لتكرار الحمد له مرة بعد مرة، فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمداً بعد حمد، ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح إلا لمن تكرر عليه الفعل مرة بعد أخرى فهو اسم مطابق لذاته ومعناه ﷺ إذ ذاته محمودة على أَلسنة العوالم من كل الوجوه حقيقة وأوصافاً، وخَلْقاً، وخُلُقاً، وأعمالاً، وأحوالاً، وعلوماً، وأحكاماً، وجميع عوالمه المتنزل لها والظاهر بها فهو محمود في الأرض وفي السماء وهو أيضاً محمود في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بما هدي إليه ونفع به من العلم والحكمة.

وفي الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ومع ذلك هو الحامد إذ ما حمده أحد إلا بما علمه إياه إذ هو نبي الجميع فهو الحامد، وإن شئت قلت هو الحامد لله تعالى على الإطلاق بالتحقيق ويحمده لله تعالى حمده الله على أَلسنة عباده، فهو الحامد المحمود إلا أنه أخص من حيث تنزل الأمر.

ومبدأ الفاعلية بالأحمدية ومن حيث بلوغ الأمر ومنتهى المفعولية بالمحمدية فكان اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمداً فهو ﷺ خير من حمد وأفضل من حمد وعلى التحقيق لم يحمد، ولم يحمد من الخلق إلا هو ﷺ، وكيف ولواء الحمد بيده وهو صاحب المقام المحمود الذي يحمده فيه الأولون والأخرون اهـ.

قال يعني الفاسي في شرح الدلائل وغالب هذا الكلام للشيخ أبي عبد الله البكي في شرح الحاجبية ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمداً، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك وقع في الوجود، فإن تسميته أحمداً وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن، وأحمد أيضاً منقول من الصفة التي معناها التفضيل بمعنى أحمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد، ثم قال قال الشيخ أبو عبد الله البكي، ولهذا الاسم، أعني محمداً، إشارات لطيفة من حيث صورته ومادته، أي من جهة حروفه المادية ومن جهة هيئته الصورية.

أما **الأول**: فلما اشتمل عليه باعتبار حروفه من ميم الملكوت الأعلى، وحاء الحياة، والحفظ الذي به وفيه كتب القلم الأسنى وميم الملكوت الباطن في ميم الملك الظاهر، ودال الدوام والاتصال الماحية لوهمي الانقطاع والانفصال.

وأما **الثاني**: فإن صورة هذا الاسم على صورة الإنسان فالميم الأولى، رأسه والحاء جناحاه، والميم الثانية بطنه، والدال رجلاه اهـ.

وقال الشيخ عبد الرحمٰن البسطامي رحمه الله تعالى في كتاب «درة الظنون في رؤية قرة العيون» في الفصل الثاني منه.

ثم إن هذا الاسم الأقدس لم يتسم به على الحقيقة أحد قبله ولا بعده ﷺ وإنما وقع للناس مشاركات في جهات من جهات لفظه لا من جهات معناه إذ ما من مخلوق سواه إلا ويلحقه نقص ما لو عدم التناهي في الكمال إلى رتبته ﷺ فلا يكون محمداً على الإطلاق فإن الوصف بعدم بلوغ الغاية في الكمال نوع من الذم ومن يلحقه الذم بوجه ما فليس محمداً على الحقيقة فلا محمداً إلا محمد ﷺ ولهذا المعنى لما أراد المشركون هجوه ﷺ بالكلام الموزون صرف الله تعالى عنه ذلك لأن حقيقته ﷺ لا تقتضيه بوجه من الوجوه، فكانوا يهجون مذمماً، وهو الشيطان.

فإن هذا الاسم أجمع أسماء الشياطين لاشتماله على ما يتضمن نقصاً مع بلوغ الغاية وللمباينة الواقعة بين هذين الاسمين وعدم الاشتراك بينهما في وصف من الأوصاف لم يمكن للشيطان أن يتمثل على صورته ﷺ.

فإن قيل إذا كان اشتقاق اسم محمد من اسمه عزَّ وجل محمود كما قال حسان رضي الله عنه، أي في قوله:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

فلم بولغ في هذا دون ذلك فالجواب أنه ﷺ لما كان بشراً وليس من شأن البشر الكمال في الأوصاف ولا بلوغ الغاية فيها احتيج إلى المبالغة في اسمه ﷺ للإعلام بأنه ليس مثلهم في هذا الوصف بل مرآته قابلة لجميع حقائق الأسماء والصفات انتهى.

وقال سيدي أبو المواهب الشاذلي رضي الله عنه في قوانين الإشراق قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾ [البقرة: 34].

فإن قلت: السجود لغير الله حرام فكيف جاز السجود؟ قلنا: هذا السجود معناه خضوع تواضع الأصغر للأكبر، لا أنه سجود المربوب للرب. لأن آدم عليه السلام عبد لا رب، لكنه أكرم في الصورة الآدمية بظهور السمة المحمدية، فهذا هو الذي

أوجب السجود في المحراب، «يا أولي الأذواق والألباب».

وذلك أن رأس آدم ميم، ويده حاء، وسرته ميم، وباقيه دال. وكذلك كان يكتب في الخط القديم. قال أبو المواهب رحمه الله، ويؤيد مقالنا ما قاله أستاذنا، أي سيدي علي وفا رضي الله عنه:

لو أَبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد

وهو ﷺ نور جميع الرسل والأنبياء وكل أهل الصلاح من الأتقياء كما قال:

عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أَعين هو نورها لما ورد[1]

وذلك أنه ﷺ جمع الله تعالى له نور الأنبياء وإرشاد الرسل وهداية الأولياء ثم اختصه بنور الختم.

وهٰهنا لطيفة وهي أن اسم محمد الميم الأولى منه، إذا قلت ميم، كانت ثلاثة أحرف والحاء حرفان، حاء والف والهمزة لا تعد لأنها الألف، والميمان المضعفان ستة أحرف، والدال ثلاثة دال والف ولام، فإذا عددت حروف اسمه كلها ظاهرها وباطنها حصل لك من العدد ثلاثمائة وأربعة عشر، الثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد الرسل الجامعين للنبوة ويبقى واحد من العدد هو لمقام الولاية المفرق على جميع الأولياء التابعين للأنبياء وله عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وهٰهنا دقيقة وهي كونه لم يبق من العدد المفرق على الأولياء إلا الفرد، لأن فيهم الأفراد الذين اختصوا من التحقيق بالانفراد، أولٰئك الواحد منهم يجعله الحق في كيانه، جامعاً لنور زمانه، وهذه الدقيقة الفردانية، من الحقيقة الجامعة المحمدية، كما قال:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد[2]

اهـ. ونقل الشيخ شهاب الدين أحمد بن العماد الأفقهسي في كتاب «كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار» أن لاسمه الشريف عشرة خصائص إلى أن قال:

---

(1) أحد أبيات قصيدة من تخميس الشيخ عبد الغني النابلسي توفي بدمشق سنة 1143هـ = 1730م (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

(2) هذا البيت هو للشاعر العباسي أبو نواس: الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء شاعر العراق في عصره توفي سنة 198هـ = 813م (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

والرابع كتب اسمه ﷺ على ساق العرش.

ويروى أن الله تعالى لما خلق العرش اضطرب فلما كتب عليه اسم محمد ﷺ سكن. وفيه تنبيه على أنه ﷺ هو المخلوق الأكبر، وقيل في حروف اسمه ﷺ: قال قوم: إنَّ معنى الميم محو الكفر بالإسلام أو محو سيئات من اتبعه، وقيل الميم منّ الله تعالى على المؤمنين، وقيل: ملك أمته أو المقام المحمود.

وأما الحاء فقيل حكمه بين الخلق بأحكام الله تعالى قال الله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاء: 65] وقيل حياة أمته، وأما الميم الثانية فمغفرة الله تعالى لأمته، وقيل منادي الموحدين.

وأما الدال فهو الداعي إلى الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزَاب: 46] فهو ﷺ دليلهم في الدنيا والآخرة إلى الجنة ذكره النيسابوري انتهى. وما أحسن قول الإمام البوصيري رضي الله تعالى عنه في بردته:

فإن لي ذمة منه بتسميتي ... محمداً وهو أوفى الخلق في الذمم

قال العلامة شهاب الدين أحمد القسطلاني رحمه الله تعالى في شرحه عليها: وفي كلامه دليل على الترغيب في التسمية باسمه ﷺ، وقد جاء في ذلك أحاديث. فمنها ـ وذكر سنده إلى حميد الطويل ـ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوقف عبدان بين يدي الله عزَّ وجل فيأمر بهما إلى الجنة فيقولان ربنا بِمَ استأهلنا الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة، فيقول الله عزَّ وجل: عبديّ أدخلا الجنة فإني آليت على نفسي لا يدخل النار من اسمه أحمد ولا محمد**»(1). وعن نبيط بن شريط قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجل وعزتي وجلالي لا عذبت أحداً تسمى باسمك في النار» رواه أبو نعيم وعنه أبو علي الحداد وعنه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسنده مرفوعاً وقال متصل الإسناد.

وروي عن جعفر بن محمد: «**إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة**»(2). لكرامة اسمه ﷺ، وفي لفظ آخر: «**ينادى يوم القيامة**

(1) رواه الديلمي في الفردوس عن أنس بن مالك برقم (8837) [5/ 485] ورواه ابن إسحاق في فضائل التسمية بأحمد ومحمد، حديث رقم (1) [1/ 16].

(2) أورده الصنعاني في سبل السلام وعزاه إلى ابن سبع في الخصائص عن ابن عباس (باب العقيقة، [4/ 100]).

يا محمد فيرفع رأْسه في الموقف من اسمه محمد فيقول الله جلَّ جلاله: أشهدكم أني قد غفرت لكل من اسمه على اسم محمد نبيي». وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: من ولد له مولود فسماه محمداً تبركاً كان هو ومولوده في الجنة. رواه صاحب الفردوس وابنه منصور.

وروينا أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس الله تعالى ذلك المنزل كل يوم مرتين.

قال، أي القسطلاني، قلت: وأنا ولله الحمد لي منه ﷺ ذمة بتسميتي أحمد كاسمه الشريف وأسأَل الله من فضله كما منَّ عليَّ بذلك أن ينظمني في سلك محبيه وورثته بمنه وفضله ورحمته اهـ.

قال السيد مصطفى البكري: قلت وقد صح لي بحمد الله ذمة من المقتفى، بتسميتي كاسمه الشريف مصطفى. وأخبرني مكاشف من أهل الوفا، «راشف كأس عين صفا». أن بعض الفقراء له حقائق كثيرة، مسماة بأسماء كبيرة، وقد سميت واحدة منها بهذا الاسم الكريم، ولكن الحاكم هو الاسم الظاهر وله بحسب المقام وصف التقديم، وفي شرح البردة للأفقهسي زيادة على بعض ما تقدم عن الحسن البصري أن الله تعالى يوقف عبداً بين يديه يوم القيامة اسمه أحمد أو محمد فيقول: يا جبريل خذ بيد عبدي فأَدخله الجنة، فإني استحييت أن أعذب بالنار من اسمه على اسم حبيبي محمد ﷺ، وعن علي بن موسى عن أبيه عن جده قال: «**قال رسول الله ﷺ إذا سميتم محمداً فعظموه ووقروه وبجلوه ولا تذلوه ولا تقهروه ولا تردوا له قولاً تعظيماً لمحمد ﷺ**». وعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال: «**قال رسول الله ﷺ: من ولد له ثلاثة من الولد ولم يسم أحداً منهم محمداً فقد جهل**».

وعن علي رضي الله عنه: ما اجتمع قوم في مشورة مع رجل منهم اسمه محمد فلم يدخلوه في مشورتهم إلا لم يبارك لهم. وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «**قال رسول الله ﷺ: لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمي**»[1] انتهى. قال السيد مصطفى البكري بعد ما ذكر وهذا الاسم الشريف يوافق عدده من الأسماء الحسنى باسط ودود فيناسب من كان اسمه محمداً أن يذكر هذين الاسمين. وأفادنا شيخنا

(1) أورده الجرجاني في الكامل في ضعفاء الرجال، من اسمه محمد، [6/ 160].

الشيخ محمد الخليلي القاطن الآن في البيت المقدس أنه تلقى عن بعض مشايخه اسم أمان وإن هذا اسم إلٰهي موافق عدد اسم محمد ﷺ، وله كان الله له رسالة في الاسم المحمدي الشريف، وأخبرني أنه يريد أن يشرحها ليفوز بظل الأجر الوريف، وهو أحد من أجازني بمشيخته، حباه الله جزيل منته، وقال اليافعي رحمه الله تعالى في الدر النظيم في خواص القرآن العظيم، حكى لي بعض أصحابنا عن بعض مشايخه أن الشيخ محيي الدين بن العربي قال: من أخذ عدد حروف اسمه بالجمل ونظر تلك الجملة في أي شيء من أسماء الله تعالى الحسنى اتفق فإن وجده في اسم وإلا طلبه في اسمين أو في ثلاثة أو في أربعة، ، مثاله محمد عدده اثنان وتسعون نظرنا موافقته في اسم فلم نجده، وفي اسمين وجدناه في عدد أول دائم وفي ثلاثة فلم نجده ووجدناه في أربعة أسماء من أسماء الله الحسنى جلَّ وعلا، وهي حي وهاب، واجد وَليّ فقال: إنَّه يقرأ الفاتحة اثنتين وتسعين مرة عدد الاسم، ثم آية الكرسي والمعوذتين كذلك وسورة أَلم نشرح العدد المذكور وبعد ذلك يذكر الأسماء الأربعة العدد المذكور ويتخذ ذلك رياضة ويقول في آخر الذكر عند انقضاء العدد يا حي أحيي ذكري وارزقني، أو ما شاء يا وهاب هب لي كذا، يا واجد أَوجد كذا، يا ولي تولني وقس على هذا.

وعن بعض المشايخ أن اسمه تعالى سلام إذا أضيف إليه واحد كان عدد اسم محمد ﷺ، فإن عدده إذا قلنا بأن الميم المشدد بحرفين مائة وإثنان وثلاثون ولهذا الاسم مناسبة باسم محمد ﷺ فإنه قلب العالم، وياسين قلب القرآن ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: 8]، «**فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة**»[1].

(1) رواه الترمذي في سننه، باب من سورة الأنفال، حديث رقم (3183) [2/ 198].

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الرحمن العيدروس المتوفى سنة 1192هـ(*)

[فمن جواهره]

[شرح صلاة أحمدالبدوي]

وهو من أجل مشايخ السيد مرتضى الزبيدي شارح الإِحياء قال في شرح صلاة أبي الفتيان القطب الأكبر الأشهر سيدنا السيد أحمد البدوي رضي الله عنه عند قوله: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا معشر الخلائق، إذ هو ﷺ المفضل على جميع المخلوقين فيكون كل ذلك من الله بحسب قدره عنده، ولا يعرف قدره حقيقة غير مولاه عزَّ وجل، **وبالجملة** فالإحسان من الجليل العظيم على جليل عظيم عنده لا يكون إلا جليلاً عظيماً، وفضل الصلاة والسلام عليه ﷺ لا يحصى وهو مشهور ومذكور في مظانه، فلا نطيل بذكره.

وقد قال بعض العارفين نفع الله بهم: يعدم المربون في آخر الزمان، ويصير ما يوصل إلى الله تعالى إلا الصلاة على النبي ﷺ، وبها ما يحصل الاجتماع به ﷺ مناماً ويقظة، وحسبك أنه اتفق العلماء على أنَّ جميع الأعمال منها المقبول والمردود إلاَّ الصلاة على النبي ﷺ فإنها مقطوع بقبولها إكراماً له ﷺ.

وأما شاهد كونه ﷺ أفضل الكل فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عِمرَان: 81] فما بعث الله نبياً إلا وأخذ عليه الميثاق، لأن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ليكون محمد ﷺ إماماً ومقدماً عليه متبوعاً لا تابعاً، هذا مع

(*) هو عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أحمد السقاف الحسيني، من آل العيدروس: فاضل. من أهل قرية (الحزم) بحضرموت. له كناش سماه (الدشتة) في مجلد ضخم، دون فيه رحلته إلى الحجاز والعراق وغيرهما، وفنوناً مختلفة من الأدب والتاريخ (1). كانت ولادته ووفاته سنة (1070 ـ 1113هـ = 1660 ـ 1701م) (انظر: الأعلام للزركلي ـ (3/ 332)).

علمه سبحانه وتعالى أن محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين.

وإنما أراد الله سبحانه تعريفهم بفضله، وبتقدمه عليهم، وبجلالة قدره وعلو شأنه ﷺ وعليهم أجمعين وأنه المقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم، كما سنبين ذلك ويمكن أن يكون فيه حِكم أخرى ولا يلزم علينا أن نعلمها وقد ظهر ذلك في الدنيا بكونه أمهم ليلة الإسراء، ويظهر في الآخرة بأنهم كلهم تحت لوائه، وفي آخر الزمان ينزل عيسى عليه السلام ويكون حاكماً بشريعته ﷺ وقد وقع التبليغ أيضاً منه ﷺ لهم عليهم الصلاة والسلام ليلة الإسراء.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم، ثم إن محمداً ﷺ قال: «**كلهم أثنى على ربه وأنا مثن على ربي فقال: الحمد لله الذي أَرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وأنزل عليَّ الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعلني فاتحاً وجعلني خاتماً، فقال إبراهيم عليه السلام، بهذا فضلكم محمد**»[1].

وأقروا بما أثنى هو على ربه وبما قاله إبراهيم وهو تفضيله ﷺ فهذا هو التبليغ لهم والإيمان منهم به والنصرة منهم به والنصرة منهم لقوله ﷺ فتحقق مجيئه ﷺ، وتحقق منهم عليهم السلام الوفاء بالميثاق الغليظ الذي أخذه الله تعالى منهم حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان: 81] الآية وحينئذٍ لا يتوجه قول القائل: إنَّ الله سبحانه وتعالى إذا كان عالماً في الأزل إنه لا يجتمع معهم ﷺ في هذا الميثاق الغليظ، ولا يحتاج بعد تسليم هذا لما قرره الإمام السبكي رحمه الله في الآية.

وإن كان ذلك لما ادعاه تاماً وهو ثبوت الرسالة إليهم أيضاً وإن لم يتحقق التبليغ لمانع منهم لا منه لعدم مجيء صورته البشرية في زمانهم، وذلك مثل الساكنين في شواهق الجبل فإنه مرسل إليهم اتفاقاً وإن لم يحصل التبليغ لهم فالمانع منهم لأمته ﷺ، ولله در سيدي القطب محمد وفا حيث قال:

فأنت رسول الله أعظم كائن وأنت لكل الخلق بالحق مرسل

وهذا كله من حيث صورته البشرية ﷺ وإلا فقد آمنت به جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الأزل، ولهذا كان هو نبيهم وهم نوابه ووراثه ﷺ لأنه المظهر التام والواسطة العظمى، والحجاب الأرفع الأجمع للأسماء، الذي نال بها المقر الأجمل الأكمل الأحمى، فهو صاحب البرزخية الكبرى، التي هي عبارة عن شهود الذات

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

المعبر عنها بالآية الكبرى، فللأنبياء وورثتهم قاب قوسين وخص بأدنى، فما عرف أحد الحق كمعرفته، ولا أحب أحد الحق ولا أحبه كمحبته، فله ﷺ التفرد في كل مقام، ولهذا كان هو الممد للخاص والعام، وحيث كان نبيهم فهو واسطتهم وممدهم والكل نوابه وخلفاؤه. ولله در سيدي سالم شيخان العلوي رحمه الله حيث قال:

لك ذات العلوم والأسماء يا نبياً نوابه الأنبياء

وفي «الفتوحات المكية» للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رحمه الله ونفع به ما صورته مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ إذ هو قطب الأقطاب فهو ممد لجميع الناس أولاً وآخراً فهو ممد كل نبي وولي سابق على ظهوره، حال كونه في الغيب وممد أيضاً لكل ولي لاحق فيوصله بذلك إلى مرتبة كماله في حال كونه موجوداً في عالم الشهادة، وفي حال كونه منتقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة، فإن أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين. ثم قال: فكل نبي تقدم على زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته بتلك الشريعة انتهى.

ومما تقدم وما سيأتي يتضح المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28] وكذلك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] وإنَّ الحصر والعموم على حقيقته وتحقق إرساله للكل.

ومما يؤيد ذلك أيضاً قول الشيخ محيي الدين نفع الله به في رسالته الأنوار ما ملخصه، واعلم أن محمداً ﷺ هو الذي أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح حتى بعث بجسمه ﷺ فأولياء الأنبياء الذين سلفوا يأْخذون من أنبيائهم وهم يأْخذون من محمد ﷺ.

وفي كلام الأستاذ سيدي حاتم الأهدل وتلميذه الأستاذ عبد القادر العيدروس نفع الله بهما ما هو صريح في تأييد كلام الشيخ محيي الدين الذي ذكرناه عنه هنا، نفع الله بالجميع.

وأما المهيمون من طوائف الملائكة عليهم السلام فإنهم لما كانوا في شدة الاستغراق في شهود الحضرة جعلوا كأنهم لا يعقلون غير الذات فكمال الاستغراق أدمج لهم الحضرة المحمدية، ولا يلزم من هذا نفي كونه ﷺ واسطة لهم كغيرهم، ومن المناسبات المؤيدة لما تقدم في الجملة قوله ﷺ: «**أنا يعسوب الأرواح**»[1].

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

وقوله ﷺ: «**نحن الأولون والآخرون**»[1]. وقوله ﷺ: «**بعثت إلى الأحمر والأسود**»[2]. وفي حديث جابر رضي الله عنه المصدر: «**أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[3]. وفي حديث ثابت: «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**»[4]. وفي الحديث الصحيح: «**أنا سيد ولد آدم**»[5]. وفي رواية: «**أنا أكرمهم على ربي**»[6]. وفي حديث الترمذي: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلاَّ تحت لوائي**»[7]. وهو صريح في دخول آدم، وقال سيدي أبو المواهب الشاذلي قدس سره وقع بيني وبين شخص من الجامع الأزهر مجادلة في قول صاحب البردة:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهمِ

وذلك أنه قال ليس له دليل على ذلك فقلت قد انعقد الإجماع على ذلك فلم يرجع فرأَيت النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالساً عند منبر الجامع الأزهر وقال لي مرحباً بحبيبنا، ثم قال لأصحابه: ما تدرون ما حدث اليوم قالوا: لا يا رسول الله، فقال: «**فلان التعيس يعتقد أن الإجماع لم يقع على تفضيلي**»[8].

أما علم أن مخالفة المعتزلة لأهل السنة لا تقدح في الإجماع. وقال أيضاً: رأيته ﷺ مرة أخرى، فقلت: يا رسول الله قول البوصيري: فمبلغ العلم فيه أنه بشر. معناه منتهى العلم فيك أنك بشر عند من لا علم عنده بحقيقتك وإلا أنت من وراء ذلك بالروح القدسيّ والقالب النبوي.

فقال ﷺ صدقت وفهمت مرادك. وفي الحديث الشريف: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا اتباعي**»[9].

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر البيان بأن قوله ﷺ: شفاعتي لأمتي. . ، حديث رقم (6462) [14/ 375] ورواه الدارمي في السنن. . ، باب الغنيمة لا تحل لأحد قبلنا، حديث رقم (2467) [2/ 295] ورواه غيرهما.

(3)، (4)، (5)، (6)، (7) هذا الحديث سبق تخريجه.

(8) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(9) هذا الحديث سبق تخريجه.

وفي البخاري وغيره: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[1]. وحديث: «**أنا سيد العالمين**». صححه الحاكم، وبما تقدم يعلم أفضليته على الملائكة لأن آدم أفضل منهم وهو ﷺ أفضل منه، ويؤيده الحديث الآتي على الأثر «**ليس أحد من الملائكة**».

وحديث الترمذي الحسن كما بينه البلقيني في فتاويه: «**وأنا أكرم الأولين والآخرين**»[2]. وهذا صريح في شمول الأنبياء والملائكة جميعهم. وصح عن ابن عباس وله حكم المرفوع: «**ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله فسكن**»[2].

وعن ابن عساكر: «**هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأُعرفهم كرامتك ومنزلتك ولولاك ما خلقت الدنيا**»[2].

وفي رواية أخرى «**ولولاه ما خلقت السماء ولا الأرض ولا الطول ولا العرض، ولا وضع ثواب ولا عقاب، ولا خلقت جنة ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً**»[3]. وصح «**أنا أول من تنشق عنه الأرض فأُلبس الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الملائكة يقوم ذلك المقام غيري**»[4].

وفي رواية ذكرها السراج البلقيني: «**إنه تعالى قال: مننت عليك بسبعة أشياء أولها أني لم أخلق في السموات والأرض أكرم عليّ منك**»[1]. وفي أخرى ذكرها أيضاً: «**إنَّ جبريل عليه السلام قال له: أَبشر فإنك خير خلقه وصفوته من البشر حباك الله بما لم يحب به أحداً من خلقه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً**»[1].

وصح عن بَحيرا وهو من علماء أهل الكتاب الذين لا يقولون شيئاً إلا عنه هذا سيد العالمين. وصح أيضاً عن عبد الله بن سلام الصحابي الجليل إمام أهل الكتاب بشهادته ﷺ أنه ذكر بالمسجد يوم الجمعة أموراً منها: وإن أكرم خلق الله على الله أبو القاسم ﷺ فقيل له: فأين الملائكة؟ فضحك وقال للسائل: هل تدري ما

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.
(2) هذا الحديث سبق تخريجه.
(3) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(4) أورده ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية.

الملائكة؟: إنما الملائكة خلق كخلق السموات والأرض والرياح والسحاب والجبال وسائر الخلق التي لا تعصى الله شيئاً وإن أكرم الخلق على الله أبو القاسم، قال البلقيني إن هذا له حكم المرفوع؛ وهو كذلك فإنه من أجلاء الصحابة فلا يقوله إلا عنه ﷺ أو عن ما صح في التوراة.

وعن جابر رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ قال: أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر**». رواه الدارمي.

وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أَنصتوا، ، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليَّ ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور**». رواه الدارمي.

وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر**». رواه الترمذي. إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة التي تركناها خوف الإطالة كحديث الشفاعة المطول المشهور وكونه أول من يشفع ولذلك كان مشي الأمم إلى نبي بعد نبي في يوم القيامة بطلب الشفاعة خاصاً بغير الأمة المحمدية، لأنه ﷺ قد أعلمهم بذلك وعالم الآخرة لا نسيان فيه، فاعلم ذلك.

فإن قلت: إنه قد صح عن الشيخ محيي الدين بن عربي قدس الله سره وهو من أجلاء أهل الكشف أنه قال خواص الملائكة أفضل من خواص البشر وهذا خلاف ما قررت.

فالجواب: صحيح صح عنه هذا ولكنه قد صح عنه الرجوع عنه والذهاب إلى ما قررنا، وحينئذ فلا إشكال وكذلك قد صرح في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة من «الفتوحات المكية» بأن نبينا محمداً ﷺ أفضل من الملائكة وسائر الرسل وسكت عما عداه.

وفي الجملة فالذي عليه أسلافنا الجامعون بين الشريعة والطريقة والحقيقة السادة الأشراف بنو علوي وخلاصتهم العيدروسيون نفع الله بهم هو تفضيل خواص البشر على خواص الملائكة مع عدم إنكار أنه يوجد في المفضول مزية أو مزايا ليست توجد في الفاضل وأجمعوا على تفضيله ﷺ على جميع الخلق.

وما أحسن ما نقله العلامة ابن زكري في شرح الصلوات المشيشية عن سيدي الشريف القطب عبد القادر الجيلاني قدس الله سره بعد كلام له في قضية الإسراء: ثم عاد إلى معالمه وأهل عالمه، ورؤساء الملائكة تضع أجنحتها في مواطئ قدميه، والروح بين يديه، ويحمل غاشية فخره، ويطوف به بين الملائكة تعظيماً لقدره، وآدم يرفع ألوية جلالته، وإبراهيم ينشر أعلام مهابته، وموسى يناجي حبيبه، من جانب غربي صفحات وجه نظرت عيناه محبوبه، ويسأله عودة بعد عودة عسى نظرة بعد نظرة، فنادى القدر من جانب الطور قضينا الأمر، وعيسى يتألى بالمولى، لينزلن وليخبرن أهل الأرض بما شاع في أرجاء السماء من أخبار قاب قوسين أو أدنى، ثم إنه نقل عن ابن حجر الهيثمي عن بعض المحققين أن سجود الملائكة لأجل نور محمد ﷺ في جبين آدم عليه السلام ثم ذكر قول سيدي علي وفا:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد

انتهى ما نقله عن ابن زكري. ثم قال السيد العيدروس:

فائدة: قال الإمام البلقيني نفع الله به، وأما اختيار الباقلاني والحليمي أفضلية الملائكة فيمكن حمله على غير نبينا، وبهذا جزم بعض أجلاء تلامذته كالبدر الزركشي أو على تفضيل في نوع خاص أي لأنه قد يوجد في المفضول مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل.

ثم قال أي البلقيني: ولا يظن بأحد من المسلمين أنه يتوقف في أفضلية نبينا ﷺ على جميع الملائكة وكذلك سائر الأنبياء، وأطال في الحط والرد على من توقف في ذلك، وزعم أن هذا ليس مما كلفنا بمعرفته وهذا الزعم باطل، فإن هذا من مسائل الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف وقد صح في الحديث المشهور: «**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**»[1]. فتأمل قوله مما سواهما تجده ظاهراً بل صريحاً في كل ما ذكرنا. انتهى كلام البلقيني قال العيدروس بعده ويرحم الله القائل:

وما أقول إذا ما جئت أمدح من ... جبريل خادمه والله مادحه

ثم قال رضي الله عنه: لما كان نوره ﷺ هو الأصل في تكوين جميع الأشياء

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

عبر عنه، يعني البدوي رضي الله عنه بقوله قدس سره: **(شجرة الأصل النورانية)** وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قلت: «**يا رسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: يا جابر إنَّ الله خلق قبل خلق الأشياء نور نبيك**»[1].

ثم ساق حديث جابر إلى آخره وقد تقدم، وقال بعده وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**يا عمر أَتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله عزَّ وجل أول كل شيء نوري فسجد لله فبقي في سجوده سبعمائة عام فأول كل شيء سجد لله نوري ولا فخر، يا عمر أَتدري من أنا أنا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح والقلم من نوري والشمس والقمر ونور الأبصار من نوري والعقل من نوري ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر**».

فإن قيل ما معنى من نور الله إن أريد نور حادث كان قبله نافٍ إنه أول المخلوقات وإن الأنوار من نوره وغير هذا لا يعقل.

فالجواب: ما قاله بعضهم رحمه الله إنَّ الإيجاد إظهار، فالمعنى والله أعلم أظهره من ظهوره، أي أظهره بلا واسطة بخلاف غيره، إذ معنى اسمه النور الظاهر المظهر للأشياء وفي ما تقدم من الحديثين بيان السبقية والتقدم، فإن ذلك يفيد الاعتناء بشأن المقدم وبيان أنه أول من صدر منه السجود لله تعالى ومن ثَمَّ خرج ﷺ من بطن أمه ساجداً قد رفع سبابته إلى السماء كالمتضرع المبتهل المسبح قابضاً أصابعه، وكل ما ورد في أنه أول مخلوق مما يشعر بخلاف ما ذكر فيحمل عليه بالوصف اللائق بتلك الحضرة أو يقال الأولية في غير نوره ﷺ إضافية، وفيه حقيقية، كما نبه على ذلك الأستاذ الشريف شيخ بن عبد الله العيدروس في كتاب السلسلة العيدروسية وغيره من العارفين نفع الله بهم.

ثم قال رضي الله عنه عند قول المصنف **(ولمعة القبضة الرحمانية)** هي المشار إليها في حديث جابر المتقدم وإليها يشير قول سيدي القطب الإلٰهي محمد البكري الصديقي سبط آل الحسن نفع الله به:

قبضة النور من قديم أرتنا … في جميع الشؤون قبضاً وبسطاً

قال بعضهم: واعلم أنَّ الرحمة رحمتان: رحمة خاصة وهي التي تدارك الله بها

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

عباده في أوقات مخصوصة، ورحمة عامة وهي حقيقة محمد ﷺ، وبها رحم الله حقائق الأشياء كلها فظهر كل شيء في مرتبته في الوجود، فلذلك أول ما خلق الله روح محمد ﷺ، فرحم الله به الموجودات الكونية.

ثم قال السيد العيدروس رضي الله عنه: وبالجملة فنعمتان ما خلا موجود عنهما، ، ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد كما في الحكم العطائية[1]، وهو ﷺ الواسطة فيهما إذ لولا سبقية وجوده ما وجد موجود، ولولا وجود نوره في ضمائر الكون إلى أن برز لتهدمت دعائم الوجود، فهو الذي وجد أولاً وله تبع الوجود وصار مرتبطاً به لا استغناء له عنه، ولله در القطب البكري أبيض الوجه محمد حيث قال:

ما أرسل الرحمٰن أو يرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده	نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأَصل لها	يفهم هذا كل من يعقل

ثم قال رضي الله عنه عند قول المصنف **(وأفضل الخليقة الإنسانية)** أي أعدلها وأحكمها وأتقنها وأحسنها وأشرفها وأكملها. ومن شواهد ذلك ما ذكر في حليته الشريفة مما هو معروف ومشهور ومذكور في مظانه. ومن ذلك قول الشيخ محيي الدين قدس سره في «الفتوحات المكية» في الباب الثامن والأربعين ومائة:

وهذا الباب ذكر فيه فراسة أهل الكشف وفراسة الحكماء، وأنَّ الأولى لا تخطئ أبداً بخلاف الثانية. فإنها قد تخطئ. وذلك قوله قالت الحكماء: إنَّ أعدل الخلقة وأحكمها أن تكون نشأة صاحبها معتدلة ليس بالطويل ولا بالقصير، لين اللحم رطبه بين الغلظ والرقة، أبيض مشرب بحمرة وصفرة معتدل الشعر طويله ليس بالسبط ولا بالجعد القطط في شعره حمرة ليس بذلك السواد أسيل الوجه أعين مائلة عينه إلى الغور والسواد معتدل عظم الرأس سائل الأكتاف في عنقه استواء، معتدل اللبة ليس في وركه ولا صلبه لحم، خفي الصوت صافي ما غلظ وما رق مما يستحب غلظه أو رقته في اعتدال، طويل البنان ترفه سبط الكف قليل الكلام والضحك إلا عند الحاجة ميل طباعه إلى الصفراء والسوداء في نظره فرح وسرور

(1) مطبوع في الدار بتحقيقنا.

قليل الطمع في المال لا يريد التحكم والرياسة على أحد ليس بعجل ولا بطيء، قال وفي هذه الصورة خلق نبينا محمد ﷺ فصح له الكمال في النشأة، كما صح له الكمال في الرتبة، وكان أكمل الناس من جميع الوجوه ظاهراً وباطناً.

ثم قال العيدروس عند قول المصنف **(وأشرف الصورة الجسمانية)** أي أحسنها: لأنه ﷺ أعطي الحسن كله، وأما سيدنا يوسف عليه السلام فإنما أعطي شطر الحسن. ومن ثَمَّ قال سيدنا علي رضي الله عنه: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ، وإنما ستر حسنه بالهيبة والوقار لتستطيع رؤيته الأبصار.

ومع ذلك فقد قال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه: لما نظرت إلى أنواره ﷺ وضعت كفي على عيني خوفاً من ذهاب بصري. ومن ثَمَّ للطافته ونورانيته ﷺ لم يكن له ظل. ويرحم الله من قال:

دخل العالم في ظل الذي ... ماله ظل وللأغيار يمحو

هذا ولولا أن الله تعالى ستر جمال صورته بالهيبة والوقار لما استطاع أحد النظر إليه بهذه الأبصار الدنيوية الضعيفة.

ومن ثَمَّ قال بعضهم: ما أدرك الناس منه ﷺ إلا على قدر عقولهم البشرية فما ظهر لهم من ذلك فهو من نعمة الله عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا أمره وما خفي عليهم من أمره فهو رحمة الله تعالى بهم، إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم والله تعالى أرسله رحمة للعالمين، فكانت النعمة في ما ظهر والرحمة في ما استتر، وما أحسن ما قيل[1] فيه ﷺ:

وأجمل منك لم تر قط عيني ... وأكمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

وهذا من قبيل صورته الظاهرة، وأما حقيقته فلا يعلمها إلاَّ الله تعالى كما قال ﷺ لسيدنا أبي بكر رضي الله عنه: «**والذي بعثني بالحق لم يعلمني حقيقة غير ربي**»[2]، ومن ثَمَّ قال سيد التابعين أويس القرني رضي الله عنه: ما رأى أصحاب

(1) القائل هو الصحابي حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو الوليد، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام وكان من سكان المدينة المنورة توفي سنة 54هـ (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

(2) هذا الأثر سبق تخريجه.

النبي من النبي ﷺ إلاَّ ظله فقيل: ولا ابن أبي قحافة؟

وقال عند قول المصنف **(ومعدن الأسرار الربانية)**: لأنه مرآة لتجلي أسرار الذات العلية، وأنوار الصفات السنية، وقد أودع الله خزانة أسراره أسراراً لا تبدو إلا لديه، ولا تجلى عرائسها إلا عليه، قال ﷺ: «**أورثني ربي علوماً فعلمٌ أخذ عليّ كتمانه، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه إلى الخاص والعام**»(1).

وقال ﷺ: الذي من علومه علم اللوح والقلم: «**إنَّ الله خلق ألف ألف أمة لم يطلع عليها اللوح المحفوظ ولا صريف الأقلام، وكل أمة من هذه الأمم لم تعلم أن الله خلق سواها**»(2).

وقال ﷺ: «**أنا مدينة العلم وعليٌ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب**»(3).

وقال الحافظ السيوطي في الخصائص: إنه ﷺ أوتي علم كل شيء إلا الخمس التي في آخر لقمان، وقيل: إنَّه أوتي علمها في آخر الأمر لكنه أمر فيها بالكتمان، وهذا القيل هو الصحيح، ومع هذا فقد قال ﷺ: «**أحمد ربي بمحامد يوم القيامة لا أعلمها الآن**»(4).

هذا وقد أمره الله تعالى بأن يقول: ﴿عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه: 81] فبان بذلك أنه لم يزل في كل نفس مترقياً في الكمالات والعلوم التي لا تتناهى.

ثم قال رضي الله عنه عند قوله: (وخزائن العلوم الاصطفائية) وذلك أنه لما كانت الروح المحمدية مشتملة على الخلافة بالتبعية كان لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء من حيث مرتبته، وإن كان يقول أنتم أعلم بأمور دنياكم من حيث بشريته، فهو ملكوتيّ الباطن بَشَرِيّ الظاهر، وهذه الرتبة لها الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط وجميع الصفات لتتصرف في العالم وفي

(1) أورده عبد الله الخفاجي في السيرة الحلبية، باب ذكر الإسراء والمعراج، [2/ 71] ومحمود الألوسي في التفسير، سورة الكهف، [5/ 102] وإسماعيل حقّي البروسوي، تفسير سورة يوسف [4/ 207].

(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(3) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر إسلام أمير المؤمنين علي، حديث رقم (4637) [3/ 137] ورواه الترمذي في السنن، باب مناقب علي رضي الله عنه حديث رقم (3723) [5/ 637]. ورواه غيرهما.

(4) هذا الحديث سبق تخريجه.

نفسها وبشريتها أيضاً لأنها منه. وبكاؤه ﷺ وضجره وضيق صدره لا ينافي ما ذكرته فإنه بعض مقتضيات ذاته وصفاته [البشرية]. ثم قال ومما يحسن كتابته هنا قوله ﷺ: «**وضع يده ربي بين ثديّ من غير تكييف ولا تحديد فوجدت بردها بين كتفي، فأورثني علم الأولين والآخرين**»(1).

وقول بعض ذريته وورثته وهو سيدي عبد القادر الجيلاني: أن النبي ﷺ فتح فاه ليلة الإسراء فقطرت فيه قطرة من بحر العلم الأزلي فعلم بها ما هو كائن أو كان.

ثم قال عند قول المصنف رضي الله عنه (**صاحب القبضة الأصلية**): إشارة إلى المقام المحمدي الخاص به ﷺ وهو المسمى بمقام أو أدنى، وهو ولايته الخاصة ﷺ والمقام المحمدي الثاني يسمى بمقام قاب قوسين وهو ولايته العامة. فلولايته العامة ﷺ الفيض بواسطته على النبيين والمرسلين والملائكة والأولياء عموماً وخصوصاً بحسب مرتبة كل واحد منهم وقابليته.

ومن هذا الإشارة لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿107﴾﴾ [الأنبياء: 107] وإنَّه مرسل للكل وذلك ظاهر في المكلفين، وأما غيرهم فمن حيث حقيقته التي هي حقيقة الحقائق ومبدأ البدايات:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للنَّاس في الظلم(2)

فولايته الخاصة به التي لا يشاركه فيها أحد وجوباً ولا بالاستخلاف أيضاً، هي أو أَدنى ولا يتصف بها غيره بل ولا يطيقها على تقدير الفرض والتقدير لا استخلافاً ولا غيره، قال ﷺ: «**لي حال مع ربي أو وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**».

ثم قال: واعلم أن منزلة القرب المشار إليها في الآية بأو أدنى ثابته له ﷺ ليلة الإسراء من حيث ذاته، وفي غير ذلك من حيث روحه وسره وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وإلى ذلك يشير قول القطب محمد البكري الكبير:

ومن بالعين أَبصره فعنه قط لا يحجب

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) هذان البيتان من قصيدة البردة لمحمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله المولود في بهشيم من أعمال البهنساوية والمتوفى سنة 696هـ (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

قال رضي الله عنه ولنذكر هنا ما ذكره عبد القادر العيدروس في كتابه «الزهر الباسم» حيث فيه ذكر الولاية الخاصة والعامة قال نفع الله به، روي عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى محمد بن أحمد البلخي قدس سره قال: سافرت من بلخ إلى بغداد وأنا شاب لأرى الشيخ عبد القادر رحمه الله فوافيته يصلي العصر بمدرسته، وما كنت رأَيته ولا رآني قبل ذلك، فلما سلم وهرع الناس للسلام عليه، تقدمت إليه فصافحته فأمسك بيدي ونظر إليَّ مبتسماً وقال: مرحباً بك يا بلخي يا محمد قد رأَى الله مكانك وعلم نيتك، قال: فكان كلامه دواء الجريح وشفاء العليل وذرفت عيناي خيفة وارتعدت فرائصي هيبة وخفقت أحشائي شوقاً ومحبة واستوحشت نفسي من الخلق ووجدت في قلبي أمراً لا أحسن أعبر عنه ثم ما زال ذلك ينمو ويقوى وأنا أغالبه فلما كان ذات ليلة قمت إلى وردي وكانت ليلة مظلمة فبرز لي من قلبي شخصان بيد أحدهما كأس وبيد الآخر خلعة.

فقال لي صاحب الخلعة: أنا علي بن أبي طالب وهذا أحد الملائكة المقربين وهذا كأس شراب المحبة وهذه خلعة من خلع الرضى، ثم أَلبسني تلك الخلعة وناولني صاحبه الكأس فأضاء بنوره المشرق والمغرب، فلما شربته كشف لي عن أسرار الغيوب ومقامات أولياء الله تعالى وغير ذلك من العجائب.

فكان مما رأَيت مقاماً تزل أقدام العقول في سره وأفهام الأفكار في حاله وتخضع رقاب الأولياء لهيبته وتذهل أسرار السرائر في بصائره وتدهش أبصار البصائر لأشعة أنواره، ولم يبق طائفة من الملائكة الكروبين والروحانيين والمقربين إلا حنت ظهورها على هيئة الراكع تعظيماً لقدر ذلك المقام.

ويتحقق الناظر إليه أن كل مقام لواصل أو حال لمحدث أو سر لمحبوب أو علم لعارف أو تصريف لولي أو تمكن لمقرب فمبدؤه وجملته وتفصيله وكله وبعضه وأوله وآخره فيه استقر ومنه نشأ وعنه صدر وبه كمل فمكثت مدة لا أستطيع النظر إليه ثم طوقت النظر إليه ومكثت مدة لا أستطيع مسامته ثم طوقت مسامته، ومكثت مدة لا أعلم بمن فيه، ثم بعد مدة علمت بمن فيه، فإذا فيه رسول الله ﷺ عن يمينه آدم وإبراهيم وجبريل، وعن شماله نوح وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،، وبين يديه أكابر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والأولياء قدس الله أرواحهم قياماً على هيئة الحلقة كأن على رؤوسهم الطير من هيبته ﷺ، وكان ممن عرفت منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة والعباس رضي الله عنهم أجمعين، وممن عرفت من

الأولياء معروف الكرخي وسري السقطي والجنيد وسهل التستري وتاج العارفين أبو الوفا والشيخ عبد القادر، والشيخ عدي والشيخ أحمد الرفاعي رحمهم الله.

وكان من أقرب الصحابة إلى النبي ﷺ أبو بكر، ومن أقرب الأولياء إليه الشيخ عبد القادر، فسمعت قائلاً يقول: إذا اشتاقت الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون والأولياء المحبوبون إلى رؤية محمد ﷺ ينزل من مقامه الأعلى عند ربه الذي لا يستطيع النظر إليه أحد في هذا المقام فتضاعف أنوارهم برؤيته، وتزكو أحوالهم بمشاهدته، ويعلو مكانهم ومقاماتهم ببركته، ثم يعود إلى الرفيق الأعلى قال: فسمعت الكل يقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البَقَرَة: 285].

ثم بدت لي بارقة من القدس الأعظم فغيبتني عن كل مشهود واختطفتني عن كل موجود وأسقطت مني التمييز بين مختلفين فأقمت على هذه الحال ثلاث سنين فلم أشعر إلا وأنا في سامرّا والشيخ عبد القادر رضي الله عنه قابض على صدري وإحدى رجليه عندي والأخرى في بغداد وقد عاد اليّ تمييزي وملكت أمري فقال لي: يا بلخي قد أمرت أن أردك إلى وجودك وأملكك حالك، وأسلب عنك ما قهرك.

ثم أخبرني بجميع مشاهداتي وأحوالي من مبدأ أمري إلى ذلك الوقت إخباراً يدل على إطلاعه عليّ في كل نفس.

وقال لي: سأَلت رسول الله ﷺ سبع مرات حتى طوقت النظر إلى ذلك المقام وسبع مرات حتى طوقت مسامته، وسبع مرات حتى أطلعت على ما فيه، وسبع مرات حتى سمعت المنادي وقد سألت الله فيك سبع مرات وسبع مرات وسبع مرات حتى لاحت لك تلك البارقة وكنت من قبل سأَلته فيك سبعين مرة حتى سقاك كأساً من محبته وألبسك خلعة من رضوانه يا بني اقض جميع ما فاتك من الفرائض.

ثم قال عند قوله رضي الله عنه: (والبهجة السنية) أي في ذاته وصفاته وأفعاله كيف لا وهو رحمة للعالمين والرحمة خير محض.

قال سيدنا الأستاذ أبو العباس المرسي نفع الله به: جميع الأنبياء عليهم السلام خلقوا من الرحمة ونبينا هو عين الرحمة، وإذا كان عين الرحمة فهو أصل الرحمات وينبوعها، ولا رحمة خارجة عنه وكل مرحوم مسهوم منه.

ثم قال عند قوله: **(من اندرجت النبيون تحت لوائه فهم منه وإليه)** إذ لا غنى لأحد عن وساطته ﷺ ولأنهم في الحقيقة أبناؤه وخلفاؤه ونوابه الحاكمون ببعض شرائعه وطرقه ﷺ فهو آدم الأكبر الحقيقي ومن ثم يقول آدم عليه السلام: إذا لقيه

يا ولد ذاتي ووالد معناي وقد نبه على هذا المعنى سيدي عمر بن الفارض قدس سره بقوله يعني على لسان النبي ﷺ:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوّتي

ونحوه قول السيد سالم شيخان العلوي الحسيني قدس سره في همزيته:

فإلى المرسلين أنت رسول ... منك حقاً غشتهم الأضواء

أنت أصل لكل أصل فكل ... عنك فرع وإنهم آباء

ومن ثم كان آدم عليه السلام وارثاً منه علم الأسماء وإن كان نبينا ﷺ ورثه منه في الظاهر. ولله در البوصيري حيث قال:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهمِ

فإنهم شمس فضل هم كواكبها ... يظهرن أنوارها للنَّاس في الظلمِ

قال العلامة ابن مرزوق، أي في شرح البردة: يعني أن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل، فإنما اتصلت بكل واحد منهم من نور محمد ﷺ، وما أحسن قوله: فإنما اتصلت من نوره بهم، فإنه يعطي أن نوره ﷺ لم يزل قائماً ولم يزل قائماً ولم ينقص منه شيء ولو قال: فإنما هي من نوره لتوهم أنه وزع عليهم، وقد لا يبقى منه شيء.

وإنما كانت آيات كل واحد من نوره ﷺ لأنه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أي تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم، فالكواكب ليست مضيئة بالذات.

وإنما هي مستمدة من الشمس، فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس وكذلك الأنبياء قبل وجوده ﷺ كانوا يظهرون فضله:

فإن جاء بعد الأنبياء مؤخراً ... لقد كان قبل الأنبياء مقدما

وكانوا له الحجّاب في موكب الهدى ... ولا غرو للحجاب أن تتقدما

أقام قناة الدين بعد اعوجاجها ... فمن بعده ما اعوج ما كان قوما

قال رضي الله عنه: وإلى بعض ذلك يشير ما ورد من قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: إنَّ الله تعالى أمرني أن أصلي عليك هكذا السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا باطن، السلام عليك يا ظاهر.

وبهذا كان يسلم على النبي ﷺ في المواجهة في المدينة المنورة سيدي القطب الصفي القشاشي وشيخه الشناوي قدس سرهما.

ومما يفصل بعض إجمال ما تقدم ما قاله في كتاب «السلسلة العيدروسية» نفع الله به بعد إيراده كلاماً يتعلق بما ذكرناه في الجملة.

والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**كنت نبياً**». أي مستفيضاً من الله ومفيضاً على خلقه، ولذا لم يقل كنت إنساناً ولا موجوداً، بل أخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء والمرسلين، فهو صاحب الشرع أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً. والذي نسخه من شرعه المتقدم ما أراد الله أن ينسخ منه وأبقى ما أراد الله أن يبقي منه كما ثبت بعد وجوده ﷺ وكان المنسوخ من الأحكام خاصة لا من الأصول فاعتقاد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين متحد في التوحيد لكنهم مختلفون في الشرائع لاختلاف أمزجة الأمم، وذلك لا يقدح في وجود الأصل وظهوره ﷺ في آخر الزمان جسماً وروحاً لأنه لو كان موجوداً بجسمه من لدن آدم لكان من بعده تحت شريعته فيلزم أن لا يبعث أحد من الأنبياء والمرسلين فتقدم ﷺ روحاً لا بدناً وبعث الأنبياء والمرسلين إلى أقوام مخصوصة لظهور حكمة إلٰهية في ذلك، ولم تعم رسالتهم لتحقق نيابة كل واحد منهم، يعني عن النبي ﷺ.

ولذا يحكم عيسى عليه السلام حين ينزل آخر الزمان بشرعه ﷺ فيقرر شرعه الشريف في الظاهر، لكن لما لم يتقدم في عالم الحس أولاً وجوده ﷺ نسب كل شرع إلى من بعث به وهو في الحقيقة شرعه ﷺ قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90] ولم يقل فبهم ٱقتده، لأن هداهم من الله تعالى وهو شرع رسول الله ﷺ، فالمعنى إلزم شرعك الذي ظهر به نوابك قبل ظهور جسدك الشريف وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [النّساء: 125] فهو ﷺ مأمور باتباع الدين، لأنَّ أصله من الله تعالى لا باتباع أحد من الأنبياء. ثم قال:

تنبيه: ظاهر قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفُرقان: 1] وقوله ﷺ في الصحيح: «**وأرسلت إلى الخلق كافة**»(1) كونه ﷺ مبعوثاً إلى كل مخلوق من الحيوانات والنباتات والجمادات ولا مانع من إجرائهما على ظاهرهما وما ذاك إلا أن كل مخلوق دلت ظواهر الكتاب والسنة على أنه حي عالم قادر مريد ناطق.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (523) [1/ 371] ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في الغنيمة، حديث رقم (1553) [4/ 123] ورواه غيرهما.

وإن تفاوتت مراتب حياتها وإدراكاتها وبقية كمالاتها، فصح أن يكلف تكليفاً بحسب عالمه وطوره ومرتبة كمالاته فإن الإنسان المكلف بالإجماع أيضاً يختلف تكليف أفراده بحسب اختلاف أحوالهم في الوسع اختياراً واضطراراً، فيباح لهذا ما يحرم على ذلك وعلى هذا فقس بقية الأحكام وما صيد صيدٌ، ولا عضدت عضاة ولا قُطعت وشيجة إلا بقلّة التسبيح، يدل على أن التكليف لسائر الأشياء كثرة التسبيح، فمن قصر في ما كلف به جوزي بما يقتضيه العدل الإلٰهي ويعفو عن كثير.

ومن شواهد الدلائل في ذلك قول الشيخ محيي الدين قدس سره في الفتوحات المكية تحت قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44] ما ملخصه وليس هذا التسبيح بلسان الحال كما يقوله أهل النظر مما لا كشف له، بل هو بلسان القال فالعالم كله في مقام العبادة والشهود. وساق باقي كلام سيدي محيي الدين في ذلك. ثم قال:

تنبيه: : قيل إن عيسى عليه السلام كان أزهد الأنبياء وأنه يجوز أن يكون في المفضول خصلة لا يوجد مثلها في الفاضل، قال بعض أهل التحقيق وفيه بحث يعني أنه عليه الصلاة والسلام أزهد من سيدنا عيسى عليه السلام، لأنَّ نبينا محمداً ﷺ عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فلم يلتفت إليها وما زاغ بصره وما طغى لديها حتى منع بعضهم من إطلاق الزهد عليه ﷺ معللاً بأنَّ لا قيمة للدنيا عنده حتى يزهد فيها، وفي كتاب الشفا وغيره: «**إنَّ جبريل عليه السلام قال: إنَّ الله تعالى يقول لك أتحب أن نجعل لك هذه الجبال ذهباً، وتكون معك حيث كنت فأطرق ساعة ثم قال: يا جبريل مالي والدنيا، الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، وقد يجمعها من لا عقل له. فقال له جبريل عليه السلام: ثبتك الله بالقول الثابت**».

وفي رواية أخرى: «**أريد أن أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر**» فأختار الغنى والفقر فكلاهما له اختيار لا اضطراراً، وما ذلك إلاَّ لأنه ﷺ مظهر للكمال، والجامع بين مطلع الجلال والجمال، فكان معتدلاً في الأحوال، متوسطاً بين الخوف والرجاء، كما يقتضيه مقام الرضا بالقضاء، وعيسى عليه السلام كان الغالب عليه الخوف ولذا كان يمتنع عن كثير من تمتعات الحلال، وأيضاً كان مبعوثاً إلى جمع محصور من أرباب الجاه والمال، فأظهر كمال الزهد فيهم ليقتدوا به ولذا ظهرت الرهبانية فيهم، لكنهم ابتدعوها وما رعوها حق رعايتها.

وأما نبينا ﷺ فكان مبعوثاً لعامة الخلق وهو الرحمة للعالمين وقد أمره الحق أن

يقول للخلق: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 31] فاختار طريقاً جامعاً ومسلكاً واسعاً يسع الخلق كلهم أن يتبعوه صغيرهم وكبيرهم وضعيفهم وقويهم وغنيهم وفقيرهم وملوكهم وصعلوكهم، فتارة كان يأكل خبز الشعير اليابس والتمر الردي، وتارة أخرى يأكل الرطب الجني العيش الطري، وتارة يلبس الثوب الفاخر، وأخرى يلبس الكساء الخلق الطاهر، وتارة يرقد على السرير وفرش الثياب، وتارة على الحصير والتراب، وتارة يلبس القلنسوة مع العمامة وأخرى يكتفي بالقلنسوة، وتارة يركب الجمل والفرس وأخرى يركب البغل والحمار، وربما يردف، وتارة يمشي منفرداً وأخرى مع جماعة، وتارة يصوم حتى يظن أنه لا يفطر وأخرى يفطر حتى يظن أنه لا يصوم.

وكذا في صلاة الليل تارة يصلي حتى يظن أنه لا يرقد وأخرى ينام حتى يظن أنه لا يصلي، ومع هذا ما أحيا الليل كله، وربما رقد عن صلاة التهجد فأداها في النهار. وما ذلك كله إلا تسهيلاً للملة وتهويناً لمتابعة جميع الأمة، وتارة يعطي عطاء الملوك استغناء بغنى الحق، وأخرى يقترض من يهودي إظهاراً للإفتقار وتواضعاً مع الخلق، كل ذلك لتكون شريعته سهلة وطريقته سمحة لا فيها عوج ولا حرج.

ومن ثَمَّ كان التشدد في العبادة منهياً عنه كالتراخي عنها قال ﷺ: «**أما أنا فأقوم وأنام وأصوم وأفطر**»[1]. قال رضي الله عنه بعد ما ذكر:

مهمة: ينبغي التنبيه عليها نقل سيدي القطب الشعراني في درر الغواص عن سيدي علي الخواص نفع الله بهما أنه قال: لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبداً من نبي أو غيره فقلت له كيف. قال: لأن الرسول واسطة بين العبد وربه في الدعوة إلى الله تعالى لا إلى نفسه، فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله، ولم يبق للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع كما في حال المناجاة في السجود سواء فنفس الرسول تغار من أمته أن يقفوا معه دون الله تعالى فإنه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب النكاح..، حديث رقم (1401) [2/ 1020] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الزجر عن الرغبة عن سنة المصطفى ﷺ، حديث رقم (14) [1/ 190] ورواه غيرهما.

ذلك كما أشار إليه قوله ﷺ: «**من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة**»[1].

الحديث وانظر يا أخي إلى غيرة الحق تعالى على عباده بقوله لمحمد ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]، فأعلمنا الحق تعالى أنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله لنا واسطة في كل خير، مع أنه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد أن يصرح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال في نحو قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: 80] وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: 10] ومع ذلك قال ليس لك من الأمر شيء، فأخرجه عن حال الخلق ونفاه عنهم.

قال العلامة ابن زكرى في شرح المشيشية بعد نقله ذلك ما ملخصه: لا يهولنك أمر هذا الكلام مع ما حققناه من أن الاستغناء عن واسطته ﷺ لا سبيل لأحد إليه، وإن وصل ما وصل كما سيق تفصيله وبيانه في كلام الشيخ المحقق سيدي عبد الرازق العثماني قدس سره، وهذا سيدنا الشيخ أبو العباس المرسي الذي لا شك في قطبانيته كما شهد الشيخ أبو الحسن الشاذلي وغيره بذلك قال: لو احتجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

وقد تقدم غير مرة عن غير واحد ما معناه أن كل من حصلت له رحمة في الوجود وخرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات فإنما خرج له ذلك على يديه وبواسطته ﷺ، وهو الذي يقسم الجنة بين أهلها. ولهذا عدوا من خصائصه ﷺ أنه أعطي مفاتيح الخزائن.

قال بعض العلماء نفع الله بهم وهي خزائن أجناس العالم فيخرج لهم بقدر ما يطلبون وكلما ظهر في هذا العالم فإنما يعطيه سيدنا محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح فلا يخرج من الخزائن الإلٰهية شيء إلا على يديه ﷺ، وهو معنى اسم الخليفة، وخليفة الله.

وقد سبق أنه لا طاقة لأحد بالتلقي والشهود بدون واسطته ﷺ، وإنَّه المرآة

---

(1) رواه بنحوه مسلم في صحيحه، باب من سن سنة أو سيئة. . ، حديث رقم (1017) [4/ 2059] ورواه بنحوه ابن ماجة في السنن، باب من سن سنة حسنة. . ، حديث رقم (203) [1/ 74] ورواه بنحوه غيرهما.

الكبرى والمجلى الأعظم وإن أقواله وأفعاله وأحواله كلها دائرة على الدلالة على الله والتعريف به. والمعرفة لا نهاية لها، فما دام الإنسان يترقى فيها، فهو يغترف من بحره ﷺ ويستمد منه، حتى الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم[1]

غاية الأمر أن صاحب الفناء لا يشعر بذلك وقت فنائه في الله لغيبته في ما فنى فيه، فالمنتفي إنما هو شعوره، وأما استمداده منه وتوجه الفتح له على يديه ﷺ فثابت في نفس الأمر فنافيه، لذلك بعد إفاقته اعترف به، وبدليل ما مر أنه لا يخرج شيء من الخزائن إلا على يديه. وسبق في كلام غير واحد من أئمة الطريقة المقتدى بهم، أن الأشتغال بالصلاة عليه ﷺ طريق الفتح، وإنها من ذكر الله تعالى، وكون الله تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ﷺ مما لا إشكال فيه، ولا ينافي شيئاً مما ذكرناه، وبعد ثبوت الإيمان للعبد لا يستغنى عن خلفائه ووسائطه ﷺ من المشايخ المهتدين في التوصل إلى المعرفة. نعم، بعد الوصول التام يستغنى عنهم، ولا يستغنى عنه ﷺ.

وقد سئل الشيخ أبو الحسن الشاذلي نفع الله به فقيل له: من هو شيخك يا سيدي؟ فقال: كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد، بل أعوم في عشرة أبحر، خمسة من الآدميين النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وخمسة من الروحانيين جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل والروح.

وقد سبق في كلام أويس القرني وكلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي أن الخلفاء الأربعة تفاوتوا في معرفته ﷺ، وأن معرفتهم بالله على حسب ذلك، ولعل مقصود هذا الكلام الذي قاله سيدي على الخواص التنبيه على الاحتراز من الغلط في شهوده ﷺ بأن يجعل الشاهد الواسطة كالمقصد فيقف عندها ولا ينفذ إلى المقصد، وهذا في ما يقع لبليد قاصر إذ الدلالة لأحواله وأقواله وأفعاله ﷺ ثابتة فالوقوف عند الدال مع عدم فهم دلالته في غاية القصور والجهل بالدال. ولا يستغرب هذا، فإن مصائب الجهل لا تنحصر.

وقد حكي عن بعض المشايخ أن مريداً صدق في محبته والاقتداء به لكنه توغل في التمسك به والوقوف معه، فصار ذلك كالحجاب، فيصعد معه يوماً على سطح

(1) أحد أبيات قصيدة البردة للشيخ شرف الدين البوصيري. وقد سبقت الإشارة إليها.

فأمر بطرحه من فوق السطح، فجاء يلوذ به فدفعه عنه، فطرحوه، فحين كان نازلاً في الهواء انقطع رجاؤه منه ففتح له. وكثير يقع لهم الغلط في صحبة المشايخ فيرون النفع والضرر منهم غافلين عن جانب الربوبية حتى أن بعضهم ينقطع عنهم عند ظهور عجزهم له عن قضاء ما يريده.

وبالجملة فليحترز كل الاحتراز عن حال من يقع له الغلط في شهود الواسطة حتى يجعلها كالمقصد وليستحضر أنه لولا تعريف الله لنا به ﷺ ما عرفناه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43] اللهم لولا أنت ما اهتدينا انتهى.

قال الشيخ العيدروس رضي الله عنه: بعد ما ذكر قلت، وإلى الإشارة إلى بعض ما نقلناه هنا يشير قول سيدي أبي الحسن الشاذلي قدس سره: قرأْت ليلة: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿18﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴿19﴾﴾ [الجاثية: 18-19] فرأَيت النبي ﷺ يقول: أنا ممن يعلم ولا أغني عنك من الله شيئاً. وفي الحديث الصحيح: «**أنه لما نزل قوله تعالى**: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿214﴾﴾ [الشُّعَرَاء: 214] دعا ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، ، فعم وخص، وطلب منهم أن ينقذوا أنفسهم من النار، إلى أن قال: «**يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأَبلها ببلاها**»[1].

واخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول: «**إنَّ آل أبي فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالحو المؤمنين لكن لهم رحم سأبلها ببلاها**»، يعني سأَصلها بصلتها.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»: «**إنَّ أوليائي يوم القيامة المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب لا يأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون يا محمد، فأقول: هكذا وهكذا وأعرض في كلا عطفيه**».

فإن قلت: هذه أحاديث تنافي الأحاديث الواردة في فضلهم. **قلت**: لا تنافي كما قاله المحب الطبري وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى، إنه ﷺ لا يملك لأحد

---

(1) رواه بنحوه مسلم في صحيحه، باب في قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ حديث رقم (205) [1/ 192]. ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في إنذار النبيﷺ قومه، حديث رقم (2310) [4/ 554] وعزاه المتقي الهندي إلى الطبراني عن عمرو بلفظ: «إن لبني أبي طالب عندي رحماً سأبلها ببلاها: أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً والبلال جمع بلل. (النهاية (1/ 153) ب) ببلالها. [كنز العمال، حديث رقم (33909) [1/ 143]].

شيئاً لا نفعاً ولا ضراً، لكن الله عزَّ وجل يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه، كما أشار إليه بقوله: «**غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها**».

وكذا معنى قوله: «**لا أملك لكم من الله شيئاً**»، أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني الله به منه من نحو شفاعة ومغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف، والحث على العمل والحرص على أن يكون أولى الناس حظاً في توقي الله تعالى وخشيته، ثم أومأ إلى حق رحمه إشارة إلى إدخال نوع طمأنينة فيه.

وقيل هذا قبل علمه بأن الانتساب إليه ينفع وبأنه يشفع في إدخال قوم الجنة بغير حساب، ورفع درجات آخرين، وإخراج قوم من النار.

ولما خفي طريق الجمع على بعضهم حمل حديث: «**كل نسب وسبب**»[*] على أن المراد: أن أمته ﷺ ينسبون إليه، بخلاف أمم الأنبياء لا ينسبون إليهم وهو بعدي، وإن وجه شيخ الإسلام النووي رحمه الله وجهاً له في الروضة ويرده ما سنذكره عن عمر رضي الله عنه في إسناده إليه في الحرص على تزوجه بأم كلثوم رضي الله عنها، وإقرار علي والمهاجرين والأنصار رضي الله عنهم له على ذلك وكأن هذا القائل لم يطلع على ذلك، ويرده أيضاً ذكر الصهر والحسب مع السبب والنسب، كما سيجيء. وغضبه ﷺ لما قيل إن قرابته لا تنفع، على أن في حديث البخاري ما يقتضي نسبة جميع بقية الأمم إلى أنبيائهم، فإن فيه: «**يجيء نوح عليه السلام وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: أي رب نعم. فيقول لأمته: هل بلغكم؟**»[1] الحديث. وكذا غيره.

واعلم أنه استفيد من قوله ﷺ في الحديث: «**إنَّ أوليائي منكم المتقون**»[2]،

(*) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكرم وجهه. . ، حديث رقم (4684) [3/ 153] ورواه البزار في المسند عن أسلم مولى عمر عن عمر، حديث رقم (274) [1/ 397] ورواه غيرهما.

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه. . ﴾ حديث رقم (5) [3/ 1214] ونصه كاملاً: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيءُ نوحٌ وأمتهُ فيقول الله تعالى: هل بلغتَ فيقول: نعم أي ربِّ فيقول لأمَّتِهِ هل بلَّغَكُم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح: من يشهد لك فيقول: محمد ﷺ وأمته فنشهدُ أنهُ قد بلَّغَ وهو قولهُ جلَّ ذِكْرُهُ ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداءَ على الناس﴾ والوَسط العَدلُ.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة الأنفال. . ، حديث رقم (3266) ورواه الطبراني في الكبير برقم (4545) [5/ 45] ورواه غيرهما.

وقوله: «**إنَّ وليي الله وصالحو المؤمنين**»(1)، إن نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من أهل بيته وإن لم ينتف، لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب إليه بارتكابهم ما يسوؤه ﷺ عند عرض عملهم عليه، ومن ثمة يعرض عمن يقول له منهم في القيامة «**يا محمد**» كما في الحديث السابق وكفى بذلك بلاء ونقمة، فواسوأتاه من الله ورسوله وإن حصل الغفران ودخول الجنان، وحينئذٍ ينبغي لأهل هذا البيت المطهر أن يسلكوا على طريقة مشرفهم عليه الصلاة والسلام وسنته اعتقاداً وعملاً وعبادة وزهادة وتقوى ناظرين إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: 13] وإلى قوله ﷺ وقد سئل أيّ الناس أكرم؟ قال: «**أكرمهم عند الله أتقاهم**»(2). إلى غير ذلك من الأخبار.

ولنذكر ما سبق الوعد به من ذكر حديث سيدنا عثمان رضي الله عنه، وهو أنه لما **قال** ﷺ: «**ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع؟ إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي، وإن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة**»(3).

قال سيدنا عمر: فتزوجت بأم كلثوم بنت فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما سمعت عن رسول الله ﷺ، فأحببت أن يكون بيني وبينه سبب ونسب ولما خطبها إلى علي كرم الله وجهه اعتل بصغرها. وقال: أعددتها لابن أخي جعفر الطيار رضي الله عنه: فقال عمر رضي الله عنه: والله إني ما أردت الباه، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**».

وفي رواية: ما حملني على كثرة ترددي إليك إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل حسب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي وصهري**»(4).

وفي رواية أخرى: والله ما حملني على الإلحاح على علي في ابنته إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري وإنهما يأتيان يوم القيامة فيشفعان لصاحبهما**»(5).

---

(1) رواه بنحوه أبو الشيخ في الثواب [كذا عزاه المتقي الهندي في كنز العمال، أدعية في سعة الرزق، حديث رقم (5020) [2/ 282]].

(2) رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم (4412) [4/ 1729].

(3) رواه أحمد في المسند عن أبي سعيد الخدري، حديث رقم (11363) [3/ 39].

(4)، (5) رواه بنحوه الطبراني في الأوسط من اسمه علي، حديث رقم (4132) [4/ 257] ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، حديث رقم (2347) [1/ 482].

هذا وقد أنجر بنا الكلام هنا حتى خرجنا عن المقصود، أو كدنا أن نخرج عنه، وعلى كل حال فالمدار على الفائدة والأعمال بالنيات.

هذا ما أردت نقله من شرح صلاة سيدنا أحمد البدوي للإمام العلامة العارف بالله سيدي عبد الرحمٰن العيدروس وقد ترجمه المرادي في «سلك الدرر» فمما قاله فيه هو الأستاذ العارف الكامل العالم العامل أحد الأولياء الراسخين والأصفياء العارفين العلامة الحبر المحقق النحرير صاحب الكرامات والمكاشفات مربي المريدين ومرشد السالكين، قطب العارفين، أبو الفضل وجيه الدين.

ولد باليمن سنة 1135هـ وبها نشأ وقرأ، وارتحل إلى مصر وتوطنها ثم قدم إلى دمشق، وارتحل إلى القسطنطينية وحصل له اعتبار وإقبال ثم رجع إلى مصر فخرج من ساحل صيدا، فاستقبله واليها الوزير أحمد باشا الجزار، وعادا إلى مصر.

وله تآليف ذكر منها عدة من جملتها هذا الشرح «فتح الرحمٰن بشرح صلاة أبي الفتيان». ثم ذكر شيئاً من شعره، وقال: وبالجملة فقد كان نادرة عصره وفريد دهره، وكانت وفاته بمصر سنة 1192هـ، ودفن بها، قدس الله سره.

انتهى باختصار، وإنما ذكرت ذلك لتعلم أيها الواقف على كتابي هذا علو منزلة هذا السيد الأصيل العارف الولي الكبير الإمام النحرير لتقابل ما نقلته عنه بالمقبول، على أنه لا يحتاج لهذا التعريف، فإنه بين العارفين إمام مشهور غير مجهول رضي الله عنه ونفعنا ببركاته وبركات أسلافه الطاهرين وأعقابهم أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف بالله
سيدي السيد عبد الله الميرغني المتوفى سنة 1207هـ(*)

[ترجمته]

وهو أحد مشايخ الإمام العلامة السيد مرتضى الزبيدي شارح الأخبار والقاموس ولكون شهرته في بلادنا أقل من شهرة سيدي عبد العزيز الدباغ وسيدي عبد الغنى النابلسي وسيدي مصطفى البكري رضي الله عنه وعنهم أردت أن أذكر شيئاً من ترجمته تنويها بقدره ولأجل أن يتلقى بالقبول ما أنقله عنه من الفوائد الجليلة المتعلقة بعلو قدر رسول الله ﷺ فأقول ذكره الجبرتي في تاريخه في وفيات سنة 1207 فقال: في هذه السنة مات السيد الإمام العارف القطب عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني، وساق باقي نسبه الشريف الحسيني المتقي المكي الطائفي الحنفي الملقب بالمحجوب، ولد بمكة وبها نشأ وحضر في مباديه دروس بعض علمائها كالشيخ النخلي وغيره واجتمع بقطب زمانه السيد يوسف المهدلي.

وكان إذ ذاك أوحد عصره في المعارف فانتسب إليه ولازمه حتى رقاه وبعد وفاته جذبته عناية الحق وأرته من المقامات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فحينئذ انقطعت الوسائط وسقطت الوسائل فكان أويسياً تلقاه من حضرة جده ﷺ كما أشار إلى ذلك شيخنا السيد مرتضى عندما اجتمع به بمكة في سنة 1163هـ وأطلعه على نسبه الشريف وأخرجه إليه من صندوق قال وطلبت منه الإجازة

(*) هو عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين، أبو السيادة عفيف الدين ميرغني: المكي الطائفي الملقب بالمحجوب: متصوف حنفي من أهل مكة. انتقل بأسرته إلى الطائف سنة 1166هـ. وكانت وفاته سنة 1207هـ = 1792م).
وصنف كتباً، منها: «فرائض وواجبات الإسلام» في العقائد والفقه، و«المعجم الوجيز من أحاديث النبي العزيز» في مكتبة عارف حكمت بالمدينة الرقم (65 حديث) نسخت سنة 1166 و«الفروع الجوهرية في الأئمة الاثني عشرية» و«الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة» في مكتبة الرياض. وله نظم ضعيف في «ديوانين» (1).

وإسناد كتب الحديث فقال عني عنه قال فعلمت أنه أويسي المقام، ومدده من جده ﷺ، وانتقل إلى الطائف بأهله وعياله في سنة 1166هـ وشرف تلك المشاهد، ومآثره شهيرة ومفاخره كثيرة وكراماته كالشمس في كبد السماء وكالبدر في غيهب الظلماء وأحواله في احتجابه عن الناس مشهورة وأخباره في زهده في الدنيا على ألسنة الناس مذكورة.

ومن مؤلفاته كتاب «فرائض وواجبات الإسلام» شرحها السيد مرتضى. ومنها «سواد العين في شرف النسبين»، ومنها «السهم الداحض في نحر الرافض»، ومنها «الفروع الجوهرية في الأئمة الاثنى عشرية»، ومنها «الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة»، ومنها «الكوكب الثاقب وشرحه»، وله ديوانان أحدهما «العقد المنظم في حروف المعجم»، والثاني «عقد الجواهر في نظم المفاخر»، ومنها «المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز ﷺ» وشرحه الشيخ محمد الجوهري، ومنها «شرح صيغة القطب ابن مشيش»، ومنها «مشارق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار». **انتهى ما نقلته من ترجمته باختصار. وها أنا أذكر بعض فوائد شرحه المذكور الذي سماه «النفحات القدسية من الحضرة العباسية في شرح الصلاة المشيشية» قال في مقدمته:**

اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ من أشرف القربات وأعظم الطاعات ومن أكمل ما يصلى به عليه هذه الصلاة فإنها صلاة جليلة المقدار عظيمة الأسرار والأنوار دالة على كمال صاحبها وتمام عرفانه إذ كل إناء ينضح بما فيه، وكل كلام عليه كسوة القلب الذي صدر منه، وناهيك بصلاة حازت نهاية الصلاة عليه ﷺ، بما هو مقدور البشر مع مساعفة العناية والقدر وملاحظة الفيوضات الإلهية وإلا فليس في قدرة البرية الثناء بتلك القضية.

وقال الشيخ العارف العلامة أحمد بن محمد النخعي رحمه الله تعالى في كتابه بغية الطالبين: وفي قراءتها من الأسرار والأنوار مالا يعلم حقيقته إلا الله تعالى وبقراءتها يحصل المدد الإلهي والفتح الرباني ولم يزل قارؤها بصدق وإخلاص مشروح الصدر ميسر الأمر، محفوظاً بحفظ الله تعالى من جميع الآفات والبليات الظاهرة والباطنة، منصوراً على جميع الأعداء، مؤيداً بتأييد الله العظيم في جميع أموره ملحوظاً بعين عناية الله الكريم الوهاب، وعناية رسول الله ﷺ، وعلى آله والأصحاب وتظهر فائدتها بالمداومة عليها مع الصدق والإخلاص والتقوى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النُّور: 52].

وذكر النخعي أنه أخذها عن البابلي، عن سالم السنهوري، عن النجم الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا، عن العز بن الفرات، عن التاج السبكي، عن والده التقي السبكي، عن ابن عطاء الله، عن المرسي، عن الشاذلي، عن مؤلفها سيدي عبد السلام.

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغنى رضي اللّه عنه

[شرحه على الصلاة المشيشية]

ما ذكره في مقدمة شرحه على الصلاة المشيشية وهو قصة جليلة سمعها من بعض مشايخه الأجلاء، وهي ما حكى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه كان نائماً ذات ليلة ببيت المقدس فلما مضى بعض الليل إذ رأى السقف قد انفرج، وإذا كراسي من ذهب وفضة مرصعة نزلت منه، ورتبها رجل، وإذا بتخت عظيم مرصع بأنواع الجواهر يحير الواصفون في نعته، وإذا بملأ من الناس نزلوا وقعدوا كل واحد على كرسي، وإذا رجل لم ير مثله في الحسن والأنوار نزل فقعد فوق التخت منفرداً لم يشاركه فيه غيره قال: فقلت لمن في جانبي: من هؤلاء؟ قال: الأنبياء. قلت: والذي على التخت.

قال: نبينا محمد ﷺ. قلت: لمن جاؤوا. قال: جاؤوا يستشفعون الرسول ﷺ في الحلاج حيث خالف ظاهر الشرع. قال: ثم بعد ذلك قال موسى عليه السلام للرسول ﷺ: بلغني أنك تقول علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فأحب أن تريني واحداً منهم، فأشار ﷺ إلى رجل فإذا هو الغزالي، فقال: يا رسول الله إئذن لي أن أتكلم معه، فسأله عن مسألة فأجابه بعشرة أجوبة، فقال: سبحان الله سألتك عن شيء واحد فأجبتني بأجوبة، فقال له: يا سبحان الله ربك لما قال لك: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾ [طه: 17-18].

قال: ثم إني لم أزل متعجباً في كون آدم أبي البشر، ونوح، وإبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى كلمة الله كلهم تحت التخت والرسول وحده منفرد به مع كونهم أباه وكبار الأنبياء، وبينما أنا في ذلك وإذا واحد يرفسني، ويقول قم أما علمت أنه أصل الكل وسيدهم المنفرد بسائر الكمالات، فكيف يشاركونه فيه ﷺ قال السيد عبد الله الميرغني بهذا المعنى: سمعت القصة من بعض مشايخي الأجلاء.

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّٰه الميرغني أيضاً

[لما خلق الله آدم]

يروى أن الله تعالى لما خلق آدم قال: يا رب لم كنيتني أبا محمد، قال: ارفع رأسك، فرفعه فرأى نور محمد ﷺ في سرادقات العرش. فقال: يا رب ما هذا النور؟ قال: هذا نور محمد نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد، وفي الأرض محمد، ولولاه ما خلقتك، ولا خلقت سماء ولا أرضاً.

قال رضي الله عنه ففي قوله ولولاه ما خلقتك إلى آخره إيماء إلى خروج جميع الموجودات منه وإشعار بانشقاق جميع الأسرار عنه، إذ لولا الأصل لما وجد الفرع وبغير الواسطة لا يكون الموسوط، ولأنه لما تعلقت إرادته تعالى بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية من محض نوره المشار إليه بقوله ونفخت فيه من روحي، ثم سلخ منها العوالم كلها علويها وسفليها على ما سبق في سابق إرادته، ثم أعلمه تعالى بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم لم يكن إلا كما قال ﷺ: «**بين الروح والجسد**»[1]، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر في الملأ الأعلى أصلاً ممداً للعوالم كلها، وبيان ذلك وتوضيحه أنه لما كان تعالى كنزاً مخيفاً فأحب أن يُعرف توجهت الذات إلى الأسماء والصفات فاستفرت بكمالها. وانتهضت لإظهار جمالها وجلالها.

فأظهرت الذات الإلٰهية النبوية، وخلعت الأسماء والصفات الربانية، الكرامات والكمالات الاصطفائية، فبرزت من ذلك الحقيقة المحمدية، قبل وجود شيء من البرية، كما جاء بذلك الأخبار الصحيحة المروية.

إذا أخبر ﷺ: «**أن أول ما خلق الله درة بيضاء**»[2] الحديث وتلك الدرة هي العقل الذي أخبرته ﷺ فيما رواه جابر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله تعالى، فقال: «**هو نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق فيه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزانة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف**

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) أورده إسماعيل حقّي البروسوي في تفسيره روح البيان، سورة غافر، آية 27 [12/ 379].

سنة، ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء.

وأقام الجزء الرابع الرجاء في اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء خلق العقل من جزء، والحلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة، ثم نظر الله عز وجل إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور، فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء، والشهداء، والسعداء، والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون من نوري، والروحانيون من الملائكة نوري، وملائكة السمٰوات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري وأرواح الأنبياء والرسل من نوري والأولياء والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله اثني عشر حجاباً فأقام الله نوري.

وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله تعالى ذلك النور في كل حجاب ألف سنة.

فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض فكان يضيء منه ما كان بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله من الأرض آدم فركب فيه النور في جبينه، ثم انتقل منه إلى شيث، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه «**الى رحم أمي آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر**»[1] هكذا نقل هذا الحديث الكازروني في سيرته.

قال السيد عبد الله الميرغني رضي الله عنه: بعده ولا مانع من حيث القدرة

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الإلهية مما ذكر فقد روي في حديث ابن القطان: «**كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر الف عام**».

ورويَ في التشريفات عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام «**كم عمرت من السنين؟**» قال: والله لا أدري غير أن كوكباً في الحجاب الرابع يظهر في كل سبعين ألف سنة مرة رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال النبي ﷺ: «**يا جبريل وعزة ربي أنا ذاك الكوكب**».

قال رضي الله عنه فهذا وأشباهه لا يستحيل على قدرة العزيز الجليل وقد تبين بما تقدم أنه ﷺ كل العالم وإن كان جزء من العالم مظهراً له وجزءاً منه وهو بعضه من حيث اتحاده وغيره من حيث امتيازه وانفراده إذ نوره ﷺ الذي هو العقل أصل العالم كما ترى.

وبهذا تبين لك أن سائر الأسرار الشرعية والحقيقية والعرفية مشتقة منه ﷺ وبارزة من نوره المحمدي، فلذا كان عين الوجود ومظهر تجلى الواحد المعبود، ولذا إذا منح الله تعالى عبده المحبة والعرفان وجذبه إلى أعلى مقامات الإحسان وتجلى له بكمال الشهود لا يرى إلا الإله المقصود ورسوله الذي هو عين الوجود ويتحقق في مقام الفناء سر **كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان** وينشق له في مقام البقاء أن الرسول ﷺ كان ولم يكن معه شيء من الموجودات سوى رب الأرض والسموات وهو ﷺ الآن على ما عليه كان مخصوصاً بالتجلي الحقيقي من الله تعالى، كما أنه سبحانه مخصوص بالوجود المشار إليه بلا إله إلا الله أي موجود أبد الآباد إلا رب العباد وما سواه فان.

وإن أبرزه الإيجاد فسبحان من تفرد بالوجود في سائر الأزمان، وتنزه بكمال استغنائه عن المكان والزمان، وصلى الله وسلم على المخصوص بالتجلي الأعظم في سائر الأحيان، صلاة وسلاماً يليقان بجلاله وجماله وكماله، قال رضي الله عنه بعد ما ذكر: فإن قلت إذا كانت جميع الموجودات منفصلة عنه ﷺ ومن ذلك النار والكفار والفخار ونحوها ويبعد أن تكون هذه الأشياء الخسيسة منفصلة من عين الكمالات، ونور الجلالات، لكن بعد النقل، لا تعويل على العقل، فما حكمة ذلك وما وجه انفصاله.

فاعلم أنه لما كان سبحانه وتعالى منفرداً بذاته، وموصوفاً بكثرة صفاته، وأراد إحداث حادث محبوب أبرز الذات المحمدية، مفردة عن الذات الفردانية، لتكون

ملجأ لكل البرية، وخلع عليها من صفاته الكثيرة الإلهية، وصفاته سبحانه وتعالى ممدة للخلق أجمعين، ولا يضر انفصال تلك الأشياء منه ﷺ لأن ذلك من تكميل الله تعالى له لأنها مظاهر الجلال والجمال، وغيرها مظاهر الجمال والجلال، والجمع عين الكمال، والحمد لله ذي الأفضال، والصلاة والسلام على النبي والآل.

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[انفلاق الأنوار]

قوله رضي الله عنه في شرح قول المصنف و«انفلقت الأنوار»: جمع نور وهي حسية ومعنوية.

فالحسية: بجميع أنواعها منفلقة من نوره، ومنفجرة من كمال بطونه وظهوره ﷺ وهي غير منحصرة.

وأما **المعنوية**: فما كان إلى الشريعة فظاهره، وما كان إلى الحقيقة فكذلك إذ لا يحصل لأحد من الأنبياء والملائكة والعارفين شيء من التجليات الإلهية، والأنوار الربانية، إلا وهي منفلقة منه، وصادرة عنه، ﷺ، وبيان ذلك أنه لما كان ﷺ مخصوصاً بالتجلي الأعظم لما إنه روح سر العالم والمقصود من الوجود كان تجلى الله تعالى له خاصة، وكان مهبط التجليات الإلهية فكل عارف لا يحصل له من ذلك إلا ما ترشح من حماه وانفلق من نوره وبهاه، ولا يمكنه السير إلى ماوراء ذلك. إذ هو ممنوع مما هنالك، لاختصاصه بسيد الوجود، لأنه حبيب الإله المعبود، وما سواه بالنظر اليه معدوم ومفقود، ولله در الشرف البوصيري حيث قال في همزيته:

أنت مصباح كل فضل فما تصـ ... ـدر إلا عن ضوئك الأضواء

وقال في بردته.

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وواقفون لديه عند حدهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[ارتقاء الحقائق فيه ﷺ]

قوله رضي الله عنه في شرح قول المصنف «وفيه ارتقت الحقائق»: أي وفي ذاته وصفاته ﷺ علت الحقائق، وارتقت الدقائق، فكانت وراء طور نهي الخلائق، لما أن استعداده ﷺ لا يقاس، وامداده قصر عن سمته سائر الناس، فحقائقه به تترقى،

ودقائقه تعالت لحوقاً وسبقاً، وقد قال ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم وخواتمه**»[1]، وقال جبريل عليه السلام: «قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد ﷺ. ورحم الله البوصيري حيث قال:

وأنسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وأنسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيُعربَ عنه ناطق بفم

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[تنزيل علوم آدم عليه السلام]

قوله رضي الله عنه في شرح قول المصنف: «وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق»، أي وفيه ﷺ تنزلت من عند الله تعالى علوم أبينا آدم، يعني حقائق العلوم التي علم آدم أسماءها الثابتة بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31] وهذه العلوم هي علوم القرآن كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 38] وقال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النّحل: 89] .

وذكر في ذلك كثيراً من الأحاديث والآثار ثم قال: قد قال العلماء المحققون أنه تعالى أعلم نبيه ﷺ الغيب كله حتى الخمس المستثناة في آخر عمره ﷺ، لكن أمر بكتم البعض وإفشاء البعض وشتان بين العلم بحقائق الأشياء وبين العلم بأسمائها وبين إدراك المقصود وإدراك وسائله ولكن لما كان ﷺ هو المقصود، منح حقائق الوجود، ولما كان آدم عليه السلام هو الوسيلة، أوقف على الوسيلة، فسبحان من حكمته تبهر العقول، وأسرار عجائبه تطول، ولله در الشرف البوصيري حيث يقول:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ... ومنها لآدم الأسماء

ولهذا قال بعض المحققين إنما سجدت الملائكة لآدم لأجل نور محمد ﷺ الذي في جبينه.

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[إعجاز الخلائق]

قوله رضي الله عنه عند قول المصنف: فأعجز الخلائق بما حواه ﷺ من الحقائق، والعلوم والدقائق، وبما تجلى به من الأنوار الربانية والرقائق، التي في

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

بحرها يغرق كل بحر رائق، فسبحان من خصه بما شاء من العلوم، وأعجز جميع خلقه بمنطوقه والمفهوم، ورحم الله العارف الأبوصيري حيث قال:

وتلقى من ربه كلمات ... كل علم في شمسهن هباء

زاخر بالعلوم يغرق في قطـ ... ـراتها العالمون والحكماء

وتحدى فارتاب كل مريب ... أو يبقى مع السيول الغثاء

وكيف لا يعجز الخلائق كنهه ووصفه وهو المتصف بسائر الكمالات، والمتحقق بأعلى المقامات. كلام الميرغني، وهذه الأبيات الثلاثة الثابت منها في همزية البوصيري البيت الثالث فقط. فالظاهر أنه رضي الله عنه اطلع على نسخة منها فيها البيتان المذكوران والله أعلم:

ومن جواهر السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[تضاؤل الفهوم عن الإدراك]

قوله رضي الله عنه عند قول المصنف «وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق» أي ولأجل كماله ﷺ وعظمته تصاغرت الفهوم فلم تدرك شيئاً من حقيقته، وتحاقرت الإدراكات فلم تفهم شيئاً من كمال حاله وصفته، فكل من رام شيئاً من ذلك، رجع خاسيء الطرف عما هنالك، وكل من قصد ذوق أنواره، عاد معترفاً بعجزه واحتقاره، وكل من نوى شم تلك الرائحة الطيبة، انحلت نياته وعزماته الصيبة، فالكل في بحر عجزه ونقصه غارق، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، وكيف يدرك من كان خلقه القرآن، وذاته من نور ذات الرحمن. ومن له كل مراتب الإحسان، وهو الحبيب الأكرم، والمخصوص بالتجلي الأعظم.

ومن هنا قال بعض العارفين، رحمهم الله أجمعين: لو انكشفت حقيقته ﷺ للخلق لارتدوا جميعاً إذ من كانت صفاته صفات الرحمن، وذاته من نور ذات المنان، وهو مدرك بالحواس والعيان، لا يختلف في معبوديته اثنان.

ومن هنا اختلف الناس في الأديان، لما ظهر لهم من تجليه تعالى في الجمادات والحيوان. ولكن سبحان الحنان المنان، الذي حفظ من شاء من عباده بالدليل والبرهان، وحجز من أحب باليقين والعيان، وإذا كان الأمر كذلك فليس إلى إدراكه ﷺ من سبيل، بل ولا إلى شم رائحة حقيقة السيد النبيل، ولكن غاية التحقيق

والإدراك. أنه سيد المرسلين والأملاك ﷺ، وما أحسن قول صاحب البردة رحمه الله تعالى:

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ... لقرب والبعد فيه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد ... صغيرة وتكل الطرف من أمم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

ومن كان هذا شأنه وصفاته، كيف يمكن وصفه ونعته؟ أم كيف يمدح حاله وذاته؟ ولذا لما رأى بعض الأخيار سلطان العشاق العارف بالله سيدى عمر بن الفارض، أمده الله لمدده الفائض، فقال له: لم مدحت النبي ﷺ، أي بالتصريح وإلا فنظمه ليس هو إلا في الحضرة الإلهية أو المكانة النبوية فقال رضي الله عنه:

أرى كل مدح في النبي مقصراً ... وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله اثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

وقال ابن خطيب الأندلس يعني لسان الدين رحمه الله تعالى:

مَدَحَتْكَ آياتُ الكتابِ فَمَا عسَى ... يثني على عُلياك نظمُ مديحي
وإذا كتابُ الله أثنى مُفصحاً ... كان القُصور قُصارَ كلّ فصيح

فعلم بهذا أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه، لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه، ولكان الملم بساحل بحرها، مقصراً عن حصر بعض فخرها، ولقد صح لمحبيه، أن أنشدوا فيه ﷺ:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وإنه لجدير بقول القائل:

فما بلغت كف امرئ مُتَنَاوَلا ... من المجد إلا والذي نال أطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ... ولا صفة إلا الذي فيه أفضل

وقال البدر الزركشي: ولهذا لم يتعاط فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه ﷺ.

وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه، فإن المعاني وإن جلت فهي دون مرتبته والأوصاف وإن كملت دون وصفه وكل غلو في حقه تقصير فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ إلا قُلاّ من كثر. واذا تقرر ذلك فاعلم أن من أعظم الواجبات على

كل مكلف أن يتيقن أن كمالات نبينا ﷺ لا تحصى.

وإن فضائله وصفاته الجميلة لا تستقصى، وإن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق، وإن حقه ﷺ على الكمل فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق، وإنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه، واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه.

وإن المادحين لجنابه العلي، والواصفين لكماله الجلي ﷺ لم يصلوا إلا إلى بعض من كل لا حدّ لنهايته، وغيض من فيض لا وصول إلى غايته، بل في الحقيقة لم يمدحوه بوصف إلا بحسب فهمهم ذلك. وجلت أوصافه ﷺ أن تكون إلا وراء كل ما هنالك. فوصف العجز والتقصير، عم الجليل والحقير.

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[أنواره ﷺ غامرة الوجود]

قوله رضي الله عنه في شرح قول المصنف: «**فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقه**». كل هذا كناية عن كون أنواره ﷺ غامرة الوجود بأسره. وكل عظيم في الوجود إنما عظمه بظهور كماله وفخره. وبيان ذلك أنه إذا كشف عن عين الحقيقة، بسبب اتباع كمال الطريقة رؤي بعين البصيرة تحقيقاً، ومشاهدة أن أسراره ﷺ متصلة بالوجود بأسره وأنواره غامرة لفرعه وأصله. «ولا شيء إلا وهو به منوط»: أي متعلق لكونه ممداً للعوالم كلها، وروح علوها وسفلها، وواسطة بينها وبين ربها فكل من ذواتها ومدد حياتها به منوط، اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، بل لا يوجد الموسوط بدون ما به منوط، وفي قوله سبحانه لنبيه آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام: «**لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً**» أدل دليل، بأنه الأصل في الإجمال والتفصيل، والواسطة حتى في النقير والفتيل، فسبحان من جعل مددنا من ذلك النور العظيم، وقوامنا بواسطة النبي الحبيب الكريم، فله الحمد العظيم على ذلك والثناء الفخيم.، وعلى نبيه منه له به أفضل الصلاة والتسليم.

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[عبوديته لله ﷺ]

قوله رضي الله عنه في شرح قول المصنف «صلاة تليق بك منك إليه» أي إلى

حضرة صاحب الرسالة، وقطب دائرة الجلالة، ومقصودك من الوجود، والمخصوص منك بكمال الشهود، روح تجلياتك الذاتية، وعين مظاهر صفاتك الإلهية، والصلاة التي بهذه الكيفية، لا يعلم قدرها أحد من البرية، لعجزهم عن فهم تلك القضية «كما هو أهله» أي كالذي هو أهله يعني كما هو مستأهل له لكمال انكساره، وتمام افتقاره ﷺ، وذلك موجب لتمام الرحمة والمنة إذ هو، أي الانكسار والافتقار، وقوف على حقيقة العبودية التي هي أحوال العبد، ولذا لم يوصف ﷺ في علي المقامات إلا بها كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] . ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: 1] إلى غير ذلك. . .

ومن جواهر سيدي السيد عبد اللّه الميرغني أيضاً

[النبي ﷺ سر الخالق وجامع الأدلة]

قوله رضي الله عنه عند قول المصنف: «**اللَّهم إنه سرك الجامع الدال عليك، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك**» اللهم إنه سرك الذي انفردت به من الوجود، وخصصته بالمحبة والشهود، الجامع لجميع الفضائل والأسرار، والحاوي لسائر التجليات والأنوار، الدال عليك بظاهره وباطنه وقلبه وقالبه وذاته وصفاته إذ هو ﷺ أقوى الدلائل على الله، وأرجح البراهين على توحيد الله، إذ فيه ﷺ من الآيات الباهرة ما لم يوجد في غيره منها مثقال حبة من خردل، بل ولا مقدار جوهر فرد من الرمل، بل في الحقيقة هو الدال على مولى الموالي كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف فبي عرفوني**»(1) . وقوله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل**»(2) .

إذ المراد بالنور هو ﷺ لأن أول مخلوق سيد الوجود ﷺ، ومنه انشقت العوالم كلها كما تقدم. وهل يكون لها دلالة؟ إلا بما فيها من أنوار قطب الجلالة، فهو الدال في الحقيقة، على من له الشريعة والطريقة، إذ أسراره ﷺ أعظم الحجب كلها

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب مبتدأ الخلق، حديث رقم (17488) [9/ 4] ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (2642) [5/ 26] ورواه غيرهما.

لأن كل حجاب سواه يمكن ألف حجاب من نور وظلمة وهو ﷺ أعظم الحجب كلها لأن كل حجاب سواه يمكن زواله للسالك وذهابه، إلا هو ﷺ، فإنه الحجاب الذي لا يمكن قطعه ولا إزالته وعنده ينتهي سير كل نبي وولي ولا يتعدون إلى ماوراء ذلك كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصَّافات: 164].

وبيان ذلك وتوضيحه أن السالك الصادق إذا توجه بكمال السير، وفني عن السوى والغير، انكشف له أنه ﷺ قائم بين يدي الله تعالى، وأنه سبحانه متوجه إليه بالتجليات كلها لأنه مقصوده من الوجود وما سواه إنما يحصل له رشحات من ذلك تتميماً لفيض فضله، وتكميلاً لعموم رحمته فكل من رام حقيقة التجليات، انحجب عنها بسيد السادات، فهو الحجاب الأعظم الذي لا يمكن قطعه وهو رحمة من الله تعالى على عباده، لأنهم غير أهل لاستعداده، وكل ما فيهم من استعداد، إنما هو من الإِمداد الحاصل لهم منه، والنور البارز لهم عنه، ﷺ ومن هنا يظهر له في حال كماله في الشهود أنه ﷺ بمنزلة العالم السفلي، ومولاه بمنزلة العالم العلوي، وهذا تشبيه تقريب والأمر وراء ذلك وفي الإشارة، ما يغني عن العبارة، فجاهد تشاهد وجد تجد، ويفهم من هنا معنى صلاة بعض السادة وهي: **اللَّهم صل على سيدنا محمد عرش رحمانيتك، المستوي عليه ذات ربوبيتك**». انتهى ما اخترت نقله من كلام سيدي العارف بالله السيد عبد الله الميرغني في شرح الصلاة المشيشية رضي الله عنه وعن مؤلفها ونفعنا ببركاتهما وبأولياء الله أجمعين.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العارف بالله سيدي الشيخ أحمد الصاوي المتوفى سنة 1241هـ(*)

فمن جواهره رضي الله عنه

[تفسير عدة آيات قرآنية]

قوله في حاشيته على تفسير الجلالين، عند قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عِمرَان: 81] الآية، الميثاق هو عهد مؤكد باليمين.

واختلف فيه هل كان ذلك في عالم الذر، وعليه يكون قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عِمرَان: 81] في عالم الأشباح، فالمعاهدة لما يأتي؛ أو كان ذلك في عالم الأشباح، وكانت تلك المعاهدة تنزل في كتبهم وعليه تكون المعاهدة في الحالة الراهنة.

واختلف في الرسول المعاهد عليه في جميع الأنبياء، فذهب جماعة من الصحابة والتابعين، منهم سعيد بن جبير وطاووس إلى أن كل نبي يعاهد على من يأتي بعده من الأنبياء فأخذ العهد على آدم أن جاءه رسول مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه، وكذلك شيت أخذ عليه العهد، وهكذا إلى إبراهيم، إلى موسىٰ إلى بقية أنبياء بني إسرائيل، إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام... فهو ﷺ معاهد عليه مع كل نبي في عموم الأنبياء، ومع عيسى عوهد عليه بالخصوص، وهي حكمة قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6].

وذهب جماعة آخرون من الصحابة وغيرهم، منهم علي وابن عباس والسدي

(*) هو أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية بمصر، توفي بالمدينة المنورة سنة 1241هـ = 1825م. هذا وكانت ولادته سنة 1175هـ = 1761م.

من كتبه: (حاشية على تفسير الجلالين) وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية و(الفرائد السنية) شرح همزية البوصيري، في دار الكتب (1). (انظر الأعلام للزركلي - (1/ 246)).

وقتادة إلى أن المراد بالرسول المعاهد عليه هو سيدنا محمد ﷺ، فأخذ الله العهد على كل نبي بانفراده لئن جاءه محمد ﷺ وهو حي مصدقاً لما معه ليؤمنن به ولينصرنه.

وعليه، فلو ظهر محمد ﷺ في زمن أي نبي من الأنبياء، لبطل شرع ذلك النبي، وكان هو وأمته من أتباعه ﷺ واقتصر على هذا القول الحافظ السيوطي في تفسير الجلالين.

قال السبكي: يؤخذ من الآية على هذا التفسير أنه ﷺ نبي الأنبياء، وأن الأنبياء نوابه. والحكمة في تلك المعاهدة ارتباط أولهم بآخرهم، وبيان عصمتهم من داء الحسد

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً:

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة آل عمران أيضاً ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: 159] أي ذهبوا إلى الكفار، ولم يبق منهم أحد.

وما من قبله ﷺ من الأنبياء عليهم السلام فقد عاملوا قومهم بالجلال، كنوح عليه السلام حين قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نُوح: 26] وكهود وصالح عليهما السلام فنبينا ﷺ رحمة للعالمين، ولولا رحمته بنا ما بقي منا أحد، فكان شفيعاً عند ربه لنا في كل بلاء عام طلبه الأنبياء لأممهم.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة آل عمران أيضاً: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: 164] هذا ترق في تعظيمه ﷺ فنزهه الله تعالى أولاً عن الغلول، أي الخيانة في الغنيمة في الآية السابقة ثم بين أن وجوده بينهم نعمة عظيمة أنعم بها عليهم، وفي الحقيقة هو ﷺ نعمة حتى على الكفار، وإنما خص المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها وتدوم عليهم.

وأما الكفار وإن آمنوا به ﷺ من الخسف والمسخ وكل بلاء عام، ورزقوا به إلا أن عاقبتهم الخلود في دار البوار، ويتبرأ منهم ولا يشفع لهم في النجاة من العذاب.

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا ... من العناية ركناً غير منهدم

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: 67].

اعلم أن ما أوحي إلى رسول الله ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

ما أمر بتبليغه، وهو القرآن والأحكام المتعلقة بالخلق عموماً، فقد بلغه ﷺ، ولم يزد عليه حرفاً، ولم يكتم منه حرفاً؛ ولو جاز عليه الكتم، لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله تعالى، كآية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس: 1] وآية ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾ [الأنفال: 67] وسورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: 1] ولفظ قل من ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: 1] و ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1] و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: 1] و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: 1].

وقد شهد الله له بتمام التبليغ، حيث أنزل عليه قبل وفاته ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: 3]. وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه: «**اقبض فقد بلغت**»[1].

وما أمر بكتمه، فقد كتمه ﷺ ولم يبلغ منه حرفاً، وهو جميع الأسرار التي لا تليق بالأمة.

وما خير في تبليغه وكتمه، فقد كتم البعض وبلغ البعض، وهو الأسرار التي تليق بالأمة؛ ولذا ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**أعطاني حبيبي جرابين من العلم، لو بثثت لكم أحدهما لقطع مني هذا الحلقوم**»[2].

ثم قال عن عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ في مقدمه المدينة ليلة فقال: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة**». قالت: فبينما نحن كذلك، سمعنا خشخشة سلاح، فقال: «**من هذا؟**» قال: سعد بن أبي وقاص. فقال له رسول الله ﷺ: «**ماجاء بك؟**» فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه. فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام[3].

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) رواه بنحوه البخاري في صحيحه، باب حفظ العلم، حديث رقم (120) [1/ 56] ونصه: عن أبي هريرةَ قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءينِ فأمَّا أحدهُما فبثثته وأما الآخرُ فلو بثثته قُطِعَ هذا البلعومُ.

(3) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل سعد بن أبي وقاص، حديث رقم (2410) [4/ 1875] ورواه غيره.

وفي رواية أن الذي جاء سعد وحذيفة بن اليمان، فقالا: جئنا نحرسك. فنام ﷺ حتى سمعت غطيطه. ونزلت هذه الآية، فأخرج رأسه من قبة أدم وقال: «**انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله تعالى**»[1]. وورد أنه كان يحفظه ﷺ سبعون ألف ملك لا يفارقونه في نوم ولا يقظة.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 156-157] عزروه: وقروه. ويجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل بسمته وصفته من كونه محمداً، ولد بمكة، وهاجر إلى المدينة، يقبل الهدية ويرد الصدقة، وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة ﷺ. قال في تاريخ الخميس إن محمداً ﷺ مذكور في التوراة بالسريانية بلفظ «المُنْحَمِنّا»، ومعناه محمد.

وذكر الحسن عن كعب الأحبار أن اسم النبي ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد المجيد، وعند سائر الملائكة عبد الحميد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القاهر، وعند الجن عبد الرحيم، وفي الجبال عبد الخالق، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وفي التوراة موذموذ، وفي الإنجيل طاب طاب، وفي الصحف عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله تعالى طه ومحمد ﷺ:

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟

(1) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة المائدة، حديث رقم (3221) [2/ 342] ورواه ابن حبان في الصحيح، حديث رقم (6272) [1/ 169].

نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: 32-33] يريدون أن يطفئوا نور الله وشرعه وبراهينه الدالة على صدقه ﷺ وهي ثلاثة أمور:

أحدها: المعجزات الظاهرات، **ثانيها**: القرآن العظيم، **ثالثها**: كون دينه الذي أمر باتباعه وهو دين الإسلام، ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والانقياد لأمره ونهيه والتبرؤ من كل معبود سواه.

فهذه أمور نيرة واضحة في صحة نبوته ﷺ. فمن أراد إبطال ذلك، فقد خاب سعيه. ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: 32] أي يعليه ويرفع شأنه. والهدى: هو القرآن. ودين الحق: هو دين الإسلام.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في آخر سورة التوبة: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128] قوله ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [النحل: 72] خطاب للعرب.

قال ابن عباس: ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب. ﴿وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: 61] بضم الفاء باتفاق السبعة، وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة، والمعنى جاءكم رسول من أشرفكم وأرفعكم قدراً، لما في الحديث «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. فأنا خِيار من خِيار من خيار**» ﷺ[1].

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في أول سورة الإسراء ﴿۞ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: 1] قوله ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1] لم يقل بنبيه ولا برسوله إشارة إلى أن وصف العبودية أخص الأوصاف وأشرفها، لأنه إذا

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب نسب النبي ﷺ. . ، حديث رقم (2276) [4/ 1782] ورواه الترمذي في السنن، باب فضل النبي ﷺ، حديث رقم (3605) [5/ 583] ورواه غيرهما.

صحت نسبة العبد لربه بحيث لا يشرك في عبادته له أحداً، فقد فاز وسعد، ولذا ذكره الله تعالى في المقامات الشريفة كما هنا.

وفي مقام الوحي، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النّجم: 10].
وفي مقام الدعوة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجنّ: 19] ولذا قال القاضي عياض، رحمه الله تعالى

وممــا زادنــي شــرفــا وَتِـيـهــاً وكــدت بــأخــمـصـي أَطـأُ الـثــريــا
دخــولــي تــحــت قــولــك يــا عــبــادي وأن صــيَّــرت أحــمــد لــي نــبــيــا

وهناك وجه آخر، وهو خوف ضلال أمته به ﷺ كما ضلت أمة عيسى به عليه السلام حيث قالوا ابن الله. وقوله ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: 1] أي بروحه وجسمه على الصحيح.

ثم قال عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غَافر: 56] المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى، أي هو السميع للأقوال، البصير بالأحوال والأفعال. وقيل الضمير عائد على النبي ﷺ وحكمة الإتيان بهذين الوصفين الثناء على رسول الله ﷺ، حيث شاهد ما شاهد، وسمع ما سمع، ولم يزغ بصره، ولم يدهش سمعه؛ فهو نظير قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: 17] إشارة إلى علو مقامه ورفعة شأنه ﷺ.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيَاء: 107] أي للرحمة، فهو منصوب على أنه مفعول لأجله؛ ويصح أن يكون منصوباً على الحال أي أنه ﷺ نفس الرحمة، لما ورد أن الأنبياء خلقوا من الرحمة، ونبينا ﷺ عين الرحمة، أو على حذف مضاف أي ذا رحمة أو راحماً لما في الحديث: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[1]. انتهت عبارة الصاوي.

ولا يخفاك أن الحديث الذي ذكره، وهو قوله ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**» يؤيد القول الثاني، وهو أنه ﷺ عين الرحمة، ولعله إنما جعله في وسط الأقوال الثلاثة لكونه هو المرجح عنده. كما أنه هو المرجح عند جميع ساداتنا الصوفية رضي الله

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (100) [1/ 91] ورواه الدارمي في السنن برقم (15) [1/ 21] ورواه غيرهما.

عنهم ثم قال عند تفسير العالمين بالأنس والجن: أي براً وفاجراً، مؤمناً وكافراً، لأنه ﷺ رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال.

وهو ﷺ رحمة أيضاً من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى، فمن آمن به ﷺ فهو رحمة له دنيا وأخرى، ومن كفر فهو رحمة له في الدنيا فقط.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: 6] أي أنه ﷺ أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أو لا، فطاعة النبي ﷺ مقدمة على طاعة النفس في كل شيء من أمور الدين والدنيا، لأنها طاعة لله.

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: 80] وإذا كان ﷺ أولى بهم من أنفسهم، فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى.

فحقه ﷺ على أمته أعظم من حق السيد على عبده، وهذه الآية أعظم دليل على أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق، وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين لأنه ﷺ لا يفعل شيئاً عن هوى نفسه بل عن وحي، فجميع أفعاله وأقواله عن ربه.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

ما ذكره في حاشيته المذكورة عند قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56] هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الإطلاق، إذ الصلاة من الله على نبيه ﷺ رحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة، لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الأحزاب: 43] فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين. والمراد بالملائكة جميعهم، والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي ﷺ بما يليق به.

ولما كانت الصلاة عليه من الله تعالى هي الرحمة المقرونة بالتعظيم، وسعت رحمة النبي ﷺ كل شيء تبعاً لرحمة الله تعالى، فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب: 56] أي ادعوا له بما يليق به. وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي ﷺ تشريفهم بذلك حيث

اقتدوا بالله تعالى في مطلق الصلاة، وإظهار تعظيمه ﷺ، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، لأنه ﷺ الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحق على من وصلت له نعمة من شخص أن يكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه ﷺ مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه ﷺ.

إن صلاتهم طلب من الله تعالى أن يصلي عليه وهو مصل عليه مطلقاً طلبوا أو لا، أجيب بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته ﷺ طلبوا من القادر المالك أن يكافئه. ولا شك أن الصلاة الواصلة للنبي ﷺ من الله لا تقف عند حد؛ فكلما طلبت من الله تعالى زادت على نبيه ﷺ فهي دائمة بدوام الله عز وجل.

وقوله: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56] إن قلت لم خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي ﷺ والأذية إنما هي من البشر، فناسب التخصيص بهم، لأن في السلام سلامة من الآفات، وأكد السلام دون الصلاة، لأنها لما أسندت لله وملائكته كانت غنية عن التأكيد.

واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ ثم اختلفوا في تعيين الواجب، فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض، وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة، وقيل تجب عند ذكره ﷺ، وقيل يجب الإكثار منها من غير تقييد.

وبالجملة فالصلاة على النبي ﷺ أمرها عظيم وفضلها جسيم، وهي من أفضل الطاعات وأجل القربات، حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ، لأن الشيخ والسند فيها صاحبها ﷺ، لأنها تعرض عليه ويصلي هو على المصلي عليه، بخلاف غيرها من الأذكار، فلا بد فيها من الشيخ العارف وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها.

ثم قال: وصيغ الصلاة على النبي ﷺ كثيرة لا تحصى، وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب، فمن تمسك بأي صيغة منها حصل له الخير العظيم. انتهى كلام العارف الصاوي.

يقول جامعه[1] الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: إني قبل اطلاعي بمدة طويلة على عبارة الإمام الصاوي المذكورة في تأكيد السلام بالمصدر وعدم تأكيد الصلاة،

(1) أي جامع أصل الكتاب وهو (موسوعة جواهر البحار في فضائل النبي المختار).

كتبت في هذا المعنى عبارة في ورقة، وتركتها لأذكرها مع ما يناسبها.

وها أنا أذكرها الآن بحروفها، وهي قولي:

فائدة: خطر لي معنى شريف في ذكر السلام في الآية، وتأكيده بالمصدر وعدم تأكيد الصلاة به، مع أنه لم يذكر في صدر الآية مع الصلاة من الله والملائكة عليه ﷺ وهو أن مشروعيته كانت سابقة على مشروعية الصلاة عليه بنزول الآية، كما يستفاد من حديث تعليمهم الصلاة المأمور بها فيها. وقوله ﷺ في آخره: «**السلام كما قد علمتم**»[(1)].

فلذلك ذكرت الصلاة وحدها في صدر الآية، والأمر بها دون السلام؛ فلئلا يتوهم من ذلك عدم الاهتمام في شأنه أمر به تعالى مؤكداً بالمصدر، كما أن الأمر به تشريع مؤكد للتشريع السابق في شأنه، المفهوم من قوله ﷺ: «**وأما السلام فكما قد علمتم**»[(1)]. ولذلك لم يطلب منه ﷺ الصحابة أن يعلمهم السلام لسبق علمهم به.

أما الصلاة فقد ذكرت في الآية من أول الأمر مؤكدة بذكر صلاة الله وملائكته وتصدير الآية بها، فلم تحتج للتأكيد بالمصدر واحتاج له السلام. نعم يظهر من الآية الاهتمام بشأن الصلاة أكثر من السلام، وإن كان هو أيضاً مهتماً به للأمر به مؤكداً، لأن تأكيدها بذكر صلاة الله وملائكته أقوى من تأكيده بالمصدر بلا شك.

ويدل على ذلك ورود الأحاديث الكثيرة في فضل الصلاة عليه ﷺ أكثر من الواردة في فضل السلام أضعافاً مضاعفة. وكثير من صيغ الصلوات الواردة عن النبي ﷺ وعمن بعده من الصحابة ومن بعدهم لم يذكر فيها السلام بالكلية.

نعم كرهوا إفراد أحدهما عن الآخر في غير الوارد، فمن الوارد إفراد الصلاة في الصيغة الإبراهيمية، ومن الوارد إفراد السلام عند زيارته ﷺ فليس في ذلك كراهة، على أن الحافظ ابن حجر قال: إنما يكره إفراد الصلاة عن السلام إذا لم يأت به ولو في مجلس آخر، أما إذا أتى به في مجلس آخر فلا كراهة، والله أعلم. انتهت عبارتي.

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب الصلاة على النبي ﷺ، حديث رقم (405) [1/ 305] ورواه الترمذي في السنن، باب ومن سورة الأحزاب، حديث رقم (3220) [5/ 359] ورواه غيرهما.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة سبأ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سَبَإ: 28] إن هذه الآية دلت على أنه ﷺ مرسل لجميع الإنس بشيراً ونذيراً.

وأما إرساله لغيرهم، فمأخوذ من آيات أخر، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] لكن إرساله ﷺ للإنس والجن إرسال تكليف، وللملائكة قيل إرسال تكليف، وقيل تشريف ولسائر الحيوانات والجمادات إرسال تشريف.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة عند قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٠﴾ [الفَتْح: 8-10] قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [الأحزَاب: 45] امتنان منه تعالى عليه ﷺ حيث شرفه بالرسالة، وبعثه إلى كافة الخلق شاهداً على أعمال أمته بالطاعة والعصيان: ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ [الفَتْح: 8] لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾ [البَقَرَة: 119] أي منذراً مخوفاً من عمل سوءاً بالنار ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الفَتْح: 9] بالياء والتاء، وهما قراءتان سبعيتان في هذه الألفاظ الأربعة. وضمير ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفَتْح: 9] راجع لله تعالى أو لرسوله ﷺ ويؤخذ من هذه الآية أن من اقتصر على تعظيم الله وحده، أو على تعظيم الرسول وحده، فليس بمؤمن بل المؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ﷺ ولكن التعظيم في كل بحسبه، فتعظيم الله تعالى تنزيهه عن صفات الحوادث ووصفه بالكمالات، وتعظيم رسوله ﷺ اعتقاد أنه رسول الله حقاً وصدقاً لكافة الخلق، بشيراً ونذيراً إلى غير ذلك من أوصافه السنية وشمائله المرضية ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفَتْح: 10] الآية لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله ﷺ بشيراً ونذيراً بين أن متابعته ﷺ متابعة له عز وجل، وطاعته ﷺ طاعة له سبحانه وتعالى، وذلك يشعر بعظيم منزلته ورفعة قدره ﷺ عند ربه عز وجل. والبيعة في الأصل: العقد الذي يعقده الإنسان على نفسه من بذل الطاعة للإمام، والوفاء بالعهد الذي التزمه له، والمراد بها هنا بيعة الرضوان بالحديبية، وهي قرية

ليست كبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة، سميت ببئر هناك واختلف فيها، فقيل من الحرم، وقيل بعضها من الحرم، ويجوز فيها التخفيف والتشديد.

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفَتْح: 10] هو نحو من: ﴿يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النِّسَاء: 80] أي من حيث إنه في المعنى يرجع له، إذ هو تعالى منزه عن الجوارح، فليست اليد على حقيقتها.

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفَتْح: 10] أي أنه سبحانه وتعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها.

وقوله تعالى ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: 40] أي وهو الجنة. وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان، إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد، ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه. ومن هنا استعمل المشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة الصف: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6] يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبني للفاعل.

والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره، ويحتمل أن يكون من المبني للمفعول أي أكثر محمودية من غيره، أي كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحمدون غيره.

وخص أحمد بالذكر دون محمد، مع أنه أشرف أسمائه ﷺ لوجوه. الأول كونه ﷺ مذكوراً في الإنجيل بهذا الاسم الثاني. كونه ﷺ مسمى به في السماء. الثالث أن حمده ﷺ لله تعالى سابق على حمد الخلق له عز وجل في الدنيا ويوم القيامة؛ فحمده لله قبل شفاعته لأمته، وحمد الخلق له تعالى بعدها وقال بعضهم: إنه ﷺ له أربعة آلاف اسم، منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كرؤوف ورحيم.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في حاشيته المذكورة، عند قوله تعالى في سورة **ن** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4] قال ابن عباس: معناه على دين عظيم، لا دين أحب إليَّ ولا أرضى عندي منه، وهو دين الإسلام. وقال الحسن: هو آداب القرآن بدليل أن عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن.

ولذا قال قتادة: هو ما كان يأتمر به ﷺ من أوامر الله، وينتهي عنه من نهي الله تعالى. والمعنى وإنك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن.

وهذا أعظم مدح له ﷺ ولذا قال العارف البوصيري:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

[كتابه شرح صلوات الدردير]

قوله رضي الله عنه في شرحه على صلوات العارف بالله سيدي أحمد الدردير رضي الله عنه عند الكلام على الصيغة المنسوبة لحجة الإسلام الغزالي، وهي... «اللهم أجعل أفضل صلواتك أبداً، وأنمى بركاتك سرمداً، وأزكى تحياتك فضلاً وعدداً، على أشرف الخلائق الإنسانية» أي وغيرها.

وإنما خص الإنسان لأنه أفضل الأنواع، فإذا فضلهم كان أفضل مما سواهم بالأولى. «ومجمع الحقائق الإيمانية» جمع حقيقة، فمنه ﷺ تؤخذ حقيقة الإيمان بجميع مراتبها من علم اليقين، وعين اليقين وحق اليقين.

«وطور التجليات الإحسانية» أي هو ﷺ موضع تنزلات الرحمات ومهبطها، كما أن جبل الطور مهبط تجلي الجلال عند سؤال موسى ﷺ رؤية ربه، فتجلى الله على الطور بالجلال فصار دكاً. ورسول الله ﷺ تجلى عليه بالإحسان، فوسع العالمين علماً وحلماً، فصارت مقامات الإحسان لا تؤخذ إلاّ منه من مراقبة ومشاهدة. «ومهبط الأسرار الرحمانية» جمع سر وهو ما يكتم، أي هو ﷺ موضع أسرار الله الناشئة من رحمانيته سبحانه، فلا تؤخذ إلا منه.

«وعروس المملكة الربانية» أي كما في بعض روايات هذه الصلاة من زيادة هذه الفقرة، أي المميز في عوالم الملك والملكوت بالفخر والبهاء كالعروس، فإنه ﷺ الخليفة على الإطلاق الذي صرّفه الله في الملك والملكوت بسبب أنه خلع عليه أسرار الأسماء والصفات، ومكنه من التصريف في البسائط والمركبات، فكان بذلك المعنى عروساً لأن العروس نافذ أمره والجميع خدمه.

«واسطة عقد النبيين» واسطة العقد جوهرته الكبرى، ووسط الشيء خياره، ومعناه خيار النبيين، «ومقدم جيش المرسلين» أي الرافع لرتبتهم، الممد لهم، المقدم عليهم بالحس والمعنى... «وقائد ركب الأنبياء المكرمين» جمع نبي.

روي أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وقيل: مائتا ألف وخمسة وعشرون ألفاً، وقيل: ألف ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفاً، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، وقيل: وأربعة عشر.

والمذكور منهم في القرآن خمسة وعشرون، ثمانية عشر في آية ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ [الأنعَام: 83] إلى آخر آية الأنعام، والباقي محمد، وآدم، وصالح، وشعيب، وهود، وإدريس، وذو الكفل. أولو العزم منهم خمسة جمعهم بعضهم في بيت شعر بقوله

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

وفضلهم على هذا الترتيب، والحق أن عدة الأنبياء والرسل لا يعلمها إلا الله وأفضل الخلق أجمعين لقوله ﷺ «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1]. ونوع الآدمي أفضل الخلق، فيكون ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق.

وفي خبر الترمذي «**وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر**» «حامل لواء العز الأعلى» اللواء بالمد: الراية، والعز ضد الذل، والأعلى: الأشرف، والأرفع، والمعنى أن بيده ﷺ عز الدارين لمن انتسب إليه «ومالك أزمة المجد الأسنى» أي الشرف الأرفع، وهو كناية أيضاً عن عز الدارين لمن اتبعه ﷺ «شاهد أسرار الأزل» أي معانيها.

والأزل: القِدم. «ومشاهد أنوار السوابق الأول» جمع سابق وأول، فهو ﷺ وإن تأخر وجود جسمه الشريف على جميع الأنبياء، متقدم عليهم، بل وعلى جميع المخلوقات، باعتبار حقيقته، فأنوار السوابق الأول ناشئة منه وعارضة عليه، فكان بهذا المعنى مشاهدها. ويشهد لهذا حديث جابر المشهور. «وترجمان لسان القدم» الترجمان في الأصل اسم الملقن معاني الكلمات، والمراد منه هنا الملقن كل العلوم الغيبية التي نشأت عن ذي القدم سبحانه وتعالى «ومنبع العلم والحلم والحكم» أي محل نبع علوم الأولين والآخرين. وصح أنه ﷺ قال: «**تعلمت علم الأولين والآخرين**». وكفانا قول البوصيري: ومن علومك علم اللوح والقلم، ومحل حلم الأولين والآخرين. قال البوصيري في وصفه ﷺ:

وسع العالمين علماً وحلماً فهو بحر لم تعيه الأعباء

والحكم جمع حكمة، وهي إتقان العلم والعمل، أي فهو منبعها أيضاً. «ومظهر

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

سر الجود الجزئي والكلي» أي هو الذي به ظهور سر جود الله تعالى الدقيق والجليل، والمعنى أنه ظهرت به ﷺ بركات الدنيا والآخرة. «وإنسان عين الوجود العلوي والسفلي» أي هو ﷺ خيار الموجودات ونورها، كما أن إنسان العين نورها، فالعين بدونه لا تبصر، والموجودات من العالمين بدونه عدم، لما في الحديث «**لولاك ما خلقت سماء ولا أرضاً**».

«روح جسد الكونين» أي العالمين عالم الملك وهو ما ظهر، وعالم الملكوت وهو ما خفي عنا، فالنبي ﷺ سره سار في الكونين كسريان الروح في الجسد.

«وعين حياة الدارين» أي حقيقة حياتهما، أو هو ﷺ كعين الحياة للدارين التي من شرب منها لا يموت.

«المتحقق بأعلى رتب العبودية» وهي غاية التذلل والخضوع، فتذلله ﷺ وخضوعه لربه عز وجل.

لا يدانيه فيه أحد، ولذلك كانت العبودية على الراجح أفضل أوصافه ﷺ «المتخلق بأخلاق المقامات الاصطفائية» أي المختارة، فالاصطفاء الاختيار، ومنه المصطفى أي المختار.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: 4] ولا يعلم حقيقة العظم الذي وصفه الله به إلا خالقه.

أرى كل مدح في النبيّ مقصرا ... وإن بالغ المثني عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

«الخليل الأعظم والحبيب الأكرم» أي الأعظم من كل عظيم، والأكرم من كل كريم.

تنبيه: الفرق بين الحبيب والخليل كما قال النيسابوري إن الخليل هو الذي امتحنه الله تعالى ثم أحبه، والحبيب الذي أحبه الله ابتداء تفضلاً. أو الخليل الذي جعل ما يملكه فداء خليله، والحبيب الذي جعل المولى مملكته فداءه.

وبهذا المعنى يكون وصف الحبيب أفضل من وصف الخليل، ولذلك اشتهر به ﷺ واشتهر إبراهيم عليه السلام بالخليل، وإلا فكل حبيب خليل، قال البرعي رحمه الله تعالى:

إذا ذكر الخليل فذا حبيب ... عليه الله في التوراة أثنى

وقال البوصيري رحمه الله تعالى:

أعلى المراتب عند الله رتبته ... فافهم فما موضع المحبوب مجهول

«سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرهم الغافلون» وهذه الصلاة نقلها حجة الإسلام الغزالي عن القطب العيدروس، وتسمى شمس الكنز الأعظم، ومن قرأها حجب قلبه عن وساوس الشيطان.

وقال بعضهم: إنها للقطب الرباني، سيدي عبد القادر الجيلاني، وإن من قرأ بعد صلاة العشاء الإخلاص والمعوذتين ثلاثاً ثلاثاً، وصلى على النبي ﷺ بهذه الصيغة، رأى النبي ﷺ في المنام. انتهى كلام العارف الصاوي.

وقوله عن القطب العيدروس: هو محرف عن العبدوسي كما حققت ذلك في كتابي سعادة الدارين وغيره.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

[شرح بعض الصلوات الفاضلة]

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على صلاة قطب الأقطاب، سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وهي: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد شجرة الأصل النورانية» أي الشجرة التي هي الأصل.

وهو ﷺ أصل العوالم على الإطلاق، وأساس شرفها بالاتفاق، والنورانية نسبة إلى النور، ويحتمل أن يراد به الرب سبحانه وتعالى فإنه قد ورد تسميته تعالى بالنور في الكتاب والسنة.

وحقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ونسب إليه تعالى، لأنه ﷺ نشأ من حضرة الله بدون واسطة مادة، ويحتمل أنه أراد بالنور خلاف الظلمة، وجمعه أنوار، فقد ورد أن ذات النبي ﷺ كانت نوراً، حتى أنه لا يظهر له ظل في الشمس.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «بينما أخيط ثوباً في السحر، فوقعت الإبرة مني، وانطفأ المصباح، إذ دخل عليَّ رسول الله ﷺ فالتقطتُ الإبرة من نور وجهه، فقلت: يارسول الله، ما أبهى وجهك، وما أنور طلعتك. فقال: «**يا عائشة، الويل كل الويل لمن لم يرني يوم القيامة. فقلت: ومن ذا الذي لا يراك يوم القيامة؟**

فقال: «البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي»[1].

ففيه نسبة الشيء لنفسه على سبيل المبالغة، وزيادة الألف والنون لزيادة الشرف.

وعلى كل هو معنى الحديث الوارد عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله، فقال: «**هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شر.**

وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش، وخزنة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة. ثم جعله أربعة أقسام: فخلق القلم من قسم.

اللوح من قسم. والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة. ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء، وخلق القمر والكواكب من جزء.

وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء، والحلم والعلم من جزء، والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة.

ثم نظر إليه فترشح النور عرقاً، فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة، فخلق الله تعالى من كل قطرة روح نبي أو رسول. ثم تنفست أرواح الأنبياء، فخلق الله من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة.

فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير. . و حديث رقم (2015) [1/ 734] ورواه الترمذي في سننه، باب قول رسول الله ﷺ رغم أنف رجل، حديث رقم (3545) [5/ 550].

ثم خلق الله اثني عشر حجاباً، فأقام النور، وهو الجزء الرابع، في كل حجاب ألف سنة، وهي مقامات العبودية، وهي حجاب الكرامة والسعادة والرؤية والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة، فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض، فكان يضيء بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور في جبينه.

ثم انتقل منه إلى شيث ولده، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب، إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب، ومنه إلى وجه أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا، فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين، وقائد الغر المحجلين. . . هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر»[1]. قال بعده العارف الصاوي: ذكره شيخنا الشيخ سليمان الجمل في أول شرحه على الشمائل، عن سعد الدين التفتازاني في شرح بردة المديح عند قوله:

وكل آي أتى الرسل الكرام بها   فإنما اتصلت من نوره بهمِ

«ولمعة القبضة الرحمانية»وصف ثان له ﷺ باعتبار الحقيقة المحمدية. «وأفضل الخليقة الإنسانية» وصف ثالث له ﷺ باعتبار عالم الأجساد. «وأشرف الصورة الجسمانية» وصف رابع له ﷺ باعتبار عالم الأجساد أيضاً. والقبضة في الأصل مصدر بمعنى اسم المفعول أي النور المقبوض أزلاً.

وفي القبضة تجوز والمراد تعلق الإرادة والقدرة بالإبراز، لأن حقيقة القبض الأخذ باليد، وهو مستحيل على الله تعالى.

ونسبتها للرحمن إشارة إلى أنها أجلّ النعم كماً وكيفاً، لأن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم كمًّا وكيفاً.

ومعنى لمعتها نشأتها التي جعلت مادة للعوالم كلها، وشرف صورتها باعتبار ما قام بها من كمال الخلقة وحسن الطلعة واعتدال القامة. قال شيخنا المؤلف يعني القطب الدردير، رضي الله عنه في معنى حديث: «**كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق، فبي عرفوني**»[2] اعلم أن الله تعالى كان في أزله لم يعرف

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

لعدم وجود من يعرفه، فأحب أن يعرف، فقبض قبضة من نوره أي بذاته، فمن بمعنى الباء، والنور بمعنى الذات، والإضافة للبيان. والمراد أبرزه بقدرته من غير واسطة مادة.

وهذا المقبوض هو المسمى بالنور المحمدي، وبروح الأرواح، وبالسر المحمدي، وبعرش الله الأكبر، وبآدم الأول، وبالأب الأكبر، وبالإنسان الكامل. ومن ذلك قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

وإنـــي وإن كـــنـــت ابـــن آدم صـــورة فـلـي فـيـه مـعـنـى شـاهـد بـأبـوتـي

وهو المسمى بسر الأسرار، وبإنسان عين الوجود، وبشجرة الأصل وغير ذلك من الأسماء المشهورة بين العارفين. . . ثم أفاض الله تعالى على تلك الحقيقة جلائل النعم بوصف الرحمن، ودقائقها بوصف الرحيم؛ وأمد منها العوالم كلها كما يشهد له الحديث المتقدم عن جابر. «ومعدن الأسرار الربانية» أي محل ما أطلعه الله عليه، وأمره بكتمه عن غير أهله أو بكتمه مطلقاً. لأن له ﷺ علوماً لم يطلع عليها غيره.

والربانية نسبة إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة في النسبة، إشارة إلى أن علومه ﷺ بغير معلم كما قال البوصيري رحمه الله تعالى:

كـفـاك بـالـعـلـم فـي الأمـي مـعـجـزة في الـجـاهـلـيـة والـتـأديـب في الـيـتـم

«وخزائن العلوم الاصطفائية» أي المختارة. وعطف العلوم على الأسرار من عطف العام على الخاص. «صاحب القبضة الأصلية» المتقدم ذكرها. «والبهجة السنية» أي الطلعة الشريفة الرفيعة المضيئة. «والرتبة العلية» أي المنزلة المرتفعة حساً ومعنى «من اندرجت النبيون تحت لوائه»، ففي الحديث الشريف: «**بيدي لواء الحمد آدم فمن دونه تحت لوائي**»(1)، وهو لواء ينصب يوم القيامة طوله ألف سنة، له ثلاث ذؤابات ذؤابة بالمشرق، وأخرى بالمغرب، وأخرى في الوسط. «فهم منه وإليه» أي النبيون مستمدون حساً ومعنى منه، وراجعون ومنتسبون إليه ﷺ. «وصل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه عدد ما خلقت ورزقت، وأمتّ وأحييت، إلى يوم تبعث من أفنيت، وسلم تسليماً كثيراً. والحمد لله رب العالمين» ختمها بالحمد إشارة لعظم فضلها.

---

(1) رواه أحمد في المسند، عن ابن عباس، حديث رقم (2546) [1/ 28] ورواه أبو يعلى في المسند عن ابن عباس، حديث رقم (2328) [4/ 213].

وذكر بعضهم أنها تقرأ عقب كل صلاة سبعاً، وإن المائة منها بثلاث وثلاثين مرة من دلائل الخيرات.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على صلاة بحر الحقائق والعلوم، سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وهي: «اللهم صل على من منه انشقت الأسرار» هو النبي ﷺ وأبهمه للعلم، وإشارة لمزيد تعظيمه، لأن الإبهام قد يؤتى به للتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طـه: 78] «**وانشقت الأسرار**» أي انفتح بابها والمراد اتضح به ﷺ كل ما كان خضباً «**وانفلقت الأنوار**» أي انفتح باب الأنوار الحسية والمعنوية، وألف الأسرار والأنوار للاستغراق، وهذا مأخوذ من حديث جابر المتقدم، فالأشياء قبل وجوده ﷺ كانت مغلقة أي معدومة، ففتحت أي وجدت بوجوده ﷺ فتكون من ابتدائية أي نشأت من نوره، أو تعليلية أي انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار من أجل وجوده ﷺ. «وفيه ارتقت الحقائق» أي في المصطفى ﷺ ظهرت حقائق الأشياء، فهو بمنزلة السماء، والحقائق بمنزلة الكواكب. «وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق» أي وفيه ﷺ نزلت علوم آدم. والمراد بعلوم آدم علم جميع الأسماء فصار لا ينظر شيئاً إلا عرف اسمه، فأعجز بذلك الملائكة حيث أمرهم الله تعالى بقوله جل ذكره: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البَقـرَة: 31] فعجزوا، فقال تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البَقـرَة: 33] فجميع العلوم التي نزلت على آدم نزلت على المصطفى ﷺ وزاد على علم حقائق المسميات فأعجز جميع الخلائق من ملائكة وغيرهم حتى آدم؛ فعلم آدم لم يعجز إلا الملائكة، وعلمه ﷺ أعجز الأولين والآخرين.

إن قلت: يلزم من علم الأسماء علم المسميات، فلا فرق بين علم آدم ونبينا.

فالجواب: إن آدم علم المسميات إجمالاً، ونبينا ﷺ علم الأسماء والمسميات تفصيلاً، فلذلك ورد عنه ﷺ أنه قال: «**رفعت لي الدينا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفي هذه**»[1] «وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق» أي تصاغرت أفهام الخلائق عن إدراك حقيقة النبي ﷺ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**لا**

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

يعلمني حقيقة غير ربي»[1]، وهذا معنى قول البوصيري رحمه الله تعالى

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى   للقرب والبعد فيه غير منفحم

فلذلك علله بقوله: «فلم يدركه منا سابق ولا لاحق» أي معشر المخلوقين من أول الزمان إلى آخره، فلم يقف له أحد على حقيقة في الدنيا.

وأما في الآخرة، فتدرك حقيقته ﷺ لكشف الحجاب عن الخلائق. قال البوصيري: إنما مثلوا صفاتك للنّاس، كما مثل النجوم الماء.

وقال في البردة:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته   قوم نيام تسلوا عنه بالحلم؟

«فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة» الرياض: جمع روضة بمعنى البساتين والملكوت ما غاب عنا، كالجنة والعرش والكرسي والزهر النوار... ومونقة: مزينة، شبه تزيينه ﷺ للملكوت بتزيين الزهر للرياض، فكما أن البساتين مزينة بالزهر، فالملكوت مزين بجماله ﷺ، وحاصل ما في المقام أن العوالم أربعة عالم الملك وهو ما ظهر لنا، وعالم الملكوت وهو ما غاب عنا من المحسوسات كالجنة والنار والعرش والكرسي، وعالم الجبروت وهو عالم الأسرار والعلوم والمعارف، وعالم العزة وهو ما اختص الله به من علم ذاته وصفاته سبحانه وتعالى.

«وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة» تقدم أن الجبروت هو عالم الأسرار والعلوم، والتدفق الامتلاء، فشبه قلوب العارفين بالحياض، وشبه علومه بالبحر.

فتلك الحياض أي القلوب متدفقة ممتلئة من ذلك البحر الذي هو علم النبي ﷺ والمعنى أن علوم الأولين والآخرين مكتسبة منه ﷺ «ولا شيء إلا وهو به منوط» أي معلق، أي لا موجود إلا وهو مستمد من وجوده ﷺ لأنه أصل الأشياء وأمها «إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط» وهو ﷺ الواسطة العظمى في وجود المخلوقات، وليس المراد من قوله قيل صيغة التضعيف وإنما المراد النسبة، أي كما قال العارفون قولاً قوياً يعتمد عليه، ومنه قول بعضهم، وهو سيدي محمد البكري الكبير رضي الله عنه:

وأنت باب الله أي امرئ   أتاه من غيرك لا يدخل

«**صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله**» وقوله: تليق بك أي بجنابك وإحسانك، ومنك إليه أي واصلة منك إليه. وقوله: كما هو أهله. الكاف تعليلية أي لأجل أنه

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

أهله، لأنه لا يعرف قدره إلا أنت.

«اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك» أي الجامع لجميع ما تفرق في غيره من الكمالات والعلوم والمعارف والبركات والمعجزات الذي يدل الخلائق ويوصلهم إليك، فمنهم من دله بواسطة كالأمم السابقة، لأنه دلهم بواسطة الأنبياء لكونهم نوابه عليه وعليهم الصلاة والسلام ومنهم من دله بغير واسطة، وهم من وجد في زمنه ﷺ إلى يوم القيامة.

«وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك» أي المانع الأعظم فهو ﷺ حجاب بين الله تعالى وبين خلقه، فلا يمكن أحداً الوصول لله تعالى إلا بواسطته ﷺ أو حجاب بمعنى مانع المضار الدنيوية والأخروية عن أمته ووصفه بالعظم، لأن الأنبياء حجب أيضاً لأممهم، فهو أعظمهم، وكذا الشيخ حجاب لتلميذه، فتلك حجب خاصة.

والمصطفى ﷺ هو الحجاب الكلي، ويسمى بالبرزخ الكلي لكونه حجاباً وبرزخاً بين الخلق وربهم.

ومعنى القائم لك بين يديك أي الداعي الخلق إليك من غير واسطة بينك وبينه، والمراد أنه ﷺ قائم بحضرة القرب المعنوي، منهمك في طاعتك.

ولما استحضر عظمة المصطفى ﷺ بتلك الأوصاف المتقدمة التي لم تكن لمخلوق سواه تضرع لربه بقوله: اللهم ألحقني بنسبه» أي دين الإسلام ولذا قال ﷺ: «**آل محمد كل تقي**» وحققني بحسبه المراد بالحسب هنا التقوى، أي أرزقني تقواك بطاعتك وطاعة رسولك. فأكون محققاً بها، فان الحسب ما يفتخر به من مكارم الأخلاق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: 13]

وقال البوصيري في حق آل بيت النبي ﷺ ورضي عنهم:

سدتم الناس بالتقى وسواكم سودته البيضاء والصفراء

«وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل، واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوظاً بنصرتك، واقذف بي على الباطل فأدمغه، وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها».

ولما كان كمال العبودية وكمال التوحيد والمعرفة لا يتم لصاحبه إلا بالاستقاء

من يد المصطفى ﷺ قال: «**واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحه سر حقيقي وحقيقته جامع عوالمي**» المراد بالحجاب الأعظم هو المصطفى ﷺ، والمعنى مدّ روحي من النبي ﷺ كما تمد العود الأخضر من الماء، فكما أن المياه حياة الأبدان والنباتات، وهو ﷺ حياة الأرواح وروحها، فالأرواح التي لا تشاهده وتستقي منه كأنها أموات، وهي أرواح أهل الكفر والعصيان.

واجعل روحه ﷺ سر حقيقي، أي اجعل روحه ذاكرة لإنسانيتي في الملأ الأعلى، متوجهة لي بكل خير لأني إذا لم يتوجه إليَّ خسرت وندمت.

واجعل حقيقته ﷺ جامع عوالمي، أي اجعل جميع أجزائي مشغولة به ﷺ ظاهراً وباطناً، فلا أتعلق بغيره، بل أكون تابعاً له في كل ما أمر به ونهى عنه، كما قال أبو العباس المرسى رضي الله عنه: لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين «بتحقيق الحق الأول» أي العهد الأول يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، أي اجعل الحجاب الأعظم ﷺ حياة روحي جعلاً مصاحباً للتوحيد الأول. «يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا، وانصرني بك لك، وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحل بيني وبين غيرك الله، الله، ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ... ﴿٨٥﴾﴾ [القَصَص: 85] ولهذه الصلاة فضائل جمة، ذكرتها في كتبي المؤلفة في هذا الشأن، كأفضل الصلوات.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على صلاة القطب الحقيقي، سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه وهي: «اللهم صل على الذات المحمدية» سميت بذلك لكونها أكثر المخلوقين حامدية ومحمودية. «اللطيفة الأحدية» اللطيفة ضد الكثيفة. ووصفها بذلك لكونها نورانية، ووصفها بالأحدية لكونها عديمة المثيل والنظير والشبيه في الذات والصفات من سائر المخلوقين، كما قال البوصيري رحمه الله تعالى:

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

«شمس سماء الأسرار» أي نورها وكاشفها كما تكشف الشمس ما كان مخبأ، وإنما شبهت الأسرار بالسماء لبعدها عن الإدراك. «ومظهر الأنوار» أي محل ظهور الأنوار الحسية والمعنوية، كما تقدم في حديث جابر. «ومركز مدار الجلال» عبارة عن العظمة والكبرياء، فقد شبه تجلي الجلال بفلك يدور حول مركزه.

«وقطب فلك الجمال» وهو عبارة عن تجلي الحق بالرحمة واللطف والإحسان والمعنى المراد هنا أن المصطفى ﷺ جعله الله مهبطاً للتجلي الجلالي والجمالي، فكل جلال في الخلق واصل من جلاله، وكل جمال في الخلق واصل من جماله ﷺ، «اللهم بسره لديك وبسيره إليك آمن خوفي، وأقل عثرتي، وأذهب حزني وحرصي، وكن لي، وخذني إليك مني، وارزقني الفناء عني، ولا تجعلني مفتوناً بنفسي محجوباً بحسي، واكشف لي عن سر كل مكتوم يا حي يا قيوم».

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على صلاة بعض العارفين التي وجدت على حجر بخط القدرة المسماة صلاة نور القيامة، لكثرة ما يحصل لذاكرها من الأنوار في ذلك اليوم، وهي «اللهم صلّ على سيدنا محمد بحر أنوارك» من إضافة المشبه به للمشبه، أي أنوارك التي هي كالبحر، فجميع الخلائق تقتبس من أنواره ﷺ كما يغترفون من البحر. قال البوصيري رحمه الله تعالى:

أنت مصباح كل فضل فما تصـ ـدر إلا عن ضوئك الأضواء

«ومعدن أسرارك ولسان حجتك وعروس مملكتك» أي مزين ملكك دنيا وأخرى. «وإمام حضرتك» أي إمام أهل حضرتك من الملائكة والأنبياء والأولياء. «وطراز ملكك» أي مزينة كما يزين الطراز الثوب. «وخزائن رحمتك» أي إنعاماتك دنيا وأخرى، فمفاتيحها بيده ﷺ. «وطريق شريعتك المتلذذ بتوحيدك» أي ما جعلت لذته إلا في ذكرك وشكرك وشهودك. ومن هنا قال ﷺ: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[1]، «**ولي وقت لا يسعني فيه غير ربي**»[1] «إنسان عين الوجود» المعنى أن الوجود لولاه ﷺ لا تصف بالعمى. والمراد به العدم لما في الحديث: «**لولاك ما خلقت سماء ولا أرضاً ولا جناً ولا ملكاً**»[1] قال البوصيري رحمه الله تعالى:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ولذلك قال: «والسبب في كل موجود» أي هو ﷺ المادة لكل موجود، لأنهم مخلوقون من نوره كما تقدم في حديث جابر «عين أعيان خلقك» أي خير أخيار مخلوقاتك، فهو ﷺ خيار الخيار، ويشهد له قوله ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد**

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم. فأنا خِيار من خِيار من خِيار»[1] «المتقدم من نور ضيائك» أي من نورك الذي خلقته بلا واسطة، والنور والضياء بمعنى واحد، فالإضافة بيانية، «صلاة تدوم بدوامك وتبقى ببقائك، لا منتهى لها دون علمك. صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا، يا رب العالمين».

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على صلاة سيدي محمد البكري الكبير، المسماة صلاة الفاتح التي لها فضائل عظيمة جداً وهي: «اللهم صل وسلم، وبارك على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق» أي أنه ﷺ فتح ما كان غير مفتوح من الشرائع، لأن رسالته كانت بعد الفترة زمن الجاهلية، وفتح الله به على عباده أنواع الخيرات وأبواب السعادات الدنيوية والأخروية، فكل الأرزاق من كفه.

وفي الحديث «**أوتيت مفاتيح خزائن السموات والأرض**»[1]. أي التي قال الله تعالى فيها: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الزُّمَر: 63] أي مفاتيحها، فقد أعطاها عز وجل لحبيبه ﷺ.

وفي الحديث أيضاً «**الله معط وأنا القاسم**»[2] أو المعنى أن الله فتح بهﷺ باب الوجود، فهو أول صادر من الله تعالى، ولولاه لم يخلق شيء والعميم أولى.

«والخاتم لما سبق» من النبوة والرسالة، فإنه لا نبي بعده ولا رسول يجدد شريعته، وعيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل من السماء يكون على شريعة نبيناﷺ ومن أمته، كما أن الخضر وإلياس يعبدان الله بشريعته ومن أمته. «والناصر الحق بالحق» أي ناصر الدين الثابت عند الله الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عِمرَان: 85] أي أنه في نصره لدينه ﷺ ملازم للحق ودائر معه، ومقوي الدين الحق بالحجج الحقة، وبالقتال الحق المأمور به من حضرة الله أو المراد بالحق الثاني هو الله تعالى، لأنه اسم من أسمائه، فيكون المعنى

---

(1) رواه بنحوه أحمد في المسند، حديث راشد بن حبيش رضي الله عنه، حديث رقم (16040) [489] وفيه: «إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها..». ورواه الشيباني في الآحاد، رقم (467) [1/ 343].

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿فأن لله خمسه وللرسول﴾..، حديث رقم (2948) [3/ 1134].

المؤيد الدين بربه تعالى ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: 126] «والهادي إلى صراطك المستقيم ﷺ، وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم».

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على صلاة القطب الشهير، سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه المسماة صلاة النور الذاتي، الواحدة منها بمائة ألف صلاة، وعدتها خمسمائة لتفريج الكرب، وهي «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النور الذاتي» أي نور ذات الله، أي الذي خلقه الله تعالى بلا مادة، لأنه ﷺ مفتاح الوجود، ومادة لكل موجود.

«والسر الساري في سائر الأسماء والصفات» أي أسماء الخلق باعتبار مسمياتها وصفاتهم، فيكون المعنى الممد لجميع ذوات الخلائق وصفاتهم، ويحتمل أن المراد أسماء الله تعالى وصفاته، ومعناه أنه مهبط التجلي للأسماء والصفات، فلا يستمد من اسم من أسمائه تعالى ولا صفة من صفاته إلا بواسطته ﷺ فكل من المعنيين صحيح، والأولى التعميم، أي هو ﷺ ممد لجميع ذوات الخلق وصفاتهم دنيا وأخرى، بواسطة أنه مهبط لتجلي أسماء الله تعالى وصفاته.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على هذه الصلاة: «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله، صلاة تليق بجماله وجلاله وكماله» إنه ﷺ احتوى على صفات جمالية ظاهرة وباطنة لا تدخل تحت حصر وصفات جلالية كذلك.

وقد تبحر في ذلك العارفون قديماً وحديثاً، كحسان وكعب من الصحابة، والبوصيري والبرعي، ولم يقفوا له ﷺ على حد وبالجملة، فيكفينا في جماله وجلاله قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4]. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] وتفصيل ذلك تعجز القوى عن إدراكه. قال البوصيري:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ... قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

فغاية ما نعلم أن نقول كما قال:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق الله كلهم

والكمال كناية عن جميع الأخلاق ظاهرها وباطنها، جليلها وجميلها، فلذلك كان عطفه على ما قبله من عطف العام على الخاص.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على الصلاة الآتية وهي: «اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله، وأذقنا بالصلاة عليه لذة وصاله» أي قربه بسبب زوال الحجب بيننا وبينه، فإن شهود رسول الله ﷺ هو الغاية القصوى لأهل الله، ولذلك قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: «لو غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين» وقال البوصيري رحمه الله تعالى:

ليته خصني برؤية وجه ... زال عن كل من يراه الشقاء

وقال ابن الفارض، نفعنا الله به:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال ابن الرفاعي قدس الله سره:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها ... تقبل الأرض عني فهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

وقد قال هذين البيتين وهو واقف قبالة شباك المواجهة في ملأ من الناس، فخرجت له اليد الشريفة من القبر الشريف وقبلها.

وروى صاحب الدلائل أنه قيل لرسول الله ﷺ: من القوي في الإيمان بك؟ فقال: «**من آمن بي ولم يرني، فإنه مؤمن بي على شوق مني وصدق في محبتي، وعلامة ذلك أنه يود رؤيتي بجميع ما يملك**»(1). وفي رواية «**بملء الأرض ذهباً، ذلك المؤمن بي حقاً والمخلص في محبتي صدقاً**»(2).

وقيل لرسول الله ﷺ: أرأيت صلاة المصلين عليك ممن غاب عنك وممن يأتي بعدك ما حالها عندك؟ فقال: «**أسمع صلاة أهل محبتي وأعرفهم، وتعرض عليّ صلاة غيرهم عرضاً**»(3).

وقال العارف بالله تعالى، سيدي علي وفا، رضي الله عنه:

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى ... بكرائم الأموال والأشباح

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(3) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

وظننت جهلاً أن حبك هين ... تفنى عليه نفائس الأرواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من ... أحببته بلطائف الأمناح
فعلمت أنك لا تنال بحيلة ... ولويت رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام إقامتي ... فيه غدوي دائماً ورواحي

ومعلوم أن من ذاق لذة وصال المصطفى ذاق لذة وسأل ربه، لأن الحضرة واحدة، ومن بلغ الوسيلة شهد المقصد، ومن فرق بين الوصالين لم يذق للمعرفة طعماً، وإنما العارفون تنافسوا في محبة الله ورسوله، **فمنهم** من طلب الوصال بالتغزل في الوسيلة كالبرعي والبوصيري، **ومنهم** من طلبه بالتغزل في المقصد كابن الفارض وأمثاله، **ومنهم** من تغزل في المقامين كسيدي علي وفا؛ ومقصد الجميع واحد.

ولما كان من أعظم أسباب الوصل التعلق بصفات الحبيب وبكثرة الصلاة عليه حتى يصير خياله بين عينيه أينما كان، وضع صاحب دلائل الخيرات صورة الروضة الشريفة، لينظر فيها البعيد عنها عند صلاته على الحبيب فينتقل منها إلى تصور من فيها، فإذا كرر ذلك مع كثرة الصلاة صار له المخيل محسوساً وهو المقصود، ولذلك أشار بعضهم بقوله:

فروضتك الحسنا مناي وبغيتي ... وفيها شفا قلبي وروحي وراحتي
فإن بعدت عني وشط مزارها ... فتمثالها عندي بأحسن صورة
وها أنا يا خير النبيين كلهم ... أقبلها شوقاً لأطفئ غلتي[1]

وقال بعضهم في ذلك المعنى أيضاً:

إذا ما الشوق أقلقني إليها ... ولم أظفر بمطلوبي لديها
نقشت مثالها في الكف نقشاً ... وقلت لناظري قصراً عليها[2]

وليس مقصود العارفين بكثرة الصلاة على النبي ﷺ حصول الثواب لهم أو نفعه

---

(1) لم أقف على اسم قائل هذه الأبيات.

(2) لم أقف على اسم قائل هذين البيتين ولأبي نواس بيتين شبيهين هما:

إذا ما الشوق أقلقني إليه ... ولم أطمع بوصل من لديه
خططت مثاله في بطن كفي ... وقلت لمقلتي: فيضي عليه

(انظر محاضرات الأدباء، الاستحياء من المحبوب [2/ 63].

بذلك، وإن كان ذلك حاصلاً في نفس الأمر.

قال العارف بالله الدمرداشي رضي الله عنه:

ليس قصدي من الجنان نعيماً غير أني أريدها لأراكا

وقال سيدي عمر بن الفارض، نفعنا الله به حين كشف له عن الجنة، وما أعد له فيها:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

ولم يقل هنا ثلاثاً إشارة لعظم فضلها، وأنها فريدة عديمة المثيل.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

ثم شرع في صيغة الطب الظاهري والباطني، تقرأ ألفين على أي مرض؛ وقيل أربعمائة فيشفى بإذن الله تعالى.

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على هذه الصلاة: «اللهم صل على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها» طب القلوب من الأمراض الحسية والمعنوية، كالكبر والعجب والحقد والحسد والشك والشرك وغير ذلك... وعافية الأبدان كذلك من الأمراض الحسية والمعنوية أيضاً؛ فالمعنوية في البدن كالمعاصي الظاهرية التي تباشر بالأعضاء، فهو ﷺ معاف لأحبابه منها.

«ونور الأبصار وضيائها وعلى آله وصحبه وسلم» أي منور ومزيل غشاوتها الحسية والمعنوية؛ ومعنى الجميع أن الله تعالى أجرى على يده ﷺ دفع المضار الظاهرية والباطنية، الدينية والدنيوية، كما أجرى على يده المنافع كذلك، وهو معنى تصريف الله له ﷺ في الدنيا والأخرى، على حد قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيٓ﴾ [المائدة: 110] فما ثبت لعيسى عليه السلام، فهو لنبينا ﷺ وزيادة.

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

قوله في شرحه المذكور، عند الكلام على صلاة العالي القدر، التي قال السيوطي: من لازم عليها كل ليلة جمعة ولو مرة لم يلحده في قبره إلا النبي ﷺ، وهي: «اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، الحبيب العالي القدر، العظيم الجاه، وعلى آله وصحبه وسلم». الأمي نسبة للأم، هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهذا وصف كمال في حقه ﷺ وفي حق غيره وصف نقص، وإنما جعله الله أمياً

لدفع شبه الكافرين القائلين: إنما يعلمه بشر.

قال البوصيري رضي الله عنه:

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... في الجاهلية والتأديب في اليتم

وقيل نسبة لأم القرى، وهي مكة لأنه صلى الله عليه وسلم نشأ فيها، فإنه ولد في شعب أبي طالب يوم الإثنين، لاثني عشر خلت من ربيع الأول بعد قدوم الفيل بخمسين يوماً.

وقيل غير ذلك. وبعث بها ﷺ على رأس الأربعين، وأقام بها بعد ذلك ثلاث عشر سنة، ثم هاجر إلى المدينة المشرفة، ومكث فيها عشر سنين، وتوفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة بعد النصر والفتح المبين، ودفن في بيت عائشة في المكان الذي مات فيه.

وكانت وفاته يوم الإثنين، ودفن ليلة الأربعاء من ربيع الأول، وله صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة أنهاها بعضهم إلى ألف. وقد ورد في الحديث: «**توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم**»[1].

ومن جواهر العارف الصاوي أيضاً

ما ذكره في شرحه المذكور، عند الكلام على صيغة الطاهر المطهر، التي من لازم قراءتها جوزي بالطهارة، وهي «اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، الطاهر المطهر، وعلى آله وصحبه وسلم» معنى الطاهر المنزه عن الأدناس الحسية والمعنوية.

وقد نص العلماء على طهارة النطفة التي تكون منها المصطفى ﷺ وأخرجوها عن الخلاف الذي في طهارة المني؛ كما أن جسده الشريف طاهر بعد الموت بالإجماع كأجساد الأنبياء، فهم مستثنون من الخلاف في طهارة الآدمي بعد الموت، ونصوا على طهارة جميع فضلاتهم الخارجية منهم في الحياة وبعد الممات.

وقوله: المطهر بمعنى الطاهر، إذا قرئ اسم مفعول، وإن قرئ اسم فاعل كان مغايراً، ويكون المعنى مطهِّراً لغيره، فهو ﷺ كالماء المطلق طاهر في نفسه مطهر لغيره من كل شين دنيوي أو أخروي.

---

(1) أورده الطحاوي في حاشيته على مراقي الفلاح، المقدمة [1/ 12].

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف بالله القطب الكبير الشهير سيدي أحمد بن إدريس رضي الله عنه(*)

فمن جواهره

[العقد النفيس]

ما في كتاب العقد النفيس لأحد أصحابه، ونص عبارته: سئل رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: 99] فأجاب: إن لها تفسيرين، **أحدهما** أن اليقين هو الموت وهو الظاهر، فتكون حتى للغاية، **الثاني** أن اليقين هو أن يرى الشيء عياناً، ألا ترى أن الواصف إذا وصف لك شيئاً، وإن كنت معتقداً اعتقاداً صحيحاً لا يختلجك شك ولا ريب عندك أنه صادق فيما وصف، لكنك لم تر ذلك الموصوف، فأنت لا تزال تتخيل هذا الموصوف وتتصوره.

ومعلوم قطعاً أن تخيلك وتصورك لهذا الشيء الذي لم تره لا يطابق حقيقته، كمن يصف لك مكة مثلاً وأنت لا تعرفها، وتصورها تصويراً لا يطابق ماإذا رأيتها عياناً. فإذا رأى الإنسان حقيقة الأمر آمن به وهو يشاهده، وإذا آمن بما وصفه الواصف من دون مشاهدة فهو مؤمن بالغيب.

والمؤمن إذا عبد الله حق عبادته بقدر استطاعته، عرفه الله سبحانه وتعالى؛ وإذا عرفه فلا يشهد سواه، حتى أنه يحول بينه وبين قلبه، أي إذا رأى قلبه بعين البصيرة، وجد الله حائلاً ما بينه وبين قلبه.

وبهذه المعرفة تنال المعارف الإلهية التي من لدنه تبارك وتعالى؛ وكلما صفا

(*) هو أحمد بن إدريس الحسني، أبو العباس: صاحب الطريقة (الأحمدية) المعروفة في المغرب. من ذرية الإمام إدريس بن عبد الله المحض. مولده في ميسور (من قرى فاس) (1172هـ = 1758م) وتعلم بفاس، فقرأ الفقه والتفسير والحديث وانتقل إلى مكة سنة 1214هـ فأقام نحو ثلاثين سنة. ورحل إلى اليمن سنة 1246هـ فسكن (صبيا) إلى أن مات سنة (1253هـ = 1837م) وهو جد (الأدارسة) وكانت لهم إمارة في تهامة عسير واليمن. ولأحد مريديه (إبراهيم بن صالح) كتاب (العقد النفيس) جمعه من كلامه وآرائه ومروياته، و(مجموعة الأحزاب والأوراد) وله (السلوك) و(روح السنة) وغير ذلك. انظر: (الأعلام للزركلي - (1/ 95)).

صوفي صفا قلبه، فقربت منه أشكال المعارف.

ألا ترى أن الزجاج أصله حجر كثيف، ثم لما صفا وزالت عنه الكدورات قرب الأشخاص البعيدة، فإن الناظور يقرب الشيء البعيد، حتى إن مازادت تصفيته يقرأ الإنسان به مكتوباً من مسافة بريد؛ كذلك المنظرة تقرب الشمس من مسيرة أربعة آلاف عام، حتى تحرق ما وقعت عليه.

وهذا أعظم من آصف بن برخيا، فإنه أتى بعرش بلقيس من مسافة ثلاثة أشهر، قبل أن يرتد الطرف. وهذه أتت بالشمس من مسافة أربعة آلاف سنة قبل ارتداد الطرف، فإنك إذا ركبتها على شيء أحرقته بمجرد وقوعها عليه، فالنبي ﷺ هو عين الوجود وواسطة عقده، أخذ من أنوار الحق تعالى بقدر صفوه. فالآخذ من الله تعالى بواسطته ﷺ وله المثل الأعلى ولرسوله، هو في القوة كآخذ الضوء من الشمس بواسطة الزجاجة، وهذا تشريف لهذه الأمة وأيّ تشريف لأنهم الآخذون بواسطته.

والآخذ من الله تعالى من غير واسطته ﷺ كآخذ الشيء من الشمس من دون واسطة الزجاجة، وذلك لأن الرسول ﷺ هو النور الذي قبضه الله من قبضة نوره، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: 15] فالنور هو الرسول ﷺ إذ لو كان النور هو الكتاب، لكان لفظاً متكرراً. والحق تعالى هو سمعه وبصره وقلبه إلى آخره، فكله ﷺ نور، مع أنه متحيز في بشريته وفي عبوديته.

والحق تعالى مطلق في كبريائه وفي ملكوته، وهو الله في السموات وفي الأرض، في حال كونه على العرش استوى، في حال كونه قلب عبده المؤمن وبصره وسمعه سبحانه، فلرسول الله ﷺ وجهتان: وجهة إلى الحق تعالى، وهو المقام الذي قال الله تعالى فيه ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: 62] فأعاد الضمير بصيغة الإفراد، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿45﴾﴾ [الأحزاب: 45]، ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿9﴾﴾ [الفتح: 9] فأعاد الضمير بصيغة الإفراد، وقال ﷺ في هذا المعنى: «**من رآني فقد رأى الحق تعالى**»[1].

وقال ﷺ: «**إن لي وقتاً لا يسعني فيه غير ربي**»[2]، ولذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب من رأى النبي ﷺ في المنام، حديث رقم (6596) ورواه مسلم في صحيحه، باب قول النبي ﷺ، حديث رقم (2267) [4/ 1776].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: 45] فالحجاب المستور هو كونهم ما رأوا فيه إلا البشرية والعبودية، إذ لو صدقوه لرأوا ما رأى الذين قال تعالى في حقهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] فهو ﷺ أقرب الكون إلى الله، بل فوق العرش الحجب سبعون حجاباً، ما بين كل حجاب وحجاب مسافة سبعين ألف سنة، وغلظ كل حجاب سبعون ألف سنة، وفوق ذلك فضاء لا يعلم قدر مسافته إلا الله سبحانه وتعالى، وهو الذي يقال له عالم الرقَّا، وهو مظاهر أسماء الله، وهو فوق العرش والكرسي، ووراء هذا كله نور سيد الكونين والثقلين، الرسول الخاتم، خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد ولد آدم أجمعين... ولذا قال ﷺ حين سأله الأعرابي: أين كان الله تعالى قبل أن يخلق الخلق؟ قال: «**كان في عماء**»[(1)] بالمد والقصر.

فازداد السائل حيرة، لأنه إن كان بالمد وهو السحاب الرقيق، فيكون معناه يوم يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وإن كان بالقصر فهو الغشاوة على القلب أو على العين، فاستفاد السائل هذا العلم من رسول لله ﷺ، وبه ازداد حيرة، فالعلم بالله تعالى كلما زاد زاد صاحبه حيرة وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: «**لو عرفتم الله حق معرفته، لمشيتم على البحار، ولزالت بدعائكم الجبال. ولو خفتم الله عز وجل حق مخافته، لعلمتم العلم الذي ليس معه جهل، ولكن ما بلغ ذلك أحد**»[(2)]. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا. قالوا: ما كنا نظن أن الأنبياء تقصر عن ذلك، فإن الله أعظم من أن ينال أحد أمره كله ووراء ذلك ما لا يعلمه إلا الله. ومع هذا، فهو ﷺ في حيرة، ولذا قال: «**رب زدني فيك تحيراً**». وهو أيضاً مع كونه في مقام الأمن والقرب أخوف الخلق من الله تعالى.

وفي مقام الخوف، قال ﷺ: «**ليت رب محمد لم يخلق محمداً**»[(3)]. يعني أنه يتمنى أن لو لم يقبض الحق تعالى قبضة من نوره ولتحيز البشرية، بل كانت مطلقة في أصلها.

---

(1) رواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة هود، حديث رقم (3109) [5/ 288] ورواه ابن ماجة في السنن، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (182) [1/ 64] ورواه غيرهما.

(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(3) أورده إسماعيل حقّي البروسوي في تفسيره روح البيان، سورة العنكبوت [6/ 460].

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه «ليت أبا بكر كان شجرة فعضدها جمل في فيه، فكان بعيراً، ولم يكن بشراً»[1].

فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف وله ﷺ وجهة إلى الخلق. قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: 7] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿45﴾﴾ [الأحزاب: 45] فقال لتؤمنوا وجعله المرسل والمرسل إليه، وقال ﷺ: «**لا تدخل الشوكة في رجل أحدكم إلا وجدت ألمها**»[2]. فهو ﷺ حقيقة الكون، كما أن الشجرة لها ورق وغصون وفروع وعروق وجذوع وزهر وثمر... وحقيقة الكل شجر، فجميع دعائه ﷺ بصيغة الإفراد المراد به أمته، فدعاؤه لنفسه عين دعائه لأمته.

فمن صفا قلبه من أمته ﷺ وتوجه به إلى الله بواسطة رسول الله ﷺ تفجر من قلبه ينابيع الحكمة، وأخذ قلبه أنوار العلم الإلٰهي، فقوى بقوة قابلية الواسطة ﷺ ومن كان كذلك، فهو الوارث الذي قال فيه ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[3].

---

(1) هذا الكلام لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(3) رواه أبو داود في سننه، باب الحث على طلب العلم، حديث رقم (3641) [3/ 317] ورواه ابن ماجة في السنن، باب فضل العلماء..، حديث رقم (223) [1/ 81] ورواه غيرهما.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام الكبير العارف الشهير، القطب سيدي السيد الشريف أبي العباس التجاني الفاسي(*)، صاحب الطريقة العلية التجانية من أهل القرن الثالث عشر

فمن جواهره رضي الله عنه

[صلاة الفاتح في جواهر المعاني]

ما نقله عند أجل خلفائه، سيدي العلامة الشيخ علي حرازم بن العربي براده الفاسي رحمه الله تعالى في كتابه «جواهر المعاني» الذي ألفه في مناقبه على شكل كتاب الإبريز، وقد طبع في مصر، قال خليفته المذكور في صفحة 113 من الجزء الأول، وسألته رضي الله عنه عن معنى صلاة الفاتح لما أغلق، وهي لسيدي محمد البكري الكبير: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم».

فأجاب رضي الله عنه بقوله: معناه الفاتح لما أغلق من صور الأكوان، فإنها كانت مغلقة في حجاب البطون وصورة العدم، وفتحت مغاليقها بسبب وجوده ﷺ، وخرجت من صورة العدم إلى صورة الوجود من حجابية البطون إلى نفسها في عالم الظهور، إذ لولاه ما خلق الله موجوداً ولا أخرجه من العدم إلى الوجود.

فهذا أحد معانيه. والثاني أنه فتح مغاليق أبواب الرحمة الإلهية، وبسببه انفتحت [الصور] على الخلق، ولولا أن الله تعالى خلق سيدنا محمداً ﷺ ما رحم مخلوقاً. فالرحمة من الله تعالى لخلقه بسبب نبيه ﷺ.

(*) هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، أبو العباس: شيخ (الطريقة التجانية) بالمغرب. كان فقيهاً مالكياً عالماً بالأصول والفروع، ملماً بالأدب. تصوف ووعظ وأقام مدة بفاس وتلمسان، وحج سنة 1186هـ. فمر بتونس، وعاد إلى فاس. ثم رحل إلى (توات) وأخرج منها، فاستقر بفاس إلى أن توفي سنة 1230هـ = 1815م) وكانت ولادته سنة (1150هـ = 1737م) ولبعض أصحابه كتب في سيرته منها: (جواهر المعاني) و(النفخة القدسية في السيرة الأحمدية التجانية). وله (ورد) في 10 ورقات، في خزانة الرباط (د1488) (1). انظر: (الأعلام للزركلي ـ (1/ 245)).

والثالث من معانيه هي القلوب أغلقت على الشرك به، ولم يجد الإيمان مدخلا، ففتحت بدعوته ﷺ حتى دخلها الإيمان وطهرها من الشرك، وامتلأت بالإيمان والحكمة.

وقوله (والخاتم لما سبق) من النبوة والرسالة، لأنه ختمهما وأغلق بابهما ﷺ فلا مطمع فيهما لغيره، وكذلك الخاتم لما سبق من صور التجليات الإلهية التي تجلى الحق سبحانه وتعالى بصورها في عالم الظهور، لأنه ﷺ أول موجود أوجده الله في العالم من حجاب البطون وصورة العماء الرباني، ثم مازال يبسط صور العالم بعدها في ظهور أجناسها بالترتيب القائم على المشيئة الربانية جنساً بعد جنس، إلى أن كان آخر ما تجلى به في عالم الظهور الصورة الآدمية على صورته ﷺ وهو المراد في الصورة الآدمية، فكما افتتح به ظهور الوجود، كذلك أغلق به ظهور صور الموجودات ﷺ وعلى آله.

وبعبارة أخرى رضي الله عنه: أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب هو روح سيدنا محمد ﷺ ثم نسل الله أرواح العالم من روحه ﷺ والروح هٰهنا هي الكيفية التي بها مادة الحياة في الأجسام، وخلق من روحه ﷺ الأجسام النورانية كالملائكة ومن ضاهاهم؛ وأما الأجسام الكثيفة الظلمانية فإنما خلقت من النسبة الثانية من روحه ﷺ فإن لروحه ﷺ نسبتان أفاضهما على الوجود كله، فالنسبة الأولى نسبة النور المحض ومنه خلقت الأرواح كلها والأجسام النورانية التي لا ظلمة فيها. والنسبة الثانية من نسبة روحه ﷺ نسبة الظلام، ومن هذه النسبة خلق الأجسام الظلمانية كالشياطين، وسائر الأجسام الكثيفة، والجحيم ودركاتها؛ كما أن الجنة وجميع درجاتها خلقت من نسبة النورانية، فهذه نسبة العالم كله إلى روحه ﷺ.

أما حقيقته المحمدية ﷺ فهي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب، وليس عند الله من خلقه موجود قبلها. لكن هذه الحقيقة لا تعرف بشيء، وقد تعسف بعض العلماء بالبحث في هذه الحقيقة، فقال: إن هذه الحقيقة ليس معها شيء، فلا تخلو إما أن تكون جوهراً أو عرضاً؛ فإنها إن كانت جوهراً افتقرت إلى المكان الذي تحل فيه، فلا تستقل بالوجود دونه، فإن وجدت مع مكانها دفعة واحدة، فلا أولية لها، لأنهما اثنان. وإن كانت عرضاً ليست بجوهر فالعرض لا كلام عليه، إذ لا وجود للعرض إلا قدر لمحة العين ثم يزول. فأين الأولية التي قلتم؟ والجواب عن هذا المحط أنها جوهر حقيقة له نسبتان نورانية وظلمانية.

وكونه مفتقراً إلى المحل، لا يصح هذا التحديد لأن هذا التحديد يعتد به من تثبط عقله في مقام الأجسام والتحقيق أن الله تعالى قادر على أن يخلق هذه المخلوقات في غير محل تحل فيه، وكون العقل بقدر استحالة هذا الأمر بعدم الإمكان بوجود الأجسام بلا محل، فإن تلك عادة أجراها الله تعالى تثبط بها العقل، ولم يطلق سراحه في فضاء الحقائق. ولو أطلق سراحه في فضاء الحقائق، لعلم أن الله تعالى قادر على خلق العالم في غير محل، وحيث كان الأمر كذلك، فالله تعالى خلق الحقيقة المحمدية جوهراً غير مفتقر إلى المحل. ولا شك أن من كشف له عن الحقيقة الإلهية، علم يقيناً قطيعاً أن إيجاد العالم في غير محل ممكن إمكاناً صحيحاً.

أما الحقيقة المحمدية، فهي في هذه المرتبة لا تعرف ولا تدرك ولا مطمع لأحد في نيلها في هذا الميدان، ثم استأثرت بألباس من الأنوار الإلٰهية واحتجبت بها عن الوجود، فهي في هذا الميدان تسمى روحاً بعد احتجابها بالألباس.

وهذا غاية إدراك النبيين والمرسلين والأقطاب يصلون إلى هذا المحل ويقفون، ثم استأثرت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى، وبها سميت عقلا، ثم استأثرت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى فسميت بسببها قلباً، ثم استأثرت بألباس من الأنوار الإلهية أخرى فسميت بسببها نفساً. ومن بعد هذا ظهر جسده الشريف ﷺ فالأولياء مختلفون في الإدراك لهذه المراتب، فطائفة غاية إدراكهم نفسه ﷺ وفي ذلك علوم وأسرار ومعارف، وطائفة فوقهم غاية إدراكهم قلبه ﷺ.

ولهم في ذلك علوم وأسرار ومعارف أخرى، وطائفة فوقهم غاية أدراكهم عقله ﷺ ولهم في ذلك علوم وأسرار ومعارف أخرى؛ وطائفة وهم الأعلون بلغوا الغاية القصوى في الإدراك، فأدركوا مقام روحه ﷺ وهو غاية ما يدرك ولا مطمع لأحد في إدراك الحقيقة في ماهيتها التي خلقت فيها.

وفي هذا يقول أبو يزيد: «غصت لجة المعارف طالباً للوقوف على عين حقيقة النبي ﷺ فإذا بيني وبينها ألف حجاب من نور، لو دنوت من الحجاب الأول لاحترقت به كما تحترق الشعرة إذا ألقيت في النار». وكذا قال الشيخ مولانا عبد السلام في صلاته: «وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق».

وفي هذا يقول أويس القرني رضي الله عنه لسيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما: «لم تريا من رسول الله ﷺ إلا ظله، قال: ولا ابن أبي قحافة؟ قال: ولا ابن أبي قحافة.

فلعله غاص لجة المعارف طالباً للوقوف على عين الحقيقة المحمدية، فقيل له: هذا أمر عجز عنه أكابر الرسل والنبيين، فلا مطمع لغيرهم فيه والسلام. انتهى ما أملاه علينا سيدنا رضي الله عنه.

ومن جواهر العارف التجاني أيضاً

[تفسير قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [الشّورىٰ: **52]]**

جوابه رضي الله عنه في صفحة **(180)** عن معنى قوله تعالى في حق النبي ﷺ: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشّورىٰ: 52] وفي الآية الأُخرى ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: 9] إلى غير ذلك من الآيات التي تحت هذا النحو مع حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من قال إن النبي ﷺ يعلم ما في غد، فقد كفر، وما هذا معناه مع أن علم الأولين والآخرين محمول في ذاته الشريفة، وهو الموصول إلى كافة الخلق كل على قدره.

الجواب: أعلم أن النبي ﷺ كان يعلم علوم: الأولين والآخرين إطلاقاً وشمولاً، ومن جملة ذلك العلم بالكتب الإلهية فضلا عن القرآن وحده؛ ويعلم مطالبة الإيمان بدايته ونهايته، وماهية الإيمان، وما يفسده وما يقويه... كل ذلك هو ثابت في حقيقته المحمدية ﷺ.

وإما قوله سبحانه وتعالى: وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان فإن هذا الحال كان له قبل النبوة لم يعلمه الله بحقيقة الإيمان، ولا بكيفية تنزيل الكتب، ولا بماهية الرسالة وتفصيل مطالبها، كل ذلك حجبه الله عنه قبل النبوة، وهو مكنوز في حقيقته المحمدية ولا يعلمه ولا يشعر به، حتى إذا كان زمن النبوة رفع الله عنه الحجب، وأراه ما في حقيقته المحمدية، يشهد لذلك قوله ﷺ: «**رأيت ربي في صورة شاب**». إلى أن قال: «**وضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، فعلمني علوم الأولين والآخرين**»[1].

وهذا كان في زمن النبوة رفع الله عنه الحجاب، وأراه ما أدرجه الله له في حقيقته المحمدية من كنوز المعارف والعلوم والأسرار، التي لا يحاط بساحلها، ولا ينتهي إلى غايتها. وإياك أن تفهم من هذا أن حقيقته المحمدية كانت عارية عن هذا

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

قبل النبوة، فلا يصح هذا الظن، بل حقيقته المحمدية لم تزل مشحونة من جميع هذه المعارف والعلوم والأسرار من أول الكون، من حيث إنه أول موجود أوجده الله تعالى قبل وجود كل شيء، وفطره على هذه العلوم والمعارف والأسرار، ولم يزل مشحوناً بها إلى أن كان زمن وجود جسده الكريم ﷺ فضرب الحجاب بينها وبين علمه بها ﷺ إلى أن كان زمن النبوة، فرفع الحجاب وأطلعه على ما أودعه في حقيقته المحمدية مما ذكر أولاً، وما خاطبه به في قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشّورىٰ: 52] أخبر عن حالة احتجاب ما كان في حقيقته أولاً عن علمه ﷺ بها فقط، إلا أنها لم يكن العلم بها في حقيقته.

وقد كان ﷺ قبل النبوة، من حين خروجه من بطن أمه لم يزل، من أكابر العارفين، ولم يطرأ عليه حجاب البشرية الحائل بينه وبين مطالعة الحضرة الإلهية القدسية. وكان من أفراد العالم، والفرد.

نسبته إلى عموم العارفين والصديقين كنسبة العارف بالله إلى العامة، لا يعرفون شيئاً، وكان في تلك المرتبة ﷺ متحققاً بمرتبة أن يأخذ العلم عن الله بلا واسطة، ولا يجهل شيئاً من أحوال الحضرة الإلهية، ولم يطرأ على شمسه في هذا المحل أقول ﷺ. والعلم بالله تعالى الذي هو عند الأفراد العارفين ثابت له في هذه المرتبة، وإنما حجب الله عنه في هذا الميدان ماهية الرسالة، ومطالبها، وما تؤول إليه، وما يراد منها. وكذا حجب الله عنه العلم بكيفية نزول الكتب، وما يؤول إليه، وما يراد منه، وما الأمور التي تطلبه في نزول الكتب؛ حتى إذا بلغ مرتبة النبوة، رفع الحجاب بين علمه وبين ما كان مودعاً في حقيقته المحمدية من العلوم والمعارف والأسرار. ويدل على هذا الذي ذكرناه قوله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[1].

وحيث كان في ذلك الوقت نبياً يستحيل أن يجهل الرسالة، والنبوة، والكتاب، ومطالبات الجميع، وما يؤول إليه كل منها، وما يراد من جميعها فالحديث شاهد على ما ذكرناه. ويدل على ذلك أيضاً أنه ﷺ قبل وجود جسده الكريم ما بعث الله نبياً ولا رسولاً في الأرض إلا كان هو ﷺ ممد ذلك الرسول أو النبي من الغيب، من حيث إنه لا يتأتى نبي ولا رسول أن ينال من الله تعالى قليلاً ولا كثيراً من العلوم

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

والمعارف والأسرار والفيوض والتجليات والمواهب والمنح والأنوار والأحوال... إلا بواسطة الاستمداد منه ﷺ وهو الممد لجميعهم في عالم الغيب، فكيف يمدهم بما هم علماء به وهو جاهل به ﷺ ولم يزل يركض في هذا الميدان ركضاً لا تماثله فيه الأرواح، ولا تشم لمقامه الأعظم فيه رائحة.

وهو فيما قبل وجوده ﷺ كحالة علمه بعد رسالته في الفيض والمدد على جميع الأرواح، وإنما حجب الله عنه هذه الأمور أعني عن علمه ﷺ بعد وجود جسده الشريف وقبل نبوته، وهي مكنوزة في حقيقته المحمدية لسر علمه الله.

فالاحتجاب لا يطلع عليه غيره، وسر ذلك سدل الحجاب على النبي ﷺ، إذ لو كشف الله له قبل النبوة ما أدرجه في حقيقته المحمدية، وتكلم به قبل زمن الرسالة والبعث، لوقع الريب في نفس المدعوين فيما تحداهم به من الرسالة يقولون له إنما كنت تتكلم بهذا الأمر من أول أمرك، نقلته عن غيرك لست نبياً فستره الله عنه كي لا ينطق به، فلما كان زمن النبوة، رفع الله الحجاب عنه، وما أرى الله الناس فيه ﷺ قبل نبوته من كونه أمياً لا يعلم شيئاً ولا يدري شيئاً، ولا وقعت له مخالطة أحد من أهل الكتاب أو القرب منه، ليكون إذا كلمهم بما كلمهم به من أحوال الرسالة والنبوة، ويعلمون أن ذلك حق لكونه صدر من أمي لا يعلم شيئاً ولم يكن ذلك ولا نبوة. فهذا سر الاحتجاب، وشاهد هذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿48﴾﴾ [العنكبوت: 48]، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ [الأحقاف: 9].

الآية: الجواب أنه ﷺ عنده العلم القطعي بأنه عروس المملكة الإلهية، وأنه ليس في جميع الخليقة أكرم منه على الله تعالى، ولا أحب عليه منه، ولا أعز ولا أكبر خطوة عند الله منه، وأنه مأمون العاقبة في الآخرة لا يلحقه لا ألم ولا عذاب، وأنه في الدرجة العالية من النعيم الدائم المقيم ورضا الله الأبدي السرمدي، كل هذا لا يدخله فيك ريب ولا شك. وما ذكر ﷺ من قوله: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ﴾ [الأحقاف: 9].

يحتمل أنه أراد تفصيل ما يقع به من النعيم، وتفصيل العطايا والمنح الواردة عليه من الله تعالى؛ فإنه إن علمه بجملها يمكن أن لا يحيط بتفاصيلها على دوام الأبد في الجنة. فإن في علم الله ما لا تسعه العقول. وإن قلنا إنه ﷺ محيط علماً

بجميع هذا، فيقع له في باله أن يكون عند الله ما لا يعلمه من العطايا والمنح التي يصبّها عليه في دار النعيم ولا يعلمها إلا عند وجودها، فهذا غير مستبعد، ويحتمل أن يكون أراد بقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ [الأحقاف: 9] فإنه رد الأمر إلى إحاطة العلم الأزلي الإلهي، فإن علم الله في هذا الميدان لا يحيط به محيط، لا نبينا ﷺ ولا غيره، يشهد لذلك قوله ﷺ: «**ولا أعلم إلا ما علمني الله**»[1] وقوله حاكياً عن نفسه بما ذكر الله عنه في الآية ﴿**قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ**﴾ [الأنعام: 50] فيحتمل أنه رد الأمر إلى حقيقة العلم الأزلي لأنه لا يحاط به وإن كان عالماً بما ذكر أولاً.

وأما أن يتوهم من هذا الخبر أنه لا يعلم هل يرحمه الله أو يعذبه، ويقربه أو يطرده في الدار الآخرة؛ فهذا لا تقبله الحقيقة، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥**﴾ [الضحى: 5] وقوله: ﴿**وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا**﴾ [النساء: 113] ومحال أن يكون هذا الأمر منه سبحانه وتعالى، وهو يتخوف عليه العذاب، فإن وعده لا يخلف.

أما الخبر الوارد عن عائشة إن صح، وهو قولها: من قال إن النبي ﷺ يعلم ما في غد فقد كفر. وما هذا معناه، فلا يتأتى هذا إن سمعته من النبي ﷺ إلا أن يكون كتم الأمر عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت لا يمكن كشفه لها، كما كتم عنها رؤيته للذات العلية بعيني رأسه، وهو واقع له ﷺ بالإجماع. فيكون كتمه له عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت.

والأخبار والآثار وكتب الحديث كلها مشحونة بإخباراته بالغيوب التي تأتي من بعده المتقاربة والمتباعدة، حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنه: ما ترك ﷺ أمراً يكون في أمته من بعده إلا ذكره إلى قيام الساعة. وقوله ﷺ: «**ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار**»[2]. الحديث، والأخبار كثيرة متواترة حتى لا يكاد أن يرتاب فيها أحد من المسلمين والسلام.

ويبقى اعتراض على ما ذكرنا، وهو أن يقال: إذا صح ما ذكرتم، وكان هذا

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم (86) [1/ 44].

السر هو المانع من ظهور ما في حقيقته المحمدية قبل النبوة فلم لا يكون رسولاً ولا نبياً من أول نشأته، حتى لا يحتجب عنه ما في حقيقته المحمدية، كما كان حال الغيب قبل وجود جسده الكريم. فالجواب عن هذا الاعتراض أن منع الله له من الرسالة والنبوة قبل بلوغه أربعين سنة أن النبوة والرسالة لا تكون إلا عن تجلٍ الهي، ولو وضع أقل قليل منه على جميع ما في كرة العالم كله، لذابت كلها لثقل أعبائه وسطوة سلطانه، فلا تقدر الأنبياء على تحمل أعبائه والثبوت لسطوة سلطانه، إلا بعد بلوغهم أربعين سنة.

وأما قبل بلوغ الأربعين سنة، فلا قدرة لأحد على تحمل أعباء ذلك التجلي، لما فطرت عليه البشرية من شدة الضعف، حتى إذا بلغ الإنسان أربعين سنة، وكان في علم الله نبياً أو رسولاً، أفاض على روحه من قوته الإلهية ما يقدر به على تحمل أعباء ذلك التجلي، فلهذا السر لم يتنبأ أحد إلا بعد أربعين سنة. وهذا هو المانع له من النبوة قبل ذلك ﷺ ولغيره من النبيين.

وأما سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كونه نبياً قبل الأربعين، فالجواب لم يكن بشرياً محضاً إنما كان نصفين: نصف بشري ونصف روحاني، إذ نشأ من نفخة الروح الأمين في أمه، فقوي فيه ضعف البشرية، وزاد بذلك قوة على النبيين. فلذلك بعث قبل الأربعين للقوة التي أعطيها من نفخ الروح الأمين في أمه.

ومن جواهر العارف التجاني أيضاً

[قول الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان]

أنه سئل رضي الله عنه عن قول الإمام الأكبر والقطب الأشهر، أبو حامد الغزالي رضي الله عنه «ليس في الإمكان أبدع مما كان» فأجاب رضي الله عنه بقوله: اعلم أنه ليس في الإمكان أشرف وأعلى وأجمل وأكمل من صورة الكون كله، ولا أشرف ولا أعلاه وأجمل وأكمل من صورة الكون كله إلا سيدنا محمد ﷺ وكل ما تراه في الكون، فالصور والأشكال مختلفة المباني والمعاني المتحدة الواقعة في جسم واحد ما ثَمَّ إلا هو ﷺ، لأنه ﷺ خلق من السر المكتوم ﷺ.

والدليل على شرفه ﷺ من النقل قوله ﷺ «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1]. وقال

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

عليه الصلاة والسلام: «**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم قسم بني آدم**»[1] هذا من النقل.

وفي بساط الحقائق أنه لما تعلقت مشيئة الحق بإيجاد خلقه، وكان ذلك من ثوران الميل الحبي، حيث يقول: «**كنت كنزاً لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً، فتعرفت إليهم فبي عرفوني**»[2].

وهذه المحبة من الحق في إيجاد الخلق كان أول موجود عن هذه المحبة روح سيدنا محمد ﷺ إذ هو الذي وقعت فيه المحبة الكلية من الحق وعنه. وعن تلك المحبة تفرع وجود الكون، فهو الأصل ﷺ والكون كله فرع عنه، فلا يشك في شرف الأصل على فرعه، لأنه لما كان أول موجود تضمن بحكم محبة الحق جميع ما أراد إبرازه للوجود من الجواهر والأعراض والمنح والمواهب وجميع آثار الكرم والمجد وجميع آثار السطوة والقهر... فجمع سبحانه وتعالى في تلك الحقيقة المحمدية جميع ما ذكر إجمالاً وتفصيلاً، ثم جعله منبعاً وعنصراً لجميع ما يصل إلى الأكوان من جميع ما ذكر جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً.

ومحال بحكم المشيئة الإلهية أن يبرز شيء في الوجود جوهراً أو عرضاً، مما دق أو جل، خارجاً عن الحقيقة المحمدية.

وإذا عرفت هذا، اتضح لك شرف هذه المرتبة مع ما فيها من تجلي السر المكتوم، وما اختصت به من المنح والمواهب والعطايا والتحف الظاهرة والباطنة... التي لا مطمع لغيرها في نيل أقل القليل منها بوجه أوضح من وضوح الشمس. وحيث عرفت هذا، عرفت أنه ليس في الإمكان أشرف وأكمل وأعلى وأجمل من هذه الصورة المعلومة الكونية، وهي الحقيقة المحمدية عليها من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ومن جواهر العارف التجاني أيضاً

[عدة صلوات تلقاها]

عدة صلوات تلقاها عن رسول الله ﷺ يقظة، **ومنها** الصلاة المسماة «ياقوتة

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

الحقائق» وفيها ألفاظ دقيقة المعاني لا يدركها إلا أهل العرفان، قال في شرحها عند قوله: وأنشأت من نورك الكامل نشأة الحق، وأنطتها وجعلتها صورة كاملة تامة. معنى نشأة الحق هٰهنا هي الحقيقة المحمدية عليها من الله أفضل الصلاة وأزكى السلام وسماها نشأة الحق لأنها حق، في حق، بحق، عن حق، فلا يحوم الباطل حولها بوجه من الوجوه، فهي في غاية الصفاء والطهارة والعلو، فليس في جواهر الوجود أشرف وأعلى منها، ولا أصفى، ولا أطهر، ولا أكمل منها. ثم إنها في حقيقتها لا تدرك ولا تعقل. «وأنطتها» يعني جعلت الوجود كله منوطاً بها من أوله إلى آخره، من الأزل إلى الأبد، لا وجود لشيء بدونها فإن الوجود كله وجد لأجلها فقط، لا لذاته. وهي مطلوبة لذاتها، لا علة لها إلا الذات. فهي موجودة لأجل الذات المقدسة، فلا واسطة بينها وبينها؛ والوجود كله منوط بها، فهي الواسطة بين الوجود وبين الله تعالى، إذ لولاها لتلاشى الوجود كله في أسرع من طرفة العين، فالوجود كله قائم تحت ظلها. قال الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه في صلاته: «**ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط**».

وقوله: «وجعلتها صورة» الصورة هنا هي أول أمر برز من حضرة الشؤون التي هي الحقيقة المحمدية. وقوله: «كاملة تامة» اعلم أن الكامل والتام لم يعرف عند العرب، إلا أنهما مترادفان: الكامل هو التام والعكس.

وأطلق هٰهنا في التفنن للمدح، ويلوح في هذا المحل للفهم أن الكامل هو الذي يفيض الكمال على غيره، والتام هو الذي لا يتعداه إلى غيره بل هو مقصور على نفسه. ولا شك أنه ﷺ تام في نفسه لا يطرأ عليه النقص بوجه من الوجوه، كامل ﷺ يفيض الكمالات على جميع الوجود، من العلوم والمعارف... والأسرار والأنوار والأعمال والأحوال والفيوضات والتجليات والمواهب والمنح وجميع وجوه العطايا... فكل ما يفيضه الحق سبحانه وتعالى على الوجود مطلقاً ومقيداً، كثيراً أو قليلاً، ما اشتهر أو شذا... إنما يفيضه بواسطة رسول الله ﷺ، فمن ظن أنه يصل من عند الله تعالى شيء للوجود بغير واسطة رسول الله ﷺ، فقد جهل أمر الله، وإن لم يتب خسر الدنيا والآخرة بهذا الاعتقاد. نسأل الله السلامة والعافية من بلائه بجاه رسله وأنبيائه.

ثم قال: «والوجود كله منوط بها أي بالحقيقة المحمدية وليست هي منوطة

بشيء، إذ لا واسطة بينها وبين الذات المقدسة، كما ورد في الخبر: «**يقول الله تعالى: خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك أنت من أجلي**» فدل هذا الخبر أن الوجود كله لا يراد لذاته، إنما خلق لأجل الحقيقة المحمدية، وهي لم تكن منوطة بشيء تخلق لأجله، ليس لها تعلق إلا الذات المقدسة من حيث ما هي هي. وإلى هذا يشار في الصلاة البكرية التي هي من إملائه ﷺ عليه رضي الله عنه بقوله فيها: «عبدك من حيث أنت، كما هو عبدك من حيث كافة أسمائك وصفاتك»، معنى هذا أنه عبد الله وحده من حيث الوجود المطلق، وهي الذات الصرفة، الساذج من حيث أن لا تعلل له في شيء. فلو بقي في هذا المحل ﷺ لكان غيباً من غيوب الذات لا يصح أن يناط الوجود المعلل به.

ولما كان المراد منه ﷺ الكمال العالي الذي به يستمد منه الوجود، ويكون سبباً في وجود الوجود، أعطي الرتبة الأخرى، وهي قيامه بحقوق الصفات والأسماء اتصافاً بها وتحقيقاً بها وبذا استمد منه الوجود حياة وقياماً ووجوداً، فهذا قيامه ﷺ بعبادة الله وصفاته وأسمائه؛ فكان عبد الله من حيث الذات المطلقة، وكان عبد الله تعالى من حيث الصفات والأسماء، فبهذا حمل سر الخلافة عن الله تعالى في جميع المملكة الإلهية من غير شذوذ.

ثم قال عند قوله «وجعلت الكل قبضة من نور عظمتك» المراد بها هٰهنا هي الصورة المخلوقة أولاً من النور الكامل، وهي الحقيقة المحمدية، وما تولد عنها من ذوات الوجود. فإنه لها هو الأب الأول، وعن تلك الحقيقة وجدت تلك الموجودات كلها بها قوامها، وعنها نظامها ومنها مددها، إذ من تلك الحقيقة استمد الوجود كله.

ثم قال: والروح عام وخاص، فالروح العام هو سريانه ﷺ في كلية العالم جزءاً جزءاً حتى لا يشذ شيء منه، وسريانه فيه به تمام قيامه، وبه قوام نظامه، فلا شيء في الوجود يستبد بصريح الوجود في ذاته دون سريانه فيه ﷺ بحكم السراية. وتلك السراية وسريانها في كليات العالم هي المعبر عنها بالروح، يعني روحاً لجميع العوالم كليتها وجزئيتها، حتى الكفار ومن أشرك بالله تعالى، فإن قيامهم بسريان روحه ﷺ فيهم، وهو ﷺ روح لجميع وجودها، سار فيها كسريان الماء في الأشجار في الأرض كلها تستمد من الماء، ولولا الماء لهلكت كلها ويبست، فهذا معنى روحيته لجميعها ﷺ.

وأما الروح الخاص منه ﷺ فالمراد به ما كان للحق بحكم الخصوصية، والعناية، وشفوف الرتبة، وعلو الولاية كالخاصة العليا من بني آدم من النبيين والمرسلين، وكافة الأقطاب والصديقين، بل وعموم الصالحين من المؤمنين، وكجميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام على اختلاف رتبهم، وكأهل أرض السمسمة ومن ضاهاهم من الموجودات. . . فإن هذه الطوائف لها الأهلية من الحق وللحق، منهم الأهلية بحكم التعظيم والإجلال والتخصيص والعناية وشفوف الرتبة من حيث إن جميعهم معظمون في حضرته دائماً سرمداً، لا يطرأ على أحد منهم أفول عن هذا المطلع، وشموسهم أبداً طالعة في سماء هذا الوصف، من حيث إن الله تعالى جعل جميعهم مطيعين لأمره، منهمكين في حبه أبداً، سريانهم في رياض قربه، لا يخرجون عن هذا الميدان.

فمن هذه الحيثية حصلت لهم أهلية الحق، فهم أهل للحق بهذا الوصف، والحق أهل لهم بما اختصهم به بشفوف المراتب والمزايا العلية، وهو في هذا الوصف ﷺ روح في جميع مانالوه من الحق من الأهلية، وبما اختصهم به من المراتب العلية.

فهذا الروح خرج عنه الكفار، ومن أشرك بالله تعالى، ومن خلط في إيمانه، فليس له من هذا الروح شيء.

ثم قال عند ذكره في صلاته المذكورة، اللوح المحفوظ «اعلم أن اللوح المحفوظ هنا نبينا وسيدنا محمد ﷺ جمع ما في حقائق الأشياء، فكما أن اللوح المحفوظ اجتمعت فيه علوم الأكوان من منشأ العالم إلى النفخ في الصور، أحاط بها جملة وتفصيلاً مما دق أو جل من الجواهر والأعراض. . . كذلك هو ﷺ اجتمعت في حقيقته المحمدية ﷺ جميع حقائق العلوم الإلهية، وتشبيهه هنا ﷺ باللوح المحفوظ يسمى عند المتكلمين تشبيه التسامح، وإلا فهو ﷺ أكبر وأوسع من اللوح المحفوظ بأضعاف مضاعفة، لأن غاية علوم اللوح وما سطر فيه إنما هو من منشأ العالم إلى النفخ في الصور فرداً فرداً بلا شذوذ، وأما ما وراء ذلك من أحوال يوم القيامة، وأحوال أهل الجنة والنار، وما يتعاقب عليهم فيهما من الأدوار والأطوار من جميع الشؤون والأمور والاعتبارات واللوازم والمقتضيات كلها. . . ليس في اللوح منها شيء إلا أمور قليلة، مثل فلان يعمل كذا وكذا من الأعمال،

وجزاؤه في جنة الخلد أو جنة النعيم أو جنة المأوى، له فيها كذا وكذا. أو فلان يعمل كذا وكذا من الشر، ومستقره في الدرك الثانية أو الثالثة. وهكذا... وهو قليل بالنسبة لأحوال أهل الجنة والنار وأحوال يوم القيامة، وأما هو ﷺ فإنه جمع في حقيقته المحمدية كل ما أحاط به علم الله تعالى من الأزل إلى الابد، من علوم المخلوقات بأسرها، ومعرفة مقتضياتها ولوازمها. وأمّا ما وراء ذلك، فلا يحيط بجميع علم الله محيط أصلاً.

ثم قال في شرح قوله: «والنور الساري الممدود» الوجود كله ظلمة من حيث إنه عدم محض، لا نورية فيه، إنما وجوده استمد من نوره ﷺ وعنه وجد، ومنه تصور، وبه كان، وأما نوريته ﷺ فلا يقال فيها نور مطلق لأنها مستمدة من نوره سبحانه وتعالى، لأنه هو الوجود المطلق، ومعنى استمداده هو أنه خلق من أجل الذات المقدسة، لا لأجل شيء دونها، جلت وتقدست، فلا علة ولا واسطة بينه وبين الحق تعالى، خلق من أجل الحق لا غير، والوجود كله على العموم والإطلاق معلل بوجوده ﷺ ومن أجله وجد الكون كله، فهو له كالخادم، ولولاهو ﷺ ما أوجد الله شيئاً من الأكوان. وقد استراب في هذه القولة من لا علم له، حتى قال: إن الرب سبحانه وتعالى يلزم عليه أنه عاجز عن خلق الأكوان، لا يتأتى له إيجادها إلا بوجوده ﷺ استعانة به وخروجاً به عن العجز، قلنا له: «ليس المراد هذا الذي ذكر، وإنما هو أنه لو سبق في حكمه وعلمه أن لا يخلق محمداً ﷺ لنفذ الحكم منه تعالى أنه لا يخلق شيئاً من الأكوان، فهذا معنى توقف الكون عليه ﷺ إذ هو ﷺ في جملة الأكوان بمنزلة إنسان العين من العين، إليه النظر من ربه سبحانه وتعالى، وعليه المدار، وفيه جميع الاعتبارات التي يتوقف عليها الوجود. كما أن الإنسان إذا أزيل من العين ليست العين بشيء.

وهذا النور هو سيد الوجود، وعلم الشهود ﷺ وهو المراد بقوله ﷺ في حديث أبي سعيد: «**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه، ما أدركه بصره من خلقه**»[1].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه السلام: «إن الله لا ينام»..، حديث رقم (179) [1/ 161] ورواه ابن ماجة في السنن، باب فيما أنكرت الجهمية، حديث رقم (195) [1/ 70] ورواه غيرهما.

وهذا النور هو سيدنا محمد ﷺ إذ هو القائم بين يدي الحق سبحانه وتعالى بالمباشرة ﷺ والوجود كله تحت ظله ﷺ مستتر به عن جلال الحق وعظمته.

ولو أنه سبحانه وتعالى كشف هذا النور، وكشطه حتى رآه الوجود بعينه من غير واسطة النور لاحترق كل ما أدرك بصره تعالى من المخلوقات، ويصير محض العدم في أسرع من طرفة عين. فيوحد هذا النور تمتع الوجود بالوجود، وتقلب في أطوار المصادر والورود.

وقوله: «الساري» معناه أنه ﷺ سار في جميع الموجودات كسريان الماء في الأشجار، لا قيام لها بدونه. وتلك السراية منه ﷺ لفي الموجودات لا طمع للعقل في دركها، ولا أن يحوم حول حماها. فما وصل إليها أحد من خلق الله تعالى، ولا عرف لها كيفية ولا صورة، وكل الوجود في حجاب عن هذا الإدراك، يعني إدراك السراية منه في الموجودات. فما أدركتها أكابر الملائكة العالين، ولا أكابر الأنبياء والمرسلين. عليهم الصلاة والسلام. كلهم لم يشموا لها رائحة، فمن دونهم أحرى وأولى لا يذوق منها شيئاً. وغاية السريان أنه ﷺ لو فقد سريانه في ذات من ذوات الأكوان لصارت محض العدم من ساعتها، وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]. وقوله: «الممدود» معناه هو الذي لا غاية له.

وهو أنه امتدت سرايته في جميع الأكوان من كل ما انطبقت عليه كثرة العالم وجميع مخلوقات الله، وزاد امتداده ﷺ حتى سرى في جميع المعلومات التي أحاط العلم الإلهي بها، ونفذت المشيئة الربانية بأن لا خروج لها من العدم إلى الوجود أصلاً وكيفية السراية في هذا المعدوم أيضاً لا يطيقها العقل تصوراً وقبولاً، بل هي في إحاطة العلم الإلهي، فلا يعلم كيفيتها وصورتها إلا الله تعالى.

وقال عند قوله: «**الذي لا يدركه دارك ولا يلحقه لاحق**» وصفه بكونه لا علم لأحد به من الموجودات أصلاً إلا الحق سبحانه وتعالى. وفي هذا يقول بعض العارفين: «ما عرف قدر محمد ﷺ إلا الله تعالى» وقال عند قوله «الصراط المستقيم» اعلم أن الصراط المستقيم هو النبي ﷺ وسمي به لكونه طريقاً ممدوداً إلى الحق، لا وصول لأحد إلى الحضرة القدسية، وذوق أسرارها، والابتهاج بأنوارها، إلا بالسلوك على الصراط المستقيم، وهو باب الله الأعظم. فمن رام من السالكين

الدخول على الله تعالى في حضرة جلاله وقدسه، معرضاً عن حبيبه ﷺ طرد ولعن، وسدت عليه الطرق والأبواب، ورد بعصا الأدب إلى اصطبل الدواب.

وقال عند قوله: «**اللهم صل وسلم على أشرف الخلائق الإنسانية والجَانِّيَّة**» يعني أنه هو زبدتها وياقوتها. قال: ﷺ: «**إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه اختار منهم بني آدم**»[1] الى قوله: «**واختارني من بني هاشم**»[1] ودل الحديث، بل صرح أن هذا الجنس من الآدمي هو صفوة الله من خلقه، وهو محل تنزل الرحمة الإلهية، وهو محل نظر الله تعالى من جميع الموجودات. فجنس الإنسان خلق من أجل الله تعالى، وخلقت الأكوان كلها من أجله، وكان التخصيص لهذا الجنس من الإنسان، أن الله تعالى اتخذ خليفته في الأكوان منه، وهو الفرد الجامع المحيط بالعالم كله، والعالم كله في قبضته وتحت حكمه وتصرفه، يفعل فيه كل ما يريد بلا منازع ولا مدافع؛ وقصارى أمره أنه كان حيثما كان الرب إلهاً، كان هو خليفته، فلا خروج لشيء من الأكوان عن ألوهية الله تعالى، كذلك لا خروج لشيء من الأكوان عن سلطنة هذا الفرد الجامع، يتصرف في المملكة بإذن مستخلفه، وحيث كان ﷺ أشرف الخلائق الإنسانية، كان أشرف العوالم كلها، لأن الإنسان كما في الخبر هو صفوة الله من جميع خلقه، فبالضرورة غير الإنسان داخل تحت حكمه في الأفضلية.
وقوله: «والجَانِّيَّة» الجان: ما غاب عن الأبصار واستتر، وذلك شامل للجن والملائكة، ولجميع ما غاب مثلهم عن عين الإنسان... فهو ﷺ أفضل الجميع، وقال عند قوله: «صاحب الأنوار الفاخرة»: يعني أن الأنوار هي أمور فائضة من حضرة الغيب، وهي حضرات الصفات والأسماء، وهي التي تأتي بالعلوم والأسرار والمعارف والأنوار والأحوال العالية إلى ما لا غاية له من الفيوض والمواهب، وهو ﷺ في هذا الميدان أكبر خلق الله حظاً من هذه الأنوار، وأوسعهم دائرة، وأعظمهم خطوة، فلو صب على جميع العالم جزءاً من ألف جزء مما يهب عليه من تلك الأنوار، لصار محض العدم في أسرع من طرفة العين.

ثم قال عند قوله: «اللهم واجعله لنا روحاً ولعبادتنا سراً»: طلب المصلي من الله تعالى أن يكون له ﷺ روحاً. وقد تقدم كونه ﷺ روحاً في نفس الأمر في كل

(1) رواه بنحوه الطبراني في الأوسط من اسمه محمد، حديث رقم (6182) [6/ 199] ورواه بنحوه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (1393) [2/ 139].

شيء من العالم، حتى لا وجود لشيء بدونه حتى الكافر. وهذه المرتبة الأولى له ﷺ في الوجود، وبها حياة الوجود كله في كل شيء شيئاً شيئاً، والمرتبة الثانية كونه ﷺ روحاً لجميع الموجودات خاصاً لا عاماً، وهذه الروحانية في المرتبة الثانية سرت بكليتها في جميع العارفين والصديقين والأقطاب والنبيين والمرسلين والمقربين. . . وهذه المرتبة له ﷺ التي هي روحانيته، بها قيام أهل الطوائف المذكورين بين يدي الله تعالى بتوفية حقوقه، وتكميل الأدب معه والاستهلاك في عين الجمع، والغرق في بحار التوحيد. فهم في هذا الميدان لله بالله في الله عن الله على الله، ليس في جميع حواسهم وأوهامهم وتخيلاتهم ومساكنتهم وملاحظتهم. . . إلا الله تعالى وحده، لا يخطر عليهم غير الله. وهذا القيام لهم مع الله بسبب سريان روحانيته فيهم ﷺ ولولا ذلك ما قاموا هذا القيام. وهذا هو الروح الذي طلب المصلي، ليس الروح الأول الذي هو عام في كل شيء. وقوله: «ولعبادتنا سراً» المراد بالسر هنا أن يكون باطناً فيها ﷺ لقبول الله إياها أي الأعمال. **والسرية** التي منه ﷺ في الأعمال والعبادات أن تكون صادرة من العبد بملاحظة وساطته ﷺ بين الله وبين العباد. **والوساطة** هي ما قاله الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش بقوله: «**وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك**». فمن لم يلاحظ هذه الحجابية في أعماله، كانت أعماله غير تامة، والحجابية هي أن يكون ﷺ وسيلة بين الله وبين عباده، يتوسل به جميع العباد إلى الله تعالى. فهذا هو سر العبادة التي يؤذن بقبولها.

ومن جواهر العارف التجاني أيضاً

[صلاته جوهرة الكمال]

قوله رضي الله عنه في شرح صلاته «جوهرة الكمال»، وهي إحدى صلواته الثلاث، عند قوله فيها: «اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية»: اعلم أن الحق سبحانه وتعالى اقتطع قطعة من النور الإلٰهي في غاية الصفاء والتجوهر، ثم أبطن في تلك القطعة ما شاء أن يقسمه لخلقه من العلم بصفات الله تعالى وأسمائه. وكمالات ألوهيته، وبأحوال الكون وأسراره ومنافعه ومضاره، وبالأحكام الإلهية أمراً ونهياً وجعل تلك القطعة من النور مقراً لانصباب كل ما قسمه لخلقه في سابق علمه من الرحمة الإلهية، ثم صار يفيض على خلقه ما أقره في الحقيقة المحمدية من العلم والرحمة، فكان بهذه المثابة هو عين الرحمة ﷺ وكان ذلك النور هو الحقيقة المحمدية، وتلك الرحمة المفاضة في ذاته هي التي يفيضها على الوجود من ذاته

الكريمة، فلا يصل شيء من الرحمة إلى الوجود إلا من ذاته ﷺ فذاته الكريمة بمنزلة المقر للمياه التي تجتمع فيه، وتتفرق من ذلك المقر سواق للسقي والانتفاع، ولذلك قال ﷺ «**إنما أنا قاسم، والله معط**»(1). أي ينظر إلى ما سبق في العلم الأزلي من الاقتطاع، ثم يفرق ﷺ تلك الرحمة على حسب ذلك الاقتطاع، فلهذا سمي عين الرحمة ﷺ، وأيضاً لنسبة أخرى في عين الرحمة، يعني أنه الأنموذج الجامع في إفاضة الوجود على جميع الوجود، فإنه لولا وجوده ﷺ ما كان وجود لموجود أصلاً من غير الحق سبحانه وتعالى، فإن وجود كل موجود من ذوات الوجود متوقف على سبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود؛ فإنه لولاهو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان ولا دهم(*) شيء منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة فإنه ﷺ كلية مراد الحق وغايته من الوجود، فإنه تعالى ما خلق الكون إلا من أجله ﷺ ولا أفاض الرحمة على الوجود إلا بالتبعية له ﷺ فوجود الأكوان كلها مناط بوجوده ﷺ وجوداً وإفاضة.

فإنه ﷺ ما خلقه إلا من أجل ذاته العلية المعظمة المقدسة، وما خلقه من أجل شيء دون الحق، حتى يكون علة له، ويتوقف وجوده على وجوده، بمعنى أن يكون وسيلة بينه وبين الحق، فإنه لا واسطة بينه وبين الحق لكونه مراداً لحق ذاته، والأكوان كلها مرادة لأجله ﷺ معللة بوجوده. فإفاضة الوجود على جميع وجود الأكوان مفاضة من ذاته الكريمة ﷺ، وإفاضة الرحمة على جميعها مفاض من ذاته الكريمة، ﷺ فإن ذلك الفيض من ذاته ﷺ ينقسم إلى رحمتين:

الرحمة الأولى: إضافة الوجود على جميع الأكوان حتى رجحت من العدم إلى الوجود، **والرحمة الثانية**: إضافة فيض الرحمات الإلهية على جميعها من جملة الأرزاق والمنافع والمواهب والمنح. . . فإنه بذلك يدوم تمتعها بالوجود.

فإذا علمت هذا. علمت أنه ﷺ عين الرحمة الربانية، لأنه رحم جميع الوجود بوجوده ﷺ ومن فيض وجوده أيضاً رحم جميع الوجود، فلذا قيل فيه إنه عين الرحمة الربانية ﷺ، وعلى هذا إن جميع الوجود كله نشأ عن الرحمة الربانية، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] لأن أصله ﷺ رحمة، ولا يلزم من

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(*) دهم الله: أي خلق الله.

شمول الرحمة عدم وقوع العذاب والوعيد والغضب، لأن تلك مقتضيات الكمالات الإلهية. فإن الكريم وإن عظم كرمه، لولا بطشه وغضبه وعذابه ما خيف جانبه. ولو أمن منه هذا الحال احتقر جانبه، وليست هذه صفة الكرم، ولا ينبغي له هذا افتبين لك أن من صفة الكمال الغضب والبطش والعذاب، ليكون جانبه معظماً مخافاً مهاباً، كما كان جانبه مرجواً لعفوه ورحمته.

ثم قال عند قوله: «**اللهم صل وسلم على عين الحق**»: اعلم أن الحق له إطلاقان: **الأول**: إطلاق الحق من حيث الذات، **والثاني**: إطلاق صفة الذات.

فإطلاق الحق من حيث الذات، لأن الحق يقابله الباطل من كل وجه، فالحق المحض هو الذات العلية المقدسة وما عداها كله باطل، وإلى هذا الإشارة بقول الشاعر لبيد، الذي شهد له رسول الله ﷺ بالصدق والتحقيق «**ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»(1). وهذا لا يطلق عليه ﷺ إذ هذا الإطلاق عين الذات المقدسة لا يطلق على غيرها أصلاً.

والإطلاق الثاني: هو العدل الذي هو صفة الحق سبحانه وتعالى، القائم بصورة العلم الأزلي، والمشيئة الإلهية، والقدرة الربانية، والحكم الإلهي الأزلي النافذ في كل شيء.

وهذا العدل المذكور هو الساري في آثار جميع الأسماء والصفات الإلهية، ومجموع هذا العدل كلاً وبعضاً هو مجموع في الحقيقة المحمدية، فلهذا أطلق عليه «عين الحق» من هذا الاعتبار، فكلها حق لا تنحرف عن ميزان العدل الإلهي الذي هو عين الحق في الإطلاق الثاني.

ثم قال عند قوله: «عين المعارف»: يعني أنه لما كانت المعارف الإلٰهية المفاضة على الخاصة العليا من النبيين والمرسلين والأقطاب والصديقين والأولياء... كلها فائضة من الحقيقة المحمدية، وليس شيء منها أعني من المعارف يفاض من حضرة الحق خارجاً عن الحقيقة المحمدية، فلا شيء مفاضاً من المعارف إلا وهو بارز من الحقيقة المحمدية، فهو ﷺ خزانتها وينبوعها، فلذا أطلق عليه عين المعارف من هذا الاعتبار.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب أيام الجاهلية، حديث رقم (3628) [3/ 1395] ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2256) ورواه غيرهما.

ثم قال عند قوله: «صراطك التام»: استعير له ﷺ اسم الصراط، لكونه صراطاً بين يدي الحق، لا عبور لأحد إلى حضرة الحق إلا عليه ﷺ فمن خرج عنه انقطع عن حضرة الحق وانفصل، فهو مشبه بالصراط الذي يكون عليه عبور الناس في المحشر إلى الجنة، لا مطمع لأحد من الخلق في الوصول إلى الجنة من أرض القيامة إلا على الصراط الذي عليه العبور، فمن رام الوصول إلى الجنة من أرض القيامة على غير الصراط المعلوم للعبور، انقطع عن الجنة، وانفصل، ولا مطمع له في الوصول إليها. كذلك هو ﷺ هو الصراط المستقيم بين يدي الحق، لا مطمع لأحد في الوصول إلى حضرة الحق إلا بالعبور عليه ﷺ ومن رامها بغير العبور عليه ﷺ انقطع وانفصل وطرد ولعن.

ثم قال عند قوله: «**الكنز الأعظم**»: يعني الذي هو جامع لجميع الأسرار والعلوم والمعارف والفتوحات والفيوض والتجليات الذاتية والصفاتية والأسمائية والفعلية والصورية... فلما كملت فيه ﷺ هذه الجمعية، كان هو الكنز الأعظم، إذ بسبب ذلك تستفاد منه جميع المطالب والمنح والفيوض الدينية والدنيوية والأخروية إلى العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأعمال والأحوال والمشاهدات والتوحيد واليقين والإيمان وآداب الحضرة الإلهية... إذ هو المفيض لجميعها على جميع الوجود جملة وتفصيلاً، فرداً فرداً، من غير شذوذ، إذ من فائدة الكنز تحصيل المطالب والمنافع، وهي كلها حاصلة منه ﷺ.

ثم قال عند قوله: «**إفاضتك منك إليك**»: اعلم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه، برزت الحقيقة المحمدية، وذلك عندما تجلى سبحانه وتعالى بنفسه لنفسه من سماء الأوصاف، وسأل ذاته موارد الألطاف، فتلقى ذلك السؤال منه بالقبول والإسعاف، فأوجد الحقيقة المحمدية من حضرة علمه، فكانت عيوناً وأنهاراً، ثم سلخ العالم منها واقتطعه كله تفصيلاً على تلك الصورة الآدمية الإنسانية، فإنها كانت ثوباً على تلك الحقيقة المحمدية النورانية، شبه الماء والهواء في الدقة والصفاء، فتشكل الثوب بشكل الصورة النورانية، فكان محمد صلوات الله عليه مجمع الكل، وبرهان الصفات، والمبدأ الأعلى، وكان آدم عليه السلام نسخة منه على التمام، وكانت نسخة الذرية من آدم عليه السلام.

وكان العالم برمته علويّه وسفليّه نسخة من آدم. فتحقق هذا النسخ تعش سعيداً. غير أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من كتابي محمد وآدم على الكمال، والعارفون

الوارثون نسخة من آدم، وظاهر سيدنا محمد ﷺ وأما أهل الشمال فنسخة من طينة آدم لا غير.

وأما التناسل إلى أن جاء زمانه عليه الصلاة والسلام فصير الله العالم في قبضته، ومخضة جسم محمد ﷺ زبدة مخضته كما كانت حقيقة أصل نشأته، فله الفضل بالإحاطة، إذا كانت البداءة والختم به فقد حصلت في علمك نشأة أول كل موجود، وأين مرتبته من الوجود، ومنزلته من الجود.

والحاصل أن سيدنا محمداً ﷺ هو أول الموجودات وأصلها، وببركاته وجدت، وبه استمدت، وقال عند قوله: «**أحاطه النور المطلسم**»: يعني أن النور المطلسم هو سر الألوهية المكتم.

وكان هذا السر قسمه الحق سبحانه وتعالى بحكم المشيئة الربانية قسمين، قسم منه استبد بعلمه لا يطلع عليه غيره، وقسم اختار أن يطلع عليه غيره من خلقه من ذوي الاختصاص.

وكان مقسوماً بينهم بالمشيئة الأزلية لكل واحد منهم ما قدر له من سر الألوهية.

وكان ذلك المقسوم لخلقه أن يطلعوا عليه كلما أحاط به ﷺ علماً وذوقاً، واجتمع في ذاته الكريمة في حقيقته المحمدية، وتفرق في الخلق، وبعبارة أخرى النور المطلسم هو الكمالات الإلهية التي سبق في سابق علمه تعالى أن يكشفها لخلقه، ويطلعهم عليها جملة وتفصيلاً، لكل فرد من الوجود ما يناسبه وما يختص به، من أول ظهور العالم إلى الأبد.

وكان ذلك النور المذكور مطلسماً في حجاب الغيب، معناه أن عليه حجباً عظيمة، ليس لأحد الوصول إلى الاطلاع عليه أو على شيء منه. فأشهده الله نبيه ﷺ دفعة واحدة، وأطلعه عليه في حقيقته المحمدية من غير شذوذ. فالإحاطة المذكورة، والنور هي طوالع الكمالات الإلهية، والطلاسم المضروبة عليها هي الحجب المانعة من الوصول إلى معرفة حقائقها.

وقال عند قوله: «صلى الله عليه وعلى آله»: اعلم أن الصلاة في حق الله تعالى على نبيه ﷺ وصف قائم بذاته على الحد اللائق الذي يليق بعظمته وجلاله هو أمر فوق ما يدرك ويعقل، فإن الوصف الوارد في حق كل موجود، وإن اشترك في اللفظ والاسم، فالحقيقة مباينة في حق الموجودات.

فالصلاة في حقنا عليه ﷺ هي الألفاظ البارزة من ألسنتنا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى فيما ينبي عن تعظيم نبيه ﷺ منا وليست كذلك صلاته سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ فهو فوق ما يدرك ويعقل، فلا تفسر بشيء، بل نقول: يصلي على نبيه ﷺ ولا تكيف صلاته ألا ترى أن السجود في حق الموجودات لله تعالى، فكلها ساجد لله. وليس السجود المعهود في حق الآدمي لله تعالى بماثل سجود الجمادات والحيوانات والأشجار فرداً فرداً، فإن لكل واحد من تلك الأفراد سجوداً يليق بحاله.

فإن السجود في حق جميعها متماثل في الاسم والإطلاق، والحقيقة متفرقة في جميعها. وسجود كل واحد غير سجود الآخر. وأما صلاة الملائكة على النبي ﷺ فتعلقها في حقهم كتعلقها في حقنا.

وقال بعد قوله: «صلاة تعرفنا بها إياه»: يعني أن المصلي طلب من الله تعالى أن يعرفه إياه في مراتب بطونه ﷺ إما بالوصول إلى معرفة روحه أو حقيقة عقله أو قلبه أو نفسه فأما حقيقة مقام روحه، فلا يصل إليها إلا الأكابر من النبيين والمرسلين والأقطاب، ومن ضاهاهم من الأفراد؛ ومن العارفين من يصل إلى مقام عقله ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، إذ ليس مقام العقل وعلومه كمعارف مقام الروح وعلومها، ومن العارفين من يصل إلى مقام قلبه ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، وهي دون مقام العقل في المعارف والعلوم، ومن العارفين من يصل إلى مقام نفسه ﷺ فتكون معارفه وعلومه بحسب ذلك، وهي دون مقام القلب.

وأما مقام سره ﷺ فلا مطمع لأحد في دركه. والفرق بين مقام سره وروحه وعقله وقلبه ونفسه، **فأما مقام سره** ﷺ فهي الحقيقة المحمدية التي هي محض النور الإلٰهي، التي عجزت العقول والإدراكات من كل مخلوق من الخاصة العليا عن إدراكها وفهمها. هذا معنى سره ﷺ ثم ألبست هذه الحقيقة المحمدية لباساً من الأنوار الإلٰهية، واحتجبت بها عن الوجود، فسميت روحاً، ثم تنزلت بلباس آخر من الأنوار الإلٰهية،فكانت بسبب ذلك تسمى عقلاً، ثم تنزلت بلباس من الأنوار الإلهية آخر، واحتجبت به، فسميت بذلك قلباً. ثم تنزلت بلباس من الأنوار الإلهية، واحتجبت به، فكانت بسبب ذلك نفساً.

تنبيه شريف: اعلم أنه لما خلق الله الحقيقة المحمدية، أودع فيها سبحانه وتعالى جميع ما قسمه لخلقه من فيوض العلوم والمعارف والأسرار والتجليات والأنوار والحقائق بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها، ثم هو ﷺ إلى الآن يترقى

في شهود الكمالات الإلهية مما لا مطمع فيه لغيره، ولا تنقضي تلك الكمالات بطول أبد الآباد.

ومن جواهر العارف التجاني أيضاً

[الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية]

قوله رضي الله عنه في أول شرح «الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية»: اعلم أن معنى الصلاة الغيبية يعني أنها برزت من الغيب، ليست من إنشاء أحد وأما الحقيقة الأحمدية، فهي الأمر الذي سبق به ﷺ في الحمد لله كل حامد من الوجود، فما حمد الله أحد في الوجود مثلما حمده النبي ﷺ في الوجود.

ثم إنها في نفسها، أي الحقيقة الأحمدية غيب من أعظم غيوب الله تعالى، فلم يطلع أحد على ما فيها من المعارف والعلوم والأسرار والفيوضات والتجليات والمنح والمواهب والأحوال العلية والأخلاق الزكية... فما ذاق منها أحد شيئاً، ولا جميع الرسل والنبيين، اختص بها ﷺ بمقامها.

وكل مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين... كل ما أدركوا على إجماله وتفصيله إنما هو من فيض حقيقته المحمدية.

وأما حقيقته الأحمدية، فلا مطمع لأحد بنيل ما فيها، فالحاصل أن له ﷺ مقامين، مقام حقيقته الأحمدية وهو الأعلى، ومقام حقيقته المحمدية وهو أدنى ولا أدنى فيه وكل ما أدركه جميع الموجودات من العلوم والمعارف والفيوضات والتجليات والترقيات والأحوال والمقامات والأخلاق... إنما هو كله من فيض حقيقته المحمدية ﷺ.

وأما ما في حقيقته الأحمدية، فما نال منه أحد شيئاً، اختص به وحده ﷺ لكمال عزها وغاية علوها. فهذه هي الحقيقة الأحمدية.

ثم قال عند قوله «**المفيض على كافة من أوجدته بقيومية سرك**»: هذا وصف للنبي ﷺ لأنه مفيض على كافة خلق الله على العموم، والاطلاق في كل ما ينالهم من المنافع ديناً ودنيا وأخرى، ومن جميع المضار كذلك، فإنه مفيض لجميعها ﷺ على جميع الوجود ثم وصف جميع الوجود بأنه كافة من أوجدته بقيومية سرك والخلق كلهم أوجدهم الله تعالى بقيومية السر الإلٰهي.

ثم قال عند قوله: «**المدد الساري في كلية أجزاء موهبة فضلك**»: معناه هو المفيض على كافة الوجود. والشيء الذي يفيضه هو مدده الساري في جميع الوجود، فإن الفيض الإلٰهي من الحضرة الرحمانية لجميع الوجود، ومن الأزل إلى الأبد يجتمع ذلك الفيض كله في الحقيقة المحمدية، ثم يسري منه ﷺ منقسماً على جميع الوجود على حد قوله ﷺ: «**إنما أنا قاسم والله معط**». أخبر أن العطاء الأول وهو الاقتطاع الإلٰهي كان مفصلاً في القسمة على ما نفذت به المشيئة الإلٰهية، والاقتطاع أولاً كان من الله لجميع خلقه، والتقسيم هو تناوله من يد الملك أو من حضرته وتوصيله إلى من أمر بإعطائه كان نائباً عنه ﷺ فهو في ذلك بمنزلة العبد الذي يأمره الملك بتوصيل العطايا إلى الناس، فهو يوصلها إلى أربابها على قدر ما أراده الملك، فهذا معنى الحديث وهو «**إنما قاسم والله معطٍ**» وكما قال الشيخ الأكبر في صلاته، في وصفه ﷺ: «القلم النوراني، الجاري بمداد الحروف العاليات والنفس الرحماني، الساري بمواد الكلمات التامات» فهذا السريان منه ﷺ بجميع الوجود ما نفذت به مشيئة الله لجميع الوجود لا يتأتى إيصاله إلى أربابه الا بنيابة رسوله ﷺ فيه مطلقاً وعموماً من غير شذوذ ولا تخصيص. ثم ذكر أن الناس على أربعة أصناف في الاقتداء به ﷺ.

الصنف الأول: العلماء اقتدوا به ﷺ في أقواله، **والصنف الثاني**: العباد اقتدوا به ﷺ في أفعاله، **والصنف الثالث**: الصوفية اقتدوا به ﷺ في أخلاقه، **والصنف الرابع**: العارفون المحققون اقتدوا به ﷺ في أحواله.

ثم ختم شرح هذه الصلاة بفائدة عظيمة في مسألة إهداء الثواب له ﷺ فقال رضي الله عنه في جواب سؤال خليفته عن ذلك: اعلم أنه ﷺ غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلاً، فرداً فرداً، وعن صلاتهم عليه، وعن إهدائهم ثواب الأعمال له ﷺ بربه أولاً وبما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله، فهو عند ربه ﷺ في غاية لا يمكن وصول غيره إليها، ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة، يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحىٰ: 5] وهذا العطاء، وإن ورد من الحق بهذه الصفة السهلة المأخذ، القريبة المحتد، فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها، فضلاً عن الغاية التي هي أكبرها. فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة مرتبته، ويفيض على مرتبته ﷺ على قدر خطوته ومكانته عنده.

وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها، وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة، ثم يرد على مرتبة لا غاية لها أيضاً، وعظمته على قدر وسعها أيضاً، فكيف يقدر هذا العطاء، وكيف تحمل العقول سعته؟.

ولذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النِّسَاء: 113] وأقل مراتبه في غناه ﷺ أنه من لدن بعثته إلى قيام الساعة كل عامل يعمل لله ممن دخل في طوق رسالته ﷺ يكون له مع ثواب عمله بالغاً ما بلغ، فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة لهذا الثواب، لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له.

وهذه أصغر مراتب غناه ﷺ فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر، والفضل الأعظم الأخطر، الذي لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلاً عمن دونهم؟ وإذا عرفت هذا، فاعلم أنه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه ﷺ ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها ﷺ وليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الأعمال.

وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب العمل متوهماً أنه يزيد به ﷺ أو يحصل له به نفعاً، إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر طوله مسيرة عشر مائة ألف عام، وعرضه كذلك، وعمقه كذلك متوهماً أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة ويزيده.

فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة، وماذا عسى أن تزيد فيه؟ وإذا عرفت رتبة غناه ﷺ وحظوته عند ربه، فاعلم أن أمر الله للعباد بالصلاة ﷺ ليعرفهم علو مقداره عنده، وشفوف مرتبته لديه، وعلو اصطفائه على جميع خلقه، وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله به ﷺ، فمن طلب القرب من الله تعالى، والتوجه اليه دون التوسل به ﷺ معرضاً عن كريم جنابه، ومدبراً عن تشريع خطابه، كان مستوجباً من الله غاية السخط والغضب، وغاية اللعن والطرد والبعد، وضل سعيه، وخسر عمله، ولا وسيلة إلى الله إلا به ﷺ كالصلاة عليه ﷺ وامتثال شرعه، فإذاً فالصلاة عليه ﷺ فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه، وفيها تعليم لنا بالتوسل به ﷺ في جميع التوجهات والمطالب، لا غير هذه من توهم النفع له بها ﷺ لما ذكرناه سابقاً من كمال الغنى.

وأما إهداء الثواب له ﷺ فتعقل ما ذكرنا من الغنى أولاً، ثم تعقل مثالاً آخر يضرب لإهداء الثواب له ﷺ بملك عظيم المملكة، ضخم السلطنة، قد أوتي في

مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددها كل خزانة عرضها وطولها من السماء إلى الأرض مملوءة، كل خزانة على هذا القدر ياقوتاً أو ذهباً أو فضة أو زروعاً أو غيرها من المتمولات. . . ثم قدر فقير لا يملك مثلاً غير خبزتين من دنياه، فسمع بالملك، واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه، فأهدى لهذا الملك إحدى الخبزتين معظماً له ومحباً، والملك متسع الكرم، فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال، لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له.

فوجودها عنده وعدمها على حد سواء ثم الملك لاتساع كرمه علم فقر الفقير وغاية جهده، وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه، وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك، ولو قدر على أكثر من ذلك لأهداه له، فالملك يظهر الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له، وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة، ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم، لا لأجل النفع بالخبزة، وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر إهداء الثواب له ﷺ.

وأما غناه عنه ﷺ فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولاً، وامداده بنقطة القلم.

وأما إثابته ﷺ فقد ذكر المثل لها بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العارف بالله الأمير عبد القادر الجزائري الحسني(*) المتوفى سنة 1300هـ المدفون في دمشق الشام

فمن جواهره رضي الله عنه

[وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين]

قوله في كتابه «المواقف» الموقف التاسع والثمانون، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] اعلم أنَّه ليس المراد من إرساله رحمةً للعالمين، هو إرساله ﷺ من حيث ظهور جسمه الشريف الطبيعي فقط، وإن قال به جمهور المفسرين وعامتهم، فإنَّه من هذه الحيثية غير عام الرحمة لجميع العالمين، فإنَّ العالم اسم لما سوى الحق تعالى، بل المراد إرساله ﷺ من حيث حقيقته التي هي حقيقة الحقائق.

(*) هو المجاهد الكبير العالِم العامِل والصوفي الأديب والشاعر.
الأمير عبد القادر بن محيي الدين المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خدّه - وهي مرضعته - ابن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن طاوس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط رضي الله عنهم.
من العلماء الشعراء، وُلد في 23 رجب من عام 1222هـ/ مايو 1807م، وذلك بقرية «القيطنة» بوادي الحمام من منطقة «وهران» بالمغرب الأوسط أو الجزائر، ثم انتقل والده إلى مدينة وهران، وكان والده إلى مدينة وهران، وكان والده ذا شأن بين الناس، فهو لا يسكت عن الظلم، فكان من الطبيعي أن يصطدم مع الحاكم العثماني لمدينة «وهران»، وأدى هذا إلى تحديد إقامته في بيته، فاختار أن يخرج من الجزائر كلها في رحلة طويلة، وكان الإذن له بالخروج لفريضة الحج عام 1241هـ/ 1825م. فخرج مصطحباً ابنه عبد القادر معه، فكانت رحلة عبد القادر إلى تونس ثم مصر ثم الحجاز ثم البلاد الشامية ثم بغداد، ثم العودة إلى الحجاز، ثم العودة إلى الجزائر ماراً بمصر وبرقة وطرابلس ثم تونس، وأخيراً إلى الجزائر من جديد عام 1828م، فكانت رحلة تعلم ومشاهدة ومعايشة للوطن العربي في هذه الفترة من تاريخه، وما لبث الوالد وابنه أن استقرا في قريتهم «قيطنة»، ولم يمض وقت طويل حتى =

....

= تعرضت الجزائر لحملة عسكرية فرنسية شرسة، وتمكنت فرنسا من احتلال العاصمة فعلاً في 5 يوليو 1830م، واستسلم الحاكم العثماني سريعاً، ولكن الشعب الجزائري كان له رأي آخر. إلا أن الشقاق بين الزعماء فَرَّقَ كلمة الشعب، فسارع أهالي وعلماء «وهران» إلى البحث عن زعيم يأخذ اللواء ويبايعون على الجهاد تحت قيادته، ولكنه اعتذر عن الإمارة وقبل قيادة الجهاد، فأرسلوا إلى صاحب المغرب الأقصى ليكونوا تحت إمارته، فقبل السلطان «عبد الرحمٰن بن هشام سلطان المغرب، وأرسل ابن عمه «علي بن سليمان» ليكون أميراً على وهران، وقبل أن تستقر الأمور تدخلت فرنسا مهدّدة السلطان بالحرب، فانسحب السلطان واستدعى ابن عمه ليعود الوضع إلى نقطة الصفر من جديد، ولمّا كان محيي الدين قد رضي بمسؤولية القيادة العسكرية، فقد التفّت حوله الجموع من جديد، وخاصة أنه حقّق عدة انتصارات على العدو، وقد كان عبد القادر على رأس الجيش في كثير من هذه الانتصارات، فاقترح الوالد أن يتقدم «عبد القادر» لهذا المنصب، فقبل الحاضرون، وقبل الشاب تحمل هذه المسؤولية، وتمت البيعة، ولقبه والده بـ«ناصر الدين» واقترحوا عليه أن يكون «سلطاناً» ولكنه اختار لقب «الأمير»، وبذلك خرج إلى الوجود الأمير عبد القادر ناصر الدين بن محيي الدين الحسيني، وكان ذلك في 13 رجب 1248هـ/ نوفمبر 1832م.

تلقى الأمير الشاب مجموعة من العلوم فقد درس الفلسفة (رسائل إخوان الصفا ـ أرسطوطاليس ـ فيثاغورس) ودرس الفقه والحديث، فدرس (صحيح البخاري ومسلم)، وقام بتدريسهما، كما تلقى (الألفية) في النحو، و(السنوسية)، و(العقائد النفيسة) في التوحيد، و(إيساغوجي) في المنطق، و(الإتقان في علوم القرآن)، وبهذا اكتمل للأمير العلم الشرعي، والعلم العقلي، والرحلة والمشاهدة، والخبرة العسكرية في ميدان القتال، هذا إضافة إلى زهده وسلوكه طريق التصوف وقراءته لأشهر كتب الطريقة والحقيقة كـ(إحياء علوم الدين) لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي و(الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم)، للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، هذا وسنتكلم لاحقاً عن تصوّفه، وعلى ذلك فإن الأمير الشاب تكاملت لديه مؤهلات تجعله كفوءاً لهذه المكانة، وقد وجه خطابه الأول إلى كافة العروش قائلاً: «... وقد قبلت بيعتهم (أي أهالي وهران وما حولها) وطاعتهم، كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملاً أن يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين، ورفع النزاع والخصام بينهم، وتأمين السبل، ومنع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة، وحماية البلاد من العدو، وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف، واعلموا أن غايتي القصوى اتحاد الملة المحمدية، والقيام بالشعائر الأحمدية، وعلة الله الاتكال في ذلك كله».

الأمير عبد القادر يقيم دولة مستقرة آمنة

وقد بادر الأمير عبد القادر بإعداد جيشه، ونزول الميدان ليحقق انتصارات متلاحقة على الفرنسيين، وسعى في ذات الوقت إلى التأليف بين القبائل وفض النزاعات بينها، وقد كانت بطولته في المعارك مثار الإعجاب من العدو والصديق فقد رآه الجمع في موقعة «خنق النطاح» التي أصيبت ملابسه كلها بالرصاص وقُتِل فرسه ومع ذلك استمر في القتال حتى حاز النصر على =

....

=
عدوه، وأمام هذه البطولة اضطرت فرنسا إلى عقد اتفاقية هدنة معه وهي اتفاقية «دي ميشيل» في عام 1834م، وبهذه الاتفاقية اعترفت فرنسا بدولة الأمير عبد القادر، وبذلك بدأ الأمير يتجه إلى أحوال البلاد ينظم شؤونها ويعمرها ويطورها، وضرب نقوداً من الفضة والنحاس سماها «المحمدية»، وأنشأ معامل للأسلحة والأدوات الحربية وملابس الجند وجعل مدينة (معسكر) حاضرة إمارته ووضع للدولة دستوراً تضمن مجموعة القوانين التي نظمت الدولة، وقد نجح الأمير في تأمين بلاده إلى الدرجة التي عبر عنها مؤرخ فرنسي بقوله: «يستطيع الطفل أن يطوف ملكه منفرداً، على رأسه تاج من ذهب، دون أن يصيبه أذى!!». وقبل أن يمر عام على الاتفاقية نقض القائد الفرنسي الهدنة وناصره في هذه المرة بعض القبائل في مواجهة عبد القادر، ونادى الأمير في قومه بالجهاد ونظم الجميع صفوف القتال، وكانت المعارك الأولى رسالة قوية لفرنسا وخاصة موقعة «المقطع» حيث نزلت بالقوات الفرنسية هزائم قضت على قوتها الضاربة تحت قيادة «تريزيل» الحاكم الفرنسي. ولكن فرنسا أرادت الانتقام فأرسلت قوات جديدة وقيادة جديدة، واستطاعت القوات الفرنسية دخول عاصمة الأمير وهي مدينة «المعسكر»، وأحرقتها، ولولا مطر غزير أرسله الله في هذا اليوم ما بقي فيها حجر على حجر، ولكن الأمير استطاع تحقيق مجموعة من الانتصارات دفعت فرنسا لتغيير القيادة من جديد ليأتي القائد الفرنسي الماكر الجنرال «بيجو»؛ ولكن الأمير نجح في إحراز نصر على القائد الجديد في منطقة «وادي تفنة» أجبره على عقد معاهدة هدنة جديدة عُرفت باسم «معاهدة تافنة» في عام 1837م.
وعاد الأمير لإصلاح حال بلاده وترميم ما أحدثته المعارك بالحصون والقلاع وتنظيم شؤون البلاد، وفي نفس الوقت كان القائد الفرنسي «بيجو» يستعد بجيوش جديدة، ويكرر الفرنسيون نقض المعاهدة في عام 1839م، وبدأ القائد الفرنسي يلجأ إلى الوحشية في هجومه على المدنيين العزل فقتل النساء، والأطفال والشيوخ، وحرق القرى والمدن التي تساند الأمير، واستطاع القائد الفرنسي أن يحقق عدة انتصارات على الأمير عبد القادر، ويضطر الأمير إلى اللجوء إلى بلاد المغرب الأقصى، ويهدد الفرنسيون السلطان المغربي، ولم يستجب السلطان لتهديدهم في أول الأمر، وساند الأمير في حركته من أجل استرداد وطنه، ولكن الفرنسيين أخذوا يضربون طنجة وموغادور بالقنابل من البحر، وتحت وطأة الهجوم الفرنسي يضطر السلطان إلى طرد الأمير عبد القادر، بل ويتعهد للفرنسيين بالقبض عليه.
يبدأ الأمير سياسة جديدة في حركته، إذ يسارع لتجميع مؤيديه من القبائل، ويصير ديدنه الحركة السريعة بين القبائل فإنه يصبح في مكان ويمسي في مكان آخر حتى لقب باسم «أبا ليلة وأبا نهار»، واستطاع أن يحقق بعض الانتصارات، ولكن فرنسا دعمت قواتها بسرعة، فلجأ مرة ثانية إلى بلاد المغرب، وكانت المفاجأة أن سلطان المغرب وجه قواته لمحاربة الأمير، والحق أن هذا الأمر لم يكن مفاجأة كاملة فقد تعهد السلطان لفرنسا بذلك، ومن ناحية أخرى ورد في بعض الكتابات أن بعض القبائل المغربية راودت الأمير عبد القادر أن تسانده لإزالة السلطان القائم ومبايعته سلطاناً بالمغرب، وعلى الرغم من انتصار الأمير عبد القادر على الجيش المغربي إلا أن المشكلة الرئيسية كانت في الحصول على سلاح لجيشه، ومن ثم أرسل لكل من =

= بريطانيا وأمريكا يطلب المساندة والمدد بالسلاح في مقابل إعطائهم امتيازات في سواحل الجزائر: كقواعد عسكرية أو استثمارات اقتصادية وبمثل ذلك تقدم للعرش الإسباني ولكنه لم يتلق إجابة، وأما هذا الوضع اضطر في النهاية إلى التفاوض مع القائد الفرنسي «الجنرال لامور يسيار» على الاستسلام على أن يسمح له بالهجرة إلى الإسكندرية أو عكا ومن أراد من أتباعه، وتلقى وعداً زائفاً بذلك فاستسلم في 23 ديسمبر 1847م، ورحل على ظهر إحدى البوارج الفرنسية، وإذا بالأمير يجد نفسه بعد ثلاثة أيام في ميناء طولون ثم إلى إحدى السجون الحربية الفرنسية في أمبواز ونقل إلى بوردو ثم إلى نانت ثم أعيد إلى أمبواز، وهكذا انتهت دولة الأمير عبد القادر، وقد خاض الأمير خلال هذه الفترة من حياته حوالي 40 معركة مع الفرنسيين والقبائل المتمردة والسلطان المغربي.

الأمير عبد القادر في الأسر

ظل الأمير عبد القادر في سجون فرنسا نيفاً وأربع سنين يعاني من الإهانة والتضييق حتى عام 1852م إلا أنه بقي عالي الهمّة لم تؤثر فيه شدة المشاق التي أحاطت به من كل جانب وكان الناس يأتون إليه من أنحاء فرنسا وغيرها لزيارته ومنهم أصحاب المناصب والضباط. ثم استدعاه نابليون الثالث بعد توليه الحكم، وأكرم نزله، وأقام له المآدب الفاخرة ليقابل وزراء ووجهاء فرنسا، ويناقشهم في كافة الشؤون السياسية والعسكرية والعلمية، مما أثار إعجاب الجميع بذكائه وخبرته، ودُعي الأمير لكي يتخذ من فرنسا وطناً ثانياً له، ولكنه رفض، ورحل إلى الشرق، حيث الآستانة وقابل السلطان عبد المجيد خان فأكرم وفادته وأنعم عليه بدار فخمة في بروسة، ومدح السلطان بقصيدة طويلة منها:

الحمد لله تعظيماً وإجلالاً ... ما أقبل اليُسْرُ بعد العُسْرِ إقبالا
والشكر لله إذ لم ينصرم أجلي ... حتى وصلت بأهل الدين إيصالا
وما أتت نفحات الخير ناسخة ... من المكاره أنواعاً وأشكالا
وامتد عمري إلى أن نلت من سندي ... خليفة الله أفياء وإظلالا
فالله أكرمني حقًّا وأسعدني ... وحطّ عني أوزاراً وأثقالا
قد طال ما طمحت نفسي وما ظفرت ... لكن للوصْل أوقاتاً وآجالا
أسكن فؤادي وقرّ الآن في جسدي ... فقد وصلت بحزب الله أحبالا
هذا المرام الذي قد كنت تأمله ... هذا مُناك فطِب حالاً بما آلا
وعِش هنيئاً فأنت اليوم آمِن من ... حمام مكة إحراماً وإحلالا
فأنت تحت لواء المجد مغتبطاً ... في حضرةِ جمعت قطباً وأبدالا
وته دلالاً وهذا العطف من طرب ... وغنِّ وارقص وجُرَّ الذيل مختالا
أمِنْت من كل مكروه ومظلمة ... فبُح بما شئت تفصيلاً وإجمالا
هذا مقام التهاني قد حَلَلْتَ به ... فارتع ولا تخْشَ بعد اليوم أنكالا
وأبشر بقرب أمير المؤمنين ومَن ... قد أكمل الله فيه الدين إكمالا
عبد المجيد حوى مجداً وعزّ وعَلا ... وجَلّ قدراً كما قد عمَّ أفضالا =

....

=

كهف الخلافة كافِيها وكافِلها ... مَن لا عَهِدنا له في القرن أمثالا
يا رب فاشدُد على الأعداء وطأته ... واحفظ حِماه وزِده منك إجلالا
وأظهرنَّ حزبه في كل متجه ... وسدِّدن منه أقوالاً وأفعالا
وابسط يديه على الغبراء قاطبة ... وذلِّلن كل مَن في الأرض إذلالا
فالمسلمون بأقصى الغرب طامحة ... أبصارهم نحوه يرجون إقبالا
كم خائف يرتجي أمنا بسطوته ... وحائر يرتجي للحَزْن تَسهالا
فرع الخلافة وابن الأكرمين ومَن ... شادوا عُرا الدين أركاناً وأطلالا
كم أزمة فرّجوا كم غُمَّة كشفوا ... كم فكّكوا عن رِقاب الخلق أغلالا
هم رحمة لبني الإيمان سائرهم ... هم الوقاية أسواء وأهوالا
أنصار دين النبي بعد غيبته ... في نصره بذلوا نفساً وأموالا
قد خصّهم ربُّهم في خير منقبة ... ما خصَّ صحباً بها قبلاً ولا آلا
كم حاول الصّحب والآل الكرام لها ... والله يختصّ مَن قد شاء إفضالا
ما زال في كل عصر منهم خَلْفٌ ... يحمي الشريعة أقوالاً وأفعالا
حتى أتى دهرنا في خير مُنتَخَب ... من آل عثمان أملاكاً وأقيالا
قد كنت مضمر خفض ثم أكسبني ... رفعاً وقد عمّني جوداً وإفضالا
وبالإضافة بعد القطع عرفني ... وقد نفى عني تصغيراً وإعلالا
هذا وحق عُلاه منتهى أملي ... قد حطّ عني بمحض الفضل أثقالا
لا زال تخدمه نفسي وأمدحه ... مستغرق الدهر أبكاراً وآصالا
أهدي مديحي وحمدي ما حييت له ... أفادني أنعُماً جلّت وإقبالا
جزاه عني إله العرش أفضل ما ... جازى به مُحسِناً يوماً ومِفضالا

وأقام في بروسة حتى سنة 1270 هـ حين عاد إلى الآستانة ومنها توجّه إلى باريس، ثم عاد إلى بروسة، وكان يدرّس فيها بجامع العرب القريب من داره.

وفي سنة 1271هـ عزم على سكن دمشق، فارتحل إليها عن طريق بيروت التي وصلها في 5 ربيع الآخر 1272هـ/ 24 تشرين الثاني 1856م، فاستقبله أهل بيروت برئاسة واليها نامق باشا استقبالاً كريماً واجتمع أمراء تلك المنطقة ومشايخها لملاقاته في جبل لبنان، ورتّبوا جموعهم، وأطلقوا البنادق، وساروا عن يمينه وشماله يرتجزون. ونزل ضيفاً على الكولونيل تشارلز تشرشل الإنكليزي الذي جاء إلى لبنان سنة 1258هـ/ 1842م على رأس هيئة أطلق عليها اسم البعثة البريطانية في سورية، واشترى قرية بحوارة وهي بين عاليه وبحمدون وبنى فيها بيتاً، وهو ينتسب إلى أُسرة تشرشل الإنكليزية المشهورة، ليلة واحدة، ثم سار يقصد دمشق فبلغ الخبر واليها محمود نديم باشا فخرج هو وعزّة باشا رئيس العسكرية وغيرهما من أعيان البلدة لملاقاته فوافوه عند قرية دُمَّر.

ودخل دمشق في حفاوة وتكريم، وتقدمت موكبه كتيبة من الجيش تعزف الموسيقا العسكرية، واستقبله أهل دمشق أحسن استقبال، وقيل: إنه لم يدخل دمشق عربي، رُحِّبَ به هذا الترحيب =

....

= منذ صلاح الدين الأيوبي. ويقول الأمير بهذه المناسبة: «قد فرح بنا هذا البلد وخرجوا كلهم لِلُقْيانا الرجال والنساء». وقال أيضاً: «لقد استقبلني الدمشقيون أحسن استقبال وعدواً يوم دخولي مدينتهم كيوم عيد، فالرجال والنساء قد تسابقوا أمامي».
وإثر دخوله دمشق توجّه إلى دمشق مباشرة في زيارة جامع الشيخ محيي الدِّين بن عربي، ثم اتخذ له سكناً بمعرفة والي دمشق، وعُرِفت داره بدار السيد، وكان تُعرَف بدار عزّز باشا، وأصلها للقاضي محيي الدين بن الزكي. وبنو الزكي هم الذين نزل بهم الشيخ محيي الدين بن عربي حينما قَدِمَ دمشق وتزوج منهم وساكنهم في هذه الدار ثم دفن بمقبرتهم في سفح قاسيون.
وبدأ الزوَّار يتوافدون إليه وكانت أحاديثه في لقاءاته معهم تدور حول العلم والصلة الروحية بالله تعالى ولم يحدّثهم عن نفسه. وأخذ الطريقة المولوية آنذاك عن الشيخ صبري شيخ الطريقة بدمشق.
ولمّا رحل الأمير من بروسة قاصداً دمشق، أنعم عليه السلطان بألف كيس بدلاً من الدار التي كان أهداه إياها. فاشترى بدمشق دارين واسعتين بينهما دار صغيرة في زقاق النقيب بالعمارة، هدم إحداهن وعفّى آثارها وابتنى في موضعها داراً جميلة، ولمّا تمّ بناؤها وأُصلِحَت الداران الأُخريان انتقل من الدار التي استأجرتها له الدولة العثمانية إلى هذه الدُّور وذلك سنة 1274هـ وهنّأه بسكناه الجديد الشعراء منهم حسن الدجاني وأمين الجندي وغيرهما.
ثم اشترى بدمشق سبع دُور أخرى جعل إحداهن منزلاً لأضيافه، وعدّة دُور في محلّة العمارة البرانية جعل بعضها حديقة مقابلة للدُّور، وكان نهر بردى يمرّ بين الدُّور والحديقة.
واشترى مزرعة بدير بحدل بالغوطة وعمّر بها بيتاً، وأرضاً في أشرفية صحنايا، وأرضاً في قرية قرحتا بطرف الغوطة، ومزرعة بلاس، وطاحونة الإحدى عشرية، وخان الصعب بالعمارة، وأرضاً بوادي دُمَّر، وبنى فيها قصراً لمصيفه. ولمّا تمّ بناؤه صنع وكيرة ودعا إليها العلماء والأعيان وقرؤوا بعدها شيئاً من صحيح البخاري للتبرّك، وهنّأه الشعراء بالقصر في قصائدهم، ومنهم الشاعر عبد الغني الرافعي الطرابلسي.
وفي سنة 1273هـ توجّه إلى بيت المقدس والخليل للزيارة فذهب من طريق صفد ورجع من طريق حوران. ومدحه الشاعر حسن الدجاني حين توجّه إلى يافا إجابة لطلب مُفتيها بقصيدة مطلعها:

عـهـدنـا بـغـرب مـطـلـع الـبـدر مـشـرقـاً ... وإنّـا نـراه الآن قـد لاح مـشـرقـا
ولـلـغـرب أصـل الـفـضـل إذ هـو مـطـلـع ... وإن يـكُ بـدر الـتـم فـي الـشـرق أشـرقـا

وأرّخ في البيت الآخير تلك الزيارة فقال:

وأضـحـى لـيـمـن بـالـقـدوم مـؤرخـاً ... إلى المسجد الأقصى سرى يطلب التقى

وفي شهر رمضان من السنة نفسها قرأ (صحيح البخاري) في مدرسة دار الحديث، الأشرفية، وكتاب (الإتقان) وكتاب (الإبريز) في المدرسة الجمقمقية.
ثم في شهر رمضان من سنة 1275هـ اعتكف في الجامع الأموي، وقرأ كتاب (الشفا) والصحيحين في مشهد سيدنا الحسن رضي الله عنه. =

....

=

الأمير وحادثة الستين 1276هـ/ 1860م

لم تكد الأنباء تتوارد عن قرب وقوع هذه الفتنة حتى جمع الأمير العلماء والوُجهاء والأعيان من أهالي دمشق وجماعة المهاجرين المغاربة وخاطبهم قائلاً: «إن الأديان وفي مقدمتها الدين الإسلامي أجلّ وأقدس من أن تكون خنجر جهالة أو مِعوَل طيش أو صرخات نذالة تدوي بها أفواه الحثالة من القوم. أُحذركم أن تجعلوا لشيطان الجهل فيكم نصيباً، أو أن يكون له إلى نفوسكم سبيلاً».

وبلغ عدد الذين أنقذهم الأمير من القتل والعذاب ممّن التجؤوا إلى داره نحواً من خمسة عشر ألف شخص من القناصل وأعيان النصارى والرهبان والراهبات. ولمّا ضاقت بهم داره بعث بقسم منهم إلى قلعة المدينة. كما احتمى بحيّ السويقة وبخان المغاربة نصارى المدينة، وكان نتيجة ذلك مقتل عدد من المغاربة هناك كان بينهم فضلاء رافقوا الأمير في جهاده وهاجروا معه من الجزائر.

وطلب من جماعة من النصارى أن يؤمّن لهم طريق الوصول إلى بيروت ففعل وأبلغهم مأمنهم.

ولم يزل الأمير يعاني من هذه الفتنة إلى أن حضر إلى دمشق فؤاد باشا وزير الخارجية العثماني، وأجرى فيها الأحكام العُرفية، فقبض على زمام الأمور، وسجن آلافاً من الناس، وعيّن مجالس خاصّة للمُحاكمات فقتل مَن ثبت عليه القتل أو إثارة الفتنة، ونفى جماعة من الأعيان، ثم عقد مجلساً عسكرياً للنظر في أمر الوالي أحمد باشا وجماعة من رؤساء الجند، وأقرّ الأمن.

وكتب الأمير بعد الفتنة معبِّراً عن سبب موقفه النبيل الّذي فسّره الناس تفسيرات مختلفة يخاطب ملكة بريطانية: «إنني لم أفعل إلا ما تُوجبه عليَّ فرائض الدين ولوازم الإنسانية».

منحته الدول الأوروبية الأوسمة الفخرية وكلها من المرتبة الأولى، فنال وسام الجوقة الفرنسي، ووِسام صليب النسر الأبيض الروسي، ووِسام صليب النسر الأسود البروسي، ووِسام صليب المخلّص اليوناني. وأهدت إليه ملكة بريطانية بندقية مرصّعة بالذهب.

ومدحه الخطباء والشعراء، ومنهم الشاعر أمين الجندي:

إليك، انتهى المجد الرفيع المؤثَل ... وعنك؛ أحاديث المكارم، تنقل
تفرّدت في الآفاق، بالسؤدد، الذي ... على فضله، بين الأنام؛ المعوّل
سموتَ سموّ البدر، في برج عزّه ... ونورك للأكوان - مولاي - يشمل
ألست ابن سلطان الرجال!! ومَن له ... على كلّ قطبٍ في الوجود، التفضّل
أما أنتَ من آل النبيّ، كدرّةٍ ... تجلّ، فلا يجري عليها التمثّل؟
أما أنت كشاف الكروب، عن الورى؟! ... ومنجدهم، إن حلّ خطب، ومعضل؟!
حماك؛ غدا للناس آية كعبةٍ ... فما عنه للعافين - يوماً - تنقّل
وموردك السامي؛ صفا عن كدورةٍ ... فمنه ذوو الآمال؛ بالبشر، تنهل
ظهرت بأوصاف الكمال، وإنما ... لديك؛ انطوى ما بعضه اللبّ؛ يذهل
ومَن ظنّ يستوفي المديحَ أو الثنا ... عليك، إذن، عند التأمّل، يخجل!!

=

= ولا عجباً!! فالله جلّ جلاله — عليم، يرى؛ حيث الرسالة، يجعل
ملكت زمام المجد؛ فانقاد مسرعاً — إليك. وقوم حاولوه؛ فحوّلوا
ملأت قلوب الناس: لطفاً وهيبةً — وكل إذن؛ في بابه، جاءَ يجمل
جمعت الندى، للحلم. والبأسَ، للتّقى — فأنت لمن وافاك؛ ركن، ومنهل
تهاب ليوثُ الغاب، في أجماتها — سطاك. ويرجو البرَّ منك؛ المؤَمِّل
وقفتَ على سرّ الحقيقة؛ فانجلت — لديك، عروس الإنس، بالعزّ، تخجل
وأبرزت، من كنز العلوم، دقائقاً — يعزّ ـ إليها ـ عن سواك، التوصّل
حفظت بلاداً، كنتَ فيها مملَّكاً — بعزمك، دهراً، فيه ذو الحزم؛ يحلل
وحاربت قوماً، أهلَ بأسٍ وشدّةٍ — لهم بين شجعان الخليقة؛ منزل
وكنت عليهم ظاهراً، في مواقفٍ — بها؛ تقف الأفكار، عجزاً، وتخبل
أقرَّ بذا خصم، هشمت ذراعه — وهذا؛ هو الفضل، الذي ليس يجهل
وفي الشام، لما أن بغى الناس، واعتدى — على بعضهم بعض، بما ليس تقبل
نهضتَ لإخماد الفسادِ، بهمّةٍ — تزيل الرؤوس، والأسود تجندل
حقنت دماءً؛ حرّم الشرع سفكها — وصنت، من الأعراض، ما لا يحلّل
بذلت، من الأموال؛ وفراً بمثله؛ — يضنُّ سخيُّ الطبع، والمتوّل
صنيعك هذا؛ ليس يقدر قدره — ولا أحدُ ـ حقًّا ـ له يتوصّل
قصدت به مرضاة ربّك، مخلصاً — وما خاب عبد، في رضا الله؛ يعمل
ملوك الورى ـ طرًّا ـ حبتك علائماً — على شرفٍ، في حوزه، أنت أوّل
وصيتك؛ عمّ الخافقين. فلا يُرى — نكيرٌ له، في الكون، أو متأوّل
كفى أهل هذا العصر، عزًّا ورِفعةً — وجودك فيهم!! ما لذلك معدل
وحقّ لي التشريف، إذ كنت سيّدي!! — ومن أين لي ـ لولا رضاك ـ التوصّل
وجدّك، في سلمان، قال مقالةً — فقل، أنت منّي، بالقبول مجمّل
لأرفل في قومي بثوبي، كرامةً — وعزًّا. وضدّي، بالمذلّة يرفل
أقِلْ عثراتي. واتّخذني لمدحكم — هزاراً، عليه المدح في الغير، ينقل
فما كل مَن ألفى الدراري، يصوغها — عقوداً. ولا كلُّ الأقاويل، تُقبَل
وإني ـ وإن قصّرتُ ـ فالعذر واضحٌ — وما زلت عفواً منك ـ مولاي ـ أسأل
فلا زلت ملحوظاً، بعين رعايةٍ — من الله، ما سار الحجيج يهلِّل
وما بسط الداعي الأكفَّ لربّه — وما قام، في جنح الدجى، متوسِّل
وما أشرقت شمسٌ. وما هبَّت الصبا — وما خصَّ، بالتسليم، في الناس، مرسل

وكان الأمير على رغبة دائمة في التوجّه لأداء الحج وزيارة النبي ﷺ، ولم يكن يمنعه منه إلا القيام على خدمة والدته المُسِنَّة السيدة زهراء بنت محمد بن دوحة الحسني التي كان يرعاها بنفسه ويعنى بشؤونها ويتمتع بمشاهدتها ومجالستها. فلما توفيت آخر سنة 1278هـ عن ثمانين عاماً غادر دمشق في أول رجب من السنة التالية متوجّهاً إلى الديار المقدسة عن طريق مصر، =

....

=

مصطحباً معه الشيخ سليم حمزة، والشيخ عبد الغني الميداني الغنيمي. وخلال اثني عشر شهراً قضاها في مكة لم يغادر فيها حجرته إلا للذهاب إلى الحرم كان لا ينام في اليوم إلا أربع ساعات ولا يأكل فيه إلا مرة واحدة.

وفي مكة أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد الفاسي وحصل له فيها فتح كبير أشار إليه في قصيدته الرائية يمدح فيها شيخه المذكور وهي:

أمسعودُ!! جاءَ: السَّعْدُ والخيرُ واليسرُ ... وولَّت جيوشُ النحس. ليس لها ذكرُ
ليالي: صدودٍ، وانقطاعِ وجفوةٍ ... وهجران ساداتٍ، وذُكِرَ الهجرُ
فأيامها، أضحت: قتاماً ودجنةً ... لياليها؛ لا نجم يضيء، ولا بدر
فراشي فيها؛ حشوه الهمّ والضنى ... فلا التذَّ لي جنبٌ ولا التذَّ لي ظهرُ
لياليَ أُنادي ـ والفؤادُ متيَّمٌ ... ونار الجوى؛ تشوي. لما حوى الصدرُ
أمولاي!! طال الهجر. وانقطع الصبر ... أمولاي!! هذا لليل؛ وهل بعده فجر؟!
أغث ـ يا مغيث المستغيثين ـ والهاً ... ألمَّ به، من بعد أحبابه، الضرّ
أُسائِلُ كلَّ الخلق. هل من مخبّر ... يحدِّثني عنكم؟ فينعشني الخبرُ؟!
إلى أن دعتني هِمَّةُ الشيخ، من مدى ... بعيدٍ. ألا فادنُ!! فعندي لك الذخر!!
فشمَّرْتُ، عن ذَيلي، الإزار. وطار بي ... جناحُ اشتياقٍ، ليس يخشى له كَسْرُ
وما بعدت عن ذا المحبّ، تهامة ... ولم يثنه سهل ـ هناك ـ ولا وعر
إلى أن أنخنا، بالبطاح، ركابنا ... وحطّ بها رحلي. وتمَّ لها البشر
بطاح؛ بها البيت المعظّم، قبلةً ... فلا فخر؛ إلا فوقه، ذلك الفخر
بطاح؛ بها الصيد الحلال محرَّم ... ومَن حلَّها؛ حاشا يبقى له وِزر
أتاني مربّي العارفين، بنفسه ... ولا عجب!! فالشأن أضحى له أمر
وقال: فإني منذ أعداد حجَّةٍ ... لمنتظرٌ لقياك. يا أيها البدر!!
فأنت بنيَّتي، مذ (ألست بربكم) ... وذا الوقت ـ حقًّا ـ ضمّه اللوح والسطر
وجدّك قد أعطاك، من قدم، لنا ... ذخيرتكم فينا. ويا حبذا الذخر!!
فقبّلت مِن أقدامه وبساطه!! ... فقال لك البشرى!! بذا قُضِيَ الأمر
وألقى على صفري بإكسير سرّه ... فقيل له: هذا هو الذهب التبر!!
وأعني به: شيخ الأنام. وشيخ مَن ... له عمّة، ذي عذبةٍ، وله الصدر
عياذي، ملاذي، عُمدتي، ثم عُدّتي ... وكهفي؛ إذا أبدى نواجذه الدهر
غياثي من أيدي العداة. ومنقذي ... منيري، مجيري، عندما غمّني العمر
ومحيي رفاتي؛ بعد أن كنت رمّةً ... وأكسبني عمراً. لعمري؛ هو العمر
محمد الفاسي، له مِن محمّد ... صفِّي الإلٰه، الحالُ، والشيم الغرّ
بفرضٍ وتعصيب؛ غدا إرثه له ... هو البدر، بين الأوليا، وهم الزهر
شمائلُه؛ تغنيك، إن رمت شاهداً ... هي الروض. لكن؛ شقّ أكمامه القطر
تضوّع طيباً، كلّ زهرٍ بنشره ... فما المسك؟ ما الكافور؟ ما النّد؟ ما العطر؟!

=

= وما حاتمٌ، قل لي. وما حلم أحنف؟ ... وما زهدُ إبراهيم أدهم؟ ما الصبر؟!
صفوح؛ يغضّ الطرف، عن كلّ زلّةٍ ... لهيبته؛ ذلّ الغضنفر، والنمر
هشوش، بشوش، يلقى بالرحب، قاصداً ... وعن مثل حبّ المزن؛ تلقاه يفترّ
فلا غضبٌ ـ حاشا ـ بأن يستفزّه ... ولا حدّةً، كلا، ولا عنده ضرّ!!
لنا منه صدرٌ؛ ما تكدّره الدّلا ... ووجهٌ طليقٌ، لا يزايله البشر
ذليلٌ لأهل الفقر. لا عن مهانةٍ ... عزيزٌ. ولا تيهٌ لديه، ولا كبر
وما زهرةُ الدنيا، بشيءٍ له ترى؟ ... وليس لها ـ يوماً ـ بمجلسه نشر؟!
حريصٌ هلى هدي الخلائق، جاهدٌ ... رحيمٌ بهم، برٌّ، خبيرٌ، له القدر
كساه رسول الله ثوبَ خلافةٍ ... له: الحكم، والتصريف، والنهي، والأمر
وقيل له: إن شئت قل: قدمي علا ... على كل ذي فضلٍ، أحاط به العصر
فذلك فضلُ الله؛ يؤتيه مَن يشا ... وليس على ذي الفضل حصرٌ، ولا حجر
وذا ـ وأبيك ـ الفخر. لا فخر مَن غدا ... وقد ملك الدنيا، وساعده النصر
وهذا كمالٌ؛ كَلَّ عن وصف كنهه ... فمَن يدَّعي هذا؛ فهذا هو السر
أبو حسنٍ، لو قد رآه؛ أحبّه ... وقال له: أنت الخليفة: يا بحر!!
وما كلُّ شهمٍ، يدّعي السبق صادق!! ... إذا سيق للميدان؛ بأن له الخسر
وعند تجلّي النقع؛ يظهر مَن علا ... على ظهر جردبلٍ، ومَن تحته حمر
وما كل مَن يعلو الجواد بفارس ... إذا ثار نقعُ الحرب. والجوّ مغبرُّ
فيحمي ذماراً، يومَ لا ذو حفيظة ... وكلّ حماة الحيّ، مِن خوفهم، فرّوا
ونادى ضعيف الحيّ. مَن ذا يغيثني؟! ... أما من غيور؟! خانني الصبر والدهر
وما كلُّ سيفٍ ذو الفقار، بحدّه ... ولا كل كرّار عليًّا؛ إذا كرّوا
وما كلُّ طيرٍ، طار في الجوّ، فاتكاً ... وما كل صيّاح ـ إذا صرصر ـ؛ الصقر
وما كلُّ مَن يسمى بشيخٍ، كمثله ... ولا كلُّ مَن يدعى بعمروٍ؛ إذن عمرو
وذا مثلٌ للمدَّعين. ومَن يكن ... على قدم صدقٍ؛ طبيباً له خبر
فلا شيخ؛ إلا مَنْ يخلص هالكاً ... غريقاً، ينادي: قد أحاطَ بيَ المكر
ولا تسألنْ مِن ذي المشائخ، غير مَن ... له خبرةً، فاقتْ. وما هوَ مغترُّ
تصفّح أحوالَ الرِّجالِ مجرِّياً ... وفي كلِّ مصرٍ. بل وقطرٍ؛ له أمر
فأنعمْ بمصر؛ ربَّت الشَّيخَ يافعاً ... وأكرمْ بقطرٍ؛ طارَ منهُ لهُ ذكر
فمكَّة ذي، خيرُ البلادِ، فديتها ... فما طاولتها الشَّمسُ ـ يوماً ـ ولا النِّسر
بها كعبتانِ: كعبة؛ طافَ حولها ... حجيجُ الملا. بلْ ذاك عندهم الظفر
وكعبة حجاج الجناب، الذي سما ... وجلَّ؛ فلا ركنٌ لديهِ، ولا حجر
وشتّانَ ما بينَ الحجيجينِ عندنا ... فهذا لهُ ملكٌ. وهذا لهُ أجر
ويلقي إليه نفسَهُ، بفنائه ... بصدقٍ؛ تساوى عندهُ السرُّ والجهر
فيلقى مناخَ الجودِ والفضلِ؛ واسعاً ... ويلقى فراتاً؛ طابَ نهلاً فما القطر =

....

=

ويلقى رياضاً؛ أزهرتْ بمعارفٍ ... فيا حبَّذا المرأى!! ويا حبَّذا الزّهر!!
ويلقى جناناً؛ فوقَ فردوسها العلا ... وما لجنانِ الخلدِ. إن عبَّقتْ؛ نشر!!
ويشربُ كأساً صرفةً من مدامةٍ ... فيا حبَّذا كأسٌ!! ويا حبَّذا خمر!!
فلا غولَ فيها. لا، ولا عنها نزفةٌ ... وليسَ بها بردٌ. وليسَ بها حرُّ!!
ولا هوَ بعدَ المزجِ؛ أصفرُ فاقعٌ ... ولا هوَ قبلَ المزجِ؛ قانٍ ومحمَّر
مُعتَّقةٌ مِن قَبلِ كسرى، مصونةٌ ... وما ضمَّها دنٌّ. وما نالها عصر
ولا شأنها زقٌّ. ولا سارَ سائرٌ ... بأحمالها. كلّا؛ ولا نالها نجر
فلو نظرَ الأملاكُ ختم إنائها ... تخلَّت عنِ الأملاكِ ـ طوعاً ـ ولا قهر
ولو شمَّتِ الأعلامُ في الدَّرسِ، ريحها ... لما طاشَ، عن صوبِ الصَّوابِ، لهم فكر
فيا بُعدَهم، عنها! ويا بئسَ ما رضوا!! ... فقصدُهُم قصدٌ. وسيرهُم وزر
هيَ العلمُ، كلُّ العلمِ. والمركز، الذي ... بهِ كلُّ علمٍ، كلّ حينٍ، لهُ دور
فلا عالمٌ؛ إلا خَبيرٌ بشربها ... ولا جاهلٌ؛ إلا جهولٌ به غرّ
ولا غبن في الدُّنيا. ولا من رزيئةٍ ... سوى رجلٍ، عن نيْلِها، حظّهُ نزر
ولا خُسرَ في الدنيا. ولا هوَ خاسرٌ ... سوى والهٍ. والكفُّ من كأسها صفر
إذا زمزمَ الحادي بذكرِ صفاتها ... وصرّحَ ما كنّى. ونادى نأى الصَّبر!!
وقال: اسقني خمراً. وقلْ لي: هيَ الخمرُ ... ولا تسقني سرًّا، إذا أمكنَ الجهر
وصرِّحْ بمنْ تهوى، ودعني مِنَ الكنى ... فلا خيرَ في اللذاتِ؛ مِنْ دونها ستر
ترى ذائقيها: منها؛ هامتْ عقولهمْ ... ونازَلهمْ بسطٌ. وخامَرهمْ سكر
وتاهوا!! فلم يدروا مِنَ التِّيهِ؛ مَن هُم!! ... وشمس الضُّحى، من تحتِ أقدامهم، عفر
وقالوا: فمَن يرجى من الجونِ غيرنا؟! ... فنحنُ ملوكُ الأرضِ. لا البيضُ والحمرُ
تميدُ بهمْ كأسٌ. بها قد تولَّهوا ... فليسَ لهمْ عرفٌ. وليسَ لهم نكرُ
حيارى!! فلا يدرونَ أينَ توجَّهوا!! ... فليسَ لهم ذكرٌ!! وليسَ لهم فكر!!
فيطربهم برقٌ، تألَّق بالحمى ... ويرقصهم رعدٌ؛ بسلعٍ لهُ زأر
ويسكرُهم طيبُ النّسيم؛ إذا سرى ... تطنُّ بهم سحراً. وليسَ بهم سحر!!
وتبكيهم ورق الحمائم، في الدّجى ... إذا ما بكتْ: مَنْ ليس يدري له وكر
بحزنٍ وتلحينٍ؛ تجاوبتا بما ... تذوبُ لهُ: الأكبادُ والجلمدُ الصّخر
وتسبيهم غزلانٌ رامةَ؛ إنْ بدت ... وأحداقها بيضٌ. وقاماتها سمر
وفي شمِّها ـ حقًّا ـ بذلنا نفوسنا ... فهانَ علينا كلُّ شيءٍ. له قدر
ومِلنا عنِ الأوطانِ، والأهلِ جملةً ... فلا قاصرات الطَّرف، تثني. ولا القصر!!
ولا عن أُصيحاب الذّوائب. مَن غدت ... ملاعبهم منّي؛ التّرائب والنّحر
هجرنا لها الأحقابَ، والصّحب كلّهم ... فما عاقنا زيدٌ. ولا راقنا بكر!!
ولا ردَّنا عنها العوادي، ولا العدى ... ولا هالنا قفرٌ. ولا راعنا بحر!!
وفيها حلا لي الذلُّ، من بعد عزَّةٍ ... فيا حبَّذا هذا!! ولو بدؤه مرُّ!!

=

= وذلك؛ من فضل الإلٰه، ومنّه ... عليّ. فما للفضل عدٌّ، ولا حصر
وقد أنعم الوهّاب ـ فضلاً ـ بشربها ... فلله، حمدٌ دائمٌ، وله الشُّكر
فقل لملوك الأرض: أنتم وشأنكم ... فقسمتكم ضئزى. وقسمتنا كثر!!
خذ الدُّنيا والأخرى. أباغيهما!! معاً ... وهاتِ لنا كأساً. فهذا؛ لنا وفر
جزى الله عنّا شيخنا؛ خيرَ ما جزى ... به هادياً. فالأجرُ منه، هو الأجر
أمولاي!! إنّي عبد نعمائك، التي ... بها؛ صار لي كنزٌ، وفارقني الفقر
وصرتُ مليكاً؛ بعدما كنتُ سوقةً ... وساعدني سعدٌ. فحصباؤُنا درُّ
أمولاي!! إنّي عبدُ بابك. واقفٌ ... لفيضك محتاجٌ. لجدواكَ مضطرٌّ
فمرْ: أمرَ مولًى للعبيد. فإنّني ... أنا العبدُ، ذاكَ العبدُ، لا الخادم الحرُّ
هنيئاً لنا. يا معشر الصّحبِ!! إنّنا ... لنا حصنُ أمنٍ؛ ليس يطرقه ذعر
فنحن بضوء الشَّمسِ. والغير في دجًى ... وأعينهم عميٌ، وآذانهم وقر
ولا غروَ في هذا!! وقد قال ربُّنا: ... تراهم عيونٌ ينظرون؛ ولا بصر!!
وغيما السما، مهما سما؛ هانَ أمرُه ... فليس يرى؛ إلا لمن ساعد القدر
ألا فاعملوا ـ شكراً ـ لمن جاد، بالذي ... هدانا. ومِن نعمائه؛ عمّنا اليسر
وصلّوا على خير الورى، خير مرسلٍ ... وروح هذا الخلق ـ حقًّا ـ وهم ذرّ
عليه صلاة الله: ما قال قائلٌ: ... أمسعود!! جاءَ: السعد، والخير، واليسر

الأمير والتصوف

توغّل الأمير في آخر عمره بالتصوّف وعلوم القوم، وأظهر من الرقائق والمعارف ما أشار إلى سموّ مقامه ورفيع قدره.

وتنقسم حياته الصوفية إلى ثلاث مراحل:

الأولى: هي المرحلة التي سافر فيها إلى دمشق مع والده وأخذ عن علمائها وتلقّى الطريقة النقشبندية فيها عن الشيخ خالد النقشبندي، والطريقة القادرية التي يتلقّاها ببغداد عن الشيخ محمود الكيلاني القادري. وبعد ذلك رجع إلى الجزائر فأنشأ مراكز في القرى وبين القبائل لنشر الطريقة القادرية. وكان هؤلاء هم الذين غذّوا حركة الجهاد التي قام بها الأمير بعد ذلك.

الثانية: مرحلة عزلته وخلوته في مدينة أمبواز حين كان سجيناً، إلى هذا أشار في كتابه المواقف (الموقف 211).

الثالثة: هي المرحلة التي تمّ له فيها الترقّي الصوفي، وصل إليها في مجاورته بمكة المكرمة سنة 1279هـ كما ذكرنا حيث أقبل على العبادة والخلوة، والتقى بالشيخ محمد الفاسي الذي أعطاه الطريقة الشاذلية.

مؤلفات الأمير عبد القادر

ترك الأمير عبد القادر الجزائري مؤلفات عدة منها:

ـ إجابات الأمير عبد القادر (وهي أسئلة من بعض علماء عصره عن إشكالات بعض عبارات =

....

= الصوفية كقول الغزالي مثلاً : ليس في الإمكان أبدع مما كان).
- رسالة في الحقائق الغيبية (وهي شرح البيتين المشهورين التاليين على المشرب الصوفي :

رأت قمر السماء فأذكرتني ... ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن ... رأيت بعينها ورأت بعيني

- رسالة في شرح سورة التكوير (على الطريقة الصوفية).
- المواقف الروحية والفيوضات السبوحية وهو أشهر كتبه؛ فسّر به بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تفسيراً مزجه بالفقه والتاريخ بأسلوب صوفي، وكان يلقي مواقفه في مجالسه الخاصة. ثم اقترح عليه الشيخ عبد الرزاق البيطار أن يدوِّن ذلك ويسجِّله، وهذا الكتاب مطبوع في الدار بتحقيقنا.
- تعليقات على حاشية جدّه عبد القادر (في علم الكلام).
- الصافنات الجِياد (في محاسن الخيل وصفاتها).
- ذكرى العاقل وتنبيه الجاهل (كتاب في الأخلاق والشريعة).
- المقراض الحادّ لقطع لسان أهل الباطل والإلحاد.

وله منظومات وأشعار منها :
- القصيدة التي أشرنا إليها في مدح شيخه الفاسي بمكة المكرمة.
- قصيدتان على لسان أهل الله.
- ديوان شعر (وفيه قصائد متنوعة المعاني).

من صفات الأمير عبد القادر كان رجلاً معتدل القامة، عظيم الهامة، ممتلىء الجسم، أبيض اللون، مُشرباً بحمرة، أسود الشعر، كثّ اللحية، أقنى الأنف، أشهل العينين، يخضب بالسواد.

وكان عاكفاً على شهود صلاة الجماعة في أوقاتها يلازم صلاة الفجر في المسجد القريب من داره بحيّ العمارة (زقاق النقيب) لا يتخلّف عن ذلك إلا لمرض.

كثير التهجّد والخلوات، كثير الصدقات، يبرّ العلماء والصالحين، والفقراء برواتب شهرية، وينتصب لقضاء حوائج العباد، عاملاً بتقوى الله في السرّ والعَلَن، يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب، ويعتزل خلاله الناس كلهم، وكانت له خلوة يتحنّث فيها بقصره في دمر.

كان الأمير حليماً زاهداً ورعاً، وله مواقف إنسانية ذكرنا بعضها وخاصّة في حادثة الستّين سنة 1276هـ/ 1860م. وكان معظّماً عند ملوك البلاد الأوروبية، وكانوا يطلبون صورته ويرغبون أن يكتب عليها بخطه فكان يكتب أحياناً هذه الأبيات :

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري ... فليس يُريك النظم صورتنا العظمى
فثم وراء الرسم شخص محجب ... له همّة تعلو بأخمصها النجما
وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ... ولكنه بالفضل والخلق الأسمى
وإن جمعت للمرء هذي وهذه ... فذاك الذي لا يبتغي بعده نعما

وكان الناس يلجؤون إليه في حلّ مشكلاتهم وخصوماتهم فيصلح بينهم ويرتضون أحكامه، وكان يعطي من ماله إذا ما تبيّن له عجز الذي يحكم عليه عن الأداء، وكان يهب الشّبّان مُهُوراً =

ومن حيث روحه الذي هو روح الأرواح؛ فإنَّ حقيقته ﷺ هي الرحمة التي وسعت كل شيء، وعمت هذه الرحمة حتى أسماء الحق تعالى من حيث ظهور آثارها ومقتضياتها بوجود هذه الرحمة؛ وهذه الرحمة هي أول شيء فتق ظلمة العدم، وأول صادر عن الحق تعالى بلا واسطة، وهي الوجود المفاض على أعيان المكونات. وقد ورد في الخبر: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[1].

ولهذه الحقيقة المحمدية أسماء كثيرة باعتبار كثرة وجوهها واعتباراتها، وأذكر

=

للزواج، وقد يتوسّط الأهالي لديه للعفو عن مسموع المحكومين فما كان يردّ الرجاء إذا جاءه مَن يكفل المحكوم ويضمن توبته، فكان مسموع الكلمة لا يردّ له الولاة طلباً، ويتقرّبون إليه بتنفيذ ما يشير به. واعتاد الفقراء أن يتقصدوه لتجهيز موتاهم، وعيّن مخصصات للفقراء تُعطَى إليهم أيام الجمعة، ومنها الخبز الذي يُوَزَّع على مئات الأُسَر المُعْدَمَة طوال شهر رمضان.

أحبّه أهل دمشق وعلماؤها وأعيانها وأجمعوا على تقديمه حتى قال له الشيخ عبد الرزاق البيطار يخاطبه يوماً: «نحن أهل دمشق نعدّ أن نِعَم الله علينا عظيمة وكثيرة في هذه البلدة وقد زادنا جَلَّت عظمته من فضله أن جعل إقامتك فيها فأفادنا من علومك ومعارفك».

وكان بيته في دمشق مركز اجتماع أعيانها لمناقشة المسائل الهامة وموئل العلماء، وكانت له فيه جلسة خاصة من كبارهم يفسّر فيها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وأقوال السّلف الصالح رضي الله عنهم على طريقته الخاصة التي أعجبت الكثيرين فرجوه أن يسجل آراءه في كتاب فكان كتابه (المواقف الروحية والفيوضات السبوحية). وكان من أقرب المقرّبين إليه من العلماء الشيخ محمد الطنطاوي، والشيخ محمد الطيب، والشيخ محمد الخاني، والشيخ عبد الرزاق البيطار، وقال هذا الأخير في كتابه (الحلية): «حضرت عليه مع مَن حضر كتاب (فتوحات الشيخ الأكبر) و(رسالة عقلة المستوفز له) وكتاب (المواقف) للأمير وهو كتاب كبير في الواردات التي وردت عليه ونسبت إليه، وكنّا لا يرِد علينا إشكال من آية أو حديث أو غير ذلك إلا وأجاب عنه بأحسن جواب بفتح الملك الوهّاب، وكان في كل مدة قليلة يدعونا إلى بعض محلاته خارج البلد، فكان يُدخِل علينا كل سرور ويُفرِغ علينا كل حبور، وفي كل سنة في أيام الصيف يخرج إلى قصره في أرض دمر، فكان يأمرني بالخروج معه ولا زلت ملازماً له إلى أن توفي».

وفاته

وافاه الأجل بدمشق في منتصف ليلة 19 رجب 1300هـ/ 24 من مايو 1883م عن عمر يناهز 76 عاماً، وقد دفن بجوار الشيخ محيي الدين بن عربي بالصالحية. وترك الأمير بعده زوجته ابنة عمه أُم البنين وعشرة أبناء ذُكُور وهم الأمراء محمد باشا ومحيي الدين باشا وإبراهيم والهاشمي وأحمد وعبد الله باشا وعلي باشا وعمر وعبد الرزاق وعبد الملك وستّ بنات وثلاث جَوَارٍ جركسيات وجارية حبشية. وفي سنة 1388هـ/ 1968م رغبت حكومة الجزائر وبعد سبع سنوات من استقلالها بنقل رُفات الأمير إلى الجزائر، فتمّ ذلك في احتفال رسمي مهيب.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

طرفاً منها ليكون أنموذجاً لما لم أذكره، فإنَّ كثيراً من الناس الذين يطالعون كتب القوم رضوان الله عليهم حين يرون هذه الأسماء الكثيرة يظنون أنها المسميات متعددة، وليس الأمر كذٰلك، وإنما هي مثل: السيف والصارم والقضيب والهندواني والأبيض والصقيل والمحدد ونحو ذٰلك لمسمى واحد. . . منها «التعين الأول» للحق تعالى.

ولذا قيل في حد الحقيقة المحمدية: إنَّها «**الذات مع التعين الأول**»، ومنها «**القلم الأعلى**»، ومنها «**أمر الله**»، ومنها «**العقل الأول**»، ومنها «**سدرة المنتهى**»، ومنها «**الحد الفاصل**»، ومنها «**مرتبة صورة الحق والإنسان الكامل بلا تعديد**»، ومنها «**القلب**»، ومنها «**أم الكتاب**»، ومنها «**الكتاب المسطور**»، ومنها «**روح القدس**»، ومنها «**الروح الأعظم**»، ومنها «**التجلي الثاني**»، ومنها «**حقيقة الحقائق**»، ومنها «**العماء**»، ومنها «**الروح الكلي**»، ومنها «**الإنسان الكامل**»، ومنها «**الإمام المبين**»، ومنها «**العرش الذي استوى عليه الرحمٰن**»، ومنها «**مرآة الحق**»، ومنها «**المادة الأولى**»، ومنها «**المعلم الأول**»، ومنها «**نفس الرحمٰن**»، بفتح الفاء، ومنها «**الفيض الأول**»، ومنها «**الدرة البيضاء**»، ومنها «**مرآة الحضرتين**»، ومنها «**البرزخ الجامع**»، ومنها «**واسطة الفيض والمدد**»، ومنها «**حضرة الجمع**»، ومنها «الوصل»، ومنها «**مجمع البحرين**»، ومنها «**مرآة الكون**»، ومنها «**مركز الدائرة**»، ومنها «**الوجود الساري**»، ومنها «**نور الأنوار**»، ومنها «**الظل الأول**»، ومنها «**الحياة السارية في كل موجود**»، ومنها «**حضرة الأسماء والصفات**»، ومنها «**الحق المخلوق به كل شيء**». . . إلى غير ذٰلك مما يطول ذكره.

ثم فسر الأمير عبد القادر هذه الأسماء على قاعدة الصوفية، وها أنا أذكر منه هنا ما قدرت على فهم بعضه، قال رضي الله عنه.

أما وجه تسميته ﷺ بسدرة المنتهى، فلأنه هو البرزخية الكبرى التي ينتهي إليها سير الكمل وأعمالهم وعلومهم، وهي نهاية المراتب الأسمائية.

وأما وجه تسميته ﷺ بالقلب، فلمعان كثيرة منها: أنَّه لباب العالم وزبدة الموجودات أعاليها وأدانيها، وقلب الشيء خلاصته؛ ومنها: أنه سريع التقلب كما قال كلمح بالبصر، ومنها أنه قلب دائرة الوجود ونقطتها.

وأما وجه تسميته ﷺ بالعقل الأول، فلأنه أول من عقل عن الحق تعالى أمره بقوله: كن أوجده تعالى لا في مادة ولا مدة عالماً بذاته، علمه ذاته لا صفة له، فهو

تفصيل علم الإجمال الإلٰهي. وقد ورد في خبر: «**أول ما خلق الله العقل**»[1].

وأما وجه تسميته ﷺ بأم الكتاب، فلأن الوجود مندرج فيها اندراج الحروف في الدواة، ولا تسمى الدواة باسم شيء من أسماء الحروف، وكذلك أم الكتاب لا يطلق عليها اسم الوجود ولا العدم، فلا يقال إنها حق ولا خلق، ولا عين ولا غير، لأنَّها غير محصورة حتى يحكم عليها بحكم، ولكنها ماهية لا تنحصر بعبارة إلاَّ ولها ضد تلك العبارة من كل وجه، وهي محل الأشياء، ومصدر الوجود.

فالكتاب هو الوجود المطلق، وهذه الحقيقة كالذي تولد الكتاب منها، فليس الكتاب إلاَّ أحد وجهي هذه الحقيقة، إذ الوجود أحد وجهيها، والعدم هو الوجه الثاني؛ فلهذا ما قبلت العبارة بشيء، لأنه ما فيها وجه إلا وهي ضده.

وأما وجه تسميته ﷺ بروح القدس، فلأنه الروح القدس عن النقائص الكونية، فهو روح لا كالأرواح. وأما وجه تسميته ﷺ بالروح الأعظم، فلأنه روح الأرواح، إذ الأرواح الجزئية لكل صورة جسمية أو روحية أو عقلية أو خيالية أو مثالية، إنما هي فائضة منه ﷺ.

وأما وجه تسميته ﷺ بحقيقة الحقائق، فلأن كل حقيقة إلٰهية أو كونية إنما تحققت به، إذ هذه الحقيقة لا تتصف بالحقية ولا بالخلقية، فهي ذات محض لا تضاف إلى مرتبة، فلا تقتضي لعدم الإضافة وصفاً ولا اسماً، ولذا قال إمامنا محيي الدين: المعلومات ثلاثة: الحق تعالى والعالم، ومعلوم ثالث لا يوصف بالوجود ولا بالعدم، ولا بالحق ولا بالخلق، ولا بالحدوث ولا بالقدم، ولا بالوجوب ولا بالإمكان. فإذا وصف به الحق فهو حق، وإذا وصف به الخلق فهو خلق، وإذا وصف به القديم فهو قديم، وإذا وصف به الحادث فهو حادث وهكذا.

وأما وجه تسميته ﷺ بالنور، فلأَنَّه ورد: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[2].

والنور نوران، نور الحق وهو الغيب المطلق القديم، ونور العالم المحدث وهو نور محمد ﷺ الذي خلقه الله من نوره، وخلق كل شيء منه، فهو كل شيء من حيث الماهية، وكل شيء غيره من حيث الصورة. كما أنَّه نور الحق من حيث الماهية، وغير

(1) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ذكر حديث الأوائل، عن عائشة حديث رقم (4) [1/ 13].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

نور الحق من حيث الصورة. ورد في بعض الأخبار: «**أنا من ربي والمؤمنون مني**»[1].

وإنما خص المؤمنين للتشريف، وإلاَّ فكل الخلق منه مؤمنهم وكافرهم، ولهذا كان الكمل يشهدونه في كل شيء على الدوام، حتى قال المرسي رضي الله عنه: لو احتجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين. فالمراد بعدم الاحتجاب دوام شهود سريان حقيقته في العالم كله لا شخصه الشريف.

قال الأمير عبد القادر رضي الله عنه: وإني أيام مجاورتي بالمدينة المشرفة كنت ليلة في صلاة الوتر قرب الحجرة الشريفة، فطرأ عليَّ حال، فسالت دموعي، واشتعلت نار محبة رؤيته ﷺ في قلبي، فقال لي في الحين: «**أَلست تراني في كل شيء؟**» فحمدت الله، ولا يفهم مما ذكرناه حلول وتجزئة. ولا جزئية، فإنَّ معنى إيقاد سراج من نور سراج آخر أنَّ الأول أثر في الثاني، فظهر الثاني على صورة الأول، بل الثاني عين الأول ظهر في فتيلة ثانية من غير انتقال عن الأول وهذا غاية ما قدر عليه أهل الوجدان في التفهيم، فافهم السر واحذر الغلط. وإذا عرفت، فاحمد الله، وإلاَّ آمن به على مراد أهله وذوقهم، فإنهم الفرقة الناجية.

وأما وجه تسميته ﷺ بمرآة الكون، فلأن الأكوان وأحكامها وأوصافها لم تظهر إلاَّ فيه، وهو مختف بظهورها كما تختفي المرآة بظهور الصور فيها.

وأما وجه تسميته ﷺ بمجمع البحرين، فلأنَّه مجمع بحري الوجوب والإمكان، أو باعتبار اجتماع الأسماء الإلٰهية والحقائق الكونية فيه.

وأما وجه تسميته ﷺ بالمادة الأولى، أي هيولي الكل، فلأنَّه أول مخلوق تعين من الحضرة الغيبية، وتفصل منه جميع ما في العالم الكبير والصغير من جليل وحقير، فهو هيولي العالم، أي المادة المتقدمة على الموجودات التي هي موجودة في كل الموجودات، ولا تخلو عنها صورة في العالم، كما تقول الفلاسفة في الهيولي، وهي الجوهر الذي تتركب منه الأجسام عندهم، لأنَّ الله خلق الأشياء.

منها ما خلقه من غير سبب متقدم عليه في الإيجاد وليس إلاَّ المادة الأولى التي ظهرت عن حضرة اللاتعين وجعلها سبباً لجميع المخلوقات.

وأما وجه تسميته ﷺ بالعرش الذي استوى عليه الرحمٰن؛ فلأنَّه مظهر لجميع الأسماء من جلال وجمال، فاستوى عليه كما يعلم لا كما نعلم نحن، ولأنَّ العرش محيط

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

بالعالم في قول، أو هو جملة العالم في قول؛ والمخلوق الأول وهو الحقيقة المحمدية يشبه العرش من وجه الإحاطة. وقد ورد في خبر «**أول ما خلق الله العرش**»[1].

وأما وجه تسميته ﷺ بمركز الدائرة، فالمراد بالدائرة الأكوان كلها، والمركز هو القطب الذي تدور عليه، كقطب الرحى الذي هو ماسك لها، ولولا استقامته ما استقامت على وزن واحد، فلأنَّهم نظروا إلى كل خط يخرج من النقطة إلى المحيط، فالنقطة هي محط فخذ البيكار الأول، والمحيط هو محط فخذ البيكار الثاني، وله شعبتان لحمل المداد الذي تكون عنه صورة الدائرة، لكنه لا يدور إلاَّ على الفخذ الأول الراكز على أمر واحد من غير استدارة ولا مداد فيه، لكنه يمد ما فيه المداد بالاستقامة على حركته الدورية، فلهذا يخرج كل خط مساوياً لصاحبه الذي قبله والذي بعده، لأنَّ الدائرة كلها نقط وخطوط متصل بعضها ببعض.

فنقطة المركز تقابل كل نقطة من نقط الدائرة بكلها. وكل نقطة من نقط الدائرة هي عين نقطة المركز باعتبار انفرادها ومقابلتها إياها، فهي محيطة بكل نقطة من هذا الوجه، وليست هي نقطة من نقط الدائرة باعتبار استدارتها واتصالها بما قبلها وبما بعدها، فهي من هذا الوجه مغايرة لكل نقطة؛ فاعتبر ذلك في الحق تعالى، فالدائرة دائرة الأكوان واتصال بعضها ببعض، والمركز إشارة إلى سكون الأمر، وهو الحقيقة المحمدية تحت القضاء والقدر، وتنفيذها ما أراد الله بعباده.

وأما وجه تسميته ﷺ بالوصل، فلأنَّه يصل الأشياء بعضها ببعض حتى تتحد، ولأنَّه الواصل بين البطون والظهور.

وأما وجه تسميته ﷺ بالفيض الأول، فلأنَّ الحق تعالى أبرزه من حضرته قبل كل شيء وأفاضه على عين كل شيء، فظهر كل شيء ممتداً منه بسبب فيضانه عليه. وحملهم على هذه التسمية أنَّهم رأوا الأجسام بيوتاً مظلمة؛ فإذا غشيها نور الحقيقة المحمدية أشرقت واستنارت بالأنوار المفاضة من هذه الحضرة التي هي من حضرات الحق تعالى.

وأما وجه تسميته ﷺ بالدرة البيضاء؛ فلأنَّه محل تجلي الحقيقة الإلٰهية والتجلي في الشيء الصافي الذي ما خالطه شيء من الأدناس أقوى وأوفى ما يكون، وقد ورد

(1) أورده اللكنوي في الآثار المرفوعة، ذكر بعض القصص المشهورة [1/ 43] والمقدسي في البدء والتاريخ، في ذكر ابتداء الخلق [1/ 147].

في خبر: «**أول ما خلق الله درة بيضاء**»[1]. والحديث بطوله.

وأما وجه تسميته ﷺ بمرآة الحضرتين، فلأنَّه محل ظهور حضرة الوجوب بظهور الأسماء والصفات جميعها فيه، ومحل ظهور حضرة الإمكان بظهور الممكنات كلها صورها وأوصافها وأحكامها فيه.

وأما وجه تسميته ﷺ بالعلم الأول، فباعتبار أنَّه أول موجود ظهر من الغيب باعتبار نشأته الباطنة، وهو الروح الكل، وأول معلم ظهر في الإرشاد باعتبار نشأته الظاهرة، فعلم الملائكة الأسماء كلها؛ وما علم الأسماء إلاَّ من نفسه بأن كشف الحق له عن ذاته، فوجدها مجموع الأسماء. فالحقيقة المحمدية مجموع صورة آدم الظاهرة والباطنة.

وإنـــي وإن كـــنـــت ابـــن آدم صـــورة فـلـي فـيـه مـعـنـى شـاهـد بـأبـوتـي[2]

وأما وجه تسميته ﷺ بالإمام المبين، فلأنَّه فصل الموجودات وبين أعيانها بظهوره فيها، كما بين الحبر الحروف والكلمات.

وأما وجه تسميته ﷺ بالروح الكلي، فلأنَّه مشتق من الريح وحكمة المناسبة أنَّ الريح ليست له صورة يعرف بها، إلاَّ من حيث مروره على الأشياء فيحركها، وكذلك الروح يهب من مطلع الأحدية إلى مرتبة الأسماء والصفات، فيحمل منها العلوم والأسرار، وينزل إلى عالم العناصر والصور والأعيان المفصلة، فيحركها على حسب قوابلها واستعداداتها، وينفذ الروح فيها ذلك على حسب مراد الله تعالى، إذ هو أمر الله القائم على جميع الخلق كلمح البصر، والروح بتردد دائماً بين شعاعه، أي أثر نوره الصادر عنه كصدور الشعاع الصادر من قرص الشمس، والمراد بالشعاع الصادر عن الروح العقل والنفس وسائر القوى الروحانية... وبين ضيائه أي نوره الكلي الذي هو الأصل كقرص الشمس، والمراد به هنا وجود الحق المحيط بالروح الكل، فلذلك نقول: الروح له وجهان؛ وجه إلى أصله وهو الحق، ووجه إلى فرعه وهو الخلق؛ فيأخذ الأمر من الحق ويكتبه بقلم العقل في لوح النفس، فتقرؤه الأعضاء أقوالاً وأعمالاً.

وإنما قيل فيه: كلي. لأنَّه قائم على جميع الصور ومحيط بها، فأهل الله ينظرون

---

(1) هذا الخبر سبق تخريجه.

(2) سبقت الإشارة إلى هذا البيت وأنه أحد أبيات تائية سلطان العاشقين عمر بن الفارض قدّس سرُّه.

بعلمهم فيجدون العالم أرواحاً مقدسة وأسراراً مستترة.

وأما وجه تسميته ﷺ بالوجود الساري، فلأنَّه لولا سريان الوجود الحق في الموجودات بالصورة التي هي منه، وهي الحقيقة المحمدية ما كان للعالم ظهور، ولا صح وجود لموجود لبعد المناسبة وعدم الإرتباط، فما صح نسبة الوجود للموجودات إلاَّ بواسطة هذه الحقيقة.

وأما وجه تسميته ﷺ بالإنسان الكامل، فلأنَّ كل إنسان كامل من حيث صورته الظاهرة والباطنة مظهر له وللوازمه.

وأما وجه تسميته ﷺ بالخزانة الجامعة، فلأنَّه كناية عن علم الله تعالى بأسمائه وبحقائق العالم، فكل ما خرج من الغيب فمحله هذه الخزانة الجامعة.

وأما وجه تسميته ﷺ بالصورة الرحمٰانية، فلأنَّها الصورة الظاهرة لذاتها، الحاصلة من الاجتماع الأول الأسمائي؛ فهي صورة الرحمٰن، لأنَّ مدلوله من له الرحمة العامة ولا شيء كذلك إلاَّ هذه الصورة؛ فالرحمٰن اسم لهذه الصورة الوجودية من حيث ظهوره لنفسه، كما أنَّ الله من حيث إنَّه مشتق، لا من حيث إنَّه مرتجل، اسم لمرتبة الألوهية الجامعة للحقائق.

ويكفي هذا القدر من ذكر أسماء هذه الحقيقة المحمدية لمن فهم، فإنَّها بحر لا ساحل له، ولهذا ورد في الخبر عنه ﷺ: «**لا يعلم حقيقتي غير ربي**»(1).

وقال العارف الكبير: أعجز الخلائق، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، يعني العلم بحقيقته ﷺ.

ومن جواهر الأمير عبد القادر أيضاً

[قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ... ﴿١٠﴾﴾ [الفَتْح: 10]]

قوله الموقف المائة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ﴾ [الفَتْح: 10] وذكر هنا كلاماً دقيقاً على اصطلاح الصوفية رضي الله عنهم.

ثم قال: إنَّ الحقيقة المحمدية ظهرت بالتجلي الذاتي موصوفة بجميع صفات الحق تعالى، ونسبة الإلٰهية والكونية، وفوض إليها تدبير كل شيء يوجد بعدها؛ فهي المتصرفة في معلوماته تعالى حسب إرادته ومشيئته تعالى فتستمد من العلم وتمد

(1) سبقت الإشارة إلى هذا الخبر.

الخلق، فما صدر عن الله تعالى بغير واسطة إلاَّ هذه الحقيقة، وكل ما عداها حتى العقل الأول إنَّما كان بواسطتها، وإن كان الحق تعالى له الخلق والأمر، فهي الظاهرة في الأشياء، وهي السارية في الوجود.

ومن مشاهدة سريانها في الموجودات قال: من قال يعني المرسي لو احتجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

ومن جواهر الأمير عبد القادر أيضاً

[قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1]]

قوله الموقف الواحد بعد المائة، قال تعالى: ﴿۞ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: 1] أخبر تعالى في هذه الآية أنَّه أسرى بعبده محمد ﷺ بجسده وروحه ليريه من آيات الآفاق بعد أن أراه آياته في نفسه، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فُصّلَت: 53] حتى يتبين لهم أنَّ ما رأوه هو الحق لا غيره، وهذه حالة المرادين المجذوبين المصطفين يريهم آيات الأنفس قبل آيات الآفاق خلاف المريدين.

ثم أخبر تعالى أنَّه محمداً ﷺ هو السميع البصير. فعيل بمعنى مفعول، أي كل ما أبصره وسمعه محمد ﷺ في إسرائه هو محمد من حيث حقيقته، فإنَّها هيولى العالم وحقيقة الحقائق، وهو الإنسان الأزلي، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم كما أنَّ الحق تعالى له هذه الصفات، فإنَّ الله تعالى لما أوجد حقيقته ﷺ قال له: أعطيتك أسمائي وصفاتي، فمن رآك رآني، ومن علمك علمني، ومن جهلك جهلني، غاية من دونك أن يصلوا إلى معرفة نفوسهم منك، وغاية معرفتهم بك العلم بوجودك لا بكيفيتك؛ وكذلك أنت معي لا تعرفني إلاَّ من حيث الوجود، فحقيقة محمد ﷺ هي المشهودة لأَهل الشهود، وهي التي يتغزلون بها ويتلذذون بحديثها في أسمارهم، وهي المعنية عندهم بليلى وسلمى، وهي المكنى عنها بالخمر والشرب والكأس والنار والنور والشمس والبرق ونسيم الصبا والمنازل والرسوم . . . والربا وهي نهاية سير السائرين وغاية مطلوب العارفين.

قال رضي الله عنه: وبعدما كتبت هذا الموقف، خطر في بالي أنَّه إذا وقف عليه بعض من لم يكشف له سر الحقيقة المحمدية، فربما يقول ما قال الحافظ ابن تيمية

رحمه الله تعالى لما وقف على شفا عياض: «لقد تغالى هذا المغيربي».

ثم نمت فقيل لي في المنام: زد، وهي نار موسى، وعصا موسى، ونفس عيسى الذي كان يحيي به الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص. فلما استيقظت زدتها. انتهى كلام الأمير عبد القادر رضي الله عنه.

يقول جامعه الفقير، يوسف النبهاني عفا الله عنه: قد ذكرت في كتابي «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق» ﷺ من ردود أئمة العلماء الهداة المهديين من أعيان المذاهب الأربعة، على الإمام ابن تيمية في زلاته في بعض شؤون سيد الخلق، وحبيب الحق، سيدنا محمد ﷺ ما لا يحتاج معه إلى الزيادة في ذلك.

وقد طبع وانتشر في أكثر بلاد الإسلام، وحاز والحمد لله عند جميع المؤمنين المحبين لسيد المرسلين ﷺ القبول التام، ولم أكن وقت تأليفه اطلعت على هذه العبارة الشنيعة التي نقلها الأمير عبد القادر عن ابن تيمية، وهي قوله حين ما وقف على كتاب الشفا للقاضي عياض: «لقد تغالى هذا المغيربي» ووالله إنَّه قد أخطأ بهذه العبارة أفحش الخطأ، فإن مثل القاضي عياض لا يصغر، يقال عنه «مغيربي» ولا سيما بسبب كتابه «الشفا» الذي لم يؤلف في الإسلام في بابه مثله؛ وقد اتفقت الأمة على أنَّه أحد أكابر أئمة الإسلام، وأنَّه من أجل أو أجل من خدم بكتبه النبي ﷺ.

وهذا كتابه «الشفا» قد أجمعت الأمة المحمدية على قبوله والإقبال عليه من العلماء والعوام من عصره إلى الآن، ويوجد منه ألوف كثيرة مكتوبة بأحسن الخطوط على أحسن الورق، مزينة بالذهب هي وجلودها، حتى صار اقتناؤه في كل بيت من بيوت المسلمين من جملة شعائر الدين. ولم نجد كتاباً يوازيه بهذه المزية الكبرى والفضيلة العظمى، بعد كتاب الله تعالى، فهو من هذه الجهة كصحيح البخاري الذي امتاز على غيره بهذا المعنى. وما ذاك إلاَّ لإخلاص مؤلفه الإمام الهمام، وكونه مختصاً بشؤون النبي ﷺ.

وأفظع من ذلك زعمه أنَّه تغالى فيه بمدح سيد الوجود ﷺ مع أنَّه لم يبلغ ما يجب للمصطفى ﷺ من التعظيم والتبجيل، وبيان حقيقة ما هو متصف به من القرب عند الله تعالى ومن أطلع على النقول التي نقلتها في كتابي هذا «جواهر البحار»[1]

(1) وهو أصل كتابنا هذا المسمى (الحقيقة المحمدية عند أقطاب الصوفية، إسلاماً وإيماناً وإحساناً).

عن أئمة العلماء من الفقهاء والمحدثين والأولياء المقربين. . . الذين شاهدوا علو منزلته ﷺ بعين اليقين، يعلم أنَّ جميع ما ذكره القاضي عياض في «الشفا» لم يبلغ حقيقة علو قدر المصطفى ﷺ ، وقد قدمت قريباً عن الإمام ابن تيمية النقول النافعة؛ ذات الأنوار الساطعة، من كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ فأسأل الله أن يرحمه بسبب تلك الحسنات، ويغفر له هذه السيئات، لحسن نيته والأعمال بالنيات. فإنَّه كان يدعي الاجتهاد ويقول ما يراه صواباً باجتهاده، ولا يستحيي من إظهاره وإن خالف جميع المسلمين. وكان متعلقاً بسيد المرسلين ﷺ فضلاً عن أكابر أئمة الدين رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

ومن جواهر الأمير عبد القادر أيضاً

[قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى... ﴿٥٦﴾﴾ [القَصَص: 56]]

قوله رضي الله عنه الموقف الثاني بعد المائة: قال تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القَصَص: 56]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورىٰ: 52]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النَّمل: 81]. اعلم أنَّه لا تناقض بين هاتين الآيتين في نفس الأمر. والحقيقة، وإنما يظهر التناقض بينهما ببادئ الرأي عند من لا يعرف مرتبة محمد ﷺ ومن عرف كيف هو ﷺ من ربه استراح، وما اعتاص عليه مثل هذه.

وتوضيحها: أنَّه ﷺ كان حريصاً على هداية عباد الله تعالى وإيمانهم وإنقيادهم لطريق نجاتهم، كما أخبرنا تعالى عنه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التّوبة: 128] أي عنتم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التّوبة: 128] وقال له مشفقاً عليه: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشُّعَرَاء: 3] أي قاتلها ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 3]. ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: 6] وهو ﷺ في هذا الحال متخلق بأخلاق ربه، متحقق بها، فإنَّه تعالى يحب الإيمان والهداية لجميع عباده، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: 7] أي لا يحبه لهم.

وإنما يحب لهم الإيمان والهداية ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر: 7] فلا يفهم أنَّه ﷺ أحب غير ما أحب الله تعالى، أو أراد غير ما أراده؛ فإنَّ المحبة غير الإرادة. وإذا كان الولي الذي هو قطرة من بحره الذي لا نهاية له يصل عند نهاية كماله إلى أن تتحد إرادته بإرادة الله تعالى، فلا يريد غير ما تعلقت به الإرادة القديمة، وإن كره

ذلك شرعاً أو طبعاً، أو أحب ضده شرعاً أو طبعاً.

ولهذا يقول للشيء: بسم الله، بمعنى: كن فيكون، وما ذلك إلا لاتحاد إرادته بإرادة الحق تعالى. وقالوا: حقيقة الكامل هو الذي لا يمتنع عن قدرته ممكن، كما لا يمتنع عن قدرة خالقه، فإنَّ خزائن الأمور في حكمه ومفاتيحها بيده، ينزل بقدر ما يشاء، فكيف به ﷺ الذي هو البرزخ بين الحق والخلق، له وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق؟ بل هو الوجه الواحد، فإنَّه لا ينقسم؛ وهو الحق المخلوق به فهو على بصيرة من ربه، فيما يجب أو يريد؛ فهو المنفذ لمراده تعالى في عباده من ضلال وهدى، وكفر وإيمان، من حيث حقيقته. فهو مظهر العلم القديم والإرادة الأزلية، فلا إرادة له إلاَّ إرادة الحق تعالى. وإرادته تعالى تابعة لعلمه، فلا يريد إلاَّ ما علم. والعلم لا يتبدل ولا يتغير، إذ لو جاز عليه ذلك ما كان علماً. وانقلاب الحقائق محال، فمعلومات الحق تعالى هي صور أسمائه، ومحال تغير الأسماء، فإن ما ثبت للذات من التنزيه هو ثابت للأسماء.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: 272] هو إثبات نفي به ما عسى أن يتوهم من وقوع شيء بغير إرادته تعالى وقدرته، وقد قال ذلك بعض الفرق الضالة، ونقول نحن: لا يريد رسول الله ﷺ إلاَّ ما أراد الله تعالى، ولا يحب إلاَّ ما أحبه الله تعالى، وهو واسطة بين الحق والخلق، ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، فهو مظهر مرتبة الصفات التي لها الفعل والتأثير، وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 117] أي هو تعالى أعلم العالمين من رسول وملك وولي بالمهتدين، أي الذين لهم استعداد الهداية وطلبها من حيث حقائقهم، ولهم قبولها، إذ الحقائق العلمية بمثابة الشخوص والأعيان الظاهرة ظلالها، وما كان في الشاخص من عوج أو استقامة أو طول أو قصر أو رقة أو غلظ مثلاً... يظهر في ظله، ولا بد فغيره تعالى إذا أطلعه الله تعالى على الاستعدادات، وهي الأعيان الثابتة في العلم، فهذا الغير كان ما كان ما علمها إلاَّ من علمه تعالى، وهو تعالى علمها من حيث لا تعين لها لا في العلم ولا في العين، ولكن لها صلاحية التعين في العلم والعين. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورىٰ: 52] صراط الله، وهو صراط النجاة.

ففي الآية إثبات لما قلنا من نيابته ﷺ في الهداية وغيرها وخلافته الكبرى، وإنَّه

الهادي من يشاء بهداية الله تعالى، إذ حصول الهداية لكل مهتد.

إما بواسطة العقول أو واسطة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكلاهما بواسطته ﷺ فإنَّه النور الأصلي الذي منه كل نور وحقيقة كل حقيقة.

ومن جواهر الأمير عبد القادر أيضاً

[قوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ...﴾ [البَقَرَة: 198]]

قوله رضي الله عنه في الموقف الواحد والستين بعد المائة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ [البَقَرَة: 198] المشعر الحرام محمد ﷺ إذ كل مأمور بتعظيمه من قبل الحق تعالى فهو مشعر، كما قال: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: 32] الآية. ولأنَّه ﷺ من حيث حقيقته محل الشعور والمعرفة، فليس لولي ولا نبي يأتي بعده ﷺ كعيسى عليه السلام أن يتعدى شرع محمد ﷺ أو يبدل أو يغير شيئاً منه.

فغاية الولي الكامل العظيم المنزلة في منازل القرب والولاية أن يعرفه الحق تعالى ما جهل الناس من شرع محمد ﷺ فيخبره بأنَّ هذا الحكم من شرع محمد ﷺ وغلط فيه النقلة، فلم يعملوا به، وهذا الحكم ليس من شرع محمد ﷺ وغلط فيه النقلة فأدخلوه فيه.

وليس غير هذا، فسلسلة الشرع المحمدي لا تنفك عن رقبة سالك، ولا واصل، ولا عالم بالله، ولا جاهل... فليحذر المؤمن المشفق على دينه من الزنادقة الملحدة، الذين يقولون إنَّهم وصلوا إلى عين الحقيقة، واستغنوا عن محمد ﷺ أو عن العمل بشرعه الحرام على كل مخلوق الوصول إلى معرفة حقيقته كما هي، فلم تعلم ولن تعلم أبداً ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البَقَرَة: 198] أي اذكروا محمداً ﷺ بتعظيم وتوقير، واعرفوا له قدر وساطته لأجل هدايتكم إلى الله تعالى. وإلى معرفته، وإرشادكم إلى الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 52-53] فهو ﷺ الممد لكل نبي وولي من لدن خلق العالم إلى غير نهاية، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، فإذا قال الولي: قال الحق تعالى كذا وكذا، فليس ذلك إلاَّ بواسطة روحانيته ﷺ والأكابر لا يجهلون ذلك.

ومن جواهر الأمير عبد القادر أيضاً

[قوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزَاب: 46]]

قوله رضي الله عنه الموقف الثاني بعد المائتين: قال تعالى في تعديد صفات السيد الكامل ﷺ ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزَاب: 46] اعلم أنَّ الإنارة لازمة للسراج، وكما يصح أن يكون منيراً صفة كاشفة يصح أن يكون بمعنى جعل الغير منيراً، فإنَّه ورد متعدياً ولازماً، فهو ﷺ السراج المنير لكل سراج، أي يجعله سراجاً منيراً، وكما أنَّ السراج المحسوس إذا أسرجت منه سرجاً كثيرة، فلا شك أنَّ ذلك السراج الواحد كان متضمناً لتلك السرج الكثيرة كلها، فكانت فيه بالقوة ثم خرجت إلى الحس وانفصلت عنه في الوهم، فهي هو في الحقيقة والعلم، وهي غيره في الوهم والحكم، فكذا الحقيقة المحمدية هي المنيرة لكل سراج منير حساً ومعنى من نبي وملك وولي وشمس وقمر ونجم... فإنَّها المظهر الأول والحقيقة الكلية الجامعة، والسرج المنيرة كلها فيها بالقوة، وتظهر بالفعل آناً بعد آن، أعني تظهر هي متعينة بتعين خاص، متميزة بتميز خاص. فالسرج المنيرة غيرها بحسب التعين والتميز الاعتباريين، وهي عينها بحسب الحقيقة والعين كالرجل الواحد يبرز في الملابس المتعددة المختلفة، فهو ﷺ هو من حيث الحقيقة في كل لبسة، وهو غيره بحسب اختلاف الملابس وتعددها.

ومن جواهر الأمير عبد القادر أيضاً

[قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا... ①﴾ [الفَتْح: 1]]

قوله الموقف الخامس بعد المائتين قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ②﴾ [الفَتْح: 1-2] هذا الفتح فتح الولاية لا فتح الرسالة، فإنَّ فتح الرسالة متعلق بالأوامر والنواهي الموضوعة المتعلقة بمصالح الخلق، والنظر إلى ما ينفعهم في معادهم ومعاشهم، بحسب أزمانهم وأحوالهم وارتباط الأسباب بعضها ببعض، وترتب الأشياء على شرائعها، فهو خدمة التجلي بضده، ومعارضته بنقيضه، والنظر إلى الأمر الشرعي دون الإرادي.

وفتح الولاية ليس كذلك، فهو فتح مطلق لا تعلق له إلاَّ بحقائق الأشياء ومباديها ونهاياتها ولا تعلق له فيما بين ذلك، وليس فيه أسباب ولا شروط ولا موانع ولا أوضاع شرعيه ولا حكمية... بل هو سكون تحت الأمر الإرادي، ومساعدة

التجليات إلى أن تنقضي دولها لا معارضة ولا منازعة ولا مناقضة.

وهذا دون النبوة والرسالة والوراثة الكاملة التي هي مقام الدعوة إلى الله تعالى ليغفر لك، ليستر عنك لك من أجلك الله ما تقدم قبل هذا الفتح عنه وما تأخر من ذنبك، أي ذنب أمتك. وإنما نسبت ذنوب أمته ﷺ لأنَّ حقيقة كل رسول هي مجموع حقائق أمته، فهو الكل وهم أشخاص ذلك الكل، فكيف به ﷺ الذي هو كل هذا الكل، وعنصر العناصر، والجنس الأعلى، وجوهر الجواهر، وحقيقة الحقائق، وروح العالم كله، ومحركه...

وقد ورد: «**إذا دخلت الشوكة في رجل أحدكم أجد ألمها**»[1]. ويتم نعمته عليك بهذا الفتح المبين والكشف اليقين، فتقر عينك وتطمئن نفسك، إذ كان ﷺ كثير الإهتمام بأمته أمة الدعوة، فضلاً عن أمة الإجابة. ولذا قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ [الشُّعَرَاء: 3] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فَاطِر: 8]. وهذا في حق أمة الدعوة. وقال في حق أمة الإجابة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ [التوبَة: 128]. فأراحه الله بهذا الفتح المبين، وأعلمه أنَّ مآل من أذنب منهم المغفرة والوصول إلى السعادة المطلوبة والغاية المرغوبة، وإن حصل لبعضهم تخليص وتهذيب، فهو غير قادح في المغفرة لهم بالنسبة لما يحصل لغيرهم بتلك المعاصي نفسها، ويصح أن يكون هذا الفتح أعم وأوسع بأن يكون المراد إطلاع الحق تعالى رسوله ﷺ على عموم الرحمة وشمولها لجميع بني آدم بعد نفوذ الغضب الإلٰهي فيهم، فإنَّ بني آدم كلهم أمته ﷺ والرسل كلهم نوابه وخلفاؤه من أول رسول إلى آخر رسول؛ ولهذا قال ﷺ فيما خرجه الحاكم والبيهقي: «**إنَّما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق**»[2]. يعني الشرائع، فهو ﷺ الآتي بها أولاً بمظاهر روحانيته وهم الرسل، وهو المتمم لها آخراً بظهوره بصورته العنصرية ﷺ فإنَّه ﷺ كما روى أبو نعيم في الحلية: «**كان نبياً وآدم بين الماء والطين**»[3].

تتمة: أذكر فيها بعض المواقف التي تدل على علو درجة الأمير عبد القادر في الولاية، لأنَّه من المتأخرين، وقد أدركته ولم أجتمع به رضي الله عنه، وإنَّما أذكر هذا هنا، لأنَّه لم يشتهر في الولاية عند كافة الناس اشتهار كثير ممن ذكرتهم في هذا

---

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2)، (3) هذا الحديث سبق تخريجه.

الكتاب، لتأَخره في الزمان؛ ولكونه كان من أكابر أمراء الدنيا أيضاً، فلم يعرف فضله في الولاية، وعلو منزلته فيها كثير من الناس، الذين كانوا يعرفونه أيضاً، وإن شهدوا له بأنَّه كان من أكابر العلماء الأتقياء الأغنياء، وكان مع كثرة ثروته فريد عصره في السخاء، وكان يعيش في نعمته كثير من العلماء والعائلات، التي جعل لها مرتبات يقبضونها في كل شهر من المغاربة أرحامه وغيرهم، ومن أهل الشام من تلامذته وغيرهم، فضلاً عن عطاياه وجوائزه للشعراء والمحتاجين من أهل العلم وغيرهم.

وها أنا أذكر موقفين من كتابه المواقف، يظهر منهما علو قدره في الولاية، وأنَّه كان من أكابر العارفين رضي الله عنه ونفعنا ببركاته. قال رضي الله عنه في الموقف الثالث والثمانين ما نصه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: 11] هذه الآية الكريمة ألقيت عليّ بالإلقاء الغيبيّ مراراً عديدة لا أحصيها.

ولا يخفى ما قاله فيها عامة أهل التفسير، ومما ألقي عليَّ فيها أنَّ المراد بالنعمة هنا نعمة العلم والمعرفة بالله تعالى والعلم بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاملات والأمور المغيبات.

ولا شك أنَّ هذه النعمة أعظم النعم، وإطلاق النعمة على غيرها مجاز بالنسبة إليها. والمراد بالتحدث بها إفشاؤها وبثها لمستحقيها المستعدين لقبولها، إذ ما كل علم يصلح لكل الناس، ولا كل الناس يصلح لكل علم، بل لكل علم أهل لهم استعداد لقبوله وهمة، والتفات إلى تحصيله؛ أو يكون المراد إظهار النعمة بما هو أعم من القول والفعل، كما في الخبر: «**إنَّ الله إذا أنعم على عبدٍ نعمة أحبَّ أن يرى أثر نعمته عليه**»[1].

فإذا كانت النعمة مما يظهر بالفعل أظهرها بالفعل، وإذا كانت مما يظهر بالقول أظهرها بالقول. والتحدث بها على حد ما قيل في الحمد العرفي أعم من أن يكون باللسان والجنان والأركان. ومن بعض نعم الله عليّ أنني منذ رحمني الله تعالى بمعرفة نفسي ما كان الخطاب لي والإلقاء عليَّ إلا بالقرآن الكريم العظيم، الذي لا يأْتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. والمناجاة بالقرآن من

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة، حديث رقم (7188) [4/ 150] ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، حديث رقم (2819) [5/ 123] ورواه غيرهما.

بشائر الوراثة المحمدية، فإنَّ القوم أرباب هذا الشأن، قالوا: كل من نوجي بلغة نبي فهو وارث ذلك النبي صاحب تلك اللغة، ومن نوجي بالقرآن كان وارثاً لجميع الأنبياء، وهو المحمدي، لأنَّ القرآن متضمن لجميع اللغات، كما أنَّ مقام محمد ﷺ متضمن لجميع المقامات.

ومنها: أني لما بلغت المدينة طيبة، وقفت تجاه الوجه الشريف بعد السلام عليه ﷺ وعلى صاحبيه، الذين شرفهما الله تعالى بمصاحبته حياة وبرزخاً، وقلت: يا رسول الله؛ عبدك ببابك. يا رسول الله، كلبك بأعتابك. يا رسول الله، نظرة منك تغنيني. يا رسول الله، عطفه منك تكفيني. فسمعته ﷺ يقول لي: «**أنت ولدي ومقبول عندي بهذه السجعة المباركة**».

ومما عرفت هل المراد ولادة الصلب أو ولادة القلب، والأمل من فضل الله تعالى أنهما مرادتان معاً، فحمدت الله تعالى، ثم قلت في ذلك الموقف: اللهم حقق هذا السماع برؤية الشخص الشريف، فإنَّه ﷺ ضمن العصمة في الرؤية، فقال: «**من رآني فقد رأى الحق، فإنَّ الشيطان لا يتمثل بصورتي**»(1)، وما ضمن العصمة في سماع الكلام.

ثم جلست تجاه القدمين الشريفين معتمداً على حائط المسجد الشرقي أذكر الله تعالى فصعقت وغبت عن العالم وعن الأصوات المرتفعة في المسجد بالتلاوة والأذكار والأدعية، وعن نفسي، فسمعت قائلاً يقول: هذا سيدنا التهامي... فرفعت بصري في حال الغيبة، فاجتمع به بصري وهو خارج من شباك الحديد من جهة القدمين الشريفين، ثم تقدم إلى الشباك الآخر وخرقه إلى جهته، فرأيته ﷺ فخماً مفخماً، بادناً متماسكاً، غير أن شيبه الشريف أكثر، وحمرة وجهه أشد مما ذكره أصحاب الشمائل. فلما دنا مني رجعت إلى حسي، فحمدت الله تعالى، ثم جعلت أذكر الله تعالى فصعقت كالأولى، فورد عليّ قوله تعالى: ﴿إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ [الأحزاب: 53].

فلما رجعت إلى حسي، حمدت الله تعالى ونظرت في الآية الكريمة، فوجدتها مشتملة على أنواع من البشائر، فإنَّ «إذا» تفيد تحقيق، فهي في قوة قد دعيتم. «ودعيتم» مبني للمجهول يشتمل دعاء الحق تعالى، والرسول ﷺ والأمر بالدخول

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

بعد الدعوة فيه غاية التكريم والتشريف، وإذا طعمتم إخبار بأنَّ الدعوة للإكرام والإنعام والإطعام. قوله: ﴿فَانتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: 53] أمر بمعنى الإذن في الانتشار بعد الإكرام، وفي الإخبار بأنَّ الدعوة للإكرام وبالإذن في الإنصراف بعد حصول الإنعام غاية العناية ونهاية الكرامة. ثم توجهت أذكر الله تعالى فصعقت أيضاً فألقي عليَّ قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: 46] فلما رجعت إلى حسي، حمدت الله تعالى على تكرار البشارة. ثم توجهت إلى الذكر أيضاً، فصعقت فألقي علي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: 2].

فلما رجعت إلى حسي حمدت الله تعالى وعلمت أنَّ قدم الصدق، هو ﷺ، وأنَّه أمرني أنْ أكون واسطة في إبلاغ هذه البشارة إلى أمته. ثم زدت متوجهاً في الذكر، فصعقت أيضاً فألقي عليّ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 73].

فلما رجعت إلى حسي، حمدت الله تعالى، وعلمت أنَّه إخبار بأنَّ هذه النعم الحاصلة ما هي جزاء علم ولا عمل ولا حال، ولا هي باستحقاق، وإنَّما هي فضل وامتنان. ثم زدت متوجهاً في الذكر، فصعقت أيضاً، فألقي عليَّ قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: 102]. فلما رجعت إلى حسي، حمدت الله تعالى على ما في هذه الآية من البشائر والأسرار، ثم زدت متوجهاً في الذكر، فصعقت أيضاً فألقي عليّ قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾ [غافر: 81].

فلما رجعت إلى حسي، حمدت الله تعالى وقلت: لا أنكر شيئاً من آيات الله، والعبد معترف بفضل مولاه عليه.

ثم قمت إلى محل عزلتي، فدخل عليَّ شيخ من أهل الطريق، فقال لي: إذا أردت أن تتوجه إلى رسول الله ﷺ فاجعل بينك وبينه واسطة من الأكابر مثل عبد القادر الكيلاني أو محيي الدين الحاتمي أو الشاذلي وأمثالهم... فقلت له: حتى أستأذن سيدي ومولاي الذي أنا في أعتابه. فتوجهت أذكر الله تعالى فصعقت، فألقي عليه قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6].

فلما رجعت إلى حسي، حمدت الله تعالى وعندما رجع عندي ذلك الشيخ، قلت له: إنَّ سيدي ومولاي ما أحب أن تكون بيني وبينه واسطة، وأخبرني أنَّه أولى بي من كل أحد حتى من نفسي ثم وثم وثم...

فكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وأول ما فتح لي في عالم الخير والنور، اجتمعت في الواقعة بالخليل عليه السلام في المطاف، وكان في مجلس حافل، وهو يحكي قصة تكسير الأصنام، ورأيته في السن الذي كان فيه ذلك الوقت، إذ يقول تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء: 60] . فما رأت عيني أجمل منه، كيف ورسول الله ﷺ شبه جماله به. فقال: «**ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به**». فعلمت أنَّه يكون لي بعض إرث منه في محبة الخلق، فإنَّه القائل: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْأَخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: 84] ، فأجاب الله سؤاله، فاجتمعت على محبته أكثر الملل والفرق، وليس هذا لأحد غيره من سائر الرسل عليهم السلام انتهى كلامه رضي الله عنه.

وأنا أُؤمن به وأصدقه، وأشهد أنَّه من كبار أولياء الله تعالى، وما حدث به عن نفسه في هذا الموقف هو من أكبر الكرامات التي أنعم الله عليه بها، من اجتماعه بجده سيد الوجود ﷺ يقظة.

وقد ذكرته بحروفه في كتابي «جامع كرامات الأولياء»، وهو كتاب ليس له في بابه نظير، قد جمعت فيه كرامات نحو ألف وأربعمائة ولي من المعروفين من الصحابة ومن بعدهم إلى الآن، غير من ذكرت كراماتهم من المجهولين الذين لم أطلع على أسمائهم، ومع ذلك فقد ذكرت من رويت كراماتهم عنهم، وهم من أصدق الصادقين، والحمد لله رب العالمين.

وقال رضي الله عنه في الموقف الثالث عشر ما نصه: قال تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78] الآية.

كنت مغرماً بمطالعة كتب القوم رضي الله عنهم منذ الصبا، غير سالك طريقهم، فكنت في أثناء المطالعة، أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم وأكابرهم، يقف فيها شعري وتنقبض منها نفسي، مع إيماني بكلامهم على مرادهم، لأنني على يقين من آدابهم الكاملة وأخلاقهم الفاضلة، وذلك كقول عبد القادر الجيلي رضي الله عنه: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه.

وقول أبي الغيث بن جميل رضي الله عنه: خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله. قول الشبلي رضي الله عنه لتلميذه: أتشهد أني محمد رسول الله؟ فقال له التلميذ: أشهد أنَّك محمد رسول الله.

ومثل هذا كثير عنهم، وكل ما قاله القائلون المؤولون لكلامهم لم تسكن إليه النفس، إلى أن منَّ الله تعالى عليّ بالمجاورة بطيبة المباركة، فكنت يوماً في الخلوة

متوجهاً أذكر الله تعالى، فأَخذني الحق تعالى عن العالم وعن نفسي، ثم ردني وأنا أقول: لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي على طريق الإنشاء لا على طريق الحكاية، فعلمت أنَّ هذه القولة من بقايا تلك الأخذة، وإني كنت فانياً في رسول الله ﷺ ولم أكن في ذلك الوقت فلاناً، وإنما كنت محمداً، وإلاَّ لما صح لي قول ما قلت إلاَّ على وجه الحكاية عنه ﷺ وكذا وقع لي مرة أخرى في قوله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»، وحينئذٍ تبين لي وجه ما قال هؤلاء السادة، أعني أنَّ هذا أنموذج ومثال، لأني أشبه حالي بحالهم حاشاهم ثم حاشاهم، فإنَّ مقامهم أعلى وأجل، وحالهم أتم وأكمل.

وكذا قال الشيخ عبد الكريم الجيلي: كل من اجتمع هو وآخر في مقام من المقامات الكمالية، كان كل منهما عين الآخر في ذلك المقام، ومن عرف ما قلناه علم معنى قول الحلاج وغيره. انتهى كلام الجيلي رضي الله عنه.

وقبل أن تصدر مني هذه المقالة، كنت ثالث ليلة من رمضان متوجهاً للروضة الشريفة، فحصل لي حال وبكاء، فألقى الله تعالى في قلبي أنَّه ﷺ يقول لي: «**أبشر بفتح**»، فبعد ليلتين كنت أذكر الله تعالى، فغلبني النوم فرأيت ذاته الشريفة امتزجت مع ذاتي، وصارتا ذاتاً واحدة.

انظر إلى ذاتي فأَرى ذاته الشريفة ذاتي، فقمت فزعاً مرعوباً فرحاً، فتوضأت ودخلت المسجد للسلام عليه ﷺ ثم رجعت إلى الخلوة، وجعلت أذكر الله تعالى، فأَخذني الحق تعالى عن نفسي وعن العالم، ثم ردني بعد أن أُلقي إليَّ قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ [البَقَرَة: 71] الآية.

فعلمت أنَّ الإلقاء تصديق للرؤية، ثم بعد يوم أخذني الحق تعالى عن نفسي كالعادة، فسمعت قائلاً يقول لي: انظر ما أكننته حتى كنته بهذه السجعة الجناسية المباركة، فعلمت أنَّ هذه القولة تصديق للرؤيا السابقة. والحمد لله تعالى.

وقد أمرني الحق تعالى بالتحدث بالنعم بالأمر العام لرسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضّحىٰ: 11] لأنَّ الأمر له ﷺ أمر لأمته، إلاَّ ما ثبت اختصاصه به، وأمرني بالخصوص مراراً بإشارة هذه الآية الشريفة: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضّحىٰ: 11]. انتهى. ما اخترت نقله من كلام الأمير عبد القادر رضي الله عنه.

جواهر العارف بالله تعالى الشيخ
عبد الغني النابلسي المتوفى سنة 1143هـ رضي الله عنه(*)

فمن جواهره

[شرح صلوات القطب عبد السلام بن مشيش]

قوله في خطبة شرحه على الصلاة المشيشية: الحمد لله الذي جعل الصلاة على سيدنا محمد ﷺ سيد العجم والعرب، من أعظم الرتب وأفضل القرب، ووفق إليها أهل العناية، وجعلها تعالى معراجاً إلى الولاية، ودليلاً على صحة الهداية وبلوغ النهاية، وسبباً لتكفير كل جناية، ولم يزل المحبون من أمته، وأهل القرب من أهل ملته، من شدة الحب، ودنو القرب، تفيض على قلوبهم أنوار المحبة، وتهز

(*) هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف. ولد في دمشق سنة (1050هـ = 1641م). نشأ ورحل إلى بغداد، وعاد إلى سورية، فتنقل في فلسطين ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق وتوفي بها سنة (1143هـ = 1731م).

له مصنفات كثيرة جداً منها: «الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية» و«تعطير الأنام في تعبير المنام» و«ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث»، «فهرس لكتب الحديث الستة»، و«علم الفلاحة» و«نفحات الأزهار على نسمات الأسحار»، و«إيضاح الدلالات في سماع الآلات» و«ذيل نفحة الريحانة» و«حلة الذهب الإبريز في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز» و«الحقيقة والمجاز، في رحلة الشام ومصر والحجاز» و«قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان» رسالة، و«جواهر النصوص» جزآن، في شرح فصوص الحكم لابن عربي والكتاب مطبوع في الدار بتحقيقنا، و«شرح أنوار التنزيل للبيضاوي» و«كفاية المستفيد في علم التجويد» و«الاقتصاد في النطق بالضاد» تجويد، و«مناجاة الحكيم ومناغاة القديم» تصوف، «خمرة الحان» والكتاب مطبوع في الدار بتحقيق، «شرح رسالة الشيخ أرسلان»، و«خمرة بابل وغناء البلابل» من شعره، في الظاهرية، و«ديوان الحقائق» من شعره، و«الرحلة الحجازية والرياض الإنسية» و«كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين» و«الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان»، و«شرح المقدمة السنوسية» و«رشحات الأقلام في شرح كفاية الغلام» في فقه الحنفية، و«ديوان الدواوين» مجموع شعره، و«كشف الستر عن فرضية الوتر» رسالة، و«لمعات (أو لمعان؟) الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار» رسالة، و«خمس مجموعات» فيها 32 رسالة، ذكر الزيات أسماءها في «خزائن الكتب». (الأعلام للزركلي (4/ 32)).

أرواحهم عواطف الدنو والقربة، فتنطق ألسنتهم بمعاني ما جعل في بواطنهم من شهود النور المحمدي، وما انكشف لأرواحهم من كمال السر الأحمدي، وما رام أحد منهم بذلك بلوغ معرفة قدر الرسول الكريم، ذي القدر العظيم، وما يعلمه إلا الخبير العليم، هيهات أن يبلغ من الخلق بمقاله وإن وفى، بعض أحوال الرسول اصطفى، وإنما يحومون حول الحمى، ولا يلحق أحد بيده السماء، إيه وممن خاطب بهذا المعنى بأفصح خطاب.

ونطق فيه بالصواب، وسلك في الصلاة على رسول الله ﷺ مسالك أولي الألباب، ودل خطابه على تحققه في مقام الاقتراب، وقربه من الجناب، بتحرير مقاله، والأدب بين يدي إرساله، هو الشيخ الإمام القطب العارف بالله تعالى الدال عليه ذو الطريقة السنية المستقيمة، والأحوال السنية العظيمة، وشريف النسب، وأصيل الحسب، سيدي عبد السلام بن مشيش الحسيني أدام الله علينا من بركاته بمنه وكرمه، ولما كانت التصلية المنسوبة إليه تضمنت حقائق شريفة، ومعاني دقائق لطيفة، برزت من عالم غيب رب العالمين، إلى سماء قلوب العارفين.

سألني شرح بعض تصلية الشيخ المذكور حفيده السيد العابد، الصالح الزاهد، مبين الطريقة، الباعث على تحقيق رسوم الحقيقة، الجبل الثابت، البحر الصامت، أبو حفص عمر بن عيسى بن عبد الوهاب الشريف الحسيني نفعنا الله تعالى به، وبصالح نسبه، آمين بمنه وكرمه فلم يسعني إلا إجابة داعيه، وتلبية مناديه، ثم ذكر ترجمة المصنف.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[شرح انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار]

قوله رضي الله عنه في (**شرح اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار**): فقوله: (**اللهم**) توجه للمطلوب، وطلب لحصول المرغوب، بالتوسل بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وقوله: (**صل**)، طلب من الله تعالى ودعاء أن يصلي على نبيه محمد ﷺ، والصلاة من الله على نبيه ﷺ زيادة تكرمة وإنعام، ومن الملائكة رحمة واستغفار، ومن العباد دعاء.

فتكريم الله عز وجل لرسوله ﷺ زيادة في تشريفه له وتقريبه منه، والصلاة على رسوله ﷺ من العبد وسيلة للقرب منه ﷺ، كما جعلت هدايا الفقراء إلى الأمراء

وسائل ليتقربوا إليهم، وليعود نفعها عليهم، إذ هو ﷺ بعد صلاة الله عليه لا يحتاج إلى صلاة أحد، وإنما شرعت تعبداً لله وقربة إليه ووسائل للتقرب إلى جنابه المنيع، ومقامه الرفيع، ﷺ وهي من العبيد، على سبيل التأكيد، لا على سبيل التأسيس، كما هي من الله تعالى، فافهم أن صلاة الله تعالى على رسوله ﷺ سبقت صلاة غيره، ولا يحتاج الله صلاة غير الله تعالى بعد صلاته، ولكن جعل هذه العبادة سبباً للوصول لمرضاته، وباباً للدخول عليه سبحانه وتعالى، ومعراجاً للكرامات، ومفتاحاً لباب الخيرات، وسبيلاً لنيل البركات، وحصول الكرامات، وهي أفضل عبادات المتعبدين، وأعظم قربات السالكين، وأدل دليل على إرادات المريدين، وعلامات على صدق المحبين، وكهف لإيواء الواصلين، وهي وإن اختلفت مواردها وتنوعت مصادرها، فمرجعها إليه، وحقيقتها منه عليه، إذ ما صلى على محمد إلا محمد ﷺ، لأن صلاة العبيد عليه ﷺ صدرت منهم بأمره ﷺ وبالتحقيق، ما صلى على رسول الله ﷺ إلا الله إذ هو تعالى ما صلى عليه بنفسه أو بفعله.

وقوله: **(على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار)**: يريد سيدنا ومولانا محمداً ﷺ، والأسرار، جمع سر، والمراد بها، أسرار الذات، وأسرار الصفات، وأسرار الأفعال، فهذه الأسرار كلها كانت مبطنة لما تجلى عليها من اسمه الباطن حجب عنها خلقه بنور كبريائه، فكانت كذلك حتى جاء ﷺ، فحولها باسمه تعالى الظاهر، وأظهرها باسمه المبين ورفع عن بصائر المؤمنين الحجاب، فظهرت الأسرار لائحة الأنوار، فكان ﷺ هو المظهر لها وكاشف الحجاب عنها، فبنوره ظهرت الأسرار، وبسره أشرقت الأنوار، والمراد بالأنوار الأنوار الإيمانية التي أشرقت على قلوب المؤمنين.

وقد كانت قبل بعثه ﷺ مستورة بظلم الكفر، ودخان الشرك، فلما جاء النور المحمدي أشرقت في سماء قلوب من أراد الله تعالى به هدايته، فكشف عنها ظلم الكفر، وأشرقت فيها أنوار الإيمان وإلى هذا المعنى أشار الشيخ ﷺ رضي الله عنه بقوله منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار، أي منه ظهرت وعنه صدرت فمنه مبدؤها وعنه مصدرها، وما قلنا من انكشاف الأسرار فذلك بحسب المقامات فكل ذي مقام ينكشف له من الأسرار ما يليق بمقامه.

ثم قال: وبالجملة فجميع ما أودع الله سبحانه في مكوّناته من الأسرار فهو ﷺ

المظهر لها بعدما كانت القلوب غافلة، والأرواح جاهلة بها، فنبه ﷺ القلوب لما كانت منه غافلة، وعلم الأرواح ما كانت له جاهلة.

وقال عند قوله: «**وفيه ارتقت الحقائق**» أي أنه ﷺ ارتقت فيه حقائق جميع الأشياء العلوية والسفلية والمعنوية والحسية اللطيفة والكثيفة، فجميع حقائق هذه ارتفعت فيه وتجلت في باطنه حتى صار قلبه معدناً لها، وباطنه مرساها، فقلبه ﷺ معدن الحقائق والأسرار، وباطنه مهبط العلوم والأنوار.

وإنما خص قلبه ﷺ لاتساعه بذلك، فما وسعه لا يسعه غيره، فكل ما اجتمع فيه ﷺ افترق في غيره من المرسلين والنبيين والعارفين والصديقين، ولهذا قيل محمد ﷺ اجتمع فيه ما افترق في غيره، وإنما كان قلبه ﷺ معدن الحقائق العرشية، والأسرار الكرسية، والعلوم اللوحية، والأنوار الملكوتية، لأن قلبه وباطنه ﷺ من تلك العوالم العلوية والشيء قد يألف الشيء لنسبة بينهما.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[شرح وتنزلت علوم آدم]

قوله رضي الله عنه في شرح: وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق. فنبينا محمد ﷺ مفيد لا مستفيد، فأرواح العلماء وقلوب العارفين من المرسلين والنبيين وعباد الله الصالحين تتلقى من روحه ﷺ العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكوتية، ولهذا سمّى روحه ﷺ أبا الأرواح، فعلوم العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكماء كلها من استفادة علومه ﷺ ومعارف حكمه، وكل ما علمه العالمون، واستفاده العارفون، وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم، نقطة من بحره ﷺ، فهو بحر العلوم ومنبعها، وقلبه معدنها، وباطنه مهبطها ومرساها.

فظهر من هذا أنه ﷺ وارث في الوجود الذاتي، موروث في الوجود الروحاني، ولهذا قيل إذا لقي آدم عليه السلام نبينا ﷺ يقول آدم لنبينا عليه الصلاة والسلام: «يا ولد ذاتي، ووالد معناي»، مشيراً إلى أن روحه ﷺ أبو الأرواح.

وقال رضي الله عنه عند قوله: وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق، أشار رحمه الله تعالى إلى خفي سره، وروحانيته الأحمدية، ورفع قدر صورته المحمدية، إذ حقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما يشاء الله من ظواهر الأمور دون بواطنها وجليها دون خفيها، فالفهوم كلت

والعقول وقفت، وتضاءلت عن درك خفي سره الوقوف على حقيقته ﷺ في هذه الدار، بل عن فهم حقيقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكيف سيدهم وإمامهم ﷺ؟

وما أدرك الناس من حقيقة أمره وخفي سره، إلا على قدر عقولهم اليسيرة، فما ظهر لهم من ذلك أنعم به عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا أمره وما خفي عنهم منه فرحمة من الله بهم، إذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم، والله تعالى أرسله رحمة للعالمين، فكانت النعمة في ما ظهر، والرحمة في ما استتر، ثم إن الناس في اطلاعهم على سر نبوته وخصوصية رسالته ﷺ بحسب مقاماتهم ومنازلهم، فكل أحد كشف له من ذلك بحسب مقامه، وعلى قدر قرب روحه ﷺ، وأعظم الناس كشفاً لذلك، وأكثرهم عليه اطلاعاً الصديق رضي الله عنه، فما كشف له من خصوصية الرسالة المحمدية وحقيقة السر الأحمدي لم يكشف لأحد غيره تعظيماً واحتراماً، إذ كان أول المؤمنين بنبوته والمصدقين برسالته ﷺ من غير طلب دليل، ولم يعتره توقف ولا تأويل.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[قوله عند قول المصنف : رياض الملكوت]

قوله رضي الله عنه عند قول المصنف: فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة. الملكوت عبارة عن حضرة الأرواح، والجبروت عبارة عن حضرة الأسرار، وهو ﷺ ظهر في حضرة الأرواح بجماله فتألقت. وفي حضرة الأسرار بنوره فأشرقت.

وقال: عند قوله: «**ولا شيء إلا وهو به منوط**» إشارة إلى تعلق الأشياء به ﷺ منها ما هو متعلق به تعلق استناد، ومنها ما هو متعلق به تعلق استمداد، فكل شيء إليه استناده ومنه استمداده، «**إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط**».

يشير إلى اعتبار وجوده ﷺ في الوجود، إذ لولا وجوده ﷺ لما وجد الوجود، فنسبته منه كنسبة الواسطة إلى الموسوط.

قال عند قوله: «**اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك**»: ضمن الشيخ في كلامه هذا حصول ثلاث مقامات لنبينا ﷺ: **الأول**: كونه ﷺ سر الله الجامع. **الثاني**: كونه دالاً عليه. **الثالث**: كونه حجابه الأعظم القائم بين يديه.

فهذه مقامات ثلاثة أقامه الحق فيها واختاره لها وأهله لها وأمده فيها بالمعونة والتأييد، والتيسير والتسديد، وهذه المقامات، وإن شاركه فيها غيره من المرسلين عليهم الصلاة والسلام، فلم يبلغ أحد منهم مبلغه ﷺ، ولا ترقى أحد إلى مقامه، فأما كونه ﷺ سر الله الجامع، لأنه ﷺ مجمع جميع أسرار أسماء الصفات.

وأما أسرار الأفعال فهو مُظهرها ومَظهرها، وهو سر الله تعالى الذي أودعه في مكوناته العلوية والسفلية، فهو السر الذي به ظهرت الأسرار، وهو النور الذي به أشرقت الأنوار، فلا مكوَّن إلا هو سره، الذي قام به أمره، فلولا السر المحمدي الذي أودعه الله المكونات الملكوتية، والسر الأحمدي الذي أودعه الله المكوَّنات المُلْكية، لما قامت بها أسماء الصفات وأسماء الأفعال، ولما كانت أثراً يقوم بها الاستدلال.

وأما كونه ﷺ دالاً على الله تعالى فلأنه الدليل الأعظم بعثه الله ليدل عليه، ويعرف الطريق إليه، بعثه في زمان قد عمت به الضلالة، وكثرت فيه الجهالة، الخلق فيه عن الله معرضون، وعن بابه حائدون شاردون، فدلهم على الله تعالى وعرفهم الطريق إليه وردهم إلى بابه الكريم، ونهج بهم الصراط المستقيم، فكانت رسالته ﷺ عامة، ودلالته تامة، فدل على الله بأقواله وأفعاله، وأيقظ الأرواح إلى ملاحظة جلاله وجماله، فكل داع إلى الله تعالى فإنما يدعو بدعوته وكل دليل فإنما يدل بدلالته، وكانت دعوته ﷺ إلى الله تعالى ودلالته عليه بسياسة محمدية، وتعريفه إياهم له تعالى بحكمة أحمدية، فلم يخرق حجاب العظمة والوقار.

وإنما رفع عن بصائر العارفين حجب الأغيار، وظلم سحائب الآثار، وأما كونه ﷺ حجابه القائم له تعالى بين يديه فلأنه ﷺ حجب العقول عن النظر في حقائق الذات والتفكر فيها، فعقل العقل عن النظر إلى ما ليس له إليه سبيل بهذا أرسل ﷺ، وبه أمر فكان حجاب الله الأعظم القائم له بين يديه تعالى.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[قوله عند قول المصنف اللهم ألحقني بحسبه]

قوله عند قول المصنف اللهم أَلحقني بحسبه وحققني بنسبه وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل: المعرفة الحقيقية لله ورسوله ﷺ هي ما أَثمرت ثمرة، وأَنتجت نتيجة، وكل معرفة لا ثمرة لها ولا نتيجة فليست بمعرفة على الحقيقة، فالشيخ رضي الله تعالى عنه طلب من الله تعالى أن يعرفه

برسول الله ﷺ معرفة تثمر له ثمرة وتنتج له نتيجة، وذكر ذلك فقال: أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل ولا شك أن من عرف رسول الله ﷺ حق المعرفة أَثمرت له معرفته به ﷺ ثمرات، وأنتجت له نتائج منها: أن يسلم من موارد الجهل ويكرع من موارد الفضل، وحق لمن تحقق بمعرفته ﷺ أن يكون بهاتين الخصلتين العظيمتين، لأن معرفته ﷺ تقتضي ذلك، وكيف لا وقد قرب سر العارف من سر معروفه، وتألفت روحه مع روحه، والقرب والائتلاف يقتضيان المتابعة والاقتداء وذلك سبب لأن يرد التابع موارد متبوعه، وينهل مناهله فينكشف لسر العالم ولروحه العلوم اللدنية، والأسرار العرفانية ما يزحزحه عن موارد الجهل، ويتصف بمقتضى العلم، فيصير القلب عارفاً والروح عالماً، ويرد هذا العالم من موارد الصفاء التي وردها المقربون، وينهل المناهل التي شرب منها العارفون، والكرع عبارة عن شرب المتعطش اللهفان المشتاق إلى الورود الراغب في الازدياد، وموارد الفضل، أي مشارب أرواح المقربين وموارد أسرارهم التي لا تدرك بالطلب، ولا تنال بسبب، بل بمجرد الفضل الإلٰهي والعناية الربانية، ولهذا قيل موارد الفضل.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[قوله عند قول المصنف واحملني على سبيله]

قوله عند قول المصنف واحملني على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك: هذا مطلب الصديقين القاصدين إلى حضرة مولاهم جل جلاله إذ غاية مقصودهم وأقصى مرادهم ومطلبهم الوصول إلى الحضرة الربانية، على كاهل السنة المحمدية، والحمل على السبيل هو الجواذب الربانية، التي تجذب السالك إلى حضرة الله تعالى جذباً على سبيل السنة المحمدية.

فإذا أراد الله سبحانه أن يبلغ السالك إلى حضرته الكريمة حمله إليها على سبيل الاقتداء بالدليل الأعظم، والرسول الأكرم، نبينا ومولانا محمد ﷺ، فيكون في سلوكه متبعاً له ﷺ في أقواله وأحواله وأفعاله، وفي حركاته وسكناته محفوفاً في جميع ذلك بنصرة الله تعالى له، فيكون في سلوكه بربه لا بنفسه.

وهذا من علامات الوصلة، وإمارات القربة، والحضرة مأخوذة من الحاضرة، وكثيراً ما يجري ذكرها على لسان القوم، وكثير من المتصوفة لا يعلمون لها حقيقة، وهي عبارة عن موطن من مواطن القرب والمشاهدة، فإذا كان العبد على بساط الحق

مشاهداً لصفاته تعالى فيسمى ذلك الموطن حضرة الصفات، وإذا كان مشاهداً للأفعال فيسمى ذلك الموطن حضرة الأفعال.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[قوله عند قول المصنف واجعل اللّهم الحجاب]

قوله عند قول المصنف: واجعل اللهم الحجاب الأعظم حياة روحي وروحَه سرَّ حقيقتي وحقيقتَه جامعَ عوالمي.

المراد بالحجاب الأعظم ما تقدم ذكره من أنه ﷺ حجاب الله الأعظم القائم له بين يديه، وتقدم أنه إنما كان كذلك لأنه ﷺ حجب العقول، وعقلها بعقال شرعه المستقيم، عن النظر في حقائق الذات العظيمة، إذ ليس لها إلى ذلك سبيل، وأودع الله تعالى لنبيه ﷺ هذا السر العظيم ليكون رحمة ونعمة للوجود، وحياة للأرواح حيث حجبها عما فيه استهلاكها وفناؤها ولا قوة لها على كشف حقائقه، ولو كشف لها عن ذلك في هذه الدار، ورفع عنها الحجاب، لتفرقت الموجودات، وتمزقت وتدكدكت، كما تدكدك الجبل للكليم عليه الصلاة والسلام.

ولهذا اتفق أهل المعرفة على أن الله سبحانه لا يتجلى لأحد من أوليائه، ولا ينظر إليه أحد منهم في هذه الدار، إلا من وراء الحجب التي حجبهم بها عن إدراك كنه ذاته العظيمة، ولولا تلك الحجب لتلاشى الوجود وماتت الأرواح، فكان الحجاب الأعظم حياتهم، فطلب الشيخ أن يكون الحجاب الأعظم حياة روحه، إشارة إلى ما قلناه فافهم.

قوله: وروحه سرَّ حقيقتي» أراد أن يكون الروح المحمدي سر حقيقته فيكون حقيقة محمدية.

قوله: «وحقيقته جامع عَوالمي» أراد الحقيقة المحمدية. إذ هي جامع العوالم اللطيفة الإنسانية.

انتهى ما نقلته من شرح العارف بالله سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه على صلاة سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[شرح فص الحكمة المحمدية]

قوله رضي الله عنه في شرحه على فصوص الحكم للشيخ الأكبر رضي الله عنه

في شرح فص الحكمة المحمدية وهو خاتمة الفصوص، ذكره بعد حكمة خالد بن سنان عليه السلام، لأنه كان قريباً من زمانه، ولأنه ﷺ آخر الأنبياء، وخاتم المرسلين، فناسب أن يختم به الكتاب، كما بدأ بآدم عليه السلام، ولأنه ﷺ جامع لمشارب النبيين، والمرسلين كلهم عليهم السلام، فكان ذكره بعد تمام ذكرهم كالإجمال بعد التفصيل، وكالفذلكة في الحساب الطويل.

ثم قال في شرح قوله: فص حكمة فردية في كلمة محمدية: إنما اختصت حكمة محمد ﷺ بكونها فردية لانفراده ﷺ بالفضيلة التامة، والكرامة العامة، والمرتبة السامية على الجميع، والمزية التي من انتسب إليها بالمتابعة لا يضيع، والشرف العالي في الدارين، والقدر الرفيع الذي نصبت أعلامه في الخافقين، ولقول المصنف: ولم يعلل حكمة غيرها إفراداً لها بالاعتناء والاهتمام بشأنها إنما حكمته ﷺ فردية لأنه أكمل موجود في هذا النوع الإنساني، ولهذا بدئ به الأمر وختم، فكان نبياً وآدم بين الماء والطين.

ثم كان بنشأته العنصرية خاتم النبيين ولهذا بدئ به الأمر، أي الإلٰهي فهو أول مخلوق من حيث كونه نوراً كما ورد في حديث جابر الذي أخرجه عبد الرزاق في مسنده: يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال: «**يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره**»[1]. الحديث.

ثم قال عند قوله: «**فكان نبياً وآدم بين الماء والطين**». كما ورد في الحديث[1]. وفي رواية: «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**» رواه الطبراني عن ابن عباس.

وفي رواية «**كنت أول الناس في الخلق، وآخرهم في البعث**» رواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً.

وفي رواية: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**» رواه الحاكم في مستدركه، يعني أنه ﷺ كامل الخلقة، شريف المقام والمرتبة، من حيث خلقه الله تعالى نوراً إلى أن فصّل مجمله ظهوراً، فخلق له القالب الآدمي واستعمله في ظهور صورته العظيمة، ثم صفاه في مصافي قوالب الكاملين من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام حتى أخرجه هذا الوجود، وأفاض به إناء المكارم والوجود، فكان في الآخر كما كان في الأول، فهو الفرد الكامل الذي عليه المعول.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومن جواهر سيدي عبد الغني النابلسي أيضاً

[قوله فكان ﷺ أول دليل على ربه]

قوله رضي الله عنه عند قول الشيخ الأكبر قدس سره في الفص المذكور: فكان عليه السلام أول دليل على ربه، أوتي جوامع الكلم التي هي مسميات أسماء آدم عليه السلام. فقد علم الله تعالى آدم الأسماء كلها، يعني أسماء كل شيء، وعلم محمداً ﷺ مسميات تلك الأسماء، فكان آدم عليه السلام مظهر الأسماء، ومحمد ﷺ مظهر الذوات والأسماء داخلة في الذوات، فآدم عليه السلام حافظ الأسماء على الذوات ومحمد ﷺ حافظ الذوات مع الأسماء واسم آدم من جملة الأسماء وذاته من جملة الذوات، كما أن اسم محمد من جملة الأسماء، وذاته من جملة الذوات، فآدم عليه السلام أبو الأسماء ومحمد ﷺ أبو الذوات.

والأسماء صور الكلمات والذوات معانيها، والأسماء عالم الأجسام والذوات عالم الأرواح، والأجسام من الأرواح والأرواح من نور محمد ﷺ وهو من نور الله تعالى. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النُّور: 35] وهذا هو الأصل: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النُّور: 35] أي الذي خلق الله تعالى منه كل شيء كما ورد في الحديث السابق وهو نور محمد ﷺ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ [النُّور: 35] هي آدم عليه السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌۖ﴾ [النُّور: 35] هو روحانية محمد ﷺ ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ﴾ [النُّور: 35] هي روح العبد المؤمن.

قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مَريَم: 93] وفي الحديث القدسي: «**ما وسعني سمواتي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»(1).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكَوثَر: 1] وهو نهر في الجنة، وهو الكثرة في الوحدة وهي جوامع الكلم التي قال تعالى عنها: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: 109] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ [لقمَان: 27].

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومن جواهر العارف النابلسي أيضاً

[المتشابه في ذات الله وصفاته وهو غاية النفاسة]

كلام العارف النابلسي في ذات الله تعالى وصفاته وكلامه على المتشابه منها.

وحيث كان كلامه الذي أشار إليه في حق المتشابه، بقوله سيأتي الكلام عليه هو في غاية النفاسة والاتقان، ومعرفته من أهم المهمات لأهل الإيمان، ولم أره لغيره من العلماء وأهل العرفان، وهو عقيدة الشيخ رضي الله عنه وقد أحسن فيها كل الإحسان، رأيت من الصواب أن أنقله هنا حباً بنفع المسلمين ونشر عقيدة هذا الإمام، المتفق على جلالته بين أئمة الإسلام.

قال رضي الله عنه في كتابه المذكور في الباب الثالث منه: اعلم يا أيها الإنسان المطلق، والباب المرتج المغلق، والسر المكتوم في الأكوان، وبالله المستعان، إن الأكوان جميعها في القلوب وليست القلوب في الأكوان، والبواطن أوعية الظواهر وليست الظواهر أوعية البواطن، فمن نظر إلى الظواهر نظر إلى المظروفات ومن نظر إلى البواطن نظر إلى الظروف، وأنت إنما جئت من باطنك إلى هذا العالم لا من ظاهرك إليه فاحذر من تلبيس الشيطان، واخرج من حيث جئت، لا من حيث أنت.

فإن هذا باب الأزلية وحيث علمت مزية الباطن على الظاهر، فاعلم أن هذا سبب اختصاصه بالعقيدة بخلاف اللسان فأنصت بإذن قلبك لما أفرغ عليك مما في إنائي من العقائد الصحيحة لتغسل بذلك نجاسة الشكوك والأوهام وترفع أحداث البدع والزيغ والضلالات.

فأقول وبالله التوفيق أشهدني ربي بمنته وفضله عليَّ، فشهدت بحوله وقوته لا بحولي وقوتي أنه هو الله الذي لا إلٰه إلا هو ذات قديمة أزلية لا تشبه الذوات، ولا تماثل شيئاً من ذرات الموجودات، وجودها عين ذاتها لا قدر زائد عليها، ليست هي من شيء من الأشياء، لا هي من قسم الأجسام، ولا من قسم الأعراض، ولا من قسم النفوس، ولا من قسم العقول، ولا من قسم الأرواح، ولا من قسم العلوم، ولا من قسم الأوهام، ولا من قسم الخواطر، ولا من قسم الأفهام، ولا من قسم التخيلات، ولا من قسم الأنوار، ولا من قسم الظلمات، ولا من قسم اللمحات، ولا من قسم القوى، ولا من قسم الاستعدادات، وليست فوق شيء من جميع ما ذكرنا، ولا تحت شيء من جميع ما ذكرنا، ولا عن يمين شيء من جميع ما ذكرنا، ولا عن يسار من جميع ما ذكرنا، ولا قدام شيء من جميع ما ذكرنا، ولا خلف شيء

من جميع ما ذكرنا، ولا من جهات شيء من جميع ما ذكرنا، ولا داخلة في شيء من جميع ما ذكرنا ولا خارجة عن شيء من جميع ما ذكرنا، ولا يخلو عنها شيء من جميع ما ذكرنا، وليست بعيدة عن شيء من جميع ما ذكرنا، ولا قريبة إلى شيء من جميع ما ذكرنا، وهي متنزهة عن جميع ما يخطر في العقول والنفوس الكاملة المكملة فضلاً عن العقول القاصرة، ومتنزهة عن هذا التنزيه أيضاً، لأنه حادث، فلا يليق أن يكون وصفاً للقديم، وكذلك هي عن كل تنزيه يحكم به العقل السليم، وصفات هذه الذات المنزهة قديمة أيضاً، أزلية ليست عينها، ولا أمراً زائداً عليها، والعالم جميعه مقتضاها لا مقتضى الذات، وهي منزهة أيضاً مثل تنزيه الذات المذكور، ولولا أنه تعالى وصف نفسه بها لما جسرنا أن نصفه بشيءٍ منها لأنا لا نعرفه تعالى إلا من حيث عرفنا بنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

واعلم أن جميع الصفات التي وصف الله بها نفسه، إما في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، معان قديمة أزلية قائمة بذاته العلية، فكما أنها ليست عين الذات ولا غير الذات، كذلك كل صفة منها ليست عين الصفة الأخرى ولا غيرها، فذاته تعالى لها الوحدانية والأحدية وهي وصفاتها لا تركيب فيها بوجه من الوجوه، وإنما الصفات كلها نسب بين الله تعالى وبين العالم من العدم إلى الوجود عن تلك الذات القديمة إلا بواسطة اتصافها بهذه الصفات القديمة أيضاً.

والله تعالى قد تعرف إلينا من حيث الشرع بترجمة تلك المعاني القديمة القائمة بذاته التي هي صفاته باللسان العربي في كلامه القديم وعلى لسان رسوله ﷺ. فجميع تلك الألفاظ العربية التي ترجمت لنا بها تلك المعاني التي هي صفاته تعالى حقائق موضوعة لتلك المعاني التي هي صفاته تعالى حقائق لتلك المعاني لا مجازات.

وأما الذي فهَّمنا الله تعالى إياه من تلك الألفاظ العربية وخلقه فينا وسماه لنا بتلك الألفاظ فهو مجاز في اللسان العربي. فالقدرة مثلاً معناها الحقيقي في اللسان العربي الذي نزل به القرآن العظيم ما الله تعالى متصف به.

وأما ما خلقه فينا من القدرة الحادثة لنا على بعض الأشياء وفهمنا إياه من معنى القدرة، فهو معنى مجازي للفظ القدرة وفي اللسان العربي، وكذلك على هذا المنوال جميع ما سنذكره من الصفات.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرَّحمٰن: 1-4] فاللسان العربي الذي نزل به القرآن على صدر محمد ﷺ

جميع كلماته حقائق مستعملة في معانيها الحقيقية بالنسبة إلى الله تعالى.

وقد خلقنا الله تعالى متصفين بتلك الكلمات العربية المنزلة لكن بطريق المجاز وهو استعمال اللفظ في معنى آخر غير ما وضع له، ولهذا قال: خلق الإنسان، وفي الحديث «**أن الله خلق آدم على صورته**»[1].

وفي رواية خلق آدم على صورة الرحمٰن، والمعنى أن الوصف الذي وصف الله تعالى به نفسه حقيقة في كلامه المنزل على رسوله ﷺ خلقنا متصفين به، لكن مجازاً لا حقيقة.

ثم إنه سبحانه وتعالى علمنا تلك المعاني المجازية التي خلقنا متصفين بها ولم يعلمنا المعاني الحقيقية لتلك الألفاظ العربية التي هو سبحانه وتعالى متصف بها لعدم إمكاننا فهم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقـرَة: 216] فإذا آمنا به تعالى نظرنا إلى ما وصف به نفسه في كلامه القديم على لسان رسوله ﷺ فوصفنا الله تعالى بجميع ذلك على حسب المعنى الحقيقي الذي هو في علم الله تعالى لا على حسب المعنى المجازي الذي وضعه الله فينا وعلمنا إياه من تلك الكلمات العربية.

وصل في بيان الأوصاف التي وصف الله تعالى بها نفسه في كلامه القديم المنزل على محمد ﷺ.

وذلك أنه تعالى وصف نفسه بأنه **رب العالمين**، وأنه 2مالك أو ملك ليوم الدين، وأنه ليستهزئ بالمنافقين، فقال: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البَقـرَة: 15] وأنه **يمد المنافقين** فقال: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [البَقـرَة: 15]، **وأنه يذهب بنورهم ويتركهم في ظلمات، وأنه** ﴿مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البَقـرَة: 19]، **وأنه** ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البَقـرَة: 20]، **وأنه** ﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقـرَة: 37]، **وأنه** ﴿عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البَقـرَة: 95]، **وأنه** ﴿بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [البَقـرَة: 96]، **وأنه** ﴿عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البَقـرَة: 98]، **وأنه** ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [البَقـرَة: 107].

وإنه تعالى له **وجه** فقال: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القَصَص: 88]، وأن **وجهه أينما تولي** قال: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البَقـرَة: 115]، **وأنه** ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البَقـرَة: 117]، **وأنه** ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البَقـرَة: 117]،

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

وأنه ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البَقَرَة: 129]، **وأنه** يوفي العهد لمن وفى بعهده فقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البَقَرَة: 40]، **وأنه** ﴿بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البَقَرَة: 143]، **وأنه** يذكر من ذكره فقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البَقَرَة: 152]، **وأنه** ﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 153]، **وأنه** ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 158]، **وأنه** ﴿إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: 163]، **وأنه** يبين ﴿ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: 187]، **وأنه** ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البَقَرَة: 190]، **وأنه** ﴿مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: 194]، وأنه ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البَقَرَة: 195]، **وأنه** ﴿سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البَقَرَة: 202]، **وأنه** ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البَقَرَة: 205]، **وأنه** ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: 222]، **وأنه** ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البَقَرَة: 29]، **وأنه** ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 173]، **وأنه** ﴿يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَة: 245]، **وأنه** ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البَقَرَة: 255]، **وأنه** ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: 255]، **وأنه** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البَقَرَة: 257]، **وأنه** ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البَقَرَة: 258]، **وأنه** ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البَقَرَة: 267]، **وأنه** ﴿عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عِمرَان: 4]، **وأنه** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عِمرَان: 18]، **وأنه** مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير، **وأنه** ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: 97]، **وأنه** ﴿شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ [آل عِمرَان: 98]، **وأنه** ﴿بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عِمرَان: 120]، **وأنه** ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عِمرَان: 141]، **وأنه** ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 32]، **وأنه** ﴿خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: 150]، **وأنه** ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: 159]، **وأن له** ﴿مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [آل عِمرَان: 180]، **وأنه** ﴿لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [آل عِمرَان: 182].

وإنه رقيب علينا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّسَاء: 1]، **وأنه** عليّ كبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا﴾ [النِّسَاء: 34]، **وأنه** ﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النِّسَاء: 36]، **وأنه** ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ [النِّسَاء: 85]، **وأنه** ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾ [النِّسَاء: 86]، **وأنه** ﴿بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فُصّلَت: 54]، **وأن** ﴿ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النِّسَاء: 139]، **وأنه** ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: 42]، **وأنه** ﴿ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [البَقَرَة: 137]، **وأنه** ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الأنعام: 3]، **وأنه** ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: 18]، **وأنه** ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾ [الأنعام: 12]، **وأنه** ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [الأنعام: 57] أو يقضي الحق على

القراءتين ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57]، **وأنه** ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98]، **وأنه** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الأنعام: 95]، **وأنه** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿103﴾﴾ [الأنعام: 103]، **وأنه** ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: 141]، **وأنه** متصف بالصدق قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: 146]، وأن له رحمة وبأساً قال تعالى: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: 147].

وأنه ليس بغافل قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: 123]، **وأنه** ليس بغائب قال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿7﴾﴾ [الأعراف: 7].

وأنه مستو على العرش. قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]، **وأن له** مكراً قال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿54﴾﴾ [آل عمران: 54]، **وأن له** كلمة قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: 115]، كلاماً قال تعالى: ﴿إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ﴾ [التوبة: 115]، وكلمات قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف: 158].

وأن له عندية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: 206]، **وأنه** ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24]، وأنه ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: 58]، **وأن له** نوراً.

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى﴾ [الصف: 1]، وأنه نور قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

وأنه يسخر من المنافقين. قال تعالى: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: 79]، **وأن له** رضى. قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المجادلة: 22]، **وله** غضب. قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 6]، وأنه يأخذ الصدقات قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: 104]، وأنه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: 102].

وأن له أعيناً. قال تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: 37]، **وله** عين قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: 39]، وأنه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: 57]، وأنه ﴿قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61]، **وأنه** ﴿هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [هود: 66]، **وأنه** ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: 23].

وأنه يمسك الطير. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النّحل: 79]، **وأنه** يمسك السموات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: 41]، وأنه ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: 93]، وأنه ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النّحل: 128].

وأن له روحاً قال تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: 29]، ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: 17]، وله نفس قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28]. ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿28﴾﴾ [طه: 28].

وأنه لا يضل ولا ينسى. قال تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52]، **وأنه** ﴿يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: 38]، **وأنه** ﴿لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحجّ: 38]، **وأنه** ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النّمل: 25]، **وأنه** ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: 76]، **وأنه** ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: 52].

وأنه يحصل له أذى من الكافرين. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: 57]، وأنه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: 117]، **وأنه** ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبإ: 48]، **وأن له** يدين قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صٓ: 75]، **وأن له** يداً. قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، وله أيد. قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿47﴾﴾ [الذاريات: 47]، **وأنه** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشّورىٰ: 11]، وأنه ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 29].

وأنه نسي المنافقين. قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67]، **وأنَّ له** كيداً. قال تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿183﴾﴾ [الأعراف: 183]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿15﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿16﴾﴾ [الطّارق: 15-16]، وأنه موصوف بأنه ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزّخرف: 84]، **وأنه** تعالى في السماء قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: 17]، **وأنه** جاء قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿22﴾﴾ [الفجر: 22]. إلى غير ذلك من الأوصاف التي وصف الرب سبحانه بها نفسه في كتابه العزيز.

ومن جواهره أيضاً

[ما وصف الله به نفسه على لسانه ﷺ]

وصل في ما وصف الله تعالى به نفسه على لسان رسوله محمد ﷺ: فمن ذلك أن

له قدماً، روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال يلقي فيها، يعني النار، وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قط قط بعزتك وكرمك ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله خلقاً فيسكنهم فضل الجنة، وإن يده تعالى ملأى وبيده الأخرى الميزان**».

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار**».

وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان ويخفض ويرفع**»، وأنه تعالى له أصابع.

روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن يهودياً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إنَّ الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91].

وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبد الله: فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له. وورد في حديث آخر عن رسول الله ﷺ: «**أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن يقلبها كيف شاء**»[1]. وأنه يوصف بالإتيان في صورة ويوصف بالضحك.

روى البخاري في صحيحه وكل ذلك في كتاب التوحيد منه عن أبي هريرة رضي الله عنه وذكر الحديث إلى أن قال: «**فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه**»[2]. وفي الحديث طول، ومنه في الرجل المقبل بوجهه على النار «**فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه**»[3]، فإذا ضحك منه

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه البخاري في صحيحه في بابين أحدهما: باب فضل السجود، حديث رقم (773) [1/ 277] ورواه مسلم في صحيحه في بابين، أحدهما: باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (182) [1/ 163] ورواه غيرهما.

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة..﴾ حديث رقم (7000) [6/ 2704] ورواه غيره ونصه كاملاً: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في القمر ليلة البدر =

قال له أدخل الجنة، وإنه يوصف بالصوت.

روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحق.

وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الله العباد فيناديهم**

= قالوا: لا يا رسول الله قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها شك إبراهيم فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللَّهُمّ سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن يبقى بعمله أو الموبق بعمله أو الموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه ثم يتجلى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله بما شاء أن يدعوه ثم يقول الله: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسألني غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير الذي أعطيت أبداً ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي رب ويدعو الله حتى يقول: هل عسيت إن أعطيت ذلك أن تسأل غيره فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره ويعطي ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام إلى باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الحبرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة فيقول الله: ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت فيقول: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول: أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا قال له: ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمن فسأل ربه وتمنى حتى إن الله ليذكره يقول كذا وكذا حتى انقطعت به الأماني قال الله ذلك لك ومثله معه».

بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان»[1]. وإنه يوصف بالنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة.

روى البخاري[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له**». وإنه تعالى يوصف بأنه سمعُ من تقرب إليه بالنوافل وبصره ويده ورجله.

روى البخاري في صحيحه في كتاب «**الدعوات**»[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تعالى قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

وإنه تعالى يوصف بالفرح. روى البخاري في صحيحه في أوائل كتاب «**الدعوات**»[4] عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعير قد أضله في أرض فلاة**».

وإنه تعالى له ظل. روى البخاري في صحيحه[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزَّ وجل ورجل ذكر الله ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله عزَّ وجل، ورجل دعته امرأة ذات منصب**

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده..﴾، حديث في الباب عن عبد الله بن أنيس [6/ 2719].

(2) في صحيحه، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل..، حديث رقم (1094) [1/ 384] ورواه مسلم في صحيحه، باب الترغيب في الدعاء، حديث رقم (758) [1/ 521].

(3) باب التواضع، حديث رقم (6137) [5/ 2384] ورواه غيره.

(4) باب التوبة..، حديث رقم (5950) [5/ 2325].

(5) باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، حديث رقم (629) [1/ 234] ورواه مسلم في صحيحه، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم (1031) [2/ 715] ورواه غيرهما.

وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفقه يمينه». إلى غير ذلك مما ثبت في وصف الله تعالى في الأحاديث الصحاح عن النبي ﷺ.

وصل لإيضاح هذا الأصل

انقسم علماء الإسلام في جميع ما ورد من أوصاف الله تعالى في القرآن وفي السنة على قسمين السلف والخلف.

أما السلف فقد آمنوا بجميع ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ على حسب المعنى الحقيقي لذلك الوصف، وهو المعنى الذي يعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله ﷺ لا على حساب المعنى المجازي لذلك الوصف، وهو ما تتخيله عقول المؤمنين وهو مذهب التسليم وهو أسلم فتقر بواطنهم بالعجز عن فهم المعنى الحقيقي من ذلك الوصف ويكلون علم ذلك إلى الله ورسوله فيكون إيمانهم بتلك الأوصاف إيماناً بالغيب عند العقل وقد مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البَقَـرَة: 3] فيصفون الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ويؤمنون بجميع ذلك لكن على حسب المعنى الذي عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ لا على حسب المعنى الذي عند عقولهم ولم يتحاشوا من إطلاق ذلك على الله تعالى، لأن الله تعالى أطلق ذلك على نفسه وأطلقه عليه رسوله ﷺ، فهم في ذلك الإطلاق تابعون لله ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحَشر: 7].

ولا شك أن هذه الأوصاف في حقه تعالى ما ورد النهي عن إطلاقها عليه تعالى في كتاب ولا سنة، وإنما وردت هي بنفسها مطلقة على الله تعالى في الكتاب والسنة كما رأيت في ما ذكرنا.

ثم قال رضي الله عنه: والمذهب الحق إطلاق المتشابه على الله تعالى كما أطلقه على نفسه وأطلقه عليه نبيه ﷺ، وهو مذهب السلف والخلف رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وإنما الخلاف في صرف ذلك المتشابه إلى معنى من المعاني مما يحتمله ذلك اللفظ يسمى بالتأويل، وهو مذهب الخلف مع عدم القطع به وهو الأحكم لأن فيه زيادة على مذهب السلف باعتبار فهم معنى وتسليم بقية المعاني المحتملة إلى الشارع

فهو تسليم وزيادة، والسلف مذهبهم التسليم فقط من غير فهم شيء من محتملات اللفظ وهو الأسلم، وحيث أجمع السلف والخلف على صحة الإطلاق.

فنقول في وصف الله تعالى: إنه ذات قديمة تقدم الكلام على تنزيهها متصفة بصفات قديمة يفترض علينا الإيمان بجميعها إما على المعنى الذي هي عليه من غير علم منا بشيء من بعض محتملاتها أو مع علم منا بشيء من بعض ذلك والأول هو التسليم والثاني هو التأويل، والحق أن صفات الله تعالى كلها متشابهة إذ قدرته وإرادته لا نعقل لهما معنى وجميع ما نفهمه من ذلك تأويل له، فنؤمن أن الله تعالى له روح، وله نفس، وله عين، وله أعين وله يد، وله يدان، وله أَيد، وله قدم، وله أصابع، وله وجه، وله ظل، وله استهزاء، وله سخرية، وله ضحك، وله فرح، وله غضب، وله رضى، وله كلام، وله كلمة، وله كلمات، وله مكر، وله كيد، وله مجيئ، وله نزول، وله نسيان. . . إلى غير ذلك من الأوصاف القديمة التي لا نفهم منها إلا ما نحن عليه من المعاني المجازية لها دون المعاني الحقيقية التي هي من أوصافه سبحانه وتعالى على حسب ما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه ﷺ.

وكذلك له تعالى قدرة، وإرادة، وعلم، وحياة، وسمع، وبصر، وقول، ورحمة، ورأفة، ولطف، ومحبة، وعداوة، وبأس، ونفخ وما أشبه ذلك من الأوصاف القديمة الأزلية التي هي بالأصالة على طريق الحقيقة له تعالى وهي لنا ولفهمنا بطريق الاستعارة من قبيل المجاز والعلاقة السببية بينهما.

قال رضي الله عنه بعدما ذكر: ولنا كتاب مستقل في صفات الله تعالى أوصلناها إلى أربعمائة صفة وزيادة واستوفينا فيه هذا البحث واسمه «قلائد المرجان في عقائد الإيمان».

وصل فيه رجوع إلى الأصل

ونشهد أنه تعالى لم يحل في شيء من مخلوقاته، ولا حل فيه شيء من مخلوقاته، لأن الحلول إنما يتصور بين الشيئين اللذين يجمعهما وصف واحد. ولا مناسبة بين العبد والرب في شيء من الأشياء ولا في مجرد الوجود، فكيف يتصور أن يحل أحدهما في الآخر، فإن وجود العبد وجود في ذاته وهو بالنسبة إلى وجود الرب عدم محض وكذلك سمع العبد وبصره موجودان بالنسبة إلى العبد وهما بالنسبة إلى سمع الله تعالى وبصره محض الصمم والعمى، وعلى هذا جميع صفات العبد.

فالعالم جميعه موجود بالنسبة إلى نفسه وعدم محض بالنسبة إلى الرب سبحانه وتعالى فكيف يمكن أن يختلط أحدهما بالآخر؟

أما ترى أن الليل موجود في نفسه، وهو بالنسبة إلى وجود النهار معدوم، فهل يتصور أن يكون النهار حالاً في الليل أو متحداً به أو بالعكس.

فمن قال لنا: أين الله؟ كلمة يستفهم بها عن المكان والله تعالى خلقها وخلق معناها وخلق قائلها وخلق سؤاله وخلق جميع الأماكن، وهو تعالى لا يوصف بالصفات الحادثة المخلوقة فلا يليق به تعالى أن يقال عنه أين؟

ومن قال: كيف الله؟ قلنا له: كيف؟ كلمة يسأَل بها عن كيفية الشيء والله تعالى خلق هذه الكلمة وخلق معناها وخلق قائلها وخلق سؤاله وخلق جميع الكيفيات فلا يتصور أن يوصف بشيء خلقه فلا يقال عنه تعالى كيف هو.

ومن قال لنا: في أيّ شيء هو؟ قلنا له في معناها الظرفية الحقيقية نحو زيد في المسجد أو المجازية نحو النجاة في الصدق والله تعالى خلق هذه الكلمة وخلق معناها وخلق قائلها وخلق الظرفية الحقيقية والمجازية فكيف يليق به تعالى أن يقال عنه في أيّ شيء هو؟

ومن قال لنا: على أيّ شيء هو قلنا له على كلمة معناها الاستعلاء والله تعالى خلق هذه الكلمة وخلق معناها الذي هو الاستعلاء وخلق قائلها وخلق قوله فلا يقال عنه تعالى على أي شيء هو. وهكذا جميع السؤالات التي يسأَلها الإنسان يقال له سؤالاتك هذه كلها مخلوقة ومعانيها التي سأَلت عنها مخلوقة أيضاً وأنت مخلوق والله خالق لكل شيء والخالق لا يوصف بشيء من خلقه فلا يتصور السؤال عنه بشيء خلقه أن له مثله.

أرأَيت أن الصورة المنقوشة في الجدار إذا سأَلتها عن الذي نقشها هل له يد مثل يدها من مداد ونحوه ماذا يقال لك مع أن بين الصورة والناقش مناسبة ما في أن كلا منهما حادث من عدم والله تعالى لا مناسبة بينه وبين خلقه بوجه من الوجوه فهو فوق ذلك بمراتب يقيناً من غير شبهة.

وصل

من قال لنا: إذا كان الله تعالى بهذه المثابة من الغيب المطلق عن سائر العقول فكيف أمكن العقل أن يؤمن به؟ قلنا له: العقل يستدل بوجود كل شيء من هذه

المخلوقات على وجوده تعالى المنزه على حسب ما ذكرنا وزيادة، وذلك أن وجود كل شيء محسوس أو معقول لا بد أن يكون صادراً عن وجود آخر لا يشبه هذا الوجود الحادث، وإلا كان حادثاً مثله والحادث ليس في قوته إحداث نفسه ولا مثله فمن رأى شيئاً من هذا الوجود الحادث سواء كان محسوساً أو معقولاً علم بالضرورة العقلية أن هناك وجوداً آخر قديماً صدر عنه هذا الوجود الحادث بالإرادة والاختيار لا بالكره والاضطرار والإلزام أن يدخل تحت إكراه غيره فيكون حادثاً وهو قديم تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وذلك الوجود القديم هو الله تعالى.

فالإيمان بالله تعالى حينئذٍ على حسب ما هو عليه من التنزيه التام لا يتصور أن يغيب عن العقل إلا في أوقات غفلته التي يفرط فيها لأن وجود كل شيء دليل على وجود الله تعالى على حسب ما ذكرنا قال رضي الله عنه، وفي ذلك أقول:

قل لمن هام تابعاً أوهامه ... كل شيء على الإلٰه علامَهْ

أيّ عقل لا يستدل عليه ... بالإشارات وهو فيها أَقامه

ذاك عقل من غيه في عقال ... ليس يدري الهدى ولا الاستقامة

هذه الكائنات علواً وسفلاً ... ترجمت لي عن الإلٰه كلامه

وصل مهم

إذا قيل لنا ما السبب في أن العقل التام لا يمكنه أن يدرك الرب سبحانه وتعالى مع أنه يقدر أن يدرك كل شيء.

قلنا له: الله تعالى في غاية اللطافة والعقل بالنسبة إليه تعالى في نهاية الكثافة، واللطيف يدرك الكثيف، والكثيف لا يدرك اللطيف، ولهذا ترى الجسم لا يمكنه أن يدرك العقل لشدة لطافة العقل بالنسبة إليه، وأما العقل فيدرك الجسم.

وقد قسم الله تعالى هذا العالم إلى كثيف ولطيف وحجب الأول عن الثاني ولم يحجب الثاني عن الأول حتى يكون عبرة تامة في معرفة الرب سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: 103] وهذا لف ونشر على الترتيب فعدم إدراك الأبصار له تعالى لكونه لطيفاً وإدراكه للأبصار لكونه خبيراً.

انتهى ما اخترت نقله من كتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني للعارف الكبير الشهير سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه، فاغتنم أيها المطلع عليه هذه

التحقيقات النفيسة والفوائد الجليلة في توحيد الله تعالى التي لعلك لا تجدها لغير الشيخ رضي الله عنه ونفعنا ببركاته وعلومه في الدنيا والآخرة.

ومن جواهر الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه

[المولد النبوي بحروفه]

مولد النبي ﷺ مختصر بليغ يقرأ في جلسة لطيفة، وهو هذا: بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات، وجعل أمته وسطاً، وفضلها على سائر الأمم في العبادات.

وأشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، إلٰه تنزَّه عن الوزير والنظير والمشير من سائر الجهات، وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلمَ الجهالات؛ فصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم في سائر الحالات، فسبحانَ من فضل بعض النبيين على بعض، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، فأعطى آدم الصفوة وإبراهيم الخلة وموسى تسع آيات بينات، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات، واتخذ محمداً ﷺ حبيباً وشفيعاً ورفعهُ إلى سبع سمٰوات، وجعل الصلاة عليه يتيمة عقد الأعمال الصالحات. فصلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه صلاةً تكون لجنابه الشريف فخراً، ولنا في الدنيا والآخرة وديعةً وذخراً، كلما ذكرهُ الذاكرون براً وبحراً، وغفل عن ذكرهِ الغافلون نهياً وأمراً.

فقد صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «**من صلى عليَّ واحدةً، صلى الله عليه بها عشراً**»(1). صلوا عليه وسلموا تسليماً، فهو ﷺ النورُ الأولُ في النور الثاني نورٌ على نور، وقد آتاهُ الله القرآن والسبع المثاني فتمَّ له الحضور، ثم انقسم بلا انقسام على أعيان الحقائق الكونية، فأمدها بها منها في الصور الروحانية والجسمانية؛ فكان الشاهد والمشهود، في حقيقة المقبول والمبعود. ولما أراد الله سبحانهُ وتعالى إظهار الوجود من كتم العدم، بمحض الجود والفضل والكرم، بفك رمز قوله عزَّ وجل في

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب الإمساك عن الإغارة. .، حديث رقم (384) [1/ 288] ورواه أبو داود في السنن، باب ما يقول إذا سمع المؤذن، حديث رقم (523) [1/ 144] ورواه غيرهما.

الحديث القدسي الأعظم: «**كنتُ كنزاً مخفياً لم أُعرَفْ فأحببت أن أُعرف، فخلقت خلقاً وتعرفتُ إليهم فبي عرفوني**»[1].

كان محمدُ بنُ عبدِ الله الأجمل، وخليلهُ الأفضل وحبيبهُ الأكملْ، أخص مرادٍ من الموجودات وأشرف؛ فهو أول موجود برز من كِنّ كُنْ بسر القدرة الصمدية، وأشرف محمود حباه اللهُ بالتأَهل لمعرفة الصفة الأحدية، لأنَّ الله تعالى أبدى قبل الكائنات نوره، وجعل رحمة للعالمين ظهوره، ولم يكن في ذٰلك الوقت عرشٌ ولا كرسي، ولا ملكٌ ولا جني ولا إنسي، ولا جنةٌ ولا نار، ولا ليلٌ ولا نهار، فخلق الله من الهداية رأسه، ومن الطيب أنفاسه، ومن الشفقة قلبه، ومن الصبر بطنه ولبه، ومن السخاء كفه، ومن الذكاءِ أنفه، ومن الجمال عينيه، ومن لذيذ الخطاب أذنيه، ومن الشرف قدميه. فصلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه الحنفاء، صلاة تزيد شرفه علواً وعلوهُ شرفاً، وخصائصه شأناً، وشأنه عظماً، وعظمهُ جلالاً، وجلاله جمالاً، وجمالهُ كمالاً. صلوا عليه وسلموا تسليماً.

فكان به ﷺ فاتحةُ الوجود، وبقرة آل عمران شربت من وردهِ المورود، وبَرَرَةُ النساءِ امتدتْ لهن بنوره مائدة الشهود، وطافت به أنعام الأعراف ذوو الأنفال، ونجا بالتوبة يونس وهودٌ ويوسف من رعد شدائدهم الثقال، وسعد به إبراهيم في بنيان الحِجْر، وحصل به وحي النحل وإسراءُ الكمال ليلاً في كهف عزه بلا حَجز، وحملتْ به مريم لأنَّه طه الأنبياء وحجُّ المؤمنين، والنور والفرقان بالشعراء الكاملين، والنملُ آمن بالقصص لديهِ، وعشعش العنكبوت في الغار عليهِ، وأذعنت لهُ الروم بأنَّهُ لقمان الحكمة وسجدة الأحزاب، وسبا بمحبته القلوب فهو فاطرُ الألباب، ياسينُ الصافاتِ من الملائكة، وصادُ الزُمرِ من الطائفة المباركة، وسرُّ غافر الذنب الغفور، الذي فصلت به الأمور، وشورى بين الأشراف، وزخرف دخان النفس الجاثية عنهُ بالأحقاف.

محمدٌ صاحبُ الفتح والحجرات من التجليات العرفانية، وقافُ الذاريات من طور النفوس الإنسانية، نجمُ الأفلاك، وقمرُ الأملاك، المستمد من نور الرحمٰن الذي به واقعة الحديد في المجادلة، وحشر الممتحنة في الصفِ للجمعة مع المنافقين في تغابن المقاتلة، ومنهُ طلاق التحريم في الملك ونون الحاقة الإحسانية،

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومعارج نوح والجن السالكين في المقامات الإيمانية، المزمل والمدثر زين القيامة وفخر الإنسان، وذو الأخلاق المرسلات لأهل النبأ والعرفان، والنازعات من الأوصاف الكبار، لمن عبس من التكوير والانفطار، القاطع للمطففين بانشقاق البروج، والطارق حضرة الأعلى بغاشية الفجر في البلد المولوج، ضياء الشمس ونور الليل والضحى، المنزل عليه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشَّرح: 1] حيث شرح الله صدره للرسالة شرحاً. افتخر التين والعلق بقدره بل كل البرية، وزلزلت العادياتُ بقارعة التكاثر في عصر هُمَزة النفس الأبية، وولد ﷺ عام الفيل، فابتهجت قريشٌ بالماعون من كوثر السلسبيل، وارتفع على الكافرين بالنصر على أبي لهب، وكمل له الإخلاص والفلق الواضح فهدى الناس حتى كلٌّ من ربه اقترب.

صلوا عليه وسلموا تسليماً، فهو ﷺ صاحبُ الفتوحات المكية، ومحل التنزلات المدنية، الذي سارت بمدحته شجون المشجون، وعظمت بمنحته نزهة الفنون، وهو مقر التنزل المثنوي لمولانا، والسر الشاهديٌّ والمشهوديٌّ في أخرانا وأولانا، وهو ﷺ أدرى بنا وأولانا. كيف لا وهو شمس المعارف، وحقيقة عوارف المعارف، الذي انتهت بهِ بداية الهداية، ونقلت عنه العهود في ميزان طبقات أهل المنن والعناية؛ فهو أبو داود النبي بالإنسانية، وأبو عيسى بالروحانية الجبرائيلية، وابن ماجة البحور الجسمانية الآدمية، الجامع الكبير للجامع الصغير، والمواهب اللدنية لأهل التهليل والتكبير، حبرُ شفاء عياض، وبحرُ كرمه فياض؛ اللطيف الشمائل، وجامع الأواخر والأوائل. دينه رياض الصالحين، وشرعه روض الرياحين، مجمع الباطن والظاهر، ملتقى النيرين باليواقيت والجواهر، كنز الدقائق، والبحر الرائق، تنوير الأبصار، وعقد درر البحار، قاموس البلاغة والتبيان، وصحاح جواهر القرآن، وبديع فنون المعاني والبيان، مطول كل مختصر في الأسرار، وصدر الشريعة المطهرة ومشكاة الأنوار، مغني اللبيب عن قطر الندى، وصاحب الهمم الكافية الشافية من الردى، فهو الذي فتحت حانات الاقتراب على يده، ودارت بهِ كؤوس الشراب على الأحباب من وفاءِ مدده، ورويت الأخبار من رحيقه الساقي.

وانتشقت أرواح أهل الفلاح عبير جوده الواقي، وعلقت قلوب المحبين على اجتلاء أقمار صفاته، وتنزهت أعيان المقربين في حدائق حقائق آياته، فهو الذي أشهده الله السرَّ المصون، وأطلعه على الغيب المكنون، وهدى بمنهج نبوته السبيل، وأقام بتحفة رسالته الدليل، وأطلع شمس صفاته في سماء الوجود، وأمطر بوفاء

مقدمه السعيد سحائب الرحمة والجود، وأبدى بدائع الآيات من منازل أخبية الغيوب بهذا المولود، فتتابعت المنن بطالع سعد السعود، وذبح بسيف نصره هام المعاند والحسود، وابتلعت أرض دعوته قوائم سوابق أهل البغي والجحود. صلوا عليه وسلموا تسليماً.

ويتعين في هذا المجلس اللطيف، التنبيه على نسبه الذكي الشريف، أخرجه الله من شجرةٍ أصلها أصيل، وفرعها طويل، غارسها الرب الجليل، وخادمها الأمين جبريل، وملقح ثمارها إسماعيل، بمكة غرستْ، وبطيبة بسقتْ، وبتهامة نبعت، فنسبه ﷺ من أبيه عبد الله إلى معد بن عدنان، وما فوق ذلك فعلمه عند الملك الديان، لأنَّه ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان، فهو ﷺ سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وهو إلى قصي ينتسب، ابن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بجوده كل حي، ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان سيد العرب في الناس.

وهذا هو النسب الصحيح الذي لا شك فيه، وما فوق ذلك فعلمه عند منزل الكتاب الذي لا ريب فيه. ولما أراد الله إظهار من في حبه نتغالى، أبرزه من سر مكنون غيبه تبارك وتعالى، فظهرت لانتقال نوره الآيات، وتباشرت به جميع المخلوقات، ونودي في أقطار الأرض والسمٰوات: يا عرش تبرقع بالوقار، ويا كرسي تدرع بالفخار، ويا سدرة المنتهى ابتهجي، ويا حور الجنان تبلجي، ويا رضوان افتح أبواب الجنان، ويا مالك أغلق أبواب النيران، فقد آن أن يظهر أبو القاسم، صاحب الأعياد والمواسم، يهدم الكنائس والبيع والصوامع، وينسخ بشريعته سائر الشرائع، ينتصب لواءُ فخره بين زمزم والمقام، وترتفع بعاجل أمره عن الكعبة جميع الأصنام، وتخفض بطلوع فجره نفوس الجبابرة اللئام، ويجزم كل من تبع ملته أن دينه هو الحق والسلام.

فعند ذٰلك هللت الملائكة وكبرت، وأمطرت نعم الله على الخلائق وانهمرت، فبسقت حينئذٍ أغصان الإيمان، ونطقت وقتئذ همم ذوي التأييد والعرفان، وتكلم لسان التوحيد على منبر الهدى، مبرقعاً بجلباب التفريد من سندس الكرم والندى، قائلاً: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: 24]، فكان الوقت وقت إجابة، والأوان أوان تضرع وإنابة، والساعة ساعة بروز

أشرف خلق الله؛ من له حاجة فليسأل الله.

صلوا عليه وسلموا تسليماً، ولما أخذ آمنة ما يأْخذ النساءُ من المخاض، وامتلأ بيتها بساطع النور الفياض، أحست بفؤادها مسح طائر بمثل الجناح، فذهب عنها كل رعب ووجع وما تجده من جُناح، ثم أُتحفت بشربة بيضاء منيرة، فتناولتها وغشيتها الأنوار البهيرة، ثم وجدت عندها جملة من النساء الصالحات، فأشغلنها عن طلب الأهل والصويحبات، وقلن لها: يا آمنة لا تحزني وكوني من الآمنين، فنحن آسية امرأة فرعون ومريمُ ابنة عمران وهولاء من الحور العين.

ولما اشتد الأمر وتزاحمت الأملاك العظما، ومُدَّ الديباج بين الأرض والسما؛ والقائل يقول خذوه عن أعين الناس، كي يطاف به السمٰوات والأرض وتزوره الملائكة الأكياس.

ثم رأت أباريق من فضة بأيدي رجال في الهوا، وأقبل عسكر من الطير حتى فوق حجرتها استوى، مرسلة من حضرة ذي الملك والملكوت، مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت، فكشف الله عن بصرها ونالت مآربها، ورأت حينئذٍ مشارق الأرض ومغاربها، ورأَت بعد ذٰلك ثلاثة من الأعلام، علماً بالمشرق وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر البيت الحرام، ثم ظهرت الحور من حجبها، وأشرقت الأرض بنور ربها. وولدته ﷺ قال سيدنا حسان بن ثابت في مدح النبي الكريم الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

وأحسن منك لم ترَ قط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساءُ
خُلقتَ مبرأ من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاءُ

ومن جواهر العارف النابلسي

[شرح ديوان ابن الفارض]

قوله في خطبة شرحه على ديوان ابن الفارض رضي الله عنه ما نصه: والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، والرسول المبين، الساري بمادته النورانية، وكليته الروحية، في كل شيء عند أهل اليقين والتصديق؛ فمن تحقق بذاته وتخلق بصفاته، كمل في المتابعة بالتّخليق: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾﴾ [التّوبة: 128]. فيا سعادة أهل هذا المقام الأنيق، ولقد ظهر ﷺ بلباس الأولين، وسبقَت حقيقته

حقائق الأنبياء والمرسلين، كما هو ظاهر بالآخرين، فكان ﷺ رحمةً للعالمين؛ ولهذا نجا به إبراهيم من الحريق، وموسى من الغريق. صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، تعميماً لتفصيله بعد التخصيص بإجماله الوثيق، ورضوان الله تعالى عن آله الطاهرين، وأصحابه الظاهرين، الذين قاموا معه في خدمة الأمر بالأمر من غير تأخر ولا تعويق؛ منهم مطالع شموس حقيقته، ولوامع بروق طريقته، وكواكب سمٰوات شريعته، وبدور كمالات سيرته وسريرته. فكم بدر ظهر من أهل بدر فعمل ما شاء لأنَّه مغفور له بنص الحديث النبوي لصيانة نسب تقواه العتيق، وعن التابعين لهم في الكمال، بتجليات الجلال والجمال، من كل حميم صديق، ما نفحت نوافح الأزهار بالمسك الفتيق، ونفخت الرياض في قصب النرجس حتى تواجدت الأغصان وشق حلته الشقيق.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح خطبة ديوان ابن الفارض]

قوله في شرح خطبة ديوان ابن الفارض، وقد اختلط كلامه بكلام جامعه سبط ابن الفارض رضي الله عنهم: الحمد لله الذي اختص حبيبه الأسنى، بمقام قاب قوسين أو أدنى، أي محبوبه والمحبة منه تعالى صفة قديمة تقتضي حضور محبوبه لديه، وخلع حلته وهو الوجود عليه، والأشياء كلها حاضرة عنده تعالى من الأزل وهي في غيب ذواتها.

فلما نزل إليها لوصف المحبة القائمة به، أحضرها عندها فزال غيبها عنها، فأخبرها أنه يحبها وأنها تحبه بقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المـائدة: 54] فحبه لها اقتضى حبها له، فإنَّ حبه لها أثبت أعيانها في التقدير، وحبها له وصف أعيانها بالوجود والتصوير، وحبها له هو عين نزوله إليها بها، وهي كلها مخلوقة من نور محمد ﷺ فالمحبة والمحبوبية له ﷺ فهو المحب والمحبوب، وهو كل محب وهو كل محبوب.

والمحب هو المحبوب، باعتبار النزول إليهم بهم كما ذكرنا فالمحب جاهل بالأمر في نفسه، مدع ما ليس له من بين أبناء جنسه، والمحبوب متحقق عارف، ومن بحر الفضائل غارف؛ ولهذا قال حبيبه ولم يقل محبه، والأسنى من السناء بالمد وهو الرفعة أو السنا بالقصر وهو الضياء والنور، وهو ﷺ مرتفع على الجميع لأنَّه

وجودها الأول وهي وجوده الثاني؛ والفرق بينهما بالاعتبار وهو أيضاً محض النور، في حالة الظهور.

وقوله: بمقام المقام يقتضي الدوام والثبوت والحال للتحول والزوال، ومحمد ﷺ كان ثابتاً على قدم الرسوخ، فهو صاحب مقام لا حال، وقوله: قاب قوسين؛ القاب هو ما بين مقبض القوس ومدخل الوتر، فلكل قوس قابان أو قاب بمعنى قدر. وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النّجم: 9] أي أقرب من ذٰلك وهو تعالى في قرب محمد ﷺ منه تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجم: 8-9] أي دنا منه ربه لأنَّه محبوب والمحبوب مطلوب لا طالب، وهو كمال التحقيق بما الأمر عليه في نفسه، وهو أَنَّ الدنو من جهته تعالى، ولا شيء من جهة العبد أصلاً، فتدلى.

أي نزل إليه ربه بوصفه بالوجود في مقام الشهود، فكان أي ربه تعالى أو هو ﷺ من ربه سبحانه قاب قوسين، أي مقدار قرب القاب من القوسين، إذا وضع كل واحد منهما مقابلاً للآخر، بحيث تخرج منهما دائرة مقوسة بالوترين، وأفرد القاب مع إضافته إلى القوسين، فيكون أربعة أقواب لكل قوس قابان لإرادة الجنس أو إشارة إلى أنَّ كل قاب أي طرف من الدائرة المحمدية عين الطرف الآخر، فكأن الأطراف الأربعة طرف واحد.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3] فهي الأطراف الأربعة كالمبتدأ، والخبر غير المبتدأ باعتبار، وعينه باعتبار آخر، كقولك: زيد قائم فإنَّ الموصوف بالقيام هو زيد في المعنى، وكذلك هنا فإنَّ النور المحمدي الذي هو أول مخلوق، كما ورد في الحديث: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**»[(1)].

ثم خلق الله منه كل شيء، فكان محمد ﷺ أولاً، وكان أيضاً آخراً، لأنَّ المادة كالخشب مثلاً إذا صنع منها الكرسي كانت عين الكرسي، وإنما زاد عليها بالصورة، وكان ظاهراً بالصورة، وكان باطناً بالمادة لعدم اعتبارها في حال اعتبار الصورة.

ثم قال العارف النابلسي رضي الله عنه عند قول صاحب خطبة الديوان: «وقرن اسمه الشريف بأعظم أسمائه الحسنى» وهو اسم الله ، فإنَّه الاسم الأعظم على ما عليه الأكثر ذكر اسمه تعالى مع إسمه ﷺ في الشهادتين كما ورد في حديث جبرائيل عليه السلام حين سأله عن الإسلام، فقال بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إلٰه

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله إلى آخره، وهو ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجْم: 3-4]، وكان يوحى إليه ﷺ بالقرآن وبالسنة أيضاً، كما ذكرناه في كتابنا الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية.

ثم قال العارف النابلسي عند قول صاحب خطبة الديوان، وهو سبط ابن الفارض، وقال ولده أي ولد الشيخ عمر رحمه الله تعالى: رأيت وأنا في يقظتي الشيخ، يعني والده الشيخ عمر رضي الله عنه، وكان في حال حياته نائماً مستلقياً على ظهره، وهو في تلك الحالة يقول: صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله. . . هكذا ثلاث مرات رافعاً بذلك صوته، مشيراً بإصبعيه السبابتين من يده اليمنى ويده اليسرى إليه ﷺ واستيقظ أي الشيخ رحمه الله تعالى من نومه ذلك وهو يقول كذلك، أي صدقت يا رسول الله مكرراً ثلاث مرات، ويشير بإصبعيه كما كان يفعل وهو نائم، فأخبرته أي الشيخ رضي الله عنه بعد استيقاظه بما رأيته يفعله من الإشارة بإصبعيه، وبما سمعته منه من قوله المذكور، وسألته عن سبب ذلك أي القول والإشارة فقال أي الشيخ رضي الله عنه: يا ولدي، رأيت رسول الله ﷺ في المنام.

ومعلوم أن من رأى النبي ﷺ في المنام، فقد رآه حقاً، كما ورد في الحديث قال رسول الله ﷺ: «**من رآني في المنام، فقد رآني، فإنَّ الشيطان لا يتمثل بي**». رواه أحمد بن حنبل والبخاري والترمذي، عن أنس رضي الله عنه.

وفي رواية: «**من رآني فقد رأى الحق، فإنَّ الشيطان لا يتزيّا بي**». رواه أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم، عن أبي قتادة رضي الله عنه.

وفي رواية: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي**». رواه البخاري ومسلم وأبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه أي تكون رؤياه ﷺ في المنام بشارة له أنَّه سيراه في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان به في اليقظة أيضاً بالرؤية البرزخية، التي تحصل للأولياء العارفين بالله تعالى إذا تجردوا في اليقظة من عالم أجسامهم، وغلبت عليهم روحانياتهم، ولطفت كثائفهم بالرياضة الشرعية والطاعة المرضية، فإنَّهم يتجردون في اليقظة عن غلبة عالم الطبيعة عليهم كما يتجرد النائم، فيرون في اليقظة ما يراه النائم في منامه، ويجتمعون بالأرواح البرزخية، ويتكلمون معهم وهو أمر محقق عند العارفين، فيكون في الحديث إشارة إلى «**أن من رأى**

النبي ﷺ في منامه واستعظم تلك الرؤيا حتى أوجبت كمال تقواه واستقامة حاله على الشريعة ظاهراً وباطناً». لا ظاهراً فقط، كما يظنه الأجانب عن هذا الطريق، فإنَّه يصير ولياً عارفاً، ويرى النبي ﷺ في اليقظة، فتكون رؤياه له في المنام داعية إلى حصول ذلك المقام.

وأما من رآه ﷺ في المنام، واستمر مصراً على ما هو فيه من الآثام في الظاهر والباطن، وهو غافل محجوب مشغول القلب بالدنيا وجمع الحطام. فإنَّ تلك الرؤيا وبال عليه ومكر به وانتقام.

وقد أشار القسطلاني رحمه الله تعالى في مواهبه اللدنية إلى إمكان رؤيته ﷺ في اليقظة، وكذلك ابن حجر الهيتمي في شرح همزية البوصيري، وللأسيوطي رسالة في ذلك سماها إنارة الحلك في إمكان رؤية النبي والملك.

قال ابن الفارض، وقال رسول الله ﷺ لي: يا عمر، لمن تنتسب؟ فقلت: يا رسول الله. إلى بني سعد، وهي قبيلة حليمة السعدية مرضعتك يا رسول الله. فقال ﷺ: «**لا بل أنت مني، أي من ذريتي ونسبك متصل بي**». فقلت: يا رسول الله، إني أحفظ نسبي عن أبي وجدي إلى بني سعد، فقال ﷺ: لا لا ماداً صوته ﷺ بل أنت مني ونسبك متصل بي، أي من أولاد علي من فاطمة الزهراء رضي الله عنهم فقلت: صدقت يا رسول الله مكرراً ذلك القول ثلاث مرات، مشيراً إليه ﷺ بإصبعي.

قال جامع هذا الديوان: رأيت ولده المشار إليه واقفاً على قدميه في اليقظة، وأصابع يديه مبسوطة على ركبتيه من غير إنحناء في ظهره، بأن كانت يداه طويلتان بحيث تصلان إلى ركبتيه.

وقال ـ أي ولد الشيخ رحمه الله تعالى ـ: رأيت والدي أي الشيخ عمر بن الفارض، رضي الله عنه واقفاً على قدميه، وأصابع يديه مبسوطة على ركبتيه مثل وقوفي هذا،وأشار إلى وقوفه ذلك كذلك، وقال أي ولد الشيخ أو الشيخ: هذا وصول اليدين إلى حد الركبتين من علامات الشرف.

قال العارف النابلسي: ولا يلزم أن يكون ذلك شرطاً في صحة النسب، بل هو من علاماته كما قال: وقد ورد في الأخبار ما يدل على أنَّ النبي ﷺ كانت يداه طويلتين في الحس والمعنى، فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت عند خالتي ميمونة، فقام النبي ﷺ يصلي من الليل، فقمت عن يساره، فأخذ برأسي فأقامني عن يمينه.

أخرجه البخاري ومسلم، وفي رواية لغيرهما: فأخذ بأذني وأدارني خلفه، حتى أقامني عن يمينه. وفي رواية: وقمت خلفه، فأخذ ذؤابتي، وأقامني عن يمينه، فعدت إلى مكاني، فأعادني ثانياً وثالثاً.

فلما فرغ قال: ما منعك يا غلام أن تثبت في الموضع الذي أوقفتك؟ قلت: أنت رسول الله، ولا ينبغي لأحد أن يساويك في الموقف، فقال ﷺ: «**اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[1].

ولا شك أنَّه لا أطول من يد تمد إلى رأس مقتدٍ على اليسار أو إلى أذنه، فتجذبه من خلف إلى جانب اليمين من غير تحويل عن القبلة من صاحب تلك اليد، فهي اليد الطولى. ثم قال جامع هذا الديوان سبط الشيخ: النسبة الشريفة التي أرادها ﷺ بقوله للشيخ عمر في المنام: «**بل أنت مني ونسبك متصل بي**».

إما أن تكون نسبته الأهلية بأن يكون من ذرية فاطمة التي هي ذرية النبي ﷺ. قال العارف النابلسي: وهو الظاهر المتبادر من الكلام، وإن لم يكن ثابتاً في الظاهر، وكان الثابت غيره لأنَّه لما كان المعتبر في الشرع ثبوت النسب بالبينة، واختلاف الأزمان يقتضي اختلاف الناس في طبائعهم وعاداتهم وأغراضهم ومقاصدهم... فقد يضعف بعض الذرية عن إقامة البينة، وقد تمتنع الشهود عن أدائها لخوف أو طمع، وقد يعدل الحاكم، وقد يظلم، وقد ينتسب بعض الذرية إلى غير نسبه لجهله بنسبه، أو لغرض من الأغراض، فيكون قول النبي ﷺ هو الصحيح، على خلاف ما هو في ظاهر الحال، وإن لم تكن هذه الرؤيا المنامية موجبة لحكم من الأحكام الشرعية.

قال سبطه: أو تكون تلك النسبة نسبة المحبة بينه وبين النبي ﷺ والنسبة التي هي عند أهل المحبة أشرف قدراً واعتباراً من نسب الأبوة، التي كانت منها الولادة، وهي التي جعلت بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي من أهل البيت. قال العارف النابلسي أي بيت النبوة المحمدية، بل ورد في الحديث أنَّه قيل له ﷺ من آلك يا رسول الله؟ قال: «**آلي كل مؤمن أو كل مؤمن تقي**»[2]. على اختلاف الروايتين. والآل بمعنى الأهل.

---

(1) رواه أحمد في المسند، عن عبد الله بن عباس، حديث رقم (3033) [1/ 328].
(2) رواه العقيلي في الضعفاء، حديث رقم (1879) [4/ 286].

وقال رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**». رواه الطبراني والحاكم، عن عمرو بن عوف. وفي رواية: «**سلمان سابق فارس**». رواه ابن سعد عن الحسن مرسلاً.

وقال رسول الله ﷺ: «**السباق أربعة أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبشة**»[1]. رواه البزار والطبراني والحاكم، عن أنس؛ ورواه الطبراني عن أم هانئ، ورواه ابن عدي عن أبي أمامة. وأُبعد عنها، أي عن نسبة المحبة، أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ أخو أبيه عبد الله، وأبو علي كرّم الله وجهه وقد قال النبي ﷺ: «**حريصاً على إسلامه، فعاده في مرض موته**»، فقال له: **قل لا إلٰه إلاَّ الله، محمد رسول الله**. فأبى حتى كان يقول ﷺ: «**يا عماه قلها ولو في أذني، كلمة أحاجج لك بها يوم القيامة**». فقال على دين الأشياخ من قريش، ولم يتشرف بها، أي بنسبة المحبة المذكورة ولم تنفعه نسبة العمومة التي هي أقرب الأنساب الأهلية لاقتضائها العصوبة والولاية لما حجبته المشيئة الإلٰهية الأزلية بما قدرته عليه من الموت على الكفر، والعياذ بالله تعالى عن الهداية الربانية والعناية الرحمانية.

وكذلك تبرأ إبراهيم الخليل عليه السلام من أبيه آزر، لما تبين له أنَّه عدو لله تعالى، كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التّوبَة: 114] وكان وعده بالإسلام والإيمان به، فامتنع من ذلك.

وقيل لنوح عليه السلام عن ولده لما قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿45﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هُود: 45-46] وإلى هذا النسب الشريف الذي، هو نسب المحبة أشار شيخنا، يعني الشيخ عمر رضي الله عنه، في القصيدة اليائية التي قافيتها الياء المثناة التحتية حيث قال:

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من أبوي

قلت: أي قال جامع هذا الديوان، سبط الشيخ عمر رحمهما الله تعالى بطريق المناسبة في اعتبار نسب المحبة نظير واقعة الشيخ عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ ورأَيت في المنام كأنني في الحضرة الشريفة المحمدية، وكأنَّ عند رسول الله ﷺ

(1) ورواه عبد الرزاق في المصنف، باب أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم (20432) [11/ 242].

جماعة كثيرة من الأنبياء والأولياء وكأَنَّ الشريف شمس الدين الأيكي نقيب الأشراف، وقاضي العساكر المنصورة، توفي بدمشق في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وستمائة مع الجماعة في الحضرة الشريفة، ولم أعرف أحداً منهم بصورته سواه، وكأَن النبي ﷺ أمر بإثبات نسبة الشيخ صُبَيح الحبشي إليه، أي النبي ﷺ ورأيت رجلاً في المجلس معه المكتوب الذي يشهد فيه بالنسبة الشريفة المحمدية، وهو يدور على الحاضرين في ذلك المجلس يأخذ خطوطهم فيه؛ فلما وصل إليَّ ناولني المكتوب، وقال لي: اكتب فقلت له: أنا ما رأيت الشيخ صُبَيح، ولا عاصرته، ولا أعرف نسبته؛ وإنَّما رأَيت أولاده وهم أصحابي، فصرخ عليّ صرخة عظيمة، وجدت لها رعباً عظيماً.

وقال لي: اكتب كما أمر رسول الله ﷺ أن يكتب، فقلت: وكيف أمر سيدنا رسول الله ﷺ أن يكتب؟ فقال: اكتب «أشهد أن النبي ﷺ متصل النسب بالشيخ صُبَيح، فكتب كما أمر رسول الله ﷺ أن يكتب؛ والشيخ صبيح المذكور لم يعرف أحد أنه من ذرية النبي ﷺ إلاَّ أنَّه كان رجلاً من الصالحين الكاملين، كما وقع للشيخ عمر رضي الله عنهما فلعلهما في حقهما نسبة الأهلية أو نسبة المحبة، كما سبق بيانه، ثم قال سبط ابن الفارض، جامع ديوانه في خطبته أيضاً، فقال لي ولده رحمه الله تعالى: سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول حصلت مني هفوة، فوجدت مؤاخذة شديدة في باطني، وانحصرت من شدة القبض والغم باطناً وظاهراً، أي في باطني وظاهري، حتى كادت روحي تخرج من جسدي، فخرجت هائماً كالهارب من ذنب فعله، وهو مطلوب فطلعت إلى جبل المقطم، وقصدت مواطن سياحتي، وأنا أبكي وأستغيث وأستغفر، فلم ينفرج ما بي فقصدت مدينة مصر، ودخلت جامع عمرو بن العاص، ووقفت في صحن الجامع خائفاً مذعوراً، وجددت البكاء والتضرع والاستغفار، ولم ينفرج ما بي، فغلب عليَّ حال مزعج لم أجد مثله قط وقلت:

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

فسمعت قائلاً بين السماء والأرض أسمع صوته ولا أرى شخصه:

محمد الهادي الذي ... عليه جبريل هبط

يعني الذي استفهمت عنه، وطلبت تعيينه في ذهنك، ووصفته بأنَّه ما عمل سوءاً في عمره أصلاً، وإنَّما أعماله كلها أعمال حسنة مرضية، هو محمد ﷺ، وإنما خصه دون بقية الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا كلهم كذلك لعصمتهم عليهم السلام

لأنَّه ﷺ آخر من وجد من هذا النوع الإنساني، لأنَّه خاتم النبيين، فهو معروف بهذا الوصف المذكور في هذه الأمة أكثر من غيره، أو لأنَّه أفضل الجميع فهو الفرد الكامل ﷺ والهادي الذي هدى الأمة، ودلهم على أقوم الطريق الذي نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي من الله تعالى وبالقرآن العظيم، فأرشد الله تعالى به من شاء إلى صراطه المستقيم.

ثم قال سبطه: وقال لي ولده: رأيت الشيخ رضي الله عنه نهض ورقص زماناً طويلاً، وتواجد وجداً عظيماً، وتحدر منه عرق كثير حتى سال تحت قدميه وخرَّ إلى الأرض، واضطرب اضطراباً شديداً.

قال العارف النابلسي: وهذه الحالة تعتري كثيراً من الفقراء في وقت اجتماعهم في حلق الذكر، حتى إنَّ الرجل منهم ينزع عمامته وبعض ثيابه، وينطرح على الأرض فيبقى كالقطعة من الخشب ليبس أعضائه وقشعريرة جسمه من قوة الوارد الذي يهجم على قلبه، والخشوع الذي يغلب عليه، فيسلبه الاختيار خصوصاً من فقراء بني سعد الدين الجباوي بدمشق الشام، ومن فقراء التغالبة بدمشق أيضاً من يدوس بفرسه وهو راكبها على ظهور الرجال في حال وجده الذي يأخذه، ولا يتأثر أحد من ذلك أصلاً.

وربما بما حصل الشفاء بذلك لمن له مرض ونحوه، وربما جذب بيده المقعد الزمن، فيمشي على قدميه في الحال، وهو أمر شائع مشهور عندنا في دمشق الشام، وهي حالة شريفة وإن أنكرها كثير من المتفقهة القاصرين في الزمان لبعدها عنهم من قسوة قلوبهم، وهي من أثر الخشوع. وقد قال ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من قلبٍ لا يخشع**». الحديث رواه الترمذي والنسائي، عن ابن عمرو بن العاص.

وربما طعن بعضهم في الفقراء بأنَّهم مسرفون على أنفسهم، فتراهم يطلبون فقراء في سبيل الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية.

وهذا لا يكون أبداً بل من غلب خيره على شره فهو الكامل، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من ذلك، وهو الاكتفاء بالعشر من الخير فضلاً عن غلبته على الشر أو كونه نصفاً أو ربعاً، قال ﷺ: «**إنَّكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك. ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا**». رواه الترمذي، عن أبي هريرة، وذكره الأسيوطي في الجامع الصغير، فقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل بالعشر، وهي بشارة عظيمة لكل من سلم من الكفر والشرك إلى آخر الزمان، وقل من يسلم من ذلك في زماننا هذا من كثرة التباس الحق بالباطل على غير أهل التوفيق

والعناية، فقد وجدنا من يعتقد الطاعة معصية والمعصية طاعة من كبار علماء زماننا، فضلاً عن العامة منهم ومن بقية الناس، إلاَّ من حفظه الله تعالى وهداه.

ولهذا ورد في حديث الطبراني في المعجم الكبير والحاكم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم**».

ولم يكن عنده أي عند الشيخ عمر بن الفارض رضي الله عنه حين صدور تلك الحالة الشريفة غيري، أي غير ولده المذكور رحمه الله تعالى ثم سكن حاله، وسجد لله تعالى، قال ولده: فسألته عن سبب ذلك، فقال: يا ولدي، فتح الله عليَّ بمعنى في بيت لم يفتح عليَّ بمثله، وهو هذا البيت:

وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

قال العارف النابلسي رضي الله عنه: وقد بحثت يوماً مع بعض الإخوان على هذا البيت في مدح الحضرة المحمدية أيهما أبلغ هذا أم قول صاحب البردة رضي الله عنه:

فإنَّ من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فكان يقول: إنَّ بيت صاحب البردة أبلغ، فقلت له: في بيت صاحب البردة فن من فنون الوصف النبوي والمدح المحمدي، فهو داخل تحت تلك الفنون التي أشار إليها الشيخ عمر رضي الله عنه في بيته إلى يوم القيامة، فاعترف بذلك، فلا أبلغ من هذا البيت المذكور. ولهذا سجد شكراً لله تعالى.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قوله لابن الفارض]

قوله في شرح قول ابن الفارض رضي الله عنهما:

سائق الأظعان يطوي البيد طي ... منعماً عرج على كثبان طي

يشير بالكثبان إلى المقامات المحمدية، في الحضرات الأحدية. ولهذا أضافها إلى طي اسم قبيلة من قبائل العرب منها حاتم المشهور بالكرم، يعني عرج بي أو بهم على المقامات المحمدية التي لا انقضاء لها فصاحبها دائم الترقي قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ﴾ [الأحزَاب: 13] أي يا أصحاب محمد ﷺ يعني ورثتُه المحمديين ويثرب من أسماء المدينة ﴿لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [الأحزَاب: 13] أي لا تقفون عند مقام، بل أنتم دائمون في الترقي، كما قال ﷺ: «إنَّه ليُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في

اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة». وفي رواية «**مائة مرة**»[1].

وقال أبو الحسن الشاذلي: إنَّه غين أنوار لا غين أغيار، يعني أنه ﷺ كلما ترقى إلى مقام وجد المقام الأول الذي كان فيه غيناً، أي حجاباً، فيستغفر الله تعالى منه.

ومن جواهر العارف النابلسي رضي الله عنه

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنه من القصيدة المذكورة.

فاعهدوا بطحاء وادي سَلَم ... فهو ما بين كداء وكُدَي

(**فاعهدوا**) من التعهد للشيء، قال في القاموس: تعهده وتعاهده تفقده، وأحدث العهد به و(**البطحاء**) مسيل واسع فيه دقاق الحصى و(**السلم**) بالتحريك اسم شجر نابت في ذلك الوادي، فيقال له وادي سلم وكني ببطحاء وادي سلم عن عالم الأرواح الذي هو الوادي المقدس طوى قدس عن دنس الطبيعة، وانطوى فيه كل شيء وبطحاؤه موضع قبول الفيض الإلٰهي والمدد الرباني، وهو عالم العقول والألباب، وقوله: فهو أي قلبي الذي ضاع مني (**بين كداء وكدي**). قال في القاموس: كداء كسماء، اسم عرفات وجبل بأعلى مكة.

دخل النبي ﷺ مكة منه. وكُدي كسُمي جبل خرج ﷺ منه وجبل آخر بقرب عرفة كني بالأول عن النور الأول الأعلى، وهو نور الحق تعالى، وبالثاني عن النور الثاني الأسفل، وهو نور محمد ﷺ الذي قال تعالى في حقه نور على نور.

يا سقى الله عقيقاً باللّوى ... وَرَعى ثَمّ فريقاً مِن لؤي

(**يا**) حرف نداء، والمنادى محذوف، أي يا قوم سقى الله عقيقاً، وهو الوادي، وكل مسيل شقه ماء السيل وموضع بالمدينة وباليمامة وبالطائف وبتهامة وبنجد؛ كذا في القاموس.

و(**اللوى**)، كإلى؛ ما التوى من الرمل، كني بذلك عن المقام المحمدي الذي هو موضع الفيض الرباني، والمدد الصمداني، والوحي الرحماني. وسقاه الله، أي أدام غيث العلوم نازلة لديه وهاطلة عليه.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، حديث رقم (5948) [5/ 2324] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر البيان بأن هذا العدد المذكور باستغفار المصطفى ﷺ، حديث رقم (925) [3/ 204] ورواه غيرهما.

وقوله: رعى أي حفظ؛ ثم بفتح الثاء المثلثة وتشديد الميم بمعنى هناك، والفريق الطائفة من الناس، يعني حفظ الله تعالى جماعة من العارفين المحققين في ذلك المقام المحمدي، ورثوه بنسب التقوى.

وقوله: **(من لؤي)** بن غالب بن فهر، فهم من آل بيته ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: «**آلي كل مؤمن تقي إلى يوم القيامة**»[1].

ومن جواهر العارف النابلسي رضي الله عنه

[في شرح قوله لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنه:

ذهب العمر ضياعاً وانقضى ... باطلاً إذ لم أفز منكم بشي
غير ما أوليت من عقد ولا ... عترة المبعوث حقاً من قصي

مراده موالاة بيت النبوة على طريقة التشبيه بأن يعقد مع قلبه، ويأْخذ العهد على قلبه بنصرتهم ومحبتهم. والمعنى أنَّه لم يفز طول عمره من الحق تعالى بشيء لأنَّه تعالى ليس كمثله شيء، وإن عرف نفسه، وقيل له: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» يعني عرف أنَّه لا يعرف.

ثم استثنى من ذلك الشيء الذي لم يفز به من ربه، عقد موالاته لآل بيت النبي ﷺ وعد هذا الشيء فوزاً له ونجاة وهبة وعطية من ربه، محبة فيه ﷺ وهو شيء من أشرف الأشياء من قبيل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البَقَرَة: 265].

وقد أضاف في البيت لفظ عقد إلى لفظ ولاء، وأضاف ولاء إلى عترة. و**(العترة)** نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون، وأضاف العترة إلى المبعوث، أي الذي بعثه الله تعالى، أي أرسله لهداية الأمة.

و**(المبعوث)** صفة لموصوف محذوف، أي عترة النبي المبعوث **(من قصي)**، وهو أحد أجداد النبي ﷺ وقد سلك هذا المسلك الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره فقال:

جعلت ولائي آل أحمد قربة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا
وما طلب المختار أجراً على الهدى ... بتبليغه إلاَّ المودة في القربى

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء ضمن حديث رقم (17): «آل محمد كل تقي».

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في التائية الصغرى:

سقى بالصفا الربعيُّ ربعاً به الصفا وجاد بأجياد ثرىً منه ثروتي

(الصفا) الأول من مشاعر مكة بلحف جبل أبي قبيس، والباء في قوله بالصفا بمعنى في، و**(الربعي)** بالرفع فاعل سقى، وهو المطر الذي ينزل في زمن الربيع، كناية عن العلوم الإلٰهية اللدنية؛ وقوله **(ربعاً)** مفعول سقى، وهو المنزل كناية عن قلب العارف المحقق، فإنَّه منزلة المحبوبة من قوله ﷺ: «**ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[1]؛ وكون ذلك الربع في الصفا أي في المقام الروحاني والسر الإنساني، كما أنَّ المروة من مشاعر مكة كناية عن الجسم الطاهر من العصيان المنسوب إلى السر الظاهر أحد حقيقة الإنسان، والإشارة إلى ذلك في السعي من الصفا والمروة في الحج الروحاني من مقام الإحسان، وقوله **(به)**، أي فيه الصفا، هو ضد الكدر بذهاب أوهام الأغيار والتهاب أفهام الأسرار؛ وقوله وجاد معطوف على سقى.

يقال **(جاد)** بمعنى أمطر، وضميره راجع إلى الربعي قبله، **(بأجياد)** وهي أرض مكة أو جبل فيها، كناية عن الجسم العنصري للإنسان الكامل، وقوله **(ثرى)** مفعول جاد، و**(الثرى)** بالمثلثة التراب كناية عن أصل جسم الكامل، الذي نشأ منه كاملاً بتربيته في حجر أحكامه، وهو الحقيقة المحمدية النورانية التي هي هيولى الأكوان من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110] وقوله **(منه)** أي من ذلك الثرى **(ثروتي)**، أي غناي، وهو حصول الفتح له في ذوق التجليات الإلٰهية.

مخيم لذاتي وسوق مآربي وقبلة آمالي وموطن صبوتي

مخيم بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وتشديد الياء التحتية، من خيم زيد بالمكان إذا أقام فيه؛ واللذات جمع لذة، وهي ما ينشأ عن إدراك الملايم، وذلك حظ الروح كما أنَّ الشهوة حظ النفس لتعلقها بالجسم، على معنى أنَّ لذاته الروحانية مقيمة في ذلك الثرى المذكور في البيت قبله؛ ثم قال: وسوق مآربي، أي مقاصدي وحاجاتي على معنى أنَّ مقاصده وحاجاته تباع وتشترى فيه، من قوله ﷺ: «**إنَّ الله هو المعطي وأنا القاسم**»[1]. قال سيدي عبد الغني:

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ولنا من هذا المعنى قولنا في قصيدة نبوية:

يا أبا القاسم يا قاسم ما   يهب الله على طول المدى

ثم قال أي ابن الفارض وقبله آمالي القبلة بكسر القاف الجهة، والآمال جمع أمل وهو الرجاء، أي جميع ما آمله وأتمناه متوجه إليها، أي إلى تلك القبلة التي هي ذلك الثرى المذكور، وهو يتمنى ويترجى الدخول بها إلى الحضرة الإلٰهية، ولا يدخل إليها إلاَّ من جهة هذه القبلة، كما قال القطب البكري قدس الله سره من أبيات نبوية:

وأنت باب الله أيّ امرئ   أتاه من غيرك لا يدخل

وقوله: وموطن الصبوة في الأصل جهلة الفتوة، وهنا معناها زيادة العشق والمحبة، من قوله ﷺ: «**لن يكمل إيمان أحدكم، حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين**»[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: 6] وسبب ذلك كشفه عن الأكوان أنَّها من نوره ﷺ ووجد أنَّ كل محبة له ﷺ في تعيناته الروحانية والجسمانية على التخييل والتمثيل.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في التائية الصغرى:

على فائتٍ من جَمْعِ جِمْعٍ تأَسفي   وودّ على وادي مُحَسِّر حسرتي

(على فائت) جار ومجرور خبر مقدم، وقوله **(تأسفي)** مبتدأ مؤخر. وقدم الخبر للاهتمام والحصر، يعني على أمر فائت لا على غيره؛ وقوله **(من جمع)** بيان لذلك الفائت، أي الذي يكون ساعة ويفوت، و**(جمع)** الأول ضد الفرق، وهو شهود الوحدة في عين الكثرة، ولا بقاء له إلاَّ في غلبة الروحانية على الجسمانية، والفرق: شهود الكثرة في عين الوحدة، وذلك من غلبة الجسمانية على الروحانية، وأصل ذلك كلام الله تعالى النفساني القديم، الذي هو عين العلم الأزلي من وجه نزل قرآناً فهو جمع، ونزل فرقاناً فهو فرق، ولا يقدر على شهوده قرآناً إلاَّ الأنبياء

---

(1) لم أجده بهذا اللفظ وصح بلفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». رواه مسلم في صحيحه، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، حديث رقم (44) [1/ 67]، ورواه غيره.

عليهم السلام فشهده محمد ﷺ قرآناً، وكذلك ورثته الكاملون؛ وشهده أيضاً فرقاناً كعوام الخلق، وشهده آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم صحائف، وشهده موسى توراة وداود زبوراً وعيسى إنجيلاً، والكل كلام الله تعالى القديم النفساني المنزل لا يختلف إلاَّ بالحروف والأصوات، وكذلك ورثة هولاء الأنبياء عليهم السلام وشهدوه كذلك من أممهم؛ ومن هذه الأمة من مشكاة محمد ﷺ الجامع الخاتم، وكذلك شهدوه فرقاناً هم وأممهم. وقوله جمع الثاني علَم على المزدلفة مكان بين عرفات ومنى، وقوله **(وود)** بالجر معطوف على فائت **(الود)** مثلث والواو واو المحبة؛ و**(وادي محسر)** بكسر السين اسم مكان قريب المزدلفة.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول الإمام ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الصغرى:

وما دار هجر البعد عنها بخاطري   لديها بوصل القرب في دار هجرتي

يقال: ما دار الشيء في خاطري، أي ما خطر ببالي؛ وهجر بفتح الهاء أي ترك البعد عنها، أي عن المحبوبة بخاطري، أي في بالي من خطر له يخطر خطوراً، ذكره بعد نسيان.

وقوله لديها، أي وأنا عند المحبوبة بوصل القرب، أي الوصل الذي هو عين القرب؛ في دار هجرتي بكسر الهاء، ودار الهجرة هي مدينة الرسول ﷺ كناية عن الحقيقة النورية الأصلية المحمدية، التي خلق الله تعالى منها كل شيء بوجه الأمر الإلٰهي القائم به كل شيء؛ فإنَّ من دخل في هذه الحقيقة الأصلية التحق بها فكان متصلاً واحداً، وصار كلامه بلسانها، كما قال المصنف في التائية الكبرى، يعني على لسان النبي ﷺ:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة   فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول الإمام ابن الفارض رضي الله عنهما في أول أبيات ثلاثة نظمها بعد نظمه التائية الكبرى، وهي مذكورة في الديوان في أولها:

سلام على تلك المعاهد من فتى   على حفظ عهد العامرية ما فتي

نكر (**السلام**) للتعظيم. وقوله (**على تلك المعاهد**) أشار إلى ما تقدم من حضرات الحقيقة المحمدية؛ و(**المعاهد**) جمع معهد، وهو المنزل المعهود به الشيء، فإنَّ عهد الربوبية أخذ على الذرات البشرية حين أخرجت من ظهر آدم عليه السلام يوم الميثاق قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: 172] الآية.

والحقيقة الآدمية من الحقيقة المحمدية النورية الأصلية، التي هو أول خلق الله تعالى وقوله (**من فتى**)، يعني نفسه. و(**الفتى**) هو الشاب السخي الكريم من الفتوة الجامعة لمكارم الأخلاق بطريق الميراث للمقام المحمدي، الذي قال تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: 4].

وقال ﷺ: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]. وقوله على (**حفظ عهد العامرية**) هي المحبوبة المنسوبة إلى بني عامر، القبيلة المعروفة، كناية عن المحبوبة الحقيقية المشار إليها فيما سبق من الأبيات بنحو ذلك، وقوله: (**ما فتي**) أي ما برح وما زال، يعني هو مقيم على ذلك العهد.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول الإمام ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الكبرى، التي أمره النبي ﷺ في المنام بتسميتها «نظم السلوك» فسماها بذلك:

وحزني ما يعقوب بث أقله   وكل بلا أيوب بعض بليتي

(**وحزني ما**)، أي حزن عظيم يعقوب النبي عليه السلام ما بث فعل ماض من بث الخير نشره وفرقه، وقال تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86] وقوله (**أقله**) مفعول بث، والضمير لحزني لقدرته عليه السلام على الكتم من قوة النبوة دون غيره، وإن اشتركا في التعلق بالجناب الإلٰهي في المظهر الكوني، وقوله (**وكل بلا أيوب عليه السلام بعض بليتي**) يعني من جهة خطر البلاء، لجواز صدور البلاء في الدين كالمعاصي والكفر على غير الأنبياء عليهم السلام بخلاف الأنبياء، فإنَّ ذلك يستحيل في حقهم لعصمتهم من ذلك دون غيرهم، فلا يرد على الناظم قوله ﷺ: «**أشد الناس بلاءً**

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[1].

ويمكن أن يقال بأنَّ الأشدية من جهة الألم، أو من مخافة التقصير فيما هم بصدده من المخاطبة بالوحي دون غيرهم في الأوامر والنواهي والتبليغ في حق الرسل منهم عليهم الصلاة والسلام وإن قصدت المبالغة في ذلك بطريق الادعاء دون إرادة معنى ظاهر الكلام، كما هو دأَب البلغاء، فلا إيراد وكذلك إن أريد ما هو أعلى من ذلك، وهو التكلم عن الحقيقة المحمدية، وهي النور الذي هو أول مخلوق كما ورد في الحديث: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، ثم خلق منه كذا وكذا**». الحديث في مسند عبد الرزاق وغيره بمعناه[2].

فالناظم من جملة من خلق من نوره ﷺ ثم بعد اضمحلال الغيرية عنه بالفناء والمحبة والعشق، تكلم على لسان الحقيقة المحمدية بطريق الميراث للمقام المحمدي، كما هو دأبه رضي الله عنه هذه في القصيدة «نظم السلوك» وغيرها كقوله:

لقد خضت بحراً دونه وقف الألى ... بساحله صوناً لموضع حرمتي
ومن فضل ما أسأرت شرب معاصري ... ومن كان قبلي فالفضائل فضلتي

فإنَّ هذا لا يليق إلاَّ بالحقيقة المحمدية.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في التائية الكبرى:

منحتك علماً إن ترد كشفه فرد ... سبيلي واشرع في اتباع شريعتي

(منحتك) أي أعطيتك بما ذكرته له من هذه المسألة العظيمة، التي هي تجلي الحق تعالى في الصور على حسب ما يريد تعالى، مع كمال تنزهه عنها، فيظهر بها غير حالّ فيها ولا متحد بها، فيكون هو الظاهر سبحانه وحده ولا شيء معه غيره.

وقوله **(علماً)** تنكيره للتعظيم، أي علماً عظيماً. وقوله **(إن ترد)** يعني يا أيها السالك في طريق الله تعالى كشفه، أي كشف ذلك العلم بأن تدركه ذوقاً، وتنازله منازلة، فإنَّ مجرد فهمك له من غير كشف ومنازلة لا يجدي شيئاً، كعلم الأعمى

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (119) [6/ 99] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء، حديث رقم (2900) [7/ 160] ورواه غيرهما.

(2) سبقت الإشارة إلى هذا الحديث.

بالمكان الذي هو فيه، فإنَّه يتخيله بعقله وهو بعيد عنه، فقربه إليه مثل بعده عنه، وإذا فتح بصره، وجد ما كان يتخيله على خلاف ما كان يتخيله، وكشف عن الأمر على ما هو عليه، وتحقق أنَّ الأمور كلها على ما هي عليه، وإنَّما قوة إدراكه كانت ضعيفة عن كشف ذلك، فلما قويت أبصرت ما هنالك.

وقوله **(فرِد)** الفاء في جواب الشرط، **(ورِد)** فعل أمر من ورد، أشرف على الماء أو غيره، دخله أو لم دخله.

وقوله **(سبيلي)** أي طريقي الذي أنا سالك فيه إلى ربي، وفيه إشارة إلى أنَّه لا وصول بحيث ينتهي أمر السالك، وإنَّما هي تجليات واستتارات في أعيان تلك التجليات، كما قال الناظم قدس الله سره في الكافية:

قال لي حسن تجلى بي تملى فقلت قصدي وراكا

فالطلب دائم والسير قائم والقلب هائم. ثم قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النّجْم: 42] أي من حيث السلوك في الأغيار، والدخول في عالم الأسرار والأطوار والأدوار، فينتهي الأمر إليه، وتنكشف علومه منه عليه، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] أي بك، وقال ﷺ عن نفسه: «**إنَّه ليُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم والليلة أكثر من مائة مرة**»[1].

فقال العارف الكامل أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره: هذا غين أنوار لا غين أغيار، فإنَّه ﷺ كان دائم الترقي، فكلما ترقى إلى مقام في القلب وجد ما قبله حجاباً، فاستغفر الله منه... وهكذا إلى ما لا نهاية. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [الأحزَاب: 13].

وأهل يثرب أهل المدينة، إشارة إلى الورثة المحمديين، فإنهم لا مقام لهم يقيمون فيه ويقفون عنده، وهو التلوين في التمكين، فيرجعون إليه تعالى، فهو تعالى مركز الجميع دنيا وآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝8﴾ [العَلَق: 8].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: 281] وهو معنى المنتهى في الآية السابقة. وأما السلوك في سبيله تعالى فلا نهاية له في الدنيا والآخرة يردون إليه ويصدرون عنه. ثم يردون إليه... وذلك لأنَّ تجلياته تعالى لا تتناهى ولا تتكرر أزلاً وأبداً. وقوله:

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(وأشرع)) من شرع في الأمر شروعاً: خاض ودخل فيه. وقوله: **(في اتباع)**، أي متابعة شريعتي، و**(الشريعة)** ما شرع الله تعالى لعباده، والظاهر المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر، كذا في القاموس. قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] أي طريقاً مستقيماً يسلك عليه إلينا، وهي إختلاف التجليات الإلٰهية بالأحوال البشرية لاختلاف المشارب، كما قيل:

مشاربنا شتى وحسنك واحد ... وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في التائية الكبرى:

فمنبع صَدّى من شراب نقيعُهُ ... لديّ فدعني من سرابٍ بقيعةِ

قوله **(صدًّا)** بفتح الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة ممدود، وقصر هنا للوزن قال في الصحاح: وصدا اسم ركية، أي بئر عذبة الماء.

وفي المثل ماء ولا كصداء، وقوله **(من شراب)** بالشين المعجمة أي مشروب متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، وهو منبع كني بمنبع صداء هذا البئر المشهور بعذوبة الماء، الذي يضرب به المثل في العذوبة والحلاوة والبرودة عن قلبه، العارف بربه المحقق في المعرفة، الذي تنبع منه العلوم الإلٰهية العذبة، المشروب لكل صادى.

وقوله **(بقيعة)** بالباء الموحدة، فالقاف فالياء المثناة التحتية، فالعين المهملة، قال في القاموس: البقيع موضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى، وبقيع الغرقد مقبرة بالمدينة المنورة. والغرقد بالغين المعجمة اسم للشجر العظام، أو هي العوسج إذا عظم سمي البقيع بذلك، لأنَّه كان منتبهاً. وبقيع الزبير، وبقيع الخيل، وبقيع الخبجبة بخاء معجمة ثم باء موحدة ثم جيم كلهن بالمدينة المنورة.

والخبخبة يقال أيضاً بخائين معجمتين وبجيمين بينهما باء موحدة، اسم شجر أشار إليه في القاموس. وضمير بقيعه راجع إلى الشراب، أي أصل ذلك الشراب الذي منبع صداء منه يخرج من موضع شريف فيه أصول الشجر من ضروب شتى، فكنى بالموضع الشريف الذي هو المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام عن الحقيقة المحمدية، فإنَّها موضع هذا الشراب الذي منبع صداء منه المكنى به عن قلبه، كما ذكرنا، وكنى بذلك الشراب عن الروح المنفوخ منه في الهياكل الجسمانية الإنسانية.

ثم أشار بأنَّ ذلك الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى، يعني جميع حقائق الأنبياء والمرسلين والأولياء والصديقين. . . نبتت أصولهم في ذلك الموضع ونشأوا بتربية حقائقهم منه، كما ورد أنَّ الله تعالى: «**أول ما خلق نور محمد ﷺ ثم خلق منه جميع الأشياء**»[1].

كما ورد في حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال ﷺ: «**يا جابر إنَّ الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى**[1]**؛ ولم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنة، ولا نار، ولا ملك، ولا سماء، ولا أرض، ولا شمس، ولا قمر، ولا جن، ولا إنس. فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق، قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول السمٰوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله تعالى، ومن الثالث نور تشهدهم وهو التوحيد لا إلٰه إلاَّ الله محمد رسول الله**». إلى آخر الحديث.

وصح حديث أول ما خلق الله القلم، وجاء بأسانيد متعددة أنَّ الماء لم يخلق قبله شيء، ولا ينافيه ما في الأول من نور نبينا محمد ﷺ لأنَّ الأولية في غيره نسبية وفيه حقيقية، فلا تعارض. وفي حديث ابن القطان: «**كنت نوراً بين يدي ربي قبل آدم بأربعة عشر ألف عام**». وفي الخبر: «**لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره، فكان يلمع في جبينه، فيغلب على سائر نوره**». الحديث ذكره شارح القصيدة الهمزية الأبوصيرية العلامة ابن حجر المكي، فقوله: **(بقيعه)** أي بقيع ذلك الشراب لديَّ، بتشديد الياء التحتية، أي عندي، وهي حقيقتي التي أنا بها إنسان كامل. قال الشيخ الأكبر قدس الله سره في كتابه «شرح الوصايا اليوسفية»: ولا شك أنَّ الورثة إنَّما هم هياكل لروحانية النبي ﷺ فهو رسول الله أبداً حياً وميتاً، فمن يطع الشيخ فقد أطاع الرسول؛ فإنَّه روح هيكله.

ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإنَّه مجلاه. وحينئذ الرسول موضع ظهور الحق، ثم يغني عن الرسول لقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

[النِّسَاء: 80] فيكون نظرك في الرسول فيغيب الرسول، فيبقى الحق في مغيب الرسول بالنص، كذلك يبقى الحق في مغيب الشيخ عن بصيرتك، إذ هو المتكلم من الرسول، ومعنى ذلك حضور الرسول ﷺ عنده في حقيقته التي خلقت من نوره ﷺ في وقائعه التي تهمه في دينه أو دنياه أو آخرته.

قال الشيخ الأكبر قدس الله سره أيضاً في كتابه المذكور: وحضور النبي ﷺ في الوقائع دليل على علو مرتبة صاحب الواقعة وعصمته وعلوه فيما رآه، فإنَّه من مرآة الحاضر ينظره لا من مرآته، مثل مسألة الشاب الذي أغنته رؤية الله عزَّ وجل عن رؤية أبي يزيد في زعمه، فلما حضر أبو يزيد ورأى الله تعالى هذا الشاب لم يطق حمل عظيم ما رآه فمات من حينه، فأين هذا الإدراك بحضور أبي يزيد من ذلك الإدراك الذي انفرد به؟ وأين أبو يزيد من محمد ﷺ؟

ولقد روينا عن أبي موسى الدبيلي، عن أبي يزيد البسطامي أنَّه سأل الله تعالى رؤية مقام رسول الله ﷺ فقيل له: إنَّك لا تطيق أي نورك الذي ترى به يضعف عن إدراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحق في هذه الحال بصره، فكيف به لو لم يكن بصره؟ فألح في السؤال.

قال أبو يزيد: ففتح لي من ذلك قدر خرم إبرة، فلم أطق الثبوت عند ذلك واحترقت. هذا قوله عن نفسه، فلولا مشاهدته تعالى في الصور المعتادة لما ثبت أحد عند رؤيته شيئاً من ذلك، فإنا لا نشك في قوة رسول الله ﷺ وثباته وعلو مرتبته في معرفة ربه عزَّ وجل ومع هذا قيل له في حق ما أعطيه أصحاب الكهف: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾ [الكهف: 18] ويعني خوفاً على نفسك أن تذهب، ﴿وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾ [الكهف: 18] أي في قلبك، فإنَّهم جماعة ولكل واحد منهم حال مع الله في إيمانه به ما هو للآخر، فلو أطلعت عليهم بالجملة لرأَيت اختلاطاً في الأمر واختلافاً في النظرة الواحدة، فكنت تخاف على نفسك من الحيرة، فيما رأَيته في النظرة الواحدة، فكنت تولي فراراً وتملأ قلبك رعباً من هذا الأمر، لأنَّك ترى ما لا تقدر على رفعه بعلمك، بأنَّ الله جعل ذلك كله حقاً. ولا ينضبط لك منه شيء دون شيء، فتحتار وتملأ رعباً.

تفرقت الظِّباءُ على خراش ... فما يدري خراش ما يصيد

وليس في قوة هذا الصائد أخذ الكل، ولا يدري ما هو الأولى من ذلك، فيقصد إليه ويترك ما سواه.

ثم قال العارف النابلسي: وقال العارف المحقق الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه «الإنسان الكامل» اعلم وفقك الله أنَّ الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له التنوع في الملابس، فيسمى به باعتبار لباس ما لا يسمى به، باعتبار لباس آخر، واسمه الأصلي الذي له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين.

ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم يليق بلباسه في ذلك الزمان، وقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي شرف الدين إسماعيل الجبرتي، فكنت أعلم أنَّه النبي ﷺ وكنت أعلم أنَّه شيخي.

وهذا من جملة مشاهد شهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة. وهذا المعنى أنسب بذكر قوله بقيعه بالباء الموحدة، لأنَّ الأبيات التي بعده مقولة على لسان الحقيقة المحمدية الحاضرة عند الناظم قدس الله سره من حيث نفسه، فتكلم على لسانها.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله في شرح قول ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الكبرى:

وَدُونَك بحراً خُضْتُه وقفَ الأُلى ... بساحله صَوناً لموضع حُرْمَتي

(الألى) السابقون الأولون. وقال البساطي في شرحه: الألى مقلوب أول جمع الأولى، مثل أخرى وأخر، ومنه قولهم ذهبت العرب الأول، ويحتمل أن يكون موصولاً حذفت صلته. ثم قال: فإن كان الألى بمعنى السابقين الأولين، فهم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام ومن دونهم من أولياء زمانهم، لأنَّهم لم يكونوا خاضوا هذا البحر العظيم الذي هو محمد ﷺ لأنَّهم لم يدركوا زمانه، ولا كانوا محسوبين من أمته، ولا اطلعوا على ما اطلع عليه الناظم، وإن لم يكن نبياً من العلوم المحمدية والحقائق والمعارف الأحمدية، أو المراد بالبحر بحر التوحيد الذي خاضته الأولياء والصديقون، ولم يجدوا له قراراً والأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام لم يخوضوه، لأنَّ علومهم علوم الوحي النبوي الموقوف على نزول جبريل الأمين من حضرة رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النَّجْم: 3-4].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزُّمَر: 65] وعدم الشرك هو التوحيد، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿25﴾﴾ [الأنبياء: 25] فالأنبياء عليهم السلام لم يخوضوا في التوحيد، وإنَّما وقفوا بساحله متابعة للوحي الإلٰهي، إذ ليس للأفكار والعقول الإنسانية عليهم حكم في بواطنهم، لأنَّهم يجدون الوحي من الله تعالى في جميع أحوالهم، فهم المعصومون من كل ما سواه تعالى أن يلج في قلوبهم بغير أمره سبحانه بخلاف الأولياء، فإنَّهم خاضوا بحار التوحيد بالفتح والإلهام الرباني، فيما أوحي إلى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لأنَّهم أتباعهم يخوضون فيما يوحى به إلى الأنبياء. والخوض هو التردد في الشيء مرة بعد أخرى، لمعرفته والتحقق به، وذلك من عدم عصمة الأولياء وعدم الوحي في حقهم؛ فالخوض في الشيء دون الوقوف بالساحل، فإنَّ الوقوف بالساحل إدراك للشيء من غير خوض فيه ولا مباشرة، لا سيما ولم يرد الخوض في القرآن إلاَّ بمعنى الباطل. قال تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدَّثِر: 45].

وقال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: 69] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: 68] فالخوض هو الدخول في الشيء، فإن كان الخوض بالنفس والهوى. فهو الباطل، وإن كان بالفتح الإلٰهي والإلهام في معاني القرآن والسنة فهو الممدوح، لأنَّه خوض بالحق لا بالباطل. وخوض الأولياء والصديقين، فإنَّه ليس بالنفس، ولا بالهوى. وقد طهر الله الأنبياء والمرسلين عنه صلوات الله عليهم أجمعين والساحل ريف البحر وشاطئه مقلوب، لأنَّ الماء سحله، فكان القياس مسحولاً، أو معناه ذو ساحل من الماء إذا ارتفع ثم جزر فجرف ما عليه من سحله، كمنعه قشره ونحته فاسحل، والرياح تسحل الأرض تكشط ما عليها. كذا في القاموس.

وسمي موضع وقوف الأنبياء عليهم السلام ساحلاً، لأنَّ البحر العلمي الإلٰهي، بحر التوحيد الحقيقي سحل مقامهم الشريف النبوي، فلم يبق فيه استمداداً من الأغيار، ولا شيئاً من خدع الآثار، بل كلهم آداب ربانية وحرمات رحمانية، ولهذا قال الناظم بعده: صوناً، وهو مفعول من أجله، أي كان وقوفهم بذلك الساحل للصون، أي الحفظ لموضع حرمته، أي لمكان الحرمة أي الاحترام للجناب الإلٰهي. ولا ياء متكلم في هذه النسخة، وفي بعض النسخ بياء المتكلم، أي وقوفهم

وعدم خضوهم صوناً، أي لأجل حفظ حرمتي، فيكون الكلام على لسان محمد نبينا ﷺ ويكون لباس الصورة الفارضية صورة الناظم قدس الله سره غائبة في الحقيقة المحمدية، باعتبار حضوره ﷺ في تلك الواقعة كما قدمنا في شرح البيت الذي قبله عن الشيخ الأكبر قدس الله سره من قوله: وحضور النبي ﷺ في الوقائع دليل على علو مرتبة صاحب الواقعة وعصمته وعلوه فيما رآه؛ فإنَّه من مرآة الحاضر ينظر لا من مرآته، وقدمنا مثله عن الشيخ الجيلي قدس الله سره وقدمنا في الحديث النبوي أنَّ الله تعالى خلق نور أبصار المؤمنين ونور قلوبهم من نوره ﷺ.

فإذا تكلمت الأولياء على لسان محمد ﷺ بعد نزع لباس صورهم المستعارة لحقيقته ﷺ فلا عجب في ذلك خصوصاً، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التّوبة: 128] ونحن نرى أنَّ الباب من الخشب، والصندوق منه، ونحو ذلك لباس البابية، والصندوقية أمر عارض في ماهية الخشب سريع زواله عن بصر الناظر وعن بصيرته، إذا لم يعتبرها ويشهد ماهية الخشب، فإنَّ جميع الأكوان مخلوقة من نوره ﷺ كما هو المعروف عند أهله، المحقق الثابت بالأحاديث النبوية والإشارات القرآنية، فيكون النبي ﷺ هو المتكلم بصورة اللسان الفارضي بعد فنائه عن صورته، وبقاء الحقيقة النورية المحمدية مشهودة له بها.

فتقول الحقيقة: خضت بحراً، وقفت الأنبياء بساحله صيانة وحفظاً منهم لموضع حرمتي في هذا الحضور الخاص وهذه المعاني مما فتح بها علينا عند كتابتنا هذا المحل صيانة لكلام الأولياء والمقربين عن الضياع في مهاوي الأسماع.

ولقد وجدنا معنى آخر لهذه العبارة، ذكره الشيخ العارف الكامل تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري في كتابه «لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن».

قال رضي الله عنه: قال يعني الشيخ أبا العباس المرسي، قدس الله سره في قول أبي يزيد: «خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله»: إنَّما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء عليهم السلام ومراده أنَّ الأنبياء عليهم السلام خاضوا بحر التوحيد، ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق، يدعون الخلق إلى الخوض، أي فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا.

وهذا الذي فسر الشيخ به كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد، وقد ورد عنه أنَّه قال: جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كزق مليء عسلاً، ثم رشحت منه رشاحة، فما في بطن الزق للأنبياء، وتلك الرشاحة هي للأولياء. والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والقيام بكمال الأدب، حتى أنَّه حكى عنه أنَّه وصف له رجل بالولاية، فأتى إلى زيارته، فقعد في المسجد ينتظره، فخرج ذلك الرجل وتنخم في حائط المسجد، فرجع أبو يزيد ولم يجتمع به، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة. كيف يؤمن على أسرار الله تعالى وما جاء عن الأكابر أولي الاستقامة مع الله تعالى من أقوال وأفعال يستنكر ظاهرها أوَّلناها لهم لما علمنا من استقامتهم وحسن طريقتهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تظنن بكلمة برزت من امرئ مسلم سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً**». وقال العارف بالله تعالى الشيخ جمال الدين محمد أبو المواهب الشاذلي التونسي قدس الله سره في كتابه «قوانين حكم الاشراق إلى كافة الصوفية في جميع الآفاق» قال عارف: خضت بحراً وقفت الأنبياء بساحله.

قلنا: خاض العارفون بحر التوحيد أولاً بالدليل والبرهان، وبعد ذلك شهدوا رؤيته بالشهود والعيان، والأنبياء وقفوا بأول وهلة على ساحل العبارة، ثم وصلوا إلى ما لا يعبر عنه العرفان؛ فكانت بدايتهم عليهم السلام نهاية العارفين والسلام.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الكبرى المذكورة:

ولا تقربوا مال اليتيم إشارة لكف يد صدت له إذ تصدتِ

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 152] هذه الآية إشارة منه تعالى لأرواح الأولين من الأنبياء والمرسلين، وغيرهم من ورثتهم العارفين المقربين إلى يوم الدين، إذا مد أحد منهم يده الروحانية لنيل هذا المقام المحمدي الذي اختص به محمداً ﷺ نبينا، فإنَّه لا ينال ذلك ولا يصل إليه، وهو ﷺ عاش يتيماً لموت أبيه عبد الله، وهو حمل على خلاف في ذلك، قال السهيلي في «الروض الأنف»:

ذكر أنَّه مات أبو النبي ﷺ وهو حمل، وأكثر العلماء على أنَّه كان في المهد. وقيل: ابن شهرين، وقيل: أكثر من ذلك. انتهى.

وكذلك أمه ﷺ ماتت وهو صغير، فربي يتيماً، وإليه الإشارة القرآنية بالآية المذكورة، وإن كانت الآية شاملة لكل يتيم، ولكن آيات الله لا تتناهى معانيها، كما قال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: 109] وأشير بالمال إلى المقامات المحمدية والتجليات الإلٰهية المخصوصة بالحقيقة الأحمدية، وقوله: **(إشارة)** أي إيماء ورمزاً لا تصريح فيه بذلك، وهو من جملة الإشارة القرآنية إلى المعاني المخفية تأييد من الناظم لمعنى البيت الذي قبله.

قال القيصري في شرحه(1): وهذا الكلام من لسان نبينا عليه الصلاة والسلام إذ كمال التوحيد الذاتي مختص بمقام جمعه. وبالكمل المتابعين إياه، ثم أشار بلسان الإشارة إلى أنَّهم مأمورون بالانتهاء عنه، بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: 152] الخ. . . إشارة إلى كف أيدي الأولين عن التصرف في التوحيد الذاتي الذي هو مال من أموال نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ومتابعيه الذين سلكوا طريقته بالمتابعة، التي هي أحسن الخصال، وقد أشار البوصيري لذلك بقوله:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ... ومنها لآدم الأسماء

قال ﷺ: «**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة**»(2). و**(الكف)** الراحة مع الأصابع، سميت بذلك لأنها تكف الأذى عن البدن، كذا في المصباح. وقوله: **(صدت)** بضم الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة، فعل ماض مبني للمفعول، والتاء للتأنيث.

وفي المصباح: صددته عن كذا صداً من باب قتل منعته وصرفته. وقوله: **(له)**، أي لمال اليتيم المكنى به عن المقام الذاتي المحمدي، والجار والمجرور متعلق بتصدت في آخر البيت. والتقديم للحصر، إذ لا تصد عن غيره. وقوله: **(إذ)** حرف تعليل، وتدل على الزمان الماضي، نحو: «إذ جئتني لأكرمتك». فالمجيء علة للإكرام. كذا في المصباح.

وقوله: **(تصدت)** بالصاد المهملة والتاء مكسورة للقافية، وقال في المصباح: تصديت للأمر تفرغت له وتبتلت، والأصل تصددت، فأبدل للتخفيف.

---

(1) مطبوع في الدار بتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الكبرى:

وحُز بالولا ميراثَ أعرفِ عارفٍ   غدا هَمُّهُ إيثارَ تأثيرِ هِمَّة

و(**أعرف عارف**) هو نبينا ﷺ من قوله: «**أنا أعلمكم بالله وأكثركم منه خشية**»(1).

ويجوز أن يكون المراد بأعرف عارف صاحب الوراثة المحمدية من الأولياء الكاملين، فإنَّه على قدر اتصال الصورة المخلوقة بالنور المحمدي، الذي هو أول ما خلقه الله تعالى وخلق منه كل شيء، كما ورد في الحديث تكمل القربة النسبية ويتصل الرحم الإنساني، حتى تصير العصوبة، فيجوز من الميراث بغير تقدير، وإذا لم تحصل العصوبة ورث نصيباً معلوماً، وهم أرباب السهام المقدرة يرثون من المقام المحمدي على قدر ما للنبيين عليهم السلام من المقامات المحمدية، فيكون الولي الوارث موسوياً محمدياً، أو عيسوياً محمدياً إلى غير ذلك...

والمعنى صار ميله وقصده دائماً تقديم واختيار تأثير همته القلبية، وتوجه إرادته الربانية، إلى جهة ما يريد من الأفعال، والتحكم في كل شيء بصدق الحال، فلا يميل ولا يقصد غير الله تعالى الذي ظهرت له صفاته بظهور صفاته، وتجلت عليه أسماؤه الحسنى بأعيان أسمائه في جميع حالاته، فانكشف له بأنَّ صفاته الإنسانية، ظلال صفات ربه المنزهة العلية، وأسماؤه المختلفة العرضية، ظلال أسماء ربه الحسنى البهية؛ وانعدمت ذاته التقديريه، في ذات ربه المحققة الوجودية؛ فاستغنى بما فيه من الظلال القائمة بشواخص المرادات والمعلومات الإلٰهية من حضرة الإرادة على طبق علم ذي الجلال، فظهر ربه الغيب المطلق، والحق المحقق، بذاته وصفاته وأسمائه، التي هي ظلالات ذات ربه وصفاته وأسمائه بمعنى آثارها التقديرية، وتصويراتها العدمية الإمكانية.

فانمحق العبد الممحوق من قبل بالكلية، وتحقق المحقق من قبل على ما هو عليه في حضرته العلية، فشهدت منه الجاهلون ما كان يشهد من نفسه قبل ذلك،

---

(1) «والله لأنا أعلمكم بالله وأخشاكم» رواه عبد بن حميد في المسند عن عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (1502) [1/ 435] ورواه الحاكم بلفظ: «أنا والله أعلمكم بالله وأتقاكم له..». المستدرك، أول كتاب المناسك، حديث رقم (1742) [1/ 647].

لاحتجابهم من عدم معرفتهم بنفوسهم بكل شيء هالك، وشهد هو من نفسه ما قاله الله تعالى في جملة كلامه القديم: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عِمرَان: 18] وهذا هو المقام المحمدي والميراث الأحمدي.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الكبرى:

وأنت على ما أنت عني نازح وليس الثريا للثرى بقريبة

«وأنت»، يعني يا أيها السالك الواصل إلى مقام الاتحاد المذكور، «على ما أنت» أي على كونك موصوفاً بغاية ما يكون من ظهور صفات الحق تعالى وأسمائه الحسنى، بإظهار كمالك في مرتبة العلم والعمل والحال، حتى صرت ربانياً كلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عِمرَان: 79] أي منسوبين إلى الرب تعالى لا نفسانيين أي منسوبين إلى نفوسكم وقوله: «عني» خبر مقدم لقوله «نازح»، ونازح مبتدأ مؤخر أي بعيد من نزح كمنع وضرب نزحاً ونزوحاً بعد كذا في القاموس.

وهذا الكلام من عين الحقيقة المحمدية التي هي روح الأرواح كلها، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حق النبي ﷺ: كان خلقه القرآن، وللشيخ الأكبر قدس الله سره من أبيات يشير بها إلى قولها:

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني

فؤادي عند محبوبي مقيم يناجيه وعندكم لساني

إلى آخره والغرض من ذلك أنَّ السالكين كيفما كانوا، وإن بلغوا إلى أعلى المقامات، وأرفع الدرجات، لا يمكنهم الوصول بالسعي إلى العين المحمدية، والتحقق بالحقيقة الأحمدية؛ فإن دون فهم ذلك خرط القتاد، فضلاً عن التحقق به في مرتبتي الوجود والإيجاد. وقوله: «وليس الثريا» أصله ثروي، يقال: امرأة ثروي متمولة، يعني كثيرة المال، والثريا تصغيرها. سمي النجم بذلك لكثرة كواكبه مع ضيق المحل، ذكره في القاموس. وقوله: «للثرى»، أي للتراب.

«بقريبة» خبر ليس والباء للتوكيد، فإنَّه فرق بين المقام الصفاتي والأسمائي، وبين المقام الذاتي الإلٰهي كما أشار إلى ذلك صاحب همزية المديح النبوي، بقوله

مخاطباً للحقيقة المحمدية:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ... ومنها لآدم الأسماء

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في التائية الكبرى:

وقدري بحيث المرء يغبط دونه ... سموا ولكن فوق قدرك غبطتي

والمعنى إنَّ قدري وجاهي في المقام الإلٰهي في مكان عال يحسد المرء الذي يقام في أدنى منه فضلاً عمَّن يقام فيه من جهة السمو والرفعة.

وقوله «ولكن» استدراك مما قبله فوق قدرك، أي مقدارك. وما أنت فيه من الرفعة، «غبطتي» أي حسدي، وتمني مقامي بحيث لا يتحول عني، فإنَّك لست ممن يعرف مقامي، حتى يمكن أن يغبطني عليه، ويتمنى مثله لنفسه؛ فإنَّ المقام المحمدي الجامع، والميراث الأحمدي اللامع، لا يعرفه إلاَّ الأكابر من الأنبياء والأولياء الكاملون فما يغبطه إلاَّ هم.

وهذا كلام على لسان الحقيقة المحمدية، بعد التجرد عن مقام الغيرية، بظهور استيلاء الحقيقة الإلٰهية.

ومن جواهر العارف النابلسي

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الكبرى:

فسمعي كليميٌّ وقلبي منبَّأٌ ... بأحمد رؤيا مقلة أحمدية

«فسمعي» أي ما به أسمع من القوة الروحانية الأمرية، على طور نشأتي الإنسانية الجسمانية. وقوله: «كليمي» بياء النسبة المشددة المرفوعة على الخبرية لسمعي، والمعنى إنَّ سمعي يكلمني من حيث قوله ﷺ في حديث المتقرب بالنوافل: «**كنت سمعه الذي يسمع به، فهو يكلمني وأنا أسمع به كلامه**» . قال الشيخ الأكبر قدس سره:

يا من تخاطبه حقيقة ذاته ... في غيره لكنه لا يعلم

وهو المخاطب ذاته في ذاته ... وهو المكلم عنه والمتكلم

مرآتك الأكوان فيها ناظر ... ما أنت فيه فنير أو مظلم

فمعنى «كليمي» موسوي يسمع كلام حقيقيتي الربانية، على طور نشأتي

الإنسانية. وقوله «وقلبي منبأ» بصيغة اسم المفعول أي مخبر، من نبأه بتشديد الموحدة، أي أخبره. والفاعل محذوف، أي أخبره الحق تعالى بما أخبره به من العلوم الإلٰهية، والمعارف الربانية. وقوله «بأحمد رؤيا»، أي رؤية هي أكثر حمداً أو رؤيا هي، أكثر حمداً.

والرؤية مصدر رأيت الشيء رؤية: أبصرته بحاسة البصر. فرؤية العين معاينتها للشيء، والرؤيا يقال: رأى في منامه رؤيا، على وزن فعلى غير منصرف لألف التأنيث، كذا في المصباح.

وقال الراغب في مفرداته: والرؤيا ما يرى في المنام، وهو فعلى، وقد تخفف الهمزة فيقال بالواو.

وروي: لم يبق من مبشرات النبوة إلاَّ الرؤيا. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: 27] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60].

قال البيضاوي: وتعلق به من قال إنَّ المعراج كان في المنام، ومن قال إنَّه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية.

وقال في كتاب «الابتهاج بالإسراء والمعراج» للشيخ نجم الدين الغيطي، والذي ذهب إليه الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة بالروح والجسد في اليقظة معاً، لا في المنام من مكة إلى بيت المقدس إلى السمٰوات العلى إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء العلي الأعلى...

قال القاضي عياض وغيره: وهو الحق وعليه تدل الآية أيضاً، وصحيح الأخبار. وذهب بعضهم إلى أنَّ الإسراء كان بروحه ﷺ في المنام.

وهذا المذهب لمعاوية رضي الله عنه واحتج على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: 60] والرؤيا إنَّما تطلق على ما كان مناماً، ولظاهر ما في بعض الأحاديث في بعض الطرق من قوله ﷺ: «**بينما أنا نائم، فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام**»[1].

(1) أورده ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الفقهية الكبرى، كتاب الحج [2/ 136].

ويُعزى هذا المذهب لعائشة رضي الله عنها لما في حديث ابن إسحاق من قولها: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ وإنَّما أسري بروحه[1].

وأجيب عن الآية: بأنَّ الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية في اليقظة، كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما بأنَّ قوله ﴿فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسرَاء: 60] يؤيد أنها رؤية عين، إذ ليس في الحلم فتنة، ولا يكذب به أحد. وعن قوله: «**بينما أنا نائم**». بأنَّ أول مجيء الملك إليه وهو نائم، فأيقظه لا أنَّه استمر نائماً.

وأما قوله: «**فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام**» معناه أفقت، أي أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدته عجائب الملكوت، ورجع إلى عالم الملك، فلم يرجع إلى حال البشرية إلاَّ وهو بالمسجد الحرام. على أنَّ الحديث الذي ورد فيه ذكر النوم موهن، فإنَّ العلماء اتفقوا على أنَّ شريكاً راويه اضطرب فيه وما حفظه، وزاد ونقص، وقدم وآخر. وعما يعزى لعائشة رضي الله عنها بأنَّه لم يرد بسند يصلح للحجة، بل في سنده انقطاع. وراوٍ مجهول. وبتقدير صحته، فعائشة رضي الله عنها لم تكن زوجة إذ ذاك، ولا كانت في سن من يضبط الأمور. وعلى القول بأنَّ الإسراء كان بعد البعثة بعام لم تكن ولدت بعد، فإذا لم تشاهد ذلك، دل على أنها حدثت به عن غيرها، فلم يرجح خبرها مع خبر أم هانئ بخلافه.

وذهب جماعة: منهم أبو شامة إلى تكرار الإسراء والمعراج، واحتج بما رواه البزار وغيره، عن أنس رضي الله عنه من أنَّ قصة المعراج مخالفة لما تقدم في قصته.

قال الحافظ ابن حجر: ولا يبعد وقوع مثل ذلك في المنام، وإنما المستغرب وقوع التعدد في قصة المعراج التي أمَّ بها كل نبي، وسؤال أهل كل سماء هل بعث إليه وفرض الصلوات الخمس، وغير ذلك. فإن تعدد مثل ذلك في اليقظة يتجه، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض، والترجيح بأنَّه لا بعد في وقوع ذلك في المنام، ثم وقوعه في اليقظة على وفقه.

وذهب جماعة منهم البغوي، وجزم به النووي في فتاواه، إلى أنَّ الإسراء وقع مرتين: مرة في النوم، ومرة في اليقظة، قالوا: وكانت مرة النوم توطئة له وتيسيراً عليه،

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور، سورة الإسراء الآيات [1 ـ 8] [5/ 227].

كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة، ليسهل عليه أمر النبوة، فإنَّه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية، وكذلك الإسراء سهل عليه في الرؤيا، لأنَّ هوله عظيم؛ فجاء في اليقظة على وفقه في المنام توطئة وتقدمة، رفقاً من الله تعالى بعبده وتسهيلاً عليه.

وقوله: «مقلة» مضاف إليه، والمقلة شحمة العين التي تجمع البياض والسواد والحدقة، وجمعها مقل كصرد، كذا في القاموس. وقوله: «أحمدية» أي منسوبة إلى أحمد، اسم نبينا محمد ﷺ وذلك إشارة إلى رؤية الله تعالى في ليلة المعراج الواقعة لنبينا ﷺ.

قال النجم الغيطي: وقد أختلف السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم في رؤيته ﷺ لربه ليلة المعراج ببصره، فنفت ذلك عائشة رضي الله عنها وذهبت إلى أنَّه رآه بقلبه، وهو المشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه وجاء مثله عن أُبي رضي الله عنه وإليه ذهب كثير من المحدثين والمتكلمين.

وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أنَّه رآه ببصره، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وبه جزم كعب الأحبار، والزهري، وصاحبه معمر وآخرون... وحكى عن الحسن أنَّه كان يحلف أنَّ محمداً رأى ربه، وبه قال الشيخ أبو الحسن الأشعري وسائر أتباعه.

وقال الإمام النووي: الراجح عند أكثر العلماء أنَّ رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة المعراج. وقد روى الإمام أحمد بسند صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ربي عزَّ وجل**». وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه كان يقول: نظر محمد إلى ربه مرتين؛ مرة ببصره ومرة بفؤاده.

قال العارف النابلسي: قلت: **والحاصل** أنَّه يمكن التوفيق بين قولهم: إنَّ الإسراء والمعراج أو كان في اليقظة أو كان في المنام، وبين قولهم: إنَّ النبي ﷺ رأى ربه عزَّ وجل بعيني رأسه ليلة المعراج، أو ما رآه جبريل عليه السلام أو آيات ربه إنَّ اليقظة والمنام يختلفان في الحقيقة بين يقظتنا ومنامنا، وبين يقظة النبي ﷺ ومنامه، وكذلك يقظة سائر الأنبياء عليهم السلام ومنامهم فإنَّ إدراك البصر تابع لإدراك القلب فينا وفي الأنبياء عليهم السلام وقلوب الأنبياء عليهم السلام لا تنام، وإن نامت أعينهم، كما ورد في الحديث وكان ﷺ لا ينتقض وضوؤه بنومه إذا نام، وكان منام الأنبياء عليهم السلام وحياً، فكان يوحى إليهم في المنام كاليقظة،

فمنامهم عليهم السلام مثل يقظتنا، غاية الأمر أنَّ منامهم فيه طبق عيونهم به كمنامنا، ولهذا نام ﷺ في قصة الوادي، ولم ير الفجر ولا الشمس، لأنَّ ذلك يدرك والعين مطبوقة؛ فسمى الله تعالى قضية الإسراء والمعراج مناماً، وقال: ﴿ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ [الإسرَاء: 60] ذلك بالنسبة إلينا يقظة وليست برؤيا كرؤيانا. وورد الخبر عنها مرة أخرى بأنَّها يقظة، وهي رؤية لا رؤيا، لأنَّها يقظة كيقظتنا. وكون عائشة رضي الله عنها قالت: «ما فقدت جسد رسول الله ﷺ». يمكن فيه تعدد الجسد الشريف، كما يقع للأبدال ولكثير من الأولياء. فالأنبياء أولى بذلك، والاختلاف في رؤية الله تعالى هل هي رؤية الذات الإلٰهية، أو حضرة الأسماء والصفات المتجلية بصور الكائنات؛ فهي رؤية المظهر دون الظاهرية.

فمن أنكر الرؤية أراد رؤية الذات مجردة عن الأسماء والصفات، ومن أثبت الرؤية أراد رؤية مظاهر التجلي بالأسماء والصفات فسمي ذلك المظهر جبريل عليه السلام أو آيات الله، أي علامات وجوده الحق. والأمر في نفسه واحد لا خلاف فيه؛ والله الموفق.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته المذكورة:

وروحيَ للأرواح روح وكلما ترى حسناً في الكون من فيض طينتي

هذا الكلام من المقام المحمدي على لسان الحقيقة المحمدية، لأنَّه وارثها في أحوالها أيضاً بعصوبة النسب الأصلي النوري؛ فإنَّ الكائنات كلها خلقت من نوره ﷺ كما جاء في الحديث، فإذا اضمحلت نشأته في تلك النشأة الحقيقية الأولية، وانمحت رسوم الصور الغيرية، تكلمت الحقيقة المحمدية، بلسان الماهية الخيالية.

قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ [التّوبَة: 128] ويقول ﷺ يوم القيامة: «**أمتي أمتي**» لما تقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام «**نفسي نفسي**» إشارة إلى هذا السر الخفي، فقوله: «وروحي للأرواح روح»، فإنَّ روحه ﷺ أصل الأرواح كلها، فهي القلم الأعلى، ونفسه نفس النفوس كلها، فهي اللوح المحفوظ.

ومن هنا قول الشيخ الأكبر قدس الله سره في شرح الوصايا اليوسفية، ولا شك أنَّ الورثة إنما هم هياكل لروحانية النبي ﷺ فهو رسول أبداً حياً وميتاً، فمن يطع

الشيخ فقد أطاع الرسول، فإنَّه روح هيكله، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، فإنَّه مجلاه. وحينئذٍ الرسول موضع ظهور الحق. وقوله: «كلما ترى» خطاب للمريد السالك في طريق الله.

وقوله: «حسناً» مفعول ترى، أي ترى شيئاً حسناً، وكل شيء في الكون أي داخل في التكوين حسن بالنظر إلى صدوره عن خالقه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السَّجدَة: 7]، وفي الحديث: «**كتب الله الإحسان على كل شيء**»[1]، وقبح بعض الأشياء بالنظر إلى نفس ذلك الشيء وإلى غيره من الأشياء . والقبح حكم شرعي عند أهل السنة، كما انَّ الحسن كذلك، وهو الأصل. ولهذا كان الأصل في الأشياء الإباحة، لأنَّ الحسن فيها أصل، والتحريم حكم طارئ لطروء القبح عليها، باعتبار النظر إليها والإعراض عن خالقها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: 29] ، ثم حرم تعالى ما حرمه من ذلك بالنصوص القطعية والظنية. وقوله: «فيض» مصدر فاض الماء.

وقوله: «طينتي» مضاف إليه. والطينة بالطاء المهملة واحدة الطين، وهو تراب معجون بماء كناية عن الجسد الشريف المحمدي، فإنَّه كما أنَّ الأرواح كلها من روحه ﷺ منفوخة في أجسادها، لأنَّه ﷺ روح الله الذي هو أول مخلوق، والإضافة للتشريف، مثل: ناقة الله، وأرض الله، وبيت الله، وعبد الله... فكذلك جميع الأجساد الحسنة في الكون، يعني التي يظهر عليها الحسن بالنظر إلى خالقها، كما ذكر من فيض جسده ﷺ الذي هو منشأ الطبائع الأربع: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والعناصر الأربعة: النار والهواء والماء والتراب، المشار إلى ذلك بقوله ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[2].

وفي رواية: «**ولا آدم، ولا ماء، ولا طين**»، ولا يكون نبياً إلا وهو روح وجسد، فروحه أصل الأرواح، وجسده أصل الأجساد ﷺ.

ويؤيده حديث انتقال النور من جبهة آدم حتى ظهر في جبهة عبد الله والد النبي ﷺ، ثم انتقل إلى آمنة بنت وهب والدته ﷺ وذلك النور كان مادة روحه وجسده ﷺ فتقلب في الأصلاب الطيبة والأرحام الطاهرة، حتى ظهر في عالم

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

الدنيا، ففرج له سقف البيت وتراءت النجوم، وأشرقت الأرض بنور الحي القيوم؛ فهو ﷺ أبو الأرواح وأبو الأجساد؛ والله لطيف بالعباد.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما بعد البيت السابق:

فَـذَرْ لِـيَ مـا قـبـل الـظـهـور عـرفـتُـه خصوصاً وبي لم تدر في الذر رفقتي

وهذا كلام على لسان الحقيقة المحمدية أيضاً من حيث أحوالها كما ذكرنا فقوله: «فذر» الفاء للتفريع عما قبله، يعني إذا عرفت أنَّ روحي روح الأرواح، وجسدي جسد الأجساد، فذر أي اترك بمعنى التسليم والإذعان وعدم التكذيب والارتياب. وقوله: «ليْ» متعلق بذر. وقوله: «ما» أي الأمر الذي «قبل الظهور»، أي ظهوري في الدنيا بروحي وجسدي المخصوصين بي. وقوله: «عرفته» صلة الموصول، والضمير عائد إلى الموصول، وهو ما. وقوله: «عرفته»، أي تحققته من جميع ما كان من مادة نوري أو يكون أو هو كائن. قال ﷺ: «**إنَّ الله قد رفع لي الدنيا، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، كما أنظر إلى كفي هذا**» رواه الطبراني.

وفي الحديث الصحيح: «**فعلمت علم الأولين والآخرين**»[1]. وقوله: «خصوصاً» مصدر خصه بالشيء خصاً وخصوصاً وخصوصية، وتفتح كذا في القاموس، وهو مفعول مطلق ناصبه فعل محذوف تقديره خصني الله تعالى بذلك خصوصاً دون غيري من جميع المخلوقات.

وقوله: «وبي» الواو للحال، والجار والمجرور متعلق بتدري. وقوله: «لم تدر» أي لم تعلم، يعني لم تعلم بي.

وقوله: «في الذر» أي في عالم الذر، وهو الذي أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: 172] الآية. وجاء في الحديث: «**إنَّ الله مسح ظهر آدم، فأخرج بنيه مثل الذر، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾** [الأعراف: 172]، [الزُّمَر: 71]»[2].

---

(1) سبق تخريجه.

(2) أورده الفاكهاني في أخبار مكة، ضمن حديث (2909) [5/ 101] والبيهقي في القضاء والقدر، حديث الإيمان، برقم (464) [1/ 299].

وأصل الذر، بالذال المعجمة المفتوحة والراء المشددة، صغار النمل. ومائة منها زنة حبة شعير، الواحدة ذرة، كما في القاموس. وقوله: «رفقتي» فاعل تدري، والرفقة مثلثة وكثمامة جماعة ترافقهم، وجمعه رفاق ككتاب وإرفاق كأصحاب، والرفقة اسم للجمع، وجمعه رفق، كصُرَد وعِنَب وحبال، كذا في القاموس.

أراد بالرفقة بقية المجانسين له من الآدميين في الصورة الإنسانية الآدمية، وهم كالذر في الصغر، وهو منهم نشوء. كلهم في ظهر آدم من مادة واحدة وطينة واحدة، خلق آدم منها، وهو مخلوقة من أصل هذه الطينة المحمدية، كما سيشير إليه الناظم قدس الله سره بقوله في هذه القصيدة على لسان الحقيقة المحمدية:

وإني وإن كنتُ ابنَ آدم صورةً ... فلي فيه معنىً شاهدٌ بأبوتي

وهذا المعنى هو هذه الطينة المحمدية، حتى أن الصورة الآدمية مرسومة بقلم القدرة على صورة رسم اسم محمد ﷺ فإنَّ الرأس كالميم دائرة، واليدان كالحاء، والبطن كالميم الثانية، والرجلان كالدال. وقد نقل بعضهم أنَّه لا يعذَّبُ أحد من الكفار في النار، وهو على هذه الصورة إكراماً لحروف اسمه ﷺ لكن تتغير صورته وتقبح هيئته وتكبر جثته كما ورد في الحديث. اهـ. وقوله على رسم صورة محمد ﷺ أي بالخط الكوفي القديم.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما في تائيته الكبرى:

فلا عالم إلاَّ بفضليَ عالِمٌ ... ولا ناطقٌ في الكون إلاَّ بمِدْحتي

«فلا عالم» بفتح اللام، قال في القاموس: العالم الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك. وقال في الصحاح: والعالم الخلق، والجمع العوالم والعالمون، أصناف الخلق. وقوله: «إلاَّ بفضلي عالم» بكسر اللام، أي متصف بالعلم بسبب فضلي وإمداده له، والفضل ضد النقص، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل كما في القاموس وهو فضل المقام المحمدي الممد لكل فضل في العالم العلوي والعالم السفلي، إذ الكل مخلوقون من نوره، وظهورهم من آثار ظهوره ﷺ.

وقوله: «ولا ناطق» أي متكلم في الكون، أي في جملة الأشياء «إلاَّ بمدحتي» أي مدحي والثناء عليَّ، فإنَّ صاحب هذا المقام المحمدي محمود في السماء

والأرض، وقال تعالى في حقه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] فقد رحم الله تعالى به العوالم كلها. وكل شيءٍ ناطق، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فُصّلَت: 21] وكل ناطق مادح لسبب الرحمة التي شملته بلسان قاله ولسان حاله، وهي النبي ﷺ.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما بعد البيت السابق:

ولا غَرْوَ أَنْ سُدْتُ الأُلى سبقوا وقد   تمسكتُ من طه بأوثق عُروة

«ولا غرو» قال في الصحاح: الغرو والعجب، وغروت أي عجبت. يقال: لا غرو أي ليس بعجب.

وقوله: «إن سدت» من ساد قومه يسودهم، فهو سيدهم. والسيد الجليل الذي له السيادة عليهم.

وقوله: «الألى» مفعول سدت، أي الذين سبقوا أي تقدموا عليّ في الزمان الماضي، وهم أهل الجمع والتوحيد كما مر.

وقوله: «وقد» الواو للحال، وجملة «تمسكت» في محل نصب، على أنها حال من فاعل سدت، وهو التاء. قال في الصحاح: أمسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به، كله بمعنى اعتصمت به.

وقوله: «من طه» أي من دين طه، أو من حقيقته التي هي نوره المخلوق منه كل شيء، كما ورد في الحديث وطه اسم محمد نبينا ﷺ قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: 1-2] والقرآن كلام الله، وكلامه تعالى علمه النازل في صورة كل شيء. قال تعالى في حق عيسى عليه السلام: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النِّساء: 171] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ [مَريَم: 34] وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عِمرَان: 59] قوله: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ [آل عِمرَان: 60] وكل شيءٍ كذلك خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، فقوله: كلامه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يسٓ: 82] وهو القرآن الذي أنزله على طه المادة النورانية الأصلية المخلوقة من نوره سبحانه بلا واسطة ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النُّور: 35]

يعني بنوره المحمدي، وهو الواسطة العظمى ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النُّور: 64] .

وقوله: «بأوثق» أي أشد «عروة» في القاموس العروة من الدلو والكوز المقبض. وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمَان: 22] طلب الإمساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق، وهي مستعارة لتمسك المحق، يعني بالكتاب والسنة، والمراد بالحقيقة المحمدية الجامعة.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما بعد البيت السابق:

عليها مجازيٌّ سلامي وإنَّما ... حقيقتُه مِنِي إليّ تحيتي

«عليها» أي على ما تمسكت به من طه، وهو حقيقته المحمدية العروة الوثقى. وقوله «مجازي» بتشديد الياء التحتية ياء النسب، والمجاز خلاف الحقيقة. وقوله: «سلامي» أي سلامي عليها، إذا قلت عليها السلام، أي الأمان من نظري إلى غيرها، إذ لا غير لها، فإنها عين كل حقيقة كونية.

ثم قال: «وإنَّما حقيقته» أي حقيقة السلام مني، أي من حقيقتي إليّ بتشديد الياء التحتية، أي إلى حقيقتي تحيتي، أي سلامي؛ فإذا سلمت عليها، فإنما سلمت حقيقتي على نفسها لفناء صورتي العرضية الباطنية والظاهرية على المادية النورية المحمدية.

فإنَّ من جمع تراباً كان كالحق تعالى إذا توجهت إرادته على تقدير في علمه متعين في العلم الإلٰهي الأزلي، وخرج من عدمه الأصلي إلى ظهور نور الوجود عليه في الوجه الإلٰهي، ثم انجبل ذلك التراب بالماء كتوجه الأمر الإلٰهي على ذٰلك التقدير المتعين من ذٰلك التقدير المتعين منه، حتى صار الحقيقة المحمدية. فالتقدير المتعين فيها فان مضمحل، لأنَّه عدم أصلي، والأمر الإلٰهي هو الوجود الحق الصرف، فنور محمد ﷺ أي أمر الله الوجود الحق المتوجه على ذلك التقدير المتعين، فباعتبار التقدير المتعين نور محمد ﷺ باعتبار فناء ذلك التقدير المتعين واضمحلاله وزواله، حتى رجع إلى عدمه الأصلي نور الله، فلا نور إلاَّ نور الله، فهو نور على نور، فهما نوران بالاعتبارين المذكورين، وهما نور واحد وهي المعية الإلٰهية: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40] . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ

أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]. ثم إنَّ ذٰلك الطين جعل الصانع منه أواني كثيرة مختلفة الصور والهيئات، حتى لم يبق من ذلك الطين شيء.

فإذا سأل سائل بعد ذلك، فقال: أين ذاك الطين؟ يقال له: غاب في هذه الأواني كلها، وليس بغائب لأنَّ الأواني كلها إنما هي مجرد صور وهيئات فانية مضمحلة، وكذلك ذٰلك التقدير المتعين الذي هو نور محمد ﷺ كما ذكرنا خلق الله منه جميع المخلوقات، أي صورها وقدرها. قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2] . ثم نبه على ذلك بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ [الأحزاب: 45] فمن عرف ما قلناه عرف الحقيقة المحمدية، وعرف أنها غايته في الصور الكونية، والهيئات الإمكانية. فمن ظهر له اضمحلال صورته الباطنة والظاهرة قرت عينه بعين الحقيقة المحمدية الفانية المضمحلة في الحقيقة الربانية، على الوجه الأكمل، والقانون الأشمل؛ وذلك نهاية السالكين وغاية الواصلين.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما بعد البيت السابق:

وأطيبُ ما فيها وجدتُ بِمُبتدا غرامي وقد أبدى بها كل ندرة

«وأطيب» قال في القاموس: طاب يطيب لذَّ وزَكَا. والأطيب أفعل تفضيل، الأكثر طيباً. وقوله: «ما فيها» أي في الحقيقة المحمدية كما قدمنا.

واعلم أنَّ السالك أول ما تنفذ بصيرته إلى حضرة الغيب المطلق، وهو الوجود الحق الحقيقي الذي لا يدرك ولا يترك، فيتعلق قلبه بجماله الحقيقي المنزه عن الصور الحسية والمعنوية والخيالية، فيشاهد لطائف وعظائم منه، وشرائف عطاياه، فيتعشق به، وتلتذ روحه بمعرفته، وكمال نزاهته، وشدة تجرده عن جميع المواد الكونية، والحدود، والقيود الحسية والخيالية... فينكشف له بلا انكشاف أنَّه الحق وكل ما سواه باطل، وأنَّه النور المحض الحقيقي وكل ما سواه ظلمة محضة، وأنَّه الوجود الصرف المطلق حتى عن الإطلاق وكل ما سواه عدم خالص، فيظهر له أنَّه معدوم في نفسه بالنسبة إليه تعالى وأنَّه فانٍ، مضمحل، فينطلق لسانه بما صار عنده

من التعشق فيه والهيام في محبته، فينفتح عليه لسان الغزل والتشبيب في العيون والخدود، والأعناق والقدود، ومحاسن الوجوه والوجنات، وأنواع التغزلات... وتنفتح عليه معان في ذلك وأسرار، ولطائف إشارات من غير طريق الأفكار، فينظم الشعر البديع على حسب ما عنده من معرفة الصناعة الشعرية، والعلوم الأدبية، فيظهر منه الرقيق من الأشعار، ولا يسمى كلامه شعراً، بل يسمى علماً إلٰهياً وإن جارى في ذلك الطيور والأزهار، ويصير كلما سمع شعراً فهمه على حسب حاله، أو سمع المغني أخذ إشارته من لطيف مقاله، أو سمع دفاً أو مزماراً أعرض عن حاله، ودخل في معرض عرفانه ومجاله، إلى أن ينتهي به العشق الإلٰهي إلى الدخول بالفناء والانعدام، في حقيقة علم الوجود الحق وينقطع منه الكلام؛ فيظهر منه التصريح بالاتحاد، حيث لا أرواح ولا أجساد، ويسكر ويصحو، ويستحضر ويلهو، ويفيق ويسهو... إلى أن لا يرسخ في مقام الاتحاد الحقيقي، حيث لا تجد نفسه معه تعالى ولا يجد معه تعالى شيئاً.

ثم تتراءى له الأنوار المحمدية، والحقيقة الأحمدية، ببركة مواظبته من حال بدايته على الأحكام الشرعية، والسنن النبوية، والآداب المصطفوية... فيجد عين ما هو فيه من الأحوال، ولم يخرج عن أحوال الحقيقة المحمدية، ويرجع في تجلي ذي الجلال، فإنَّها السابقة بالأفعال، في تحقيق حقيقة الوصال والاتصال؛ فيرجع كلامه فيما علم منها من شرائف الخصال، ويحلو له التغزل والتشبيب، وشكوى الشوق والغرام من المحب إلى الحبيب، ويرجع عشقه في الحقيقة المحمدية، المتحققة على الوجه الأكيد بالحقيقة الإلٰهية؛ ويرجع اتحاده إليها، ويقع اختياره عليها، فلا يجد غيرها، ولا يعرف إلاَّ خيرها؛ ولا يبقى عنده فرق بين معروفه الأول والثاني، بل وجد الحقيقة واحدة ظاهرة ببدائع المعاني، في لطائف المباني.

ولذا قال: «وأطيب ما فيها وجدت بمبتدا»، أي في حال ابتداء غرامي، أي عشقي؛ ولم يقل غرامي بها، لأنَّ الغرام كله والعشق لا يكون إلاَّ بها منها لها، ولكن صور التجلي أي تجليها بمرادها ناقصة وكاملة، وجاهلة وعالمة على حسب تعلق المشيئة الأزلية، بما في حضرة العلم العلية، على طبق ما كشفت عنه أزلاً من معلوماتها العدمية.

وقوله: «وقد» الواو للحال، والجملة في محل نصب حال من غرامي. وقوله

«بها» أي بسبب الحقيقة المحمدية، أو بالاستعانة بها من حيث ظهور التجلي بها لها عليه من ابتداء غرامه، حيث لم يتنبه لها من حيث هي حقيقة محمدية، متبدلة في أطوار التجليات الإلٰهية.

فلما تنبه لها علم أنَّها هي هي التي غرامه بها أولاً وآخراً، بل ذلك خيالها في أنواع تجلياتها. وقوله: «كل» مفعول أبدى. وقوله: «ندرة» مضاف إليه والمراد بالندرة هنا الشيء النادر العجيب.

ومن جواهر العارف النابلسي

[في شرح قول لابن الفارض]

قوله عند قول ابن الفارض رضي الله عنهما بعد البيت السابق:

ظهوري وقد أَخفيت حاليَ منشِداً ... بها طرباً والحالُ غيرُ خفيةِ

«ظهوري»، أي اشتهاري بالولاية والقرب الإلٰهي وصدق المعاملة بين الناس، وهو خبر المبتدأ الذي هو قوله: «وأطيب» في البيت قبله.

وقوله: «وقد» الواو للحال، والجملة حال من ياء المتكلم في قوله «ظهوري»، والعامل المصدر.

وقوله: «أخفيت حالي» أي كتمته عن الناس، ولم أقصد إظهار شيء منه، لأنَّها أسرار بين المحب والمحبوب. والغيرة تقتضي الستر والكتمان. وقوله: «منشداً» حال من فاعل أخفيت. ومنشداً بكسر الشين المعجمة اسم فاعل، يقال: أنشد الشعر قرأه، كذا في القاموس.

وإنشاد الشعر قراءته أعم من أن يكون شعره الذي أنشأه أو شعر غيره. وقوله: «بها» أي بسبب المحبوبة الحقيقة المحمدية، أو باستعانتها من حيث عينها الربانية المنزهة عن تجليها بالتقدير المعين لها كما مر.

وقوله: «طرباً» بالتحريك، أي على وجه الطرب، وهو تمييز لنسبة الإنشاد إليه. قال في الصحاح: الطرب خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور.

المراد هنا يعني أظهر الخفة بإنشاد الأشعار الغزلية التي سأُنشدها بعد ذلك، والتشبيب في محاسن المحبوب والمحبوبة، وأُكثر من التأَوُّه والشكاية والتحزن، من الهجر والبعد والإعراض... وأَتمنى الوصال والقرب، ويظهر مني الميل والتعشق في صور الملاح من الذكور والإناث، كحال العشاق المحجوبين المفتونين بما

ابتلاهم الله تعالى به من عشق الصور، ستراً مني لشريف أحوالي، وغيرة على أمري أن يظهر بين الغافلين المعرضين عن الحق، المشتغلين بما سواه من الباطل. حتى إذا وقع منهم إنكار لشيء من تجلياته تعالى عليَّ تجلياً ظاهراً لهم أو باطناً عنهم، فلم يقبلوا أثره في الكون أنا وقاية للحق في ذلك الإنكار والاعتراض. ومع هذا كله، حصل ظهوري بالكمال بينهم وعدم اختفائي عنهم.

وقوله: «والحال» أي حالي المذكورة، «غير خفية» بتشديد الياء التحتية، أي ظاهرة يعني أن الإخفاء لها الذي كان قصدي لم يعمل في إخفائها شيئاً، كما قال صاحب الموشح العامي:

غطوها الندامى قالت ... عين الشمس ما تتغطى

والأبيات التي أنشدها قاصداً إخفاء حاله صيانة لتوجه الإنكار على تجليات محبوبه المحمدي الرباني ببدائع أفعاله، التي هي كلها عند المحب محاسن جماله، اثنان وخمسون بيتاً.

وقال الشارح القيصري والبسطامي: أحد وخمسون بيتاً. وقال الشارح الأول أبو سعيد الفرغاني أستاذ القيصري وتلميذ الصدر القونوي، الذي هو تلميذ الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي قدس الله أسرارهم: إنَّها ستة عشر بيتاً، وستمر بك بيتاً بيتاً.

انتهى كلام العارف النابلسي رضي الله عنه. وها أنا أسوق الإثنين والخمسين بيتاً، التي أشار إليها ابن الفارض رضي الله عنه في البيت السابق، وذكر أنَّه أخفى حاله بها، وهي من أبلغ الغراميات. وقد ذكرها بعده متصلة به، وهي قوله رضي الله عنه:

بَدتْ فرأيتُ الحزمَ في نقضِ توبتي ... وقام بها عند النُّهى غدرُ محنتي
فمنها أماني من ضَنَى جسدي بها ... أماني آمالٍ سَخَتْ ثم شحّتِ
وفيها تلافِي الجسمِ بالسُّقم صحةٌ ... له وتلافُ النَّفسِ نفسُ الفُتُوَّةِ
وموتي بها وجْداً حياةٌ هنيئةٌ ... وإن لم أمت في الحب عشتُ بغُصةِ
فيا مهجتي ذوبي جوىً وصبابةً ... ويا لوعتي كوني كذاك مذيبتي
ويا نارَ أحشائي أقيمي من الجوَى ... حَنايَا ضلوعِي فهي غيرُ قويمة
ويا حسن صبري في رضا من أُحبها ... تجمل وكن للدهر بي غيرَ مُشمِتِ
ويا جَلَدي في جنب طاعة حبها ... تحملْ عَدَاكَ الكلُّ كلَّ عظيمة
ويا جسدي المضنَى تسلَّ عن الشفا ... ويا كبدي من لي بأن تتفتتي

ويـا سقَـمـي لا تُـبـق لـي رَمَـقـاً فـقـد أَبَـيْـتُ لـبُـقْـيـا الـعِـزّ ذُلَّ الـبـقـيـة
ويا صِحتي ما كان من صُحبتي انقضى ووصلكِ في الأحشاءِ مَيْتاً كهجرة
ويا كلَّ ما أبقى الضَّنَى منيِّ ارتحل فـمـا لـك مـأوى فـي عـظـامٍ رمـيـمـة
ويـا مـا عـسـى مِنّـي أُنـاجِـي تـوهـمـاً بـيـاء الـنـدا أُونـسـتُ مـنـكَ بـوحـشـة
وكـل الـذي تـرضـاه والـمـوت دونـه بـه أنـا راض والـصـبـابـة أرضـت
ونـفـسـيَ لـم تـجـزع بـإتـلافـهـا اسىً ولـو جـزعـت كـانـت بـغـيـري تـأَسـت
وفـي كـلّ حـيّ كـلُّ حـيّ كـمَـيّـت بـهـا عـنـده قـتـل الـهـوى خـيـر مِيـتَـة
تـجـمـعـت الأهـواء فـيـهـا فـمـا تـرى بـهـا غـيـر صِـب لا يـرى غـيـرَ صَـبـوة
إذا سـفـرت في يـوم عـيـد تـزاحـمـت عـلـى حـسـنـهـا أبـصـارُ كـلّ قـبـيـلـة
فـأرواحـهـم تـصـبـو لـمـعـنَـى جـمـالِـهـا وأحـداقُـهـم مِـن حسنِـهـا فـيَ حَـديـقـة
وعـنـديَ عـيـدي كـل يـوم أرى بـه جـمـال مـحّـيـاهـا بـعـيـن قـريـرة
وكـل الـلـيـالـي لـيـلـةُ الـقـدر إن دنـت كـمـا كـلُّ أيـام الـلـقـا يـوم جـمـعـة
وسـعـيـي لـهـا حـجٌّ بـه كـل وقـفـة عـلـى بـابـهـا قـد عـادلـت كـلَّ وقـفـة
وأيُّ بـلاد الله حـلـت بـهـا فـمـا أراهـا وفـي عـيـنـي «حَـلَـتْ» غـيـرَ مـكـة
وأيُّ مـكـان ضـمـهـا حـرم كـذا أرى كـل دار أَوطـنـت دارَ هـجـرة
ومـا سـكـنـتـه فـهـو بـيـتٌ مـقـدّس بُـقـرّة عـيـنـي فـيـه أحـشـاي قـرت
ومسجديَ الأقصى مساحب بُردِها وطِـيـبـي ثَـرى أرض عـلـيـهـا تـمـشَّـت
مـواطـن أفـراحـي ومـربـى مـآربـي وأطـوار أوطـاري ومـأْمـن خـيـفـتـي
مغـانٍ بـهـا لـم يـدخـل الـدهـر بـيـنـنـا ولا كـادنـا صَـرفُ الـزمـان بـفُـرقـة
ولا سعـت الأيـامُ فـي شَـتِ شـمـلـنـا ولا حـكـمـت فـيـنـا الـلـيـالـي بـجـفـوة
ولا صـبـحـتـنـا الـنـائـبـات بـنـبـوة ولا حـدثـتـنـا الـحـادثـات بـنـكـبـة
ولا شـنـع الـواشـي بـصَـدّ وجـفـوة ولا أرجـف الـلاَّحِـي بـبـيـن وسَـلْـوة
ولا استيقظتْ عينُ الرقيب ولم تزل عـلـيّ لـهـا فـي الـحـب عـيـنـي رقـيـبـتـي
ولا اخـتـص وقـتٌ دون وقـتٍ بـطـيـبـةٍ بـهـا كـل أوقـاتـي مـواسـمُ لـذتـي
نـهـاري أصـيـلٌ كـلـه إن تـنـسـمـت أوائـلـهُ مـنـهـا بَـرّد تـحـيّـتـي
ولـيـلـيَ فـيـهـا كـلـه سَـحَـرٌ إذا سـرى لـيَ مـنـهـا فـيـه عَـرْفُ نُـسَـيْـمـة

وإن طرقت ليلاً فشهريَ كله ... بها ليلة القدر ابتهاجاً بزورة
وإن قرُبت داري فعاميَ كله ... ربيعُ اعتدال في رياضٍ أَريضة
وإن رضيت عني فعمريَ كله ... زمانُ الصِبّا طِيباً وعصرُ الشبيبة
لئن جمعتْ شملَ المحاسنِ صورةٌ ... شهدتُ بها كلَّ المعانِي الدقيقة
فقد جمعتْ أحشاي كلَّ صبابةٍ ... بها وجوىً يُنْبيك عن كلّ صَبْوة
ولِمْ لا أُباهي كلَّ من يدّعِي الهوَى ... بها وأُناهِي فِي افتخاري بحظوةِ
وقد نِلت منها فوق ما كنتُ راجياً ... وما لم أكن أمَّلتُ من قُرب قربتي
وأرغم أنفَ البين لطفُ اشتمالها ... عليّ بما يُربِي على كلّ مُنْية
بها مثلَ ما أمسيتُ أصبحتُ مغرماً ... وما أصبحتْ فيه من الحسن أَمستِ
فلو منحتْ كلَّ الورى بعضَ حسنِها ... خلا يوسفٍ ما فاتهم بمزَّية
صرفت لها كُلّي على يد حسنها ... فضاعف لي إِحسانُها كلَّ وُصلة
يشاهدُ مني حسنَها كلُّ ذرةٍ ... بها كلُّ طَرْفٍ جالَ في كلِ طَرْفة
ويُثني عليها فِيّ كلُّ لطيفةٍ ... بكلّ لسانٍ طالَ في كلّ لَفْظة
وأنشَقُ ريَّاها بكلّ رقيقةٍ ... بها كلُّ أنفٍ ناشقٍ كلَّ هَبَّةِ
ويسمعُ مني لفظَها كلُّ بَضْعَةٍ ... بها كلُّ سمعٍ سامعٍ مُتنصِت
وَيلثَم مني كلُّ جزءٍ لِثامَها ... بكلِ فمٍ في لثمِه كلُّ قُبلة
فلو بسطت جسمي رأت كلَّ جوهرٍ ... به كلُّ قلبٍ فيه كلُّ محبة

ومن جواهر [الشيخ عبد الغني النابلسي] رضي الله عنه

[الرد المتين]

قوله في كتابه «الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين، قال الفاسي في تاريخه: لما حمى ادعاء ابن عربي أنه خاتم الأولياء، كما أن نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء ليس بصحيح لوجود كثير من أولياء الله تعالى العلماء العاملين في عصر ابن عربي وفيما بعده على سبيل القطع، وإن كان المراد أنه خاتم الأولياء بمدينة فاس، فهو غير صحيح أيضاً لوجود الأولياء والأخيار بها بعد ابن عربي، وهذا من الأمر المشهور.

قال العارف النابلسي بعده أقول: دعواه أنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة لا يمنعها كثرة الأولياء في عصره ولا فيما بعده في مدينة فاس أو في غيرها من

الأرض، لأن ولاياتهم غير محمدية خاصة وإن أردت بيان هذا البحث أتم بيان فأصغ لما يتلى عليك في هذا الشأن.

اعلم أن محمداً ﷺ خاتم جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ومعنى ذلك أنه ذائق لمشرب كل نبي كل رسول ممن تقدمه، فهو جامع لجميع مشارب الأنبياء والمرسلين؛ ولهذا جاء بتصديقهم كلهم، وأفصح عن مقاماتهم ومراتبهم، وكشف له عن أحوالهم كلها، وتنزلت أخبارهم على قلبه بما تلاه علينا من القرآن العظيم. فنبوته أصل لجميع النبوات، والنبوات فرع من نبوته، ولهذا قال ﷺ: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[1]. وبقية الأنبياء عليهم السلام إنما كانوا نبيين حين بعثوا لا قبل ذلك؛ فأصل مشارب الأنبياء كلها، وهي روحانياتهم الفاضلة، كالمياه المنقسمة مجموعة في مشرب، محمد ﷺ الجامع الذي هو روحانيته التي بدأ الله تعالى بها الوجود. كما ورد أنه: «**أول ما خلق تعالى نور محمد ﷺ من نوره تعالى**»[1] والحديث في ذلك طويل. ثم لما خلق الله تعالى طينة آدم عليه السلام وسواها أجرى ماء روحانية آدم من مشرب محمد ﷺ الجامع. وكذلك حين خلق طينة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وبقية المرسلين عليهم السلام على حسب ترتيب خلق طيناتهم في هذا الوجود أجرى الله تعالى مياه روحانياتهم التي هي مشاربهم الخاصة من ماء روحانية محمد ﷺ التي هي مشربه الجامع. ثم خلق الله تعالى طينة محمد ﷺ أجرى ماء روحانيته الجامعة في طينته المخصوصة ﷺ فظهر في هذا الوجود. فيكون ظهوره مرتين: مرة بطريق التفصيل في أطوار دقائق الأنبياء والمرسلين قبله، ومرة بطريق الإجمال. ومعلوم أن الإجمال بعد التفصيل، ولهذا ختمت به النبوة، فلا نبي بعده لتمام التفصيل بإجماله ﷺ وإذا علمت هذا، فاعلم أن الأولياء بعده ﷺ موجودون باقون إلى يوم القيامة، وهم على قسمين: محمدي جامع، ومحمدي غير جامع.

فالأول: من ورث محمداً ﷺ في جمعيته لجميع مشارب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولم تفته إلا درجة النبوة، لكونها غير مكتسبة، وجاء من هؤلاء كثيرون من الأمة، آخرهم الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيي الدين محمد بن عربي الحاتمي رضي الله عنه وهذا معنى قوله: إنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة.

ومن طالع كتابه «فصوص الحكم» علم مقامه رضي الله تعالى عنه. لأنه أودع

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

جميع علومه فيه، كما أشار إليه بقوله من أبيات معشراته:

صـــرة أودعـــت عـــلـــمـــي عـــنـــدهـــا   فـــي كـــتـــاب وســـمـــتـــه بـــالـــفـــصـــوص

وأما **الثاني**: وهو المحمدي الغير الجامع، فهو من ورث محمداً ﷺ لكن لا من جهة جمعيته لجميع مشارب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بل من جهة مشرب نبي من الأنبياء فقط كنوح أو إبراهيم أو موسى أو عيسى، فيقال في هذا الاسم: نوحي محمدي، أو إبراهيمي محمدي، أو موسوي محمدي، أو عيسوي محمدي ونحو ذلك... وهم الأفراد هؤلاء يكون خاتمهم في آخر الزمان حضرة السيد المهدي، خاتم الولاية المطلقة رضي الله عنه.

واعلم أن روحانيات الأنبياء كلهم عليهم السلام مستمدة من حضرة الروح الأعظم، الذي هو روح الوجود الكل، وهو في الحقيقة محمد حبيب الله ﷺ إذ هو الأصل.

قال الله تعالى في أول الأنبياء آدم عليه السلام: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]. قال تعالى في آخر الأنبياء عيسى عليه السلام: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: 12] وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: 59].

الآية. فبدأ الله تعالى الأنبياء بآدم، ثم أخرج منه حواء وأظهر جميع الأنبياء عليهم السلام من صلبه إلى خلق مريم، وأظهر منها عيسى عليه السلام فكان الابتداء بأنثى من ذكر، والانتهاء بذكر من أنثى.

ثم لما تمت مراتب النبوة المحمدية. وتفصلت أطوارها في هذا الوجود، أظهرها الله تعالى مجملة؛ فكانت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم نبي الله ورسوله إلى كل شيء. خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

إذا علمت هذا، فاعلم أيضاً أن روحانيات الأولياء على قسمين:

روحانيات مستمدة من الروح الأعظم محمد ﷺ بوجه خاص غير الوجه الذي استمدت منه بقية الأنبياء عليهم السلام روحانيات الأولياء المحمديين الجامعين الذين ختموا بالشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنهم وبهذا الاعتبار يقال فيهم: لا يجدون أمامهم قدماً إلا قدم محمد ﷺ كما ينقل ذلك عن ابن قايد وأمثاله.

والقسم الثاني روحانيات مستمدة من الروح الأعظم أيضاً لكن بواسطة روحانية نبي من الأنبياء عليهم السلام فكانت وهي روحانية هذا النبي موصلة لروحانية الولي

ما يفيضه عليه الروح الأعظم من حضرة الأزل، وهي روحانيات الأولياء المحمديين الغير الجامعين، الذين يختمون بالسيد المهدي رضي الله تعالى عنهم. وحيث ذكرنا روحانيات الأنبياء عليهم السلام، وروحانيات الأولياء رضي الله تعالى عنهم وبينا مراتب النبوة والولاية، فلنكمل ذلك ببيان مراتب روحانيات بقية بني آدم والحيوانات؛ فنقول: روحانيات ما عدا الأنبياء والأولياء من بني آدم والحيوانات، إنما هي مستمدة من النفس الكل المسماة في لسان الشرع باللوح المحفوظ، لا مستمدة من الروح الأعظم ولا من بقية الأرواح المشتقة منه. وهذه النفس الكل طريق من طرق روحانيات الأنبياء والأولياء، يمرون عليها عند عروجهم واستمدادهم من حضرة الروح الأعظم، فيرون أرواح من عداهم من الحيوانات، وربما يخبرون عن أرواح بعض بني آدم أنه سيعرض لها أحوال وأمور، فيكون الأمر كما أخبروا أن أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ ولم يمحه، قال تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرّعد: 39] ، وهذا المبحث طويل الذيل وافي الكيل، وليس هذا موضع استيفائه. وفي هذا القدر كفاية؛ والله أعلم.

انتهى كلام سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي [قدِّس سرُّه].

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف بالله
الشيخ محمد المغربي المدفون في اللاذقية المتوفى سنة 1240

[سيرته]

وهو أحد أئمة العارفين، وأكابر الأولياء المحققين، وأعاظم العلماء العاملين، وسادات الأشراف الطيبين الطاهرين، وهو من بني ناصر، وهي قبيلة شريفة مشهورة في بلاد المغرب، ولم يكن له في اللاذقية زوجة ولا ولد، وله فيها جامع عظيم معمور بالجمعة والجماعات، وفي جانبه حجرته المدفون فيها، وله أوقاف كثيرة يصرف ريعها على جامعه ومزاره، ومن ذلك مقدار لجماعة يقرأون القرآن عند ضريحه الشريف في كل يوم، وبالجملة فهو لا تنقطع من ضريحه وجامعه العبادات بأنواعها.

وقد كانت له في حياته كرامات وخوارق عادات كثيرة سمعت منها شيئاً كثيراً من أهل اللاذقية، حينما كنت رئيس محكمتها الجزائية، وأقمت فيها خمس سنوات فإني دخلتها في صفر سنة 1300، وخرجت منها في ذي القعدة سنة 1305، وتوجهت منها إلى رئاسة محكمة القدس الشريف، فبقيت فيها دون سنة، وتوظفت في وظيفتي هذه رئاسة محكمة الحقوق في بيروت من ذلك التاريخ إلى اليوم، وهو نصف ذي القعدة سنة 1325، والحمد لله رب العالمين.

وفي مدة إقامتي في اللاذقية، عرفت فضل هذا الولي الكبير سيدي الشيخ محمد المغربي، وقد ذكرته في كتابي «جامع كرامات الأولياء»، وأثبت فيه من كراماته ما يستدل به على علو مقامه.

والمشهور عند أهل اللاذقية أنَّه كان قطباً، وأخبرني بكثير من كراماته من اجتمعوا عليه، وحضروا دروسه، وانتفعوا بعلمه وولايته.

وقد أخبروني أنَّه كان يفتتح درسه في جامعها الجديد الكبير، بقوله بعد البسملة والحمدلة: كلامنا الآن على كذا، ويملي من حفظه شيئاً كثيراً من الفوائد المتنوعة الدينية.

وكان أهل اللاذقية قبل قدومه إليها في غاية الجهل في أمور الدين، لعدم العلماء فيهم، وقربهم من بلاد النصيرية، وكثرة اختلاطهم بهم، فإنَّهم جل أهل

القرى المجاورة لها، فجدد الشيخ رضي الله عنه فيها الدين، وأعانه على ذلك أحد أكابر تلاميذه من أهلها، العلامة المحقق الشيخ صالح الطويل أحد العلماء العاملين رحمه الله تعالى.

وأخبروني: أنَّ إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، والي مصر حينما حضر إلى البلاد الشامية سنة 1245هـ، وصعد إلى جامع سيدي الشيخ محمد المغربي المذكور، وهو في أعلى البلد في أحسن موقع فيها وأرفعه، فأعجبه ذلك الموقع وعمارة الجامع ومزار الشيخ، فحدثه رجل بشيء من كراماته.

فقال إبراهيم باشا ما معناه: لا يحتاج لكرامة أعظم من هذه، وهي أنَّه رجل غريب فقير، صار له في هذه البلدة القبول التام، وبني له هذا الجامع العظيم الذي لا يحصل مثله لكثير من الأمراء والأغنياء.

ومن جواهر سيدي الشيخ محمد المغربي المذكور

[مولد النبي ﷺ]

كتابه الجليل في قصة مولد النبي ﷺ يقرأ في المحافل، وهو من أبلغ وأفضل وأكمل الموالد المؤلفة في قصة ولادته ﷺ وقد جمع الشيخ فيه بين روايات المحدثين، وعبارات ساداتنا الصوفية المحققين.

وهو من أكابرهم وهم أعرف الناس بعلو قدر سيدنا محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وهذا هو المولد الشريف، قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. اللهم لا سهل إلاَّ ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

سبحانك لا علم لنا إلاَّ ما علمتنا إنَّك أنت العليم الحكيم، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين، وتابع التابعين وعن الأولياء والعلماء العاملين، والأئمة المجتهدين، ومقلديهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، أيها الناس، إنَّ أحسن الكلام كلام الله وخير الهدى هدى سيدنا محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار أي صاحبها. وكلامنا الآن على قول ربنا جلَّ جلاله وعز

جماله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] يا أيها الموجودات، يا أيها المخلوقات، يا أيها العلامات، يا أيها الكائنات، اعلموا أنَّ سيدنا محمداً ﷺ هو عرش المطالع الرحمانية، وسماء المشارق الربانية، وأنَّه ﷺ هو غوث العجائب النورانية، وقطب الغرائب الروحانية.

وأنَّه ﷺ هو فلك اللطائف الصمدانية، وشمس الرقائق الروحانية، وقمر الكثائف الجثمانية.

وأنَّه ﷺ هو أرض الأسرار والأنوار الجبروتية، وبحر الحقائق والدقائق والرقائق الملكوتية.

وأنَّه ﷺ هو سدرة منتهى المحاسن الرسولية، وشمس العجائب النبوية، وفلك الغرائب الإنسانية.

وأنَّه ﷺ هو عروس أسرار الجبروت، وسلطان أنوار الملك والملكوت؛ وأنَّه ﷺ هو مظهر ذات العزة والعظمة والكبرياء والألوهية، ومشرق ذات الجلال والكمال والربوبية.

وأنَّه ﷺ هو عرش أسرار ذات الجلال، وكرسي أنوار ذات الجمال، ولوح أرواح ذات الكمال.

وأنَّه ﷺ هو قلم الكبير المتعال، الذي كتب به ما يكون أو كان من كل ذرة من ذرات عالم الخلق والمثال.

وأنَّه ﷺ هو سر أسرار المعقولات، ونور أنوار المحسوسات، وشمس جميع الموجودات؛ وأنه ﷺ هو نعمة رب العالمين، وعطية أكرم الأكرمين، وهدية أرحم الراحمين، ونور جميع العالمين؛ وأنَّه ﷺ هو سر أسرار برزح المؤمنين، ونور أنوار قيامة المتقين، وروح أرواح ميزان العارفين.

وأنَّه ﷺ هو بحر أنوار حياض الملائكة والأنبياء والمرسلين، وسر أسرار صراط المقربين؛ وأنَّه ﷺ هو شمس أنوار جنات رب العالمين، وكثيب رحمة أرحم الراحمين؛ وأنَّه ﷺ هو عظيم نعمة رب العالمين، المنزل على قلبه القرآن العظيم، المخاطب بهذا الخطاب المتين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته صلاة تدوم بدوام ذات الأحدية والواحدية والرحمانية، عدد ما أحاطت به ذات الربوبية والمالكية والألوهية، صلاة تغفر لنا بها يا ربنا، ولوالدينا ولمشايخنا، ولأحبابنا ولعشيرتنا، ولجميع من

أحسن إلينا، ولصاحب الوقت، ولجميع الأقطاب، ولجميع أهل الديوان، ولجميع الأولياء الأحياء منهم والأموات، ولأولياء هذه البلدة، ولعلمائها ولعامتها، ولإخواننا هؤلاء الحاضرين والغائبين، ولوالديهم ولأقاربهم، ولكافة المسلمين أجمعين.

لما طلعت شموس ذلك الكتاب المسطور، في ذلك الرق المنشور، في ذلك البيت المعمور، فاضت عيون ذلك البحر المسجور، من سماء العالين والمقربين، على أراضي المحبين والعارفين؛ فغارت عساكر ذلك الفتح المبين، على مدائن ذلك السلطان الأمين، فأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين، فنادى منادي سلطان الأسرار، في فلك أفلاك الأنوار، في بحور العجائب، وسواحل الغرائب: «**إنني أنا الله لا إله إلاَّ أنا رب العالمين**» ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [الإسراء: 54] يا محمد ﴿إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] . فسبحان من أعز سيدنا محمداً ﷺ فجعله مظهراً لجميع الأسماء والصفات، ونوراً ساطعاً في جميع الموجودات، وحرزاً حصيناً في كل ذرة من ذرات المخلوقات، وفتح به عيوناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وأفاض به لمعات القرب، وأزال به ظلمات الريب، وأنار به قلوب المؤمنين، وهدى به إلى سبيل المقربين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته، وأهل بيته صلاة تدوم بدوام ذات الله وأسمائه وصفاته.

روى صاحب «الشفا» أنَّ لله ملائكة سياحين في الأرض، عبادتهم حراسة أهل كل دار فيها اسم محمد ﷺ.

وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه أنَّه كان رجل في بني إسرائيل يعصي الله مائة سنة، ثم مات فأخذوه وأَلقوه في المزبلة، فأَوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن أخرجه وصل عليه وادفنه، فقال: يا رب إن بني إسرائيل شهدوا أنَّه كان يعصيك مائة سنة، فأوحى الله إليه أنَّه كذلك، إلاَّ أنَّه كلما نشر التوراة، ونظر إلى اسم محمد ﷺ قبّله ووضعه على عينيه، فشكرت له ذلك، فغفرت له وزوجته سبعين من الحور العين.

وفي الإشارة إلى عظيم قدره، وشريف أمره، وجلالة قربه من ربه ورد عظيم الآيات، وشريف الإشارات، وكثير العلامات، وبليغ العبارات؛ ومنها قول ربنا جلَّ جلاله، وعز جماله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128] وقوله عزَّ وجل: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ

لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿81﴾﴾ [آل عِمرَان: 81] فالآية الأولى تشير إلى أنَّه ﷺ هو الساري سره في جميع الأسماء والصفات، وإلى أنَّه ﷺ هو الروح الباطن في جميع الأرواح، والنور الساطع في جميع الأشباح، وإلى أنَّه ﷺ رسول رب العالمين، إلى جميع المخلوقات جاءهم من أنفُسِهم، ومن أنفسهم، ومن أرواحهم، ومن أشباحهم. . . والخطاب إلى جميع المخلوقات علوها وسفلها، وتشير إلى أنَّه ﷺ شاقٌّ عليه وقوع جميع المخلوقات في الشقاوة والبعد عن الله، وتشير إلى أنَّه ﷺ حريص على وقوع جميع المخلوقات في السعادة والقرب إلى الله، وإلى أنَّه ﷺ بالموءْمنين رؤوفٌ رحيم، وعلى الكافرين قهار عظيم.

والآية الثانية تشير إلى أنَّ الله تعالى أخذ العهود والمواثيق على جميع الأنبياء وأممهم في ذلك العالم الروحاني، وفي هذا العالم الجسماني على أنهم إن أدركوا زمنه ﷺ ليؤمنوا به ويتبعوه، وينصروه ويأخذوا العهد على أممهم في ذلك، ولا زال معمولاً بذلك العهد المربوط، والشرط المشروط، في ذلك الزمان المحدود، إلى أن أظهر الله حبيبه في هذا العالم المشهود، لما هبت النسمات، وفاحت النفحات، وفاضت اللمحات، طلعت شمس الربوبية، من عرش الرحمانية، على أراضي المالكية، وفاضت بحور الأحدية، على سواحل الواحدية؛ فأَذَّن مؤذن الحضرة العلية، على شواهق الألوهية، بلسان العظمة والكبرياء والعزة الأبدية، فاهتزت وربت أراضي التقديسات الأزلية، فأنبتت من كل عجيبة رحمانية، وغريبة ربانية ولطيفة نورانية، ورقيقة روحانية، وكثيفة جسمانية، فعرجت أرواح السعادة الأبدية، بالعارفين والمقربين، والمحبين والمحبوبين، إلى تلك المنازل العالية، والديار السامية، والنعم الباقية؛ حتى نزلوا بساحة من كل يوم هو في شأن، فما كانوا ولا كانوا حيث كانوا حتى سمعوا من حضرة الرحمٰن تلاوة القرآن: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [التّوبَة: 21] فصاح سلطان الجبروت، في أفلاك الملك والملكوت، أن لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [الإسرَاء: 54] يا محمد﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَاء: 107].

يا أيها الموجودات، يا أيها المخلوقات، يا أيها العلامات، يا أيها الكائنات. . . اعلموا أنَّ سيدنا محمداً ﷺ هو المرآة التي نظر الرب جل جلاله، وعزَّ جماله إلى نفسه بها في جميع شهادته وخلقه.

وأنَّه ﷺ هو الإمام المبين، والروح العظيم الساري في كل نفخة من نفخات

رب العالمين، وأنَّه ﷺ هو النور الطالع من مشرق سمٰوات الحضرات الجبروتية، والسر اللامع من مغرب كمالات النسمات الملكوتية.

وأنَّه ﷺ هو السر الذي منه انشقت أسرار الذات، والنور الذي منه انفلقت أنوار الصفات.

وأنَّه ﷺ هو النور الذي فيه ضربت وعود التجليات، والسر الذي فيه لمعت بروق التحليات.

وأنَّه ﷺ هو السماء الممطرة بأنوار حضرات الجبروت، والأرض المنبتة لأسرار الملك والملكوت.

وأنَّه ﷺ هو العرش الذي استوى عليه الرحمٰن، والكرسي الذي انتصب فيه الديوان، وأنَّه ﷺ هو السر الطالع من عرش عوالم الحق والجبروت، والروح الجامع لأسرار عوالم الملك والملكوت.

وأنَّه ﷺ هو القطب الجامع لشمس كواكب الحضرات، والفرد الواحد المشار إلى جوهر روحه بجميع الإشارات، وأنَّه ﷺ هو الفرد العالي الساطع بذاته على عوالم الأنوار والظلمات، والعرش المحيط المعبر عن حقيقته بسائر أنواع العبارات؛ وأنَّه ﷺ هو البدر الطالع من فوق سمٰوات الأرواح، والفجر اللامع بجميع المسرات والبشارات والأفراح.

وأنَّه ﷺ هو الروح الجاري في سائر الحقائق والدقائق والرقائق والأرواح، والسر الساري في سائر الكثائف والعقول والنفوس والأشباح.

وأنَّه ﷺ هو الظاهر نوره في الكواكب العالي، والساري سره في الجوهر الغالي.

وأنَّه ﷺ هو البحر الذي منه تفور نفحات الرحمٰن، والقطب الذي عليه تدور أفلاك الأكوان.

وأنَّه ﷺ هو عرش الربوبية، وسماء المخلوقية، وأنَّه ﷺ هو النور الساطع من عرش عوالم الحق والجبروت، والسر اللامع من شمس عوالم الملك والملكوت.

وأنَّه ﷺ هو الشمس المفيضة لجميع الأنوار، والحضرة المحيطة بجميع الأسرار.

وأنَّه ﷺ هو النور الذي نظر إليه الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله بما نظر به إلى نفسه فخلقه من نور اسمه القيوم وخلق منه الأكوان كلها أجمعين، فجعله محل نظره من

العالمين، وأنَّه ﷺ هو أشرف الموجودات منزلة وأعلاها، وأكرمها مكانة وأسناها.

وأنَّه ﷺ هو أعظم الموجودات محبة في الله، وأعلاهم معرفة بالله، وأشدهم قرباً إلى الله، إذ هو سيد المقربين، وأفضل العالمين، وعليه أدار الله رحى الموجودات؛ وهو قطب جميع المخلوقات، وله مع كل شيء خلقه الله تعالى خصوصية وجهٍ هو بها ملحوظ، وفي رتبته التي هو فيها محفوظ، وأنَّه ﷺ هو معشوقة الأرواح والأسرار والأنوار، ومحبوبة السماء والأرض والحسنة والنار وأنه ﷺ هو الروح الذي جعل فيه الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله عظيم الهيمنة في القرب والجبروت، وعظيم المحمدة في الملك والملكوت،

وأنَّه ﷺ هو النور الساطع في كل ذرة من ذرات الأكوان، والسر اللامع في كل لمحة من لمحات الرحمٰن.

وأنَّه ﷺ هو البحر الذي جمع الله المخلوقات من قطراته، والمزن الذي جمع الموجودات من نقطاته.

وأنَّه ﷺ هو نور الشمس والقمر والأفلاك والنجوم، وسر الزمان والمكان والأبصار والعيون.

وأنَّه ﷺ هو نور الجوهر واليواقيت والأحجار. وسر الزهور والنبات والأشجار، وأنَّه ﷺ هو النور الحامل لسر اللطائف والرقائق والأرواح، والسر اللامع في كل الكثائف والنفوس والأشباح.

وأنَّه ﷺ هو النور المحيط بالعرش والكرسي واللوح والقلم، والسماء والأرض والجنة والنار وجميع العالم. وأنَّه ﷺ هو الظاهر بوجهه في ملك وجن وإنس وحيوان وعنصر وجماد ونبات وأكوان.

وأنَّه ﷺ ما خلق الله شيئاً في الدنيا والآخرة إلاَّ وذلك الشيء يدور على نور من أنوار وجهه.

وأنَّه ﷺ هو القبضة التي قبضها الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله من نوره القديم المقدس، فقال لها: كوني محمداً فكانت.

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

تمّ الثلث الأوّل [من مولد الشيخ محمد المغربي قدّس سرُّه]

وهذا أول الثلث الثاني من المولد الشريف

لما طلعت شموس تلك العزة والعظمة والكبرياء في الجبروت، وفاضت بحور تلك الأحدية بالأسرار والأنوار في الملك والملكوت، وغنت بلسان الغيب بلابل تلك العجائب والغرائب في اللاهوت. . . هبت نسمات الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله من عرش تلك الحقائق والرقائق في الناسوت، فنادى منادي الحليم المنان، على منارة الفضل والإحسان، في سماء كل ما يكون أو كان، أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ [الفرقان: 56] يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] يا أيها الموجودات، يا أيها المخلوقات، يا أيها العلامات، يا أيها الكائنات. اعلموا أنَّ سيدنا محمداً ﷺ هو النور الذي ظهر فيه الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله بحضرتي الغيب والشهادة، فكان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، قبل أن يسلخ منه جميع ما يكون أو كان، وقبل أن يظهر منه ما أراده وقدره وقضاه فوق عرشه في حضرات الرحمٰن، وإلى ما في ذٰلك القدس العالي، والتنزيه الغالي، يشير ما رواه علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أنَّ النبي ﷺ قال: «**كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام**»[*].

وما رُوي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام فقال: «**يا جبريل كم عمرت من السنين؟**» فقال: يا رسول الله لست أعلم، غير أنَّه في الحجاب الرابع نجم يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة، رأيته اثنين وسبعين مرة. فقال رسول الله ﷺ: «**يا جبريل، وعزة ربي، أنا ذٰلك الكوكب**»[1] أي ذٰلك النجم وما روي عنه ﷺ أنَّه قال: «**أول ما خلق الله القلم**»[2]. وفي رواية أخرى: «**أول ما خلق الله العقل**»[1].

وفي رواية: «**أول ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[1].

فالقلم والعقل والروح من وجوه روحه ﷺ في ذلك العالم الإِليّ[3]، ومن اعتبارات

(*) أورده العجلوني في كشف الخفاء ضمن حديث رقم (827).

(1) أورده علي الحلبي في السيرة الحلبية [1/ 49].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

(3) إليّ: رباني، إلٰهي، والإِلُّ: العهد والقرابة، والأصل الجيد، والربوبية وكل اسم آخره إل أو إيل. (القاموس المحيط).

نوره ﷺ في ذلك العالم الأُميّ، ومن أسمائه ﷺ في ذلك العالم العلِيّ، لأنَّه ﷺ هو النور النازل في عيون جميع الأرواح، والسر الباطن في قلوب جميع الأشباح، إذ هو ﷺ لبابة جميع الموجودات، وزبدة جميع المخلوقات، لأنَّه ﷺ في تلك الحضرات العاليات، والتقديسات الأزليات، أعلمه ربه بسبق نبوته، وبشره بعظيم رسالته.

ولما حكم سلطان الجبروت، على إمام الملك والملكوت، بإظهار شمسه في اللاهوت، وانتشار ضوئه في الناسوت؛ فاضت بحور الرقائق الروحانية، على أراضي الكثائف الجسمانية، فنادى منادي حضرات الجمال، على منارة شواهق الجلال: أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا سبحاني؛ أنا رب العرش العظيم والكرسي الديواني، أنا الواحد الفرد المنزه عن الثاني، أنا المالك وحدي الرحيم الرحماني، أنا العزيز الجبار الكبير المتعالي، أنا الحي القيوم كل يوم أنا في شأن، يا أيها الموجودات، يا أيها المخلوقات، يا أيها العلامات، يا أيها الكائنات.

اعلموا أنَّ سيدنا محمداً ﷺ لما أراد الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله أن يكون له المربوب فتح منه عيون جميع الموجودات فظهر منه أصل ممد للعوالم كلها، فنظر الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله إلى نفسه به في جميع عوالم الأنوار والأرواح، وفي جميع عوالم الظلمات والأشباح، فظهرت نفس سيدنا محمد ﷺ بنبوته ورسالته وسيادته وعظيم قدره وجلالة قربه من ربه قبل أن يخلق الله آدم ومن دونه ومن فوقه من جميع الأكوان، لأنَّه لا أعرَف ولا أحَب ولا أقرَب منه إلى حضرة الكبير العظيم الرحمٰن.

ومن هناك أحبته جميع الأسرار والأنوار، وعشقته جميع الأكوان والأغيار؛ ومن هناك قرن اسمه باسم عظيم الأسماء والصفات والشأن، وكتب اسمه على صفحات كل ذرة من ذرات هذه الأكوان، من جميع الذوات والصور والألوان؛ ومن هناك كان هو العرش الذي استوى عليه الرحمٰن، والكرسي الذي انتصب فيه الديوان، والقلم الذي كتب به الرحمٰن، على لوح كل ذرة من ذرات هذه الأكوان، جميع ما يظهر عليها مما يكون أو كان؛ إذ منه غرفت جميع الأرواح، ومنه استمدت جميع الأشباح.

وهذا كله قبل وجود آدم عليه السلام بآلاف سنين، لأنَّه ﷺ هو مظهر العظمة ومكانة المجلى وخصوصية الذات، والمظهر الأعلى والمحل الأزهى الشامل لجميع أنواع الموجودات؛ لأنَّه ﷺ هو مظهر الاقتدار الإلٰهي، ومحل نفوذ الأمر والنهي، وأول توجه اللطائف الحقية في إبراز الرقائق الخلقية، لأنَّه ﷺ منه يبرز الأمر الإلٰهي في المخلوقات، وهو محل فصل القضاء والتقدير، ومحل التدوين والتسطير؛

لأنَّه ﷺ هو سدرة المنتهى، التي انتهت المقامات كلها دونها، وإلى ما في ذلك القدس العالي، والتنزيه الغالي، يشير جبريل عليه السلام لما كان معه ﷺ ليلة إسرائه، فتقدم هو ﷺ وتأخر جبريل عليه السلام فقال ﷺ: تقدم يا جبريل. فقال: يا رسول الله، لو تقدمت شبراً لاحترقت، لأنَّ المقام مقام الخصوصية، إذ هو مشرق الألوهية، ومجلى الربوبية، ومظهر الخصوصية، ومغرب المخلوقية، من أعلى المقامات، وأشرف المكانات؛ لا يدخله من الموجودات، ولا يلجه من المخلوقات، إلاَّ من هو صاحب المحمدية الكبرى، والشفاعة العظمى، سيد الدنيا والأخرى، وهو سيدنا ومولانا محمد ﷺ لأنَّه ﷺ في أعلى مراتب العبودية، وأرفع المكانات الرحمانية؛ والأنبياء والملائكة كلهم دونه، لأنَّه ﷺ في تلك التقديسات الأزلية، والتنزيهات الأبدية. أوحى إليه ربه جلَّ جلاله، وعزَّ جماله من حضرته العلية، وعظمته الصمدانية، تلك اللطيفة الذاتية، ذات العلوم الإلٰهية، والغيوب الصمدانية، المتردية برداء الكبرياء المتزرة بإزار العظمة المتوجة بتاج الأحدية والواحدية، والرحمانية والربوبية، الملثمة بلثام الجلال، المختبئة في لباس الكمال، المحتجبة بحجاب العزة المتجلية بالعجائب الرحمانية، المتحلية بالغرائب الربانية، التي أشار إليها الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله في كلامه القديم، ونبئه العظيم، وخطابه المتين، وكتابه المبين؛ بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشّورىٰ: 52].

ولذٰلك كان ﷺ هو الروح العظيم القائم بين يدي رب العالمين، المأذون في التصريف في الحضرات الإلٰهية، والعظمات الصمدانية، لأنَّه ﷺ هو مجلاها الأعظم، ومظهرها الأكمل، إذ هو من فيضه ﷺ أبرز الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله جميع الأنبياء والمرسلين، والملائكة والمقربين، والعالين الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم كإسرافيل وميكائيل وجبريل وعزرائيل ومن هو فوقهم كالقائم تحت الكرسي، والقائم تحت الإمام المبين.

ولذٰلك كان ﷺ هو السر المكنون، والحرز المصون، عزيز المرام، عظيم المقام؛ ولذٰلك كان ﷺ هو السر الذي لا يصح إفشاؤه بالتصريح، ولا يمكن افهامه بالكتابة والتلويح؛ ولذٰلك كان ﷺ هو القطب الذي عليه تدور أفلاك الجمال، والشمس الذي تمد بنورها بدور الكمال.

ولذٰلك كان ﷺ هو الحبيب الأعظم ذا الأوصاف السنية، والنعوت الزكية، لا يدهشه الجمال، ولا يرعشه الجلال، لأنَّه فلك أفلاك الحكمة، وبحر بحور الرحمة، والموءَيد بتأييد العصمة، لأنَّه ﷺ لما أراد الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله أن يظهر أسماءه وأوصافه ليعرف الخلق ذاته أبرز من حقيقته ﷺ هذه المظاهر المتميزة وهي جميع الموجودات الذاتية، المتجليات في المراتب الإلٰهية؛ فأرسله كافة للعالمين بكلامه القديم، ونبئه العظيم، وخطابه المتين، وكتابه المبين؛ ليترجم لهم أن حضرة الحق تعالى لها التعالي عن الإدراك، والتنزه عن الإشراك؛ فظهر بذٰلك علو العزة الربانية، وعلم بذٰلك حق المرتبة الرحمانية، التي أشار إليها الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله في كلامه القديم، ونبئه العظيم، وخطابه المتين، وكتابه المبين، بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: 67]، ولذلك كان ﷺ هو في الموجودات شمس الجمال، وفي المخلوقات حيطة الكمال ولذلك كان ﷺ هو النقطة التي عليها يدور محيط الأسماء والصفات والجلائل، والقبضة التي عليها يدور محيط الأواخر والأواسط والأوائل.

وانسُبْ إلى ذاته ما شئتَ مِنْ شرف ... وانسُب إلى قدره ما شئتَ مِن عِظَمَ
فإنَّ فضلَ رسول الله ليس له ... حدٌّ فيعربَ عنه ناطقٌ بفَم[1]

لما هبت نسمات تلك اللطائف الصمدانية، وفاحت نفحات تلك العجائب الرحمانية، ولاحت لمحات تلك الغرائب الربانية. . . غارت عساكر تلك الحقائق النورانية، وفاضت فتوحات تلك الرقائق الروحانية، وزالت ظلمات تلك الكثائف الجسمانية؛ فنادى منادي جلال تلك الحضرات العلية، في منازل جمال تلك الكواكب الشأنية، بكلام عظيم تلك الوحدة السجافية، مخاطباً له بلسان تلك المظاهر الربانية، أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [الإسراء: 54] يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. أخرج الترمذي رحمه الله عن سيدنا أبي رزين رضي الله تعالى عنه قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق

---

(1) بيتان من ميمية الشيخ شرف الدين البوصيري والتي مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

خلقه؟ قال: «**كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء**»[1].

وفي رواية أخرى: «**كان في الياقوتة البيضاء**»[2]. وفي رواية: «**كان في الكنزية المخفية**»[3] لقوله: «**كنت كنزاً مخفياً**»[4] فالعماء الذي ما تحته هواء، وما فوقه هواء، والياقوتة البيضاء، والكنزية المخفية، هي قبل أن يخلق الرب جل جلاله، وعزَّ جماله الخلق، وكانت المخلوقات مستهلكة وكان ولا شيء معه كما هو الآن على ما عليه كان.

لما أراد الرب جل جلاله، وعزَّ جماله انجذاب هذا العالم، نظر إلى تلك الياقوتة البيضاء بنظر الكمال فذابت وصارت ماء، ثم نظر إليها بنظر العظمة فتموجت لذٰلك كما تموج الأرياح البحار، فانفقهت كثائفها بعضها من بعض كما ينفهق الزبد من البحر، فخلق الله من ذٰلك المنفهق سبع طبقات الأرض وجعل سكان كل طبقة من جنس أرضها، ثم صعدت لطائف ذٰلك الماء كما يصعد البخار من البحار، ففتقها الله سبع سمٰوات وخلق ملائكة كل سماء من جنسها، ثم صير الله ذٰلك الماء سبعة أبحر محيطات بالعالم؛ لما عالت سطوات تلك الصواعق القهارية، وهالت عظمات تلك الزواجر الجبارية، وهاجت زوبعات تلك العواصف الشأنية، وترادفت رجفات تلك الزلازل السبحاتية، طلعت شموس تلك الحضرات العلية، وفاضت بحور تلك الأنوار الجبروتية، وأشرقت سبحات تلك الأفلاك الملكوتية، وهبت نسمات الرب جل جلاله، وعزَّ جماله من عرش تلك العنايات الرحمانية، فنادى منادي الرحمٰن في فضاء كل ما يكون أو كان: أني أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ [الإسراء: 54] يا محمد ﴿إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

تمّ الثلث الثاني [من مولد الشيخ محمد المغربي قدّس سرُّه]

---

(1) رواه الترمذي في سننه، باب ومن سورة هود، حديث رقم (3109) [5/ 288] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السماوات والأرض، حديث رقم (6141) [14/ 9] ورواه غيرهما.

(2) و(3) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(4) هذا الحديث سبق تخريجه.

وهذا أول الثلث الثالث

يا أيها الموجودات، يا أيها المخلوقات، يا أيها العلامات، يا أيها الكائنات. . . اعلموا أنَّ سيدنا محمداً ﷺ هو اللطيفة النورانية، التي ظهر بها الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله دائماً على الدوام، والرقيقة الروحانية، التي تجلى بها الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله على مر الليالي والأيام، إذ هو ﷺ النور العجيب، والسر الغريب، لأنَّه ﷺ لما نظر الرب جل جلاله، وعزَّ جماله من حضرة الربوبية، إلى صورته ﷺ الروحية، صارت كأَنها نصفان فخلق الله من نصفها الأول المقابل لليمين الجنان وجعلها دار السعادة للمؤمنين.

وخلق من نصفها الثاني المقابل للشمال النيران وجعلها دار الشقاوة للكافرين، وأبرز من فيضه ﷺ الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله العرش والكرسي واللوح والقلم والسماء والأرض والجنة وجميع العالم. ولما خلق الله تعالى القلم قال له: اكتب. قال: يا رب ما أكتب؟ قال له: اكتب أمة نوح، من أطاع الله أدخله الجنة ومن عصى الله أدخله النار.

وأمة إبراهيم من أطاع الله أدخله الجنة، ومن عصى الله أدخله النار. وأمة موسى من أطاع الله أدخله الجنة، ومن عصى الله أدخله النار. وأمة عيسى من أطاع الله أدخله الجنة، ومن عصى الله أدخله النار. فكتب القلم ثم سكن ووقف، فتجلى عليه ربه جل جلاله، وعزَّ جماله بحضرته العلية، وعظمته الصمدانية، في مظهر الألوهية، ومجلى الربوبية، وخاطبه بخطاب العزة وأمره بلسان العظمة؛ فقال له اكتب، فاهتز وارتعد وانشق من هيبة الكبير القهار، وجلالة العظيم الجبار؛ فقال: يا رب ما اكتب؟ قال: اكتب أمة محمد ﷺ أمة مذنبة ورب غفور، فما زال ﷺ يتحول من الحضرات العالية إلى الحضرات العلية، إلى النفحات الرحمانية، إلى النسمات الربانية، إلى التجليات الروحانية، إلى أن أراد الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله أن ينظر إليه ﷺ في رقيقته الروحانية، في طينته الجسمانية، فأمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض، فهبط في ملائكة الفردوس وملائكة الرفيع الأعلى، فقبضها من محل قبره الشريف فعجنها بماء التسنيم، ثم غمسها في أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء.

ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي واللوح والقلم والسمٰوات

والأرض وجميع البحار... حتى عرفت الملائكة وجميع المخلوقات سيدنا محمداً ﷺ في طينته قبل أن تعرف آدم في طينته، فما زال ﷺ تلمع أنواره العلية، في طينته الجسمانية، إلى أن خلق الله آدم وصوره في طينته الصلصالية، وخلق جميع ذريته كالذر فجمعهم في صلبه، فجعل أهل السعادة منهم في روضة الصلب في ناحية اليمين، وأهل الشقاوة منهم في حفرة الصلب في ناحية اليسار، ثم نفخت الروح فيه ثم مسح الرب جل جلاله، وعزَّ جماله على صفيحة ظهره اليمنى، فأخرج منها ذرية كالذر بيضاء فجعلهم قبضة، فقال فيهم: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي أي بأيّ عمل عملوه، ثم مسح على صفيحة ظهره اليسرى، فأخرج منها ذرية كالذر سوداً، فجعلهم قبضة، فقال فيهم: هؤلاء إلى النار ولا أبالي أي بأَي عمل عملوه.

ثم جمعهم عنده، ثم أحضرهم لديه، ثم خاطبهم بهذا الخطاب الشريف فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] أي أنا ربكم وخالقكم وبارئكم ومصوركم. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. أنا أُبدي وأعيد، وأحيي وأميت. أنا أوجد وأعدم، وأعز وأذل، أنا أفرح وأحزن، وأحرك وأسكن. أنا أسعد وأشقي، وأفني وأبقي. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. أنا أعطي وأمنع، وأضر وأنفع. أنا أوصل وأقطع، وأفرِّق وأجمع. أنا أُعلي وأخفِض وأرفع. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. أنا الموصوف بجميع الصفات. أنا المسمى بجميع الأسماء أنا خالق جميع المخلوقات. أنا فاعل جميع المفعولات. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. أنا سر جميع الموجودات. أنا حقيقة جميع المخلوقات. أنا نور جميع الكائنات. أنا قيوم السمٰوات والأرضين. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. أنا الوجود القديم الباقي. أنا المخالف لجميع الكائنات. أنا الغني عن كل من سواه. أنا المفتقر إليه كل ما عداه. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين.

أنا الواحد في الأفعال والأسماء والصفات. أنا الواحد في المراتب والمقامات والذات. أنا الواحد في الأسرار والأنوار والنفحات. أنا الواحد في الأرواح والأشباح والنسمات، أنا الواحد في الأمثال والأعراض والتجليات أنا الواحد في الدنيا والآخرة واللمحات. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. أنا الحي العليم. أنا القادر المريد. أنا السميع البصير، أنا المتكلم، أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. أنا الواحد الأحد. أنا الفرد الصمد. أنا الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوءَاً أحد. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين.

وهذه المخلوقات كلهم ملكي وعبيدي، وخلقي أتصرف فيهم كيف أشاء، وهذه الموجودات كلهم ملابسي ومظاهري ومغاربي ومشارقي، ومفاتحي ومغالقي. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين، وهذه الكائنات كلهم علاماتي ومعلوماتي ومقدوراتي ومراداتي ومسموعاتي ومُبصراتي وكلماتي. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين، لا يشاركني فيهم، لأنني مرسل ولا ملك مقرب ولا ملك ولا إنس ولا جان ولا حيوان ولا نبات ولا جماد ولا روح ولا جسم ولا عرض. أنا الله لا إلٰه إلاَّ أنا رب العالمين. قالوا: بلى أي أنت ربنا وسرنا وحقيقتنا ونورنا وقيومنا، أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. تبدي وتعيد، وتحيي وتميت. أنت توجد وتعدم، وتعز وتذل. أنت تفرح وتحزن، وتحرك وتسكن. أنت تسعد وتشقي، وتفني وتبقي. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. أنت تعطي وتمنع، وتضر وتنفع، أنت توصل وتقطع، وتفرق وتجمع. أنت تعلي وتضع، وتخفض وترفع. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. أنت الموصوف بجميع الصفات. أنت المسمى بجميع الأسماء. أنت خالق جميع المخلوقات. أنت فاعل جميع المفعولات. أنت فاعل جميع المفعولات. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. أنت سر جميع الموجودات. أنت حقيقة جميع المخلوقات. أنت نور جميع الكائنات. أنت قيوم الأرضين والسمٰوات. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. أنت الوجود القديم الباقي. أنت المخالف لجميع الكائنات. أنت الغني عن كل من سواه. أنت المفتقر إليه كل ما عداه. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. أنت الواحد في الأفعال والأسماء والصفات. أنت الواحد في المراتب والمقامات والذات. أنت الواحد في الأسرار والأنوار والنفحات. أنت الواحد في الأرواح والأشباح والنسمات. أنت الواحد في الأمثال والأعراض والتجليات. أنت الواحد في الدنيا والآخرة واللمحات. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. أنت الحي القيوم. أنت القادر المريد. أنت السميع البصير. أنت المتكلم. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين. أنت الواحد الأحد. أنت الفرد الصمد. أنت الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءاً أحد. أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين، وهذه المخلوقات كلهم ملكك وعبيدك وخلقك تتصرف فيهم كيف تشاء وهذه الموجودات كلهم ملابسك ومظاهرك ومغاربك ومشارقك ومفاتحك ومغالقك. . . أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين، وهذه الكائنات كلهم علاماتك ومعلوماتك، ومقدوراتك ومراداتك ومسموعاتك ومُبصراتك وكلماتك. . . أنت الله

لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين، لا يشاركك فيهم لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولا ملِك، ولا إنس، ولا جن، ولا حيوان، ولا نبات، ولا جماد، ولا روح، ولا جسم، ولا عرض. . . أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت رب العالمين.

ثم أخذ عليهم العهد والميثاق على أنهم إذا أهبطهم إلى الدنيا، وبلغوا مقام التكليف، وأَنزل فيهم الكتب، وأرسل فيهم الرسل يوفون بعهد الله، فيؤمنون بالله، ويصدقون برسل الله وبما جاؤوا به من عند الله، ثم أعيدوا إلى آدم.

فلما أهبطهم إلى الدنيا، فأهل السعادة منهم وهم كل من مات على حسن الخاتمة، فقد وفوا بعهد الله، فآمنوا بالله وصدقوا برسل الله وبما جاؤوا به من عند الله، ثم أعيدوا إلى آدم. فلما أهبطهم إلى الدنيا، فأهل السعادة منهم وهم كل من مات على حسن الخاتمة، فقد وفوا بعهد الله، فآمنوا بالله وصدقوا برسل الله، وبما جاؤوا به من عند الله؛ فجعل لهم الحق تعالى بمحض فضله الخلود في الجنة، وأهل الشقاوة منهم وهم كل من مات على سوء الخاتمة، فقد نقضوا عهد الله، فكفروا بالله، وكذبوا برسل الله، وبما جاؤوا به من عند الله؛ فجعل لهم الحق تعالى بمحض عدله الخلود في الجنة، وأهل الشقاوة منهم وهم كل من مات على سوء الخاتمة، فقد نقضوا عهد الله، فكفروا بالله، وكذبوا برسول الله، وبما جاؤوا به من عند الله، فجعل لهم الحق تعالى بمحض عدله الخلود في النار؛ ثم دخل آدم الجنة ونوره ﷺ يلمع في جبينه، فبينما هو في الجنة إذ خلق الله تعالى حوَّاء من ضلعه الأيسر، فأراد أن يمد يده إليها فكفته الملائكة، فقالت: مَهْ يا آدم حتى تؤدي مهرها. قال: وما مهرها؟ قالوا: أن تصلي على سيدنا محمد ﷺ عشرين مرة.

وفي رواية: عشر مرات. فبينما آدم يسير في الجنة، إذ رأى نور سيدنا محمد ﷺ في سرادق العرش، واسمه مكتوباً عليه ومقروناً باسم الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله فقال: يا رب، من هذا الذي قرن اسمه باسمك؟ قال: هذا نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد وفي الأرض محمد، فلولاه ما خلقتك، ولا خلقت عرشاً، ولا كرسياً، ولا لوحاً، ولا قلماً، ولا سماءً، ولا أرضاً، ولا جنةً، ولا ناراً، ولا دنيا، ولا أخرى. . . فما زال ﷺ يتلألأ من الحضرات العلية، إلى النفحات الرحمانية، إلى النسمات الربانية، إلى التجليات الروحانية، إلى أن أراد الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله أن ينظر إليه ﷺ في قصور تلك الأصلاب المطهرة، وبروج تلك الأرحام المشيدة.

فأهبط آدم وحواء من تلك الجنة العالية، والديار السامية، والنعم الباقية، إلى هذه الدنيا الفانية، الحقيرة الدانية، العتيقة البالية؛ فولدت له أربعين ولداً في عشرين بطناً، في كل بطن ذكراً وأنثى، إلاَّ شيثاً فإنَّه ولد وحده، وانتقل هذا النور المحمدي إليه، فأوصاه أبوه أن لا يضع هذا النور إلاَّ في المطهرات من النساء.

ولم تزل تلك الوصية معمولاً بها إلى عبد المطلب، فطهر الله هذا النسب الشريف من أفعال الجاهلية، وما هم عليه من القبائح؛ فهو ﷺ سيد الأولين والآخرين وأفضل العالمين، أبو القاسم محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، ابن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، ابن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر؛ وقريش تنتهي إليه أو إلى فهر.

والنضر هو ابن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، ابن معد، ابن عدنان. وإلى هنا انتهى النسب الشريف المجمع عليه، ووراء ذلك أقوال لا طائل تحتها، فما زال ﷺ يتحول من رياض تلك الأصلاب الزكية، إلى رياض تلك الأرحام النقية، إلى أن أراد الرب جلَّ جلاله، وعزَّ جماله أن ينظر إليه ﷺ في أشرف الأيام الدنيوية، وأكمل الأطوار البشرية، فنودي ليلة حمله في السماء والأرض أنَّ النور الذي منه محمد ﷺ يستقر الليلة في بطن آمنة، ويخرج إلى الناس بشيراً ونذيراً.

وأمر رضوان أن يفتح أبواب الجنان، ونطقت كل دابة لقريش تلك الليلة، فقالت: حُمل بمحمد ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلاَّ أصبح منكوساً، وأصبح كل ملك أخرس لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب تبشرها، وكذا بشر أهل البحار بعضهم بعضاً، وخمدت نار فارس التي كانوا يعبدونها، ولم تخمد قبل ذلك بألفي عام، ونشفت بحيرة طبريا التي كانت تسير فيها السفن، فبني مكانها مدينة تسمى ساوة، واهتز إيوان كسرى، وانصدع وانشق ووقع منه أربع عشرة شرافة، ورميت الشياطين المشرفون للسمع، وحجب إبليس لعنه الله عن خبر السماء، فرنَّ رنة عظيمة، كما رن حين لُعن، وحين خرج من الجنة، وحين ولد ﷺ وحين بعث وحين نزلت عليه الفاتحة.

ولم تزل أمه ﷺ ترى من العجائب والغرائب ما يدل على عظيم ذلك الظهور، إلى أن مرت تلك الأيام والشهور، فأشرقت الأكوان كلها بذلك النور، فأخذها ما

يأخذ النساء من الألم، ولم يعلم بها أحد فسمعت شيئاً هالها. ورأت كأَنَّ طائراً أبيض مسح فؤادها، فالتفتت فرأت شربة بيضاء فيها لبن، وكانت عطشى، فشربتها؛ ثم رأت نسوة كالنخل طوالاً كأَنهنَّ من بنات عبد مناف، فعجبت منهم، فقلن لها: نحن آسية ومريم وهؤلاء من الحور العين؛ ورأَت رجالاً وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، وأنَّها يرشح منها عرق أطيب من المسك الأذفر، ورأت قطعة من الطير، أقبلت حتى غطت حُجْرتها، مناقيرها الزمرد وأجنحتها الياقوت؛ وإذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض، وإذا بقائل يقول: خذوه عن أعين الناس؛ فحينئذٍ أبصرت مشارق الأرض ومغاربها، فرأت ثلاثة أعلام مضروبات: علماً بالمشرق، وعلماً بالمغرب، وعلماً على ظهر الكعبة. فأخذها المخاض، واشتد بها الأمر، وكأَنَّها مستندة إلى نساء، وكثرن عليها وكأَنهنَّ معها في البيت. فحينئذٍ ولدته ﷺ.

اللهم صل وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته عدد ما أحاطت به ذاتك وصفاتك وأسماؤك، ونفحاتك ونسماتك وتجلياتك... اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته عدد ما أحاطت به حضرتك ورحمتك ونعمتك وفضلك وكرمك وإحسانك... اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته عدد ما أحاط به جلالك وجمالك وكمالك وعزتك وعظمتك وكبرياؤك... اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته عدد ما أحاط به وجودك وحياتك وعلمك وكلامك وقدرتك وإرادتك وسمعك وبصرك... اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته عدد ما أحاطت به ألوهيتك وأحديتك ووحدانيتك ورحمانيتك وربوبيتك ومالكيتك... اللهم إنَّا نسألك بأنَّك أنت الله الذي لا إلٰه إلاَّ أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءَاً أحد، وبذاتك وأسمائك وصفاتك وبجلالك وجمالك وكمالك وبعزتك وعظمتك وكبريائك... وباسمك العظيم الأعظم، وباسمك الله، وباسمك الرحمٰن، وبروحك الذي نفخت منه في جميع الأكوان، وبالجبروت والملك والملكوت، وبجميع الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين والصديقين والشهداء والصالحين، وبسيدنا ومولانا محمد ﷺ وبذاته وبروحه، وبما جاء به، وبمحبته فيك ومحبتك فيه أن تصلي عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأهل بيته صلاة تدوم بدوام ملكك، صلاة تغفر

بها لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولأحبابنا ولعشيرتنا . . . ولجميع من أحسن إلينا ، ولصاحب الوقت ، ولجميع الأقطاب ولجميع أهل الديوان ، ولجميع الأولياء الأحياء منهم والأموات ، ولأولياء هذه البلدة ، ولعلمائها ولعامتها ، ولإخواننا الحاضرين والغائبين ، ولوالديهم ولأقاربهم ، ولكافة المسلمين أجمعين آمين . اللهم أحسن عاقبتنا كما أحسنت عواقب المتقين ، وأجعل خير أيامنا وأبركها وأسعدها يوم لقائك . اللهم فرحنا بلقائك ، واجعلنا من الصابرين لقضائك الحافظين لحدودك . اللهم اغننا بك عن كل من سواك ، وكن لنا ولياً ونصيراً وأنيساً في الدنيا والآخرة . اللهم لا تفضحنا ، ولا تشف فينا الأعادي ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا يا أرحم الراحمين . اللهم اكسنا برداء عفوك ، واكسنا برداء مغفرتك ، واكسنا برداء العز بك في الدنيا والآخرة .

اللهم أحينا بحياتك الأبدية ، وانظر إلينا بما نظرت به إلى أوليائك ، وحققنا بصفاتك وأسمائك .

اللهم املأْنا بك وبمحبتك ومعرفتك ومشاهدتك ودوام ذلك في الدنيا والآخرة . اللهم أغرقنا في بحار وحدتك وفي بحار محبتك وفي بحار معرفتك ، وعلق قلوبنا بك حتى لا نكون لأحد سواك .

اللهم أرنا الحق حقاً ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه . اللهم اكتبنا في ديوان أصفيائك المتقين ، واجعلنا من أوليائك العارفين المقربين المحبين المحبوبين . اللهم اجمعنا عليك ، واهدنا إليك ، ولا تفتنا بغيرك ، ولا تحوجنا إلى غيرك ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وانشر علينا رضوانك الأكبر في الدنيا والآخرة ؛ يا أرحم الراحمين ، يا أكرم الأكرمين . اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا ، والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا . اللهم وسع أرزاقنا ، وحسن أخلاقنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على أنفسنا ، وانصرنا على أعدائنا ، وأحسن ختامنا .

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ، ولوالديهم ولأقاربهم ، ولكل المسلمين أجمعين . اللهم اغفر لجميع الأولياء ، وزد في درجاتهم وأنوارهم ، وقربهم إليك ، واغفر لجميع العلماء ، وزد في درجاتهم وأنوارهم ، وقربهم إليك ، واغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولعشيرتنا ، ولأهل بلدتنا ، ولكل المسلمين أجمعين ؛ وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . إلى هنا انتهى مولد الشيخ محمد المغربي رضي الله عنه .

الحقيقة المحمدية من جواهر العلامة الشريف السيد أحمد بن عبد الغني بن عمر عابدين الدمشقي(*) المتوفى سنة 1307هـ تقريباً

وعمه أخو أبيه الإمام العلامة خاتمة المحققين السيد محمد عابدين صاحب حاشية الدر المختار المتوفى سنة 1252هـ، وهو والد العلامة السيد أبي الخير أفندي عابدين أحد أفاضل العلماء الحنفية في دمشق الشام رضي الله عنهم أجمعين ونفعني ببركاتهم وبركات أسلافهم الطيبين الطاهرين

ومن جواهر السيد أحمد عابدين المذكور

[شرح مولد ابن حجر]

شرحه على مولد الإمام ابن حجر السابق، الذي اختصره من مولده الكبير المسمى بالنعمة الكبرى كما ذكر ذٰلك في خطبته وشرح هذا المختصر بعض العلماء، منهم العلامة الشيخ محمد الداوودي، ولكن أبسط شروحه وأنفعها شرح السيد أحمد عابدين المذكور، المسمى «نثر الدرر على مولد ابن حجر»، وهو في أربعة وثلاثين كراساً كل كراس عشر ورقات بالقطع المتوسط، وقد ذكر فيه من فرائد الفوائد ما تطيب به النفوس وتتزين به الطروس جزاه الله خيراً. وها أنا أنقل منه ما تقر به العيون مما يتعلق بشؤون سيدنا محمد الأمين المأمون ﷺ فمن ذلك ما ذكره

(*) هو أحمد بن عبد الغني بن عمر المشهور كأسلافه بابن عابدين: فقيه حنفي، ولد ومات في دمشق سنة (1238 ـ 1307هـ = 1823 ـ 1889م).
تولى الإفتاء في بعض المدن الصغيرة ثم عين أميناً للفتوى مع السيد محمود حمزة مفتي دمشق.
له نحو 20 كتاباً ورسالة، منها رسالة في (تبرئة الشيخ الأكبر مما نسب إليه من القول بالحلول والاتحاد) و(شرح العقيدة الإسلامية) للحمزاوي، و(شرح قصة المولد لابن حجر المكي) نحو 20 كراساً، وكتاب في (الفقه). انظر: (الأعلام للزركلي ـ (1/ 152)).

في مقدمته بقوله: وقد أحببت أن أذكر مقدمة في بيان أول من أحدث قراءة المولد الشريف وبيان ما تشتمل عليه وغير ذلك، فأقول: وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق.

مقدمة: اعلم أنَّ من البدع المحمودة عمل المولد الشريف في الشهر الذي ولد فيه ﷺ وأول من أحدثه الملك المظفر صاحب إربل، قال ابن كثير في تاريخه: كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل فيه احتفالاً هائلاً، وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عادلاً، وطالت مدته في الملك إلى أن مات، وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة.

وقال سبط بن الجوزي في «مرآة الزمان»: حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد أنَّه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شوي، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى.

وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية، فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور. وكان يصرف على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار. كما في سيرة العلامة الشيخ محمد الشامي، تلميذ الإمام السيوطي، ومثله في شرح المواهب للعلامة الزرقاني. وقال في «روح السير» للعلامة إبراهيم الحلبي الحنفي: قد صنف ابن دحية سنة 604هـ للملك المظفر كتاباً في المولد الشريف، سماه «التنوير بمولد النبي البشير» فأجازه بألف دينار.

وقال في «النعمة الكبرى» للمؤلف يعني ابن حجر الهيتمي، وهي المولد الكبير عن الشمس ابن الجزري، وأكثر الناس عناية بذٰلك أهل مصر والشام، وإنَّه شاهد من الظاهر برقوق سلطان مصر سنة 785هـ وأمرائه بقلعة مصر في ليلة المولد المذكورة من كثرة الطعام وقراءة القرآن والإحسان للفقراء والقراء والمداح ما بهره، وإنَّه صرف على ذٰلك نحو عشرة آلاف مثقال من الذهب. قال غيره وزاد ذٰلك في زمن السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق على ما ذكر بكثير.

وكان لملوك الأندلس والهند ما يقارب ذٰلك أو يزيد عليه اهـ. وقد أكثر الإمام أبو شامة، شيخ الإمام النووي الثناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف، وثناء هذا الإمام الجليل على هذا الفعل الجميل في هذه الليلة أدل دليل على أنَّ عمل المولد بدعة حسنة، لا سيما وقد ذكر أبو شامة هذا الثناء الفائق في كتابه الذي سماه «البواعث على إنكار البدع والحوادث» وهذا الفضل إذا خلا عن المفاسد.

وعبارة أبي شامة ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات وفعل الخيرات وإظهار الفرح والسرور، فإنَّ ذٰلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته ﷺ وتعظيمه في قلب فاعل ذٰلك وشكر الله على ما منّ به من إيجاده ﷺ وفيه إغاظة للكفرة والمنافقين اهـ.

قال الزرقاني: وقد اختاره أبو الطيب السبتي نزيل قوص، وهو من أجلة المالكية اهـ .

قال الحافظ أبو الخير شمس الدين بن الجزري: فإذا كان أبو لهب الذي أنزل القرآن بذمه جوزي في النار، أي بشربة ماء برأس اصبعه، وبتخفيف العذاب عنه في كل ليلة اثنين لإعتاقه ثويبة فرحاً لما بشرته بولادته ﷺ فما حال المسلم الموحد من أمته ﷺ الذي يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قوته؟ لعمري إنَّما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم. وما زال بحمد الله تعالى في كل عصر طائفة من الإسلام ملتزمين له غاية الالتزام، حتى توسعوا فيه فعملوه في سائر شهور العام محبة بجنابه الشريف ﷺ ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور به ويزيدون في المبرات، ولا سيما ملوك الدولة العلية العثمانية، وأمراؤُها أصحاب الهمم القوية صانها رب البرية من كل آفة ورزية فإنَّهم يعتنون بقراءة قصة مولده الكريم ﷺ ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

وقال عمدة المحققين نور الدين علي الحلبي في كتابه «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» ﷺ والبرهان إبراهيم الحلبي في «روح السير» بعد ذكر حاصل أكثر ما قدمناه، واستحسان القيام عند سماع ذكر وضعه ﷺ ما نصه: وقد سئل الإمام المحقق أبو زرعة العراقي عن عمل المولد هل هو مستحب أو مكروه؟ وهل ورد فيه شيء؟ وهل نقل فعله عمن يقتدى به؟ فأجاب رحمه الله تعالى بأنَّ اتخاذ الوليمة وإطعام الطعام مستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم إلى ذٰلك الفرح والسرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف؟ ولا نعلم غير ذٰلك عن السلف، ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروهاً، فكم من بدعة مستحبة بل واجبة اهـ. فهو بدعة حسنة.

قال السيوطي: وهو مقتضى كلام ابن الحاج في مدخله، فإنَّه إنَّما ذم ما احتوى عليه من المحرمات، ومع تصريحه قبل بأنَّه ينبغي تخصيص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الصدقات والخيرات وغير ذٰلك من وجوه القربات. . . وهذا هو المولد المستحسن اهـ.

وقال «في المواهب»: ولقد أطنب ابن الحاجّ في المدخل في الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف اهـ. قال السيد أحمد عابدين بعد ما ذكر أقول: ومن ذٰلك ما يفعله كثير من العوام من قراءة المولد في منابر الإسلام المشتملة على الغناء واللعب فوق رؤوس الأنام، وأقبح منهم من يفتيهم بلزوم نذر ذٰلك ليتوصل إلى الحطام، كما ذكره سيدي الهمام، أي عمه السيد محمد عابدين في حاشيته «آخر كتاب الصيام».

يقول الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: قد راجعت هنا حاشية السيد محمد عابدين، وهذه عبارته قبل باب الاعتكاف: أما لو نذر زيتاً لإيقاد قنديل فوق ضريح الشيخ أو في المنارة، كما يفعل النساء من نذر الزيت لسيدي عبد القادر ويوقد في المنارة جهة المشرق؛ فهو باطل وأقبح منه النذر بقراءة المولد في المنابر مع اشتماله على الغناء واللعب وإيهاب ثواب ذٰلك إلى حضرة المصطفى ﷺ.

انتهت عبارته رحمه الله. وقال البرهان إبراهيم الحلبي الحنفي في روح السير بعدما نقل استحسان فعل المولد عن جملة من الأعيان ما ملخصه: أما إذا حصل بسبب ذٰلك شيء من المنكرات، كاجتماع النساء في عملهن المولد مع رفع أصواتهن بالغناء، فهو حرام في جميع الأديان؛ فإنَّ نفس رفع صوت النساء عورة فضلاً عن ضم الغناء إليه .اهـ. كلامه. ثم قال: وقال الزرقاني: والحاصل إنَّ عمل المولد بدعة، لكنه اشتمل على محاسن وضدها، فمن تحرى المحاسن واجتنب ضدها كانت بدعته حسنة، ومن لا فلا. وقال الحافظ ابن حجر في جواب سؤال، وظهر لي تخريجه على أصل ثابت، وهو ما في الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسأَلهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، ونحن نصومه شكراً.

قال: فيستفاد منه فعل الشكر على ما منَّ به تعالى في يوم معين، وأيّ نعمة أعظم من بروز نبي الرحمة، والشكر يحصل بأنواع العبادات كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة. وسبقه إلى ذٰلك الحافظ ابن رجب الحنبلي اهـ. وزاد ابن حجر الهيتمي في «النعمة الكبرى» قوله إنَّ النعمة تمت بإرسال نبينا ﷺ المحصل لسعادة الدارين، فصيام يوم تجددت فيه النعم من الله تعالى حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها للنَّاس بالشكر؛ ونظير هذا صيام يوم عاشوراء، حيث نجى الله تعالى فيه

نوحاً ﷺ من الغرق، وموسى عليه ﷺ وقومه من فرعون وجنوده، وأغرقهم في اليم؛ فصامه نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله تعالى، وصامه نبينا ﷺ متابعة لأنبياء الله تعالى، وقال لليهود: نحن أحق بموسى منكم، وأمر بصيامه اهـ.

ونقل البرهان الحلبي في «روح السير» عن الإمام الحافظ بن حجر قوله: إنَّ قاصدي الخير وإظهار الفرح والسرور بمولد النبي ﷺ والمحبة له يكفيهم أن يجمعوا أهل الخير والصلاح والفقراء والمساكين فيطعموهم ويتصدقوا عليهم محبة له ﷺ، فإن أرادوا فوق ذٰلك أمروا من ينشد من المدائح النبوية والأشعار المتعلقة بالحث على الأخلاق الكريمة، مما يحرك القلوب إلى فعل الخيرات والكف عن البدع المنكرات، أي لأنَّ من أقوى الأسباب الباعثة على محبته ﷺ سماع الأصوات الحسنة المطربة بإنشاد المدائح النبوية إذا صادفت محلاً قابلاً، فإنَّها تحدث للسامع شكراً ومحبة. ثم قال السيد أحمد عابدين: فالاجتماع لسماع قصة مولد صاحب المعجزات عليه أفضل الصلاة، وأكمل التحيات من أعظم القربات لما يشتمل عليه من المبرات والصلات وكثرة الصلاة عليه والتحيات بسبب حبه الموصل إلى قربه، وقد صرح الأعلام بأنَّ عمل المولد أمان في ذٰلك العام وبشرى عاجلة لنيل البغية والمرام، كما صرح به ابن الجزري، ونقله عنه الحلبي في سيرته، وكذا المؤلف يعني ابن حجر الهيتمي والقسطلاني في «المواهب»، وحكى بعضهم أنَّه وقع في خطب عظيم، فرزقه الله النجاة من أهواله بمجرد أن خطر عمل المولد النبوي بباله. فينبغي لكل صادق في حبه أن يستبشر بشهر مولده ﷺ ويعقد فيه محفلاً لقراءة ما صح في مولده من الآثار، فعسى أن يدخل بشفاعته مع السابقين الأخيار، فإن سرت محبته ﷺ في جسده لا يبلي. ولم تحصل مرتبة الشفاعة لأهلها إلاَّ بواسطة حبهم لجنابه الأعلى.

وإذا كان الشفعاء الأبرار أورثهم حبه ﷺ قبول شفاعتهم في الأغيار، فلا أقل أن يورث عمل المولد الشفاعة في صاحبه، وإن نزلت مرتبة محبته عن محبتهم في المقدار، ومصداقه قول الحبيب المختار: «**المرء مع من أحب**»(1)، فرحم الله امرءاً اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعياداً، فإنَّه إذا لم يكن من ذٰلك فائدة إلاَّ كثرة

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب علامة حب في الله عز وجل. .، حديث رقم (5816) [5/2283] ورواه مسلم في صحيحه، باب المرء مع من أحب. .، حديث رقم (2640) [4/2034] ورواه غيرهما.

الصلاة والتسليم عليه ﷺ لكفى، وفضلهما لا يخفى. والله سبحانه أعلم بالمرام؛ وإنَّما الأعمال بالنيات والسلام. انتهى ما ذكره في مقدمة شرحه المذكور باختصار.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين

[الحمد لله الذي شرف هذا العالم بمولده ﷺ]

قوله في كتابه المذكور «شرح مولد ابن حجر الهيتمي» عند قوله: الحمد لله الذي شرف هذا العالم بمولد سيد ولد آدم ﷺ شرف أهل الإيمان به ﷺ ظاهر بلا نزاع، وأما شرف أهل الكفر فبالإيجاد وكذا الجمادات؛ وإذا لم يكن إلاَّ بمنع عذاب الاستئصال لكفى، وبأنَّه ﷺ مرسل رحمةً إليهم.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] أي كلهم أجمعين. قال الفاضل العارف إسماعيل حقي في تفسيره «روح البيان»: فإنَّ ما بعث به ﷺ سبب لسعادة الدارين، ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين؛ ومن أعرض عنه ﷺ واستكبر فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه فلا يرحم؛ فإن قلت: وكيف كان ﷺ رحمةً للعالمين وقد بعث بالسيف واستباحة الأموال؟ قلت: إنما ذٰلك لمن أدبر واستكبر، ولم ينفع فيه وعظ ولا إرشاد.

وقال بعضهم: جاء ﷺ رحمةً للكفار أيضاً من حيث إنَّ عقوبتهم أخرت بسببه وآمنوا به من عذاب الاستئصال والخسف والمسخ.

واعلم أيها الفهيم أنَّ أول ما خلق الله نور نبيك ﷺ ثم خلق جميع الخلائق من العرش إلى الثرى من بعض نوره، فإرساله ﷺ إلى الوجود والشهود رحمةً لكل موجود، وهو سبب وجود كل موجود ورحمة الله على جميع الخلائق؛ فهو رحمةً كافيةً ونعمةً وافيةٍ، ومنه انبجست عيون الأرواح، ثم بدا ما بدا في عالم الأجساد والأشباح. ولولاه لم تخلق الأفلاك ولا الأملاك. ومن كان بهذه المثابة لا شك أنَّه رحمة للعالمين وأنَّ العالم بأسره تشرف به لكن منهم من بقي بشرفه بالانقياد والإيمان، ومنهم من رده بالكفر والطغيان. قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة**»[1]. الحديث. وكيف لا وهو ﷺ سيد ولد آدم، كما قال ﷺ:

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (1319) [1/ 465] ورواه مسلم في صحيحه، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة. . ، حديث رقم (2658) [4/ 2047] ورواه غيرهما.

«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[1].

ومن جواهر السيد أحمد عابدين

[كمل به ﷺ سعود الأنبياء]

قوله في كتابه المذكور «شرح مولد ابن حجر عند قول المصنف «وكمل به ﷺ سعود الأنبياء والمرسلين وجميع الملائكة لا سيما الكروبيين والمقربين».

تنبيه: يفهم صريح كلام المؤلف رحمه الله تعالى أنَّ نبينا ﷺ سيد الخلق على الإطلاق وأفضلهم على وجه العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملك في الدنيا والآخرة في سائر خلال الخير ونعوت الكمال. كما أجمع على ذٰلك أهل السنة، ثم بعده في الفضل الأنبياء. عليهم الصلاة والسلام. ثم الملائكة عليهم السلام على ما حققه أهل السنة بقولهم «خواص البشر وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وهم الرسل منهم، وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر، وعوام البشر وهم الأتقياء أفضل من عوام الملائكة كما هو مقرر في محله.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين

[جمع فيه ﷺ سائر الكمالات]

قوله في شرحه المذكور عند قول ابن حجر: «وجمع فيه ﷺ سائر الكمالات الباطنة والظاهرة، وجعله إمام الكل المفضل عليهم والممد لهم في الدنيا والآخرة، فهو ﷺ الكامل العبودية لله تعالى الكامل الأوصاف بتكميل الله تعالى له، وهو ﷺ متصف بكل كمال، متحلٍ بجميع الفضائل ومحاسن الخلال من علوم وأعمال، وأخلاق وأحوال؛ وهو ﷺ معدن الكمال، وعنصر الفضل والافضال؛ وهو ﷺ مورد الحقائق الأزلية ومصدرها، بمعنى أنَّ ذاته الشريفة محل لورود الحقائق عليها من الحق، ومحل لصدورها عنها إلى الخلق؛ وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها وسيد ساداتها... وهو ﷺ بيت الله المعمور بما أورده عليه فوعاه مما لا يطيقه غيره ولم ينزله على أحد قبله. وإذا فهمت هذا، علمت أنَّ قول حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره: «ليس في الإمكان أبدع مما كان» كلام في ذروة سنام التحقيق عند أهل التدقيق، فإنَّه لو كان لكان أفضل من خير خلق الله، ولا سبيل إلى

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ذٰلك، إذ لا يتصور مخلوق أبدع من المظهر التام العلي الأعلى، الجامع للكمال الأسنى ﷺ الوارث للحضرة الإلٰهية، والمستمد منها بلا واسطة دون غيره، فلا يستمد منها إلاَّ بواسطته ﷺ فلا يصل منها لكامل شيء إلاَّ وهو من بعض مدده وعلى يديه ﷺ ولله در سيدي محمد وفا حيث خاطب ذاته ﷺ الأقدسية بالمنح الأنفسية، من المواهب اللدنية، بشعر جزيل، من البحر الطويل؛ وهو قوله يخاطبه ﷺ:

فأنت رسول الله أعظم كائن ... وأنت لكل الخلق بالحق مرسل
عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه ... وأنت منار الحق تعلو وتعدل
فؤادك بيت الله دار علومه ... وباب عليه منه للحق يدخل
ينابيع علم الله منه تفجرت ... ففي كل حيّ منه لله منهل
مَنحت بفيض الفضل كل مفضل ... فكل له فضل به منك يفضل
نَظمت نثار الأنبياء فتاجهم ... لديك بأنواع الكمال مكلل
فيا مَدة الأمداد نقطة خطه ... ويا ذروة الإطلاق إذ يتسلسل
محال يحول القلب عنك وإنني ... وحقك لا أسلو ولا أتحوّل
عليك صلاة الله منه تواصلت ... صلاة اتصال عنك لا تتنصل

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه اللّٰه تعالى

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا...﴾ [الأحزاب: 45]

قوله عند ذكر ابن حجر في مولده قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿45﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿46﴾﴾ [الأحزاب: 45-46] أي مضيئاً يستضاء به من ظلمات الجهالة، ويقتبس من نوره أنوار البصائر فيميز بين الحق والباطل في المعتقدات، وبين الحلال والحرام في المعاملات، وبين محاسن الأخلاق ومساويها في الرياضات، فهو الداعي بالشريعة والطريقة والحقيقة إلى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه أفضل الصلاة وأكمل التحية قال في «الشفا» وشرحه لعلي القاري: جمع الله تعالى له ﷺ في هذه الآية بعدما تعلقت به عين العناية، وتحقق له كمال الرعاية، أنواعاً وأصنافاً من المنزلة والمرتبة المخصوصة مما استأثر به على غيره، وجمع له جملة أوصاف من المدحة والثناء والذكر الحسن؛ فجعله الله تعالى شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وذٰلك من خصائصه ﷺ حيث لم يجعل الله تعالى غيره شاهداً بنفسه لنفسه على أمته، فإنَّ الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام إذا جحدت أممهم تبليغهم إياهم حيت يسأَلهم الله تعالى هل بلغتم؟ فيقولون: نعم، فيطالبهم الله بالبينة، وهو أعلم، فنشهد لهم به فتقول أممهم لنا بمَ عرفتم ذٰلك؟ فنقول: بأخبار الله تعالى لنا في كتابه؛ فيسأل الله نبينا عنا، فيزكينا تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البَقَرَة: 143] أي خياراً عدولاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: 143] أي بتبليغ رسالة أنبيائهم: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البَقَرَة: 143].

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه اللّه تعالى

قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ﴾ [آل عِمرَان: 81]

ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ [آل عِمرَان: 81].

وقول ابن حجر: ختم تعالى هذا المقام الأعظم لنبينا صلى الله عليه بقوله: فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ليعلمنا بعظيم شرفه وعلو مرتبته، وأنَّه المتبوع وهم التابعون، والمقصود بالذات وهم له لاحقون. قال السيد أحمد عابدين بعد ما ذكر، وعن علي رضي الله عنه؛ لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلاَّ أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه ويأْخذ العهد بذٰلك على قومه.

قال في «الشفا»: ونحوه. أي نحو القول المروي عن علي، منقول عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله ﷺ من غير وجه واحد، أي بل من وجوه متعددة. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾ [الأحزَاب: 7] الآية.

قال شارحه القاري: وهو تخصيص بعد تعميم تلويحاً ببيان فضلهم وزيادة شرفهم، فإنَّهم أولو العزم من الرسل ومشاهير أرباب الشرائع، وقدم نبينا ﷺ تعظيماً وتكريماً وإيماءً إلى تقدم نبوته في عالم الأرواح المشار إليه بقوله ﷺ: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ [النِّسَاء: 163]الآية. فيه تلويح إلى فضله ﷺ حيث قدَّمه على رسله، إذ كان يمكن أن يقال كما أوحينا إلى نوح والنَّبيين من بعده أوحينا إليك على نحوه.

والحاصل أنَّه ﷺ قُدّم من جهة الفضل والشأن لا من جهة التقدم في الزمان، والواو وإن لم تقتض الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم في الذكر على المتأَخر في اللفظ.

وروي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال في كلام بكى به النبي ﷺ بعد

وفاته فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن بعثك آخر الأنبياء وقدمك في الذكر، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: 7] الآية. بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أنَّ أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك، وهم بين أطباقها يعذبون يقولون: ﴿يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: 66] الآية.

وفي شرح «الشفا» لعلي القاري قال قتادة: إنَّ النبي ﷺ قال: «**كنت أول الأنبياء في الخلق**»[1] أي خلق روحه الشريفة قبل أرواحهم، أو في عالم الذر، أو في التقدير بكتابته في اللوح، أو ظهوره للملائكة «**وآخرهم في البعث**» أي لكونه ﷺ خاتم النبيين، فلذٰلك وقع ذكره مقدماً هنا قبل نوح وغيره من أولي العزم فضلاً عن غيرهم.

واعلم أنَّ اتصاف حقيقته ﷺ بالأوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الإلٰهية حاصل له من ذٰلك الوقت، أي حيث كان نبياً أو حين أخذ الميثاق ﷺ.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[تأخرّ ظهوره الحسي ﷺ]

قوله عند قول ابن حجر: «وإنَّما تأخر ظهوره الحسي ﷺ في هذا العالم عن جميعهم، أي الأنبياء، ليكون مستدركاً عليهم، ومتمماً ما فاتهم من الكمالات، وجامعاً «لجميع فضائلهم وزيادات» حاصل ما ذكره في المواهب وغيره أنَّه ﷺ نبي الأنبياء، مرسل إلى الجميع مع بقائهم على نبوتهم؛ ولهذا ظهر في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه وفي الدنيا كذٰلك ليلة الإسراء صلى بهم إماماً، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم لوجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته ﷺ وبذٰلك أخذ الله عليهم الميثاق وتمامه في النوع الثاني من المقصد السادس من المواهب اللدنية.

وقال العارف بالله، سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه في الباب العاشر من فتوحاته، بعد بسط ما تقدم عن المواهب: ولهذا لم يبعث إلى الناس عامة إلاَّ هو ﷺ خاصة، فهو الملك والسيد وكل رسول سواه بعث إلى قوم

(1) أورده القرطبي في التفسير وعزاه إلى ابن أبي شيبة عن قتادة رضي الله عنه. سورة الأنعام آية 164 [6/ 570].

مخصوصين، فلم تعم رسالة أحد من الرسل سوى رسالته ﷺ فمن زمن آدم عليه السلام إلى زمن بعث محمد ﷺ إلى يوم القيامة. ملكه وتقدمه في الآخرة على جميع الرسل، وسيادته منصوص عليه في الصحيح؛ فروحانيته ﷺ موجودة مع روحانية كل نبي ورسول. وكان الإمداد يأْتي إليهم من تلك الروح الطاهرة، فيما يظهرون به من الشرائع والعلوم في زمن وجودهم رسلاً وتشريعهم الشرائع، كعلي ومعاذ وغيرهما في زمن وجودهم ووجوده ﷺ وكإلياس والخضر عليه السلام وكعيسى عليه السلام في زمن ظهوره في آخر الزمان حاكماً بشرع محمد ﷺ في أمته المقرر في الظاهر، لكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه ﷺ أولاً نسب كل شرع إلى من بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ وإن كان مفقود العين عنده من حيث لا يعلم، كما هو مفقود العين الآن وفي زمن نزول عيسى عليه السلام والحكم بشرعه.

وأما نسخ الله تعالى بشرعه جميع الشرائع، فلا يخرج هذا النسخ ما تقدم من الشرائع عن أن يكون من شرعه، فإنَّ الله تعالى قد أشهدنا في شرعه الظاهر المنزل به ﷺ في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفاقنا على أنَّ ذٰلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا ﷺ فينسخ بالمتأخر المتقدم، فكان تنبيهاً لنا هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة على أنَّ نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعاً له ﷺ وكان نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكماً بغير شرعه الذي كان عليه في زمان رسالته. وحكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليل على أنَّه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء عليهم السلام مع وجود ما قرره ﷺ في شرعه، ويدخل في ذٰلك ما هم عليه أهل الذمة من أهل الكتاب ما داموا يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، فإنَّ حكم الشرع على أحوال، فخرج من هذا المجموع كله أنَّه ﷺ ملك وسيد على جميع بني آدم، وأنَّ جميع من تقدمه كان ملكاً له وتبعاً، والمالكون فيه نواب عنه، فهو ﷺ الجامع لجميع فضائلهم وزيادات عليه أفضل الصلوات والتسليمات.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه اللّٰه تعالى

[قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ... ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: 90]]

ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90] وقول ابن حجر دلت على أنَّه لم يبق كمال وهدى ومعجزة وخصوصية، إلاَّ وقد توفر فيه ﷺ ذٰلك الكمال والهدى إلى آخره. قال السيد أحمد عابدين: المراد بهداهم جميع

كمالاتهم المتفرقة فيهم، وما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين الواحدة لا فروع الشرائع المختلفة، فإنَّها لا تبقى هدى بعد النسخ؛ فإن قيل فقد ثبت بما ذكر أنَّه ﷺ أفضل الأنبياء عليهم السلام، وقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ أنَّه قال: «**ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى**»[(1)]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه في اليهودي الذي قال: والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه رجل من الأنصار، وقال: تقول ذٰلك ورسول الله بين أظهرنا؟ فبلغ ذٰلك النبي ﷺ فقال: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**». وفي رواية: «**لا تخيروني على موسى**»[(1)].

فالجواب كما قال العارف بالله، سيدي محيى الدين في الباب العاشر من فتوحاته: نحن ما فضلناه بل الله فضله، فإنَّ ذٰلك ليس لنا، وإن كان قد ورد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: 90] لما ذكر الأنبياء عليهم السلام فهو صحيح، فإنَّه قال: فبهداهم فهداهم من الله تعالى، وهو شرعه ﷺ أي ألزم شرعك الذي ظهر به نوابك من إقامة الدين ولا تتفرقوا فيه، فلم يقل فبهم اقتده. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [الشّورىٰ: 13] فيه تنبيه على أحد الشرائع. وقوله: ﴿ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النّحل: 123] وهو الدين، فهو ﷺ مأمور باتباع الدين، فإنَّ الدين إنَّما هو من الله تعالى لا من غيره، وانظروا في قوله ـ ﷺ: «**لو كان موسى حياً ما وسعه إلاَّ أن يتبعني**»[(1)]. فأضاف الاتباع إليه، وأمر هو ﷺ باتباع الدين، وهدى الأنبياء لا بهم، فإنَّ الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم إلاَّ له؛ فإذا غاب حكم النواب بمراسمه؛ فهو الحاكم غيباً وشهادة اهـ.

وللعلماء في هذه الأحاديث تأويلات وأجوبة أخرى، فلتراجع من الشفا وشروحه؛ **منها**: أنَّ المنع عن التفضيل في حق النبوة والرسالة نفسها لا الأنبياء والرسل عليهم السلام. قال السنوسي في شرح عقيدته، بعد ذكر ما قاله في «الشفا»: ومما دل على عدم التفاضل بين الأنبياء في نفس النبوة وحقيقتها منع أن يقال: ثبت لفلان النبي النصيب الأقل من النبوة، ولفلان النصيب الأوفر منها، ونحوه من العبارات التي تقتضي أنَّ النبوة مقولة بالتشكيك. ولا شك أنَّ الإمتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف، فدل ذٰلك على أنَّ حقيقة النبوة من المتواطئ المستوي أفراده، ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده،

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

أهو هذا يؤيد ما سيأتي أنَّ النبوة غير مكتسبة، وفي ذكر السنوسي ذٰلك في النبوة دون الرسالة إيماء للفرق بينهما في ذٰلك فتأمله. وقريب منه قول القاضي عياض: فإنَّ الأنبياء فيها أي في النبوة من حيث هي هي على حد واحد، إذ هي شيء واحد لا تفاضل فيها، وإنَّما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوصيات والكرامات والرتب والألطاف. وأما النبوة في نفسها فلا تفاضل فيها، وإنَّما التفاضل بأمور أخرى زائدة عليها؛ ولذٰلك كان منهم رسل، ومنهم أولو العزم من الرسل، ومنهم من رفع مكاناً علياً، ومنهم من أُوتي الحكم صبياً، وأُوتي بعضهم الزبور، وأُوتي بعضهم البينات، ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات. اهـ.

والمراد بالبعض نبينا ﷺ وفضله تعالى على ما سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة، كدعوته العامة للعرب والعجم والإنس والجن والملائكة، ومعجزاته الباقية إلى يوم القيامة، ومن أجلها القرآن وغيره مما يفوت الحصر. واحتج العلماء، ومنهم المؤلف يعني ابن حجر بهذه الآية أيضاً، على أنَّه ﷺ أفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي لأنَّ خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم؛ فداود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلية، ويوسف كان جامعاً بينهما، وموسى كان صاحب المعجزات القاهرات، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق؛ فكل منهم عليهم السلام قد غلب عليه خصلة معينة، فجمع الله تعالى كل خصلة جميلة فيهم في حبيبه الأعظم ﷺ لأنَّه إذا كان مأْموراً بالاقتداء لم يقصر في التحصيل ﷺ.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه اللّٰه تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ... ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128]]

قوله عند ذكر ابن حجر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿128﴾﴾ [التوبة: 128]. لقد جاءكم، أي والله قد جاءكم أيها الناس، واستفيد القسَم من اللام المقرونة بقد، الدالتين على تحقيق الكلام. وفي قوله: جاء إيماء إلى أنَّ رسولنا ﷺ لو كان في الصين لكان الواجب عليكم الإتيان إليه، لتعلم علم الدين ومعرفة اليقين، فيكون إتيانه إليكم فضلاً منا عليكم وإحساناً منه إليكم، فيجب حسن استقباله وإطاعة أمره وإقباله. وقوله رسول، أي عظيم الشأن، وتنكيره لتفخيم الشأن وتأييد البرهان.

وقوله تعالى من أنفسكم، أي من جنسكم، أي آدمي مثلكم، لا من الملائكة، ولا من غيرهم. . . وذٰلك لئلا تنفروا عنه، وتمتنعوا من متابعته، وتقولوا: لا طاقة لنا به لأنَّه ليس من جنسنا. ويؤيده قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: 164] إذ لفظ المؤمنين عام لكل مؤمن من كل صنف، فيكون معنى «من أنفسهم» أي من جنسهم، لأنَّ الملك وكذا الجن لعدم جنسيته، ولكونه غير مدرك بالحواس الخمس لا ينتفع به، فاحتيج إلى واسطة جنسية ذات جهتين: جهة التجرد لتمكن الاستفاضة من جانب القدس، وجهة التعلق لتمكن الإفاضة إلى جانب الخلق، وهو الرسول ﷺ، ومنه يظهر أنَّه ﷺ لكمال لطافته يمكن أن تستفيض منه الجن أيضاً، لكونهم أجساماً لطيفة؛ ولذا دعاهم دعوة البشر. ويحتمل أن يكون الخطاب للعرب خاصة، فالمعنى: والله قد جاءكم أيها العرب، رسول عربي مثلكم وعلى لغتكم، وذٰلك أقرب إلى الإلفة، وأبعد من اللجاجة وأسرع إلى فهم الحجة؛ فإنَّ الإرشاد لا يحصل إلاَّ بمعرفة اللسان، ومن اختاره استدل له بظاهر قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التّوبَة: 128] ولما يتبادر من قوله أنفسكم.

ثم إنَّ في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ [التّوبَة: 128] إشارة إلى أنَّه ﷺ هدية عظيمة من الله تعالى وتحفة جسيمة، ولا يعرض عن هدية الله تعالى إلاَّ الكافرون والمنافقون. وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التّوبَة: 128]. العزيز الغالب الشديد، وكلمة «ما» مصدرية. والعَنَت الوقوع في أمر شاق، وأشق الأمور دخول النار. والجملة من الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر صفة رسول؛ والمعنى شاق شديد عليه عنتكم، أي ما يلحقكم من المشقة والألم بترك الإيمان، فهو ﷺ يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب، وهذا من نتائج المجانسة. وقوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التّوبَة: 128] أي على إيمانكم وصلاح أحوالكم وايصال الخيرات إليكم. . . والحرص شدة الطلب للشيء مع اجتهاد فيه، وقد كان ﷺ أحرص شيء على هداية الخلق، ولقد كان يدعوهم إلى الله تعالى فرادى وجماعة في منازلهم ومواسمهم ومواضع اجتماعهم، ويجمعهم لذٰلك. وكان حرصه على صلاح العباد امتثالاً لأمر الله تعالى وابتغاء مرضاته.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: 128] قال في «روح البيان» عن «التأويلات النجمية» في قوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ في حق نبيه

عليه الصلاة والسلام وفي قوله تعالى لنفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البَقَـرَة: 143] دقيقة لطيفة شريفة، وهي أنَّ النبي ﷺ لما كان مخلوقاً كانت رأفته ورحمته مخلوقة، فصارت مخصوصة بالمؤمنين لضعف الخلقة، وأنَّ الله تعالى لما كان خالقاً كانت رأْفته ورحمته قديمة، فكانت عامة للنَّاس لقوة خالقيته، كما قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعـرَاف: 156] مَن تداركته الرأفة والرحمة الخالقية من الناس كان قابلاً للرأفة والرحمة النبوية، لأنَّها من نتائج الرأْفة والرحمة الخالقية، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِـمرَان: 159] اهـ.

ثم قال عند قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التّوبَة: 129] . قال بعض أهل التحقيق: خلق الله العرش لإظهار شرف محمد ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسـرَاء: 79] وهو مقام تحت العرش، ثم قال: وقال العارف أبو يزيد، وحققه بعده العارف محيي الدين قدس الله سرهما: لو أنَّ العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة وضع في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به. وكيف يحس بالحادث من وسع القديم؟ كما في الحديث القدسي: «**ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»(1) وهو الإنسان الحقيقي المنعكس من الذات الأحدي، المتلذذ دائماً بشهود الوجود الحق جلَّ وعلاَّ ومشاهدة ذي الجلال والإكرام على الدوام. وهذا العبد من الآحاد المستمدين من نقطة دائرة الكمال، ويقظة ظلمة الجهل والضلال، وشمس حقيقة قطب أفلاك الأسرار، في سمٰوات الأنوار.

أفلا يكون رسول الله ﷺ كذٰلك، وهو مركز دائرة الفردانية، ومظهر التجليات الرحمانية، وعين الحقيقة الإنسانية، ومنه تستمد العوالم الإنسية والروحانية؛ وقد خلق الله تعالى محمداً ﷺ أي روحه، كما في روح البيان، نقلاً عن بعض العلماء العارفين، وجعل له صورة روحانية كهيئته في الدنيا، فجعل رأسه من البركة، وعينيه من الحياء، وأذنيه من العبرة، ولسانه من الذكر، وشفتيه من التسبيح، ووجهه من الرضا، وصدره من الإخلاص، وقلبه من الرحمة، وفؤاده من الشفقة، وكفيه من السخاوة، وشعره من نبات الجنة، وريقه من عسل الجنة. . . أَلاَّ ترى أنَّه ﷺ تفل في بئر رومة في المدينة، وكان ماؤها ملحاً زعاقاً، فصار عذباً فراتاً؟! انتهى كلامه.

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2256) [2/ 255].

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[هو سيد الأولين]

قوله عند قول ابن حجر: فرسول الله ﷺ هو سيد الأولين والآخرين والملائكة المقربين والخلائق أجمعين وحبيب رب العالمين... المصطفى من خير الأحباب المنعم عليهم بما لا يمكن وصفه، لقصور العبارة عنه المتزايد ترقيهم في المقامات التي جلت عن الإدراك إلا لمن رقاها، وهم أنبياء الله تعالى حقاً وخاصة خلقه صدقاً، وختامهم الجامع لجميع الفضائل والخيرات والمناقب مما تفرق في غيره من جميع المراتب... وكيف لا، وهم صلوات الله عليه وعليهم صورة تفصيله وخلفاؤه، ومظاهر تعيناته؟! فما منهم إلا وهو سابح في نوره، ومستمد من بحره كل على حسب مقامه، وكل خير وبركة. قلَّت أو جلَّت فمنه حصلت، وبطلعته ظهرت، وعنه ﷺ امتد الوجود كله كما امتدت الشجرة من البزرة، فهو ﷺ أصل الوجود وأقرب موجود ويعسوب الأرواح، وهو ﷺ الروح الأعظم، وآدم الأكبر ذو الكلمة الجامعة والرسالة المحيطة، وهو ﷺ الجامع للخلق على الله تعالى والجامع لدوائر الخيرات والرسالات والنبوات والحقائق العيانية، وأسرار التوحيد الربانية.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[صاحب المعجزات ﷺ]

قوله عند قول ابن حجر: صاحب المعجزات قال الإمام السبكي في آخر تائيته يخاطبه ﷺ:

وأقسم لو أنَّ البحار جميعها ... مدادي وأقلامي لها كل غوطة
لما جئت بالمعشار من آيك التي ... تزيد على عد النجوم المنيرةِ

ولقد أبدع سيد المُدَّاح، الشرف البوصيري بقوله في مدحه ﷺ:

إن من معجزاتك العجز ... عن وصفك إذ لا يحده الإحصاء

حيث جعل من بعض معجزاته ﷺ العجز عن الإحاطة بكل فرد من أوصافه التي اختصه الله تعالى بها، من الأخلاق الكريمة، والفضائل الجسيمة، والأوصاف البالغة أقصى ما يمكن البشر الرقي إليه؛ فهي لا حد لها باعتبار أنَّه ﷺ لا يزال يترقى في مراتب القرب في الحياة وبعد الممات، وفي الموقف، وفي الجنة إلى ما لا نهاية له ولا انقضاء... ثم قال عند قوله: «وصاحب

الشمائل التي لا يمكن أن تستقصى» ﷺ.

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه ... وأين الثريا من يد المتناول

كما روي عن العارف السراج عمر بن الفارض رضي الله عنه أنَّه رؤي في النوم، فقيل له: لِمَ لا مدحت النبي ﷺ بنظم صريحاً فقال:

أرى كل مدح في النبي مقصراً ... وإن بالغ المثني عليه وأكثرا

إذا الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى

قال في «المواهب» ورحم الله ابن الخطيب الأندلسي حيث قال:

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثني على علياك نظم مديحي

وإذا كتاب الله أثنى مفصحاً ... كان القصور قصار كل فصيح

فلو **بالغ** الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه وخصائصه، لعجزوا جميعاً عن استقصاء ما حباه مولاه الكريم من مواهبه الأحمدية، وأخلاقه المحمدية، وصفاته المصطفوية. وما مثل من أراد إحصاء فضائله ﷺ بمدحه إلاَّ كمثل إنسان مد يده ليتناول الثريا بها، وأين الثريا من يد المتناول؟! ولذا قال بعض العارفين، كما في أوائل شرح «الشفا» لعلي القاري: «الخلق ما عرفوا الله تعالى وما عرفوا محمداً ﷺ.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[خصه بأن الله تعالى يعطيه حتى يرضى ﷺ]

قوله عند قول ابن حجر: وخصه بأنَّه تعالى يعطيه ﷺ حتى يرضى، فيقول: «**يا رب لا أرضى وأَحد من أمتي في النار**»(1). قال في الشفا: ولا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار. قال شارحه ملا علي القاري والزرقاني في «شرح المواهب». روى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه، وكرم الله وجهه قال: لما نزلت آية: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضّحىٰ: 5] قال ﷺ: «**إذاً لا أرضى وأَحد من أمتي في النار**»(1).

وأخرجه أبو نعيم في الحلية موقوفاً على علي أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضّحىٰ: 5] ليس في القرآن أرجى منها، ولا يرضى ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار، وهو موقوف لفظاً مرفوع حكماً، إذ لا مدخل للرأْي فيه.

---

(1) أورده محمد الشنقيطي في أضواء البيان، الضحى/ ألم يجدك يتيماً، [8/ 559].

وقال ملا علي القاري: قال الدلجى: وهذا إن صح يشكل بما ورد مؤذناً بدخول بعض عصاتهم فيها. ثم قال: قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفا، والزرقاني في شرح المواهب. واعلم أنَّه أورد هنا أنَّ مقام الرضى بما يريده الله تعالى والتسليم مقام عظيم للسالكين، فكيف لا يكون لسيد المرسلين ﷺ؟ ولذا قال صاحب «المواهب» ما يغتر به بعض الجهال من أنَّه ﷺ لا يرضى وأَحد من أمته في النار، أو أن يدخلها أحد من أمته من غرور الشيطان.

وقد تبع في ذٰلك ابن القيم، ورده العلامة الشريف الصفوي في شرح «الشفا»، وتبعه الشهاب الخفاجي بأنَّه جرأة وسوء أدب. والوجه توجيه الحديث لثبوت رواياته الواردة من طرق، وإن ضعفت، ولا يبعد أن يكون عذاب العصاة لعصيانهم غير مرضي لله تعالى فلا يرضى به رسوله ﷺ إلى أن قال: فلا ينبغي أن يجترئ أحد على إبطال الروايات بأوهام الشبهات. وقال الزرقاني: أو لا يرضى دخولهم النار دخولاً يشدد عليهم العذاب، بل يكون خفيفاً، فهو تعذيب كتأديب الحشمة، بل قال ﷺ: «**إنَّما حر جهنم على أمتي كحر الحمام**» . أخرجه الطبراني برجال ثقات، عن أبي بكر الصديق والدارقطني في الإفراد، عن ابن عباس رفعه: «**إنَّ حظ أمتي من النار طول بلائها تحت التراب**»[1].

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[خصه الله تعالى بإتمام النعمة ﷺ]

قوله عند قول ابن حجر: «وخصه بإتمام النعمة عليه ﷺ» أي بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة، وغيرهما مما أفاضه الله عليه من النعم الدينية والدنيوية. . . قال تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [يُوسُف: 6] قيل: هي كونه ﷺ سيد الأولين والآخرين، وقيل: فتح مكة وما ترتب عليه من النصر على الأعداء، وقيل: نقله من عالم الكون والفساد لعالم الثبوت والصلاح، لأنَّه لما نزلت هذه الآية بكى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفهم منها قرب انتقاله ﷺ.

وقال الشيخ إسماعيل حقي في تفسيره «روح البيان»، نقلاً عن ابن عطاء: جمع الله لنبيه ﷺ في سورة الفتح نعماً مختلفة من الفتح المبين، وهو من أعلام الإجابة، والمغفرة وهي من أعلام المحبة، وإتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص،

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء وعزاه للدارقطني، انظر حديث رقم (644) [1/ 246].

والهداية وهي من أعلام التحقق بالحق، والنصر وهو من أعلام الولاية. فالمغفرة تبرئته من العيوب، وإتمام النعمة إبلاغ الدرجة، والهداية هي الدعوة إلى المشاهدة، والنصرة هي رؤية الكل من الحق.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[خصه بشرح الصدر ﷺ]

قوله بعد قول ابن حجر، وخصه بشرح الصدر: معنى شرح الصدر: فسحه حتى حوى صدره ﷺ عالم الغيب والشهادة بين ملكتي الاستفادة والإفادة، فلم تصده الملابسة بالعلائق الجسمانية، عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية.

وما عاقه التعلق بمصالح الخلق، عن الاستغراق في شؤون الحق، أي لم يحتجب ﷺ لا بالحق عن الخلق، ولا بالخلق عن الحق، بل كان جامعاً بين الجمع والفرق، حاضراً غائباً.

وفي التأويلات النجمية في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١﴾ [الشَّرح: 1] يشير إلى انفساح صدر قلبه ﷺ بنور النبوة، وحمل همومها بواسطة دعوة الثقلين، وانشراح صدره سره بضياء الرسالة، واحتمال مكاره الكفار، وأهل النفاق، وانبساط صدر نوره بأشعة الولاية؛ وتحققه بالعلوم اللدنية، والحكم الإلٰهية، والمعارف الربانية، والحقائق الرحمانية، انتهى. وأما شرح صدره ﷺ الصوري أي شقه، فقد وقع مراراً.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[خصه بإقسامه تعالى بحياته ﷺ]

قوله عند قول ابن حجر: «وخصه بأقسامه تعالى بحياته ﷺ. قال تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحِجر: 72] أي يتحيرون. قال في الشفا: اتفق أهل التفسير في هذا أنَّه قسم من الله تعالى بمدة حياة النبي ﷺ ومعناه... وبقائك يا محمد، وقيل وعيشك، وقيل وحياتك... وهذه المعاني كلها نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف. قال ابن عباس رضي الله عنه: ما خلق الله، وما ذرأ، وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله عزَّ وجل أقسم بحياة أحد غيره. وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله عزَّ وجل بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنَّه أكرم البرية عنده. وفي روح البيان عن التأويلات النجمية: «هذه مرتبة ما نالها أحد من العالمين إلاَّ سيد

المرسلين، وخاتم النبيين ﷺ من الأزل إلى الأبد، وهو أنَّه تعالى أقسم بحياته فانياً عن نفسه باقياً بربه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزُّمَر: 30] أي ميت عنك حي بنا، وهو ﷺ مختص بهذا المقام المحمود.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[خصه بدوام الصلاة ﷺ]

قوله بعد قول ابن حجر: وخصه بدوام الصلاة عليه ﷺ من الله سبحانه وتعالى، ومن جميع ملائكته التي لا يحصي كثرتهم إلا هو تعالى، ومن أمته في سائر الأمكنة والأزمنة. أي لما يفيده التعبير بالجملة الاسمية في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزَاب: 56] المفيدة للدوام والاستمرار، وهذه آية باهرة لم توجد لغيره ﷺ وإن وجد أصل الصلاة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وآله، كما يفيده حديث التشهد، وفي هذا بلاغ للمؤمنين بأنَّهم ينبغي لهم إدامة الصلاة عليه ﷺ تأسياً بالله وملائكته في ذٰلك. وهذا أتم من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له، لاختصاصه بالملائكة، لأنَّه لا يجوز أن يكون الله تعالى مع الملائكة في هذا التشريف.

وأما الصلاة، فقد شاركهم فيها تعالى، كما أخبر تعالى عن نفسه بالصلاة على النبي ﷺ كما أخبر عن الملائكة بذٰلك، وكأنَّ سجودهم لآدم كان تأديباً، وأمرهم بالصلاة على النبي ﷺ كان توقيراً له وتعظيماً، وأيضاً فذٰلك وقع مرة وانقطع، وهذا دائم إلى يوم القيامة. وأيضاً فالسجود لآدم إنما كان لما بجبهته عليه السلام من نور نبينا ﷺ قاله الإمام الرازي. وأكتفي بهذا التأكيد في جانب الصلاة، أي بأنَّ، واسمية الجملة، والإعلام بأنَّه تعالى وملائكته يصلون على النبيّ، وأكد التسليم بالمصدر إذ ليس ثم ما يقوم مقامه، أفاده الداوودي عن ابن علان في شرح الأذكار.

وفي روح البيان عن الأصمعي، قال: سمعت المهدي على منبر البصرة يقول: إنَّ الله أكرم نبيه بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ [الأحزَاب: 56] الآية. آثره ﷺ من بين الرسل واختصكم بها من بين الأمم، فقابلوا نعمة الله بالشكر. وإنَّما بدأ تعالى بالصلاة عليه ﷺ بنفسه المقدسة إظهاراً لشرفه ومنزلته ﷺ وترغيباً للأمة، فإنَّه تعالى مع استغنائه إذا كان مصلياً عليه ﷺ كانت الأمة أولى به لاحتياجهم إلى شفاعته، وتقوية لصلوات الملائكة والمؤمنين.

فإنَّ صلاة الحق حق، وصلاة غيره رسم؛ والرسم يتقوى بمقارنة الحق، وإشارة

إلى أنَّه ﷺ مجلى تام لأنوار الجمال والجلال، ومظهر جامع لنعوت الكمال؛ به فاض الجود، وظهر الوجود.

ثم ثنى بملائكة قدسه، فإنَّهم مقدمون في الخلقة، وأهل عليين في الصورة خائفون كبني آدم من نوازل القضايا، ومستعيذون بالله تعالى من مثل واقعة إبليس وهاروت وماروت؛ فاحتاجوا إلى الصلاة على النبي ﷺ ليحصل لهم جمعية الخاطر والحفظ من المحسن والبليات ببركة الصلوات، وأيضاً ليظهر لصلوات المؤمنين رواج بسبب موافقة صلواتهم، كما ورد في آمين. وأيضاً لما خلق آدم عليه السلام وأسجد له الملائكة ورأوا أنوار محمد ﷺ على جبينه صلوا عليه وقتئذٍ؛ فلما تشرف بخلقه ﷺ الوجود قيل لهم؛ هذا هو الذي كنتم تصلون عليه، وهو نور في جبين آدم عليه السلام فصلوا عليه وهو موجود بالفعل في العالم.

ثم ثلث بالمؤمنين من برية جنه وإنسه، فإنَّ المؤمنين محتاجون إلى الصلاة عليه ﷺ أداء لبعض حقوق الدعوة والأبوة، فإنَّه ﷺ بمنزلة الأب للأمة، وقد أجاد في التعليم والتربية والإرشاد، وبالغ في لوازم الشفقة على العباد.

وثناء المعلم واجب على المتعلم، وشكر الأب لازم على الابن. وأيضاً في الصلوات شكر على كونه ﷺ أفضل الرسل، وكونه خير الأنام، وأيضاً فيها إيجاب حق الشفاعة على ذمة ذٰلك الجناب، فإنَّ الصلوات ثمن الشفاعة، فإذا أدوا الثمن هذا اليوم يرجى أن يحوزوا المثمن يوم القيامة.

وبقدر صلواتهم عليه ﷺ تحصل المعارفة بينهم وبينه ﷺ وعلامة المصلي يوم القيامة أن يكون لسانه أبيض، وعلامة التارك أن يكون لسانه أسود بهما تعرف الأمة يومئذٍ.

وأيضاً فيها مزيد القربات، وذٰلك لأنَّ بالصلوات تزيد مرتبة النبي ﷺ فتزيد مرتبة الأمة، لأنَّ مرتبة التابع تابعة لمرتبة المتبوع؛ وأيضاً فيها إثبات المحبة، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره؟ قال سهل بن عبد الله التستري قدس سره الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات، لأنَّ الله تعالى تولاها هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين.

وسائر العبادات ليس كذٰلك، يعني أنَّ الله تعالى أمر بسائر العبادات ولم يفعلها بنفسه. انتهى. وبذٰلك أبان الله تعالى فضل نبيه ﷺ وصلاته تعالى لا تنقطع أبداً، وكذا الملائكة في كل وقت يصلون عليه ﷺ وكذا أمته ﷺ لم يزالوا ولا يزالون يصلون عليه ﷺ في كل زمان ومكان، أي يطلبون له زيادة الصلاة والرفعة والشرف لا أصل الصلاة، إذ هي حاصلة له من ربه ﷺ ولا تنقطع أبداً. اهـ. اللهم صل وسلم وبارك عليه أبداً سرمداً.

ومن جواهر السيد أحمد عابدين رحمه الله تعالى

[شرف الله نبيّه ﷺ بسبق نبوته]

ما ذكره عند قول ابن حجر: اعلم أنَّ الله تعالى شرف نبيه ﷺ بسبق نبوته في سابق أزليته، وذٰلك أنَّه تعالى لما تعلقت إرادته بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية من محض النور قبل وجود ما هو كائن من المخلوقات بعد، ثم سلخ منها العوالم كلها، ثم أعلمه تعالى بسبق نبوته وبشره بعظيم رسالته، كل ذٰلك وآدم لم يوجد. ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى أصلاً ممداً للعوالم كلها. اهـ.

قال السيد أحمد عابدين: الحقيقة المحمدية هي الذات مع النعت الأول قال: وفي «لطائف»[*] الكاشي يشيرون بالحقيقة المحمدية المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة أي الحقائق والسارية بكليتها في كلها سريان الكل في جزئياته.

قال: وإنَّما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة الحقائق لأجل ثبوتها، أي الحقيقة المحمدية في خلق الوسطية والبرزخية والعدالة، بحيث لم يغلب عليه ﷺ حكم اسمه أو وصفه أصلاً.

وكانت هذه البرزخية الوسطية هي عين النور الأحمدي المشار إليه، بقوله عليه الصلاة والسلام: «**أول ما خلق الله نوري**»[1] أي قدر على أصل الوضع اللغوي. وبهذا الاعتبار سمي المصطفى ﷺ بنور الأنوار، وبأبي الأرواح، ثم إنَّه ﷺ آخر كل كامل إذ لا يخلق بعده مثله اهـ.

فهي أي الحقيقة المحمدية أول موجود من محض النور، أي من النور الصمدي في الحضرة الأحدية، مكتسية بجميع خلع الربوبية، مشتملة على جميع الأوصاف الرحمانية؛ واسطة بينه تعالى وبين العوالم، نائبة عنه عزَّ وجل في جميع المعالم، حجاباً بينه وبين الخلق لا يوصل إليه سبحانه إلاَّ بها، فظهر ﷺ بالملأ الأعلى، أصلاً ممداً للعوالم كلها وهو بالمنظر الأجلى، وكان لهم المورد الأحلى. فهو ﷺ الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس، ﷺ.

روي أنَّه لما اجتمع بآدم ليلة الإسراء في السماء، قال له مرحباً: يابن صورتي وأبي معناي. وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

(*) كتاب (لطائف الإعلام بإشارات أهل الإلهام) مطبوع في الدار بتحقيقنا.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

قلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال ﷺ: «**يا جابر إنَّ الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره**» الحديث بطوله[1].

قال الداوودي: أي في شرحه على مولد ابن حجر نقلاً عن شيخه ابن عقيلة: لما كان سبحانه كنزاً لا يعرف، فأحب أن يعرف أوجد نوراً من نور وجهه الكريم، وسماه بالنبي العظيم، والنور المحمدي، والسر الأوحدي. أوجد منه الكائنات. انتهى. ثم قال السيد أحمد عابدين: قال شيخنا أبو بكر الكلالي الكردي في تفسيره، نقلاً من العارف النابلسي قدس سرهما: إنَّ النور نوران: النور الحق، وهو الغيب المطلق، وهو النور القديم المنزه عن الكيفية والمماثلة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النُّور: 35]، ونور العالم المحدث، وهو نور نبينا ﷺ المشار إليه بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النُّور: 35]، أي نور محمد ﷺ ﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ [النُّور: 35]، الآية لأنَّه أول ما خلق الله من نوره، ثم خلق منه كل شيء كما تقدم إلى أن قال: فهو ﷺ كل شيء من حيث الحقيقة وغيره من حيث الصورة، كما أنَّه ﷺ نور الحق من حيث الحقيقة وغيره من حيث الصورة، إذ العالم بجميع أجزائه موجود من العدم، لتجلي الله تعالى له، ويتجدد له الوجود كل لمحة بالتجلي، وهو نور محمد ﷺ لأنَّ الله تعالى وهب هذا النور الأعظم له ﷺ فأرسله رحمةً للعالمين، فلا يوجد شيء إلاَّ بواسطة نوره ﷺ ثم قبض من هذا النور الأعظم الذي هو أول تجلي الله تعالى في العالم أنوار جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وجميع الملائكة والأولياء والمؤمنين. ثم خلق منه جميع الأرواح، وأخذ عليهم الميثاق على توحيده تعالى والتكاليف الشرعية. فهذا هو العالم اللطيف والملائكة بعض هذا العالم. ثم خلق العالم الكثيف من السمٰوات والأرض. وما فيهما. انتهى.

ثم قال: قال العارف الأكبر [محيي الدين بن عربي] في الباب الثاني عشر من فتوحاته [المكية]: والمؤلف يعني ابن حجر في النعمة الكبرى لما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه ﷺ إلى وجود جسمه وارتباط الروح انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فهو وإن تأخر وجوده هو خزانة السر، فلا ينعقد أمر إلاَّ منه، ولا ينتقل خير إلاَّ عنه. انتهى.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العارف بالله السيد الشريف سيدي السيد عبد الله ميرغني الطائفي وهو شيخ السيد مرتضى الزبيدي وترجمه الجبرتي وأثنى عليه كثيراً وتقدم ذكره

ومن جواهره

كتابه المسمى «الأسئلة النفسية والأجوبة القدسية»، وهو كتاب نفيس في نحو عشرة كراريس بناه على أربعة وأربعين سؤالاً وأجوبتها، فمن ذلك قوله، وهو السؤال الثالث عشر، وسألني ما سر طلبه ﷺ الإجارة من النار كما في الأحاديث، مع أنه مجار ومغفور له الأوزار. قلت: إنما ذلك للتشريع أو لكمال الخوف الناتج من كمال العلم والعرفان، كما هو دأب أهل هذا الشأن. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فَاطِر: 28] وكما قيل:

على قدر علم المرء يعظم خوفه ... فلا عالم إلا من الله خائف

فآمن مكر الله بالله جاهل ... وخائف مكر الله بالله عارف

أو طلب الحماية من نار التجلي، الخاطفة للتحلي، المصرح بها ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارًا﴾ [طه: 10] وإنما طلب الحماية منها كي لا تأخذه وتفنيه، كما فني موسى بصعقه وتوليه، ومكث مدة يتبرقع على وجهه وفيه، فطلب الثبات، حتى يكون في مقام البقاء من جل الثقات، ولا شك أنه المقام الأعلى والأكمل والأحلى.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

في كتابه «الأسئلة النفيسة» المذكور قوله هو السؤال الثامن عشر: وسألني ما معنى قول السيد عبد القادر الكيلاني قدس سره في عوالم القطبية أن لها ستة عشر عالماً إحاطياً الدنيا والآخرة عالم منها؟ وقول السيد الشريف الأمجد الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعرف ثمانين ألف أمة الدنيا والآخرة عالم واحد منها: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النّحل: 8].

فقلت: الله أعلم وليس لي اطلاع كبير على المبسوطات من كتب القوم، بل ولا

أقل قليل، ولكنني أذكر ما يفتح به المولى الجليل، على هذا العبد الذليل. كما جرت عادته سبحانه وتعالى في سائر تحقيقاتنا التي يكل عن إبرازها أكابر الأولياء، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

فأقول: اعلم أن الدوائر ثلاث لا غير ونقطتها واحدة كهذه، وذكر ثلاث دوائر مدورة بالحبر الأحمر، الأولى دائرة كبرى وفي داخلها دائرة وسطى وفي داخل الوسطى دائرة صغرى وفي داخلها الصغرى نقطة، ومكتوب على الدائرة الأولى الكبرى دائرة القِدَم، ومكتوب على الدائرة الثانية الوسطى التي في داخل الكبرى دائرة العدم، ومكتوب على الدائرة التي في داخلها الصغرى دائرة الوجود.

قال رضي الله عنه: وهذه الدوائر تدور بالبيكار وهي ضرب مثال. فالدائرة الكبرى دائرة القدم المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النِّسَاء: 126] والدائرة الوسطى دائرة العدم المشار إليه بقوله سبحانه ﴿خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مَريَم: 9] والدائرة الصغرى دائرة الوجود المجازي التي هي عالم الخلق والأمر.

والنقطة هي الحقيقة المحمدية وهي مدار الدوائر، بل منها ينشأ كل دائر، لأنك إذا وضعت البيكار وأردت إدارة مهما شئت من الدوائر لا يتم ذلك ولا يدار إلا بوضع البيكار، ومركزه هي النقطة، ونشوؤه منها، وهذه النقطة هي نون الإحاطة الإلهيّة عينها، فلذا كانت عين الجميع، ما ثم غيرها، ومحمد ﷺ مَظْهَرها ومُظْهِرها، ولذا قال ذو الجلال لآدم: لولاه ما خلقتك، ولا خلقت سماءً، ولا أرضاً. وهذا مثال تقريباً. وأوضح منه أن الشمس هي النقطة وفلكها هو الدائرة الصغرى والعرش هو الدائرة الوسطى والإحاطة الإلٰهية هي الدائرة الكبرى، ولا شك أن الشمس بفلكها بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة كذلك العرش بما فيه بالنسبة إلى دائرة الإحاطة العظمى.

وعن هذا قلت في الحكم: هذا الوجود، قطرة في بحر قدرة المعبود، والعرش محتوٍ عَلَى عالمي الدنيا والأخرى، ومع ذلك هو كالحلقة في الدائرة العظمى في عوالمها، وما يحصرها إلا عالمها، ولكن من تعلق بالنقطة كشف له من تلك العوالم، ما قسم له العالم، ومن ذلك عوالم القطبية، والعوالم التي قالها شيخ الرفاعية، وفوق كل ذي علم عليم، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

وإنما كان التعلق بالنقطة منتجاً لشيء من هذا لأنها هي مدار الدوائر ومن نظر المرآة رأى بعض محتوياتها وهذا أمر شرحه يطول، ولا يدرك طرفه إلا بشهود الرسول، ﷺ شهوداً ناشئاً عن جذبه الأعلى، ووهبه الأغلى، فتعلق به لتفوز بقربه، وترى ما في حبه بوهبه والله يتولاك.

(نكتة): من هنا يفهم أن حاء الإحاطة الإلٰهية هي الحاء من اسم محمد ﷺ كما أن حاء محمد هي حاء حياة الماء الذي به كل شيء حي الذي ميمه ميم محمد والميم والحاء هما ما اجتمعا في اسمه المحيي، وكذلك في اسمه ﷺ المحيي، كما في الدلائل، وبهذا تبين لك سر كون المحيط محاطاً وعكسه إذ حاء الإحاطة محاطة بميمي المدار الذي هو بمعنى المحاط في اسم محمد ﷺ، فرجع المدير مداراً به وعكسه.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

في كتابه «الأسئلة النفيسة» المذكور، قوله وهو السؤال التاسع عشر: وسألني ما ظاهر آية: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البَقَرَة: 105] وما باطنها على فهمك؟ فقلت: تدبر يا أيها الناظر البصير في هذه الآية الشاملة للمذهبين، الجامعة بين الضدين، والتخصيص والتعميم والخصوص والعموم، فظاهرها التخصيص للخصوص، وباطنها التعميم للعموم، فالظاهر ظاهر، والباطن أيضاً ظاهر، فهي كآية: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ [الأعراف: 156] إلخ. فالتخصيص من قوله يختص والتعميم ممن يشاء يقتص، فما يشاء إلا كل من شاء فالمشيئة عمت، من به لمت، وهذا بعض سر القدر الذي إذا كشف لأهل النار صاروا أرضى من أهل الجنة بها، ولكن في هذا التعميم عين التخصيص عند الفهيم. إذ لا يُرحم من لا يَرحم، كالواجب والمستحيل.

ولعل من هذا المشهد كره الحنفية قول «اللهم ارحم محمداً»، وذلك إن كان من غير الأدب، فلربما يوجب العطب، لأنه إلى غير الصواب أقرب، وهل يستغني عن الرحمة، من بعينه شحمة، كيف وهي لكل بحسبه، وعَلَى قدره وسببه، وهل يستغني شيء بدون نفسه، وهو الرحمة بمعناه وحسه، له ولأبناء جنسه، وهل الصلاة عليه، إلا رحمة من الله إليه.

وكيف الكراهة لهذه الحكاية؟ ومولانا سبحانه ينوه بشرفها في هذه الآية، فيالله

العجب، من شريف يُكره بلا سبب. فيا أهل الظاهر كيف اقتصر عن الظاهر، هل حويتم المظاهر، كيما تؤمنوا بالباطن والظاهر.

وقال رضي الله عنه: وهو السؤال العشرون، وسألني ما وجه جواز الجمع بين الأضداد الذي أشرت إليه آنفاً، مع استحالة العلماء لذلك بالدلائل القطعية؟ وما دليل أهل الباطن عليه؟ فقلت: لا يحضرني لهم دليل، ولكن أقول بما يفتح به الجليل، وأرجو أن يكون هو الدليل، الذي لا محيص لأحد منه لا كثير ولا قليل، لا شك أن مولانا سبحانه منعوت بالتضاد، على الآباد، إذ هو المحيي المميت، المنعم المنتقم، المعز المذل، المعطي المانع، الخافض الرافع، وهكذا في كل شيء وحين، لديمومية الصفات المستحيل تعاقبها، فما من ذرة من ذرات الوجود إلا وتشرق فيها شموس الصفات ولا تغرب أبداً سرمداً فلزم التضاد، على مر الآباد، فكيف يستحيل ما هو واجب النفاد؟ ولا لأمر رب العباد، فكل شيء في كل حين لا بد فيه من اجتماع الأضداد، بحسب ما تجلى فيه مولى العباد، أدركنا ذلك أم لا، وإذا أمعن في هذا ذو بصيرة انكشف له ذلك بلا ريب عن هذا قلت:

رب العباد الفرد بالإيجاد ... ينعت في الآباد بالأضداد
كيف المظاهر لا تكون كمثله ... وهي الظلال مآثر الأنداد
فالجمع للأضداد دوماً سرمداً ... لم يستحل بل واجب الإنفاد

فإن قلت: فعلى هذا معنى لقولهم هذا جمالي، وهذا جلالي، وهذا كمالي، وهذا ظاهري، هذا باطني، وهذا ظلماني، وهذا نوراني... ونحو ذلك كون كل أحد كذلك وجامع لكل ذلك. قلت: ذلك إطلاق للنعت الأغلب عليه كما يقال هذا فقيه، وهذا صوفي، وهذا محدث، وهذا نحوي، ونحوه، مع أنه يكون جامعاً للكل.

وإن قلت وعَلَى هذا تتفاوت صفاته تعالى قوة وضعفاً، وتأثيرها كذلك، وهو في التأثير لا يضر، أما في الصفات فلربما يأبى الأمر ذلك ولا يرضاه، قلت: قد ورد التفاوت في أسمائه تعالى كالأعظم والعظيم والكبير ونحوه.

وهو صريح فيما نحن فيه وهو الظاهر لقوة سلطان بعض المظاهر، وما ذاك إلا لقوة تأثير الظاهر، وأيضاً كما أن نعوت المخلوق تتفاوت قوة وضعفاً كذلك نعوت الخالق لأن حكم المظهر تابع لحكم الظاهر فيه، لانعكاسه فيه.

فإن قلت: فأنت عَلَى هذا فضلت بعض الأسماء والنعوت على بعض، كما يقول البعض. قلت: هو كذلك بالنصوص إذ لا معنى للأعظم والأكبر إلا هذا، إنما

احترز عنه البعض لئلا يؤذن بالانتقاص لغيره، ومعاذ الله أن يجنح إلى هذا إلا أعمى البصيرة ولا كلام معه. أسماؤه وتعالى ونعوته عظيمة، وكلها جليلة قديمة.

فإن قلت: كيف حكم الدعاء بالمغفرة للنبي ﷺ الذي كرهه العلماء؟ فإني استشعرت مما مر عدم كراهة ذاك المظهر. قلت: قد وضعت منذ سنين رسالة عظيمة في هذا البحث وسأسردها بلفظها فأقول:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالكمال، الذي ما سواه باطل وخيال، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله شهادة متيقن بأن كل ما سواه ملازم لوزره، إذ قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91] وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، شهادة معترف بأن كل أحد مقصر في إجابته لمن يقال لك لبيك. إذ قال ﷺ «**سبحانك لا أحصي ثناء عليك**»(1) والصلاة والسلام عَلَى سيدنا محمد سيد الأنام، وآله وصحبه الغر الكرام. وبعد،

فقد كان يتردد في الخاطر الخلي، أن أضع رسالة في نوعي الذنب الخفي والجلي، لينكشف بها النقاب، عن مسائل جرى فيها الإطناب. وسرى فيها الاضطراب، ولم يك ذلك، إلا حينما أراد الله ما هنالك، وسميتها ذات الجنب في معنى الذنب فأقول مستعيناً به ومستمداً من فيض حبيبه ﷺ.

اعلم أن الذنب والخطيئة والإثم والعصيان والإساءة والوزر والإصر ألفاظ مترادفة ومرجعها إلى ثلاثة أنواع لغوي وعرفي وشرعي، **فمعنى الذنب لغة** فعل ما لا يليق بحسب الفاعل والمفعول معه، كما لا يخفى عَلَى من تدبر اللغة، ولذا قال البيضاوي في سورة القتال: إن الذنب ما له تبعة ما كترك الأولى، **وأما العرفي** فمخالفة الفاعل له بحسبها أيضاً.

وأما الشرعي المصطلح عليه عند العلماء فهو عبارة عن الصغائر والكبائر، وإذا عرفت ذلك علمت أنه يطلق على غيرهما لغةً وعرفاً، بل واصطلاحاً للإجماع على قبول القاعدة التي قالها أبو سعيد الخراز رضي الله عنه، وهي حسنات الأبرار سيآت المقربين، فجوزوا إطلاق السيئة المرادفة للذنب وإخوته عَلَى ضدها، وهي الحسنة

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (486) [1/ 352] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يستحب للمصلي أن يتعوذ برضاء الله جل وعلا من سخطه في سجوده، حديث رقم (1932) [5/ 258] ورواه غيرهما.

وخرجوا عَلَى ذلك كثيراً من المسائل، لا سيما من كلام العارفين كقول رابعة العدوية رضي الله عنها: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير، وهو ظاهر إذا نزلت نفسها منزلة العوام لكونها مع الغفلة كما وله به كثير من العلماء.

وأما إن أنزلت نفسها منزلة العارفين شكراً للنعمة، فهو أيضاً كذلك لأنه بالنسبة إلى مقام الشهود الذي هو أقصى مرادهم ذنب، وأي ذنب كما أولته بذلك، ولذا قال بعضهم: الاستغفار من الذنب ذنب آخر، قال: سهل التوبة فرض عَلَى العبد في كل نفس، وقال العارف ابن الفارض رحمه الله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة عَلَى خاطري سهواً قضيت بردتي

وما ذاك إلا أن كل ما سوى مقام شهود المحبوب، فهو من أعظم الذنوب.

وعن هذا قلت في كتابي «جواذب القلوب». واعلم أن الاستغفار عَلَى ثلاثة أنواع، استغفار من الذنوب وهو للعوام، واستغفار عن الطاعات ورؤيتها وهو للخواص، واستغفار عن شهود كل ما سوى الله تعالى وهو لأخص الخواص، وإذا فهمت هذا، علمت أن العلماء محقون في اجتهادهم في المسألتين الآتيتين إذ هو بحسب اصطلاحهم ولا مانع من غيره.

أما المسألة الأولى: فما وقع من اضطرابهم وتكفلهم في الجواب عما صدر في الكتاب العزيز والسنة الشريفة في شأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من قوله سبحانه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121] وقوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] وقوله: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣﴾ [الشرح: 2-3] وقوله حاكياً عن إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشُّعَرَاء: 82] وقوله عن موسى: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأحقاف: 15] وقوله: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ [صَ: 34] وقوله عن يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبيَاء: 87] وغير ذلك من القرآن. وقوله ﷺ: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت**»(1) الحديث وقوله: «**إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله**»(2) الحديث. ونحوه من السنة، ولو أعادوا الأمر إلى ما مهدناه سابقاً لما استشكلوا ذلك واستصعبوه.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب الدعاء في صلاة الليل. . ، حديث رقم (771) [1/ 534].

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

وأما الثانية: فقد منعوا الدعاء بالمغفرة للأنبياء صلوات الله عليهم بناء على ما اصطلحوا عليه من قصر الذنوب على الصغائر والكبائر، فأما إذا كانت غير قاصرة عَلَى ذلك، فأي مانع مما هنالك. كيف؟ وقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة كما تقدم.

والأثر: كقول علي رضي الله عنه في تشهده: اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته الخ. وكقول الحسن البصري رحمه الله تعالى في صلاته عليه ﷺ ومغفرته ورضوانه.

فإذا كان طلب المغفرة ثابتاً في قوله سبحانه وقول نبيه ﷺ وقول بعض أصحابه وهو باب العلم وبعض التابعين وهو سيدهم وكان لذلك وجه وجيه وهو طلب غفران ما لا يليق بمقامهم الشريف، وإن كانوا هو أجل من أكمل طاعة من كل ذي قدر منيف.

فأي مانع من هذا والذي أقطع به وأدين الله أنه تدبر هذا كل من قال بالمنع لما منع . ولرأى أن الأمر متسع إلا لقاصر في القصور. وجاحد في القبور، والناس أحد الرجلين. إما قاصر عن فهم قول العلماء، أو عارف به وبمقال الحكماء، **فالأول**: المنع به أليق، **والثاني**: عدمه به أجدر وأحق.

وأما العوام فلا يعرفون ولا يميزون، فهم فيما جاء مأثوراً مطلقون. وفي غيره محجوزون، ويكفي هذا لذوي الإنصاف، ويشقى لأولي الاعتراف، والحمد لله وكفى. وسلام عَلَى عباده الذين اصطفى، قاله جامعه عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن ميرغني الحسيني الحنفي ملتمساً للدعاء، ومقتبساً لمِلءْ الوعاء في ساعة واحدة من يوم الأربعاء 14 ربيع سنة 1157 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

في كتابه «الأسئلة النفيسة» المذكور وهو السؤال الثاني والعشرون، وسألني: ما حكم من أتى بفاحشة من البضعة النبوية؟ فولد من ذلك ولد هل يهدر ذلك كما هو ظاهر عموم الشرع الولد للفراش وللعاهر الحجر: أم هنا تخصيص؟ فإني محتار في شأن البضعة والإهدار.

فقلت: قد كنت في غاية الحيرة في ذلك. ولم أر شيئاً للعلماء هنالك. ثم فتح الله منهجاً من المسالك، وبيانه أن أصل هذا الشأن، بابتداء خلق سيد ولد عدنان، ﷺ ولا شك أنه أصل الكون ومنبعه كما تقرر، في غير ما محرر، ولا شك فيما تفرع منه أنه مهدر، وغير مهدر كالنار والكفار وغير ذلك، والمهدر ما كان من أطراف الاكتساب، وغيره من أرباب الأحساب، فالحسب في كمال النسب،

والمكتسب مقترف ومجتنب، فالقريب ما دنا والبعيد ما نأى، ومنه الأشقياء والفضلات، ومنه ما نحن فيه من الأبحاث. ومن هذا البحث تبين إهدار ولد الفاحشة البحت وهو مطابق للشرع الأقوم والله أعلم.

فإن قلت: فعلى ما قررت قد يكون بعض البضعة شقياً مع اقتضاء آية التطهير لعدمه بل في الحديث: «**إنما سميت فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار**»(1). بل قد وردت أخبار بعدم تعذيبهم، حتى قال بعض العلماء ممن يعتقد في أهل البيت إن الله تعالى متجاوز عن جميع سيآتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم، فلا يحل لمسلم أن ينتقص أعراض من شهد بتطهيره وذهاب الرجس عنه وما نزل بناديهم من الظلم والجور نزل منزلة القضاء الوارد من الله تعالى كالغرق والحرق ونحو ذلك إذ لهم من الحرمة لسيدهم الذي نسبوا إليه إلى آخر ما في نصيحة الشيخ زروق وغيرها.

قلت: لم تكن الشقاوة إلا في ما انفصل قبل الظهور، من عالم النور، أما بعده فلإتمام الكمال فلا يلحقه النقص بحال ولم يزل في كمال. وإن قلت: هذا ابن نوح لم يكن من أهله، لفقدان فضله، قلت: لا يقاس ابن نوح. بابن جامع الفتح والفتوح، وأين الشبح من الروح، فقياس الثريا بالثرى، قياس من عقله إلى ورا، وبما قررنا تبين نفي الشقاوة وثبوت وقوع الولد من الفاحشة من أهل البيت على خلاف ما حكاه بعضهم عن الشيخ ابن عربي من أنه لا يتصور من ذلك ولد لكون البضعة محفوظة، وهذا ينكره الواقع، فإنه لو وقع الاحتمال بوقوع ذلك من الرجل لامتنع ذلك في جانب المرأة لأنه منها يقيناً.

وإن نفي ذلك يؤدي إلى القدح في أنساب الناس وإلى اختباط كبير وما قلناه إن شاء الله تعالى هو التحقيق علماً وذوقاً وكشفاً. نعم إن قيل شأن رسول الله ﷺ عظيم، وجاهه جسيم، وقدره لا يقدر، فنرجو أن لا يهدر في العقبى أما الآن فلا بد من الإهدار، للردع والانزجار، كما هو حكم ظاهر الشرع فليس ببعيد، وكم أطلق لكثير من الأولياء في كثير من الأشياء مما الإجماع على منعه وتقدم في السؤال الذي قبل هذا في الكلام على شأن المحبوب، ما فيه إن شاء الله تعالى كثير من مفاتيح

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم (1385) [1/ 346]. وأخرجه ابن عساكر بلفظ: «إن الله فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة».

الغيوب، التي يخصها الله بأرباب القلوب، ومن هنا يلوح لك بعض أحكام والديه ﷺ اتفاقات وإجماعات خرقها الله تعالى وأهدرها لآحاد السادات فكيف بسيد السادات ﷺ، مع أنا نجزم إن شاء الله، بأنهما في أعالي الدرجات.

ثم قال: ومن شكل هذه الأسئلة ما سألني عنه المحب في الله الأمجد الرئيس عمر بن محمد خوج المدني كان الله في عونه وهو سؤال شريف، وبحث منيف، واستفهام لطيف، قل من يأتي بمثله؟ وليس لأهل الظاهر قدرة على حقيقة جواب شكله، ولا يجيب عنه إلا من طرح رأسه مكان رجله، ورقى سامي مراقي فضله.

والسؤال هو هذا ما معنى ما ورد في الحديث القدسي: «**وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم**»(1) إذا كان الذاكر في حضرته ﷺ من أصحابه الكرام رضي الله عنهم، أو كان الذاكر هو ﷺ كذلك، وهل ملأ خير من هذا الملأ؟.

فقلت: يمكن على قول أهل الظاهر أن يجاب بأن الخيرية باعتبار الحيثية لا باعتبار الأفضلية الأكملية كما يقال الحلاق أو الحجام أو نحوهما خير ممن لا يحسن ذلك وأفضل.

وأما على قول أهل الباطن فيجاب بأن ذلك باعتبار الحضرات وهي من ابتداء خلق الكائنات إلى الأبد فحضرته ﷺ من ابتداء شروق شمس الذات، ليس كحضرته بعد شروق كواكب الصفات، وهكذا إلى الأبد في الترقي فكل حضرة أرقى مما قبلها فأهلها خير منهم آنفاً ففي كل نفس من الأنفاس، يزدادون من خير سامي الاقتباس، ومن حلي حلل الألباس، وهكذا وهو من باب علم الحضرات، المخصوص علمه بخواص أهل العنايات، وعلم الحضرات علم لا يحصر، ولو ملأ منه كل دفتر، من الأزل إلى الأبد، ومنه يعلم كثرة العوالم التي أشار إلى بعضها عارف العوارف العارف السيد أحمد الرفاعي قدس سره بقوله: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعرف ثمانين ألفاً أمة الدنيا والآخرة عالم واحد منها ويخلق ما لا تعلمون.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

في كتابه «الأسئلة النفسية» قوله، وهو السؤال الثلاثون: وسألني ما الحكمة في

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب الحث على ذكر الله، حديث رقم (2675) [4/ 2061] ورواه ابن ماجة في السنن، باب فضل العمل، حديث رقم (3823) [2/ 1255].

كون القبلة هي البقعة الشريفة التي هي قلب الأرض وسرتها؟ مع كونها أشبه بالصنم، وأمثل بالعلم. وكون المؤمن أفضل عند الله منها؟ كما ورد.

ولذا قال بعض العارفين، رضي الله عنهم أجمعين: ما معناه لو كان الدين بالرأي لكان التوجه إلى القطب الغوث أولى، لأنه الكعبة الحقيقية ومحل نظر الله في هذا العالم، ولم يكن الاستقبال لسيد أولي الجلال، الجامع لشريف الخلال، الذي هو كعبة أهل الوصال، وقبلة أولي الاتصال، المتحلي بنعتي الجلال والجمال، والحاوي لكل كمال بكمال، محمد الذات والخصال، ﷺ في كل حين وحال؟ ولم كانت من هذا الهواء والتراب ولم تكن مما سواهما؟ ولم نهى سبحانه عن عبادة أصنام، وجعل شبهها قبلة للأنام؟ وما السر الذي حازت به هذا الشرف، وسمت به على أعلى الغرف؟.

فقلت: لله دَرُّكَ أيها السائل، فكم لك من فواضل وفضائل، فأعظم بك ومسائلك، وأكرم بأبحاثك وقلاقلك، فلقد رقيت مرقى أسمى، وسموت سمواً أحمى، فلا زلت في حضرة الجناب الأحمى، ترعى في هاتيك الرحاب العظمى، فاعلم وفقك الله، وزادك من مدده وهداه، وجعلك من أخص أصفياه أن القبلة هي محل نظر الله من هذا العالم لأن كل محب نظره وتوجهه إلى ما يتوجه ويتعلق به محبوبه ومتعلق نظر الله، هو سيدنا رسول الله، لأنه محبوب الله، ﷺ فهو القبلة الحقيقية، والكعبة الشريفة الربانية، وهي قلب الأرض وسرتها، الذي هو عبارة عن البقعة المباركة.

فلذا كان التوجه إليها، لما أنه سبحانه ناظر إليها، إذ السر في السكان لا في المنزل، ولما كان ﷺ فيها وقطعة منها قبل الظهور، كان إليه التوجه المشكور، فلما أخذت منها بضعته، وأفرزت طينته، بقي التوجه على حاله إليها، وذلك لما خلع عليها، بسبب المجاورة فالجار أحق بالدار، فدار عليه المدار، ورد ذلك المدرار، بسكانها تغلو الديار وترخص، وإن لم يكتسب المجاور، فما معنى هذه المجاورة؟

هذه والله السعادة التي ما فوقها زيادة، كن مع الله يكن معك، وانخفض له ليرفعك، فافهم الإشارة، فالبغية في المغارة، فهذه الحكمة، في كون البقعة قبلة الأمة، وأما عند لب خلاصة أهل الله، فالقبلة هي سيدنا رسول الله عليه صلاة الله، الذي هو سر الحال بها. وهذا التوجه الأول المنتج للتوجه الثاني وهو مراقبة الله.

وإن قيل: إذا كان كذلك فلم أمر ﷺ بالتولي شطر المسجد الحرام الذي هو بيت المليك العلام ولم يؤمر بالتوجه إليه لكونه المقصود؟ قلت: لقد ربط الحكيم الأمور بأسبابها كما قال تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البَقَرَة: 189] ومن عادة الحكيم الكريم إذا وهب لا يرجع، وإذا أعطى لا يمنع، ألا ترى السلطان إذا خلع على أحد شيئاً لا يرجع فيه، ولا يجري ذلك على فيه، مع أن المخلوع عليه، لا يشهده إلا به كل من لديه؛ حتى لو ذهل عن ذلك السر، لما سوى قلامة ظفر، مع كون السلطان، بنفسه يتوجه لمن خلع عليه القطفان، في ما يتعلق به من مصالحه ومآرب الإخوان. فتفهم. فأنت الولي المكتم، والعليم المطلسم، فافهم وإلا فتفهم. وأما عدم جعله ﷺ قبلة، فلأنه لو جعل قبلة لدخل واجب حقه في واجب حق الله تعالى، وأدى ضمناً.

وذلك تساهل بشأنه ﷺ مع كونه بالمحل الأعلى والمكان الأرفع، فلا بد من اختصاصه وتمييز واجبه كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشَّرح: 4] وفي الخبر «**فلا أذكر إلا وتذكر معي**»[1] ولذا أمرنا بالشهادتين مع كون أحدهما متضمناً للمعنيين إذ من معنى لا إلٰه إلا الله لا كمال إلا الله. ومن الكمال إرسال رسول الله ﷺ، لكن لما كان محبوب الله، ومن عادة المحب أن يحب للمحبوب مثل ما يحب لنفسه، بل أزيد، ميز بتلك التمييزات، وخصه بتلك الاختصاصات، حتى لقد أدرج حقه في حقه في بعض الأمور كما جعل مبايعته مبايعة الله، وطاعته طاعة الله، وأذاه أذى الله، وهكذا وهذا هو الوجه.

وإن قلت: أنت جعلته القبلة ابتداءً وأن البيت اكتسب ذلك منه، وإنه عند لب أهل الله هو القبلة، وهذا ينافي ما ذكرته هنا. قلت: لا منافاة. لأن ذلك قبل الظهور، والعادة جارية بذلك، وأما بعد الظهور فلا بد من تمييز مقامه، وأما على مذهب أهل الله فهو أيضاً من البطون فلا بد من الاندراج ألبتة. وأما كونها من الهواء والتراب، فلأن الهواء محرك والتراب مسكن، فالهواء يحرك إليها والتراب يسكن لها، فأحدهما جاذب، والآخر له طالب، وأيضاً الجنسية علة للضم، مع كونها أصلاً لكل إنسان تكرم، ولم تخلع هذه الخلعة لغيرها لعدم المجاورة إذ ذاك، ولتحملها ما لم يتحمله غيرها من الجمادات. فضلاً عن النبات والحيوانات، فتجلي

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

العظيم، لا يتحمله إلا الجسم، وتحملها فرع تحمله ﷺ.

وأما وجه جعل القبلة شبه الصنم، هو أن العادة أن الحكيم لا يرسل إلى قوم من جنسهم، ولا يأمرهم إلا بما يلايم ميل نفوسهم، تأليفاً لهم وملاطفة بهم، ولما كانت الأصنام مألوفهم وعلى طبق مرادهم وعبدوها ليتقربوا بها إليه كما قال سبحانه حاكياً عنهم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: 3] وهي دعوى منهم وإلا فلو صدقوا بالله لحقوا، فلذا سبحانه شرع لهم التوجه للقبلة الشبيهة بذلك كما باتباع الأمر تصدق الدعوى، وتحقق الرجوى، لصدق رغبتهم في حبها، وميل طبعهم إليها، وهكذا العادة في كل شيء لا بد من الواسطة الرابطة الجنسية، لأنها علة الضمية، وعن هذا بعض العارفين البيت حجرة، والعبد مدرة، فربط الحجرة بالمدرة لكن هذا شأن أولى القصور، والمدفون بهاتيك القبور، أما من رمى ببصره إلى فوق، وكان من أهل النظر والذوق، فمطمح بصره، الساكن بقصره، كما قال مجنون ليلى:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

وعن هذا ردعت بعض الصادقات الجنيد قدس سرهما لما رأته طائفاً بالبيت بقولها: تطوف بالبيت أم برب البيت؟ فقال: بالبيت. فولت، ولسهام زجرها تولت.

وقالت رافعة رأسها إلى السماء: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار. وقال بعضهم:

يطوف بالبيت قوم لو بمعرفة ... بالله طافوا لأغناهم عن الحجر

وأما السر الذي حازت به هذا الشرف فهو مجاورتها للطينة المحمدية. وخلعها عليها تلك الأنوار والأسرار المصطفوية. ولأنها أول متحرك وساكن، من هاتيك المساكن، ولأنها كالقلب الذي هو سلطان الجسم، ولأنها أول مجيبة لنداء الحق لما قال للسمٰوات والأرض ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصّلَت: 11] والحق في هذا ونحوه اصطفاء الله سبحانه واجتباؤه كما قال تعالى ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾ [الحَجّ: 75] أي يجتبي فالحق في الدليل، أن أفعال الجليل، لا تعلل بالتعليل، كاختياره للسيد النبيل، ﷺ لكن قد تظهر بعض الحكم المناسبة، فنقول المشارقة هم من المغاربة، وجل من لا يسأل عما يفعل، وتعالى من لا يسهو عن شيء ولا يغفل، وهو الذي أحاط بكل شيء علماً وما ودع لغيره إلا رسماً، بل لا شيئاً ولا اسماً، كما قال: ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

ومن جواهر الإمام
العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

في كتابه «الأسئلة النفيسة» المذكور وهو السؤال الثاني والثلاثون قوله: وسألني الولد بغير مين، المصغر المكبر حسين، ابن علي بن عبد الشكور الطائفي العاكف، أمن من المخلوف، وهو ما صورته ما الحكمة في كثرة مظاهر الجلال، على مظاهر الجمال، حتى كان الإسلام كالشعرة البيضاء في الثور الأسود وحتى كثر الملائكة على كرات أضعاف المخلوقات وعظم خلقهم حتى أن بعضهم ليزيد على ملء السمٰوات والأرض وحتى كان ضرس الكافر كأحد في النار حتى عظم حياتها وعقاربها وغير ذلك، وهلا استوى الجلال والجمال لأنهما نعتان للفرد القديم، فكيف يتفاوتان مع اتحادهما؟ حتى في المبنى، ومع اتساع دوائر الجمال، كما قال تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء، ورحمتي سبقت غضبي، إن الله واسع حكيم... وغير ذلك.

فقلت: أيها السائل مهلاً. فليس الأمر سهلاً، وما أنا له أهلاً، وإنما أذكر لك من بعض خرافاتي، في الماضي والآتي، فأقول: بحسب عقلي المعقول، لا من منقول ولا معقول. ولكن استمد من حضرة الرسول ﷺ لا شك أن الجلال من الجلالة وهي العظمة والكبرياء والجمال من الجمالة وهي اللطافة والحسن فمظهر كل من النعتين، بحسب ما احتوياه من المعنيين، وإن اتحد عدد حروف المبنيين، لأن الكبرياء والعظمة يقتضيان كبر دائرتهما وعظمها اللازمان للكثرة، واللطافة والحسن يقتضيان صغر دائرتهما ووسعها لكونها مطلوبة مرغوباً فيها، ومن هٰهنا وسعت الرحمة كل شيء وسبقت على الغضب، لأن الكل لها في الطلب، وهذه الرحمة هي محمد ﷺ كما قال سبحانه في أزله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] أي في إيجادهم وإمدادهم، إذ هو أصل الكل، ومنه انشقت جميع العوالم كما صرح بذلك الحديث في خطاب الحضرة لآدم عليه السلام: «**ولولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً**»[1]... فلولا الأصل لما وجد الفرع. ولا شك أنه ﷺ الجوهر الفرد البسيط، فانظر إلى هذا الفرد اللطيف كيف وسع جميع الكثائف، مع أنه فرد واحد. وهكذا فقس.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

وحكمة كبر دائرة الجلال هي: أن اللام فيه أكبر من الميم في الجمال وأسرار الإلٰه في الأشياء بحسبها، فإن الحكيم لا يفعل شيئاً، قلَّ أو جلَّ إلا لحكم تحير دونها العقول، ويقصر عن درك أدناها المنقول والمعقول، وعن هذا قالوا: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وهم وإن اقتصروا في ذلك على العدد، لأنهم ليسوا فيه من آل شريف المدد، فعند آله الزيادة بالعظم تدل على زيادة الإفادة كما هي في العدد، بل تكبر عنها في المدد، فإن مائة ألف ذرة لا تعظم بكثرة عددها على الجمل، فضلاً عن الجبل، ولو كان هو واحداً فتدبر نعم والميم وإن كانت لاماً إذا حل ربطها لكن هي لطيفة، فتسري في دائرة الكثيفة، وهي ميم محمد ﷺ التي هي ميم الرحمة التي وسعت كل شيء، وتدبر في حكمة ربط رأسها وحل ذيلها تجد الحكمة التي أشار إليها حديث: «**إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة**» الحديث: «**وأخر تسعاً وتسعين للآخرة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة**».

فانظر كيف ضمها أولاً إلا واحدة وأطلق الكمال آخراً كالميم التي هي مبدأ اسم محمد ﷺ ضم أوله وفتح آخره فضم أوله في ابتداء إيجاده فكان فرداً آلافاً من السنين ثم فتح آخره وهو الدال ففاض المدد بالإيجاد والإمداد لجميع العباد، ومع هذا فالضم إلى حين الشفاعة العظمى فينفتح ولا ينضم. وتأخذ الدال دولتها، وتصول صولتها.

ومن جواهر العارف بالله سيدي السيد عبد الله ميرغني

قوله في كتابه «الأسئلة النفيسة» المذكورة وهو السؤال الثالث والثلاثون، وسألني: ما معنى البيت الأول من البيتين اللذين أنشدهما لسيد الكونين ﷺ السيد الشريف الطباطبي مناماً تسلط عليه الأمير قرقماش الشعباني وأخرجه من خلوته. وهما:

يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى أنه نار قبس
لا أوالي الدهر من عاداكم إنه آخر سطر في عبس

وما وجه نسبتهم إلى الزهراء؟ وإلى النور الذي هو عبارة عنه ﷺ وترك نسبتهم إلى أبيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما هو قاعدة الشرع الأطهر؟ وما هذا النور الذي هو عين النار التي ظنها موسى عليه الصلاة والسلام فنودي منها ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: 12] فبين لي ذلك وأوضح، وزد في ذلك وأفصح.

فقلت: ما قاله ﷺ هو عين الشرع إذ قد صرح العلماء بأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا والآخرة وإن من خصائصه ﷺ أن كل بني أب ينسبون إليه إلا أولاد علي. وأثبت الحنفية الشرف لأولاد البنت لكون أصله كان كذلك. وفي الحديث: «**إن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب**»[1].

وروي نحوه من طرق. وفي غيره «**إن لكل بني أب عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم فهم عترتي خلقوا من طينتي ويل للمكذبين**»[2] الحديث وصح من عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي**»[3].

وفي رواية «**زيادة الصهر والحسب وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما عدا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم**»[4] إلى غير ذلك من الأحاديث. فهذا وجه نسبتهم إليه وإلى الزهراء وترك نسبتهم إلى علي رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

ولا شك في الشرع أن كل شيء ينسب إلى أصله الحقيقي وهو ﷺ الشارع المشرع وعنه كان كافة الناس لا ينسبونهم إلا إليه ﷺ لا إلى علي فيقولون أولاد الرسول ولا يقولون أولاد علي إلا نادراً، حتى كأنه لم يكن له سهم في أبوتهم أصلاً.

وأما النور فهو النور الخاص، الذي هو باد من تجلي شمس ذات الاختصاص. المشار إليه بقوله سبحانه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النُّور: 35] والمصرح به حديث «**أنا من نور الله والمؤمنون من نوري**»[5].

وما في حديث جابر «**إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره**»[6] فهذا هو النور الذاتي، ومنه النور الصفاتي، ولا شك أن النور أثر النار، فلما رؤي ظن أنها

---

(1) رواه الطبراني في الكبير عن جابر رضي الله عنه، حديث رقم (2630) [3/ 43] ورواه الديلمي في الفردوس عن جابر برقم (643) [1/ 172].

(2) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ذكر من اسمه عبد الله [36/ 313].

(3) أورده المتقي الهندي في كنز العمال من حديث أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما، حديث رقم (37589) [1/ 269] وعزاه إلى أبي نعيم في المعرفة.

(4) رواه الطبراني في الكبير، بقية أخبار الحسن بن علي، حديث رقم (2631) [3/ 44].

(5)، (6) هذا الحديث سبق تخريجه.

هي لأنها السبب الظاهر، فنودي من جانب السبب الحقيقي الباطن أني أنا ربك فلا يقف بك عزمك عند ما يشهد حزمك. وما أحسن تعجيز وتصدير العارف المعرف الرائي، الشيخ أحمد بن ربيعة الحسائي، كان الله له في المرائي، حيث قال:

يا بني الزهراء والنور الذي ... هو نفس القدس في عين النفس

وتجلي الذات في المعنى الذي ... ظن موسى أنه ناء قبس

لا أوالي الدهر من عاداكم ... بل له في النازعات المنتكس

في لظى أعضاؤه قد كورت ... إنه آخر سطر في عبس

تنبيه اعلم أنه ﷺ هو النور الذاتي فقط، لأن الذات فرد جامع فمظهرها لا يكون إلا فرداً جامعاً ليس له نظير، كما ليس لها نظير إذ لا يظهر في المرآة إلا وفق المرئي، وقد قال ﷺ: «**المؤمن مرآة المؤمن**»(1) أي هو ﷺ مرآة ربه التي ظهر فيها، وبه قطعنا بأنه من نور الذات، أي من تجليها فقط، وأن غيره من نور الصفات، أي تجليهم، وإن تجلي الذات الحقيقي نختص به ﷺ ليس لغيره فيه مقدار خردلة.

هذا هو مذهبي وإن صرح الأكابر في كتبهم بما لا يحصى. فحصول تجلي الذات لغيره إنما هو تجلي مجازي صوري صفاتي حقيقة إذ ليس في استعداد غيره أصلاً قدرة التجلي الذاتي الحقيقي، وإذا علمت هذا فاعلم أن ما كان بالذات لا يكون إلا كاملاً ألبتة طاهراً مطهراً لأن ما بالكامل كامل ضرورة وإن اعتراه طارئ فلا بد من التطهير أولاً فأولاً. وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] ثم قال العارف بالله الشيخ أحمد زروق كان الله في نصيحته: وقال بعض العلماء: يعتقد في أهل البيت أن الله تعالى متجاوز عن جميع سيآتهم لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم، فلا يحل لمسلم أن ينتقص أعراض من شهد الله بتطهيرهم وذهاب الرجس عنهم، وما يحصل من بعضهم من الظلم والجور نزل منزلة القضاء الوارد من الله تعالى كالغرق والحرق ونحو ذلك إذ لهم من الحرمة ما لسيدهم الذي نسبوا إليه انتهى.

---

(1) رواه أبو داود في السنن، باب في النصيحة، حديث رقم (4918) [4/ 280] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب في الشفاعة. .، حديث رقم (16458) [8/ 167].

ومما قررته سابقاً يقطع بأنه لا يقاس عليه غيره من الأنبياء ولا أولادهم على أولاده ﷺ وعليهم لأن هذا أمر خصه الله به وبذريته بسببه، فلا أحد يلحق به. وفي الحديث: «**نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد**»[1] أخرجه الملا.

فإن قلت، قد وردت أحاديث مقتضية لوقوع نقص وكفر كحديث «**إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي، وليس كذلك إن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا**»[2].

وصحح الحاكم حديث «**وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم**»وإنه ﷺ لا يغني عنهم من الله شيئاً ونحو ذلك.

قلت: وأيضاً وردت أكثر منها وأعظم في أضداد وأزيد من ذلك، وإنما هو رد ذلك لأجل الإنذار والإرشاد وعدم الاغترار، كيف ومع القطع بالاتصال يستحيل معه الانفصال ولنمسك العنان، لئلا يجري البنان، بكشف العيان، فيبوء بالخسران، من لم يكن من أولي الإيقان؟ وفيما ذكرناه كفاية، لسالكي سبل الهداية، ونهاية لعارفي نهج النهاية.

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس عن أنس برقم (6838) [4/ 283].

(2) رواه البزار في المسند، من حديث رفاعة بن رافع، حديث رقم (3725) [9/ 176].

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العارف بالله الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان القادري المدني المتوفى فيها سنة 1189هـ رضي الله عنه(*)

ومن جواهره رضي الله عنه

[رسالته في التوجه الروحي]

رسالته في التوجه الروحي له ﷺ وهي من أجل الرسائل العرفانية فقد اشتملت على مقدار جليل من الفضائل المحمدية وفي كلام سيدي عبد الكريم الجيلي في كتابه «قاب قوسين» ما يؤيد جميع ما ذكره فيها وهذا نص المقصود منها:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله الذي جعل محبته ﷺ مبنى أساس الإيمان، وباب المعرفة وسر الإمكان، من نوره الشريف تصورت جميع الصور، ومن فيضه العلي استمد البشر والشجر، فهو الأب الأصلي والختم الحقي، الداعي إلى الحق بالحق، به ظهرت الموجودات، ومنه تفرعت الممكنات إذ هو صاحب رياسة لولاك، وقلب قوسي الوجود وعروة الاستمساك، فبالصدق في محبته ﷺ يحصل للعبد سؤاله، وبالاضمحلال في نوره الباهر يتم وصوله، المخاطب بالنور المبين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذه رسالة لطيفة، وكلمات ظريفة، لتضمن التوجه الروحي إليه، ﷺ جمعتها وأطلب من المولى الانتساب إليه. والاندراج فيه والقبول لديه، وحسن التوجه إليه في الحركة والسكون، والصدق في الظاهر والمكنون ورتبتها: **مقدمة**:

(*) محمد بن عبد الكريم المدني الشافعي، الشهير بالسمان: صوفي، فاضل من أهل المدينة. مولده ووفاته فيها سنة (1130 ـ 1189هـ = 1718 ـ 1776م).
له كتب، منها: (الفتوحات الإلٰهية في التوجهات الروحية) و(النفحة القدسية) و(الاستغاثة) و(مختصر الطريقة المحمدية) ولبعض مريديه (درة عقد جيد الزمان في مناقب الشيخ محمد السمان) و(الدرر الحسان في مناقب السمان) كلاهما في الظاهرية (5245).

محتوية على شأنه الشري، وعلو قدره المنيف، وثلاثة فصول:

الأول: في تصوراته الشريفة ونبذة في الطريق الموصلة للرحمٰن. **الثاني**: في مشاهد وقعت للمؤلف على سبيل التحدث بالنعم وبشرى للزائرين من الإخوان. **الثالث**: في بعض شمائله ﷺ الحسان.

والله أسأل أن ينفع بها المحبين والإخوان. ويجمعنا من عباده الصالحين المنسوبين لسيد ولد عدنان، فإنه الموفق للسداد، والهادي إلى طريق الرشاد.

مقدمة: اعلم وفقك الله وإيانا . ولا أخلاك من أنسه ولا أخلانا، أن النبي ﷺ واسطة الله بينه وبين عباده وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»(1) وقد شهدت الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين قبل ظهوره بأنه صاحب كمالاتهم في ترقياتهم، وعلموا علو شأنه عليهم في مكاناتهم. واستمد الجميع به في ذواتهم، وإلى ذلك الإشارة في إمامته بهم فوق السمٰوات فهو إمام الأنبياء وقدوة الأولياء صورة ومعنى ﷺ.

واعلم أنه ﷺ لما تنزل من الحضرة الأحدية إلى الحضرة الواحدية ظهر فيها بحقائق ظهور الاسم بالمسمى والصفة بالموصوف وفي كل معنى من معاني الكمالات التي لا تشير بحقيقتها إلا إليه، ولا تدل بهويتها إلا عليه، فلو تحقق أحد بكمال من تلك الكمالات المشار إليها، كان عطفاً عليه لديها.

وتقرير هذا الكلام هو أنه لو تحقق مثلاً ألف نبي وألف ولي كامل بالحقيقة النورية حتى صار كل منهم نوراً مطلقاً ثم أطلقت اسمه النور ولم يقع هذا الاسم إلا عليه، ولم تسبق هذه الصفة إلا إليه.

ولهذا سماه الله في كتابه العزيز بالنور دون غيره. وسر ذلك أن الأنبياء إنما تحققوا بهذه الصفة وهو ﷺ حقيقة هذه الصفة وكم بين حقيقة الشيء وبين من تحقق به فافهم.

الفصل الأول: اعلم يا أخي طهرني الله وإياك أنه لا يمكن لأحد أن يدرك حقيقة كنهه ﷺ إلا بمتابعة شريعته ولا يدرك سر الحقيقة المحمدية والتصورات الأحمدية إلا بعد خوض بحر المحبة كما قال بعض الكاملين من المشايخ المتقدمين

(1) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر.

خضت بحراً وقفت الأنبياء على ساحله يعني بذلك بحر الشريعة التي هي مخصوصة بالنبي ﷺ دون غيره من الأنبياء. ولهذا من تحقق بالسنة المحمدية ظاهراً وباطناً خاض بحر الحقيقة المحمدية التي خاضها هو وأمثاله بكمال الاتباع المحمدي صورة ومعنى لأخذه الأشياء من الله تعالى في بعض حضرات بالقابلية المحمدية.

فإذا علمت ذلك وتحققته فتعلق بحبل جنابه، ولازم الوقوف ببابه، فإن قلت لا أدري كيف هذا التعلق بهذا الجناب؟ والملازمة بهذا الباب. قلنا: إن التعلق بالجناب المعظم ﷺ على نوعين.

النوع الأول: التعلق الصوري بالجناب النبوي وهو على قسمين:

الأول: الاستقامة على كمال الاتباع له بمواظبة ما أمر به في الكتاب والسنة قولاً وفعلاً واعتقاداً على ما ذهب إليه الأئمة الأربعة الشافعي ومالك وأبو حنيفة وابن حنبل رضي الله تعالى عنهم، إذ وقع إجماع العلماء المحققين بأنهم أئمة الحق وهم الفرقة الناجية يوم القيامة إن شاء الله تعالى ومن كمال هذا القسم من الاتباع الصوري أن يعتمد فعل عزائم الأمور ولا يركن إلى الرخص فإن الله أمر النبي ﷺ بارتكاب العزائم في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35] وقد ذكرهم سبحانه بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: 13] وهو ﷺ خامسهم وسيدهم فينبغي للتابع الكامل الاتباع أن يأتي بعزائم الأمور ولا يقف مع الرخص، فإنه مقام الإسلام ونحن نطلب لك ما نطلبه لأنفسنا من مقامات القرب والصديقية. وشرائطها اتباع النبي ﷺ في ارتكاب العزائم، ولن تقدر عليها ما ينبغي، إلا بعد معرفة النفس ودسائسها وعللها. ولا تعرف ذلك إلا بواسطة شيخ من أهل الله بذلك على ذلك جميعه ويعرفك ما هو اللائق بك في كل زمان من الأقوال والأحوال.

ألا ترى أن النبي ﷺ كان في بدايته يتحنث بغار حراء الأيام الكثيرة فلما انتهى وعظم شأنه ترك التحنث وقعد مع أصحابه طول السنة ما عدا الأواخر من رمضان. واعلم أنه لا يتحقق للطالب معرفة ما هو اللائق به إلا بواسطة شيخ مرشد يدله على الطريق الأقوم، أو بواسطة جذب إلٰهي كاشف له عن ذلك، وليس لنا مع المجذوب كلام فينبغي لك أن تسعى بطلب شيخ كامل يدلك على معرفة الله بتعريفه لك بنفسك، فإذا وقعت عليه فلا تخالف أمره ولا تفارق وضعه ولو قطعك البلاء إرباً إرباً واحذر من أن تعصيه وأن تكتمه شيئاً من أمرك فلو قضى عليك الله بمعصية ينبغي أن تعرضها

عليه ليسعى في دفع المقتضى لذلك بمداواتك بما يعرفه من أمرك أو بالشفاعة والالتجاء إلى الله في حقك ليزيل عنك وخامة تلك الزلة، فإذا لم يتفق لك الوقوع على رجل من أهل الله فالزم طريقهم.

وجملة شروط الطريق إلى الله تعالى أربعة أشياء: فراغ القلب عن الميل إلى ما سوى الله تعالى في الدنيا والآخرة، والإقبال على الله بالكلية بالصدق والمحبة المنزهة على العلل من غير فتور ولا التفات ولا ملل ولا طلب عوض، ودوام المخالفة للنفس في كل ما تطلب من الأمور التي تتعلق بمصالحها دنيا وأخرى وأعظم المخالفات للنفس ترك ما سوى الله خطوراً واعتقاداً وعلماً، ودوام الذكر لله تعالى بالنظر إلى جلال الله وجماله سواء كان ذكر اللسان أو القلب أو الروح أو السر أو الجملة، وقد تكلم العلماء الراسخون والمشايخ المتقدمون والأولياء الصالحون في ذلك وأوضحوه في كتبهم فلنمسك العنان ونقتصر على هذا البيان، ولنرجع إلى ما نحن بصدده وهو التصور جعلنا الله تعالى من أهل التصور والتصديق، في هذا الطريق.

الثاني: أن تتبعه ﷺ بشدة المحبة حتى تجد ذوقها في وجودك جميعاً.

النوع الثاني: التعلق المعنوي بالجناب المحمدي وهو على قسمين:

الأول: اعلم يا أخي بلغنا الله وإياك استحضار صورته ﷺ والتأدب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة فإن لم تستطع فاستحضر الصورة التي رأيتها في المنام.

فإن لم تكن رأيته قط في منامك فاذكره. ففي حال ذكرك له ﷺ تصور كأنك بين يديه متأدباً بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء. فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته لأنه متصف بصفات الله تعالى وهو سبحانه وتعالى جليس من ذكره وللنبي ﷺ نصيب وافر من هذه الصفات لأن العارف وصفه وصف معروفه فهو ﷺ أعرف الناس بالله تعالى.

الثاني: من التعلق المعنوي استحضار حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال الجامعة بين الجمال والجلال المتحلية بأوصاف الله الكبير المتعال والمشرقة بنور الذات الإلٰهية في الآباد والآزال فإن لم تستطع فاعلم أنه ﷺ الروح الكلي القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحديث، فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتاً وصفات. لأنه مخلوق من نور الذات جامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكماً وعيناً ومن ثم قال الله تعالى في حقه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النّجم: 8-9].

وإنما كان ﷺ برزخاً بين الحقيقة الحقية والحقائق الخلقية لأنه حقيقة الحقائق جميعها. ولهذا كان مقامه ليلة المعراج فوق العرش، وقد علمت أن العرش غاية المخلوقات إذ ليس فوق العرش مخلوق فعند استوائه ﷺ فوق العرش كانت المخلوقات تحته بأسرها وربه فوقه، فصار برزخاً بالمعنى، لأنه موجودون من الحق والخلق موجودين منه، فهو متصف بكلتا الصفتين من كلتا الجهتين صورة ومعنىً وحكماً وعيناً كما قال ﷺ الحديث المتقدم في أول الرسالة: «**أنا من الله والمؤمنون مني**»[1] فإذا علمت ما ذكرته لك سهل عليك تصور هذا الكمال المحمدي إن شاء الله تعالى.

واعلم وفقنا الله وإياك وأذاقنا من هذا المشرب الصافي ومن تبعه من أهل الصفا والوفا من الزائرين اللائذين بقبر المصطفى ﷺ وعلى آله أجمعين. أن الحقيقة المحمدية ظهوراً في كل عالم يليق به فليس ظهوره ﷺ في عالم الأجسام كظهوره في عالم الأرواح لأن عالم الأجسام ضيق لا يسع ما يسعه عالم الأرواح. وليس ظهوره في عالم الأرواح كظهوره في عالم المعنى فإن عالم المعنى ألطف من عالم الأرواح وأوسع. وليس ظهوره في الأرض كظهوره في السماء، وليس ظهوره في السماء كظهوره عن يمين العرش، وليس ظهوره عن يمين العرش كظهوره عند الله حيث لا أين، ولا كيف؟ فكل مقام أعلى يكون ظهوره فيه أكمل وأتم من المقام الأول، ولكن ظهور جلالة وهيبة يقبلها المحل حتى أن يتناهى إلى محل لا يستطيع أن يتراآه فيه أحد الأنبياء والملائكة والأولياء وذلك معنى قوله ﷺ: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»[2] فارفع همتك يا أخي لتراه في مظاهره العليا لمعانيه الكبرى فإنما هو فافهم الإشارة. وأوصيك يا صفي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ولو كنت في أول أمرك متكلفاً في الاستحضار فمن قريب تآلف روحك به فيحضر لك ﷺ عياناً تجده وتحدثه وتسأله وتخاطبه فيجيبك ويحدثك ويخاطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم إن شاء الله تعالى. قال ﷺ: «**أكثركم علي صلاة أقربكم مني يوم القيامة**»[3] وكثرة الصلاة عليه تفيد بالصورة الروحانية تعشقاً يوجب

---

(1) سبقت الإشارة إلى هذا الأثر.

(2) هذا الأثر سبق تخريجه.

(3) ورد بلفظ: «إن أولاكم بي يوم القيامة أكثركم علي صلاة». رواه أبو يعلى في المسند عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم (5080) [9/ 13] ورواه البزار في المسند، عن عبد الله بن مسعود برقم (1446) [4/ 278].

زيادة المحبة ودوام الذكر له ﷺ ولأجل ذلك يقرب إليه ويكون عنده ويحشر معه، فإذا كان هذا نتيجة الصلاة عليه باللسان فما يكون نتيجة الصلاة عليه بالقلب فالروح فالسر هل يكون إلا معه عند الله تعالى؟ لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه ﷺ الفوز بالقرب بالمكان وهو الجنة ونتيجة العمل الباطني وهو التعلق والإقبال ودوام استحضار صورته ومعناه الفوز بالقرب بالمكانة فهو عند الله قد نزل في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف فافهم الإشارة تقع على البشارة.

واعلم أن الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله سكن وثبت وجوده عند ذكره تعالى. وكلما ازدادت معرفته في رسول الله ﷺ اضطرب وظهرت الآثار عند ذكر النبي ﷺ وذلك أن معرفة الولي لله إنما هو على قدر قابليته ومحتده في الله ومعرفة النبي ﷺ نشرت من معرفة الله تعالى على قابلية النبي ﷺ ولأجل هذا لا يطيق أن يثبت له ولظهور الآثار.

وكلما ازداد الولي معرفة بالنبي ﷺ كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الإلٰهية وأدخل في معرفة الله تعالى على الإطلاق.

بشارة: يا أهل البشارة من خصائص النبي ﷺ أن كل من رآه الأولياء من التجليات الإلٰهية لابساً خلعة من خلع الكمال فإنه ﷺ يتصدق بتلك الخلعة على الذي رآه الخلعة وتكون له هدية من الرسول، فإن كان قوياً أمكنه لبسها على الفور في دار الدنيا وإلا فهي مدخرة له عند الله يلبسها متى تقوى استعداده إما في الدنيا وإما في الآخرة وتكون هذه الفتوة له من النبي ﷺ وسلم، فكل من رأى ذلك الولي أيضاً في تجل من التجليات وعليه تلك الخلعة النبوية فإن ذلك الولي يخلع ويتصدق بها عن النبي ﷺ على ذلك الرائي الثاني وتنزل من المقام المحمدي للولي خلعة أخرى أكمل من تلك الخلعة عوض ما تصدق بها عن النبي ﷺ وهكذا إلى ما لا نهاية ولم تنزل هذه الفتوة دأبه وعادته لسائر من يراه من الأولياء أبد الآبدين، نعم هذه كيفية أخرى فتح بها وهو أن تلاحظ أنه ﷺ ملأ الكون بل عينه وأنه نور محض وإنك مغموس في ذلك النور مع تغميض عين البصر لا البصيرة فإذا حصل لك الاستغراق في هذا النور والتلاشي والغيبوبة فتتصف بمقام الفناء ومن حصل له مقام الفناء فيه ﷺ ذاق محبته وهو أحد قسمي التعلق الصوري وكيفيته كما سبق بأن تتبعه ﷺ بأشواق والمحبة حتى تجد ذوق محبته ﷺ في جميع وجودك فإني والله لأَجد محبته ﷺ في قلبي وروحي وجسمي وشعري وبشري كما أجد سريان الماء

البارد في وجودي إذا شربته بعد الظمأ الشديد في الحر الشديد.

هذا وإن حبه ﷺ فرض عين على كل أحد قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزَاب: 6] وقال ﷺ «**لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده**»(1) فإن لم تجد هذه المحبة التي وصفتها لك فاعلم أنك ناقص الإيمان فاستغفر الله وتضرع إليه وتب من ذنوبك، وتولع بدوام ذكر النبي ﷺ والتأدب معه والقيام بما أمر مع الاجتناب عما نهى، لعلك تنال ذلك فتحشر معه، لأنه قال ﷺ «**يحشر المرء مع من أحب**» إذا تحققت في مقام الفناء فيه ﷺ فليكن فناؤك عن الفناء هو المقام المحمود، فعند ذلك تلقى ما يفيض عليك منها، أي من الصورة التي ظهرت من النور وكيفية أن تلاحظ عند توجهك له ﷺ أنه هو المتوجه لنفسه حتى تتلاشى فيه، وكذلك إذا صليت عليه صلى الله عليه وسلم، لاحظ أنه هو المصلي لا أنت لأن جميع الأشياء خلقت من نوره ﷺ، وفي كل ذرة من الذرات دقيقة منه ﷺ ، وتظهر تلك الدقيقة بحسب حال الذي هي فيه وأنت شيء من جملة الأشياء وفيك سر منه ﷺ فالمتوجه له ﷺ ذلك السر الكامن فيك ولم يزل يستولي هذا السر عليك بحسب توجهك حتى تستغرق فيه ﷺ، ولم يزل كذلك من مقام إلى مقام آخر حتى ينقلب الله تعالى إلى مقام البقاء به ﷺ فعند ذلك تكون إنساناً كاملاً وارثاً للحقيقة المحمدية جامعاً للكمالات المصطفوية فاحمد الله تعالى على ما أولاك وأعطاك وكن عبداً طالباً لمقام العبودية غارقاً في بحار الأحدية، عارفاً بتصرفات الواحدية صاحب سيرة محمودة كما قال سيد السادات زدني فيك تحيراً ﷺ ما قامت بربها السموات.

الفصل الثاني: في مشاهد أفيض بها على بعض الخدام والعبيد المجاورين للسيد المجيد ﷺ.

«**أول مشهد**»: ما بين قبره ﷺ ومنبره روضة من رياض الجنة كما ورد في الصحيح وذلك كما شاهدنا من الأنوار الربانية على كلٍّ من صلى هناك مستغرقاً في بحر النور، وإن لم يلتفت وأما المبتدئ فإن الإنسان إذا صار محبوباً، أي دخل جوهر روحه هذه البرزة المثالية، أو هذه النقطة التدبيرية، فكان منظوراً للحق وللملأ الأعلى وانساق إليه أفواج الملائكة وأمواج النور لا سيما إذا كانت همته تعلقت بهذا المكان والعارف الغارق الكاملة معرفته وحالة همته يحل فيها نظر الحق لا تتعلق

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

بأهل ونسب وقرابة وأصحاب وغيرها .

ثاني مشهد: رأيت لله سبحانه وتعالى بالنسبة للنبي ﷺ نظراً خاصا كأنه من معنى لولاك لما خلقت الأفلاك واشتقت إلى تلك النظرة وأعجبني أشد عجب، فلصقت به ﷺ وتطلعت عليه وصرت كالعَرَض بالنسبة للجوهر .

ثالث مشهد: رأيت أن أتشفع إليه وأتوسل لديه ﷺ بعلماء الحديث للدخول في أعدادهم وبعلمه وحفظه على الناس لأكون عروة وثقى وحبلاً ممدوداً لا ينقطع أبداً فحسبك أن تكون محدثاً أو متطفلاً على محدث ولا خير فيما سوى دينك والله أعلم .

رابع مشهد: في حكم واقعة ظهرت بين القبر الشريف والمنبر مظهر النور وقد علا النهار وكنت جالساً قريباً من المربعة الرخام المقابلة للمنبر المعدة لمبلغي الصلاة، وكان بين يدي كتاب البخاري وليس كشكله المعروف إنما هو في النظر والنضارة أمره لا يكيف، وكذلك في الخط، وأقول فيه إنما هو بقلم القدرة وفي العظم عظيم وصرت أتعجب منه وأتأمل فيه وإذا بالنور قد غشيني فوق ما كنت أراه وإذا بالحقيقة المحمدية ظهرت والنور الأحمدي برز فعند ذلك رأَت صورة النور ومن هذا النور الصورة الشريفة ولله الحمد والمنة فبعد الاستيقاظ من الواقعة المذكورة بقيت تلك الصورة المذكورة عندي مدة من الزمن لا تغيب عني ليلاً ولا نهاراً .

الفصل الثالث: في شمائله وكماله الصوري الشاهد له بتحقيق علو المكان عندالله وهذا الكمال ينقسم إلى ثلاثة أقسام: **الأول**: في ذاته ﷺ. **الثاني**: في أفعاله كالصلاة والصيام والصدقة وأمثالها . **الثالث**: في أقواله كالكلمات الطيبة والاهتداء به إلى غير ذلك .

القسم الأول: أما ذاته ﷺ فإنها كانت أجمل الذوات وأكملها وأفضلها وأطهرها وأنورها، وصورته أجمل الصور وأعلاها وأزكاها وفي الحديث أنه ﷺ كان أجمل من يوسف عليه السلام وورد في حديث عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ على فراشه في ليلة ظلماء فسقطت من يدها إلى الأرض فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فوجدتها بنور جبينه فرفعتها .

وفي الخبر عن هند بن أبي هالة رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر أطول من المربوع وأقصر من المُشَذَّب عظيمَ الهامة، رَجِلَ الشَّعر ان انفرقَتْ عقيصته فرق وإلّا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو

وفره، أزهر اللون واسع الجبين، أزجُّ الحواجب سوابغ من غير قَرَن بينهما عرق يُدرُّه الغضب أقنى العِرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشمَّ، كثَّ اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مُفْلَج الأسنان دقيق المَسْرُبَة كأنَّ عُنُقَه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن مُتماسك سواء البطن والصدر فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللَّبَّة والسُّرَّة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شَثَنَ الكفين والقدمين سائل الأطراف وسيط القصب خمصان الأخميص مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفؤاً يمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام، متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة وإن دَقَّتْ ولا يذم شيئاً لم يكن يذم، لا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلَّبها وإذا تحدث اتصل بها فيضرب بأبهامه اليمنى راحة يده اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه، وأكثر ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

وهذا حديث(1) جامع في صفة خلقته واعتدالها وكمال نشأته الظاهرة الكاملة التي أجمع الحكماء من أهل الفراسة أن كل حلية منها دالة على مجامع الخيرات فهو أكمل خَلْق الله صورة وأعدلهم نشأة لأنه الموجود الأول الذي هو في غاية الاعتدال كمالاً وجمالاً وجلالاً وبهاء وسناء ولهذا كل من قارب هذه الخلقة الشريفة في الاعتدال كان أكمل من غيره بقدر ما أوجد الله فيه من الصفات المعتدلة الكاملة الخلقة الدالة على شرف الذات صورة ومعنى.

تنبيه: إنما أوردت لك أيها السالك المحب ذكر هذه الخلقة العظيمة الشريفة

(1) رواه الطبراني في الكبير، عن هند بن أبي هالة التميمي، حديث رقم (414) [22/ 155] ورواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في خلق الرسول ﷺ. .، حديث رقم (1430) [2/ 154].

لتتصورها بين عينيك وتلحظها في كل ساعة حتى تصبر هجيرك لتكون في درجة الصاحب له فتفوز بالسعادة الكبرى، وتلحق بالصحابة رضوان الله عليهم، فإن لم تستطيع ذلك على الدوام فلا أقلّ من أن تستحضر هذه الصورة الشريفة بما لها من الكمالات عند الصلاة عليه ﷺ.

القسم الثاني: وأما أفعاله ﷺ الرضية وأحواله الزكية فقد امتلأت الصحف بها وشهدت الأكوان بحسنها وكمالها وناهيك عن رجل كل العالم في ميزانه فإنه الذي أسس طرق الهداية، وأخرج الخلق من الغرابة، وبين الحلال والحرام، والصلاة والصيام وكل خير يوجد بين الأنام ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة فله أجر جميع الخلق، بل الكل في ميزانه، بل الكل قطرة من بحره بل الكل هو، لأنه الأصل وهم الفرع ويكفي هذا القدر من ذكر جميع أفعاله ومليح أقواله وأحواله التي هي أظهر من الشمس في رابعة النهار ويكفيك ما ورد أقدامه لطول قيامه على أنه مغفور له ومن شد الحجارة على بطنه من شدة الجوع، وقد أوتي مفاتيح حزائن الأرض قال له جبريل: أمرت أن أجعل لك جبال الارض ذهباً فأبى واختار الفقر وأتى بمال من البحرين ذهباً، . . . فصبه بين يديه وفرقه جميعاً ولم يحمل إلى بيته شيئاً وقد كان في بيته مع أهله نحواً من شهرين على الأسودين التمر والماء، صفاته الظاهرة لا تخفى على الأغنياء فضلاً عن الأذكياء جعلنا الله منهم فلنكتف بهذا القدر والله المُستعان.

القسم الثالث: وأما أقواله المفصحة عن محاسن أحواله فلا تحتاج إلى تطويل إذ جميع شرائع الإسلام مشحونة منها وناهيك بعظم مكانه قوله حيث قال الله تعالى في كلامه العزيز ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقّة: 40] قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿3﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿4﴾﴾ [النّجم: 3-4].

فانظر إلى أي كلمة شئت من حديثه تجد فيها مجامع المحاسين من كل جهة بكل حقيقة إذ هداية الخلق مقرونة بأقواله فلم يدع خيراً إلا وقد هدى الأنام إليه ولا ترك فضيلة إلا وقد نبه عليها.

ولهذا جعله خاتم الأنبياء والمرسلين لأنه قد أحاط بالتنبيه على كل دقيقة وحقيقة وأضاء بنوره كل طرقه فلم يحتج الكون إلى مرشد سواه فكان خاتم النبيين لأنه أولهم إذ كان نبياً وآدم بين الماء والطين، بل كان نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين ﷺ وشرف وكرم آمين.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العارف بالله علي دده البوسنوي[*] من لواء هرسك المتوفى سنة 1007هـ وهو خليفة مصلح الدين الخلوتي على ما في كتاب خلاصة الأثر

فمن جواهره رضي الله عنه

[كتابه محاضرة الأوائل]

قوله في كتابه «**محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر**» في الصفحة الحادية عشرة من الطبعة الميرية المصرية، أول ما تعلقت به القدرة الإلهية من عالم الخلق، وهو عالم الأجسام جوهرة قدسية نورية مسماة بالعنصر الأعظم وحقيقة الحقائق عند المحققين من أهل الله تعالى بالهيولي الكلية الجامعة المسماة بالقوة القابلة الكلية عند الحكماء وعند بعضهم تسمى بالجوهر الفرد الذي لا يتجزأ وهو المخلوق الأول من وجه وهو جوهر قائم بنفسه متحيز في مذهب وغير متحيز في مذهب وهو الأصح عند أكثر المشايخ وللموجود الأول أسام كثيرة ولشرفه اختلفت عليه الأسماء والألقاب كالقلم والعقل والجوهر الفرد واللوح والروح الكلي والحق المخلوق والعدل. قال الشيخ الأكبر: وأوصافه كثيرة لا يحصيها إلا خالقها ولكن أشد ظهور الموجود الأول في الحقيقة المحمدية والحضرة الأحمدية كأنه هي لكمال اتصافها به الله فافهم من الدرة البيضاء للشيخ الأكبر.

(*) علي دده مصطفى الموستاري ثم السكتواري علاء الدين الملقب بشيخ التربة: فاضل بوسنوي. ولد في بلدة «موستار» وتعلم بها ثم في استانبول. وقام بسياحة، فحج وزار مرات. ثم لما فتح السلطان سليمان العثماني قلعة «سكتوار» من بلاد المجر، مات بها، ودفنوه عند القلعة، أقيم علاء الدين شيخاً للتربية، فلقب بشيخ التربية. وتوفي عائداً من غزوة سنة 1007هـ = 1598م)، فنقل إلى «سكتوار» ودفن بها. له كتب بالعربية، منها: «محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر» و«خواتم الحكم» مطبوع في الدار بتحقيقنا ألفه في الحرم المكي سنة 1001هـ و«تمكين المقام في المسجد الحرام» و«مناقب مكة» في جامعة الرياض (الفيلم 20) 48 ورقة (1). انظر: (الأعلام للزركلي ـ (4/ 287)).

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[أول ما خلق الله من العناصر الكلية الجامعة سيدنا محمداً]

أول ما خلق الله تعالى من العناصر الكلية الجامعة كما قاله ابن وهب رحمه الله تعالى جوهرة مضيئة خاتم الأنبياء وعنصر سيد الأصفياء سيدنا محمداً ﷺ كفضة خاتم ونظر فيها بالهيبة فذابت وصارت ماء، وهو الذي استوى العرش عليه ثم تموج الماء واجتمع في وسط قطعة زبد فانفلقت أربع قطع فخلق من كل قطعة حرماً حرم الكعبة والمدينة والقدس والكوفة. وهو حرم رابع عند بعض المحققين. وهو المروي عن علي رضي الله عنه ولذا اتخذها على دار الخلافة وسيتخذها المهدي خليفة آخر الزمان ثم تلألأت الأرض من تلك الطينة فلما ركب آدم منها من طين تلألأت جبهته بنوره ﷺ، ثم نقل النور من صلبه إلى صلب طاهر وهكذا حتى أخرجه الله تعالى من بين أبويه ﷺ لم يلتقيا على سفاح قط كما ذكره في الشفاء وغيره، قال الحافظ الدمشقي في وصف آبائه ونوره ﷺ.

تنقل أحمد نوراً عظيماً … تلألأ في جباه الساجدين
تقلب فيهم قرناً فقرناً … إلى أن جاء خير المرسلينا

ولبعضهم:

حفظ الإله كرامة لمحمد … آباءه الأمجاد صوناً لاسمه
تركوا السفاح فلم يصبهم عاره … من آدم وإلى أبيه وأمه

وقال السيوطي:

ونحا الإمام الفخر رازيّ الورى … منحى به للسامعين تشنُّفُ
قال الأُلى ولدوا النبي المصطفى … كل على التوحيد إذ يتحنفوا
من آدم لأبيه عبد الله ما … فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة … نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب … في الساجدين وكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في … أسراره هطلت عليه الذرف
وجزاه رب العرش خير جزائه … وجزاه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان جهالة … فرق بدين للهدى وتحنفوا

زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق ما شرك عليه يعكف
صلى الإله على النبي المصطفى ما جدد الدين الحنيفي أحنف

وقال الشيخ علي دده رحمه الله. أول ما تعلقت به القدرة من عالم الأمر الإلٰهي الروح، وهو المسمى بالروح المحمدي الكلي، تكونت الأرواح منه قبل الأجسام كما أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «**أنا أبو الأرواح وآدم أبو البشر**»[1].

ومن جواهر الشيخ علي دده رضي الله عنه

[شيث بن آدم أول الأوصياء]

قوله في الصفحة الخامسة من كتابه المذكور أول وصي من أوصياء بني آدم ولده شيث عليه السلام وذلك أن آدم عليه السلام لما مات عن أربعين ألفاً من أولاده وأولاد أولاده في زمنه أوصى شيثاً أن يحكم بصحفه المنزلة عليه وأوصاه بشأن الوديعة المودعة فيه وهي النور المحمدي والسر الأحمدي، وأن يوصي ولده بعده بها ويحتفظ بمكنونها فكانت وصية جارية تنقل من قرن إلى قرن إلى أن بدا النبي القرشي الهاشمي صلوات الله عليه انتهى. من كتاب بدء المخلوقات.

ثم قال في الصفحة العشرين: أول الأنبياء خلقاً سيدنا محمد ﷺ كما قال: «**كنت أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً**»[2] وعن كعب الأحبار لما أراد الله تعالى أن يخلق جسد سيدنا محمد ﷺ جاء سيدنا جبريل بقبضة نقية بيضاء من نور الأرض من موضع قبره وكانت تلك القبضة في موضع الكعبة فغسلت في أنهار الجنة، وعجنت بماء الرحمة، وطيف بها عوالم الملكوت حتى عرفت الملائكة اسمه ونعته قبل اسم آدم بألف عام ولذا قال ﷺ «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»[2] وقال ما خلق الله تعالى من الأجسام جوهرة وقد تلألأت فكانت طينة سيدنا محمد ﷺ منها ونظر إليها بالهيبة فصارت ماء قبل أن يخلق السموات، ثم تموج الماء فخلق الأرض منه، فكان يتلألأ نور الطينة النبوية لأهل السماء كالقمر لأهل الأرض، ثم خلق من

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

الأرض طينة آدم فكان يتلألأ نوره من جبهته، وكان نوره ﷺ مع اسمه الشريف في كل موضع من الجنة وعلى نحور الحور العين وجبين الملائكة وساق العرش وأبواب السموات، وكان في الأرض في موضع قبره غالباً على نور الشمس حتى انتقل إلى جبين آدم، وقال رحمه الله تعالى أول من بدا وسرى من حضرة الكمون نور سيدنا محمد ﷺ وهو أنه لما قتل قابيل أخاه هابيل اغتم آدم بذلك فأمره الله تعالى أن يغشي زوجته وأوحى إليه قم فتطهر وتطيب وتوضأ وصل واغش زوجتك على طهارة فإني مخرج منك نوري أجعله خاتم الأنبياء وخيار الخلفاء وأختم به الزمان، فواقع آدم حواء عند ذلك فحملت لوقتها وأشرق نوره بجبينها فوضعت شيثاً عليه السلام ثم انتقل نوره ﷺ من صلب طيب إلى طاهر حتى أخرجه من بين أبويه لم يلتقيا على سفاح قط صلى الله عليهم أجمعين، وقال أول من قال بلى يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] روح رسول الله ﷺ كما أشار في الحديث المشهور «**أول ما خلق الله روحي**»[1] «**أول ما خلق الله نوري**»[1] قال أهل التحقيق لا شك أنه ﷺ مبدأ كل كمال ومنشأ خير خصال وله السبق والتقدم والفتح والختم ظاهراً وباطناً في جميع الفضائل والكمالات كما ورد «**أول ما خلق الله جوهره**»[1] يعني عنصره الشريف مقدم على عوالم العنصرية رتبة وظهوراً وروحه الأعظم مقدم على عوالم الأرواح رتبة وظهوراً وكذلك نوره مقدم في الأنوار وعقله في العقول وكماله المعبر عنه بالقلم في الكمالات فكما أن خطوط العلوم بواسطة الأقلام تصدر الأشياء بواسطة الحقيقة المحمدية كما أشار إليه بقوله ﷺ: «**إنما أنا قاسم والله معط**»[1].

خاتمة: قال الشيخ المذكور: أختم هذا الفصل الشريف في بدء الخلائق بحديث جامع من بدء خلق رسول الله ﷺ أخرجه العلماء مروياً عن جابر الأنصاري رضي الله عنه حين سئل عن بدء خلقه فقال: أول شيء «**خلقه الله تعالى نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ثم قسمه أربعة أقسام فخلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني**

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس والقمر من جزء والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والعلم والحلم والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله تعالى إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي ورسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور أرواح الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون والروحانيون من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري والعقل والتوفيق من نوري وأرواح الرسل والأنبياء من نوري، والشهداء والسعداء والصالحون من نتائج نوري ثم خلق الله اثني عشر ألف حجاب فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض فكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله تعالى آدم من الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيت فكان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم أمي آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين خاتم النبين ورحمة العالمين وقائد الغر المحجلين هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر» أخرجه الشيخ الأكبر وَمُصَنِّف كشف الكشاف[1] في شرح البردة وغيرهما من العلماء رحمهم الله فثبت بذلك أن جميع المكونات تكونت بإفاضة فيض نور رسول الله ﷺ الذي هو

(1) هو الشيخ مخلص بن عبد الله الشيخ حميد الدين الهندي الدهلوي أحد كبار الفقهاء الحنفية توفي سنة 764هـ (انظر نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، حرف الميم).

القاسم المستفيض من الفيض الأول الاقدس ﷺ.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[به ﷺ انختمت الفصول الأولية]

قوله في كتابه المذكور كتابة محاضرة الأوائل في الصفحة 149 الفصل السابع والثلاثون وفي الأوائل المختصة بالحضرة المحمدية والحقيقة الأحمدية في الفضائل الدينية الأولية والروحية والخصائص الأخروية به انختمت الفصول الأولية إذ هو خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام الأولين والآخرين صلى الله عليه وعلى آله أجمعين «**أول ما خلق الله روحي**»[1] الحديث المشهور «**أول ما خلق الله نوري**»[2] الحديث الحسن، «**أول ما خلق الله العقل**»[2] الحديث المشهور «**أول ما خلق الله تعالى جوهرة**»[1] الخبر عن ابن وهب قال أهل التحقيق الأحاديث الأربعة مشهورة على لسان الأمة والتطبيق والتوفيق عند العارفين إن خلق الله روحه، ثم من روحه الأرواح كما قال: «**أنا أبو الأرواح وآدم أبو البشر**»[3] ثم خلق نوره ثم من نوره الأنوار كما قال: «**أنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري**»[4] ثم خلق عقله الكلي، ثم خلق من عقله العقول الكلية الملكية القدسية العرشية ثم خلق جوهر عنصره قبل العناصر، ثم خلق منه الجواهر الكلية العرشية والسماوية والأرضية، والمراد من هذه الأصول الأربعة القدسية الأولية الحقيقة المحمدية والحضرة الأحمدية باعتبار النسب والتعيين والمراتب إذ هو فاتح الوجود مرتبة وإيجاداً في الجواهر العلوية السفلية والملكية والآدمية الكلية الجامعة لجميع الحقائق الإلهية الأسمائية الكلية فهو مقدم الوجود وفاتحه فجوهر وجوده هو الجوهر الكلي الجامع المحمدي في جميع الأعيان والجواهر قاله: ابن وهب نقلاً من الأخبار القدسية، أول ما خلق الله جوهرة تتلألأ طينة محمد ﷺ من بينها كفضة خاتم ونظر فيها بالهيبة

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ذكر حديث الأوائل، حديث رقم (4) [1/ 13].

(3) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(4) لم أجده في كتب الحديث وأورده إسماعيل حقي البروسوي في تفسيره روح البيان، تفسير سورة الفتح [14/ 39].

فصارت ماء يتلألأ منه نور طينته ﷺ بموضع الكعبة المعظمة، ثم خلق من الماء الأرض فتلألأت طينته منها وهي من أطيب الطين سرة الأرض ومركزها، وفي رواية خلق الله تعالى صحبي من أسفل تلك الجوهرة القدسية، وقد كان العرش خلق من نوره قبل أن يتلألأ فوق الماء ﷺ، ثم خلق الله من الأرض أبا البشر آدم كما أشار بقوله: «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**»(1) يعني يتلألأ نور الوراثة الأولية المحمدية من جبهة آدم كتلألؤ القمر ليلة البدر حتى نقله الله من صلب طاهر إلى رحم طيب، إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب كما سبق بتفاصيله في فصل البدايات، «**أول ما خلق الله القلم**»(2) قال: أهل التحقيق المراد منه القلم الأعلى باعتبار أخذه الفيض الإلهي من حضرة الغيب وفيضان الأشياء منه كفيضان الخط من المداد بواسطة القلم فسمي قلماً باعتبار إفاضته وإشارته إلى لوح العالم يسمى العقل الكلي أيضاً باعتبار تميز ذاته ومعرفة نفسه وربه ويسمى الروح الأعظم باعتبار أنه منشأ المخلوقات، وما أحسن ما أفاد وأجاد نجم الملة والدين في كتاب« **عين الحياة في تأويل القرآن**» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسرَاء: 85] الآية.

فقال قدس سره: فاعلم أن الروح الإنساني هو أول شيء تعلقت به القدرة جوهرة نورانية ولطيفة ربانية من عالم الأمر هو الملكوت الذي خلق من لا شيء وعالم الخلق هو الملك الذي خلق من شيء فالروح الأول الأعظم. هو أول المخلوقات وهو روح النبي ﷺ لقوله ﷺ: «**أول ما خلق الله روحي**»(3)، وربما يحتمل أن يكون المخلوق الأول المطلق إلا واحداً وأن الشيئين المغايرين لا يكون كل واحد منهما أولاً في التكوين والإيجاد على الإطلاق إذ لا يخلو إما أنهما أحدثا مصاحبين أو أحدثا متعاقبين فإن أحدثا مصاحبين معاً ويخص أحدهما عن الآخر بالأولية فلا يكون واحد منهما على الانفراد وإن أحدثا متعاقبين يكون المبتدأ أولاً

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2017) [2/ 173].
(2) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة حم الجاثية. . ، حديث رقم (3693) [2/ 492] وأورده أبو داود في السنن، باب في القدر، حديث رقم (4700) [4/ 225] ورواه غيرهما.
(3) هذا الحديث سبق تخريجه.

والمتعاقب آخراً فيكون الأول واحداً منهما لا محالة فتعين لنا. ووجب أن نحمل كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، على أن المخلوق الأول هو مسمى واحد له أسماء مختلفة بحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر وقد كثرت الأسماء والمسمى المعظم واحد وهو الأصل وما سواه تبع له فلا ريب في أن أصل الكون نبينا محمد ﷺ لقوله تعالى في الخبر القدسي: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[1] فهو أولى أن يكون أصلاً وما سواه تبع له لأنه كان بالروح بذر شجرة الموجودات فيلزم من ذلك أن تكون روحه عليه السلام أول شيء تعلقت به القدرة وأن يكون المسمى بالأسماء المختلفة لأن كثرة الأسماء الذاتية تدل على عظم المسمى المعظم وجوده وهو محمد ﷺ فباعتبار أنه درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما سبق في خبر «**أول ما خلق الله جوهرة**»[1].

وفي رواية «**درة فنظر إليها فذابت**»[1] الحديث. وباعتبار نورانيته سمي نوراً، وباعتبار وفور عقله سمي عقلاً، وباعتبار غلبة الصفات الملكية سمي ملكاً وباعتبار صدور الأشياء بواسطته سمي قلماً، كما أشار له الخبر الصحيح: «**الله معط وأنا قاسم**»[1] وقال: «**الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم**»[2] صلوات الله وسلامه على حبيبه وخليله وعلى جميع أنبيائه هكذا ذكره الشيخ نجم الدين الكبرى في تأويلات سورة الإسراء قدس الله روحه وأفاض علينا فتوحه آمين بحرمة سيد المرسلين ﷺ.

أول من حلت له الغنيمة رسول الله ﷺ وكانت لم تحل لنبي قبله ولذا قال: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**»[3] و«**الجهاد حرفتي**»[4] وورد في الصحيح «**أعطيت خمساً**»[5]، وفي رواية «**ستاً لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر**

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.
(2) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.
(3) رواه البخاري في صحيحه، باب ما قيل في الرماح..، [3/ 1067] ورواه أحمد في المسند عن ابن عمر برقم (4 ـ 5115) [2/ 50].
(4) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(5) هذا الحديث سبق تخريجه.

وجعلت الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة»[3] انتهى. من كتاب الشفا.

«**أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ليس عليهم حساب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي أشهراً وطيب لي ولأمتي الغنائم وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج**» انتهى. من كتاب الشفا. أول من أحل له القتال بمكة من الرسل الكرام رسول الله ﷺ لما ورد في الحديث عنه ﷺ أن الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين «**وأنها لا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار**» انتهى. من كتاب الشفا.

أول الناس بعثاً رسول الله ﷺوأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر انتهى. من الشفا. أول من يشفع الشفاعة العامة الكبرى رسول الله ﷺ لما ورد عنه في الصحيح: «**أنا سيد ولد آدم وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذٍ آدم فمن دونه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض**» انتهى. الشفا. أول من يحرك حلقة باب الجنة رسول الله ﷺ لما ورد في كتاب الشفا «**أنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتح لي فيدخلنيها معي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر**»، وقال: «**وأنا أكثر الناس تبعاً أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون صفاً من أمتي والباقي من جميع الأمم**» من الشفا. «**أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب من قريش والأنصار ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن ثم من سائر المغرب ثم العجم ومن أشفع له أولاً أفضل**»[1]، وقال ﷺ «**لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من شجر وحجر**»[2] وقال: «**لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم**

(1) أورده الهيتمي في الصواعق المحرقة، الفصل الأول في الآيات الواردة فيهم، وعزاه إلى الطبراني والدارقطني [2/ 463] وعزاه المقدسي في ذخيرة الحفاظ إلى حفص بن أبي داود عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر.

(2) أورده علي الحلبي في السيرة الحلبية، والعهد والميثاق [1/ 375].

القيامة»[1] . وقال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[2] وقال: «**آتي تحت العرش فأخر ساجداً فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه فانطلق فافعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل فافعل**»[3].

وقال في آخر الحديث: «**يا رب إئذن لي فمن قال لا إلٰه إلا الله فقال سبحانه وتعالى ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأخرجن من النار من قال لا إلٰه إلا الله**»[4] انتهى. من كتاب الشفا. أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً نبينا محمد ﷺ وكذا جاء في التوراة نقله صاحب الشفا.

وقال: ومن خصائص الأولية الأحمدية أنه ﷺ قال مرة: «**وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح الأرض فوضعت بين يدي**»[5] ومنها «**أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش**»[6] ومنها: «**قال الله**

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

(2) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، حديث رقم (228) [1/ 139] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر البيان بأن الشفاعة حديث رقم (6467) [14/ 386] ورواه غيرهما.

(3) رواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (193) [1/ 182] ورواه أبو يعلى في المسند، عن أنس بن مالك، حديث رقم (4350) [7/ 311] ورواه غيرهما.

(4) رواه البخاري في الصحيح، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة. . ، حديث رقم (7072) [6/ 2727] ورواه مسلم في صحيحه، باب أدنى أهل الجنة منزلة. . ، حديث رقم (193) [1/ 182] ورواه غيرهما.

(5) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد. . ، حديث رقم (523) [1/ 371] ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما بارك الله جل وعلا في الشيء اليسير من الطعام. . ، حديث رقم (6529) [14/ 463] ورواه غيرهما.

(6) ورواه أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (6981) [2/ 212] ونصه كاملاً: عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: خرجَ علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع فقال: أنا محمدٌ النبي الأميّ أنا محمدٌ النبيّ الأميّ ثلاثاً ولا نبيّ بعدي أُوتيت فواتحَ الكلمِ وجوامعَهُ وخواتمَهُ وعلمتُ كم خَزَنَةُ النّارِ وحملةُ العرشِ وتُجُوِّزَ بي وعُوفيت أمتي فاسمعوا وأطيعوا ما دُمتُ فيكُم فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتابِ الله أحلوا حلالَهُ وحرِّموا حرامهُ».

تعالى له سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلاً وكلمت موسى تكليماً واصطفيت نوحاً وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك ولم أصنع ذلك بأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبئها لنبي غيرك»[1]، ولذا قال ﷺ «**الخلق محتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم**»[2] ومنها قوله: «**إني عبد الله وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وأنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى**»[3]. وبشارة آية التوراة لمحمد حبيب الرحمٰن وهي «**وأرسلتك للناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً وأعطيت سبعاً من المثاني ولم أعطها نبياً قبلك وجعلتك فاتحاً وخاتماً**». صلوات الله الرب الرحيم على النبي الكريم صاحب الخلق العظيم شارع الشرع القويم الهادي إلى الصراط المستقيم وعلى جميع إخوانه وعترته وصحابته وورثته إلى يوم الدين آمين اللهم آمين وسلم تسليماً.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله تعالى عنه

[أسئلة من كتابه خواتم الحكم في شؤونه ﷺ]

قوله في كتابه خواتم الحكم وهو مبني على ثلاثمائة وستين سؤالاً عن حكمة بعض الأشياء وجوابها وقد أجاد فيه كل الإجادة بما نقله غيره من أئمة الدين من الصوفية والمحدثين والمفسرين وغيرهم وما أجاب به من نفسه بأجوبة مفيدة وحكمة سديدة.

---

(1) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) رواه بنحوه مسلم في صحيحه، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف. .، حديث رقم (820) [1/ 561] ورواه بنحوه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (3800) [2/ 383] ورواه بنحوه غيرهما.

(3) رواه بنحوه الطبراني في الكبير عن العرباض بن سارية حديث رقم (631) [18/ 253].

السؤال السادس والستون من خواتم الحكم: ما الحكمة في أن عظمة الحق سبحانه وتعالى أتم من كل عظيم؟ كيف لا وقد ساغ لإبليس واستطاع أن يظهر ويتراءى لكثيرين ويخاطبهم بأنه الحق طلباً لإضلالهم وقد أضل جماعة بمثل هذا حتى ظنوا أنهم رأوا الحق وسمعوا خطابه وأن إبليس لن يظهر بصورة النبي ﷺ

الجواب: أجاب الإمام الهمام الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق في شرح حديث: «**فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[1] وفي حديث آخر: «**من رآني فقد رآى الحق**»[1] : وقال: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن كل عاقل يعلم أن الحق تعالى ليست له صورة معينة توجب الاشتباه إذ هو منزه من كل الوجوه عما يوجب مماثلته للحوادث بخلاف النبي ﷺ فإنه ذو صورة معينة معلومة مشهودة ممتازة.

والثاني: من مقتضى حكم سعة الحق، إنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء بخلاف النبي ﷺ فإنه مقيد بصفة الهداية وظاهر بصورتها فوجب عصمة صورته من أن يظهر بها الشيطان لبقاء الاعتماد وظهور حكم الهداية فيمن شاء الله تعالى هدايته ورشده، وقال الإمام أيضاً: ذكر المحققون أن النبي ﷺ وإن ظهر بجميع أحكام أسماء الحق تعالى وصفاته تخلقاً وتحققاً فإن من مقتضى رسالته وإرشاده للخلق ودعوته إياهم إلى الحق الذي أرسله إليهم رسولاً هو أن يكون الأظهر فيه حكماً وسلطنة من صفات الحق وأسمائه صفة الهداية والاسم الهادي كما أخبر الحق تعالى عن ذلك بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورىٰ: 52] فهو ﷺ صورة الاسم الهادي ومظهر صفة الهادي والشيطان مظهراً لاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة فهما ضدان ولا يظهر أحدهما بصورة الآخر فالنبي ﷺ خلقه الله للهداية كما مر فلو ساغ ظهور إبليس بصورته زال الاعتماد على كل ما بيديه الحق تعالى ويظهره لمن شاء هدايته فلهذه الحكمة عصم الله صورة النبي ﷺ من أن يظهر بها شيطان.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[هل يجوز أن يكون رؤيته ﷺ في المنام]

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والستون من خواتم الحكم: هل يجوز أن يكون رؤية النبي ﷺ في المنام من القسم الثالث، من الرؤيا وهو ما يحدِّث به المرء نفسه أولاً والقسم الأول إلهام من الحق تعالى وهو الصادق. والقسم الثاني: من تخيلات إبليس ووسوسته؟

الجواب: إنه لا يجوز وبيان عدم الجواز موقوف على تقديم مقدمة وهي أنَّ الاجتماع بين الشخصية يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد خمسة أصول كلية الاشتراك في الذات أو في صفة فصاعداً أو في حال فصاعداً وفي الأفعال أو في المراتب وكل ما يتعلق من المناسبة بين شيئين أو شيئاً لا يخرج عن هذه الخمسة وتكون قوته على ما به الاجتماع وضعفه بكثرة الاختلاف وقلته وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس ومن حصل له الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء، وإذا عرف هذا ظهر أن حديث المرء نفسه ليس مما يقدر أن يحصل مناسبة بينه وبين النبي ﷺ ليكون السبب الاجتماع بخلاف الملك الموكل فإنه يمثل بالموجود ما في اللوح المحفوظ من المناسبة بالملكية لأن القسم الأول من الرؤيا ملكي هذا ما حققه الإمام الأكمل في شرح المشارق. ويؤيد قول الإمام ما حققه المحقق القونوي تلميذ الشيخ الأكبر في شرح الحديث الأربعين قال فمن ثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل من الأنبياء والأولياء الماضين من هذه الوجوه الخمسة اجتمع بهم متى شاء يقظة ومناماً، رأيت ذلك لشيخنا رضي الله عنه سنين عديدة ورأيت بعض ذلك لغيره وأما الشيخ فإنه كان متمكناً من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء وسائر الماضين على ثلاثة أنحاء إن شاء استنزل روحانيته في هذا العالم وأدركه متجسداً في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العنصرية التي كانت له في حياته الدنيوية، وإن شاء أحضره في نومه وإن شاء انسلخ من هيكله واجتمع به حيث تعينت مرتبة نفسه إذ ذاك من العالم العلوي بحسب رجحان حكم المناسبة الثانية بين نفس

ذلك المرئي وبين بعض الأفلاك على أحكام ما بينه وبين باقي الأفلاك والعوالم من المناسبات وهذا الحال الذي ذكرته من تمكن شيخنا من آيات صحة الإرث النبوي وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزّخرُف: 45] الآية.

فلو لم يكن النبي ﷺ متمكناً من الاجتماع بهم لم يكن للخطاب من فائق عند أهل الشهود من أهل الله وأما من افتقر إلى تأويل سخيف لا تحقيق فيه قال السؤال من أهل الكتاب أقول وسمعت هذا الاجتماع من شيخنا وشاهدته منه فلله الحمد على ذلك وشيخه هو سيدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من اسمه ﷺ أربعة أحرف]

قوله في كتابه المذكور السؤال الحادي والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في كون اسم محمد ﷺ أربعة أحرف وما السر في كون اسمه على هذا الترتيب والشكل الخاص محمد؟

الجواب قال الإمام النيسابوري وهو الشيخ الكامل والعالم الفاضل الذي ذكره السيوطي في الاتقان واثنى عليه وشهد بفضله إنه كان شيخ البغداديين في وقته، أما أربعة أحرف ليوافق اسم الله تعالى وقد قرن اسمه باسمه في الشهادتين اثنى عليه بذلك بقوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشَّرح: 4] أي لا أذكر إلا وتذكر معي قال حسان رضي الله تعالى عنه:

أغر عليه للنبوة خاتم	يلوح من الله الكريم ويشهد
وضم الالٰه اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وجعل ذكره في كلمة الشهادة اثنى عشر حرفاً وهو علم المناسبة وسرها كقولنا أبو بكر الصديق اثنا عشر حرفاً وكذا عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ذكر كل واحد بنسبة اثني عشر حرفاً لكمال مناسبتهم في أخلاقهم لتلك الحضرة المحمدية، كذلك لهم مناسبة نسبية كل واحد منهم بنسبته ﷺ وأقربهم نسباً له ﷺ علي بن أبي طالب يلتقي نسبه في الأب الثاني وأبو بكر في الأب السابع وعمر في التاسع وعثمان في الأب الخامس كما ذكره أهل السير وذلك لشدة مناسبتهم

لتلك الحضرة المحمدية ظاهراً وباطناً أشار ﷺ إلى ذلك بقوله: «**علي مني وأنا منه**»[1] قال الشيخ علي دده رحمه الله تعالى أقول لو شئت لأظهرت لك الباب عجباً فالإشارة تكفي والستر أولى، وأما كونه على هذه الأحرف ليكون اسمه جامعاً باعتبار الأسرار العديدة ومناسباتها لعدد المرسلين ثلاثمائة عشر، وذلك بحساب البسط لا بحساب أبجد، وفي ذلك مراتب واعتبارات كما مر في السؤال السابق في ألم غلب الآية، وذلك إذا أخذت في الميمين والميم المدغم م ي م والحاء والدال دال يظهر لك عدد ثلاثمائة وثلاثة عشر وإذا حررت الأمر على حروف أبي جاد في حسابه ضاق عليك الأمر وقل عرفانك في الباب.

وقال الإمام النيسابوري وأما وقوع الأحرف على هذا الترتيب والشكل الخاص فقيل إن الله تعالى خلق الخلق على صورة محمد فالميم بمنزلة رأس الإنسان والحاء بمنزلة اليدين وباطن الحاء كالبطن وظاهرها كالظهر والميم الثانية مجتمع الإليتين وطرف الدال كالرجلين، وقيل في اسمه محمد ﷺ عشر خصائص إضافة الله تعالى اسمه إلى اسم نفسه والثاني خلقه على صورة اسمه وقرن اسمه مع اسمه وكتب اسمه على ساق العرش فسكن هيجانه واشتقاق اسمه من اسمه المحمود، ووافق اسمه اسم الله تعالى في عدد الحروف ووافقت كلمة لا إلٰه إلا الله كلمة محمد رسول الله في عدد الحروف أيضاً وتاب الله على آدم عليه السلام وسمي بأبي محمد لما رأى اسمه مكتوبا على أركان العرش وأبواب الجنان وجباه الملائكة وصدور الحور العين فدعا وقال اللهم بحق محمد تب علي، وفي الهند بقرب سرنديب ولد أحمر عليه مكتوب بالأبيض لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وكذا في البرية شجرة وفي البحر سمكة مكتوب عليها لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وولد في خراسان مولوداً على أحد جبينه محمد رسول الله، وصيد غزال مكتوب عليه اسم محمد أيضاً، ووجد بعض الأحجار القديمة رسم اسم محمد، وهذا مما يدلك على أن الله تعالى رفع ذكره في الأكوان، وذلك شاهد على رفع ذكره في الأعيان لأهل الإيمان والله

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرى، ذكر النبي ﷺ علي منّي. . ، حديث رقم (8453) [5/ 126] ورواه ابن ماجة في السنن، فضل علي بن أبي طالب، حديث رقم (119) [1/ 44] ورواه غيرهما.

الفياض المستعان على طريق العرفان، ولو شئت لأبرزت لك البيان من أعاجيب الأخبار في ذلك إلا أن الوقت لا يسع فوق ذلك والله الولي الفياض.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من بقاء شر الخلق إبليس]

قوله في كتابه المذكور السؤال الرابع والأربعون من خواتم الحكم لِمَ أبقى الله تعالى شر الخلق إبليس وأمات خير الخلق محمداً ﷺ؟

الجواب والله أعلم أجاب بعض العلماء بقوله لأن الدنيا خير لإبليس فأمهله تعالى لحكمة منه والآخرة لمحمد ﷺ كما قال سبحانه ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: 17] وقال تعالى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: 198] وقيل أمات خير البرية لسر الخلافة والوراثة فإن خليفة محمد ﷺ يحفظ أمته ويرث حكمته ومعرفته فيحصل للعلماء من أمته فضل الخلافة والوراثة كما أشار ﷺ بقوله «**حياتي خير لكم ومماتي خير لكم**»(1): قالوا هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «**تعرض علي أعمالكم كل عشية اثنين وخمسين فما كان من خير حمدت الله تعالى وما كان من شر استغفرت الله لكم**»(2) وقال ﷺ: «**إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله فرطاً وسلفاً**»(3)، وقيل إن محمداً ﷺ أحيا سنته وأكمل شريعته وأبقى الحق أحكامها بعده فينتقل بانتقاله إلى حضرته خيرها ويبقى إلى يوم القيامة فيتشرف بقدومه الأحياء كما تتشرف الدنيا بحياته. وقال ﷺ: «**أنزل الله علي أمانين لأمتي**» ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ [الأنفال: 33] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال: 33] **فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار**»(4) وقيل دعا إبليس لبقائه في الدنيا بقوله أنظرني فأجيبت دعوته وإنه من سنة الكفر فيرجع إليه ضره دنيا

---

(1) رواه بنحوه البزار في المسند، عن زاذان عن عبد الله، حديث رقم (1925) [5/ 308] ورواه الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة برقم (686) [1/ 183].

(2) رواه بنحوه الديلمي في الفردوس عن أنس بن مالك، برقم (2701) [2/ 138].

(3) أورده القاضي عياض في الشفا بتعريف حقوق المصطفى، في ثناء الله تعالى عليه، وإظهار. . ، [1/ 17].

(4) رواه الترمذي في السنن، باب ومن سورة الأنفال، حديث رقم (3082) [5/ 270].

وأخرى فحياته سوء ومماته سوء كما قال تعالى في حق الكفار ﴿سَوَآءً مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ﴾ [الجاثية: 21] وقيل ادخره لشقائه كيلا يتأذى بقدومه الأموات كما يتأذى بوجوده الأحياء وقيل قبض سبحانه حبيبه المصطفى ﷺ لدعائه بقوله اللهم الرفيق الأعلى فأجيب دعاؤه ﷺ وقال يوسف الصديق عليه السلام ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [يوسف: 101] .

ومن جواهر العارف الشيخ دده رضي الله عنه

[الحكمة من تسمية الله له ﷺ سراجاً منيراً]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثاني والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أن الله تعالى سمى حبيبه ﷺ سراجاً منيراً؟

الجواب قال الشيخ النيسابوري وسمي سراجاً لأن السراج الواحد يوقد منه ألف سراج ولا ينقص من نوره شيء:

فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم

نكتة تحقيق: اتفق أهل الظاهر والشهود على أن الله تعالى خلق جميع الأشياء من نور محمد ﷺ ولم ينقص من نوره شيء كما أشار ﷺ لذلك بقوله: «**أنا من نور الله تعالى والمؤمنون من فيض نوري**» وفي رواية «**أول ما خلق الله نوري**» قال رحمه الله تعالى أقول وقد بسطت القول في ذلك في كتابي محاضرة الأوائل في فصل بدء المخلوقات وفصل بيان الخصائص المحمدية فليطلب التفاصيل منه وقيل سمى الله الشمس سراجاً لأن نور السراج يضيء إلى الفوق والتحت والسموات والأرضين كلها كذلك نوره ﷺ يضيء لأمته كلهم وقيل سمي بالسراج لانه يضيء من كل جانب كذلك وهو ﷺ يضيء من جميع الجهات الكونية على جميع العوالم، وفي كتاب الشفا في تفسير قوله تعالى ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: 35] الآية قال سعيد بن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد ﷺ وقوله تعالى مثل نوره أي نور محمد ﷺ ثم قال مثل نور محمد ﷺ، إذا كان مستعداً في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره أي ﴿كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ﴾ [النور: 35] لما فيه من الإيمان والحكمة ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾ [النور: 35] أي من نور إبراهيم عليه

السلام مظهراً ونسلاً ودعوة فضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ [النُّور: 35] أي تكاد نبوة محمد ﷺ تبين للناس قبل كلامه وظهرت أنواع معجزاته قبل دعوته ونور وجوده قبل وجوده كذا الزيت، وأما تعداد أسمائه ﷺ ففيها رسائل مؤلفة لفضلاء العلماء عدها بعض الفضلاء تسعة وتسعين اسماً على عدد أسماء الله الحسنى وبعضهم ألفا ألف اسم لأن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، وأما خصائص أسمائه ﷺ ففيها رسائل مصنفة فليطلب الطالب التفاصيل منها.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ دده رضي الله عنه

[ما الفرق بين الحبيب والخليل]

قوله في كتابه المذكور، السؤال الثالث والسبعون من خواتم الحكم ما السر في أن سماه الله تعالى حبيباً وما الفرق بين الحبيب والخليل؟

الجواب: قال القاضي في كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلوات الله عليه وسلامه اختلف العلماء وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة؟ فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلاً ولا الخليل إلا حبيباً لكنه خص إبراهيم بالخلة ومحمداً بالمحبة، وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لأنها درجة نبينا محمد حبيب الله ﷺ. وأصل المحبة الميل إلى موافق المحب ولكن هذا هو في حق من يصبح الميل منه والانتفاع بالموافق وهي درجة المخلوق فأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأعراض فمحبته لعبده تمكنه لسعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وإفاضة رحمته عز وجل عليه وفائدة المحبة وسرها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصره فيكون كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره ولسانه الذي ينطق به**»[1] وأصل الخلة كما قال بعضهم معناه الاستصفاء وقيل الخليل المختص، وقيل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة، وقال أبو بكر بن فورك رحمة الله عليه الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص يتخلل الأسرار ومن هذا

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

المقام عبر بعض العارفين[1] بقوله:

قد تخللتَ مسلكَ الروحِ منّي وبذا سُمِّي الخليلُ خليلاً

فإذا ما نطقتُ كنتَ حديثي وإذا ما سكتُّ كنتَ الغليلا

إشارة لطيفة الخليل يصل بالواسطة وهو مأخوذ من قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥﴾ [الأنعام: 75] والحبيب يصل بدون واسطة مأخوذ من قوله تعالى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجم: 9] وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: 2] الآية والخليل قال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ [القَصَص: 7] والحبيب قيل له ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التّحْريم: 8] فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ [التّوبَة: 129] والحبيب قيل له: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: 62]، والخليل قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشُّعَرَاء: 84]. والحبيب قيل له ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشَّرح: 4] فقد أعطي بلا سؤال، والخليل قال: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] والحبيب قيل له ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] والخليل من اختار الله على كل شيء والحبيب من اختاره الله على كل شيء فلا يسع قلبه غير الله كما أشار لذلك ﷺ بقوله «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولانبي مرسل**»[2] وفي رواية «**غير ربي**» ووجد إبراهيم الخلة ولم يجدها أحد غيره بسببه ووجد محمد ﷺ المحبة ووجدتها أمته بسببه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي

---

(1) هو الشيخ أبو بكر الشبلي دلف بن حجدر، ناسك، كان في مبدأ أمره والياً في دنباوند (من نواحي رستاق الري)، وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة، أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، مولده بسر من رأى سنة 247هـ، ووفاته ببغداد سنة 334هـ، اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل (دلف بن جعفر) وقيل (جحدر بن دلف) و(دلف بن جعترة) و(دلف ابن جعونة) و(جعفر بن يونس). وللدكتور كامل مصطفى الشيبي: (ديوان أبي بكر الشبلي)، جمع فيه ما وجد من شعره. انظر: (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي أبو ظبي).

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 31] الآية. اللّهم إني أسألك حبك بحرمة حبيبك محمد ﷺ.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من أنه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن]

قوله في كتابه المذكور السؤال الرابع من خواتم الحكم ما الحكمة في أنه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن؟

الجواب: لأنه ﷺ لو أذن لكان كل من تخلف عن الإجابة يكون كافراً كذا أجاب النيسابوري، قال ولأنه لو كان داعياً لم يجز أن يشهد لنفسه، وقال غيره ولو أذن وقال أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله لتوهم أن ثم نبياً غيره وقيل لأن الأذان رآه غيره في المنام فولاه إلى غيره، وأيضاً كان لا يتفرغ إليه لاشتعاله بما هو أهم وقال ﷺ «**الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن**»[1] فدفع الأمانة إلى غيره وقال الشيخ عز الدين عبد السلام إنما لم يؤذِّن لأنه كان إذا عمل عملاً أثبته أي جعله ديمة وهو كان لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بتبليغ الرسالة وهذه كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه لولا الخلافة لأذن.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ العارف علي دده رضي الله عنه

[ما الحكمة من أن الله أمر أمته ﷺ بالصلاة عليه]

قوله في كتابه المذكور السؤال الخامس والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أن الله تعالى أمر أمته بالصلاة عليه وخص أمته بذلك؟ وما سر الصلاة عليه؟

الجواب: أمر الله تعالى المؤمنين بالصلاة عليه واثنى هو بعظمته وملائكته تعظيماً خاصاً وتشريفاً وزيادة تكرمة وفضيلة، وقبل السر فيها أن الله تعالى أعطاه الوسيلة عطاءً موقوفاً على دعائنا وكذلك الشفاعة، وأمرنا بالتوسل إلى شفاعته بالصلاة عليه فنحن محتاجون إلى حضرته لأنه رحمة للعالمين زينه الحق بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته على الخلق رحمة فمن أصابه شيء

---

(1) رواه أبو داود في السنن، باب ما يجب على المؤذن. . ، حديث رقم (517) [1/ 143] ورواه ابن ماجة في السنن، باب ما يجب على الإمام، حديث رقم (981) [1/ 314] ورواه غيرهما.

من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب فكانت حياته رحمة ومماته رحمة لأن صلواتنا تصل إليه وتعرض عليه فيستغفر لنا فالصلاة بينه وبين أمته هدية وتذكرة رحمانية وقيل إنما جعلت الصلاة عليه محالة على الله تعالى وإن كانت صلاتنا مدحاً له لأنا لا نستطيع القيام بحقيقة مدحه ﷺ فطلبنا من الله تعالى أن يصلي عليه، فمن قولنا اللّٰهم صل على محمد واللهم أنزل صلاتنا عليه وأيضاً معناه كما أحبت دعوة إبراهيم في ذريته فاستجب دعوة محمد في أمته وقال ﷺ: «**أنا دعوة إبراهيم**»[1] فهذا معنى قولنا اللّٰهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم ذكره الإمام النيسابوري رحمه الله، وأما سر الصلاة عليه فالصلاة رحمة خاصة به من عند الله تعالى بالذات وبواسطته على الخلق كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] ولولاه لم تخرج الدنيا من العدم إلى الوجود، وقيل الصلاة بينه وبين الله تعالى كما أول بعض العارفين قوله عليه السلام: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[2]، أي في صلاة الله تعالى عليّ وملائكته وأمره المؤمنين بذلك إلى يوم القيامة توسلاً به وتقرباً إليه وصلة منه فهذا غاية الكرامة والغبطة العظمى والفضيلة الكبرى لحبيبه المجتبى وخليله المرتضى، وقيل في صادر الصلاة إشارة إلى صفوته يعني أنه المصطفى للمحبة الخاصة من بين الأحبة والأخيار والمصفى من غبار السوء والأغيار وفي اللام إشارة إلى تشريفه باللقاء يعني أنه المنخفض في معراجه باللقاء من بين الخلان والأصدقاء، في الواو إشارة إلى الوحدة والوصل والوفاء كما أشار السيد المصطفى بقوله «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه جبريل ولا ملك مقرب**»[*] وفي التاء إشارة إلى ما سوى الله تعالى وتحققه ﷺ بأخلاق الله فهو المقرب المحقق والحبيب المطلق، وقيل الصاد إشارة

---

(1) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى ابن سعد في طبقاته، (الدر المنثور تفسير قوله تعالى: ﴿وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو..﴾ [1/ 334].

(2) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب النكاح، حديث رقم (2676) [2/ 174] ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب الرغبة في النكاح، حديث رقم (13232) [7/ 78] ورواه غيرهما.

(*) هذا الحديث لم أجده بلفظه وأورده العجلوني في كشف الخفاء بلفظ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». حديث رقم (2158) [2/ 226].

إلى كمال الصدق والصفاء واللام لام الجمال واللقاء والواو واو الوصل والوفاء، والتاء تاء التفرد والاجتباء وقيل في اشتقاق الحقيقة والكمال الصلاة مشتقة من الوصل والوصلة فهذه إشارات من أسرار ارتباط الحقائق عند المحققين، هذا موج متلاطم من بحر العرفان، والله الفياض المستعان والودود الحنان.

ومن جواهر الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من أن الله نزه رسوله ﷺ عن الشعر]

قوله في كتابه المذكور السؤال السادس والسبعون من خواتم الحكم: ما الحكمة في أن الله تعالى نزه رسول الله ﷺ عن الشعر وقال ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ [يس: 69] وما الحكمة في أنه قال ﷺ: «**إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما فاخر عن رسول الله ﷺ**»[1] وكان يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عنه ﷺ:

الجواب: قيل في جوابه أما تركه الشعر فلأنه مدح أو هجاء والمدح لا ينبغي للأنبياء لأن فيه خوف زلل المبالغة والإكثار وإن الشعراء في كل وادٍ يهيمون وإن الشعر من كلام الإنسان حسنه وقبيحه، وأيضاً قيل في تعريفه: الشعر أرفع ما في الخسيس وأوضع ما في النفيس، وقيل لكيلا يتهم في القرآن أنه شعر وما ورد منه في صورة النظم والرجز والقافية إن كان كلامه ﷺ فعلى غير قصد بل وافق صورة البيت في الأكثر وصورة المصراع في الأقل وكان يصاغ الشعر وينشد بحضرته ويستزيد منه إلى مائة بيت كما ذكره الترمذي في شمائله وغيره في كتبهم، وما الحكمة في أن الشعر كان المنشد بحضرته هو يستزيده؟ قيل لايدخل احد تحت أقسام السنة وهو ﷺ رحمة للعالمين وأسوه الأمة بكل حال كما قال سبحانه وتعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21] وهو سر عظيم وحكمة عظمى، فإن قيل هل كان بكل نوع حسن من الشعر؟ وهل كان تحت علمه كذلك؟ أقول كل كمال بشري تحت

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر مناقب حسان. . ، حديث رقم (6058) [3/ 554] ورواه الترمذي في السنن، باب ما جاء في إنشاد الشعر حديث رقم (2846) [5/ 138] ورواه غيرهما.

الحضرة قولاً وفعلاً وخلقاً فهو من كمالاته الجامعية لأنه كان يجيب كل فصيح وبليغ وشاعر وأشعر وكل قبيلة من قبائل الحبش واليمن وغيرهما بلغاتهم وعباراتهم وكان يعلم الكاتب علم الخط وأهل الحرف البشرية الكمالية المباحة حرفته كالختانة والزراعة والخياطة وكان أعلم بكل كمال أخروي أو دنيوي من أهله كما ذكره صاحب الشفا وأهل السير في سيرهم فليحفظ ذلك فإنه كذلك.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من كونه ﷺ لا يكتب]

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أنه ﷺ كان لا يكتب وهي من كمالات النبوة وإنه معدنها ومجمعها ومحتدها وكان ﷺ يعلم الخطوط ويخبر عنها وعن الصحائف المكتوبة بما فيها كما ورد في الأخبار؟

الجواب: نبه عليه الحق في كلامه المستطاب وهو فصل الخطاب بقوله ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العَنكبوت: 48] ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العَنكبوت: 48] لأنه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الأولين وقال الإمام النيسابوري إنما لم يكتب ولم يحسب لأنه كان إذا كتب أو عقد الخنصر يقع ظل قلمه وإصبعه على اسم الله تعالى وذكره تعالى فلما كان ذلك قال الله سبحانه لاجرم يا حبيبي بعد أن لم ترد أن يكون قلمك فوق اسمى ولم ترد أن يكون ظل القلم على اسمي. أمرت الناس أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك تشريفاً لك وتعظيماً ولا أدع بسبب ذلك أن يقع ظلك على الأرض ومن أكثر الله ذكره أكثر الله تعالى تعظيمه بين الملأ الأعلى وجميع الخلائق فليعلم الله الموفق بفضله، قال القاضي عياض في الشفا إنما لم يقع ظله على الأرض صيانة له عن بطأ ظله الأقدم، قيل إنه نور محض وليس للنور ظل وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكوني الظلي وهو نور متجسد في صورة البشر، وقيل كذلك المَلَك إذا تجسد بصورة الإنسان لا يكون له ظل وبذلك علم بعض العارفين تجسد الأرواح القدسية وإذا تجسدت الأرواح الخبيثة وقعت كثافة ظلها وظلامه على الأرض أكثر من سائر الظلال الكونية فليحفظ ذلك وفيه مباحث عرفانية، قال بعضهم

وإنما لم يكتب لئلا يشتغل بالكتابة عن الحفظ ولئلا يكون نظر سلفياً، قال الشيخ علي دده أقول وفيه نظر إذ عدم كتابه مع عمله بها معجزة باهرة وآية ظاهرة واختصاص وتفضيل فإن من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتمثيل العلوم بالآلات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية، وفيه إشارة بديعة أن أمته ﷺ بين الأمم هم الروحانيون وصفهم سبحانه وتعالى في الإنجيل بقوله أمة محمد أناجيلهم في صدورهم لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه ﷺ بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعدادتهم وفي ترك كتابته أسرار العصمة المحمدية وهو النبي الأمي والأم الأصل وعنده أم الكتاب وقد ألمعت لك من أشعة الأنوار وأبديت لك من إشارات الأسرار فاتق الله في كشفه والله الولي الفياض.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من حرمة نسائه ﷺ على أمته]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثامن والسبعون من خواتم الحكم لم حرمت نساؤه ﷺ على أمته وكانت أمهات المؤمنين؟

الجواب: قيل الحكمة في تحريم نسائه علينا أنهن لو تزوجن لكان في ذلك إيذاء للنبي ﷺ وترك لمراعاة حرمته وقال الله تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزَاب: 32] فلو تزوجن لكن كسائر النساء، وأيضاً قيل ورد في الخبر النبوي عن النبي ﷺ: شارطت ربي أن لا أتزوج إلا من يكون معي في الجنة(*). فلو تزوجن لم يكنَّ معه في الجنة بل كن مع أزواجهن لأن المرأة لآخر أزواجها وإنما سمي نساؤه أمهات المؤمنين لأنه يحرم نكاحهن على المؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [الأحزَاب: 53] فهن أمهات لحرمة نكاحهن على الأمة، وفيه إشارة إلى أن قوى النفس المحمدية من جهة الراضية والمرضية والمطمئنة وطبقاتها بكلياتها متفردة بالكمالات الخاصة للحضرة الأحمدية دنيا وأخرى فافهم

(*) أورده البروسوي في روح البيان، سورة الأحزاب، آية، [7/ 131].

أسرار الاختصاص والتشريف وفيه أسرار غامضة لا يحتمل المقام كشفها لخلو الوقت عن غطائه قال الشاعر[1].

ما لسلمى ومن بذي سلم أين سكاننا وكيف الحال

وقال آخر[2]:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائهم

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من تسمية نسائه ﷺ أمهات المؤمنين ولم يسمه أباً]

قوله في كتابه المذكور السؤال التاسع والسبعون من خواتم الحكم ما الحكمة في أن الله تعالى سمى نساءه أمهاتنا ولم يسمه لنا أباً كما قال سبحانه وتعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40] الآية وسبب النزول معروف في قصة زيد رضي الله عنه؟

الجواب: قال تعالى: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ولم يقل منهم لأجل فاطمة والحسن والحسين لأنه أبوهم كان يقول: «**هما ابناي وكل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي**»[3] فهذا سر قوله تعالى من رجالكم يعني ينقطع حسب ونسب كل رجل يوم القيامة إلا حسبي ونسبي فإنه يختم بيان التناسل من أهل البيت من صلب المهدي خاتم الخلافة العامة وخاتم الولاية الخاصة ولم يسمه لنا أباً لأنه لو سماه لكان يحرم عليه نكاح أولاده كما حرم على الأمة نساؤه ﷺ لكونهم أمهاتنا. وقيل وإنما لم يسم أباً لأنه لو سماه أباً لكان يحرم عليه أن يتزوج من نساء أمته كما يحرم على الأب أن يتزوج بابنته وذلك ليس بحرام، قال الشيخ علي دده أقول ليس سؤال قرآني إلا وفي القرآن جوابه لفظاً ومعنى صراحة أو إشارة، فهمه من وفقه الله تعالى إلى ذلك قال

(1) لم أقف على اسم هذا الشاعر.
(2) هو الشيخ أبو بكر الشبلي، هذا وقد سبقت الإشارة إليه. (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي أبو ظبي).
(3) هذا الأثر لم أجده بلفظه فيما لدي من مصادر ومراجع.

تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾ أي: لا نبي بعده، أي: لا ينبأ أحد بعده، وعيسى نبي قبله، فلو كان له ولد بالغ لكان نبياً لأن أولاد الرسل كانوا يرثون النبوة قبله من آبائهم وكان ذلك من امتنان الله تعالى عليهم، قال تعالى حكاية عن زكريا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 6] الآية. وأما نبينا فكان علماء أمته ورثته ﷺ من جهة الولاية وإن انقطع إرث النبوة ﷺ كما ورد عنه ﷺ في حق ابنه إبراهيم بأنه لو عاش لكان نبياً مرسلاً.

وقوله تعالى ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: 40] فلا يكون أباً حقيقة لمن تبناه لأنه كان قد تبنى زيداً، وكان يلحق العار بنكاح زوجة المتبنى، فنزه الحقّ برسوله عن ذلك عباده بأنه الشرع المطهر والحكم المنوّر فافهم الخطاب تفز بحقيقة الجواب ولكن رسول الله وكل رسول أب لأمته في ما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظم والشفقة والنصيحة لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء والأدعياء والنبي من باب اختصاص والتقرب لا غير كالوراثة والنكاح.

إشارة: قوله من رجالكم يعني من رجال آل محمد رجال الله ليسوا كرجالكم فإنهم المخصوصون بزيادة الإنعام لا ينقطع حسبهم ونسبهم وينقطع حسبكم ونسبكم وأنهم المطهرون بنص القرآن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33] الذين حرمت عليهم الأوساخ أموال من وجوب الصدقة ولهم من اختصاص الفضائل ما لا يحصى.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من حرمة الصدقة عليه ﷺ]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثمانون خواتم الحكم ماالحكمة في أن الصدقة حرمت عليه ﷺ وعلى آله؟

الجواب: إنما حرمت الصدقة عليه ﷺ ليوافق نعته سائر الكتب من صفته ونعته في الكتب الإلٰهية إن الصدقة محرمة عليه ﷺ، وقيل لأن الصدقة من أوساخ الناس تطهر الأموال فلم يرد الله تعالى أن يأكلها، وقيل ورد في الخبر في معطي الصدقة: «**اليد العليا**

خير من اليد السفلى»[1] لئلا يلزم أن تكون يده اليد السفلى لأن يد النبي ﷺ هي اليد العليا في كل كمال، قال وهذا وجه وجيه ما سبقني به أحد في توجيهه والله أعلم.

وقيل إن الصدقة تنشأ عن رحمة الدفع لم يتصدق عليه فلم يرد الله أن يكون نبيه ﷺ مرحوم غيره، ولذلك نهى بعض الفقهاء عن الترحم في الصلاة عليه تأدباً في حق تلك الحضرة وإن كانت الرواية وردت كما ذكره صدر الشريعة. وقيل لأنه كان ﷺ يأمر بالصدقة فلو قبلها ربما حصلت تهمة عند العقول الناقصة إنه كان يأمر بها لأجل نفسه كما يقول بعض العوام ذلك لعلمائهم كما سمعت من كثيرين في زماننا والعياذ بالله كاد الجهل أن يكون كفراً فأبعد الله تعالى عنه ﷺ ذلك بتحريم الصدقة عليه لنفي ظنون الجهال ومواضع التهم عنه ﷺ والله تعالى أعلم وأحكم.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من أن الله رباه ﷺ يتيماً]

قوله في كتابه المذكور السؤال الحادي والثمانون من خواتم الحكمة ما الحكمة في أن الله تعالى ربى رسوله الأكرم ﷺ يتيماً؟

الجواب: إن النبي درة صدف الوجود من بحر الرحمة والجود متفرد بكل كمال وشهود كتفرد الدر اليتيم في صدفة وكالبدر التام في شرفه في منازل سيره ومدارج عزه وإنما رباه يتيماً ليعلم أن العزيز من أعزه الله تعالى وإن الشرف كله عند الله تعالى وإنه ليس مورثا من الآباء والأمهات ولا من الأموال والرياسات بل هو من عند الله الفياض الذي اصطفى من شاء وأعطى لمن شاء وقيل كان الشرف والنبوة والحكمة في الملل السالفة بالإرث عن الآباء إلا ما كان في الخليل الحبيب ولهذا اصطفاه الله من بين الأنبياء بالخلة والمحبة، وقيل رباه الله تعالى يتيماً ليرحم الفقراء والأيتام كيوسف الكريم رباه الله تعالى في السجن وابتلاه بالعبودية ليرحم كل مسجون ومبتلى

---

(1) رواه البخاري في صحيحه في بابين أحدهما: باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى..، حديث رقم (1361) [2/ 518]، ورواه مسلم في صحيحه، باب بيان اليد العليا خير من اليد السفلى..، حديث رقم (1033) [2/ 717] ورواه غيرهما.

لما ولاه بعد على أهل مصر فافهم أسرار التربية فقد كشفت لك لثاماً عن وجهها وأبدت لك جواهر عن كنزها بإشارة لطيفة ولكنها ظريفة افهم سر قوله تعالى في خطابه لحبيبه. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: 6-10].

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من قوله تعالى: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: 1]]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثاني والثمانون من خواتم الحكم ما الحكمة في قول الله تعالى في سورة الإسراء (**أسرى بعبده**) ولم يقل بنبيه وما السر في أن الله تعالى قرن التسبيح بهذا النصر الذي هو الإسراء ولم قيده بالعبودية ولم جعله الله بالليل دون النهار ولم أكده بقوله ليلاً وإن كان الإسراء يدل على سير الليل دون النهار؟

الجواب: قال بعض المحققين قال تعالى بعبده ولم يقل بنبيه لئلا يتوهم فيه الألوهية كما توهموا في عيسى بن مريم عليه السلام بانسلاخه عن الأكوان وعروجه بجسمه إلى الملأ الأعلى مناقضاً لعادات البشرية وأطوارها:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم[1]

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[أي شيء خلقه الله أولاً]

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والثمانون من الخواتم أي شيء خلقه الله تعالى أولاً:

الجواب: قال أهل التحقيق من أهل الله إن العالم على قسمين: عالم الأمر، وعالم الخلق كما قال سبحانه وتعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]: واتفقوا

(1) أحد أبيات القصيدة الميمية المشهورة للشيخ شرف الدين محمد البوصيري أبو عبد الله. هذا وقد سبقت الإشارة إليه.

على أن عالم الأمر مقدم على عالم الخلق فعالم الأرواح من عالم الأمر وقال أول ما خلق الله من الأرواح القدسية الروح الأعظم المحمدي كما أشار لذلك ﷺ بقوله: «**أول ما خلق الله روحي**» وأول ما خلق الله جوهرة هي العنصر المحمدي الذي تكوَّن منه عالم العناصر الكونية كلها، واختلفوا في أول مخلوق من الأعيان والأكوان فقيل العرش وقيل اللوح المحفوظ وقيل القلم وقيل زمردة خضراء وقيل العلماء، وقيل أول ما خلق الله في الأعيان نقطة فنظر إليها الحق أي تجلى عليها بالهيبة فتضعضعت وتمايلت فتكثرت منها، وقيل هي كناية عن الجوهر الوحداني المسمى بحقيقة الحقائق عند الصوفية وعند الحكيم بالهيولى الكلية، ولا شك أنها كل حقيقة من الحقائق فظهوره بالنسبة إلى سيدنا رسول الله ﷺ. مقدم ظهوره من الكون مقدم على عالم الأسرار ونوره من حيث تمثله بصورة الفيض مقدم على عالم الأنوار وروحه من حيث تعينه في الوجود مقدم على عالم الأرواح وعنصره من حيث بدؤه بمقام أم القرى مقدم عالم على العناصر، والأشباح، فهو ﷺ مقدم وأول في كل رتبة من المراتب وحقيقة من الحقائق، فمن أراد التفصيل في بدء المخلوقات فعليه بمطالعة كتابنا الأوائل والأواخر، والله الموفق الفياض.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من جعل إبراهيم مشتركاً معه ﷺ في الصلاة]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثالث بعد المئتين ما الحكمة في جعل إبراهيم مشتركاً في الصلاة مع رسول الله ﷺ في قوله كما صليت على إبراهيم؟.

الجواب قال بعض العلماء شاركه في الصلاة لأنه دعا لنا ولم نكن نحن موجودين فجعل ذلك مكافأة له قيل قد دعا لنا رسولان فكافأهما تعالى بالصلاة، والسلام عليهما الأول نوح عليه السلام حيث قال ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: 28] الآية فجعل الله تعالى مكافأته السلام بقوله ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الصَّافات: 79] وإبراهيم دعا لنا فقال: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: 41] فكافأه الله تعالى بما أمرنا بالصلاة عليه، وقيل ضمه النبي ﷺ في الصلاة لأنه كان خليل الله ومحمد حبيب الله

فقرن اسمهما في الصلاة لأن الحبيب يجب أن يذكره أحبابه وأخلاؤه.

وقال الإمام المحقق النيسابوري لأنه سأل الله تعالى أن يبعث نبياً من ذرية إسماعيل فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البَقَـرَة: 129] ولذا قال ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»[1] فكافأه شكره واثنى عليه مع نفسه بالصلاة التي صلى الله وملائكته عليه ﷺ وهذه الصلاة من الحق تعالى عليه قرة عينه لأنها أكمل مظاهر الحق ومشاهد تجلياته ومجامع أسراره فالصلاة مشتركة اشتراكاً قوياً وفعلياً كالصلوات الخمس فافهم سر الصلاتين واشتراكهما بين رتبتي الخلة والمحبة لتجلي الحق بظهور الهوية وسريانها في أكمل حلة جامعة، وذكر بعض العارفين في شرح الفصوص في الفص الإبراهيمي أن خلة إبراهيم كانت مستفادة من حث الباطن من الخلة المحمدية الثابتة لحقيقته أولاً وآخراً فأكمل ظهور الخلة الأحمدية كان في وعاء الإبراهيمية ولذلك كان إسماعيل وعاء لها من ذريته فمن لها اطلع على ذلك السر فقد وقع على سر اشتراك الصلاة عليه وعلى ذريته في قوله كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فإنه ﷺ داخل في آل إبراهيم معنى في صلاته على نفسه ظاهراً وباطناً وهو المقام المحمدي الجامعي ﷺ، وقد صرح أهل التحقيق بأن أكمل مظهر للحقيقة المحمدية حضرة الخليلية ثم حضرة الكليمية ولهذا السر العلي شاركهما رسول الله ﷺ عليه بالذات وصلى عليهم بوساطته لما ورد: «**إذا صليتم عليّ فصلوا على موسى**»[2] لأن الخليل والكليم أشد مناسبة فخصا وشوركا في الصلاة والثناء على الحضرة المحمدية، وفي الخبر: «**أن إبراهيم عليه السلام رأى في المنام جنة عريضة مكتوباً على أشجارها لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فأخبره بقصتها فقال يا رب أجر ذكري على لسان أمته ﷺ**»[3] وأيضاً أمرنا بالصلاة على إبراهيم عليه السلام لأن قبلتنا قبلته ومناسكنا مناسكه والكعبة بناؤه وملته متبوعة الأمم فأوجب الله على الأمة ثناءه.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.
(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.
(3) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

نكتة عرفانية: الحكمة في أن أمرنا بتبعية ملته، لأن الحضرة الإبراهيمية وعاء الحضرة الأحمدية لأنها من الحضرة الإسماعلية فوجب علينا الشكر والثناء فأشار ﷺ باشتراك الصلاة عليه لأنه أظهر المظاهر للحقيقة المحمدية فآل إبراهيم من أكمل الأنبياء ومؤمنوهم هم آل محمد في الحقيقة لأنه أبو الأرواح والكل آله وتحت حيطة أبوة روحانيته صلوات الله عليه وعليهم وعلى آلهم أجمعين.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من تسمية الله له ﷺ خاتم النبيين].

قوله في كتابه المذكور السؤال السابع والسبعون بعد المئتين من خواتم الحكم لِمَ سمَّى الله تعالى نبيه محمداً ﷺ خاتم النبيين؟ وما سر الختم في الحضرة النبوية؟

الجواب: قيل إن الختم من شرف الكتاب وكذلك النبي ﷺ أشرف الخلق أيضاً الختم إذا كان على الكتاب لا يقدر أحد على فكه كذلك لا يقدر أحد أن يحيط بحقِّيَّة علوم القرآن دون الخاتم ما دام خاتم الملك على الخزانة لا يتجرأ أحد على فتحها، ولا شك أن القرآن خزانة جميع الكتب الإلٰهية المنزله من عند الله، ومجمع جواهر العلوم الإلٰهية والحقائق اللدنية، فلذلك خص به خاتم النبيين محمد ﷺ، ولهذا السر كان خاتم النبوة على ظهره بين كتفيه، لأن خزانة الملك تختم من خارج الباب لعصمة الباطن مما في داخل الخزانة قال تعالى في الخبر القدسي: «**كنت كنزاً مخفياً**»[1] فلا بد للكنز من المفتاح والخاتم فسمي ﷺ الخاتم لأنه خاتم على خزانة كنز الوجود وسمي بالفاتح لأنه مفتاح كنز الأزل به فتح وبه ختم ولا يعرف ما في الكنز إلا بالخاتم الذي هو المفتاح قال الله تعالى أحببت أن أعرف فحصل العرفان بالفيض الحي على لسان الحبيب لما في الكنز والله ولي الفيض.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ومن جواهر العارف بالله الشيخ علي دده رضي الله عنه

[الحكمة من جعل خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ]

قوله في كتابه المذكور السؤال الثامن والسبعون بعد المائتين من خواتم الحكم لم جعل خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ؟

الجواب: أقول أحسن ما قيل فيه من الأقوال ما نقله الإمام الدميري في كتاب حياة الحيوان أن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بلور بين كتفيه خال اسود كالعش والوكر فجاءه الخناس يتجسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فادخل خرطومه قبل فوسوس إليه فذكر الله تعالى فخنس ونكص وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلوب.

تنبيه: قال ولهذا السر الإلٰهي كان يختم ﷺ ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضيق مرصده لأنه مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله: «**أعانني الله تعالى عليه فأسلم**»[1] أي بالختم الإلٰهي وأيده وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس إليه لذلك وكان خاتمهُ مثل زر الحجلة حول شعرات مائل إلى الخضرة مكتوب عليه محمد نبي أمين وغير ذلك والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين سمعت ذلك من بعض الأولياء. قال سيدي وروحي في وارداته رأيته ﷺ فكشف عن خاتمه المبارك فقبلتهُ وشاهدتهُ، فالمشاهد يشاهد بمقتضى مقامه ويخبر بحسب حاله، قال بعض العلماء كون الخاتم بين كتفيه ﷺ للرواية المشهورة في ما وقع ليلة الإسراء من السؤال فيمَ يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قال: «**قلت أنت أعلم**»[2]

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، باب التأمين، حديث رقم (832) [1/ 352].
(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

إلى أن قال: «**فوضع كفهُ بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي**» إلى آخر الحديث فلما جاءه العلم الرباني والمدد الإلٰهي والفيض الرحماني من بين كتفيه ختم عليه بخاتم النبوة حتى لا ينسى شيئاً من هذا العلم وحتى يكون حافظاً لما اودعهُ من الإسرار. قال الشيخ علي دده قلت فكان الهيكل الروحي الأحمدي صورة الوثيقة الإلٰهية الجامعة لحقائق الظهور والبطون، قد كتبها القلم الأعلى بيد القدرة والحكمة فأمضاه بخاتم النبوة المحمدية لأنهُ حجة الكلية الأولية قال: ﷺ «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وأنا من نور الله والمؤمنون من فيض نوري**»[1] إلى غير ذلك.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الحقيقة المحمدية من جواهر الإمام العارف
سيدي عبد الله بن أسعد اليافعي(*) المتوفى سنة 768 هـ

ومن جواهره رضي الله عنه

قوله في أواخر كتابه «**نشر المحاسن في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية**» قلت وإذا قد ذكرنا كلامه يعني الغوث الأعظم سيدي عبد القادر الجيلاني في الخليل، ثم في الكليم على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والتسليم، فلنختم كلامه الدر المنظوم في السلك، بقوله في الحبيب خاتم الأنبياء المسك، ﷺ، وبارك وشرف وكرم، وقال الجيلاني رضي الله تعالى عنه لما أرجت مشام أرباب صوامع النور بعطر ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [صٓ: 71] وأشرق الملكوت الأعلى بأنوار ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البَقَرَة: 30] قيل لرهبان صوامع القدس الأشرف ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢﴾ [صٓ: 72] صار التراب مسكاً في مشام أصحاب يسبحون، وجليت عروس آدم عليه الصلاة والسلام في خلع ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ﴾ [البَقَرَة: 132] وسجدت الملائكة لسطوع نور ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [صٓ: 72] وسمع موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم فوق روضة الطور بلبلاً يترنم بلذيذ لحن ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القَصَص: 30] وآنس ساقياً يفرغ شراب القدم في كؤوس ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾ [طه: 13] مادت به جنبات الطور، وطربت تحته أكناف

(*) عبد الله اليافعي (700 ـ 768هـ = 1301 ـ 1367م) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي، اليمني، ثم المكي، الشافعي (عفيف الدين) صوفي، شاعر، مشارك في الفقه ولد قبل السبعمائة بسنتين أو ثلاث (1)، ورحل إلى عدن، وجاور بمكة، وتوفي بها في 20 جمادى الآخرة، ودفن بمقبرة باب المعلى.

من تصانيفه الكثيرة: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، روض الرياحين في حكايات الصالحين ويسمى نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر، مرهم العلل المعضلة في أصول الدين، الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، وديوان شعر. انظر: (معجم المؤلفين ـ (6/ 34)).

الجبل ووقف تحت الشجرة في الوادي المقدس اشتياقاً إلى رؤية الساقي، هزت أعطافه نشوات سكره، وكتب بيد شدة تشوقه في طرس عشقه حروف أرني فانقلب القلم في يده فكتب ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: 143] وسطع لعين عقله نور عين بارقة تجلى وصار الجبل جنة لولا نار ﴿وَخَرَّ﴾ [صٓ: 24] قال بعد إفاقته ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143] قيل له عند انقضاء دولته يا موسى سلم قلم الرسالة ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ [آل عِمران: 46] وأعطه الدواة ليكتب في كتب توحيدي أني عبد الله، وينقش في صحف رسالته سطوراً ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: 6] كان تاج شرف رسول الله ﷺ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: 1] وَعَرَضَه ربُّه على عيون سكان السموات وأشرق جبين جمال رسالته حين زينه بغرة ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: 1] وضوعفت الأنوار في الملكوت الأعلى ليلة جلاء عروس أحمد ﷺ، فانبهرت أحداق أشخاص النور مع شعاع بهاء بهجته وغشيت أبصار الملائكة من لألاء نوره ﷺ، قيل لهم يا سكان الصفيح الأعلى من القدس الأسنى اقتبسوا من ضياء المبعوث سراجاً منيراً فأنتم في خفارة إمام الأنبياء استترت الشمس السماوية لظهور الشمس الأرضية، واختفت الكواكب حياء من طلوع نجم يثرب، وانطفأت الشهب بتبلج شهاب مكة، واندرجت الأنوار في شعاع نور أحمد ﷺ، وخرجت رهبان صوامع القدس الأشرف لتنظر جمال صاحب ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النّجم: 3] قيل له يا سيد الوجود طورُك ليلة أسرى رفرف النور، والوادي المقدس لك قاب قوسين، البلبل الذي يُرجع لك شهي اللحون ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النّجم: 10] مطلوب موسى قد سجل لك به سجل ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: 17] أنت آخر حزب كتب في ديوان الأنبياء أنت أعظم مسطور رقم في منشور ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا﴾ [البَقَرَة: 253] زفت عروسك في مجلى الأفق الأعلى فكان من بعض خلعها ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النّجم: 18] قد صيغ لمفرق جبين الوجود من شرفك تاج لم يصنع له مثله، الأنبياء كلهم ما قدروا على عز ليلة ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: 1] ولا وجدوا أنسمة من نسمات روض ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النّجم: 9] ولا قيل لأحد منهم كفاحاً السلام عليك أيها النبي، تأخر الكل عند أو أدنى، وتقدم صاحب ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النّجم: 8] وجليت عليه عرائس الأكوان في خلع ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ

ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ [النّجم: 18] ما تلفت إليها بعين الاشتغال بل تأدب بأدب ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحِجر: 88] هذا الوادي المقدس فأين موسى؟ هذا روح القدس فأين عيسى؟ ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [صَ: 42] فأين أيوب؟ كم سافرت العقول في ميادين الغيوب، وكم طارت الأفكار من أوكار أطوارها إلى رياض العلا، تطلب نسمة من نسمات هذا الشرف الأعلى، وتطمع في نفحة من نفحات هذا الروض الأغن، وتتوغل بالخوض في لجج كل بحر فما وجدت إلى ما طلبت سبيلاً، فنادت ألسن معارفها بألسن اعترافها خاتم الرسل أنت روح جسد الوجود، أنت ورد بستان الكون وأنت عين حياة الدارين، لك نظمت تمائم الوحي، على مشام روحك هبت نسمات عطف لطف القدم، لك عقد القدر لواء ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضّحىٰ: 5] بعطر الثناء عليك أرج الملكوت الأعلى من نور علومك أضاء مصباح الشرع، بمصابيح كلمك تشرق سموات الحكم، قامت الأنبياء خلفه صفوفاً لتأتم بجلالته في مشهد شهادتهم يتقدمه عليهم، فناداهم منادي القدر يا أصحاب أوكار السعادة، وأرباب الحجة على الخليقة، هذا قمر العلاء، ، هذا شمس السناء، هذا تاج الأنبياء، فحدقوا أحداق البصائر في بهائه، وكشفوا براقع الأفكار عن ضيائه، تجدوا درة يتيمة شرف بها جيد الرسالة، ودبج بها طراز حلة الوحي، فتلوا بلسان الاعتراف ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿164﴾﴾ [الصَّافات: 164] انتهى كلام الغوث الجيلاني رضي الله عنه.

ومن جواهر الإمام اليافعي رضي الله عنه

قوله بعدما تقدم

إشارة إلى شيء مما شوهد من عظيم شرفه ﷺ وجلالة قدره وعلو مقامه فوق جميع مقامات جميع الأصفياء واستمداد الكل من نوره وتأدب الكل معه وما يكشف للشيوخ العارفين من العجائب وينالون من المواهب ببركته ﷺ من ذلك ما روي عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبي عبد الله أحمد البلخي رضي الله تعالى عنه قال: سافرت من بلخ إلى بغداد وأنا شاب لأرى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فوافيته يصلي العصر بمدرسته، وما كنت رأيته ولا رآني قبل ذلك فلما سلم وهرع الناس

للسلام عليه تقدمت إليه وصافحته فأمسك بيدي ونظر إليَّ متبسماً وقال: مرحبا بك يا محمد قد رأى الله سبحانه مكانك وعلم نيتك قال: فكأن كلامه دواء الجرح وشفاء العليل فذرفت عيناي خشية وارتعدت فرائصي هيبة ونغصت أحشائي شوقاً ومحبة وأوحشت نفسي من الخلق ووجدت في قلبي أمراً لا أحسن أعبر عنه ثم ما زال ذلك ينمو ويقوى وأنا أغالبه فلما كان ذات ليلة قمت إلى وردي وكانت ليلة مظلمة فبرز لي من قلبي شخصان بيد أحدهما كأس وبيد الآخر خلعة فقال لي صاحب الخلعة أنا علي بن أبي طالب وهذا أحد الملائكة المقربين وهذا كأس شراب المحبة وهذه خلعة من حال الرضى، ثم ألبسني تلك الخلعة وناولني صاحب الكأس فأضاء بنوره المشرق والمغرب فلما شربته كشف لي عن أسرار الغيوب ومقامات أولياء الله تعالى وغير ذلك من العجائب، فكان مما رأيت مقاماً تزل أقدام العقول في سره وتضل أفهام الأفكار في جلاله وتخضع رقاب الأولياء لهيبته وتذهل أسرار السرائر في بهائه وتدهش أبصار البصائر لأشعة أنواره لا تسامته طائفة الملائكة الكروبيين والروحانية والمقربين إلا حنت ظهورها على هيئة الراكع تعظيماً لقدر ذلك المقام وسبحت الله عز وجل بأنواع التقديس والتنزيه وسلمت على أهل ذلك المقام ويقول القائل إنه ليس فوقه إلا عرش الرحمٰن يتحقق الناظر إليه أن كل مقام لواصل أو حال لمجذوب أو سر لمحبوب أو علم لعارف أو تصريف لولي أو تمكين لمقرب فمبدؤه وموئله وجملته وتفصيله وكله وبعضه وأوله وآخره فيه استقر ومنه نشأ وعنه صدر وبه كمل، فمكثت مدة لا أستطيع النظر إليه، ثم طوقت النظر إليه ومكثت مدة لا أستطيع أن أسامته ثم طوقت مسامته ومكثت مدة لا أستطيع أعلم بمن فيه، ثم بعد مدة علمت بمن فيه فإذا فيه رسول الله ﷺ وعن يمينه آدم وإبراهيم وجبريل وعن شماله نوح وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبين يديه أكابر أصحابه رضي الله تعالى عنهم والأولياء قدس الله تعالى أرواحهم قيام على هيئة الخدم كأن على رؤوسهم الطير من هيبته ﷺ، وكان ممن عرفت من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة والعباس رضي الله تعالى عنهم، وممن عرفت في الأولياء معروف الكرخي والسري السقطي والجنيد وسهل التستري وتاج العارفين أبو الوفاء والشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنهم أجمعين،

وكان من أقرب الصحابة إلى النبي ﷺ أبو بكر ومن أقرب الأولياء إليه الشيخ عبد القادر فسمعت قائلاً يقول إذا اشتاق الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون والأولياء المحبوبون إلى رؤية محمد ﷺ ينزل من مقامه الأعلى إلى هكذا مقام فتستضعف أنوارهم برؤيته وتزكو أحوالهم بمشاهدته ويعلو مكانهم ومقاماتهم وببركته ثم يعود للرفيق الأعلى قال: فسمعت الكل يقولون: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البَقَـرَة: 285]، ثم بدت لي بارقة من نور القدس الأعظم فغيبتني عن كل مشهود واختطفتني عن كل موجود وأسقطت مني التمييز بين كل مختلفين وأقمت على هذا الحال ثلاث سنين فلم أشعر إلا وأنا في سامرا والشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه قابض على صدري وإحدى رجليه عندي والأخرى ببغداد وقد عاد إليَّ تمييزي وملكت أمري فقال لي الشيخ يا بلخي قد أمرت أن أردك إلى وجودك وأملكك حالك وأسلب منك ما قهرك، ثم أخبرني بجميع مشاهداتي وأحوالي من أول أمري إلى ذلك الوقت أخباراً يدل على اطلاعه عليّ في كل نفس وقال: فيَّ: لقد سألت رسول الله ﷺ سبع مرات حتى طوقت النظر إلى ذلك المقام وسبع مرات حتى طوقت مسامته وسبع مرات حتى اطلعت على من فيه وسبع مرات حتى سمعت المنادي ولقد سألت الله تعالى فيك سبع مرات وسبع مرات حتى ألاح لك تلك البارقة وكنت من قبل سألته فيك سبعين مرة حتى سقاك كأساً من محبته وألبسك خلعة رضوانه يا بني أمضِ جميع ما فاتك من الفرائض انتهى .

الحقيقة المحمدية من جواهر العارف بالله الشيخ عبد الله البسنوي الرومي شارح الفصوص المتوفى سنة 1045

وقد ترجمه المحبي في خلاصة الأثر وأثنى عليه كثيراً، وذكره صاحب كشف الظنون في شراح الفصوص وأثنى على شرحه، وذكر كتابه الآتي وقال: إنه تأليف عبدي أفندي شارح الفصوص.

فمن جواهره رضي الله عنه:

[كتاب مطالع النور السَّني]

كتابه مطالع النور السَّني المُنبئ عن طهارة النسب العربي وهو من أَجَلِّ الكتب المؤلفة في شؤون النبي ﷺ وأدلها على جلالة مؤلفه ومعرفته بعلو قدره ﷺ وهو هذا بحروفه قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أراد أن يفتق الرتق المختص بحضرة العماء والأسماء، ويفتح حضرات الكرم والجود وخزائن الآلاء والنعماء، ويظهر الأعيان الغيبية في الصور الحسية لحصول كمال الجلاء والاستجلاء، وإظهار الأمور المخبوءة في خزائن الأسماء، والأحوال المكنونة في حقائق الأشياء، فخلق نور نبينا ﷺ قبل خلق جميع الأشياء، في صورة الدرة البيضاء، وخلق منه أنوار السفراء، وأرواح جميع الأنبياء، وجعله أباً وأصلاً لجميع التعينات من العقل الأول إلى آخر مراتب الإيجاد والإنشاء، فكان صفاء آبائه في التسوية والاستعداد بالنسبة إلى ظهوره وتعينه فيهم كصفاة الزجاجة وصفاء الصهباء، فسبحان من أضاء حقائق الممكنات في الغيب المجهول بالدرة البيضاء، التي استخرجها من خزانة الغيب على صورة البدر في الليلة الظلماء، فأفاض من نورها على الأشياء المعدومة في ظلمة الغيب فظهرت فيه كأنجم الجوزاء، الذي جعله نبياً في حضرات الأسماء، وعوالم الأرواح في اسم الباطن وآدم كان منجدلاً بين الطين والماء، فلما استدار الزمان بانتهاء مدته بالاسم الباطن في نوبة الميزان الذي هو أعدل البروج في الفلك الأطلس في إبقاء الأمور والإعطاء، كما استدار من قبل في نوبة سائر البروج المعهودة كالسنبلة والجوزاء، وابتدأ بدورة أخرى بالاسم الظاهر لإظهار جسم محمد ﷺ بمعالم الأسماء ومنازل الآلاء، في عالم الشهادة الذي هو أجمع جميع العوالم ومحل نزول الآيات والأنباء، وتوقف ظهوره في الوجود الحسي البشري على الأسباب المعدات من الأمهات والآباء، جعل الله أصلاب الآباء على الترتيب الذي وقع في الوجود كالمنازل للوصول إلى حضرة الحس مرتبة الاستكمال بين الإفناء والإبقاء، فوجه ذلك النور الأبهر، والروح الأنور، إلى عالم التفصيل وعالم التخطيط والتركيب والأجزاء، مستودعاً في لب الروح المنفوخ في آدم الخلفاء، محفوظاً بأصداف الأصلاب الطاهرة والأرحام الطيبة على مقتضى الحكمة البالغة في الإنشاء، لكونه لب الألباب، وصورة سر رب الأرباب، في حضرة البطون والإخفاء، فتعين في كل

أب من الآباء على حسب التسوية فيهم والهوية والإلقاء، وظهر في كل صلب من الأصلاب مندرجاً في الظهور بحسب الطهارة والنزاهة فيها عن الأوصاف السفلية والأهواء، كما قال ﷺ: «**لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة**»(1) مصفى مهذباً إلى رتبة الأنباء، فكلما ازدادت التسوية في الأصلاب: أدت فيه قوة الخروج إلى مفازة الحس والإفشاء، وكلما ازدادت فيه قوة الخروج والظهور وانشقت عنه قشور الأصلاب كاللوز من القشرة الخضراء، قرب طلوع ذلك النور الأسنى بالغرة البيضاء والشريعة الغراء، التي أضاءت نواحي بقاع عالم الإمكان والأرجاء، وأنارت قلوب أهل الاصطفاء بصنوف الفيوض والآلاء، التي عزت عن العد والإحصاء، محمد الذي خلق روحه من نوره وأقامه اثنتي عشرة ألف سنة قدام الحضرة في مقام القرب من الحضرة والإلجاء، فظهر وتجلى لأهل القرب والتمكين بالحلة الحمراء، مثل العروس العذراء في الربوة الخضراء، بوجه يدهش لمعانه عقول العالمين، ويأخذ شعاعه عيون الحور العين، ورباه في قضاء عالم القدس ومفازة حظيرة الإنس والصفاء، بألبان الفيوض وتجليات الجمال بالإفاضة من حضرة الجود والإلقاء، وخلق له فيه حجباً وأقامه في كل حجاب مدة معهودة بالتسبيح والتقديس على مقتضى الحكم والإمضاء، إلى أن تكاملت تلك النشأة الروحية النورية للخروج إلى مفازة الحس بأنوار الرحمة والإهداء، وخلق جسمه الطيب الطاهر من أطهر الأعراق البشرية وأطيب الأنساب الاصطفائية الإنسانية وأنفس جواهر النطف الناشئة بين الأمهات والآباء، الذي به فاق أبواه على سائر الآباء والأمهات من خيار القرون وكرام القبائل والأحياء، وإن نبض عرق أبي جهل بعدم القبول والإذعان، في وادي الحرمان، عند سيل النكران، مثل البقلة الحمقاء، فسبق ﷺ بالطهارة الذاتية، والنزاهة الأصلية، في حلبة المسابقة إلى حشرة الوحدة وميدان الإسراء، وأمر في رتبة الدعوة والأنباء بالعدل والإحسان ونهى عن المنكر في حدود الإسلام والفحشاء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا على المحجّة البيضاء، وعطفوا عنان التوجه والعزيمة على الإبداء.

---

(1) رواه بنحوه الطبري في الرياض النضرة، ذكر أنهم والنبي ﷺ كانوا أنواراً قبل خلق آدم. . ، حديث رقم (84 ج12) [1/ 248].

أما بعد: فاعلم أن روح سيدنا محمد ﷺ لما كان مظهراً للجمع الأحدي الذاتي، والرفق العمائي الأسمائي والصفاتي، وأراد الحق تعالى إظهار أسراره الغيبية المكنونة، وأنوار صفاته وتجلياته المستجنة المخزونة، في غيب الهوية به ﷺ قدمه على سائر التعينات العلمية، والحقائق الغيبية، وجعله أصلاً لجميع الحقائق، الإلهية الأسمائية، والحقائق المظهرية الإمكانية، فلما شاء الحق أن يظهر به جميع ما تنطوي عليه الحضرة الكلية الإلهية، من الكمالات الإلهية الإنسانية، والأسرار الغيبية العلمية، ويفتح به أبواب حضرات الجودية، وخزائن الاعطاآت الغيبية الشهودية، وأراد أن يظهر صورته الروحية الغيبية، في الصورة الحسية العنصرية البشرية، قدر له الآباء والأمهات، بحسب الأزمان والأوقات، وجعلهم الوسائط والروابط لوجوده البشري الكلي واصطفى أباه عبد الله وأمه آمنة للأبوة والأمومة في آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية له ﷺ باختصاصه بهما واختصاصهما به من جهة طهارتهما ومناسبتهما بحسب تعلق علمه وإرادته وحسب استعدادهما الذاتي فإن حصول الزوجية بين الزوجين وخلق الإنسان بينهما من نطفة وحمل الأُنثى من ذكر ووضعها حملها الإنسان لا يكون إلا بإذن الله وإرادته كما قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: 11] ولا سيما خلق نبيه الذي جعله سبباً لمعرفته وشهوده بين أبويه لا يكون إلا قصداً له تعالى فلو كانت المناسبة في زوجين آخرين في الإمكان أكثر وأوفق لما أراد الحق من ذلك النور الأبهر، والضياء الأسنى الأطهر، لقدرهما في الأزل أن يكونا أبوين له ﷺ وخلقه بينهما من مائهما لأنه لا تحجير على الله ولأن الله تعالى إنما خلق العالم كله أعلاه وأسفله له ﷺ فما ينزله في محل إلا ما تقتضيه حكمته وتتعلق به إرادته وما يمر به عن عالم إلا تقتضيه طهارة سره وروحه ولاسيما تعين مادته الجسمانية إنما وقع على حسب طهارة أبويه ونزاهتهما، وقد زلت قدم بعض الناس قديماً وحديثاً في نسبة أبويه ﷺ إلى الشرك، ووقعوا في بئر الغواية والإفك، لأن الولد بضعة من الأب كما قال ﷺ في ابنته فاطمة: «**إنما فاطمة بضعة مني**»(1) وقد

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب فضائل فاطمة عليها السلام. . ، حديث رقم (2449) [4/ 1903] ورواه الترمذي في السنن، باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، حديث رقم (3869) [5/ 698].

كانت الكمل من السلف واقفين عند باب الربوبية بالعبودية معرضين عن عالم الخلق والكثرة، والأئمة من المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إنما صرفوا أوقاتهم لإحياء الحق والدين، بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ وما يجب عليهم فما التفتوا إلى مالا يعنيهم بالجواب والرد على من أنكر طهارة نسبه ﷺ إلا قليل منهم، وقد وفقني الله تعالى لإثبات دين إبراهيم عليه السلام وبقائه وبقاء الأمة المسلمة من ذريته إلى بعثة نبينا محمد ﷺ وإثبات طهارة نسبه ﷺ بالآيات التي أنزلها الله على قلبه فشهد ببعضها على ذلك ونص ببعضها وأخبر ببعضها فكتبت هذا الكتاب ورتبته على تسعة مطالع.

المطلع الأول: في انبعاث الروح المحمدي، من الجمع الذاتي الأحدي، إلى الصورة الكمالية الإنسانية، والهيئة البشرية الحسية الشهادية.

المطلع الثاني: في ثبوت إسلام أبويه بالآيات التي أخبر الله بها عن دعوة إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها في حق إبراهيم.

المطلع الثالث: في الآيات التي دلت على بقاء ملة إبراهيم في ذريته وعدم اندراسها إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ.

المطلع الرابع: في الأحاديث التي دلت على طهارة نسبه ﷺ إلى آدم عليه الصلاة والسلام.

المطلع الخامس: في إحياء أبويه وإيمانهما به ﷺ.

المطلع السادس: في الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما في النار وعدم جواز الحكم به على ذلك.

المطلع السابع: في بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام.

المطلع الثامن: في بيان من بقي على دين إبراهيم في الفترة.

المطلع التاسع: في عدم التعذيب لمن مات في الفترة وسميته «بمطالع النور السنيّ المنبئ عن طهارة نسب النبي العربيّ، ﷺ» وبالله التوفيق.

المطلع الأول: في انبعاث الروح المحمديّ، من الجمع الذاتيّ، إلى الصورة الكمالية الإنسانية، والهيئة البشرية الحسية الشهادية.

اعلم أن الحق تعالى لما أراد أن يعرف من حيث ظهور آثار الأسماء الإلهية، وتجليها من حضرة الألوهية، خلق أولاً الروح المحمدي على الصورة الجمعية، ثم منه جميع العوالم العلوية الروحية العقلية، والعوالم السفلية الخلقية العنصرية، إلى خاتم الصور النوعية الكونية، وهو آدم عليه السلام كما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله قال: «**هو نور نبيك يا جابر خلقه من نوره ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزانة الكرسي من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الحب إثني عشر الف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء، وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة نبياً أو رسولاً، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري، والروحانيون من الملائكة من نوري، وملائكة السموات السبع من نوري، والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق الله تعالى إثني عشر ألف حجاب، فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية، وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والعلم والحلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما كان بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور في الجبهة من جبينه حيث سجدت له الملائكة الكرام، ثم انتقل منه إلى شيث**

ومنه إلى إدريس وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب ومن طيب إلى طاهر إلى أن أوصله الله إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى رحم آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة العالمين، وقائد الغر المحجلين، هكذا كان بدء خلق نبيك يا جابر»[1] ذكره في المنتقى، .

فتعين سيدنا محمد ﷺ في كل واحدة من تلك الصور المخلوقة منه بحسبها مع كليته في مرتبته التي تعين فيها أولاً فلما خلق الله آدم أي سوى طينته ونفخت فيه من روحه كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر: 29] تعين فيه من روحه ﷺ على حسب تسويته ومظريته فكان آدم بجسمه وروحه مظهراً للروح المحمدي الكلي بحسب قابليته فظهر هو فيه بحسب مظهريته فلما توقف حصول المعرفة الإلهية على ظهور الروح المحمدي الذي هو جامع لجميع الحقائق الإلهية وجميع الحقائق العلوية الروحية في الصورة الطينية العنصرية البشرية والصورة الجمعية الكلية المحمدية وكانت تلك الصورة في غيوب أصلاب الآباء وبطون أرحام الأمهات في صلب آدم كالنواة له في مظهرية الروح المحمدي الكلي توقف ذلك الظهور على حصول التسوية في مادة تلك الصورة من الجهة التي تلي الظاهر والحس لا من الجهة التي تلي الباطن والغيب كما وقعت التسوية في طينة آدم لنفخ الروح فيه فقدر الله تعالى على مقتضى حكمته البالغة وقدرته الكاملة في تلك التسوية المراتب والأطوار بحسب الأصلاب المعينة المعدودة، والأرحام المقدرة المعهودة، في صلب آدم كما قدر من النطفة في رحم المرأة أطواراً حيث قال: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: 14] فجعل صلب آدم الذي هو كالقشرة لصلب ولده وللأصلاب التي فيه ولتلك الصورة المحمدية التي هي كاللب لها محل التسوية لظهور الأصلاب التي في صلبه وفي وقته فلما حصلت التسوية في صلب آدم عليه السلام لظهور الصلب الذي هو كاللب له وهو صاحب ولده تعينت النطفة فيه وظهرت منه بحسب المحل والتسوية الإلهية فيه أي ظهرت

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

بصورة زبدة أخلاقه وسيرته ووقعت تلك النطفة هيولى ومحلاً لظهور صورة الولد وصلبه فكان صلب آدم كالقشر الذي انشق عن لبه وكان ولده بالنسبة إليه كاللب وبالنسبة إلى الأصلاب التي في صلبه وإلى الصورة المحمدية فيها التي هي لب اللب كالقشر الصائن للبه فتعينت المادة المحمدية في ولده وصلبه بحسب المحل وتعين الروح المحمدي أيضاً في تلك المادة بحسبها فباعتبار تعين مادته ﷺ في أصلاب آبائه وكونه لبهم، وتعين روحه في صورهم كان ﷺ عين آبائه وعين النطفة في أصلابهم، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «**لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة**»[1] فلما حصلت التسوية في ذلك الصلب لظهور الصلب الآخر فيه الذي هو محل التسوية الأخرى أيضاً ظهر ذلك الصلب فيه فتعينت المادة المحمدية فيه بحسبه تعيناً زائداً على تعينها في صلب أبيه كتعين الصورة الإنسانية في صورة النطفة في رحم الأنثى أولاً ثم في صورة علقة ثم في صورة مضغة ثم في صورة عظام ثم في صورة لحم إلى تعينها في صورة البشرية الإنسانية التي تنتج الولادة.

فكلما ازدادت التسوية في النطف بارتفاع قشور الأصلاب عنها قرب ظهور تلك الصورة والمادة المحمدية فجعل الله كل صلب من أصلاب الرجال من آبائه ﷺ على الترتيب الذي وقع في الوجود محل طور تلك التسوية على الوجه الذي يقتضي سلامة تلك المادة عن الانحرافات من حيز الوسط ويقتضي حصول الاستعداد منها للانتقال إلى الطور الآخر والتقلب في الصلب الآخر الطاهر فيزيد على جميع الأصلاب التي عبر عليها وخواصها وكمالاتها وأسرارها هكذا مترقياً سالماً ومندرجاً عارجاً بالأوصاف الزائدة والكمالات الحسية الوجودية إلى أن وصلت تلك المادة إلى آخر تلك الأطوار في التسوية وتلبسها بلباسه وهو العبودية المحضة التي تقتضي انفتاح الصورة المحمدية فيمن تحقق بها وهو والده أبوه عبد الله المتصف بالعبودية المحضة وتكاملت تلك النشأة الكلية والمادة المحمدية بحصولها في صورة اقتضت العبودية الكاملة التي تقتضي انفتاح الصورة الإلهية فيها فلما حصلت التسوية في تلك المادة لانفتاح النطفة الطاهرة الطيبة بحسب المحل الطاهر الطيب التي تصلح لانفتاح

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الصورة المحمدية فيها نفخ الله تعالى في تلك الصورة المسواة والمادة المستعدة روح النطفة الطاهرة فتعين في الصلب الطاهر المطهر عن دنس الغيرية والطاهر بصفات العبودية التي تطلبها حضرة الألوهية والحقيقة الكلية المحمدية وانفصلت منه في وقت سعيد مع موافقته جميع الأسباب العلوية والسفلية إلى رحم أمه آمنة من الانحرافات الطبيعية والصفات السفلية العائقة ومن طرفي الإفراط والتفريط فحفظها الله في ذلك المحل الأطهر والوعاء الأصفى الأنور في جميع الأطوار الرحمية والمنازل الاستقرارية ورباها على ماتقتضيه الحكمة إلى أن تكاملت تلك النشأة وتمت التسوية الإلهية، ثم نفخ فيها الروح المحمدي والسر الأحدي الجمعي الذي يتوقف ظهوره وتعينه على تلك النشأة الكلية والتسوية الإلهية الجمعية ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14] فولد في وقت سعيد وظهرت به الصورة الجمعية الأسمائية وانفتحت فيه النسخة القرآنية وحصل به الغرض الإلهي من بدء الإيجاد والخلق لأنه ظهر الأصل في صورة الفرع من النتيجة بسبب الإحاطة الكلية وصفة العبودية التي جاء بها من غير تعويق بشيء في أصلاب الآباء ولا انحراف في الأمهات والآباء لأن سيره كان على وتيرة واحدة على الطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية فما عبر على شيء غير ملائم لما أراد الحق منه وما عوق في الطريق بشيء لا يوافقهُ ولا يساعده في الظهور بهذه الصورة المحمدية والجمعية الذاتية والرحمة الإلهية فإن الحكيم الذي أراد ذلك الظهور وحكم به في الأزل وقضى لا رادَّ لقضائه ولا مانع لحكمه لأنه لا تحجير في القدرة الإلهية فإنه لو عبر على شيء يخالف طهارته لأثر ذلك الشيء فيه لا محالة لأن كينونة كل شيء إنما تكون بحسب المحل ولاسيما في حالة الوقاع لأن الولد لا يظهر إلا بصورة والديه لأنه صورة سرهما ولاسيما في حالة الوقاع كما قال ﷺ: «**الولد سر أبيه**»[1] لأن مادة الولد في صلب أبيه إنما تعينت أولاً من رطوبته الغريزية وحرارته الطبيعية بل من زبدة جميع أخلاطه وصفاته وأخلاقه فيكون صورة سر أبيه، فإذا انتقل إلى رحم أمه تنضم إليه رطوبتها الغريزية وأخلاقها الطبيعية فيتربى بتلك ويتغذى بدم طمثها بحسب أخلاقها وسيرتها

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2911) [2/ 451].

وصفاتها وكدورتها، فلا يظهر الولد إلا بصورة سر والديه ولا تتعين له المادة الجسمانية إلا من جسمانيتهما، بل تظهر سيرتهما بصورته فما تعينت مادة جسمانية نبينا ﷺ إلا من جسمانية أبويه وأخلاقهما وصفاتهما.

فلما ظهر ﷺ بالصورة الطيبة الطاهرة البشرية والقابلية الكلية الإحاطية التي اقتضت ظهور الحق وتجليه بالصورة الجمعية الأسمائية وحصول المعرفة الربانية والعبادة الإلٰهية التي لأجلها تعلقت الإرادة الذاتية بعالم الخلق، وتوجه الروح المحمدي إلى عالم الكثرة والفرق، وظهر به النسخة القرآنية، التي اقتضت المعرفة التامة والعبادة الكلية وصار هو رحمة لأعيان الممكنات وحقائق الموجودات كلها، وبالأسماء الإلهية المستكنة في غيب الهوية ظهرت طهارة أبويه ونزاهتهما عن دنس الميل والالتفات إلى الغير لأنهما كانا أصل خلقته وبشريته، فظهر هو بصورة الطهارة التي كانت في نفسهما الطاهرة الطيبة وذاتها المطهرة القدسية، فلما ظهر ﷺ بالطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية الكلية من غير تغيير ولا انحراف على الصورة التي أرادها الحق تعالى أزلاً لأجل الظهور والإظهار ولأجل المعرفة والعبادة عرف من طهارته طهارة أبويه بل طهارة آبائه كلهم بحسب مراتبهم الوجودية لأن الله تعالى جعلهم كالممدين لهذه الصورة المحمدية لأن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية إنما توقف حصولها على ما أرادها الحق على الصورة المحمدية الكمالية وتوقف حصول هذه الصورة على كمال الاستعداد في الآباء بحسب مراتبهم في الأخلاق والتحقق بالصفات الكمالية كالتسليم والانقياد إلى الله والعبودية المحضة التي تقتضي اضمحلال صفات العبد وذاته في الأنوار الإلهية والتجليات الذاتية ولهذا كملت التسوية لتلك المادة المحمدية عند وصولها إلى أبيه عبد الله الذي تحقق بعبودية الله التي هي أكمل صفات العبد إذ ليس للعبد فوق العبودية إلا الاستهلاك فلهذا قدر الله أزلاً أن يكون أباً له ﷺ لأن الصورة المحمدية لا تظهر إلا من العبودية المحضة التي هي أكمل الصفات الكمالية الإنسانية، فلهذا كان أبوه عبد الله آخر آبائه، فما ولد إلا على الصورة الكمالية الكلية التي قدر الله ظهوره فيها وبها وما ذلك إلا من جهة أبيه الذي هو أصله وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «**الولد سر أبيه**»(1) وهذه الطهارة لأبويه من جهة جسمانية أي طهارتهما من طهارة جسمانيته وهذه المادة الجسمانية

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

له ﷺ من جهة نسبه وعرقه من آبائه إلى آدم عليه السلام لا من جهة الغذاء الذي تغذى به أبواه الذي نزل بحسب السلسلة الوجودية من العقل الأول إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان أي الغذاء الذي تغذى به أبواه فكل مادة جسمه ﷺ في الصورة الإنسانية فإنه لاحكم فيه لآبائه بل للموجودات التي عبر عليها ولا للوالدين الذين ولد بينهما لأنه نزل على وتيرة واحدة فافهم.

وأما من جهة روحانيته وروحه ﷺ فإن روحه أول مظهر من المظاهر النورية، وأول مجلى من المجالي الإلهية، فهو مطلع الشمس الوترية، ومشرق نور الصمدية، لا يتعين في شيء إلا ويقلبه إلى وصفه، ولا يظهر في مظهر إلا وينصبغ ذلك المظهر بصبغه، إذ هو الكبريت الأحمر، والحجر المكرم الأنور، الذي يقلب ما جاوره من النحاس والأقرب إلى وصفه وإلى هذا أشار بعض الكمل بقوله: (وللأرض من كأس الكرام نصيب)، فما مر ﷺ على صلب إلا وأثر فيه إذ كان هو مطرح هذا النور الإلهي، والروح المحمدي، فأبواه ﷺ كانا من أصفى مطالع هذه الشمس الصمدية، وأنور مشارق النور الفردية، شرفهما الله بما لم يشرف به أحداً من بني آدم إذ خصهما بذلك الأمر الخطير في علمه تعالى وقضائه فظهر على ذلك الوصف في العين إذ بهما انفتحت الصورة الإلهية الأسمائية، والنسخة الكمالية القرآنية، ومنها فاضت الرحمة الرحمانية العامة لجميع الموجودات العلوية، والمخلوقات السفلية، فلما كان أبواه ﷺ على الوصف الذي يقتضي ظهوره بينهما على الصورة الكمالية التي قدر الله ظهوره بها وظهر هو بينهما على تلك الصورة من جهة طهارتهما التي تقتضي ظهوره بتلك الصورة بينهما على ما يحبه الحق ويرضى رضي الله تعالى عنهما لإظهارهما تلك الصورة على حسب إرادته ورضاه بالطهارة والنزاهة التي كانت محلاً مستعداً لتعين تلك الصورة الكمالية المحمدية فيها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

فصل: اعلم أن المعرفة الإلٰهية والعبادة الربانية الذاتية لما توقفت على الصورة الكمالية المحمدية والصورة الكلية الحسية البشرية التي تحتوي على الصورة الإلهية الأسمائية المؤثرة الفعالة في الجمعية الأسمائية في حضرة الوجوب، والصورة الخلقية المظهرية المؤثرة الانفعالية في الجمعية الخلقية في بقية الإمكان محل النقائص والعيوب، وتوقف تحقق تلك الصورة في حضرة الحس والشهادة على خلق

الله تعالى آدم على الصورة الكلية الجمعية، التي تجمع بين الصورة الإلٰهية الأسمائية الفعلية، وبين الصورة المظهرية الخلقية الانفعالية، نفخ فيه من روحه من حضرة الألوهية والحقيقة المحمدية، وعلى تحقق تلك الصورة الآدمية بحقائق الأسماء وفيوضها وتجلياتها وكونها مظهراً لجميع الأسماء الإلهية، والصفات الربانية، وحقائق المظاهر الخلقية، وخواصها المودوعة فيها وزبد كمالاتها التي تستدعيها الصورة الكمالية الآدمية، خلق الله تعالى آدم على القابلية الكلية التي تجمع بين الصورة الإلهية الأسمائية، والصورة الخلقية المظهرية، ونفخ فيه روحه فظهرت فيه الصفات الإلهية، وتجلت له الأسماء الوجودية، واجتمعت فيه زبد جميع المظاهر الخلقية وخواصها وكمالاتها التي لزمت الخليفية ورتبة الخلافة عن الله فتحققت به الخلافة عن حضرة الألوهية، وحصلت الإفاضة للأسماء بتجليها في مظاهره وإظهارها آثارها وأحكامها وفيوضها فيها وحصلت الاستفاضة للمظاهر بقبولها ربوبيات جميع الأسماء وآثارها وأحكامها بحسب استعداداتها المختلفة وحقائقها المتنوعة، فاجتمعت في آدم الكمالات الأسمائية، والكمالات المظهرية التي توقف حصولها في آدم وتحققه بحقائقها وحصول الاستعداد الكلي فيه على الإضافة الكلية الجمعية، من حضرة الجمع والوجود، وينبوع الفيض والجود.

فلما كان محمد ﷺ بجسمه وروحه روح الروح المنفوخ في آدم وسره ولبه الذي يمده وكان آدم بمظهريته الكلية الجمعية الأسمائية كالبشرية والقشر الذي يحفظ إذ كان الإمداد والإفاضة من اللب والحفظ والتربية والإظهار من القشر وأراد الحق للظهور الجمعي الأحدي الكلي، والشهود الأسمائي التفصيلي، نقله من البطون إلى الظهور، ومن الكمون إلى السفور، فجعل له في بطون آدم منازل وأطواراً للتنقل من السير الآدمي، إلى رتبة الظهور البشري، على عدد الآباء المقدرة له في علمه تعالى أزلاً في صلب آدم من أبيه عبد الله إلى آدم على ما تقتضيه الحكمة الإلهية، في إظهار تلك الصورة المحمدية، في الصورة الحسية البشرية، كما جعل للنطفة في رحم المرأة أطواراً كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾

[المؤمنون: 14] إذ كان ﷺ في الروح المنفوخ في آدم كالإنسانية في النطفة وبه حصول التسوية في كل طور من الأطوار الرحمية لأجل الانتقال من طور إلى طور بحيث يتوقف انتقاله من طور إلى حصول التسوية فيه فكلما كملت التسوية فيه وقع الانتقال كما وقع الانتقال من طور النطفة عند تمام التسوية فيه إلى طور العلقة وظهوره في صورة العلقة إلى آخر الأطوار الرحمية وهو ظهوره في صورة البشر.

فلما كملت التسوية للمادة المحمدية في آدم الذي هو بمنزلة الطور الأول من جهة الظاهر للظهور الكلي المحمدي لتحققها في رتبة الخلافة وظهور كمالات الصورة الإلهية الأسمائية الفعلية، وكمالات السورة الإمكانية المظهرية الإنفعالية، وآثارها وخواصها فيه عليه السلام، وحصول الإفاضة من خزائن الأسماء الاستفاضية والقبول من المظاهر وحقائق الأشياء وحصل لها الاستعداد للانتقال إلى طور آخر انتقلت تلك المادة المحمدية في صورة نطفة آدم التي ظهرت وتعينت في صلبه خواص جميع الأسماء الإلهية وربوبياتها وفيوضها التي تحققت في آدم وخواص جميع الأشياء وصفاتها الكمالية الوجودية وزبدها وخلاصتها التي جمعتها الصورة الآدمية إلى رحم حواء.

وبعد التربية الإلهية في الأطوار الرحمية في حواء إلى ظهورها في الصور البشرية في رحمها ثم إلى ولادتها في صورة ولده شيث عليه السلام الذي هو بمنزلة الطور الثاني لظهور تلك المادة بالنسبة إلى الآباء المقدرة له ﷺ في بني آدم فتعينت المادة المحمدية فيه تعيناً زائداً على تعينها في أبيه آدم وهكذا لم تزل تظهر من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة من شيث إلى إبراهيم بالكمالات الوجودية والصفات الكمالية التي تقتضي ظهور تلك المادة وتعينها بها وظهورها وتلبسها بالصفات الأخر الكمالية الإنسانية والإلهية التي تقتضي ظهور الصورة المحمدية البشرية فيها وارتفاع الظروف والقشور التي كانت محفوفة بها وأكمل تلك الصفات وأوفقها لذلك الظهور والانقياد إلى الله بالتجلي المفاض من الله إفناء الوجود بالله الذي عبر عنه بلسان الشرع بالإسلام فلهذا طلب إبراهيم عليه السلام ذلك الإسلام له ولذريته الذين هم آباؤه ﷺ الاختصاص ظهوره بمرتبة العبودية المحضة التي تقتضي

الانقياد إلى الله لأنه عبد محض لاحظ له في القيومية فمن توجه من البطون إلى الظهور لا يصل إلا بصفة العبودية والفقر إلى الله.

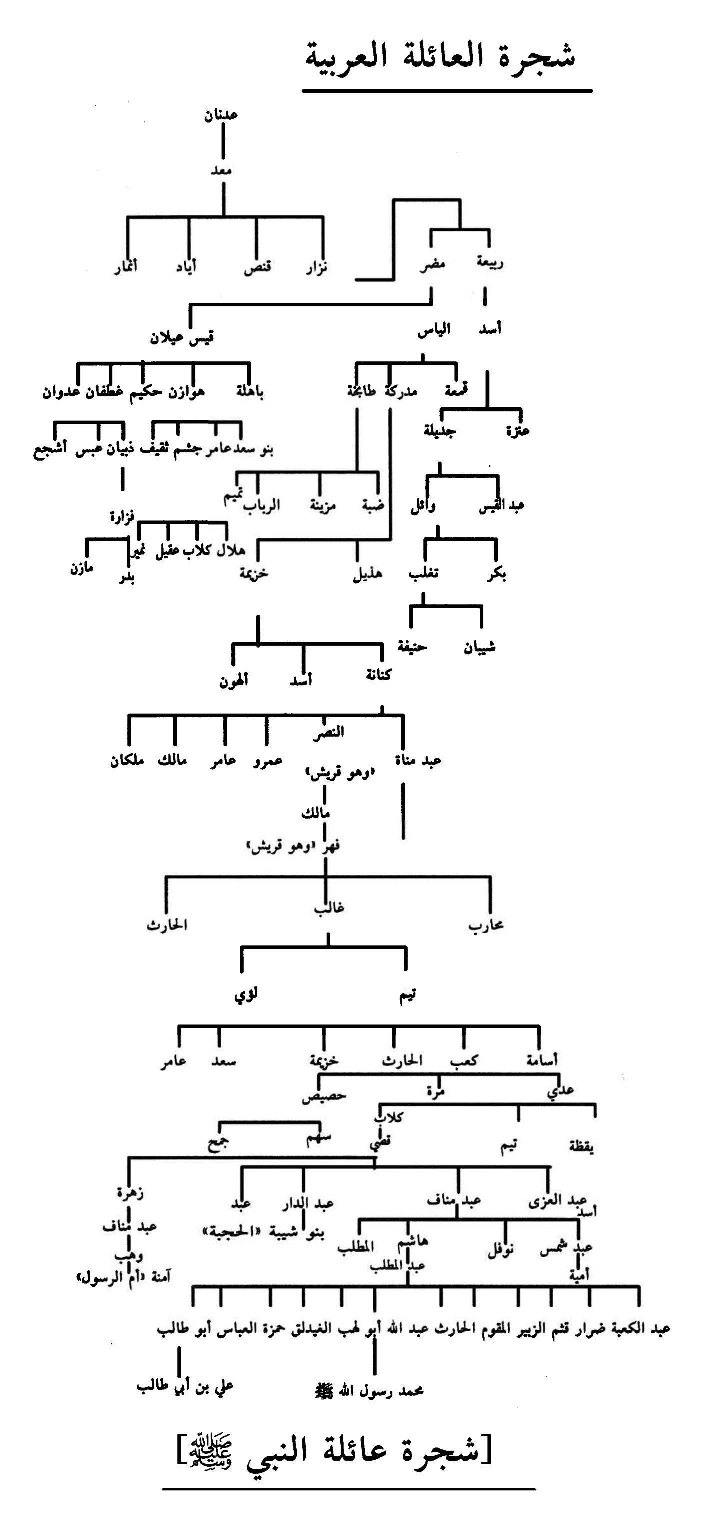
وكذلك لم تزل المادة المحمدية تظهر من صلب إبراهيم وأصلاب ذريته بالصفات الكمالية الزائدة والاستعدادات الوجودية المكتسبة، فلما كان الفقر الذاتي الذي هو صفة العبد المحضة المتصفة بالعبودية المحضة مستقر النور المحمدي والسر الأحمدي الذي لا يتعين فيه غيره لأنه لا يقبل التجزي ولا الغيرية وكان أقرب صفات العبد من الله لأنه ليس بينه وبين حضرة الألوهية حجاب ولا واسطة ولا قبلت عينه الثابتة وحقيقته المطلقة الوجود إلا به وما تعين روحه أولاً إلا بصفة الفقر والعبودية المحضة توقف ظهور المادة المحمدية في الصورة الحسية البشرية من آبائه على حصول الفقر الكلي في الصفات الوجودية وحصول وصف العبودية المحضة التي تقتضي انقطاع العبد عن العالم واتصاله إلى الحق لأنه ﷺ بحقيقته كان مظهراً للجمع الأحدي ولا يظهر ذلك الجمع إلا في المظهر الإنساني الكمالي الذي فني في الله بوجوده وصفاته وذاته ولا يحصل هذا في العالم التفصيلي إلا برجوع الأمر إلى الأصل الذي منه بدأ ووصوله إليه، وحكم الأصل فيه وعليه وهو الجمع الذاتي الأحدي، والتعين الكلي المحمدي، فلما حصل ذلك حكمت سلطنة الذروة العرشية، وحلت نوبة دولة الميزان الذي هو أعدل البروج في الفلك الأطلس واقتضت إظهار الصورة المحمدية، في الاسم الظاهر في الحضرة الحسية البشرية، لاختصاصها بالنوبة الميزانية، والدولة الاعتدالية، التي تعطى إفاضة جميع الأسماء في حضرة الوجوب حقوق التجليات على مظاهرها بحسب استعدادها وقابليتها وتعطى قبول المظاهر حقوقها المعينة بالموازين المقدرة من الاستعداد القابلية من الأسماء واستفاضتها واختصاص الميزان بإظهارها مع موافقة ربوبيات الأسماء الإلهية، والأدوار الفلكية، وحركات الكواكب وتوجهات جميع العوالم العلوية السماوية، والعوالم السفلية الأرضية، وقواها وخواصها وسائر الأسباب التي أودعها الله بهذه الصورة الكلية المحمدية، في الحضرات الأسمائية، والعوالم الروحانية والمثالية، والخزائن المظهرية السفلية، وجعلها كالمقدمات لتلك الصورة

الكلية الكمالية، فلما انتهت الانتقالات الصلبية، والتحولات المادية المحمدية، إلى غايتها وهي ظهورها بصورة أبيه عبد الله بانتهائها إليه بالكمالات الأسمائية وخواص جميع الموجودات العلوية والسفلية وقواها وزبد أسرار الآباء وأخلاقهم وخلاصتها من آدم إلى عبد الله يستدعي اجتماعها فيه تحقق التسوية الكلية، والقابلية الإحاطية في المادة المحمدية، وظهرت وتعينت فيه بصفة الانقياد الكلي والفقر الذاتي العيني والعبودية المحضة التي ليس فوقها وصف للعبد وحصلت فيه مادة تلك التسوية الكلية لانفتاخ الصورة المحمدية فيها فاقتضت تلك التسوية الغذاء المعتدل صورة وحكماً فتجلى الحق لتلك المادة في صورة الغذاء المعتدل وتناول عبد الله ذلك الغذاء بأحسن وجه وأسعد وقت فلما وقع الالتحام المعنوي والنكاح الحسي بين تلك المادة المستعدة والغذاء المعتدل ووقعت الاستحالة في الغذاء بين ازدواج الغذاء بتلك المادة نفخ الله تعالى في تلك المادة التامة التسوية روح النطفة الكلية الجامعة في اعتدال زمانه فاستقرت في صلبه وتلبست بلباس المحل الطيب الطاهر وظهرت بوصفه المبارك ونوره الباهر، ولما كان بدء هذا الأمر من حضرة الجود والوهب اصطفى الله آمنة ابنة وهب لهذا الأمر الجسيم، وجعل رحمها صدفاً لهذا الدر اليتيم، لاختصاصها به واختصاصه بها لكمال طهارتها ونزاهتها وكمال استعدادها وجعل الزوجية بينهما فلما توجهت المحبة الأصلية الأزلية وحكمت المناسبة الكلية الذاتية فيها في أكمل حالة وأجمع وجه وصح الاجتماع بينهما انتقلت النطفة الطيبة الطاهرة والدرة اليتيمة النورية المباركة من مرتبة الفردية التي تقتضيها عبودية عبد الله بالطهارة الأصلية والنزاهة الكلية في صورة العبدوية المحضة والوصف الغالب عليه في حال الوقاع الذي يلايم ذاته المقدسة والمرتبة الكلية المحمدية إلى رحم آمنة الآمنة من الانحرافات الطبيعية، الأمينة على تلك الأمانة الإلهية، في أيمن ساعة وأسعد طالع مع موافقة جميع الأسباب العلوية واجتماعها على تربية تلك النطفة الميمونة، والدرة المكنونة، ورعاية ذلك المزاج الأكمل الأعدل، والوجه الأسلم الأجمع الأشمل، على ما يطلبه الروح المحمدي الأقدس الأسنى، والنور الأحمدي الأنفس الأصفى، المسمى بالعقل الكلي والقلم الأعلى، في أكمل وقت وأسعد ساعة، فلما اقتربت الساعة وانشق القمر، وقرب طلوع

الشمس من المغرب على ما قد جاء في الخبر، ولد ﷺ في أيمن الأوقات، وأجمل الحالات، حساً ومعنى، وأضاء بنوره عند ظهوره العالم كله شرقاً وغرباً، كما أخبرت أمه آمنة عن ذلك عند ولادته في حديث طويل، ولما انتهى سيره ﷺ إلى صورة البشرية، وظهر فيه من روحه الكلي على حسب تلك الصورة العنصرية وأراد الحق بلوغ تلك الصورة إلى رتبة الصورة الكلية الكمالية المحمدية، التي توقف ظهور الروح المحمدي الإلهي عليها، أخذ ﷺ يعرج في تكميل تلك الصورة الكلية، بقطع مراتب البشرية، وتحصيل القوى الجزئية المزاجية، والقوى الكلية العقلية الروحية، والقوى الكلية العقلية الروحية، إلى أن بلغ أربعين من عمره الذي هو رتبة تخمير الطينة البشرية المحمدية، ورتبة نفخ الروح الكلي المحمدي من الحقيقة الكلية، وحضرة الهوية الغيبية، ورتبة النبوة والرسالة ورتبة الخلافة عن الله ورتبة قاب قوسين ورتبة الظهور الكلي الإلهي الجمعي، الذي توقف على ذلك المظهر الكلي المحمدي، وذلك الجسم المستعد والمستوى القابل الأحمدي، ثم سار يقطع مراتب الأكملية إلى رتبة أو أدنى التي ليس فوقها رتبة وبالله التوفيق.

واعلم أن الروح الكلي المحمدي والنور الأحمدي لما توقف ظهوره وتعينه في الصورة البشرية العنصرية المحمدية على طهارة عرقه ﷺ ونسبه وطهارة مادته وتسويتها مع آدم عليه السلام بالانتقالات الصلبية والتحولات الاستعدادية في آبائه إلى آخر أب له صورة وهو عبد الله وحصولها في رتبة العبودية المحضة التي تقتضي انقطاع العبد عن العالم واتصاله بالحق بارتفاع النسب الخلقية، والصفات الإمكانية، التي قد كان تلبس بها النزول في الصورة البشرية، كذلك توقف تكميل النشأة الكلية الإنسانية، ونفخ الروحانية الكلية المحمدية النورانية، المفاضة من حضرة الوجوب على حصول التسوية الكلية، في الصورة الحسية البشرية، بإعراضها عن علائق هذا العالم وتوجهها إلى حضرة الألوهية، بقلب سليم وافناء صفاتها وأحكامها في الله جميعاً وتحققها بصفة العبودية المحضة التي لا واسطة بينها وبين حضرة الوجوب التي أفاضت الروح المحمدي والنور الأحمدي من الحقيقة المحمدية الكلية المطلقة وبالله التوفيق.

شجرة العائلة العربية



[شجرة عائلة النبي ﷺ]

فصـــل في آبائه ﷺ. إلى إبراهيم عليه السلام هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. إلى هنا روى البخاري من غير اختلاف ابن اد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قيل إن آدم عليه السلام أولد حواء أربعين ولداً في عشرين بطناً إلا شيث وصيه فإنه ولد منفرداً كرامة لكون نبينا ﷺ من نسله ثم لما توفي وصى بنيه بوصية أبيه له أن لا يضعوا هذا النور الذي كان بجبهة آدم إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها في القرون إلى أن وصل ذلك النور لجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الأحاديث الصحيحة، وذكر الحافظ أبو سعيد النيسابوري أن نور النبي ﷺ لما صار إلى عبد الله بن عبد المطلب كان يضيء في غرته ويفوح من فمه رائحة المسك الأذفر وكانوا يستقون به فيسقون ونام في الحجر فانتبه مكحولاً مدهوناً قد كسي حلة البهاء والجمال فتحير في من فعل به ذلك فانطلق به أبوه إلى كهنة قريش فقالوا إن إله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج، ونام مرة أخرى في الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات والأرض وليكونن في الناس علماً، وأخرج أبو نعيم والخرائطي وابن عساكر أن عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه للرؤى التي رآها وقد مرت كاهنة قرأت الكتب فرأت نور النبوة في وجهه ومن ثمة كان أجمل رجل في قريش فسألته أن يقع عليها وتعطيه مائة من الإبل فأبي وقال (أما الحرام فالممات دونه) فمر به أبوه حتى أتى به وهباً أبا آمنة فزوجه بها وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً فوقع عليها يوم الإثنين أيام منى عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تكلمه فسألها لمَ لم تعرضي نفسك الآن علي قالت فارقك النور الذي سألتك لأجله، ولما وضعت أمه رأت نوراً أضاء له قصور الشام وفي رواية قالت لما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، وآمنة تلتقي مع رسول الله ﷺ من جهة آبائه في كلاب لأنها ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وكان وهب سيد

بني زهرة نسباً وشرفاً وأم آمنة مرة ابنة عبد العزى بن عبد الدار بن قصي بن كلاب والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

المطلع الثاني: في ثبوت إسلام أبويه ﷺ بالآيات التي أخبر الله بها عن دعوة إبراهيم عند رفعه القواعد من البيت وشهد بها في حقه عليه السلام.

اعلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أمره الحق تعالى ببناء البيت للعبادة كما قال ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البَقَرَة: 125] الآية امتثل أمره تعالى فشرع مع ابنه إسماعيل في بنائه فلما رفع قواعد البيت دعا الله تعالى كما أخبر الله عنه فقال ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البَقَرَة: 127] الآية فأفرد الله إبراهيم في رفع القواعد لأنه كان هو الباني وإسماعيل المناول وقال إبراهيم بضم ولده اسماعيل إليه ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البَقَرَة: 127] أي أعمالنا وسعينا في بنائنا البيت بأمرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البَقَرَة: 127] لندائنا وأعمالنا ونباتنا وما في ذواتنا ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البَقَرَة: 128] أي منقادين لأمرك في الانقياد لما تريده من التصرف فينا وبنا في عالمك لك ولما يجري منك علينا من الأحكام التي تقتضيها عبوديتنا وتقتضيها حضرة الألوهية ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البَقَرَة: 128] وهذا اختصاص لبعض ذريته وهم آباء نبينا ﷺ وأجداده من إبراهيم إلى أبيه عبد الله اعتناء بهم وطلباً لحصول الاستعداد بالانقياد إلى الله تعالى والاستسلام إليه لظهور الرسول الذي هو في لب أصلابهم ولهذا اختص البعض أي واجعل البعض من ذريتها ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البَقَرَة: 128] أي منقادة مستسلمة في الانقياد لأمرك حتى يحصل بهم الأمر الذي لأجله خلقت الخلق ويظهر بهم وفيهم الأمر الكائن في علم غيبك ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البَقَرَة: 128] أي متعبداتنا، أي محل عبادتنا أو مذابحنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ [البَقَرَة: 128] أي أرجع علينا بالإفاضة من بحر جودك حتى نتوب إليك ونرجع إلى حضرة قدسك بالاستفاضة والاستهلاك في أنوار شهودك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [البَقَرَة: 128] على من رجع إليك ٱلرَّحِيمُ لمن لاذ بجناب قدسك، ولما تخلل الخليل في الحضرات الإلهية، والخزائن الأسمائية، وشاهد فيها بنور النبوة وعين البصيرة كمال نور نبينا ﷺ ووجوده الحسي في أصلاب الرجال من ذريته الذي يأتي بالكتاب المبين،

وبه يظهر الحق ويكمل الدين، وبه يحصل المراد الإلهي من انجاز عالم التفضيل ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ﴾ [البَقَرَة: 129] أي في تلك الأمةُ المسلمة من ذريتي ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [المؤمنون: 32] أي من أنفسهم ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ [البَقَرَة: 129] التي تنزلها عليه ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الجُمُعَة: 2] أي القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزَاب: 34] أي وضع الأشياء في موضعها وهي الإصابة في الأمور على ما هي عليه من حقائقها ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾ [الجُمُعَة: 2] أي يزكي نفوسهم من تلوث الالتفات والميل إلى الغير ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [غَافر: 8] **اعلم** أن إبراهيم عليه السلام طلب من الله في ندائه هذا أموراً.

أحدها: أن يجعلهما مسلمين منقادين له والإسلام والانقياد إلى الله صفة العبد وهما مراتب وأعلاها مرتبة قرب النوافل التي هي مرتبة اضمحلال صفات العبد ومرتبة قرب الفرائض التي هي مرتبة اضمحلال ذات العبد، وأعلى مراتب الانقياد بإفاضة التجليات الإلهية على العبد فتستهلك صفاته بصفات الحق وتستهلك ذاته بتجليات الحق فكل ما يظهر منه إنما يظهر بتلك الإفاضة الإلهية وألا يسند إلا إلى الله، فطلب إبراهيم عليه السلام من الله أعلى مراتب الإسلام وهو الانقياد إليه بالتجلي الإلهي المفاض منه تعالى فيكون انقيادهما إليه مجعولاً له تعالى بإفاضة التجلي والقدرة على مراتب العبد والاستكنان تحت الأسرار الإلهية والظلال الربانية فلما شاهد إبراهيم عليه السلام نفسه وعاد للسر المحمدي طلب أعلى الانقياد الذي هو كالتوبة لظهور وجود النبي ﷺ.

والأمر الثاني: لما شاهد إبراهيم النبي ﷺ في بطون بطون لبه وأصلاب أصلاب رجال من صلبه بحسب القرون المتطاولة والأزمنة المتعينة لهم طلب لهم الإسلام والانقياد الذي طلبه لنفسه ليظهر ذلك النور الإلهي والروح المحمدي على الوجه الذي أراد الحق تعالى فقال ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البَقَرَة: 128] أي طلب من الله تعالى أن يجعل من ذريته أمة مسلمة أي منقادة له تعالى بالانقياد الذي يحصل من الإفاضة الإلهية والإعانة الربانية فحض ذريته بل البعض منهم الذين هم لبه لأنه رأى النور المحمدي يتلألأ في غيوب بطون ذريته في صلبه فطلب انقياده

المجعول لتظهر ذريته على سره وطلب انقياد ذريته له تعالى الذي هو سر انقياده ليحصل كمال التوبة لظهور تلك الصورة المحمدية.

والأمر الثالث: طلب محل العبادة والتعبد وذلك لوجهين:

أحدهما: أنه كان في بناء البيت للطواف والعبادة فطلب من الله أن يريه محل العبادة عنده وتعينه له لأن العبد لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه بل يفعل بأمر السيد.

والثاني: كان إبراهيم مهيماً في أنوار جمال الحق تعالى فكان لا يميز مظهراً من مظهر ولا محلاً فطلب من الله أن يعينه.

والأمر الرابع: طلب من الله أن يبعث في تلك الأمة المسلمة من ذريته رسولاً منهم فقال ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البَقَرَة: 129] هو سيدنا محمد ﷺ فيتضمن ذلك القول أموراً:

أحدهما: أن تكون الأمة التي بعث فيهم سيدنا محمد ﷺ منهم مسلمة بالإسلام المجعول من الله تعالى.

والثاني: أن يكون ذلك الرسول من ذرية إبراهيم لأن الأمة التي بعث فيهم رسولاً كانوا من ذريته.

والثالث: امتداد الملة الحنفية والشريعة الخليلية إلى بعثة نبينا ﷺ وعدم انقطاعها بين إبراهيم وبين بعثته ﷺ، لأن الإسلام قبل بعثته في ذرية إبراهيم عليه السلام من جهة إسماعيل عليه السلام لا يتصور إلا على دين إبراهيم عليه السلام ولا يتصور بعثته من الأمة الإسلامية من ذريته إلا بامتداد الإسلام منه في القرون التي بين إبراهيم عليه السلام وبين نبينا ﷺ إلى بعثته.

والرابع: بعث الرسول فيهم منهم لا من غيرهم لأن الرسول المختص بهم لا يمكن أن يجيء من غيرهم لاختصاص ظهوره منهم وحينئذ لا يبعث فيهم غيره لأنه ظهر بصورة الانقياد الذي فيهم وأنتج أن يظهر على تلك الصورة أن انقيادهم الكلي إنما وقع لتلك الصورة المحمدية التي هي المراد الإلهي فكانت صورة نتيجة لانقيادهم وحالهم فرجعت إليهم ثمرة أعمالهم فلا يبعث فيهم إلا الرسول الذي هو

صورة انقيادهم ونتيجته وهو منهم لا من غيرهم لأنه لا تظهر تلك الصورة المحمدية إلا من انقيادهم فكان ﷺ من الأمة المسلمة نسباً وملة فشرف الله إبراهيم بأن ختم ملته من حيث إضافتها إليه برسولنا ﷺ عند بعثته في ملة إبراهيم عليه السلام لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم عليه السلام وشرفه الله أيضاً بجعل ملته شرعاً له ﷺ وإحيائه إياها وجعلها ملة باقية دائمة إلى يوم القيامة.

والخامس: أن يجيء الرسول بين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالدين الآخر لتكون الأمة المسلمة هي التي بعث فيها نبينا ﷺ ودينه الذي بعث فيه هو دين الإسلام، **والسادس** ثبوت بعثة نبينا ﷺ في ملة إبراهيم عليه السلام من حيث كون ملته شرعاً له من الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾ [الحَجّ: 78] فإذا ثبت امتداد الإسلام وعدم انقطاعه من إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعثة نبينا ﷺ وثبت وجود الأمة المسلمة التي بعث فيها منها ثبت توحيد أبيه عند الله وإسلامه وتوحيد أمه آمنة وإسلامها على طريق أخرى لأنه لا يتصور وجوده فيهم ومنهم وهما من ملة دونهم، ولما ثبت كونه منهم بحسب القرابة الطينية ثبت كونه منهما وكونهما أمة مسلمة بحسب القرابة الرحمية على طريق أخرى لأن مادة جسمه البشري ما تعينت إلا في أبيه ﷺ، وما كملت صورته البشرية إلا في رحم أمه فثبت كونهما أمة مسلمة كما قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا﴾ [النّحل: 120] ولو لم يوجد مسلم غيرهما والعكس بخلاف ذلك فإنه لا يجوز إطلاق بعثته من الأمة المسلمة بحسب القرابة الطينية فكونه منهم بحسب كونه منهما فلما دعا إبراهيم عليه السلام أول ما دعا عند البيت الذي أمره الله ببنائه للعبادة والدعاء أن يبعث الله من الأمة المسلمة من ذريته رسولاً منهم استجاب الله دعاءه لأنه صادق وقد وعد باستجابة دعاء عباده كما قال تعالى ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غَافر: 60] فحفظ دينه بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته عليه السلام ثم بعثه فيهم وما كان غرض إبراهيم في دعائه هذا إلا استدامة العبودية في الأمة المسلمة من ذريته وبعثة الرسول إلى تلك الذرية المسلمة ودعا له وكان هو كالدر اليتيم مكنوناً في لبهم وهذا هو عين مراد الحق وبه تعلقت الإرادة الإلهية كما وقع بعد بعثته ﷺ فحفظ الله

دين إبراهيم بالأمة المسلمة من ذريته إلى بعثته ﷺ فلهذا ما بعث إلا في دين إبراهيم فأحياه فلما بعث الله محمداً اعلم أنه تعالى أجاب دعوة إبراهيم وأنه ما بعث إلا من الأمة المسلمة من ذريته عليه السلام فثبت كون أبويه ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام وهو الإسلام الذي طلبه من الله له وللأمة من ذريته.

هذا من جهة دعوة إبراهيم فقط وأما من جهة أخبار الله تعالى عنه عليه السلام بهذه الآيات وشهادته عنه في معرض إثبات نبوة نبينا ﷺ بحكاية قول إبراهيم عليه السلام عند من توقف عن التصديق وعند من أنكر وادعى أنه على دين إبراهيم وسمع من آبائه دعوته بذلك الدعاء وكون شهادة الله عنه عليه السلام في هذه الأخبار بمنزلة الشاهد على نبوة نبينا ﷺ، فيكون ذلك القول من الله نصاً على كون أبويه من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام، أي أن رسولكم الذي أرسلته فيكم من أنفسكم هو الرسول الذي دعا به أبوكم إبراهيم وطلبه منا أن نبعثه فيكم بعد طلبه منا أن نجعلكم أمة مسلمة وأنتم سمعتم من آبائكم دعوة أبيكم عليه السلام في حقكم بالإسلام وانبعاث الرسول فيكم منكم ولا تنكرونه بل تنتظرون بعثته، وأما من جهة بعثته ﷺ وثبوت رسالته بالمعجزات الظاهرة والآيات القاهرة فثبوت رسالته يتضمن إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام وهو يتضمن كون أبويه ﷺ من الأمة المسلمة ولهذا قال ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»(1) بل ثبوت رسالته عين ثبوت كونه من الأمة المسلمة لثبوت بعثته منهم بشهادة الله تعالى فمن آمن برسالة سيدنا محمد ﷺ وصدقه فيها آمن ببعثته من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام.

واعلم أن إبراهيم عليه السلام لما تحقق بالإسلام والانقياد إلى الله كما يقتضي انجذب قلبه من عالم الحس إلى عالم الغيب فأطلعه الله على صورة محمد ﷺ في أصلاب رجال من صلبه كما قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: 75] فشاهد أنه يبعث رسولاً بالكتاب وأنه يحيي دينه وبه يحصل المراد الإلهي من إيجاد عالم الحدثان وشاهد أن تلك الصورة المحمدية إنما تظهر

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير سورة الأحزاب، حديث رقم (3566) [2/ 453] ورواه الطبراني في مسند الشاميين، عن العرباض بن سارية برقم (1455) [2/ 340].

بكمال العبودية والاستسلام إلى الله تعالى ثم طلب من الله انقياد أمة من ذريته إلى الله وإسلامهم حتى تظهر ذريته بصورة الانقياد الذي هو سيرته عليه السلام ويظهر فيهم أيضاً الانقياد الأخير الذي شاهده بالصورة المحمدية فكان غرضه من قوله ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البَقَـرَة: 128] استدامة دينه وبقائه حتى يظهر ذلك الرسول الذي اراه الله اياه في اصلاب رجال من الأمة فلهذا قال ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البَقَـرَة: 129] فقبل الله دعوة إبراهيم عليه السلام في حق نفسه ودينه وفي حق الأمة المسلمة من ذريته وفي حق الرسول الذي بعثه فيهم ومنهم لأنها هي مراد الحق ووافقت إرادته، فلما أرسل الله الرسول بالكتاب في دين إبراهيم عليه السلام علمنا أن بعثه من الأمة المسلمة من ذريته، وعلمنا ببعثه من الأمة المسلمة عدم خلو الزمان بين إبراهيم عليه السلام وبين تلك الأمة المسلمة بل بين مبعث نبينا ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام عن قوم مسلمين من ذريته وغيرهم الذين أقاموا دينه وبهم قام الدين وإن وقعت الغلبة للمفسدين والمشركين في بعض الأزمنة فجاء ﷺ بدين إبراهيم عليه السلام وأمر بالاتباع له قال تعالى ﴿بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [البَقَـرَة: 135] وقال ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النّحل: 123] فلما كان هذا القول نصاً في الاتباع لدين إبراهيم عليه السلام كان نصاً في وجود الأمة المسلمة من ذريته الذين بهم قام دين إبراهيم عليه السلام وإذا كان نصاً في وجود الأمة المسلمة كان نصاً في إسلام أبويه لكونه منهما ولم يكن نص آخر يعارضه بوجود المشركين بينهم لأنه لا يحكم على أحد من القوم الذين بعث فيهم منهم رسولاً بالشرك على التعيين إلا بالنص الصريح وإن وقعت عبادة الأصنام قبل بعث الرسول فكيف في حق أبويه ﷺ وهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم فإن إبراهيم عليه السلام دعا بثبوت الأمة من ذريته على الإسلام وإبقائه فيهم إلى بعث الرسول منهم وبعث الله فيهم الرسول بنص القرآن وما بعد الحق إلا الضلال فكيف يحكم مسلم بإشراك جميع ذريته؟ حاشا فهذا بغي وضلال فإن إبراهيم عليه السلام في هذه الآيات خص البعض من ذريته بالإسلام إشارة إلى آبائه ﷺ لأنه لا يمكن بعثه من أعراق جميع ذريته وطلب إبراهيم عليه السلام من الله أن يجنبه وذريته كلهم عبادة الأصنام بقوله

﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] لإمكان ذلك. فبعث الله نبينا ﷺ بدين إبراهيم من حيث كونه شرعاً فأحياه فأكمله به قال الله تعالى في حقه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: 3] وأبقاه إلى يوم القيامة، ولما ثبت بالنصوص الإلهية والآيات اتباعنا واتباع نبينا لملة إبراهيم حنيفاً وثبت وجود دين إبراهيم عليه السلام والذين قاموا بالدين وأقاموه ثبت إسلام أبويه ﷺ وتوحيدهما لكونه منهما وظهوره بينهما، فإن إطلاق الأمة المسلمة وإرادتهما منها أحق وأقرب من إطلاقها وإرادة أقربائه لأن القرابة الرحمية أقرب من القرابة الطينية كما ذكرنا.

فصل في الآيات التي تدل على طهارة نسبه ﷺ.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة: 28] فنهي المشركين لنجاستهم المعنوية عن التقرب من المجسد الحرام، أي عن الدخول فيه والوطء على أرضه، وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: 30] فجعل الأوثان عين الرجس فنهى عن التقرب منها وقال تعالى ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور: 26] فخص الخبيثات من النساء المشركات بالخبيثين من الرجال المشركين، وخص الرجال الخبيثين بالخبيثات من النساء للمناسبة التي اقتضت المقارنة بينهما، وقال تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: 26] فخص الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء، فإذا جعل الله المشركين عين النجس ونهى أن يقربوا المسجد الحرام، وجعل الأوثان عين الرجس ونهى عن التقرب منها، فكيف يقر العليم الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها الروح الطاهر الطيب النبوي الذي هو رحمة للوجود بأصلاب المشركين وأرحام المشركات التي هي عين النجاسة ويجعلها أصله ﷺ في التكوين والتصوير، فحاشا قدره جناب القدس الإلهي عن العجز والتحجير، وحاشا عزة ذلك النور المبين عن التلوث والتلبس بما لم يكن من عالم التقديس والتنوير، وقد خص الله الطيبات من النساء بالطيبين من الرجال وخص الطيبين من الرجال بالطيبات من النساء، وإذا كان هذا في الالتحام النكاحي فوقوعه في أصلاب الرجال وأرحام النساء للمناسبة بينهما وبين النطف التي

تتكون في الأصلاب وتستقر في الأرحام أولى بذلك لأن الاختصاص في الأول للمناسبة بين الشخصين وفي الثاني إنما لتعين النطف ويولد بصورة سر الآباء والأمهات فافهم.

المطلع الثالث: في الآيات الدالة على ثبوت ملة إبراهيم عليه السلام وبقائها في ذريته وعدم اندراسها من زمان بعثة نبينا ﷺ

قال الله تعالى في سورة البقرة بعد ذكر دعوة إبراهيم عليه السلام ببقاء ملته وبقاء الأمة المسلمة من ذريته وبعث الله فيهم الرسول منهم ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البَقَـرَة: 130] أي يردها، أي لا يرغب أحد عن ملته ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البَقَـرَة: 130] أي لا يعرض عن ملة إبراهيم إلا من جهل نفسه وجهل شرف ذاتها لكمال قابليتها لانطباع الصورة الإلهية الأسمائية فيها وأهانها وجهل مرتبتها عند الله، فلم يعرف أن شرف نفسه وكمالها إنما يحصل بالتحقق بملة إبراهيم وهو الانقياد إلى الله والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية تماماً، فكان الظهور بالملة التحقق بملة إبراهيم عليه السلام، فإن ملة إبراهيم كانت في النفس بالقوة، وإذا حصل الاستكمال يظهر بالفعل، فمن عرف شرف نفسه وكمالها في الانقياد الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام لا يرغب عنها، وهذا القول من الله يدل على وجود ملة إبراهيم عند بعثة سيدنا محمد ﷺ بالنبوة والدعوة إلى الله والتحريض على الاتباع لها، وقال تعالى ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البَقَـرَة: 135] وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أي قالوا في الترغيب إلى ملتهم أي قالت اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب للأمر قال الحق تعالى قل امرا لمحمد ﷺ ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البَقَـرَة: 135] أي قبل بل كونوا أهل ملة إبراهيم أو بل نتبع ملة إبراهيم فأمرهم بالاتباع لملة إبراهيم وذلك يستلزم وجود ملته عليه السلام وأحكامها حنيفاً أي مائلاً عن الباطل إلى الحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النّحل: 123] تعريض بالمشركين من أهل الكتاب وغيرهم فإنهم كانوا يدعون اتباعهم لملة إبراهيم عليه السلام وهم مشركون، وقال تعالى ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾ [آل عِـمـرَان: 68] وقال تعالى ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ

مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عِمران: 95] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النِّسَاء: 125] وقال جل وعلا ﴿إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعَام: 161] وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [يُونس: 105]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: 35] وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام قال: لا ألم تسمع قوله تعالى ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] فإن قيل كيف لم يدخل ولد اسحاق وسائر ولد ابراهيم؟ يقال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن يعبدوه إذا أسكنهم إياه، فقال: رب اجعل هذا البلد آمناً، ولم يدع لجميع البلدان بذلك وأجنبني وبني أن نعبد الأصنام فيه وقد خص أهله، وأخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في هذه الآية قال فاستجاب الله لإبراهيم عليه السلام دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته فاستجاب الله له وجعل هذا البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات وجعل إماماً من ذريته يقيم الصلاة وقال تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النّحل: 123] يا محمد ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النّحل: 123] أمره الله تعالى أن يتبع ملة أبيه إبراهيم فكانت ملته شرعاً من الله وليس فوق هذا في إثبات ملة إبراهيم وبقائها إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ نص فإن سيدنا محمداً ﷺ كان في ملة إبراهيم قبل بعثته فلما بعث منها بعث بها من حيث كونها شرعاً له وقال تعالى ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: 40] . أخرج ابن جرير في قوله تعالى ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ﴾ [إبراهيم: 40] قال: فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى، وقال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحجّ: 78] وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الرُّوم: 43] وقال تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فَاطِر: 11] أي آدم وهم كانوا في صلبه ثم من نطفة، أي من آدم عليه السلام ونطف بنيه ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ﴾ [فَاطِر: 11] من ذكر وأنثى

للتوالد والتناسل وامتداد النوع الإنساني ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ﴾ [فَاطِر: 11] من نطفة ذكر ﴿وَلَا تَضَعُ﴾ [فَاطِر: 11] حملها ﴿إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فَاطِر: 11] وإذنه فالخالق الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها ويجري الأمور على سبلها ومسالكها الذي خلق أولاً روح محمد ﷺ وجعله أصلاً وأبا لجميع الأرواح وقدر في الأزل ظهور الحق والدين به وكونه مظهر كلياته وبه تحصل المعرفة الربانية والعبادة الإلهية التي قصدت من بقعة الإمكان وأنزل القرآن الذي يتضمن الجمع بين صورة العبودية والتحقق الكلي بالعبودية المحضة على قلبه لا يخلق محمداً من نطفة مشرك أبداً ولا يجعل الزوجية بين مشرك ومشركة ليكون هو نتيجة عنهما ولا يريد أن تحمل مشركة من نطفة مشرك محمداً ﷺ الذي هو رحمة الوجود، ومفتاح خزائن الكرم والجود، لأنه يخالف حكمته ولا تحجير عليه ولا مجبر له على ذلك حاشا لأنه مستخرج من حضرة الألوهية على الصورة الجمعية الأسمائية ولأن وجوده ﷺ قصداً خاصاً لله تعالى لإظهار أحكام ربوبيته، وانتشار رأفته ورحمته على بريته، بخلاف حال سائر الكمل من الأولياء والرسل فافهم.

فإذا كان خلق الإنسان من نطفة وجعل الزوجية بين الزوجين أمراً مخصوصاً بالله تعالى وكان حمل الأنثى ووضعها حملها بعلمه تعالى وإذنه فما خلق محمداً ﷺ إلا من أطهر بقعة وأصفاها، وأشرف لمعة وأنورها وأسناها، وما جعل الزوجية بين أبويه إلا في أشرف الأصول وأكرمها وأمجدها، وما رباه في رحمها التي هي أطهر الأرحام إلا بأحسن التربية وأطيب الأغذية التي تقتضيه طهارة ذاته ونزاهتها، وما وضعته إلا في وقت سعيد أيضاً يعلمه الحق موافقاً لكماله وقدره له على مقتضى علمه، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ [الزّخرُف: 26] أي بريء ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزّخرُف: 26] أي من الآلهة التي تعبدونها ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧﴾ [الزّخرُف: 27] الصراط المستقيم، والطريق القويم، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: 28] أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد باقية، أي أراد بقاءها في ذريته أو وجعل إبراهيم كلمة قوله ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البَقَرَة: 128] كلمة باقية أي طلب بها من ابقاء ملته في ذريته ودوامها إلى مجيء

الرسول منهم فاستجبت دعاءه فجعلتها باقية في ذريته متصلة ببعث الرسول فيهم منهم فأضاف الجعل إلى إبراهيم لاستدعائه بقاءها في ذريته وكونه سبباً لبقائها فيهم أو فطلب إبراهيم منا بقاءها فجعلتها كلمة باقية دائمة في ذريته إلى مجيء الرسول فيهم منهم، وأخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: 28] قال شهادة أن لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم عليه السلام، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه قال شهادة أن لا إله إلا الله، وقال عبد بن حميد حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه قال شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده.

وقال عبد الرزاق في تفسيره عن ابن معين عن قتادة في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه قال الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده أخرجه ابن المنذر ثم قال: وقال ابن جريج في الآية في عقب إبراهيم فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يوحد الله ويعبده بقوله لا إله إلا الله، وقال وقول آخر فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: 41] أي لعل المشركين منهم في كل دور يرجعون إلى الله بدعاء الموحدين من ذريته، ثم اضرب عن جعل إبراهيم كلمة التوحيد ودوام ملة إبراهيم عليه السلام في ذريته إنما هو بإعطاء الله لهؤلاء القوم من قريش وآبائهم من النعمة وطول العمر، فكان بقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول ﷺ بإمداد الله إياهم وحفظهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين أي متعت هؤلاء وآباءهم إلى إبراهيم بالمد في عمرهم وعدم انقطاع نسلهم، فبقيت الكلمة الإبراهيمية والملة الخليلية في ذريته إلى مجيء الحق أي ظهور دعوة التوحيد ورسول ظاهر بالمعجزات القاهرة.

فإخبار الله لنا في القرآن أنه جعل كلمة التوحيد وملة الإسلام في ذرية إبراهيم باقية لم تزل فيهم من لدن إبراهيم إلى بعثة رسول الله ﷺ فيهم إنما هو من جهة آبائه وأجداده كلهم إلى إبراهيم عليه السلام، فثبت توحيد عبدالله أبي النبي ﷺ وأمه وإسلامهما وتوحيد سائر آبائه إلى إبراهيم عليه السلام، وذلك أن إبراهيم عليه

السلام لما شاهد في أصلاب رجال في صلبه صورة محمد ﷺ وبعثه بالكتاب والحكمة ورأى إحياءه الحق وملته وشاهد أن ظهور تلك الصورة المحمدية في الحضرة الحسية إنما يكون الإسلام والانقياد إلى الله وإفناء الوجود في الله وكان مغرماً بظهوره طلب من الله أن يبقى الإسلام والتوحيد في ذريته نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن إلى بعثة الرسول ليكون ذلك سبباً لظهور الصورة المحمدية والنسخة القرآنية وبهما يظهر الحق ويكمل الدين فكان أبواه ﷺ من الأمة المسلمة الذين طلب إبراهيم في الدعاء بعث الرسول منهم بالكتاب وجعل الله كلمة التوحيد باقية في ذريته أي في جميع آباء النبي إلى إبراهيم إلى مجيء الرسول منهم كما شهد بقوله تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: 28] وكان ذلك من إبراهيم تدبيراً إلٰهياً في ظهور الرسول الذي شاهده في أصلاب رجال من ذريته فطلب من الله ظهوره بالكتاب والحكمة ولا يكون ذلك إلا ببقاء التوحيد والانقياد إلى الله في ذريته في جميع آباء النبي إلى بعثه ﷺ لأن قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى قوله ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزّخرُف: 29] يقتضي ذلك، وقال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: 18] وقال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة: 5] فأخبر الله تعالى في هذه الآيات عن بقاء ملة إبراهيم وبقاء دينه في ذريته إلى بعثه ﷺ منهم وأمرنا ببعضها باتباع تلك الملة الحنيفية والشريعة الخليلية وأمر رسول الله ﷺ في بعضها أيضاً باتباعه لها ودعوته بها من حيث كونها شرعاً له ﷺ، فإذا صح بقاء ملته في ذريته إلى بعثه ﷺ صح توحيد أبويه وإسلامهما لكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم بل لكونهما أمة مسلمة كما قال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النّحل: 120] فإن نسبته إليهما أقرب من نسبته إلى ذوي قرابته فافهم التخليص، واعلم أن الملة الحنيفية والشريعة الخليلية التي هي الإسلام اتصلت إلى بعثة نبينا محمد ﷺ بل بعث هو فيها ومنها وأمر باتباعها وإحياء أحكامها كما قال تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النّحل: 123].

وما وقعت الفترة بين الشريعتين أي بين شريعة إبراهيم وشريعة نبينا ﷺ من حيث اندراس شريعة إبراهيم عليه السلام وعدم بعثته ﷺ لأنه بعث في دين إبراهيم

وكانت الأحكام التي وضعها إبراهيم عليه السلام أصول شريعته ﷺ بل كان الغرض الإلهي من ملة إبراهيم بعثة نبينا ﷺ فيها بالكتاب المستوعب لجميع الشرائع الإلهية والنبوات البشرية مع اختصاصه بأحكام زائدة عليها، بل وقعت الفترة والفتنة في دين إبراهيم عليه السلام وبجيوش الشرك من عبدة الأصنام ووقوع الغلبة منهم على الإسلام كما وقعت الفترة في دين نبينا ﷺ في زمان التابعين وبعدهم بحدوث الفرق الضالة مع بقاء الإسلام والمسلمين، فإن الله تعالى أمر نبينا ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام ووجود ملته إلى زمان بعثه ﷺ إلى الذين أقاموا الملة والدين وبهم قامت الملة كما قال ﷺ في الصلاة من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين، فامتداد الملة وبقاؤها من زمان إبراهيم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ لا يقع إلا بوجود المسلمين في الأزمنة التي بينهما وإقامتهم إياها.

فإذا ثبت وجود ملة إبراهيم في زمان بعثته ﷺ ثبت وجودها من زمان إبراهيم عليه السلام إلى زمان بعثته ﷺ وإذا ثبت وجود ملة إبراهيم ثبت إسلام أبيه عبد الله وتوحيده، لأن المراد من الملة الحنيفية الانقياد إلى الله تعالى وتسليم الأمور إليه والتحقق بالعبودية المحضة التي توجب ظهور الصورة الكلية المحمدية، والمراد منها ظهوره وبعثته ﷺ فلذا ظهر من صلب عبد الله بصفة العبودية ولهذا أسماه الحق بالعبد، وقال سبحان الذي أسرى بعبده علم عبودية عبد الله وتحققه بها لأن الولد سر أبيه، ولا يتصور التحقق بها إلا بالإسلام والانقياد إلى الله والتوحيد، وكذلك أمه فكان أبواه ﷺ على ملة إبراهيم عليه السلام ودين الإسلام الذي اتصل إلى ابنهما محمد عليه الصلاة والسلام ومن أصدق من الله قيلا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المطلع الرابع: في الأحاديث التي دلت على طهارة نسبه إلى آدم عليه السلام.

قال النبي ﷺ: «**لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة**»[1] وقال في حديث آخر أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن**

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الذي كنت فيه»[1] أي بعثت في صور أصولي وآبائي من لدن آدم عليه السلام إلى عبد الله في كل قرن من خير قرون بني آدم أي بعثت في خير ذلك القرن ولهذا قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿219﴾﴾ [الشُّعَرَاء: 218-219] إنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد وكان خير تلك القرون قرناً بعد قرن لأنه بمنزلة الأصل للشجرة والقرون بمنزلة الشجر والصور الموجودة المشهودة بمنزلة أغصان الشجرة وأوراقها وأزهارها وأثمارها ولا يجيء المدد والفيض للشجرة وأغصانها وأوراقها إلا من أصلها حتى كنت أي مازلت في الظهور في أصلاب الآباء المعينة في القرون المقدرة إلى أن كنت بغير واسطة صورة أب من الآباء بل بالصورة البشرية الكلية والصورة الجمعية الإلهية المختصة بي بالرسالة الكلية العامة في القرن الذي كنت فيه فحينئذٍ كانت آباؤه الذين كان هو في أصلابهم وظهر بصورهم من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله في كل قرن خير ذلك القرن لكونهم مظاهر للجمعية الأسمائية وإفاضة الله على الأعيان الممكنة في بقعة الإمكان من تلك الجمعية وكونهم محل مادة جسمه ﷺ الذي فيه تجلى الروح الكلي المحمدي بجسمه، وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما فاخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية**»[2] أي ما افترق الناس من لدن آدم عليه السلام في قرن فرقتين إلا جعلني الله في خير فرقة منهما فأخرجت في كل قرن في صورة الأب المختص بذلك القرن من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية من عبادة الأصنام وغيرها فكان جميع آبائه إلى آدم مسلمين سواء كانوا في عهد الجاهلية أو في غيره، وخرجت من بين أبوي من نكاح شرعي ولم أخرج من سفاح، أي زنا، من لدن آدم حتى انتهيت أي في الخروج على الطهارة الأصلية إلى

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب صفة النبي ﷺ، حديث رقم (3364) [3/ 1305] ورواه أحمد في المسند عن أبي هريرة برقم (8844) [2/ 373] ورواه غيرهما.

(2) أورده المتقي الهندي في كنز العمال برقم (31867) [11/ 181] وعزاه إلى البيهقي في دلائل النبوة وقال أيضاً: أورده ابن كثير في البداية والنهاية (2 ـ 255) وقال: هذا حديث غريب جداً من حديث مالك تفرد به.

أبي عبد الله وأمي آمنة سالماً من أوصاف أهل الجاهلية وشين السفاح فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً، وأخرج البيهقي في سننه: «**ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح الإسلام**»(1)، وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها، وأخرج الطبراني وأبو نعيم وابن عساكر: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء».

وأخرج أبو نعيم: «**لم يلتق أبواي قط على سفاح ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما**»، وابن مردويه قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 128] أي بفتح الفاء قال: «**أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم من سفاح كلنا نكاح**»، وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب بن الكلبي عن أبيه قال: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية. وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة في صورة الآباء والأمهات من لدن آدم مصفى من الكدورات الطبيعية مهذباً عن الأوصاف السفلية لا تتشعب شعبتان في كل قرن إلا كنت في خيرهما**».

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**كنت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله تعالى آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من أبوي لم يلتقيا على سفاح قط**»(2).

وأخرج مسلم والترمذي صححه عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(1) وأورده السيوطي في الدر المنثور، سورة التوبة (128) ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ وعزاه إلى الطبراني عن ابن عباس.

(2) أورده السيوطي في الدر المنثور، لطيفة أخرى في أن أخذ الميثاق من النبيين [1/ 66] وعزاه إلى ابن أبي عمر العدني في مسنده.

«**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم**».

وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف في فضائل العباس من حديث واثلة بلفظ «**إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من إبراهيم إسماعيل واصطفى من مضر كنانة وقريشاً ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب**» أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى، وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير العرب مضر وخير مضر بنو عبد مناف وخير بني عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما**» أي كنت في كل قرن وزمان خير الفرقتين من أهل ذلك القرن والزمان، قال جلال الدين السيوطي.

إعلم أن الأحاديث المذكورة تصرح أكثرها لفظاً وكلها معنى أن آباء النبي ﷺ وأمهاته إلى آدم وحواء مطهرون من دنس الشرك والكفر ليس فيهم كافر لأنه لا يقال في حقه مختار ولا طاهر ولا مصفى بل يقال نجس قال الله تعالى إنما المشركون نجس فوجب أن لا يكون في أجداده مشرك مازال منقولاً من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومازال ينقل نوره من ساجد إلى ساجد كما قال الله تعالى ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿218﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿219﴾﴾ [الشُّعَرَاء: 218-219] فالآية تدل على أن جميع آبائه ﷺ كانوا مسلمين وحينئذ وجب القطع بأن والد إبراهيم ما كان من الكافرين إنما كان ذلك عمه، وأخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الأنعام: 74] قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر وإنما اسمه تارخ، وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر بأسانيد من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال ليس آزر أبا إبراهيم، وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر قال ليس آزر بأبيه وإنما هو إبراهيم بن يترخ أو تارخ بن شاروخ بن ناخور بن فالخ وحينئذ كان آزر عمه والعرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً كما في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ

وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ [البَقَـرَة: 133]، وقال السيوطي أيضاً وأخرج أبو علي بن شاذان في ما أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية فقالت صفية: منا رسول الله ﷺ، فقالوا: نبتت النخلة أو الشجرة في الأرض الكباد فذكرت ذلك صفية لرسول الله ﷺ فغضب وأمر بلالاً فنادى في الناس فقام على المنبر فقال: «**أيها الناس من أنا**» قالوا: أنت رسول الله. قال: «**انسبوني**» قالوا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: «**فما بال أقوام ينزلون أصلي فوالله إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً**» وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال بلغ النبي ﷺ أن قوماً نالوا منه فقالوا إنما مثل محمد كمثل نخلة أنبتت في كناس فغضب رسول الله ﷺ فقال: «**إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين فجعلني من خير الفرقتين ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلاً ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً ثم قال أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً**».

واعلم أن النبي ﷺ لما كانت حقيقته أصل جميع الحقائق الإلهية والكونية وأصل جميع الأرواح كان هو روح آدم المنفوخ فيه ولب لبه فلما أراد الله أن يفتح به خزائن الكرم والجود ويظهر به أعطيات الأسماء من حضرات الجمع والشهود نفخه في آدم في لب الروح المنفوخ فيه فما ظهر في صورة لبُّ آبائه من آدم إلى أبيه عبد الله في كل قرن وزمان إلا كان هو خير أهل ذلك القرن والزمان وذلك لوجهين أحدهما أنه ﷺ أصل جميع الصور الكونية والصور البشرية الإنسانية وروحها لأنه الروح المفاض من حضرة الفردية والوترية ولا يتعين فيها غيره فلا يماثله روح ولا صورة لأنه أول تعين من التعينات العلمية والعينية وأصل جميع الصور العلوية والسفلية فلا تماثله الصور التي تفرعت منه وكان هو روحها ولبها ففي أي صورة من صور آبائه من لدن آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله ظهر وتعين كان هو خير جميع الصور في ذلك القرن لأنه روح الكل ومنه الإفاضة والإمداد إلى جميع تلك الصور، والثاني أنه لما كان المراد الإلهي من إيجاد عالم الإمكان الذي توقف حصوله على الصورة المحمدية الحسية الشهادية كانت الصورة المحمدية في كل واحد من آبائه في جميع

القرون من لدن آدم إلى أبيه عبد الله أكمل جميع الصور وأجمعها وخيرها في كل قرن من القرون التي ظهرت صورته فيها في صور آبائه، لأن الصورة الإلهية إنما ظهرت وتجلت في صورته بحسب قابليتها واستعدادها، والمعرفة الربانية إنما تحققت وحصلت في كل قرن بتلك الصورة لكونها أنور جميع الصور وأجملها وأكملها، وفي كل صورة وجهة توجد روحه ﷺ وتعين فيها كانت تلك الصورة سيدة الصور كلها، وحينئذ كانت صور آبائه ﷺ من لدن آدم كالمنازل والمراحل لروحه ﷺ إلى عالم الظهور، ومن حضرة الجمع والعماء لكمال الجلاء والاستجلاء إلى أن وصل إلى منزل حضرة العبودية المحضة التي تقتضي فناء العبد فيها بالذات والصفات، وتحققه بالفقر الكلي الذاتي الذي كان لعينه الثابتة في العلم، وفي حال العدم الذي يقتضي تعينه الكلي في الحضرة العلمية أولاً وهو وصوله إلى أبيه عبد الله، فلهذا ظهرت صورته الحسية المحمدية من أبيه عبد الله على الصورة الكلية الكمالية التي أرادها الحق لأجل الجلاء والاستجلاء الكلي لتحققه بالعبودية المحضة لله تعالى وظهور الصورة المحمدية منه على الطهارة الأصلية الذاتية لطهارة المحل الأنور الأصفى من الصفات الكونية والأوصاف الخلقية.

فلتفرد عبد الله بالعبودية المحضة كانت هذه الصورة المحمدية الحسية كرتبة الفردية التي تعين فيها ومنها روح نبينا ﷺ أولاً لأن الصورة المحمدية لا تتعين ولا تظهر إلا من الفردية، فكان تقلبه في الساجدين من آبائه ونقله من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة عين تحصيل القوة والاستعداد فيه للوصول إلى رتبة العبودية المحضة التي يقتضي حصوله فيها ظهوره بالصورة الكلية المحمدية، ولنفخ الصورة الإلهية الجمعية الآحادية فيه، فلهذا طلب إبراهيم من الله إسلامه والانقياد إلى الله، وطلب بقاء الإسلام والانقياد في ذريته حتى يحصل الاستعداد منهم والانقياد إلى الله، والتوجه الكلي والفقر الذاتي لظهور الرسول الذي شاهده في غيوب أصلاب الرجال من ذريته، ويظهر به الأمر الإلهي ويحصل الظهور الكلي الذي أراده به كما قال إبراهيم ﴿وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129]

ولهذا قال ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي**»[1] فأشار عليه الصلاة والسلام إلى أن ظهوره بالصورة الكلية المحمدية وبعثه بالرسالة الكلية العامة إنما هو من دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام ونفسه الذي جرى في حقه ببعثه من رتبة العبودية الكلية التي يقتضيها الانقياد إلى الله في آبائه ولاسيما في أبويه اللذين هما آخر المراتب الاستقرارية والاستعدادية إذ لا يظهر الولد إلا بصورة أبويه، وهذا في الأخلاق فكيف في الصورة الجسمانية التي لا تتعين في الولد الا بحسب والديه، ولهذا لما كانت الطهارة في أبويه ﷺ في النهاية وبلغت فيه الصفوة الغاية من حيث تعينه في التفرد في أبويه في خيره الذي لا يقبل التجزؤ لم يكن لهما ولد يشاركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لاستحالة التعدد والتكثر في تلك الرتبة الفردية، فلما ظهر في رتبة الفردية فرداً وانتقل منهما انتقلت الفردية فيه أيضاً، وظهر هو بصورته، فلم يبق لها وجود وبقاء في الحس بعد انفصاله منهما ولهذا مات عنه أبواه، فأما أبوه، فمات وهو حمل قيل وهو حمل شهرين وقيل سبعة أشهر وقيل مات وهو في المهد فقيل إنه مات في طيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام عند أخوال أبيه عبد المطلب بني النجار.

وذكر الإمام الحافظ صلاح الدين العلائي في كتابه «الدرة السنية في مولد خير البرية» كان سن عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله نحو ثمانية عشر عاماً ثم ذهب إلى المدينة ليشتري منها التمر فمات بها عند أخواله بني عدي بن النجار والنبي عليه الصلاة والسلام حمل على الصحيح، وقيل مات وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وقيل كان لعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة، وقيل كان عبد الله يوم تزوج آمنة ابن ثلاثين سنة وقيل سبع عشرة سنة، وأما أمه ﷺ فماتت وهي بنت ثمانية عشر عاماً وكانت قد قدمت به طيبة تزور به أخوال أبيه فأقامت به عندهم شهراً ومعها مملوكته أم أيمن، وأخرج ابن سعد أنه ﷺ لما رأى دار النابغة قال: «**بهذه نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني النجار**» وكان قوم من اليهود يختلفون عليَّ ينتظرون إليَّ قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم.

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

ولما رجعت أمه به ماتت بالأبواء» وفي رواية «**أنها دفنت بالحجون**» وفي أخرى «**في دار التابعة بمكة**» فماتت أمه وهو ابن ست سنين وقيل لما بلغ ﷺ أربع سنين وقيل خمساً وقيل سبعاً وقيل تسعاً وقيل اثني عشر ماتت أمه، وتقدم أبوه في ذلك على أمه لتقدم انفصاله منه على انفصاله منها وعدم بقاء وجوده بعد انفصاله منه لأنه كان ظاهراً في صورة أبيه بل في صورة آبائه كلهم ولهذا قال: «**لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة وتأخرت أمه عنه في ذلك**» أما قبل ولادته فظاهر وأما بعد ولادته فليتغذى بلبن أمه من أبيه ويتربى في حجرها فتقر عينها لمشاهدتها انتشاءه في حجرها فلما كان أبوه عبد الله بعبوديته التي تقتضي استدامة توجهه إلى حضرة الألوهية مظهر الفردية ووعاء المفرد المتعين فيه الذي لا يتعين فيه غيره واقتضت الفردية في التحقق على الصورة البشرية الكلية الكمالية الانتقال من عبد الله إلى رحم أمه انتقلت مع الفرد المتعين فيها إلى رحمها لتكمل الصورة البشرية المحمدية فيها ولتحقق الفردية في الصورة التي لم تتحقق بها في أبيه ﷺ وتعين فيها الفرد الذي كان كامناً فيها في أبيه عبد الله، فلما اقتضت الحكمة الإلهية البالغة والإرادة الذاتية الرائقة تحققت الفردية في الصورة البشرية المحمدية وتعين الفرد المعين فيها في الصورة الكلية الكمالية وتكاملت نشأته ﷺ في رحم أمه ولد منها وظهر في الصورة الحسية الشهادية.

فلما انفصل منها بالفردية التي كانت كالروح لأبويه ﷺ وتحقق هو فيها بقيت صورتها بلا روح لأن الفردية لا تتعين في الشخصين ولا تقتضي غير الشخص الواحد فلهذا تفرد ﷺ فيها فاقتضى الأمر موت أبويه وعدم انتاجهما ولداً آخر غيره لأن الحكم الإلهي والأمر الرباني إنما يفاض من حضرة الفردية والفرد المتعين فيها فلو كان أبواه في الحياة لزم إكرامهما ومراعاة حقوقها ولهذا قال ﷺ: «**لو أدركت والدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء قد قرأت فيها بفاتحة الكتاب ينادي يا محمد لأجبته لبيك**» ذكره البيهقي في شعب الإيمان، وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: إنما يتم ﷺ لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق.

وهذه الحضرة العلية لها رتبة السيادة والإفاضة لا التوجه إلى الغير سوى حضرة

الألوهية والتذلل والعبادة لها، فلهذا ما كانت لأحد عليه العزة، وفيه أمر آخر وهو أن اليتم كما لا يقتضي غير الفرد الواحد في مرتبته الفردية التي لا يتعين فيها غير الواحد الذي منه تنشأ الكثرة كذلك في الظاهر في الصورة الحسية لا يتحقق إلا بقطع النظر عن النسب الخلقية والأوصاف الكونية بل بالإعراض عن الوجوه الجزئية الأسمائية سوى وجه المسمى الذي يجمع جميع الوجوه الأسمائية ولا تتجلى الصورة الإلهية الأسمائية إلا على اليتيم الذي فني في الله بذاته وصفاته وانقطع عن تعلق الكثرة الخلقية فلم يبق له سوى نسبة العبودية إلى حضرة الألوهية ونسبة الفقر الذاتي إلى الله فلما اقتضى الأمر الإلهي ظهور الحق به ﷺ وتجليه له بالصورة الجمعية الأسمائية التي تقتضي كمال العبودية وكمال الشهود تحقق ﷺ باليتيمية في الظاهر، فكان علماً في التسمي باليتيم لأن الفردية لا تتحقق في الظاهر إلا باليتيمية وهذه رتبة محمدية لا تتحقق إلا بالانسلاخ عن الأوصاف الخلقية والتحقق بالصورة الإلهية الأسمائية. وإلى هذا أشار الحق تعالى بقوله ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 152] فاقتضى أمر الوجوب وأمر العبودية والاختصاص بالجناب الإلهي موت أبيه ﷺ.

واعلم أن الحق تعالى لما خلق سيدنا محمد ﷺ لإظهار الصورة الإلهية الأسمائية والصورة الكلية الكمالية لأجل الإفاضة والاستفاضة وعين في الأزل على مقتضى علمه أن يكون عبد الله أباً وآمنة أماً له على الصورة التي اقتضتها حضرة الألوهية واقتضاها الظهور المحمدي واقتضت الظهور منهما على الصورة الكلية الكمالية المحمدية جعلهما أبوين له فظهر بالكمالات الكلية والمحاسن والأخلاق الفاضلة التي لم يظهر بها أحد من الآباء والأمهات من بني آدم إذ أنتجا الصورة المحمدية التي ظهرت بجميع الكمالات الإلهية الأسمائية سوى الوجوب وظهرت فيها جميع الكمالات الإنسانية فلا يتوهم في طهارة نسبه وطهارتهما إلا من بقيت عنده بقية من عرق اليهودية أو شعرة من نسب النصارى الذين ظهروا بالعداوة الكلية لسيدنا محمد ﷺ وبعدم الانقياد إلى دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ أعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

المطلع الخامس: في إحياء أبويه وإيمانهما به تشريفاً لهما.

اعلم أن كثيراً من حفاظ المحدثين وغيرهم مثل ابن شاهين والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وغيرهم ذهبوا إلى أن الله أحيا له أبويه فآمنا به، واستدلوا لذلك بحديث ضعيف أسند عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع فمر بعقبة الحجون وهو باك حزين مغتم فنزل فمكث عني طويلاً، ثم عاد إليّ وهو فرح مبتسم فقلت له في ذلك فقال: «**ذهبت لقبر أمي فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها الله**» وهذا الحديث ضعيف باتفاق المحدثين بل قيل إنه موضوع، ولكن الصواب ضعفه، وسبب الاختلاف فيه هو الاختلاف في إحياء الله إياهما وإيمانهما به، وكيفما كان لا نحتاج في الاستدلال على إسلامهما بهذا الحديث سواء كان ضعيفاً أو موضوعاً لثبوت إسلامهما بالكتاب والأحاديث الصحيحة في حياتهما لأنهما كانا على دين جدهما إبراهيم عليه السلام وقبضهما الله عليه ولاسيما بعد عبور الروح المحمدي والنور الأحمدي الذي هو الإكسير الأعظم والحجر المكرم فيهما وانتشار الجسم المحمدي الختمي منهما الذي منه ظهرت جميع الأحكام الإسلامية والأوصاف الكمالية المحمدية، فثبوت إحيائهما وإماتتهما بعد الإحياء يوجب تشريفهما بالإيمان به حساً فقط، فلا حاجة في إثبات إسلامهما إلى الاحتجاج بذلك الحديث، فسقط الاعتراض بأنه موضوع بل يسقط الاستدلال على إيمانهما به لمن استند به على إيمانهما بعد الإحياء، فإنهما كانا مطرح الروح المحمدي ومطلع النور الصمدي الذي أشرف على المظاهر الكونية والأعيان الوجودية كلها.

المطلع السادس: في الرد على من استدل بحديث مسلم على أنهما في النار وعدم جواز الحكم به على ذلك.

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يارسول الله أين أبي؟ قال: «**في النار**» فلما قام دعاه قال: «**إن أبي وأباك في النار**» روى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له.

اعلم أن لفظة قوله إن أبي وأباك في النار لم يتفق على ذكرها الرواة وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه وهي الطريق التي رواه مسلم منها وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر أن أبي وأباك في النار ولكن قال: «**إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار**» وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده ﷺ بأمر البتة.

وأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعدى عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن إعرابياً قال: يارسول الله أين أبي؟ قال: «**في النار**» قال: «**حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار**» وهذا إسناده على شرط الشيخين فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره، قال فأسلم الأعرابي بعده، فقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار، فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه ﷺ وأن الإعرابي بعد إسلامه رأى ذلك أمراً مقتضياً للامتثال فلم يسعه إلا امتثاله ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي وغيره أثبت منه كذا ذكره السيوطي. وقال أيضاً لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ كان معارضاً بما تقدم من الأدلة والحديث الصحيح إذا عارضته أدلة أخرى أرجح منه وجب تأويله وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر قي الأصول وبهذا الجواب الآخر يجاب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعاً عن الصلاة على من عليه دين وهو مسلم فلعلها كانت عليها تبعات غير الكفر فمنع من الاستغفار لها بسببها،.

والجواب عن الآخر ان العرب تقول للعم أباً وللعمة أماً كما قال ﷺ في عمه العباس: «**هذا بقية آبائي**»(1) وقال فيه أيضاً: «**ردوا علي أبي**»(2) الحديث وإطلاق

---

(1) أورده ابن كثير في البداية والنهاية، ذكر من توفي من الأعيان. . ، [7/ 161] والرازي في التفسير الكبير، سورة البقرة (133 ـ 134) ﴿أم كنتم شهداء﴾ [4/ 70] وأورده غيرهما.

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، حديث فتح مكة، حديث رقم (36902) [7/ 400] وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ذكر من اسمه عباس، [26/ 298].

ذلك على أبي طالب كان شائعاً في زمن النبي ﷺ ولهذا كانوا يقولون له: قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا فكان نسبية أبي طالب أباً للنبي ﷺ شائعاً عندهم لكونه عمه ولكونه رباه وكفله في صغره وكان يحوطه ويحفظه وينصره فيجوز أن يكون المراد من الأب في قول السائل فأين أبوك وقوله ﷺ في حديث أنس أن أبي عمه ﷺ نقل هذا عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدي فلا يكون هذا الحديث نصاً على كون أبيه ﷺ في النار. وقوله في حديث الاستغفار «**فلم يؤذن لي**»[1] له لا يكون نصاً على عدم قبول الاستغفار منه لأمه لوجهين: **أحدهما**: أن كون قبر أمه في الحجون غير متفق عليه لأن الحديث الآخر يعارضه لأنه قيل إن أمه آمنة ماتت بالأبواء، وفي رواية أنها دفنت بالحجون، وفي بعضها في دار التابعة بمكة فلا اتفاق في كون قبرها بالحجون. وقال الأزرقي في تاريخ مكة حدثنا محمد بن يحيي عن عبد العزيز بن عمران عن هاشم بن عاصم الأسلمي قال لما خرجت قريش إلى النبي ﷺ في غزوة أُحد فنزلوا بالأبواء قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب لو بحثتم قبر آمنة أم النبي ﷺ فإنه بالأبواء فإن أسر أحد منكم افتديتم به كل إنسان بأرب من آرابها فذكر ذلك أبو سفيان لقريش فقالت قريش: لا تفتح علينا هذا الباب إذا ينبش أبو بكر موتانا.

والوجه الثاني: أن عدم الإذن بالاستغفار لا يوجب كونهما من أهل النار لوجهين.

أحدهما: بالنسبة إلى النبي ﷺ لأنه مأمور بدعوة الأحياء إلى الإيمان لا بدعوة الأموات الذين انتقلوا إلى البرزخ قبل بعثته والاستغفار لهم وإن كان يستغفر لهم من تلقاء نفسه أو لأنه كان يطلب الإذن بالاستغفار من غير وحي إلهي له به والأولى والأجدر له أن يكون عند وحي ربه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: 9] أو كان يطلب الإذن قبل مجيء الوقت وقبل القضاء به وذلك من الاستعجال الطبيعي، ولهذا قال تعالى ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: 114]. وقال تعالى ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز، حديث رقم (1390) [1/ 531] ورواه النسائي في السنن الكبرى، زيارة قبر المشرك، حديث رقم (2161) [1/ 654].

ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء: 37] .

والثاني: بالنسبة إلى من طلب الإذن بالاستغفار له لعدم مجيء الوقت المعين له عند الله فيؤخر لاختصاصه بالوقت الآخر فإذا جاء الوقت لا يؤخر فيؤذن فيجوز أن لا يؤذن في وقت ويؤذن في وقت آخر كما قالت عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً فأقام به ماشاء الله ثم رجع مسروراً وقال: «**سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها**» ذكره الحافظ أبو حفص بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ فيبطل القياس بالحديث الذي رواه مسلم في عدم الإذن بالاستغفار على عدم الإذن لإبراهيم بالاستغفار لأبيه آزر والحكم به على أن أبويه ماتا بالشرك لعدم كونه نصاً صريحاً في ذلك لمعارضة حديث عائشة له وعدم دلالته على عدم الإذن مطلقاً للإذن له في وقت آخر والاستغفار أيضاً ما هو مخصوص بالمشرك والكافر بل هو شامل للمؤمن والكافر والطائع والعاصي والولي والنبي كما قال تعالى ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمّد: 19] وقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النّصر: 3] فلا يحكم بعد الإذن بالاستغفار بشرك من لم يقع الإذن بالاستغفار له لجواز عدم وقوع الإذن له قبل استيفاء الجزاء من المؤمن الممتحن، فلا يقاس على عدم الإذن لإبراهيم عليه السلام بالاستغفار لأبيه آزر، سواء كان آزر أباً له أو عماً كما وقع الاختلاف فيه بل أقول بعد هذا كله إن الحديث لا يدل على عدم طهارة أمه من الشرك بل يدل على طهارتها لأنه ﷺ كان على بصيرة بأن الله تعالى لا يغفر الشرك ولا يقبل الاستغفار منه للمشرك، ولهذا نهى الله إبراهيم عن الاستغفار لأبيه آزر بل ورد النهي الإلهي له ﷺ عن الاستغفار للمشركين كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التّوبة: 113] فهو لا يستغفر للمشرك لأنه عند الوحي الإلهي لا غير فإذا صح طلبه الإذن بالاستغفار لأمه عدم إشراكها وعدم انتقالها على الشرك لأن طلبه الإذن بالاستغفار في حجة الوداع على ما قالت عائشة رضي الله عنها وورد النهي له عن الاستغفار للمشركين قبل ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التّوبة: 84] ، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ

لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التّوبة: 80] فحينئذ إذا صح طلبه الإذن أن يستغفر لها لأنه صحت طهارتها عن دنس التلوث بالشرك. وقد أمره الحق أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات كما قال في سورة الحج ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿19﴾﴾ [محمَّد: 19] فهو مأمور بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فما استغفر إلا لمن وقع له الإذن كاستغفاره لأمه فطلبه الإذن لزيارتها إنما هو عند الإذن الإلهي والأمر الرباني لا غير وهو يدل على طهارتها لأنه وقع النهي له عن القيام على قبر المشرك كما قال تعالى ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التّوبة: 84] فلما طلب ﷺ الإذن بالاستغفار لأمه علم أنها قبضت في الإسلام على الإيمان لأنه ﷺ لا يطلب المحال ولا الأمر الذي لا يرضى به ربه فمجرد طلبه الإذن بالاستغفار لها فيه كفاية في الدلالة على سعادتها، سواء أذن في الاستغفار لها أو لم يؤذن، أو استغفر لها أو لم يستغفر، فلا يستدل مسلم بحديث مسلم على أن أبويه ﷺ من أهل النار.

وأما الحديث الذي أخرجه أحمد عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله أين أمي؟ قال: «**أمك في النار**» قلت: «**فأين من مضى من أهلك**» قال: «**أما ترضى أن تكون أمك مع أمي**» فلا يلزم منه أن تكون أم النبي ﷺ في النار وكذا الحديث الذي ورد في سؤال شخص عن أبيه قال: «**أبي وأبوك في النار**» فإن العرب تقول للعم أباً كما تقول للعمة أماً. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما إنه كان يقول الجذاب ويتلو قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [البقرة: 133]، وأخرج عن أبي العالية في قوله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحٰق قال يسمَّى العم أباً، وأخرج عن محمد بن كعب القرطبي قال الخال والد والعم والد وتلا هذه الآية، وأما حديث «**ليت شعري ما فعل أبواي**»[1] فنزلت ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: 119] لم يخرج في شيء من

---

(1) أورده الرازي في التفسير الكبير، تفسير قوله تعالى: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ [4/ 28] وأورده السيوطي في الدر المنثور، تفسير سورة البقرة، آية 118 وقال الذين لا [1/ 271] وعزاه إلى ابن جرير عن داود بن أبي عاصم.

كتب الأحاديث المعتمدة، وما ورد في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه، والثابت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب.

وقال جلال الدين السيوطي: ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخر من جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان، وذلك أن الآيات من قبل هذه ومن بعدها كلها في اليهود قوله تعالى ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ [البقرة: 40] إلى قوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: 124] ولهذا اختتمت القصة بمثل ما صدرت به وهو قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الآيتين، فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار مكة وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر.

وأما حديث: أن جبرائيل ضرب صدره وقال لا تستغفر لمن مات مشركاً فإن البزار أخرجه بسند فيه من لا يعرف، وحديث أنه قال لابني مليكه: «**أمكما في النار**» فشق عليهما فدعاهما فقال: «**إن أمي مع أمكما**» فضعفه الدارقطني وحلف الذهبي يميناً شرعياً بأنه ضعيف فالجواب عما ورد في أم النبي ﷺ أن غالب ما يرو من ذلك ضعيفاً ولم يصح في أم النبي ﷺ إلا حديث مسلم خاصة وقد أجبت عنه.

واعلم أنه لا دلالة في تلك الأحاديث على وقوع الشرك من أبويه فكيف على موتها عليه كما زعم البعض فثبت أنهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم الذين دعا إبراهيم لهم بالإسلام ودعا ببعث الرسول فيهم منهم فقبل الله دعوته فحفظ ملته إلى بعثته ﷺ بل إلى يوم القيامة فبعث فيها الرسول فأحيا ملته وأمر بالدعوة إليها من حيث كونها شرعاً، فلما كان النبي ﷺ سر إبراهيم في قوة صلب أبيه والأصلاب التي في صلب إسماعيل الذي ظهر من صلبه كان شرعه ﷺ سر شرع إبراهيم عليه السلام ولبه فلهذا ظهر فيه، فما وقع الاندراس في ملة إبراهيم عليه السلام ودينه بينه وبين بعثة نبينا ﷺ وما وقعت الفترة من حيث ملته بل وقعت الفترة فيها من حيث حدوث الشرك والفساد من المتغلبين، وما وقع الفتح له لأنه ﷺ كان نتيجة دينه أي كان صورة الانقياد الذي في دين إبراهيم عليه السلام، فلهذا كان ﷺ أشبه الناس بإبراهيم عليه السلام بخلاف الشرع الذي في أولاد إبراهيم ونسله من جهة إسحاق

عليه السلام في أنبياء بني إسرائيل لأنه ختم بعيسى عليه السلام ونسخ بمحمد ﷺ وذلك لأن إبراهيم إنما دعا عند البيت لبلد البيت والذرية الذين أسكنهم فيه ما دعا لجميع ذريته في جميع البلدان كما قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: 35] وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فذكر الحديث بقوله في قصة بيت الله الحرام وفيه من قول الله لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام: «**واجعله أمة قانتا بأمري داعياً إلى سبيلي، أجتبيه وأهديه إلى صراط مستقيم واستجيب دعوته في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم وأجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته**» الحديث وهذا الأمر موافق لقول مجاهد المذكور آنفاً ولا شك أن ولاية البيت كانت مقرونة بأجداده ﷺ خاصة دون سائر ذرية إبراهيم عليه السلام إلى أن نزعها منهم عمر والخزامي ثم عادت إليهم، فعرف إن كان ماذكر عن ذرية إبراهيم من خير فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد فهم أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليه في قوله ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ [إبراهيم: 40] وقد سبق أنه أخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل هل عبد أحد من ولد إسماعيل الأصنام قال: لا. ألم تسمع قوله ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] قيل فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم عليه السلام قال: لأنه دعا لأهل هذا البلد أن لا يعبدوها إذا أسكنهم إياها فقال: رب اجعل هذا البلد آمناً، ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال: وأجنبني وبني أن نعبد الأصنام فيه، وقد خص أهله، وذلك لتحصيل الاستعداد في ذريته الذين أسكنهم عند البيت لظهور الصورة المحمدية التي كانت في صلب أولاده ولب ذريته في القوة التي بها تحققت التجليات الذاتية التي لم تزل ولا تزال، فلهذا دعا إبراهيم ببعث الرسول فيهم منهم ذاتاً وحكمة دنيا وآخرة بخلاف التجليات الصفاتية التي كان إسحاق دعا لها وظهرت في أنبياء بني إسرائيل وختمت بعيسى عليه السلام وذلك لاضمحلال التجليات الصفاتية وعدم ظهور حكمها عند التجليات الذاتية، فلهذا أبطنت الملة الإبراهيمية والشريعة الخليلية عند ظهور الصورة المحمدية فيها بالتجليات الإلهية الذاتية التي كانت في قوة إبراهيم وملته

وهي الانقياد إلى الله والظهور بأحكام الصفات والأخلاق الإلهية الثبوتية.

واعلم أن ظهور الصورة المحمدية والهيئة الجسمانية الحسية البشرية بين أبيه عبد الله وأمه آمنة إنما وقع بالوضع الإلهي وترتيب الله تعالى له، الأسباب من الآباء العلوية الفعلية الكلية وهي الحقائق الإلهية الفعلية والأرواح العلوية، ومن الأمهات السفلية وسائر الأسباب التي قدر الله بها ظهور تلك الصورة الكلية الكمالية المحمدية عند اجتماع جميع الأسباب واتفاقها وأكمل جميع الأسباب له ﷺ وأتمها وأجمعها طهارة أبويه اللذين كانا كالوعائين لهذا النور اليتيمي الأنور الأصفى، إذ كانا كالمطلعين لهذا النور الإلهي الغيبي الأبهر الأسنى ونزاهتهما من الصفات الانحرافية والكدورات الطبيعية المانعة له من ظهوره بتلك الصورة الكمالية الاعتدالية، فكانا من أتم أسباب هذه الصورة الكلية الكمالية المحمدية وأجمعها، لأن الروح لا ينفخ في كل مظهر خلقي إلا بحسب ذلك المظهر، والتسوية والجسم الإنساني لا يتعين في رحم المرأة في مادة العلة والمضغة التي ظهرت من النطفة إلا بحسب الأب الذي منه انفصلت النطفة على صورة أخلاقه وصفاته وسيرته وبحسب المرأة التي سقطت النطفة في رحمها وحسب أخلاقها وصفاتها وسيرتها، وكينونة كل شيء في شيء إنما تكون بحسب محل ذلك الشيء من الصفاء والكدورة، فلا بد لتكوّن الجسم المحمدي الأنور من لطافة المحل الأنور الأظهر وصفاته ونزاهته وتسويته، وهو جهة أبويه لأن جسمه ﷺ ما تعين فيهما إلا بحسبهما، فإن الحكيم لا يضع الأشياء إلا في مواضعها ولا يظهر الأمور إلا بحسب محالها، فلهذا قال تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحِجر: 29] وأظهر صفاتهما الإسلام والانقياد الذي دعا إبراهيم عليه السلام ببقائه في ذريته، وبظهور نبينا ﷺ بعثه في صورته لأن الصورة المحمدية لا تظهر ولا تتعين إلا في الانقياد الكلي إلى الله، وأعلى مراتب الانقياد وأقربها من حضرة الألوهية الانقياد الحاصل للعبد في مرتبة قرب النوافل ومرتبة قرب الفرائض بإفناء صفات العبد وذاته وظهور العون الإلهي والتجلي الرباني من حضرة الألوهية فيه، فينقاد العبد الفاني بصفاته أو ذاته بالتجليات المفاضة عليه من حضرة الألوهية وحضرة الجمع الوجودي كما أشار إليه بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

[الفَاتِحَة: 5] والله يقول الحق وهو الهادي إلى السبيل القويم.

المطلع السابع: في بيان الفترة وبيان أهلها وانقسامهم إلى أقسام.

قيل بأن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي ﷺ والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي عليهما السلام، واعلم أن كينونة الفترة بين عيسى وبين نبينا عليهم السلام إنما تتصور أن لو كانت رسالة عيسى عليه السلام إلى كافة الخلق كرسالة نبينا ﷺ وهي ليست كذلك فإن عيسى عليه السلام ما أرسل إلى العرب وذرية إسماعيل بل أرسل إلى بني إسرائيل فقط كما قال تعالى ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عِمرَان: 49] فإذا أريد من الفترة على الوجه الثاني اندراس شريعة عيسى عليه السلام لا يكون العرب قبل بعثة نبينا عليه السلام من أهل الفترة لكونهم خارجين عن دعوة عيسى عليه السلام، فهذا بالنسبة إلى اندراس شرعه، وأما بالنسبة إلى عقائد النصارى وإجرائهم الأحكام التي شرعها عيسى عليه السلام لقومه في زمان رسالته إلى بعثة نبينا ﷺ فلا اندراس في شرعه أيضاً فلا فترة بين عيسى وبين سيدنا محمد ﷺ بهذا الاعتبار لعدم اندراس شريعة عيسى عليه السلام.

واعلم أن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام باعتبار اندراس شريعة عيسى بالنسبة إلى قوم ثبتوا على الفترة الأصلية سواء كانوا أمة عيسى أو غيره وشاهدوا بنور تلك الفطرة بطلان المذاهب المتفرقة التي أحدثها النصارى وحرفوا دين عيسى عليه السلام ولم يبق من شرعه الذي شرعه الله له وشرعه هو لأمته حكم شرعي فلم يلتفتوا إلى أديانهم المنحرفة ومذاهبهم المعوجة لاندراس شرعه في نظرهم وهذا بالنسبة إلى نظرهم وإلى دين عيسى عليه السلام الذي حرفته النصارى وغيره بهذا الاعتبار لا يكون العرب من أهل الفترة، وأما على الوجه الأول أي كون الفترة في الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي ﷺ فالفترة في العرب بين زمان بعثة

عيسى عليه السلام وزمان بعثة نبينا ﷺ إنما هي بالنسبة إلى خلو العرب في تلك المدة من الدعوة إلى الله والشرع الإلهي في العموم وظهور الفساد في الدين أو بالنسبة إلى الإرسال من الله لا غير، لأنهم قبل بعثة عيسى عليه السلام كانوا على الحال التي كانوا عليها بعد بعثته، سواء كان في زمن الرسول الآخر الذي لم يرسل إليهم أو في زمن خال عن الدعوة.

وأما إذا أريد من الفترة خلو الزمان عن الرسول والدعوة وخلوه من الشرع الإلهي ظهور الفتنة والفترة في الشرع الأول، فالفترة تشمل الأزمنة التي غيرت فيها النصارى دين عيسى عليه السلام إلى بعثة نبينا ﷺ والأزمنة التي بين عمرو الخزاعي وبين نبينا ﷺ في العرب فإن عمراً الخزاعي أحدث في دين إبراهيم عليه السلام عبادة الأصنام فأظهر الفتنة فظهرت الفترة، فإذا أريدت الفترة بين عيسى وسيدنا محمد عليهما السلام إنما تراد من جهة الزمان الذي وقع بين شرعهما الخلو عن الشرع الإلهي في العموم ومن جهة عدم الإرسال في أهل الجاهلية من العرب ويكونون من أهل الفترة بعد إحداث عمرو الخزاعي عبادة الأصنام وحملهم عليها لظهور الفتنة والفترة في دين إبراهيم عليه السلام.

وأما بالنسبة إلى دعوة إبراهيم ببقاء كلمة التوحيد والإسلام في ذريته وقبول الخلق دعوته وإبقائه إياها كما أخبر بقوله ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: 28] وعدم زوال دين إبراهيم عليه السلام إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ وعدم اندراسه فلا يقال لهم أهل الفترة لبقاء دين إبراهيم عليه السلام فيهم بل يقال لهم أهل الجاهلية لغلبة الجهل على الأكثرين لا الكل فأبوا النبي ﷺ بهذا الاعتبار لا يكونان من أهل الفترة بل من الملة الحنيفية والشريعة الخليلية.

ثم اعلم أن أهل الفترة عند الأكثر بين عيسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ فإذا كانت الفترة من اندراس الشرع الأول فتكون الفترة بعد عيسى عليه السلام وفي بني إسرائيل، لا في غيرهم لاختصاص شريعة عيسى عليه السلام في بني إسرائيل فلا تقع الفترة في الأمة الخارجة عن بني إسرائيل مثل ذرية إسماعيل والأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى بزوال شريعة عيسى عليه السلام ولا بإرسال عيسى إلى بني

إسرائيل في غير شمول رسالته لهم لأنه كما لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام لم تبلغهم دعوة أحد من أنبياء بني إسرائيل أيضاً قبله فتعين أن الفترة إنما تقع من عدم رسالة أحد من الرسل وخلو الزمان عن الرسول الداعي إلى الحق وظهور الفتنة في الدين الأول وغلبة الجهل على الناس وحينئذ تشمل الفترة الأزمنة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام والأزمنة التي بعد حدوث الفتنة في دين إبراهيم عليه السلام وبين بعثة سيدنا محمد ﷺ لظهور الفتنة والفترة في دين إبراهيم عليه السلام وخلو الزمان عن المبلغ والزاجر وغلبة الجهل على الخلق لا غير.

قال العالم المحقق جلال الدين السيوطي فإن قلت: هذا المسلك الذي قررته هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم؟ قلت: لا بل هو خاص بمن لم تبلغه الدعوة، أي دعوة نبي أصلاً أمّا من بلغته منهم دعوة أحد من الأنبياء السابقين ثم أصروا على الكفر فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه، وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور تأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين، فآخر الأنبياء قبل بعثة نبينا ﷺ عيسى عليه السلام وكانت الفترة بين بعثته وبعثة نبينا محمد ﷺ نحو ستمائة سنة، ثم إنهما كانا في زمن جاهلية وقد طبق الجهل الأرض شرقاً وغرباً وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أهل الكتاب متفرقين في أقطار الأرض في الشام وغيرها ولم يعهد لهما تقلب في الأسفار سوى المدينة ولا عمرا عمراً طويلاً بحيث يقع لهما فيه التنقيب والتفتيش فإن والد النبي ﷺ لم يعش من العمر إلا قليلاً انتهى كلامه.

فقوله بل خاص بمن لم تبلغه الدعوة أي دعوة نبي أصلاً وأما من بلغته دعوة أحد من الأنبياءالسابقين ثم أصر على كفره فهو في النار قطعاً وهذا لا نزاع فيه صحيح بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل إليهم رسولاً وبلغتهم دعوته لا بالنسبة إلى أهل الجاهلية الذين أرسل في زمانهم رسولاً إلى بني إسرائيل كعيسى عليه السلام ولم يرسل إليهم ولكن بلغتهم دعوته فإنه لم يجب عليهم الإيمان به لأنه ما أرسل إليهم فإن الله تعالى يقول: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] أي

وما كنا معذبين فريقاً حتى نبعث فيهم رسولاً فإنه ما بعث فيهم رسول بالحجة والبينة وما بلغتهم دعوته فلو بلغتهم دعوة رسول لم يرسل إليهم لم يجب عليهم الإيمان به وما كانوا معذبين بعدم إيمانهم به لأنه ماهو رسولهم وما دعاهم إلى الإيمان وإن بلغت دعوته قوماً أرسل إليهم فهم لا يخرجون عن حكم قوله ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً.

وقوله وأما الأبوان الشريفان فالظاهر من حالهما ما ذهبت إليه هذه الطائفة من عدم بلوغهما دعوة أحد وذلك لمجموع أمور تأخر زمانهما، وبعد ما بينهما وبين الأنبياء السابقين، غير موجه، لأن عدم بلوغهما دعوة أحد من الأنبياء السابقين لتأخرهما وبعدهما عنهم لا يوجب النقص لهما في إسلامهما وإيمانهما وكونهما من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم وإسماعيل الذين لا يرسل إليهم رسول إلا منهم ولا يجب عليهم الإيمان برسول آخر خارج عن ذرية إسماعيل الذي أرسل إلى قوم آخرين.

وقوله فإن آخر الأنبياء قبل بعثة نبينا محمد ﷺ عيسى عليه السلام وكانت الفترة بينه وبين بعثة نبينا محمد ﷺ نحو ستمائة سنة وأنهما كانا في زمن الجاهلية وقد طبق الأرض شرقاً وغرباً وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا نفراً يسيراً من أحبار أهل الكتاب إلى آخر كلامه غير موجه أيضاً لأن وقوع الفترة بين عيسى عليه السلام وبين بعثة نبينا ﷺ وبعدهما عن دعوة عيسى عليه السلام لا يوجب نقصهما في رتبة الإسلام والانقياد التي قدر الله فيها أن يكونا أبوي النبي الذي جعله للعالمين، بل لو بلغا زمان عيسى ودعوته لا يجب عليهما الإيمان به لعدم كونه مرسلاً إليهما لكونهما وعاءين لنبي يكون عيسى من أمته وخاتماً لولايته وفقد الشرائع من آل يعقوب لا يوجب فقد شرع إبراهيم عليه السلام من جهة إسماعيل عليه السلام لأن إبراهيم عليه السلام دعا ببقائه بل يوجب ظهور دين إبراهيم وإحيائه ببعثة خاتم النبيين من ذريته لانختام الشرائع من آل يعقوب بعيسى عليه السلام ولهذا ختم الله الشرائع في بني إسرائيل برسول روحاني ما جاء منه ولد يشير إلى ختام تلك الشرائع لأنه لم يبق بالقوة غير مجيء دورة الدولة المحمدية في الشريعة الحنيفية والملة

الإبراهيمية فإن اعتبرت الفترة زمان الجاهلية الذين لم يرسل إليهم رسول فأهلها كلهم داخلون في حكم قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] فلا تعذيب قبل البعثة.

قال جلال الدين السيوطي في كتاب المسالك له وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً.

قال وفي قوله: وما كنا معذبين قبل البعثة ورداً بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكيم العقل. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً قال إن الله ليس معذب أحداً حتى يسبق إليه من الله تعالى خبر وتأتيه من الله بينة انتهى. وإن اعتبرت الآيات التي دلت على دعوة إبراهيم عليه السلام لذريته بالإسلام وبقاء ملته في عقبه إلى بعثة نبينا محمد ﷺ من ذريته وعدم زوال ملته والأحاديث التي دلت على طهارة نسبه إلى آدم فأبواه أولى بذلك وأحق من الكل لظهوره منهما على الطهارة الأصلية والنزاهة الذاتية الكلية التي اقتضت كونه مظهراً للصورة الإلهية والجمعية الذاتية واقتضت نزول النسخة القرآنية الجامعة لجميع الكتب الإلهية والحاوية لجميع الكمالات والأخلاق الكمالية الإنسانية على قلبه ﷺ. قال الإمام الفاضل الجلال السيوطي في المسالك عن أبي عبد الله محمد بن خلف شارح مسلم أنه قال: إن أهل الفترة ثلاثة أقسام.

الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كَتُبَّع وقومه.

القسم الثاني: من بدَّل وغيَّر وأشرك ولم يؤمن وشرَّع لنفسه وحلَّل وحرَّم وهو الأكثر كعمرو بن لُحَيْ أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع الأحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامي وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدنة وحجاباً يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة.

القسم الثالث: من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع ديناً بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله وفي الجاهلية من كان كذلك.

فانقسم أهل الفترة إلى ثلاثة أقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما لا يعذرون به. وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين للقطع كما تقدم. **وأما القسم الأول** فقد قال ﷺ في كل واحد من قيس وزيد أنه يبعث أمة وحده. وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذي دخلوا فيه ما لم يلحق واحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين اهـ.

وقال الشيخ رضي الله عنه في الفتوحات في الباب العاشر، وأما مرتبة العالم الذي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وهم أهل الفترة فهم على مراتب مختلفة بحسب ما يتجلى لهم من الأسماء عن علم منهم بذلك وعن غير علم.

فمنهم من وحد الله بما تجلى لقلبه عن فكرة وهو صاحب الدليل فهو على نور من ربه ممتزج يكون من أجل فكره، فهذا يبعث أمة وحده كقس بن ساعدة وأمثاله فإنه ذكر في خطبته ما يدل على ذلك فإنه ذكر المخلوقات واعتباره بها وهذا هو الفكر. ومنهم من وحد الله بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال، فهم على نور من ربهم خالص غير ممتزج بكون فهؤلاء يحشرون أخفياء أبرياء.

ومنهم من ألقى في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره لخلوص يقينه على منزلة محمد ﷺ وسيادته وعموم رسالته باطناً من زمان آدم إلى وقت هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: 17] يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف به فهذا يحشر يوم القيامة في ضنائن خلقه وفي باطنية محمد ﷺ.

ومنهم من تبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود وتنصر أو اتبع ملة إبراهيم أو غيره من الأنبياء لما أعلم أنهم رسل من عند الله يدعون إلى الحق لطائفة مخصوصة فتبعهم

وآمن بهم وسلك سنتهم فحرم على نفسه ما حرمه ذلك الرسول وتعبد نفسه مع الله بشريعته وإن كان ذلك ليس واجباً عليه إذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثاً إليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة. **ومنهم** من طالع في كتب الأنبياء شرف محمد ﷺ ودينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وإن لم يدخل في شرع نبي ممن تقدم وأتى بمكارم الأخلاق فهذا أيضاً يحشر في المؤمنين بمحمد ﷺ. **ومنهم** من آمن بنبيه وأدرك نور محمد ﷺ فآمن به فله أجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله. **ومنهم** من عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور هو بالنظر إليه غاية قوته لضعف مزاجه عن قوة غيره، **ومنهم** من عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق. **ومنهم** من أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل الجهود الذي تعطيه قوته. **ومنهم** من أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي. **ومنهم** من أشرك عن تقليد فذلك شقي. **ومنهم** من عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها لضعفها. **ومنهم** من عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء في النظر أو تقليد فذلك شقي، فهذه كلها مراتب أهل الفترة الذين ذكرناهم في هذا الباب انتهى.

فإن قلت: كيف التوفيق بين كون البعض من أهل الفترة مشركاً في النار وبين عدم التعذيب في الفترة قبل مجيء الرسول؟ **قلنا**: إن كون بعضهم من أهل النجاة والسعادة وبعضهم مشركاً من أهل الشقاوة إنما هو في الفترة التي بين عيسى وبعثة نبينا محمد ﷺ، ولكن أهل السعادة منهم كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهما ممن تدين بالدين الإلهي منهم فهم أعم من أن يكونوا على دين موسى أو دين عيسى أو دين إبراهيم.

أما أهل الشقاوة من أهل تلك الفترة فهم يزعمون أنهم منتسبون لعيسى وشريعته وفقدت من بينهم مع وجود شرعه الذي شرعه لأمته فكيف بعد اندراس شرعه، فالفترة بعد عيسى في شريعته بالنسبة إلى الشرع الإلهي الذي نزل عليه وبالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى أمته المنتسبة إليه فإنهم يزعمون أن شريعته ثابتة دائمة وأنهم على دين الحق، فمن كان منهم في تلك الفترة يعذب لأنه ما هو فاقد شريعته بزعمه بل زعم أنه عيسوي، فصاحب هذا الاعتبار ما اندرست بحقه شريعة عيسى حتى يكون من

أهل الفترة، بل هو في ذلك الوقت ما هو من أهل الفترة لادعائه الامتثال إلى عيسى والآية التي دلت على عدم التعذيب في الفترة نزلت في أهل الجاهلية من العرب وذرية إبراهيم عليه السلام في الفترة التي ظهرت في دينه بأحداث عمرو الخزاعي عبادة الأصنام فإنهم انتسبوا إلى شريعة عيسى بل كانوا يدعون بزعمهم انتسابهم إلى إبراهيم.

والمراد من الرسول في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القَصَص: 59] وفي قوله ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: 15] هو سيدنا محمد ﷺ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ﴾ [القَصَص: 59] فحال هؤلاء المشركين ليست كحال المشركين من النصارى والمشركين من العرب بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ فإنه مابعث فيهم رسولاً يمنعهم عن ذلك والنصارى يدعون الإشراك في الشرع العيسوى ولكن بقيت في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: 15].

دقيقة وهي أن السلف من المفسرين وأئمة الاجتهاد ذهبوا إلى عدم تعذيبهم قبل مبعث الرسول ولكن الظاهر أن المراد من العذاب هنا هو العذاب الدنيوي وهو الإهلاك بسبب الإشراك كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القَصَص: 59] فحينئذ تكون الآية نصاً في عدم التعذيب والإهلاك في الدنيا قبل الرسول وقبل الدعوة إلى الله، لا في عدم التعذيب بعد الموت. إلا أنهم رضي الله عنهم قاسوا على عدم التعذيب في الدنيا عدم التعذيب في الآخرة، أي لما لم تبلغهم بعثة الرسول.

وفي هذه الآية دقيقة أخرى وهي قد ثبت في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى يوم القيامة بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود فيقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول**» الحديث[1]

---

(1) عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد إلى البزار وتتمة الحديث: «ويقول المعتوه أي رب لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ويقول المولود لم أدرك العمل قال: فيرفع لهم نار فيقال لهم: ردوها أو قال: ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله سعيداً إن لو أدرك العمل قال: ويمسك =

وحينئذٍ لا تعذيب لأهل الفترة في الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم ولا تعذيب لهم أيضاً في الآخرة يوم القيامة قبل بعث الرسول إليهم يبعث الله لأصحاب الفترات والأطفال والمجانين يوم القيامة رسولاً من أفضلهم وتمثل لهم ناراً يأتي بها هذا الرسول المبعوث في ذلك اليوم فيقول لهم: أنا رسول الحق إليكم. فيقع عندهم التصديق به ويقع التكذيب عند بعضهم، ويقول لهم: أقحموا هذه النار بأنفسكم، فمن أطاعني نجا ودخل الجنة ومن عصاني وخالف أمري هلك وكان من أهل النار، فمن امتثل منهم ورمى بنفسه فيها سعد ونال الثواب العملي ووجد تلك النار برداً وسلاماً، ومن عصاه استحق العقوبة فدخل النار ونزل فيها بعمله المخالف ليقوم العدل من الله في عباده، فحينئذ التعذيب لأهل الفترة في الدنيا بالإهلاك قبل بعث الرسول إليهم لا يوجب عدم التعذيب مطلقاً في الآخرة بل يوجب عدم التعذيب قبل بعث الرسول إليهم، فإنه من آمن منهم فقد سعد ونجا ومن تخلف فقد شقي ودخل النار، فلا يحكم على أحد منهم في الدنيا بأنه في النار يوم القيامة بل يحكم عليه بعدم التعذيب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، فحينئذ تصير حال أهل الفترة في الآخرة إلى دعوة الرسل إياهم يوم القيامة. وأخرج الديلمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب**» وأورد المحب الطبري في ذخائر العقبي عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم**» وأخرج أبو سعيد في شرف النبوة عن عمر أن ابن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سألت ربي أن لا يدخل النار أحد**» من أهل بيتي فأعطاني ذلك. وأخرج تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي في الجاهلية**». وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ

= عنها من كان في علم الله شقياً إن لو أدرك العمل فيقول: تبارك وتعالى إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب».

فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ [الضّحىٰ: 5] قال من رضى محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار فاعلم هذا.

فصل: في حدوث الشرك في الفترة.

أخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: كان الناس بعد إسماعيل عليه السلام في الإسلام وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية لبيك اللّهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. قال فمازال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك. قال السهيلي في الروض الأنف كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جُرْهُماً عن مكة قد جعلته العرب رباً فما ابتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم، وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول ما أدخل الأصنام الحرم وحملهم على عبادتها وكانت التلبية على عهد إبراهيم عليه السلام لبيك اللّهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحي، فبينما هو يلبي إذ تمثل له الشيطان في صفة شيخ يلبي معه، وقال عمرو لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ إلا شريك هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال ما هذا فقال الشيخ تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب انتهى كلام السهيلي.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه كانت العرب على دين إبراهيم عليه السلام إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة وانتزع ولاية البيت من أجداد آل النبي ﷺ، فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها وزاد في التلبية بعد قوله لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، فهو أول من قال ذلك وتبعته العرب على الشرك فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم السالفة، ومنهم على ذلك بقايا على دين إبراهيم عليه السلام، وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة، وكانت ولايتهم مشؤومة إلى أن جاء قصي جد النبي ﷺ فقاتلهم واستعان على حربهم بالعرب وانتزع ولاية البيت منهم إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه لها عمرو الخزاعي عن عبادة الأوثان وغير ذلك لأنهم رأوا ذلك ديناً في نفسه لا ينبغي أن يغير انتهى كلامه.

واعلم أنه لا يلزم من انتزاع عمرو الخزاعي ولاية البيت من أجداد النبي ﷺ وإحداثه عبادة الأصنام إشراك جميع العرب وعبادتهم لها مدة ولايته لقوله ﷺ كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم القائل ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: 35] فكيف بعد انتزاع ولاية البيت من خزاعة فلهذا غار قصي جد النبي ﷺ على دين إبراهيم واستعان على حرب خزاعة بالعرب فأعانوه، وانتزع ولاية البيت منهم فلو كان العرب كلهم على الإشراك الذي أحدثه عمرو الخزاعي لما أعانوا على دين إبراهيم عليه السلام وأزالوا المشركين من خزاعة عن البيت، لكن العوام والجهلة ما رجعوا عما أحدث عمرو من عبادة الأصنام فمنهم بقي الشرك في العرب إلى بعث النبي ﷺ وبقي دين إبراهيم في خواص العرب وآباء النبي ﷺ كما دعا إبراهيم عليه السلام وأخبر الله تعالى عن بقائه قال تعالى ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: 28] والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

المطلع الثامن: في بيان من بقي على دين إبراهيم عليه السلام في الفترة.

قال جلال الدين السيوطي قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية أنهم تحنفوا وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام وتركوا الشرك فما المانع أن يكون أبوا النبي ﷺ سلكاً مسلكهم في ذلك. قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في التقليح[1] في تسمية من رفض عبادة الأصنام في الجاهلية أبو بكر الصديق رضي الله عنه وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ورباب بن البزار وسعد بن كهريب الحمري وقس بن ساعدة الأيادي وأبو قيس بن صرمه اهـ. وقد وردت الأحاديث بتحنيف زيد بن عمرو وورقة وقس وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقاً عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ثم يقول اللَّهمّ إني أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ولكن لا أعلم. قلت: وهذا يؤيد ما تقدم في المسلك الأول أنه لم يبق إذ

(1) كتاب (تقليح الأذهان) والتقليح التأديب، وعود يقلح أي يزال قلحه.

ذاك من تبلغه الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها. وأخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن عمرو بن عبد الله السلمي قال رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها باطل يعبدون الحجارة. وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ بن خمير بن حسب الجهني أنه ترك الشرك في الجاهلية وصلى لله تعالى وعاش حتى أدرك الإسلام انتهى كلام السيوطي.

أقول إثبات دين إبراهيم في زمن الجاهلية بثبوت توحيد البعض من أهل تلك الفترة وتركهم عبادة الأصنام يلزم أن لو ثبت شرك جميع الناس من ذرية إبراهيم وغيرهم بعد حدوث الشرك بعمرو الخزاعي فيهم وهذا غير ثابت بل الثابت بشهادة الله تعالى بقوله ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزّخرُف: 28] بقاء الإسلام والتوحيد في ذريته إلى بعثة نبينا محمد ﷺ وهو الأصل الثابت الذي شرعه الله للناس كما قال الله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الشّورىٰ: 13] والشرك بين العرب إنما أحدثه عمرو الخزاعي وحمل الناس على عبادة الأصنام وهو وضع المخلوق لا ثبات له ولا قيام لا في الحقيقة ولا في الظاهر لضعف واضعه وعدم سريانه في جميع الناس وعدم تأثيره في من ظهر به فهو في الزوال فليست له قوه المقاومة للدين الإلهي الذي وضعه الله للناس ورسخه في قلوبهم، وطلب إبراهيم من الله بقاءه في ذريته وأجاب الله دعوته ولاسيما في ذرية إبراهيم من آباء النبي ﷺ وأصوله، لأن عمراً المذكور لما حكم على البيت وأدخل فيه الأصنام وحمل الناس على عبادتها فبعضهم عبدوها بالإكراه وبعضهم عبدوها تبعاً لهواه وهم العوام والجهال الذين لا يخلو زمان من الأزمنة من أمثالهم وبعضهم ما عبدوها بل ثبتوا على دين إبراهيم فلم تسر عبادة الأصنام في العرب كلهم ولم يرد النص إلا بوجود الشرك في تلك الفترة فقط لثبوت الإسلام ورسوخه في قلوب الناس وثبوتهم على الدين الإلهي فإن ذلك لا يمكن وقوعه ولو بالإكراه الذي رخصه الله للمؤمنين فإنا شاهدنا أهل الأندلس عند غلبة الكفار عليهم وإكراههم على الكفر وعبادة الأصنام، فإنهم ثبتوا بقلوبهم على دين الإسلام وما أخرجهم إكراههم ولا زجرهم عن الإسلام فلما رأت الكفار ذلك منهم خافوا على دولتهم فأخرجوهم من

ديارهم إلى دار الإسلام، وكذلك أهل السنة والجماعة في ديار العجم بغلبة أهل الرفض عليهم ما تركوا مذهبهم ودين الإسلام الذي دانت به آباؤهم إلى رسول الله ﷺ مع وقوع الزجر لهم على ذلك واختيارهم الملامة والذلة، فكذلك الشرك في الجاهلية ما سرى في الناس كلهم لرسوخ دين إبراهيم وبقائه بل في بعضهم وهم أيضاً ما ثبتوا عليه لرسوخ الإسلام الذي هو دين إبراهيم في قلوبهم وكون آبائهم عليه فيمكن لبعضهم أن يتركوا الشرك ويعبدوا الله على دين إبراهيم عليه السلام كما وقع في الخبر عن البعض لعدم إنكارهم الألوهية ودين إبراهيم وكونهم على الفطرة الأصلية التي فطرهم الله عليها فوقوع الشرك في الجاهلية لا يوجب ثبوت شرك الناس كلهم في تلك المدة ولا يوجب ثبات المشرك عليه وانتقاله عليه لإمكان رجوعه منه ورجحان حضرة الألوهية عليه في قلبه إذا نظر إليها كما نقل عن زيد بن عمرو بن نفيل ومن انتقل منهم على عبادة الأصنام والشرك فحاله ما هو مثل حال المشرك بعد بعثة الرسول وعدم إيمانه به لأنه ما أنكر الربوبية بل ركب بزعمه في الأصنام أنها عباد الله شفعاء عنده فيشفعوا له وما أنكر الرسول لأنه ما أرسل إليه رسول فهو صاحب عذر ولا يعذب الله أحداً عند إقامته العذر قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] فحال الفترة من أهل الشرك لا يقتضي أن يدخلوا النار حتى يرسل الله إليهم يوم القيامة رسولاً يدعوهم إلى الله فمن يطع الرسول أمن من النار وأدخل الجنة ومن لم يطع يسحب إلى النار، وهذا هو الحكم في أهل الفترة في عاقبة أمرهم بمقتضى النص النبوي فإثبات الإسلام والتوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم شمول الشرك جميع ذريته من بعده إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ على ما دلت عليه النصوص الإلهية والدلائل القطعية أحسن في إسلام أبوي الرسول ﷺ وتوحيدهما من إثبات فقدان الإسلام في ذرية إبراهيم في الجاهلية وعدم بقاء من بلغته الدعوة وعرف حقيقتها على وجهها والاعتذار عنهما لأنهما كانا في زمن الجاهلية وقد طبق الشرك الأرض شرقاً وغرباً وفقدت من آل يعقوب الشرائع ولم تبلغ الدعوة على وجهها إلا تفسيراً من أحبار أهل الكتاب مفرقين في أقطار الأرض في الشام وغيرها ولم يعهد لها تقلب في الأسفار سوى المدينة، ولا عمرا عمراً طويلاً بحيث يقع لها التنقيب والتفتيش في غير ذلك، وحملهما على من تحنف

وتدين بدين إبراهيم في الجاهلية كزيد بن عمرو بن نفيل وغيره لثبوت الأصل الذي شرعه الله تعالى وهو الإسلام وبقائه في عقب إبراهيم بالنص وسريانه في الناس كلهم من ذرية قبل حدوث الشرك الذي هو وضع المخلوق في أفراد من أهل الجاهلية لا في الكل لعدم سريانه في الكل لثبوت بقاء الإسلام في ذريته فلا يقاوم الأصل، الذي هو الإسلام، فلا يحكم بإسلامهم على خلو الزمان من الإسلام قبل إسلامهم إلا أريد من بيان إسلامهم بقاء الإسلام وثباته في ذرية إبراهيم عليه السلام وعدم خلو الزمان عن الإسلام قبل البعثة المحمدية فأهل الإسلام في الجاهلية بعد إحداث عمرو الخزاعي الشرك وتغيره دين إبراهيم عليه السلام في العموم على نوعين الأول ثبوتهم على دين إبراهيم عليه السلام من غير تغيير ولا انحراف كثبوت نبينا محمد ﷺ قبل الانبعاث والثاني تدينهم وتحنفهم به بعد الإدراك، فلا يلزم من كون زيد بن عمرو وورقة بن نوفل وغيرهما على دين إبراهيم وتدينهما به عدم وجود دين إبراهيم وعدم تدين أحد به غيرهما بل يلزم الثبوت على دين إبراهيم لمن كان منهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، وأما من لم يكن من ذريته فيجوز الثبوت على الأصل الذي هو دين إبراهيم ويجوز التحنف والتدين، وإنما قلنا فأهل الإسلام في الجاهلية على نوعين لأن أهل الإسلام في الجاهلية إلى بعثة النبي ﷺ كانوا على أربعة أنواع،

الأول: كانوا على دين إبراهيم عليه السلام من غير تغيير ولا انحراف.

والثاني: تدينهم بدين إبراهيم بعد تركهم عبادة الأصنام.

والثالث: تركهم الشرك ودخولهم في دين موسى عليه السلام.

والرابع: دخولهم في دين عيسى عليه السلام كما قيل في ورقة أنه تنصر في الجاهلية وقيل في تبع أنه تهود وذلك في أهل الجاهلية.

واعلم أن ثبوت الإسلام والتوحيد في ذرية إبراهيم عليه السلام إلى بعثة سيدنا محمد ﷺ بثبوت إسلام زيد بن عمرو بن نوفل وورقة وغيرهما وكونهما على دين إبراهيم الذي دعا إبراهيم عليه السلام ببقائه في ذريته أولى من ثبوت إسلامهما وتدينهما بدين إبراهيم عليه السلام وحمل أبوي النبي ﷺ في الإسلام عليهما وعلى

كلا الوجهين لا تخلو الأزمنة التي بين إبراهيم عليه السلام وبين بعثة نبينا محمد ﷺ عن الإسلام وممن قام به الإسلام وأقامه سواء كان وجود الإسلام بالتدين والتحنف بعد الشرك أو كان وجوده ببقائه من زمن إبراهيم إلى زمان بعثة سيدنا محمد ﷺ وعدم زواله كما قال تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه الآية.

واعلم أن إبراهيم عليه السلام لما طلب من الله في النداء أن يجعله مع ولده إسماعيل من المسلمين ويجعل من ذريته أمة مسلمة له وطلب من الله تعالى بقاء الإسلام والتوحيد منهم وبعثة سيدنا محمد ﷺ فيهم منهم قبل الله دعاءه فأبقى الإسلام وكلمة التوحيد في ذريته وأثبت ذريته في ملته وملته في ذريته إلى بعثته ﷺ كما قال جل جلاله وجعلها كلمة باقية في عقبه فثبوت إسلام آبائه كلهم وسعادتهم من لدن دعوة إبراهيم عليه السلام مدرج في ثبوت رسالته ﷺ من الله بالمعجزات الظاهرة والآيات القاهرة والكتاب الذي جاء به من عند الله الذي دل على نبوته وعلى طهارة نسبه والعجب أنه ما صدقه في ذلك القوم الذين اتبعوه وما اهتدوا إلى معرفة طهارة نسبه التي نطق بها الكتاب الذي جاء به من عند الله. فلا يتوهم مؤمن مصدق بالله ورسوله والكتاب الذي جاء به في حق آبائه ﷺ غير ما تقتضيه حضرة الربوبية للمعرفة والعبادة وتقتضيه حضرة العبودية المحمدية ﷺ للعبادة والاستفاضة واستنزال الفيض الإلهي المختص بحضرة الجمع والوجود وحضرات الكرم والجود على مظاهر الممكنات في بقعة الإمكان لأجل الظهور والشهود.

قال السهيلي رحمه الله في الروض الأنف في الحديث النبوي «**لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مؤمنين**» وأخرج أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع في كتاب الغرر من الأخبار قال حدثنا إسحاق بن داود بن عيسى المروزي وأبو يعقوب الفراء قال سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا عثمان بن قائد عن يحيي بن طلحة بن عبد الله عن إسماعيل بن محمد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا ربيعة ولا مضر فإنهما كانا مسلمين**». وأخرج بسنده عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا تميماً ولا ضبة فإنهما كانا مسلمين**». وأخرج بسنده

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا قسا فإنه كان مسلماً**» ثم قال السهيلي ونذكر عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً**» » وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ قال وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة وقيل هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم في خطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه والإيمان به قال وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأعلام له قال السيوطي هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وفي آخره كان بين موت كعب ومبعث النبي ﷺ خمسمائة سنة والماوردي المذكور هو أحد أئمة أصحابنا وهو صاحب الحاوي الكبير وله كتاب أعلام النبوة في مجلد كثير الفوائد، وقد رأيته وسأنقل عنه في هذا الكتاب، فحصل مما أوردنا أن آباء النبي ﷺ من عند إبراهيم عليه السلام إلى كعب بن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم والظاهر أنه كذلك وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء هم: كلاب وقصي وعبد مناف وهاشم ولم يظهر فيهم نقل لا بهذا ولا بهذا.

وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: وهو الأشبه أنه لم تبلغه الدعوة لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره.

والثاني: أنه على التوحيد وملة إبراهيم وهذا ظاهر من كلام فخر الدين وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة.

والثالث: أن الله أحياه بعد بعثة النبي ﷺ حتى آمن به وأسلم ثم مات، حكاه ابن سيد الناس وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها، لأنه لا دليل عليه ولم يرد قط في حديث ضعيف ولا غيره ولا قال هذا القول أحد من أئمة السنة إنما حكوه عن بعض الشيعة ولهذا اختصر غالب المصنفين على حكاية القولين الأولين وسكتوا عن حكاية الثالث انتهى كلامه.

واعلم أن عبد المطلب الذي كان وعاء لسيدنا محمد ﷺ كان على دين إبراهيم

عليه السلام وهو الإسلام والانقياد إلى الله تعالى الذي يقتضي ظهور الصورة المحمدية الكلية فيه وتعين الصورة المحمدية الحسية البشرية منه فإن النور المحمدي والسر الأحمدي كان قد هجم على سره وقلبه لأنه كان في ظهره وصلبه ولا سيما قد قرب طلوع شمس الأحدية وبان وقت إشراق نور الصمدية من سره وصلبه فتحقق بالانقياد إلى حضرة الربوبية وبالعبودية التي تقتضي ظهور ابنه عبد الله على صورته وسره، فمن آمن بالله ورسوله الذي انبعث من حضرة الفردية على الصورة الكلية الإلهية الكمالية يؤمن بطهارة أصوله الذين كانوا محامل لتلك الصورة المحمدية لأن الفرع يدل على الأصل والجزء يدل على الكل، وبه نستعين في الجمع والفرق وعليه نعتمد في الرتق والفتق.

المطلع التاسع: في عدم التعذيب لمن مات في الفترة

اعلم أن أهل الفترة الذين خلت أزمنتهم عن الشرع الإلٰهي المنزل على الرسول لاندراس الأحكام الشرعية التي تحققت بالوحي الإلهي وعدم مجيء الرسول إليهم وعدم إيمانهم به وكانوا على الفطرة الأصلية لا تعذيب لهم في الدنيا قبل مجيء الرسول إليهم ولا تعذيب لهم أيضاً في الآخرة قبل مبعث الرسول فيهم وقبل الامتحان يوم القيامة كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] أي لا تعذيب لأهل الفترة حتى نبعث فيهم رسولاً بالدعوة الإلهية والحجة الربانية لعدم مجيء الرسول إليهم بالأمر والنهي وعدم وقوع العناد والتكذيب للرسول منهم لأنهم كانوا على الفطرة الأزلية والإيمان السني الروحي.

واعلم أن الحكمة والشرائع المخصوصة والأديان المخترعة التي اخترعها أرباب الرياضات الشاقة من العقلاء والحكماء في أزمنة الفترات عند فقد الأنبياء والشرائع الإلهية المنزلة عليهم ولاسيما في الفترة التي بين عيسى وبعثة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم بالذوق الروحاني وصفاء بواطنهم فإنهم لما شاهدوا مقام عبوديتهم وما اقتضت حضرة الربوبية من العبادة بالأنوار اللامعة من بواطنهم النقية والأقمار اللائحة من قلوبهم الصافية كلفوا نفوسهم بالعبودية إما بأنفسهم وإما بإلهام الواردات القدسية وإلقاء اللوائح الإنسية طلباً لرضوان الله فاخترع كل واحد

منهم طريقة خاصة وشريعة مخصوصة لم يجيء بها الرسول المعلوم في العامة من عند الله ليعبد بها الحق تعالى، فلما وافقت الحكمة والمصلحة الظاهرة فيها الحكم الإلهي في الوضع المشروع الإلهي اعتبرها الله اعتبار ما شرعه من عنده وما كتبها عليهم كما قال الله تعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَانِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27] ولما فتح الله بينهم وبين قلوبهم باب العناية والرحمة من حيث لا يشعرون أوقع في قلوبهم تعظيم ما شرعوه فيها يطلبون بذلك رضوان الله فلذلك اعتبرها الله اعتبار ما شرعه من عنده، ولهذا قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [الحديد: 27]أي من المقلدين إياهم في تلك النواميس المشروعة والأديان المخترعة الموضوعة ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: 27] أي خارجون عن الانقياد إليها والقيام بحقها.

قال الشيخ رحمه الله في الفتوحات في الباب الستين ومائة، ومن هذا الباب السياسة الحكمية لمصالح العالم التي لم يأت بها شرع عند فقد الأنبياء عليهم السلام، وأزمنة الفترات تنزل بها ملائكة الإلهام واللمات على قلوب عقلاء الزمان وحكماء الوقت فيلقونها أفكارهم لا على أسرارهم فيضعونها ويحملون الناس عليها والملوك وما فيها شيء من الشرك، فهذه هي الرسالة الملكية التي فيها مصالح العالم في الدنيا وهي البدع الحسنة التي أثنى الله على من رعاها حق رعايتها ابتغاء رضوان الله. انتهى كلامه. فأهل الفترات حينئذ كانوا على ثلاثة أقسام.

القسم الأول: الخواص وهم الذين اخترعوها وحملوا الناس عليها.

والقسم الثاني: العوام وهم الذين قلدوهم فيها ورعوها حق رعايتها بالانقياد إليها والعمل بمقتضاها ابتغاء رضوان الله تعالى.

القسم الثالث: الخارجون عن الانقياد إليها والقيام بحقها فلهذا ما حكم أهل السنة والجماعة على أحد من أهل الفترات الخالية عن الشرائع الإلهية النبوية بأنهم أصحاب النار، بل ذهبوا إلى أنه لا تعذيب لهم لعدم مجيء الرسول إليهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

واعلم أن أئمة أهل السنة من أهل الكلام والأصول اتفقوا على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ولا يقاتل حتى يدعى إلى الإسلام قال الله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] فاستدلوا بهذه الآيات على أنه لاتعذيب قبل البعثة ورد المعتزلة بها على من خالفهم في تحكيم العقل وهذا مبنيّ على مسألة الاختلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال والبدعة في شكر المنعم هل هو واجب عقلاً أو لا؟ فمذهب أهل السنة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً بل بالسمع ومذهب أهل الاعتزال أنه واجب عقلاً. قال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول شكر المنعم لا يجب عقلاً خلافاً للمعتزلة، لنا أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة فلا وجوب. وقال إلْكِيَا الهراسي في تعليقه في الأصول في مسألة شكر المنعم: اعلم أن الذي استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ولا يتلقى حكم قضيات العقول.

فأما ما عدا أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة **فمنها** ما يتلقى من الشرع المنقول **ومنها** ما يتلقى من قضيات العقول، قال وأما نحن فنقول لا يجب شيء قبل مجيء الرسول، فإذا ظهر وأقام المعجزة تمكن العاقل من النظر فنقول لا تعلم أول الواجبات إلا بالسمع انتهى كلامه.

وذلك لأن الوجوب إنما يتوجه على العبد بعد مطالبة الحق له بحكم من الأحكام على لسان الرسول، وهذا لا يتصور في الفترة قبل مجيء الرسول فلا وجوب ولا عذاب، فمن مات في الفترة وزمان الجاهلية قبل البعثة المحمدية بالبينة والحجة الإلهية يموت ناجياً، وهذا مذهب أهل السنة، فمن قال فيه إنه في النار فهو من أهل الاعتزال والبدعة لأنه خالف أهل الحق من أهل السنة وهو مبني على وجوب شكر المنعم عقلاً، وهذا ليس كذلك لعدم توجه الوجوب على أحد في الزمن الخالي عن الشرع الثابت على لسان الرسول فلا تعذيب قبل مجيء الرسول كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن قتادة في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً

قال إن الله تعالى ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبراً ويأتيه من الله بينة، ولكن الأوفق للحديث المذكور في حق أهل الفترة والأطفال والصغار والمجانين أن تنجر حالهم يوم القيامة إلى بعث الرسول إليهم ودعوته إياهم فإن آمنوا أمنوا وإن خالفوا أدخلوا النار كما ذكر في أحوال أهل الفترة فافهم.

واعلم أن حال أبوي النبي ﷺ في حكم العقل لا يخلو عن أمرين: أي أنهما إما من أهل الفترة والجاهلية، وإما من الأمة المسلمة في دين إبراهيم، فإن كانا من أهل الفترة فهما من أهل النجاة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] وإن لم يكونا من الفترة فلا يرسل الله إليهما غير ابنهما محمد ﷺ لاختصاصه بهما في الدنيا بحسب الأبوة والأمومة ولاختصاص الدعوة في ذرية إبراهيم من نسل إسماعيل في الدنيا به وانبعاثه فيهم في الدنيا، فإن الله تعالى كما أرسله في الدنيا إليهما من ظهوره بهما وبعثه في ذرية إبراهيم يرسله إليهما في الآخرة كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 129] الآية، وإن كانا من الأمة المسلمة كما هو ظاهر من الآيات الإلهية والشهادة الربانية فهو المُدَّعى فظهرت سعادتهما في الأزل باصطفاء الله تعالى إياهما من جميع المخلوقات ليكونا أبوين لمن جعله رحمة للعالمين وظهر من سعادتهما في الدنيا امتيازهما عن سائر الموجودات من جهة ظهوره في عالم الشهادة بالصورة الكلية الكمالية المحمدية منهما وتظهر سعادتهما في الآخرة بشهودهما ابنهما في المقام المحمود عند الحوض المورود بالشفاعة العامة العظمى والرحمة الكافة الكبرى ونجاتهما في عاقبة أمرهما.

الوصية: اعلم أن مما وجب على العبد التقي والمؤمن الورع النقي التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة وأن ينزه نفسه عن الصفات النفسانية والأخلاق الطبيعية التي تقتضي توجهه إلى عالم الخلق ويخلي قلبه عن الخواطر الكونية واللوائح الغيرية التي توجب احتجابه عن حضرة الجمع والرفق وأن يطلب من الله تعالى أولاً الفهم في الكتاب والسنة أي بعد إعراضه عن الخلق وتوجهه إلى الحق، وأن يطلب الفهم من الله بالتنزه عن الصفات الكونية والتحلي بالصفات

الإلهية كما في الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله والكلام الذي صدر من لسانه فإنه ﷺ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[1] أي أهل القرآن في الفهم فيه عن الله بإعطاء الله لهم فيه الفهم بالتجلي الإلهي في قلوبهم وبواطنهم هم أهل الله وخاصته فيحكم بالفهم الذي رزقه الله في كتابه والفهم الذي رزقه الله في حديث رسوله وراثة حقيقية وهي الفهم عن الله تعالى في القرآن والحديث، فإن الحديث مثل القرآن في النص، فإنه ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، وهو الفهم عن الله في قلبه ﷺ، فالذي يعطيه الفهم عن الله في القرآن والحديث في حق أبوي النبي ﷺ هو الإسلام والتوحيد، فإن الله تعالى أخبر في القرآن عن دعوة إبراهيم عليه السلام في حق ذريته وبقاء ملته فيهم وبعث الرسول فيهم منهم بالكتاب والحكمة وشهد ببقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول، فقبل الله دعوته، فأبقى ملته في ذريته وأثبت ذريته عليها، ولا سيما ذريته الذين كان ﷺ يتقلب في صورهم وينقل من أصلابهم الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة إلى ظهور الصورة الحسية البشرية والصورة الكلية المحمدية الجامعة مترقياً في الصفاء والتهذيب إلى أن وصل إلى أبويه اللذين اقتضت حالهما كمال نشأته العنصرية البشرية وظهوره على الصورة الكمالية المحمدية التي أرادها الحق تعالى وتوقف عليها نزول الكتاب أي القرآن الذي يتضمن المعرفة التامة والعبودية الكاملة كما قال ﷺ: «**لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً**»[2].

وأما ما عدا الفهم عن الله في الكتاب والسنة بالتوجه إلى الأمور الحسية والأحوال الخسيسة واستعمال الأنظار الفكرية والأدلة العقلية على مقتضى الخواطر البشرية والإلقاءات الشيطانية، فضلال وحرمان وطرد من جناب الحق وخذلان.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، أخبار في فضائل القرآن جملة، حديث رقم (2046) [1/ 743] ورواه النسائي في السنن الكبرى، باب (26 أهل القرآن) حديث رقم (8031) [5/ 17] ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

ثم اعلم أن إبراهيم عليه السلام صاحب الشريعة الخاصة والملة العامة له تخلل في الحضرات الأسمائية وتخلق بالصفات الإلهية في المراتب الغيبية متوجه لوجه الله الجامع لجميع الوجوه الأسمائية معرض عن الوجوه المظهرية في العوالم العلوية والسفلية متحقق بالعبودية الكلية التي هي الغرض من الشرائع الإلهية، فلهذا طلب من الله في ندائه ثبوته على الإسلام والانقياد إلى الله وطلب ثبوت ذريته عليه وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول ﷺ بالكتاب والحكمة، فإن بيت إبراهيم عليه السلام بيت النبوة في ذريته الذين هم آباؤه ﷺ الذين ظهروا من صلبه بصورة سره ونشأوا في حرم خلته بين أحكام نبوته وتحققوا بالصفات الخليلية والملة الحنيفية هم محامل للصورة البشرية المحمدية لا قابلية فيهم بعد تحققهم بحقيقة الإسلام والانقياد إلى الله وتقربهم من الله تعالى أن يرجعوا إلى الصفات البشرية التي تقتضي ميلهم إلى الإلقاءات الشيطانية والخواطر النفسانية وليس للشيطان عليهم سلطان يغويهم كما أخبر الحق تعالى في الكتاب العزيز لنا عن ذلك بقوله ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحِجر: 42] ولا شك أن إبراهيم عليه السلام وذريته الذين هم آباؤه ﷺ الذين دعا إبراهيم في حقهم ثبوتهم على الإسلام وبقاءه فيهم إلى مبعث الرسول وقبل الله دعاءه وبعث رسوله الذي طلبه منه فيهم منهم كما قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»[1] فهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سلطان في إضلالهم في الإشراك فإنهم محفوظون بحفظ الله إياهم في بيت ملة الخليل وحرم الإسلام والانقياد والعبودية التي في ذواتهم وبوعد الله بذلك فإنه صادق الوعد، فإذا ثبت ذلك عندك وعرفت معنى الإسلام والانقياد ودعوة إبراهيم به وطلبه من الله أن يثبتهم على الإسلام ويبقيه فيهم إلى مبعث الرسول فيهم منهم وعرفت بعثه منهم بالكتاب والملة لا تحتاج أن تستدل بالآيات والأحاديث على بقاء ملة إبراهيم في ذريته وثبوتهم عليها وكون آبائه ﷺ كلهم إلى إبراهيم عليه السلام على الإسلام والتوحيد وبعث الرسول من الأمة المسلمة من ذرية إبراهيم عليه السلام بعد إخبار الله تعالى عن دعوة إبراهيم وإخباره بإبقاء كلمة التوحيد في ذريته إلى مبعث الرسول لعدم ثبوت

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

الشرك منهم بالنص من الكتاب والسنة، الذي يعارض ذلك الإخبار فإنه لا نص في ذلك فإنه بعض الظن من بعض الجهلة الذين لا فهم لهم من الله في الكتاب والسنة، لأن دين إبراهيم عليه السلام باق في ذريته من المسلمين إلى مبعث الرسول، فلذلك وفقهُ الله تعالى في ابتداء أمره لعبادته بملة إبراهيم عليه السلام حتى جاء الملك من عند الله تعالى بالرسالة والنبوة،

قال الشيخ رضي الله عنه في الفتوحات في الباب الخامس والأربعين ولما كانت حالته ﷺ في ابتداء أمره أن الله وفقه لعبادته بملة إبراهيم الخليل عليه السلام وكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه عناية من الله سبحانه به ﷺ إلى أن فجأه الحق فجاءه الملك فسلم عليه بالرسالة وعرفهُ بنبوته فلما تقررت عنده أرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. انتهى كلامه.

فحينئذٍ مازالت ملة إبراهيم ثابتة ومازالت أمة من ذريته مسلمة من لدن دعوة إبراهيم عليه السلام إلى بعثة الرسول ﷺ بالرسالة والنبوة عند الأربعين من عمره فحينئذ كان ﷺ بعثته من الأمة المسلمة من ذريته ولهذا قال تعالى: وابعث فيهم رسولاً منهم لأنه كان يتعبد على ملة إبراهيم فختمت به ﷺ ملة إبراهيم عليه السلام عند بعثته من حيث تعبده بملة إبراهيم عليه السلام من حيث كونها ملة إبراهيم عليه السلام وبعد بعثته شرعت له ملة إبراهيم اتباعاً لملته لا لإبراهيم، فتعبد بها من حيث بقيت ذريته في ملته وملته في ذريته من الأمة المسلمة، وختمت ملته بالرسول الذي طلبه من ربه أن يبعثه من الأمة المسلمة من ذريته وجعله قبل بعثته منهم لأنه منهم نسباً وملة، فشرف الله إبراهيم عليه السلام بأن ختم ملته في ذريته برسولنا ﷺمن حيث كونه قبل البعثة من ملته، ومن حيث انبعاثه في ملته وإحيائه ملته، ومن حيث بعثته فيها بالكتاب المبين والحكمة الإلهية التي كانت في قوة دين إبراهيم عليه السلام فأنتج إسلام إبراهيم، أي انقياده وانقياد ذريته وملته بالكتاب الذي يتضمن المعرفة الربانية والعبادة الإلهية على ما تطلبه حضرة الربوبية وتقتضيه رتبة العبودية الكاملة والحكمة التي تعطي وضع الأشياء في مواضعها وإجراء الأمور على سبلها وبالله التوفيق.

التتميم للوصية: اعلم أن ما تقتضيه حضرة الألوهية من الإفاضة من حضرات الكرم والجود وخزائن الغيب والوجود على مظاهر عالم الإمكان وصدر بعثة الحدثان لأجل الشهود والإفاضة والعرفان وأجل الجلاء الكلي والفتق الجمعي الإِلِيّ وما تقتضيه حضرة الصورة الكلية الكمالية المحمدية من الطهارة الذاتية والنزاهة الكلية والإحاطة الجمعية والمظهرية الكلية للصورة الإلهية في الحضرة الحسية الشهادية وتقتضيه الحكمة البالغة والإرادة الكلية الذاتية التي تعلقت بإيجاد الصورة الكلية الكمالية الإلهية أن يكون جميع آبائه ﷺ من آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله مهذبين منزهين عن الطبيعة والأوصاف الردية السفلية التي تخالف الطهارة الذاتية المحمدية والنزاهة الأصلية الأحمدية مستعدين لقبول روح ذلك النور الأبهر والضياء الأظهر الأنور لا ينفخ روح تلك الصورة المحمدية في كل واحد منهم إلا بحسب المناسبة الذاتية والتسوية الإلهية التي تقتضي تعينه ﷺ فيه وعبوره عنه ولا يقبل كل واحد منهم ذلك الروح الإلهية والنور الأزلي الجمعي إلا بالطهارة التي في ذاته والمناسبة الذاتية في حقيقته وصورته، فإن الشرائع الإلهية والنبوات الشرعية إنما نزلت على الحكمة ونطقت بالمناسبة كما قال تعالى ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النُّور: 26] فكانت الآباء المعينة والأجداد المعهودة المقدرة له ﷺ كالأسباب والوسائط لتلك الصورة الكلية المحمدية وحصولها على تلك الهيئة الكمالية، فمازال ﷺ من لدن آدم عليه السلام لا ينقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الطاهرة على مقتضى الحكمة الإلهية والطهارة الأصلية باستكمال التسوية في تلك المادة إلى أن كملت التسوية في المادة المحمدية التي تعينت في أصلاب آبائه لحصول الصورة المحمدية البشرية على الوجه الذي أراده الحق تعالى أزلاً منه في صلب أبيه عبد الله المتصف بالعبودية المحضة التي تقتضي فناء صفات العبد وذاته وتقتضي ظهور الصورة الإلهية الأسمائية وتجليها منها، فما تعينت تلك المادة المحمدية والمضغة العنصرية البشرية في أبويه إلا بحسب طهارة روحهما وأخلاقهما وصفاتهما وما ولد بينهما إلا بحسب طبيعتهما وجسمانيتهما، فإنه كان بضعة مني فمن آمن بالله ورسوله ومبعثه بالصورة الطبيعية الطاهرة والهيئة الكلية الكمالية لا

ينسبه إلى النسب الطاهر ومن أضاف إليهما أمراً يخالف رتبته العلية وطهارته الذاتية فهو من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: 57] سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن آباء النبي ﷺ في النار فأجاب: بأن من قال ذلك فهو ملعون لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: 57] قال: ولا أذى أعظم من أن يقال في أبيه إنه في النار. وقال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في المقنع: ومن قذف أحد أجداد النبي ﷺ قُتِلَ، مسلماً كان أو كافراً، وفي قول آخر يقتل كافراً، فوجب على السلطان العادل والإمام التقي المعتدل الذي يحمي الشريعة الكلية المحمدية ويحارب على الملة الغراء الحنيفية أن يزل الفساد من الأرض، وأي فساد أعظم في الدين والوجود من إضافة النبي ﷺ إلى عرق المشرك، وإضافة الشرك إلى من منه طلعت شمس التوحيد والإيمان، ومنه أشرقت أنوار الرحمة على أعيان الممكنات في بقعة الإمكان، وبالله التوفيق والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى كتاب مطالع النور السني للشيخ عبد الله البوسنوي. وبه نختم هذا الكتاب المسمى (الحقيقة المحمدية عند أقطاب السادة الصوفية: إسلاماً وإيماناً وإحساناً) المختصر من موسوعة جواهر البحار في فضائل النبي المختار للعارف بالله تعالى الشيخ المحقق يوسف النبهاني قدِّس سرُّه.

هذا ونسأل الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين عامة والسالكين إليه تعالى خاصة بأنوار أسراره ملكاً وملكوتاً وجبروتاً جسماً وقلباً وروحاً آمين.



فهرس المحتويات